

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الشرعية

المشرف

د. عبد العزيز بن محمد بن عيسى

هذه نسخة من كتابي المنشور في
الطابعات أو القيد وترجمت بصحيفة المطابع
التي أهديت انشاء للمناقشة

د. عبد الرحمن بن فاضل

عضو الناقد

عضو الناقد

د. عبد الحميد بن عبد القادر

عضو الناقد

عضو الناقد ١٤٢٥ هـ

الكتاب

الكتاب في ضوء الكتاب

بحث مقدم تيسيل درجة الدكتوراة

أعدت الطالبة :
جواهر محمد بن سعيد بن أسلم

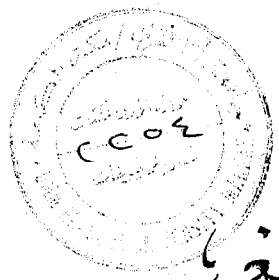
تفصّل كتاب و سنت

إشراف الدكتور :

محمد إبراهيم الشافعي

لغاية ١٤٠١ هـ

الجزء الأول





" بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ "

ملخص البحث

النبات فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
اعداد الطالبة / جواهر محمد سرور سعد باسلوم

ان كل ما فى الكون يستمدى من الانسان التفكير والتأمل وآيات الله عز وجل فى الكون كثيرة والنبات آية من آيات الله عز وجل فى هذا الكون تستمدى الانسان أن يتدبر فى خلقه وتكوينه وانباته وشعره ، وقد جعل الله عز وجل منه منافع للانسان فمنه الفوائد الحسية كالغذاء والكساء والدواء والظل ، ومنه الفوائد النفسية وذلك يتحقق فى الناحية الجمالية الموجودة فى النبات من الخضرة والالوان والأشكال الجميلة التى تسر النفس ، ومنه الفوائد الروحية التى تقوى الايمان فى النفس البشرية عند النظر إليه والتفكر فيه ، وكما هو نعيم للانسان فى الدنيا فهو نعيم للانسان أيضا فى الآخرة فهو جنة الله لعباده فى الدنيا والآخرة - ومن هذا فقد تناول البحث أهم الموضوعات الآتية :

١ - الباب الأول : حقيقة النبات وعوامل الانبات وفوائد النبات .

٢ - الباب الثانى : أساليب القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى عرض آيات النبات .

٣ - الباب الثالث : دلالات آيات وأحاديث النبات على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته وقدرته والبعث والقيامة .

٤ - الباب الرابع : الحقوق المتعلقة بالنبات .
وقد ناقش البحث أهم النتائج التالية :

١ - المشابهة بين النبات وجميع الأحياء من حيث العوامل الضرورية لحياة النبات والأحياء الأخرى .

٢ - التشابه فى التكوين الجسمى بين النبات والانسان .

٣ - علاقة النبات بتكوين جسم الانسان .

٤ - أن النبات يعطى صورة التآلف والمحبة للانسان .

٥ - أن القرآن الكريم قرر كثيرا من النظريات العلمية . ومن ذلك " البناء الضوئى " .

٦ - أن النبات فيه من الدلائل والحجج على بيان قدرة الله وعظمته وعلى وقوع البعث والقيامة .

وأخيرا أظهر البحث بعض الاقتراحات التى يمكن الأخذ بها وهى :

أ - ان يكون تدريس النبات مادة أساسية تدرس فى المدارس على وفق القرآن والسنة .

ب - وضع قاموس خاص بالنبات وأنواعه .


ج - الاهتمام بالتشجير والزراعة وانشاء الغابات والحدائق .

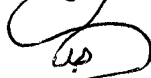
د - الاهتمام بزراعة نبات المرخ والعفرار للفائدة منه .


العميد

الشرفى

الطالبة


د/عبد الله عمر الدميجى


د/عبد العزيز عبد الرحمن العثيم


جواهر محمد سرور سعد باسلوم

آب و حیات

بسم الله الرحمن الرحيم
مهم

آية وحديث

قال الله تعالى :

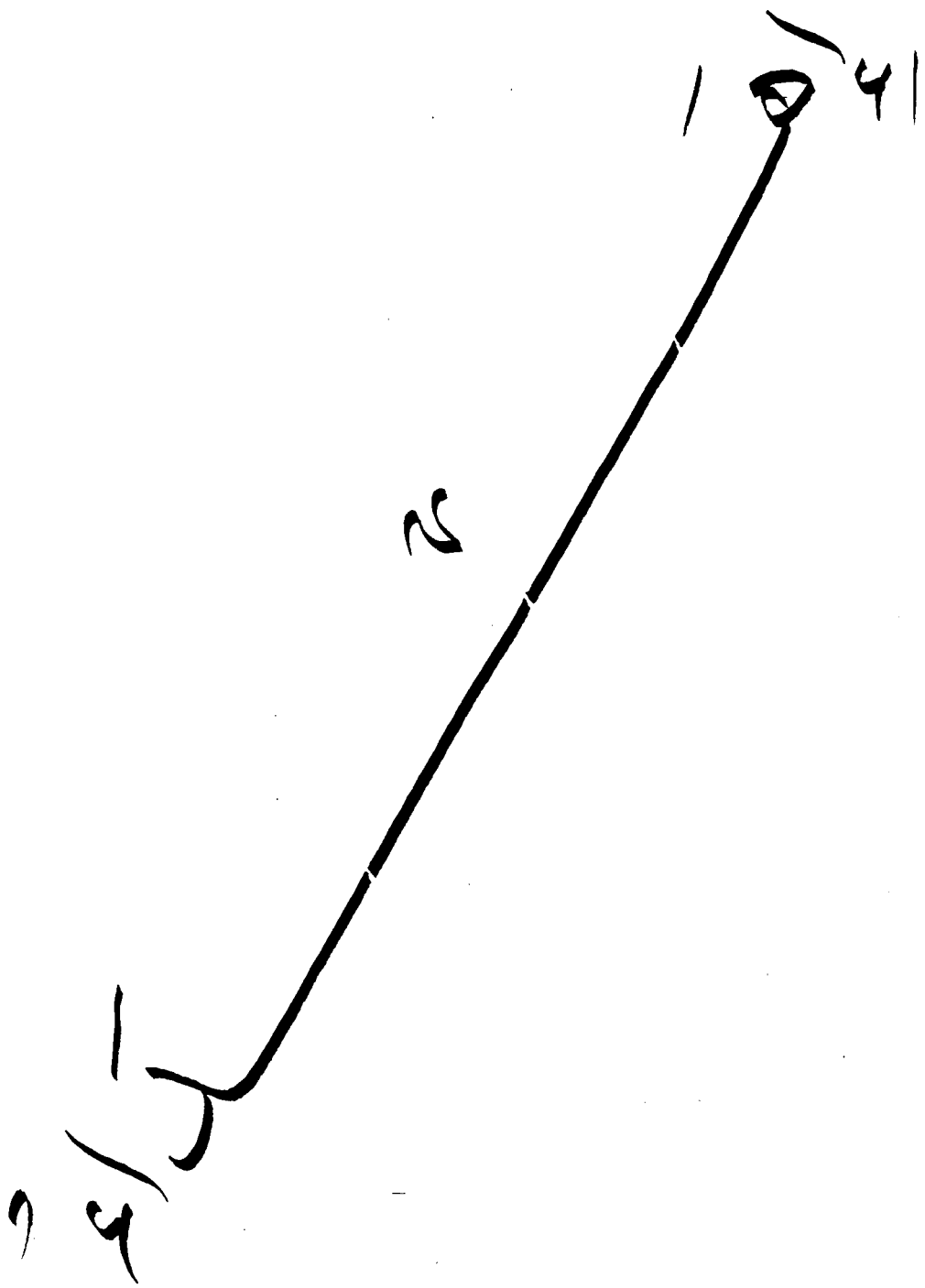
* وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك
آيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات
من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم
يعقلون *

سورة الرعد: (٤-٣)

وقال صلى الله عليه وسلم :

" مامن مسلم يفرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق
منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة . وما أكلت
الطير فهو له صدقة ، ولا يبرزوه أحد الا كان له صدقة " .

(صحيح مسلم (١١٨٨/٣) المساقاة .



اهداء

أقدم ثمرة جهودي هذه المتواضعة اليسيرة هدية غنية غالية
أفتخر بها واعتز .

الى والدي الكريمين فهي أيضا ثمرة جهدهما ورعايتهما ومعاناتهما
وصبرهما أطال الله عمرهما .

والى ابنتي الغالية الحبيبة البارة التي حفتني بدعائها وحفرتني
بتشجيعها .

والى الأشقاء والشقيقات الأوفياء المخلصين أدام الله علينا نعمته
الألفة والمحبة .

الباحثة

الماء
الذي
في
البحر
هو
الحلوة
التي
تسمى
الحلوة
البحرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله على جليل فضله وجميل إبداعه وكمال صفاته ، سبحانه
جل شأنه وتسامت حكمته .

وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له .

لقد دلت جميع الآيات فى الأنفس والأفاق على وجوده تعالى
ووحدانيته وعظيم قدرته .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أنزل الله تعالى عليه
وحيين جليلين ، ونورين مشرقين هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ،
فأوضح بهما طريق الحق وسبيل الرشده .

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الحق
والدين . أما بعد :

فان الأصليين العظمين والنورين المشرقين القرآن الكريم
والسنة النبوية ، هما أصل الاسلام وقاعدته العظيمة ، التى نستمد منهما نحن
المسلمين ما يصلح شأننا ويحسن أحوالنا فى العقيدة والأخلاق والآداب والمعاملات،
ويفيض علينا بكل علم نافع ومعرفة واسعة سالحة ، ومن ثم فقد تكاثرت
الدراسات حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لاستجلاء ضياء جوانبهما
واستكشاف ما يحتويانه من خير ونفع وصلاح ، من أول بزوغ فجر الاسلام الى
اليوم ، وما زالت الدراسات مستثمرة فى استخراج كنوزهما واستقراء جواهرهما ،

وسوف يظل عطاؤهما ممدودا الى يوم القيامة ، لأن وحي الله
عز وجل لاتنتهى عجائبه ولاتنفذ خزائنه .

فموضوعات القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة كثيرة
متعددة ، لايحيط بها حد ولا يحصيها عد ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مدادا ﴾ (سورة الكهف (١٠٩) .

وقوله تعالى : ﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ﴾ سورة لقمان (٢٧) .

هذا :

ومن الموضوعات التى تستلفت النظر فى القرآن والسنة موضوع النبات ، الذى ذكر كثيرا فى آيات القرآن الكريم وفى عدد غير قليل من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما استرعى انتباهى وشد اهتمامى عندما كنت أختار موضوعا للتسجيل فى مرحلة الدكتوراه .

فقد ظهر لى كثير من الموضوعات والجوانب الجديدة بالدراسة والبحث ، ولكننى وجدت نفسى أكثر ميلا وأشد رغبة فى موضوع النبات . هـل لأننى أحب النبات وأرغب فى مشاهدته ؟ أو لأن آيات النبات فى القرآن الكريم دائما ما تشد اهتمامى فأقف عندها متأملة متفكرة ، أو لحبى للنبات فى الكون المنظوم والكون المنظور .

وهذا ما حثنى على أن أفكر فى الموضوع جديا وأورثه على غيره . ولما عرضت الموضوع على أساتذتى الأجلء والأفاضل شجعونى على توسع دونه على تنظيم خطة البحث فيه ، وأحيط كل ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه ، فتمت موافقة قسم الدراسات العليا مع الارشاد الى بعض التعديلات ، واستقر الأمر على أن يكون بعنوان : " آيات الله تعالى فى النبات كما يصورها القرآن الكريم والسنة المطهرة " .

ومنى يوم أن تمت الموافقة على موضوع البحث وأنا دائمة البحث والتنقيب لجمع معلوماته ، واستقراء عناصره من المراجع الأصلية والفرعية ، وكانت كتب التفسير ومصنفات الحديث هي أهم مراجعى .

منهج البحث :

ان دراسة تاريخ أى موضوع من أى علم هى دراسة لتاريخ ذلك العلم
اذ هـى تتبـع الأدوار التى مـرت
عليه مبادئـه ، متدرجة فى نشوءها وتكوينها من حال السذاجة الأولى التى
أن تكامل نموه واستقام عوده واستغلظت سوقه ، وأتى أكله ووصل إلى
الغاية ، وهذه الدراسة هى بلا ريب دراسة لذلك العلم ، ثم ان دراسة
موضوع من مواضيع ذلك العلم ولو جزئيا تعطيك صورة للمحاولات والجهود
التى بذلت فى سبيله ، والمناهج التى اتبعت للوصول الى غاياته ، وذلك
بلا ريب يجعل طالب هذا العلم على بينة من مبادئه ونتائجه ومقدمه
وتاليه ، لهذا كانت دراسة موضوع من موضوعات كتاب الله هى دراسة لذلك
الموضوع فى كتاب الله ، ودراسة موضوع من موضوعات الحديث هى دراسة
لذلك الموضوع فى الحديث (١) .

لذلك كان بحثى دراسة دلالات آيات الله فى النبات وهذا من الناحية
القرآنية الحديثية ، فهو دراسة جزء من النبات ، وليس دراسة كاملة
عن النبات ، وذلك لأن له تفاريع كثيرة وتخصصات مختلفة ، فقد
تناولت منه الجانب الذى يناسب تخصصى العلمى . وان كان الموضوع جزئيا
الا أننى قد تناولت عنه بعض الجوانب ، التى تفيد البحث وتخدمه وتعطيه
شكلا عاما وصورة متكاملة عن دراسة النبات فى جميع جوانب الموضوع
أو معظمها وان كان البحث والتأليف كما ذكر على سبعة أقسام لايؤلف عالم
عاقلا الا فيها وهى :

(١) انظر : الشافعى ، حياته وعصره ، محمد أبوزهرة (٦) دار الفكر
العربى . .

أما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص فيتممه ، أو شيء غامض فيشرحه ، أو شيء مطول فيختصره ، دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق فيجمعه ، أو شيء مختلط فيرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنّفه فيصلحه ، وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه ألا يخلو عن خمس فوائد :

استنباط شيء ان كان معضلا ، أو جمعه ان كان مفرقا ، أو شرحه ان كان غامضا ، أو حسن منظم وتأليف ، أو اسقاط حشو وتطويل (١) .

وحيث أن موضوعي لم يسبق الكتابة فيه على الطريقة ، والفكرة التي عرضتها وهو دراسة النبات من الناحية التفسيرية الحديثة بهذه الصورة المتكاملة تقريبا وهو مع ذلك لم يكن موضوعا معدوما أصلا فاخترعته فقد كتب فيه أكابر العلماء وجهابذتهم ، ولكن في فنون مختلفة ، وذلك لأن النبات موضوع واسع له فنون عديدة وجوانب متفرعة ، فقد كتب فيهِ المتقدمون والمتأخرون واستوفوا الكتابة فيه سواها كانت من المطولات أم من المختصرات وخاصة كتب الطب والغذاء لذلك كان يحثي عبارة عن معلومات كانت متفرقة فجمعتها ، وشرحا لما كان غامضا منه ، وتحليلا له ، وما كان مطولا منه راعيت الاختصار فيه ، وما كان مختصرا في بعض الجوانب منه أطلت البحث فيه ، ثم بعد ذلك ترتيبا لبعض الجوانب من البحث ما كان مختلطا في أمهات الكتب ، وحسن تنظيم للمعلومات عند عرضها .

ومن المعروف أن مصادر الطب وحسن التغذية والمصادر التي تبحث في تكوين النبات وتركيبه وزمانه ومكانه هي أهم المصادر في الموضوع ، ولكن

(١) كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية : د. عبد الوهـاب ابراهيم أبوسليمان ، (٢٢-٢٣) (ط ١ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، دار الشروق .

كان أساس اعتمادي في البحث هو كتب التفسير والحديث وذلك ليناسب العنوان الغرض والمادة العلمية خاصة وان المعروف عن موضوع النبات من الناحية العلمية أكثر من المعروف عنه تشريعيا ، أما ثانيا فهذا شيء لا بد منه بالنسبة لبحثي ليوافق تخصصي وهو (كتاب وسنة) فهما المصدران الاساسيان في البحث والتدقيق ، ولتمحيص ، والتحقيق ، والتوفيق بين الكشوفات العلمية والمقصود من الآيات القرآنية ، لذلك كان من أهم النقاط التي تضمنتها منهج البحث مايلي :

١- اعتمدت في بداية كل باب وفصل على التعاريف من الناحية الاصطلاحية أو التعريف العام وخاصة الناحية اللغوية وذلك لأصل من خلال هذه التعاريف الى معنى ومفهوم النقاط المعروضة والغرض والهدف من ذكرها وتحليلها .

٢ - اعتمدت الاختصار الشديد في معلومات النبات من الناحية الطبيعية الغذائية ، وتكوينه وتوزيعه الجغرافي ، لان هذا ليس مجال البحث الذي أنا بصدد ، ثم هو موضوع واسع جدا ويحتاج الى مؤلفات ويدخلني في متاهات لا أستطيع الخروج منها .

٣ - عند عرض نقطة من نقاط البحث تحتاج الى مناقشة وبيان وتوضيح أقوم بعرض النصوص أولا من القرآن والحديث ثم أذكر آراء العلماء ، وبعدها أوضح نقاط التعارض ان وجد تعارض بين النصوص ، مع بيان النصوص على ذلك ، وأبين آراء العلماء ، ثم أذكر رأيي الشخصي في هذه النقطة مع ذكر جانب الترجيح ، او الجمع على قدر اجتهادي ، ومعرفتي وعلمي ، واستنتاج ذلك من خلال النصوص وآراء العلماء (سواء أكان موافقا لآراء العلماء أم كان مخالفا ، وبينت وجهة نظري في ذلك) .

- ٤ - اعتمدت في كتابة نبذة يسيرة عن حياة بعض الرسل والأنبياء الذين لهم أحداث ومواقف تتعلق بالنبات ، ولو أنه ليس من الموضوع بمكان لكن رأيت من الواجب أن أعطي هذه الصورة الصغيرة الواضحة عن بعض جوانب حياة الرسل ومواقفهم .
- ٥ - حاولت جهدي في البحث أن أجمع بين الجانب العلمي والجانب الروحي الايجابي والتربوي الايماني ، وأن يشمل البحث على صورة حياة نابضة ذات اشعاع مضيء وتأثير في النفوس .
- ٦ - ذكر بعض الروايات كاملة متنا وسندا ، سواء أكانت من الصحيحيين أم من غيرهما ، وخاصة التي من غير الصحيحيين والاختصار أحيانا على ذكر المتن فقط ، وأحيانا على ذكر الشاهد فقط سواء من الحديث ، أو من الآية ان كانت مكررة في عدة مواضع للاستشهاد بها في كل موضع مناسب لها ، وذلك للاكتفاء والاختصار وخشية التطويل .
- ٧ - حرصت في بحثي على رد كل فكرة الى صاحبها وكل قول الى قائله فان وجد غير ذلك فليس الا من قبيل الخطأ والنسيات وعدم التعمد .
- ٨ - تكرر كثير من النصوص القرآنية وأحيانا الأحاديث في عدة نقاط أو في نقطة واحدة ، وذلك للاستشهاد بها في كل مقام مناسب لها لما تتضمنها من الشواهد أولا ، ثانيا لتوضيح وبيان وتوكيد الأدلة بعضها البعض ، خاصة اذا لم تكن من الصحيحيين ، أو كان هناك اختلاف في اللفاظ ، فان اختلاف ألفاظ النص أحيانا يفسر بعضه بعضا ، وأحيانا تختلف معاني الألفاظ - فلكل مقام مقال - وقد تعرضت الى ذكر أكثر من آية أو رواية في نقطة واحدة ، سواء أكانت متفقة في المعنى أم مختلفة ، وانما الهدف منها تأكيد المعنى والحكم وبيان وتوضيح الصفات والأفعال .

٩ - حرصت كل الحرص على بيان معانى الكلمات التى تحتاج الى معنى وتحليل فى الهامش ، فبعضها ذكرتها من نفس المرجع اذا كان موضحا المعنى ، وان لم يكن فى المرجع توضيح للمعنى رجعت الى كتب المعاجم فى اللغة العربية مثل اللسان / والمصباح / والقاموس وغيرها .

١٠ - اذا أخذت حديثا من غير الصحيحين ، كالسنن والمسانيد وغيرها خرجت الحديث من الصحيحين ، فان لم أجد فيهما ، فان كان المصنف ذكر درجة الحديث اكتفيت بذلك ، وان لم يكن ذكر ذلك بحثت فى السند لأصل الى الحكم على الحديث ، وان لم أستطع الوصول الى ذلك بحثت فى كتب الأطراف والتخريج ، مثل الجامع الصغير للسيوطى لمعرفة ما بينته من درجة الحديث .

١١ - إذا لم أقف على شيء من ذلك وعجزت عنه نقلته وعزوته الى مصدره ومرجعه ولزمت الصمت ، ولقد حاولت جهدى أن لا يتضمن البحث حديثا ضعيفا إلا ما ندر وأن يكون اعتمادي فى البحث على الأحاديث الصحيحة غالباً وما أتى من الأحاديث الضعيفة فقشيتها . أبينت صفها ودرجتها ، وسيجد القارىء أن الأحاديث والروايات والنصوص المأخوذة من غير الصحيحين ، سواء أكانت من مصنفات الحديث أم من التفسير أم من السيرة أم من التاريخ أم من غيرها من مراجع عامة كلها مستمدة من كتب الصحيحين ، ان وجدت فيهما ، وان لم توجد فيهما ذكرت أقوال العلماء فى درجة الحديث وبينته وبينت مرجعه .

١٢ - اعتمدت ذكر آيات النبات كاملة ، وذلك لتوضيح الصورة التى بصدد البحث عنها ثم جعلت لها ملحقاً خاصاً بالبحث والأحاديث كذلك .

١٣ - لقد تكررت بعض الافكار وأقوال العلماء والمفسرين والمحدثين والفقهاء



فى بعض نقاط البحث ، فى موضعين أو أكثر وذلك حسب مايناسب المقام
من مقال يستدعى ذكره فى كذا موضع ، ثم للتوكيد والبيان والتوضيح
للمعنى والموضوع الذى يصد الكتاب عنه والبحث فيه .

هذا مانهجه فى بحثى وأرجو أن أكون قد أعطيت الصورة الواضحة
عنه ، ووفقت فى صياغته وعرضه

وبذلك تمت الرسالة واكتملت أبحاثها على النحو التالى :

لقد قسمت البحث الى المقدمة ، وأربعة أبواب كل باب يتضمن فصولا ،
والخاتمة ، وملحق بالرسالة يضم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية
التي تتضمن النبات .

وقسمت كل فصل كبير الى مباحث حتى يتسنى لى البيان والتوضيح
فى كل جزئية فيه ، كما جعلت تقديما لبعض الأبواب والفصول ، سواء كان
تعريفا أو غيره ، مطولا أم مختصرا ، على حسب مايناسب المقام ، وذلك
ليعرف القارئ مجمل ماسيبحث فى الباب والفصل . أما المقدمة فقد
ذكرت فيها موجزا بسيطا عن أهمية الدراسة والبحث عن المواضيع التى
يشتملها كتاب الله عز وجل والتي من ضمنها النبات . ثم تكلمت فيها
عن سبب اختيار الموضوع وأهميته ، ومنهج البحث وسير خطة البحث :

الباب الأول

حقيقة النبات وعوامل الاتبات وفوائد النبات

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : معنى النبات ،

ويتكون من مباحث :

- ١- المبحث الأول : معنى النبات .
- ٢- المبحث الثانى : معنى الزرع .
- ٣- المبحث الثالث : معنى الحرث .

- ٤ - المبحث الرابع : معنى الشجر .
- ٥ - المبحث الخامس : معنى النخيل .
- ٦ - المبحث السادس : معنى الثمر .
- ٧ - المبحث السابع : علاقة ألفاظ النبات بعضها ببعض وبيان أطوار عناصر النبات التي تدل على أنواعه وأشكاله وصفاته .

الفصل الثاني : عوامل الانبـات

ويتكون من مباحث :

- ١- المبحث الاول : الارض .
- ٢- المبحث الثاني : الماء .
- ٣- المبحث الثالث : الهواء .
- ٤- المبحث الرابع : الشمس .

الفصل الثالث : فوائد النبات .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- ١- التمهيد : فوائد المخلوقات للانسان .
- ٢- المبحث الاول : الفائدة الحسية .
- ٣- المبحث الثاني : الفائدة النفسية .
- ٤- المبحث الثالث : الفائدة الروحية .
- ٥- المبحث الرابع : الفائدة الأخروية .

الباب الثاني

أساليب القرآن الكريم والأحاديث النبوية في عرض آيات النبات

ويتكون من تمهيد وخمس فصول :

- التمهيـد : معنى الأسلوب .

الفصل الاول : أسلوب المثل بالنبات وأثره في النفس . ويتكون من تمهيد ومباحث :

- (١) التمهيد : علاج القرآن للنفس البشرية .
- (٢) المبحث الأول : معنى المثل .
- (٣) المبحث الثانى : أقسام المثل وأنواعه .
- (٤) المبحث الثالث : اسلوب المثل بالنبات فى القرآن الكريم وأثره فى النفس .
- (٥) المبحث الرابع : اسلوب المثل بالنبات فى الحديث النبوى الشريف وأثره فى النفس .
- (٦) المبحث الخامس : خصائص المثل .
- (٧) المبحث السادس : أغراض المثل وأهدافه .
- (٨) المبحث السابع : أثر المثل بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه .

الفصل الثانى : اسلوب التشبيه بالنبات وأثره فى النفس .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- (١) التمهيد : علم البيان والتشبيه .
- (٢) المبحث الأول : معنى التشبيه .
- (٣) المبحث الثانى : أقسام التشبيه وأنواعه .
- (٤) المبحث الثالث : اسلوب التشبيه بالنبات فى القرآن الكريم وأثره فى النفس .
- (٥) المبحث الرابع : اسلوب التشبيه بالنبات فى الحديث النبوى الشريف وأثره فى النفس .
- (٦) المبحث الخامس : خصائص التشبيه .
- (٧) المبحث السادس : أغراض التشبيه وأهدافه .
- (٨) المبحث السابع : أثر التشبيه بالنبات فى النفس البشريه وأسبابه .

الفصل الثالث : اسلوب الخبر بالنبات وأثره فى النفس .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- (١) التمهيد : علم المعانى والخبر .
- (٢) المبحث الأول : معنى الخبر .

- (٣) المبحث الثانى : أقسام الخبر وأنواعه .
- (٤) المبحث الثالث : اسلوب الخبر بالنبات فى القرآن الكريم والسنة النبوية
المطهرة وأثره فى النفس .
- (٥) المبحث الرابع : أغراض الخبر وأهدافه .
- (٦) المبحث الخامس : أثر الخبر بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه .

الفصل الرابع : أسلوب الاستفهام بالنبات وأثره فى النفس :

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- (١) التمهيد : أنواع الكلام .
- (٢) المبحث الأول : معنى الاستفهام .
- (٣) المبحث الثانى : أقسام أدوات الاستفهام واستعمالاتها .
- (٤) المبحث الثالث : أقسام الاستفهام وأنواعه .
- (٥) المبحث الرابع : اسلوب الاستفهام بالنبات فى القرآن الكريم والسنة
النبوية المطهرة وأثره فى النفس .
- (٦) المبحث الخامس : أغراض الاستفهام وأهدافه .
- (٧) المبحث السادس : أثر الاستفهام بالنبات فى النفس البشريه .

الفصل الخامس : أسلوب القسم بالنبات وأثره فى النفس .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- (١) التمهيد : استعمالات العرب للقسم .
- (٢) المبحث الأول : معنى القسم .
- (٣) المبحث الثانى : أقسام القسم وأنواعه .
- (٤) المبحث الثالث : أركان القسم .
- (٥) المبحث الرابع : اسلوب القسم بالنبات فى القرآن الكريم وأثره فى
النفس .
- (٦) المبحث الخامس : أغراض القسم وأهدافه .
- (٧) المبحث السادس : أثر القسم بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه .

الباب الثالث

دلالات آيات وأحاديث النبات على وجود الله وعظيم صفاته الجليلة والبعث

ويتكون من تمهيد وثلاثة فصول :

١- التمهيد : القرآن الكريم والادلة الكونية على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته .

الفصل الاول : دلالة آيات النبات على وجود الله تعالى ووحدانيته .
ويتكون من مباحث :

١- المبحث الاول : انواع الدلالات .

٢- المبحث الثانى : الدلالة على وجود الله بالماء .

٣- المبحث الثالث : الدلالة على وجود الله بالنبات .

الفصل الثانى: دلالة آيات النبات على صفات الله تعالى الجليلة وقدرته عز وجل على الخلق والابداع .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

١- التمهيد : وصف الأرض .

٢- المبحث الاول : الاستدلال بمد الأرض على قدرة الصانع وحكمته وعلاقتها بالنبات

٣- المبحث الثانى : الاستدلال بوجود الجبال على قدرة الصانع

وقوة سلطانه وعلاقتها بالنبات .

٤- المبحث الثالث: الاستدلال بوجود الانهار على قدرة الصانع وتدبيره وعلاقتها بالنبات.

٥- المبحث الرابع : دلالة خلق الثمرات وجعلها اصنافا على قدرة

الصانع وابداعه .

٦- المبحث الخامس : دلالة أحوال الليل والنهار على قدرة الصانع

وعظمته وعلاقته بالنبات .

٧- المبحث السادس : دلالة اختلاف الثمار مع وحدة التربة والماء الذى

تسقى به على قدرة الصانع وعلمه الشامل.

الفصل الثالث : دلالة آيات النبات على قدرة الله تعالى على البعث

والنشور فى الآخرة ويتكون من تمهيد ومباحث :

- ١- التمهيد: منهج القرآن الكريم فى اثبات البعث والجزاء .
- ٢- المبحث الاول : دلالات النبات على وقوع البعث بايراد الشبهة
ثم الرد عليها .
- ٣- المبحث الثانى : دلالات النبات فى اثبات البعث فى تقديم الدليل
ثم ايراد القضية بعد استقامته ووضوحه .
- ٤- المبحث الثالث : الاخبار بوقوع البعث مع طى الدليل لوضوحه .

الباب الرابع

الحقوق المتعلقة بالنباتات

ويتكون من تمهيد وفصلين :

- التمهيد : معنى الحق ومراداته .

الفصل الأول : العناية بالنبات .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- ١- التمهيد : تاريخ الزراعة .
 - ٢- المبحث الأول : العناية بالنبات زراعية .
 - ٣- المبحث الثانى : العناية بالنبات صيانة .
 - ٤- المبحث الثالث : العناية بالنبات حصادا .
- الفصل الثانى : المحافظة على الحقوق المتعلقة بالنبات .

ويتكون من تمهيد ومباحث :

- ١- التمهيد : الانفاق واحكامه .
- ٢- المبحث الاول : الزكاة واحكامها .
- ٣- المبحث الثانى : زكاة الفطر واحكامها .
- ٤- المبحث الثالث : الصدقة .
- ٥- المبحث الرابع : الشكر .

وأخيرا ذيلت الرسالة بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث التي
استنتجتها من خلال بحثي .

وبهذا أكون قد أتممت موضوع الرسالة .

فان كنت قد وفقت في اعطاء الموضوع حقه ومستحقه فالمنة والفضل
لله عز وجل وله الحمد والشكر .

وان لم أكن قد وفقت في البحث باعطاء الموضوع حقه كاملا فلي في
الله عز وجل أمل كبير في أن يوفقني لاعطاء الموضوع حقه مستقبلا
ان شاء الله تعالى .

وان كان هناك بعض النقص أو الخطأ فهذا من طبيعة الانسان ،
ولا يوجد كاتب أو باحث الا يعتره التغيير والتبديل في آرائه وأفكاره ،
فيرجع عما كتب بالتغيير لبعض النقاط ، أو تبديل فكرة مكان فكرة ،
وبالزيادة أو النقص ، أو التقديم أو التأخير ، أو الحذف أو الاثبات
فهذا دليل على أن النقص والنسيان على جميع الناس لانه من طبيعة الانسان
فالكمال لله وحده ، غير أني يعلم الله تعالى كم بذلت من جهد كبير
مستفيض ، ولم أقصر فيما يكون ضمن قدرتي وطاقتي وفهمي ومعرفتي
رغم صعوبة تعدد الاشراف . راجية من الله عز وجل أن ينفعني به والمسلمين
وأن أكون قد أدليت بدلو في جداول العلوم النافعة ليشرب من صافي نبعها
كل متعطش الى حياض العلم والمعرفة ، وأن يجعلني ممن يسمع القول فيتبع
أحسنه ، ويعلمني ما ينفعني ويلهمني العمل بما علمني أنا وجميع المسلمين
والمسلمات .

وأخيرا أحلى وأزين نهاية المقدمة بكلمة شكر الى كل من ساعدني
من الأهل والاخوان والأخوات والمسؤولين والأساتذة الأفاضل والزميلات ،
وغيرهم في انجاز مراحل هذا البحث سواء أعانني بتوجيهاته القيمة

أو ساعدنى برأيه وارشاده لى الى بعض المراجع ، أو بأفكاره المشرقة
واقترحاته الوجيهة التى أسهمت كثيرا فى تقويمه وتهذيبه ، أو وسعنى
بحلمه وصبره ولم يبخل على شىء من علمه ، أو باعارة كتاب ، أو شـراء
أو نصيحة ، أو فكرة ، أو توضيح ، أو بذل جهد ، فجزى الله الجميع عنى
خير الجزاء ووفقهم لما يحبه ويرضاه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم اجمعين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

الباحثة

الباير الاول

وَحَقِيقَةُ النَّبَاتِ وَعَوَامِلُ الْإِنْبَاتِ وَفَوَائِدُ النَّبَاتِ

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : معنى النبات والزراعة والحري والشجر
والتخيل والتمر .

الفصل الثاني : عوامل النبات .

الفصل الثالث : فوائد النبات .

الفصل الأول

” معنى النبات ”

وتكون من باحث :-

- ١- المبحث الأول : معنى النبات .
- ٢- المبحث الثاني : معنى الزرع .
- ٣- المبحث الثالث : معنى الحرث .
- ٤- المبحث الرابع : معنى الشجر .
- ٥- المبحث الخامس : معنى النخيل .
- ٦- المبحث السادس : معنى التمر .
- ٧- المبحث السابع : علاقة ألقاظ النبات بعضها ببعض وبيان ألقاظ عناهم النبات التي تدرك على أنواعه وأشكاله وصفاته .

الفصل الاول

معنى النباتات

ان القرآن الكريم قد تعرض فى كثير من آياته الحكيمة الى ذكر أنواع ما ينبت من الأرض وأطلق عليها أسماء متعددة منها : النباتات الزرع • الحرث • الشجر • الثمر • الفواكه • النخيل • الى غير ذلك من الأسماء التى لها صلة بالنبات ومعناه ومراحله مما يجعل الباحث يقف أمام مجموعة من التساؤلات :

فهل هذه الاسماء لمعنى واحد ؟

أم هى متقاربة فى معناها؟

أم هى متباينة ؟

وهل هى اسماء لنوع واحد ؟

أم لأنواع متعددة ؟

ان هذه التساؤلات تدفعنى للبحث فى كتب اللغة وكتب التفسير وكتب الحديث الشريف لظهار الاجابة الشافية على جميع مامر من التساؤلات وبذلك تنجلى الأمور وتعرف المعانى وتحدد الانواع وتبين المسميات • وبذلك أستطيع أن أمضى فى بحثى على بصيرة من الأمر ونور وجلاء يضيئان سبيل خطوات بحثى الى أن يصل الى كماله المنشود بعون الله تعالى وتسديده وتوفيقه •

وأبدأ مستعينة بالله عز وجل ، فى بيان هذه الألفاظ والكشف

عنها فيما يأتى :

١ - معاجم اللغة •

٢ - القرآن الكريم •

٣ - السنة النبوية •

لأصل فى النهاية الى تحديد المراد وتجليه المعانى لهذه الاسماء •

المبحث الاول

معنى النباتات

(١) النبات فى اللغة :

ان النبات مصدر نبت لكنه عندما يأتى مع أنبت يكون اسم مصدر
اذا هو مصدر عندما يأتى مع نبت واسم مصدر مع أنبت .

جاء فى لسان العرب : نَبَتَ : النَّبَتُ : النَّبَاتُ : اللَّيْثُ : كُلُّ مَا أَنْبَتَ اللَّهُ فِي
الْأَرْضِ ، فَهُوَ نَبْتٌ ، وَالنَّبَاتُ فَعْلُهُ وَيَجْرَى مَجْرَى اسْمِهِ ، يُقَالُ : أَنْبَتَ اللَّهُ
النَّبَاتَ أَنْبَاتًا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ قَالَ الْفَرَاءُ : ان النَّبَاتُ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ
المصدر ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

وقال ابن سيده : نبت الشيء ينبت نباتا ونباتا وتنبيت (١) :

ويطلق على كل ماظهر ونشأ من الأرض . يقال : نبت الزرع نبتا
ونباتا : نشأ وظهر من الأرض (٢) .
وأنبتت الأرض ونبت الشجر غرسته .

والمنبت : المكان الذى ينبت فيه . والنبتة : شكل النبات وحالته
التي ينبت عليها . والنبتة الواحدة من النبات (٣) .

يقول صاحب لسان العرب : (وفى المحكم نبت الزرع والشجر تنبتا
اذا غرسه وزرعه وينبت الشجر تنبتا غرسته والنابت من كل شيء : الطرى
حين ينبت صغيرا .

والتنبيت : أول خروج النبات والتنبيت أيضا مانبت على الأرض من
النبات من دق الشجر وكباره (٤) .

ومن التتبع والاستقراء لما جاء فى المعجم اللغوية فى معنى النبات
استنتجت ما يأتى :

-
- (١) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٣ ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ .
 - (٢) انظر المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٨٩٦ ، قام باخراجه د. ابراهيم أنيس ،
د . عبدالحليم منتصر ، د. عطيه الصوالحي ، ومحمد خلف الله أحمد .
 - (٣) لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .
 - (٤) لسان العرب ، ج ٣ ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

- (أ) أن النبات تعددت مشتقاته وكثرة معانيه .
(ب) أنه يفيد معنى الغرس والزرع والحرث .
(ج) أنه يفيد معنى الایجاد والخلق من عدم .
(د) أنه يفيد معنى الظهور والخروج والنشوء والنمو والتطور من مرحلة الى أخرى ومن حالة الى أخرى .
(هـ) أنه يشمل كل اصناف الناميات التى تمتد فى الارض بجذور وتظهر على وجه الأرض زرعاً وشجراً أو نخلاً (١) .

(٢) النبات فى القرآن الكريم :

لقد ورد لفظ " النبات " بمشتقاته فى القرآن الكريم ستاً وعشرين مرة فى أكثر من اثنين وعشرين موضعاً كما هو مبين فى جدول الآيات القرآنية الكريمة الآتى :

- (١) قال تعالى : ﴿ واذ قلتم يا موسى لن تصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائيه وفومها وعدسها وبصلها ﴾ البقرة (٦١) .
(٢) قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ البقرة (٢٦١) .
(٣) قال تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسناً ﴾ آل عمران (٣٧) .

- (١) راجع : الصحاح للجوهري ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، معجم مقاييس اللغة لابی الحسن أحمد بن فارس بن زكريسا ، ج ٥ ، ص ٣٧٨ تحقيق عبدالسلام هارون .
- المخصص لابن سيده ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ، تحقيق لجنة احياء التراث .
- اساس البلاغة للزمخشري ، ص ٦١٢ .
- لسان العرب لابن منظور ، ج ٣ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .
- المصباح المنير للفيومي ص ٥٩٠ ، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوى ، دار المعارف ، القاهرة .
- المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ وغيرها .

- (٤) قال تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمر إذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ الأنعام (٩٩) .
- (٥) قال تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ الاعراف (٥٨) .
- (٦) قال تعالى : ﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام ﴾ يونس (٢٤) .
- (٧) قال تعالى : ﴿ والأرض مددناها والقينا فيها رواس وانبتنا فيها من كل شىء موزون ﴾ الحجر (١٩) .
- (٨) قال تعالى : ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ النحل (١١) .
- (٩) قال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيمًا تذرؤه الرياح وكمسان الله على كل شىء مقتدرا ﴾ الكهف (٤٥) .
- (١٠) قال تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾ طه (٥٣) .
- (١١) قال تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ﴾ الحج (٥) .
- (١٢) قال تعالى : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصى للأكليين ﴾ المؤمنون (٢٠) .
- (١٣) قال تعالى : ﴿ اولم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ الشعراء (٧) .
- (١٤) قال تعالى : ﴿ آمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها له مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ النمل (٦٠) .

- (١٥) قال تعالى : * خلق السموات بغير عمد ترونها والقى فى الأرض رواس
ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانتبنا
فيها من كل زوج كريم * لقمان (١٠) .
- (١٦) قال تعالى : * سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن
أنفسهم ومما لا يعلمون * يس (٣٦) .
- (١٧) قال تعالى : * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * الصافات (١٤٦) .
- (١٨) قال تعالى : * والأرض مددناها والقينا فيها رواس وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج * ق (٧) .
- (١٩) قال تعالى : * وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات
وحب الحصيد * ق (٩) .
- (٢٠) قال تعالى : * اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الأموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته
ثم بهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما * الحديد (٢٠) .
- (٢١) قال تعالى : * والله انبتكم من الأرض نباتا * نوح (١٧) .
- (٢٢) قال تعالى : * لنخرج به حبا ونباتا * النبأ (١٥) .
- (٢٣) قال تعالى : * فأنبتنا فيها حبا * عبس (٢٧) .

(٣) النبات فى أقوال المفسرين :

وقد تتبعت معنى النبات فى أقوال كبار المفسرين فظهر لى أن جميع
ماقاله العلماء الأجلء فى معنى النبات لا يختلف عما قاله اصحاب المعاجم
اللغوية . أولا : قال تعالى : (انبتت سبع سنابل)

- (١) جاء فى البحر المحيط : (انبتت سبع سنابل) . الانبات الاخراج
على سبيل التوالد (١) .

(١) تفسير البحر المحيط / أبى حيان (٣٠٢/٢) .

- (٢) وذكر الألوسى فى روح المعانى فقال : (أى أخرجت تلك الحبة ساقا
تشعب منه سبع شعب لكل واحد منها سنبله) (١) .
- (٣) وجاء فى الكشاف : (أنبتت سبع سنابل) .
ومعنى انباتها سبع سنابل : ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعـب
لكل واحدة سنبله (٢) .
- (٤) وقال الخازن : (أنبتت يعنى أخرجت (٣) ، ووافقه فى ذلك الطبرى
فى تفسيره (٤) ، وابن عباس (٥) .
- (٥) وقال النسفى : (ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب
منه سبع شعب) (٦) ، ووافقه فى هذا المعنى البيضاوى فى تفسيره (٧) .

ثانيا : قال تعالى : * وأنبتنا نباتا حسنا *

- (١) ذكر القرطبى فى معناها : المقصود من الانبات : الانشاء والايجاد (٨)
(٢) وقال ابى حيان فى تفسيره : (عبارته عن حسن النشأة والجودة) (٩) .

ثالثا : قال تعالى : * فأخرجنا به نبات كل شىء *

- (١) جاء فى روح المعانى للألوسى : (والنبات كالنبت وهو على ما قال
الراغب الاصفهانى : (ما يخرج من الارض من الناميات سوا ما كان له
ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم لكن اختص التعارف بما لا ساق

-
- (١) روح المعانى / الألوسى (٣٢/٣) .
(٢) الكشاف للزمخشرى (٣٩٣/١) .
(٣) تفسير الخازن (١٩٣/١) .
(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى (٦١/٣) .
(٥) تنوير المقباس بتفسير ابن عباس على هامش السيوطى (١٣٥/١) .
(٦) تفسير النسفى على هامش الخازن (١٩٣/١) .
(٧) تفسير البيضاوى (٢٦٣/١) .
(٨) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٣٦٤٩/٤) .
(٩) البحر المحيط لأبى حيان (٤٤١/٢) .

- له بل قد اختص عند العامة بما تأكله الحيوانات (١) .
- (٢) وذكر الخازن في تفسيره فقال : (فأخرجنا به نبات كل شيء) يعنى كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النبات (٢) .
- (٣) وقال النسفي : (هو نبت كل صنف من أصناف النامي) (٣) .
- (٤) وذكر ابن عباس في معناها فقال : (أي فأنبتنا بالمطر والحبوب وغيرها) (٤) .
- (٥) وجاء في تفسير الكاسبي: في قوله تعالى : ﴿ فأخرجنا به نبات كل شيء ﴾ أي مفصل لاشتماله على كل صنف من أصناف النامي ، كأنه قال : فأخرجنا بالنامي نبات كل شيء ينبت كل صنف من أصناف النامي ، والنامي : الحب والنوى وشبههما (٥) .

رابعاً : قال تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه ﴾

- (١) قال في تفسير هذه الآية ابن عباس : (أي بإرادة ربه بلا كـ...
ولا عناء ، (والذي خبث لا يخرج الا نكدا) الا بتعب وعناء (٦) .

-
- (١) روح المعاني للآلوسي (٢٣٨/٧) .
- (٢) تفسير الخازن (٣٩/٢) .
- (٣) تفسير النسفي على هامش الخازن (٣٩/٢) .
- (٤) تفسير ابن عباس على هامش السيوطي (٤٦/٢) .
- (٥) تفسير القاسمي (٦٥٤/٦) .
- (٦) تنوير المقباس بتفسير ابن عباس على هامش السيوطي (١٠١/٢) .

خامسا : قال تعالى : ﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزن ﴾

ذكر أبي حيان في تفسيره فقال : (المقصود بالانبات الانشاء
والايجاد) (١) .

سادسا : قال تعالى : ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب

ومن كل الثمرات ﴾

(١) قال الآلوسى : (يقال نبت الشيء وأنبتته الله تعالى فهو منبوت

وقياس هذا منبت ، وقيل : يقال أنبت الشجر لازما أى نبت) (٢)

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره : (أى يخرجها من الأرض) (٣) .

(٣) وجاء في تفسير البيضاوى قوله : (ان الحبة تقع فى الأرض وتصل

اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة

وينشق اسفلها فيخرج منه عروقه ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والازهار

والاكمام والثمار) (٤)

سابعا : قال تعالى : ﴿ ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ﴾

(١) ذكر الفخر الرازى في تفسيره فقال : (الانبات فى الحدائق لايقدر

عليه الا الله تعالى لأن أحدنا لو قدر عليه لما احتاج الى غرس

ومصابرة على ظهور الثمرة ، لأن الانسان قد يأتى بالبذر والسقى

والكرب والتشميس ثم لاياتى بالنبات) (٥) .

(٢) وجاء فى فتح القدير قول الشوكانى : (أى ماصح لكم ان تفعلوا

ذلك وهو اخراج الشيء من العدم الى الوجود) (٦) .

(١) البحر المحيط ، لابی حيان (٤٥٠/٥) .

(٢) روح المعانى ، للآلوسى (١٠٦/١٤) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٥٦٤/٢) .

(٤) انوار التنزيل واسرار التأويل ، للبيضاوى (١٧٧/٣) .

(٥) التفسير الكبير/الفخرالرازى (٤١٤/٦) .

(٦) فتح القدير/الشوكانى (١٤٦/٤) .

(٣) قال الخازن : (يعنى ماكان ينبغى لكم لانكم لاتقدرون على ذلك لأن الانسان قد يقول انا العنبت للشجرة بأن أغرسها واسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة (١) .

(٤) قال القرطبي : (لأن ذلك اخراج الشيء من العدم الى الوجود) (٢) .

ثامنا : قال تعالى : * وانبتنا فيها من كل زوج بهيج *

(١) جاء فى التفسير الكبير : (ان الله تعالى ينبت فى الارض أنواع النبات وينمو ويزيد ، والانبات فى الارض شقها ، والاستدلال بنفسس النبات اى الاشجار تنمو وتزيد (٣) .

تاسعا : قال تعالى : * فأنبتنا به جنات وحب الحصيد *

(١) قال ابي حيان فى معناها : (ونبه فيما تعلق به الانبات على مايقطف كل سنة ويبقى أصله ومايزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة (٤) .

عاشرا : قال تعالى : * فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا *

(١) قال طنطاوى جوهر : (والنبات منه الشجر والفحم والزرع والكلأ والحشيش وكل واحد متنوع أنواعا كثيرة (٥) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين لآيات القرآن فى النبات وبيان مايشتمل

- (١) تفسير الخازن (٣٩٠/٣) .
- (٢) الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٤٩٣٧/٦) .
- (٣) التفسير الكبير ، للفخر الرازى (٥٩٦/٧ - ٥٩٧) .
- (٤) تفسير النهرالماد من البحر ، لابي حيان (١١٩/٨) .
- (٥) تفسير الجواهر / طنطاوى جوهر (١٤٥/١) .

من معانى نجد ان النبات يأخذ فى مفهوم القرآن المعانى الآتية :

- (١) ان الانبات يأخذ معنى الخروج والظهور من باطن الارض الى ظاهرها .
- (٢) انه يفيد معنى الانشاء والايجاد من العدم الى الوجود .
- (٣) انه يفيد معنى النمو والزيادة والتطور من مرحلة الى أخرى وممن حالة الى أخرى .
- (٤) انه يطلق على كل ماينمو على وجه الأرض من النباتات سواء كان له ساق مرتفعة عن الأرض عالية أو غير عالية قوية أو ضعيفه صلبة أو رخوة غليظة أو رفيعة أولم يكن له ساق مرتفعة عن الأرض وانما منبسطة ممتدة على الأرض مثل : *لصبيح والفرع*
- (٥) انه يشمل كل اصناف النامى من الشجر والحشائش والحبوب والشمار .
- (٦) ان منه ما يحصل عليه الانسان بعد الكد والتعب بالفرس والحرث والزرع، ومنه ما لا يحتاج الى ذلك .
- (٧) يأخذ معنى الفرس والزرع والحرث .
- (٨) ان النبات يشمل كل مابقى له أصل بعد جنيه أو لم يبق له أصل ويزرع كل سنه ويجنى .
- (٩) انه اتى باشتقاقات متعددة .
- (١٠) انه يفيد معنى الخلق والحدوث والتكون من الارض .
- (١١) ان النبات يشمل المأكول منه غذاء للانسان والحيوان وغير المأكول منه ماكان للزينة والجمال والرداء .

ولعل جميع هذه المعانى يتضمونها قول ابن الجوزى حيث يقول : (النبات

فى الأصل : ما يخرج من الارض على صفة النمو والمنبت : الأصل .)

وذكر أهل التفسير أن النبات فى القرآن الكريم على أربعة أوجه :

أحدها : النبات بعينه ومنه قوله تعالى فى المؤمنين : * تنبأست

بالدهن * (١) فى عبس * فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا * (٢) .

(١) سورة المؤمنون (٢٠) .

(٢) سورة عبس : (٢٧ - ٢٨) .

والثانى : الاخراج : ومنه قوله تعالى فى البقرة : * كمثل حبة أنبتت

سبع سنابل * (١)

والثالث : الخلق ومنه قوله تعالى فى سورة نوح : * والله أنبتكم من

الأرض نباتا * (٢) .

والرابع : التربة ومنه قوله تعالى فى آل عمران : * وأنبتها نباتا

حسنا * (٣) .

قال ابن عباس رضى الله عنه : (كانت تنبت فى اليوم ما ينبت

المولود فى عام) .

وقال قتادة فى هذه الآية : (حدثنا انها كانت لاتصيب الذنوب) .

فان قيل : كيف قال الله * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ولم

يقول " انباتا ؟ فالجواب ان المعنى : والله أنبتكم من الارض فنبتم نباتا

فيكون مصدر المحذوف المقدر .

ومثله : " وأنبتها نباتا حسنا أى فنبتت نباتا حسنا (٤) .

(٤) النبات فى الحديث النبوى الشريف :

ولقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معانى

النبات فى الحديث الشريف فجمعت ماتيسر لى من الاحاديث الشريفة التى

(١) سورة البقرة : (٢٦١) .

(٢) سورة نوح : (١٧) .

(٣) سورة آل عمران : (٣٧) .

(٤) نزهة الاعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لجمال الدين أبى الفرج

عبد الرحمن بن الجوزى : تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضى

(ص ٥٨٢) ، ط : مؤسسة الرسالة .

راجع الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، ج ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٦٥ ، معجم

الفاظ القرآن الكريم (٦٧٩/٢ - ٦٨٠) . تنوير المقياس بتفسير

ابن عباس ، ج ١ ، ص ٢٧ على هامش السيوطى ، روح المعانى، للآكوسى

ج ٣ ، ص ٣٢ ، جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى ، ج ٣ ، ص ٦١ .

ذكر فيها النبات كما هي مبينه في الجدول الآتي :

النبات في الحديث الشريف :

(١) جاء في البخارى عن رافع بن خديج قال حدثني عماكئ أنهما كانوا يكرون الأرض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما ينبت على الأربعة أو شيء يستثنيه صاحب الأرض فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقلت لرافع فكيف هي بالدينار والدرهم ، فقال رافع ليس بها بأس بالدينار والدرهم ، وقال الليث وكان الذى نهى عن ذلك مالمو نظر فيه ذوو الفهم بالحلال والحرام لم يجيزوه لما فيه من المخاطر (١) .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية ، أن رجلا من أهل الجنبلة استأذن ربه في الزرع ، فقال له أأنت فيما شئت ، قال بلى ؛ ولكنى أحسب أن أزرع قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواءه واستحصاله ، فكأن أمثال الجبال ، فيقول الله (هونك يا ابن آدم لا يشبعك شيء) فقال الأعرابي : والله لاتجده الا قرشيا أو أنصاريا فانهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

(٣) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو ابن نفيل باسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد انى لست أكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا أكل الا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو وكان يعيب على قریش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء

(١) صحيح البخارى (١٤٣/٣) كتاب ما جاء في الحرث والمزارعه باب

ما جاء في كراة الأرض بالذهب والفضة .

(٢) صحيح البخارى (١٤٣/٣) كتاب ما جاء في الحرث والمزارعه ،

باب حدثنا محمد بن سنان .

وأُنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، انكارا لذلك واعظاما له (١) .

(٤) عن أبي هريرة رض الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون . قال أربعون يوما ؟ قال آبيت قال أربعون شهرا ؟ قال آبيت . قال أربعون سنة ؟ قال آبيت : قال ثم ينزل الله من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الانسان شيء الا يبلى ، الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (٢) .

ثانيا : وفي الصحيحين : قال البخارى :

عن أنس بن مالك قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت المواشى ، وتقطعت السبل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطروا من الجمعة الى الجمعة ، ثم جاء فقال : تهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فادع الله يمسكها ، فقام صلى الله عليه وسلم ، فقال اللهم عن الآكام والظراب والأودية ، ومنابت الشجر فانجابت من المدينة انجياب الثوب (٣) .

ثالثا : ماجاء فى صحيح مسلم :

(١) عن ابي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليست السنة بأن تمطروا ، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ، ولاتنبت الأرض شيئا " (٤) .

(١) صحيح البخارى (٥٠/٥٠) كتاب مناقب الانصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) صحيح البخارى (٢٠٥/٦) كتاب التفسير (عم يتساءلون) .

(٣) صحيح البخارى (٣٦/٢) كتاب الاستسقاء ، باب من اکتفى بملاة الجمعة فى الاستسقاء ، وصحيح مسلم (٦١٢/٢ - ٦١٥) كتاب الاستسقاء باب الدعاء فى الاستسقاء بالفاظ مختلفة . واللفظ للبخارى .

(٤) صحيح مسلم (٢٢٢٨/٤) كتاب الفتن ، باب فى سكنى المدينة "عمارته" قبل الساعة .

(٢) وفي رواية مطوله أيضا عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذاة غداة ٠٠٠) الى أن بلغ قوله (قلنا : يارسول الله : وما اسرعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح " فيأتى على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر . والأرض فتنبت) (١) مختصره .

(٣) وفي نفس الرواية السابقة عن النواس في قصة الدجال قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يقال للارض أنتى ثمرتك ، وردى بركتك) (٢) .

(٥) النبات في أقوال المحدثين :

وقد تتبعت معنى النبات في أقوال كبار المحدثين فظهر لى أن جميع ماقاله العلماء في معنى النبات لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية (.

(١) جاء في فتح البارى قول ابن حجر :

(فبذر فبادر الطرف نباته) اى القى البذر فنبت فى الحـال والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاس أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم الا قدر لمحة بصر) (٣)

(٢) وقال ابن حجر :

اذا اشتراط صاحب الأرض ناحية منها أو شرط ماينبت على النهر لصاحب الأرض (٤) .

(٣) وذكر ابن حجر :

ان الأرض اذا تركت بغير زرع لم تتعطل منفعتها فانها قد تنبت من الكلاً والحطب والحشيش ماينفع الرعى وغيره (٥) .

(١) صحيح مسلم (٢٢٥٢/٤) (مختصره) كتاب الفتن وأشراط الساعة

باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

(٢) صحيح مسلم (٢٢٥٤/٤) (مختصره) كتاب الفتن و اشراط الساعة

باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى / ابن حجر (٢٧/٥) .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى / لابن حجر (٢٦/٥) .

(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى / ابن حجر (٢٤/٥) .

(٤) (فى منبت صدق) قال العيني :

منبت صدق اسم لموضع النبات ، ويقال لمكان يستقر فيه النبات هذا
منبت صدق (١) .

الاســـــــــــــــــتنـــــــــــــــــاج :

بعد عرض أقوال المحدثين فقد استنتجت من أقوالهم أن النباتات
لايخرج عن المفاهيم الآتية :

- (١) النبات هو ماينبت من الأرض واستقر فيها .
- (٢) النبات يشمل كل انواع الناميات من الأرض كالشجر والكلأ وغيره .
- (٣) النبات هو الزرع والغرس والحرث والحصاد .
- (٤) النبات يفيد معنى الخروج والظهور والنمو والتطور والزيادة .
- (٥) ان النبات يشمل كل أنواع الزرع سواء كان بفعل الانسان
وهو سبب فيه أم كان خارجا بنفسه على أطراف الانهــــــــــــــــار
والترع والعيون .

ومن كل ماتقدم نخرج بأن النبات هو : كل نام وكل ماينبت مــــــــــــــــن
الأرض ولكن صار فى التعارف اسما لما لاساق له بل اختص بما يأكلــــــــــــــــه
الحيوان والانسان أى أن النبات فى أصل وضعه يشمل الزرع والغرس والشجر
والنخيل وغير ذلك . أما فى العرف فيشمل ماأكله الانسان والحيــــــــــــــــوان
مما لاساق له .

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى / العيني (٢٥٥/١٨) .

المبحث الثانى

معنى الزرع

(١) الزرع فى اللغة :

أصل يدل على تنمية الشيء ، فالزرع معروف ومكانه المزروع وهو —
اسم لما نبت (١) .

وهو مأخوذ من زرع يزرع زرعاً وزراعة ومنه الزرع .
ويطلق على النمو والحرث والحصاد والانبات يقال : زرعه الله
أى أنبته وازدرع فلان أى احترث (٢) .

والمزرعة مكان الزرع وازدرع احترث والاستزراع تهيئة الأرض البور
للزراعة ، والزراع من يزرع الأرض ، والزرعة : البذر ، والموضع الذى
يزرع فيه ، والمزارعة طريقة استغلال الأراضى الزراعية لزراعتها .

يقول صاحب لسان العرب :

زرع : زرع الحب يزرعه زرعاً وزراعة : بذره ، والاسم الزرع وجمعه
زروع ، وقيل الزرع نبات كل شىء يحترث وقيل الزرع طرح البذور (الزريعة) :
مابذر وقيل : الزرع ما ينبت فى الأرض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام
الحصاد من الحب ، قال ابن برى : والزريعة بتخفيف الراء الحب الذى
يزرع ولا تقل زريعة) بالتشديد فانه خطأ ، والله يزرع الزرع : ينميه حتى

-
- (١) انظر معجم مقاييس اللغة ، لابی الحسن الفارسى (٥٠/٣ - ٥١) .
(٢) انظر الصحاح للجوهري (١٢٢٤/٣ - ١٢٢٥) وانظر : تاج العروس :
الزبيدى ، ج ٥ ص ٣٦٨ ، دار مكتبة الحياة .
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : الفيومى ص (٢٥٢)
تحقيق الشناوى .
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للفيومى (٢٧٠/١) تصحيح
مصطفى السقا .

يبلغ غايته ، والزرع : الانبات يقال زرعه الله أى أنبته ، قال أبوحنيفة :
ماعلى الأرض زُرْعُه واحدة ولا زَرْعَة ولا زِرْعَة أى موضع يزرع فيه . والزرع :
معالج الزرع وحرفته الزراعة (١) .

ومن التتبع والاستقراء لما جاء فى المعاجم اللغوية فى معنى

الزرع استنتجت ما يأتى :

- (أ) أن الزرع تعددت مشتقاته وكثرت معانيه .
- (ب) انه يفيد معنى الانبات والنبات .
- (ج) أنه يفيد معنى الحرث والغرس والفلاحة .
- (د) أنه يفيد معنى النمو والظهور والخروج والنشوء والتطور من مرحلة الى أخرى ومن حالة الى أخرى .
- (هـ) أنه يفيد معنى البذر والحصاد .
- (و) يشترط فى الزرع زراعة الزارع بينما النبات لا يشترط فيه ذلك (٢)

(٢) الزرع فى القرآن الكريم :

لقد ورد لفظ (الزرع) بمشتقاته فى القرآن الكريم أربع عشر مرة

فى اثنتى عشر موضعا كما هو مبين فى جدول الآيات القرآنية الكريمة :

- (١) لسان العرب : لابن منظور ، ج ٢ ص ٢٠ .
- الأرض المستحيلة : هى التى ليست بمستوية لأنها استحالت عن الاستواء الى العوج (انظر الصحاح ، للجوهري (١٦٨١/٤) .
- (٢) راجع فى ذلك :
 - الصحاح للجوهري ، ج ٣ ، ص ١٢٢٤ - ١٢٢٥ ، تحقيق عبد الغفور عطار
 - المصخص فى اللغة : ابن سيده ، ج ٣ ، ص ٤٩ .
 - معجم مقاييس اللغة ، لأبى الحسن الفارسي ، ج ٣ ، ص ٥٠ - ٥١ .
 - لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٢ ص ٢٠ .
 - المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .
 - اساس البلاغة ، الزمخشري ، ص ٢٦٩ .
 - المصباح المنير ، للفيومي ، ص ٢٥٢ ، تحقيق الشناوى .
 - المصباح المنير ، للفيومي (٢٧٠/١) تصحيح مصطفى السقا .

- (١) قال تعالى : * وهو الذى انشأ جنات مفروشات وغير مفروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين * الانعام (١٤١) .
- (٢) قال تعالى : * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فسى سنبله الا قليلا مما تأكلون * يوسف (٤٧) .
- (٣) قال تعالى : * وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون * الرعد (٤) .
- (٤) قال تعالى : * ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افعة من الناس تهسوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ابراهيم (٣٧) .
- (٥) قال تعالى : * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك آية لقوم يتفكرون * النحل (١١) .
- (٦) قال تعالى : * واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * الكهف (٣٢) .
- (٧) قال تعالى : * وزروع ونخل طلعتها هضيم * الشعراء (١٤٨) .
- (٨) قال تعالى : * أولم يرها انا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون * السجده (٢٧) .
- (٩) قال تعالى : * الم تران الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيح فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب * الزمر (٢١) .

- (١٠) قال تعالى : ﴿ وزرع ومقام كريم ﴾ الدخان (٢٦) .
- (١١) قال تعالى : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ الفتح (٢٩) .
- (١٢) قال تعالى : ﴿ أفرايتم ماتحشونكم أنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلم تفكهيون ﴾ الواقعة (٦٥) .

(٣) الزرع في أقوال المفسرين :

وقد تتبعت معنى الزرع في أقوال كبار المفسرين فظهر لي أن جميع ماقاله العلماء الأجلاء في معنى الزرع لا يختلف عما قاله اصحاب المعاجم اللغوية .

أولا : قال تعالى : ﴿ والزرع مختلفا أكله ﴾ :

- (١) قال الخازن في تفسيره :
- (والنخل والزرع) يعنى انشأ الزرع وهو جميع الحبوب التــــى تقتات وتدخر (١) ، وذكر في قوله تعالى : ﴿ فاخرجنا منه خضرا ﴾ اي جميع الزروع والبقول الرطبة ، وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الأفضلية ولأن حاجة الناس اليه أكثر لأنه القوت المألوف وقدم الزرع على سائر الاشجار لأن الزرع غذاة١ (٢) .
- (٢) وجاء في البحر المحيط : الزرع الحب المقتات ، وكل مانجم غير ذى ساق كالزرع ، وماقام على ساق كالنخل والزرع والاشجار ، والزرع أنواعه مختلفة الشكل جدا كالقمح والشعير والذرة والقطينة والسلت والعدس والجلبان والأرز وغير ذلك (٣) .

(١) تفسير الخازن (٥٨/٢) .
(٢) تفسير الخازن (٣٩/٢) .
(٣) تفسير البحر المحيط ، لابي حبان (٢٣٤/٤ - ٢٣٦) .

ثانيا : قال تعالى : * وجنات من أعناب وذروع ونخيل *

(١) قال ابن عباس : (وزروع) أى حرث (١) .

ثالثا : قال تعالى : * فنخرج به زرعاً *

(١) جاء فى تفسير ابى حيان قوله :

وخص الزرع بالذكر وان كان يخرج الله به أنواعا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به فى الطب وغيره تشريفا للزرع ولأنه أعظم ما يقصد من النبات ، وأوقع الزرع موقع النبات (٢)

(٢) قال الطبرى : تخرج بذلك الماء زرعاً خضرا تأكل منه مواشيهم

وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به (٣) .

(٣) جاء فى روح المعانى : والزرع فى الأصل مصدر وعبر به عن المزروع

والمراد به ما يخرج بالمطر مطلقا فيشمل الشجر وغيره كالتين والورق وبعض الحبوب المخصوصه بالانعام والبقول والحبوب التى يقتاتها الانسان ، ويراد بالزرع النبات المعروف وخص بالذكر تشريفا لأنه ولأنه أعظم ما يقصد من النبات ، ويجوز أن يراد به النبات مطلقا (٤)

رابعا : قال تعالى : * كزرع أخرج شطأه *

(١) جاء فى فتح القدير :

(كزرع أخرج شطأه) : أى نباته وقد أشطأ الزرع خرج شطؤه ، ومما

يدل على أن الشطأ خروج النبات ، قول الشاعر :

أخرج الشطأ على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر (٥)

-
- (١) تنوير المقباس تفسير بن عباس (٥/٣) هامش السيوطى .
(٢) تفسير البحر المحيط ، تفسير النهر المار فى البحر ، لابی حيان (٢٠٤/٧ - ٢٠٥)
(٣) تفسير الطبرى (١١٥/٢١) .
(٤) روح المعانى ، للآلوسى (١٤٠/٢١) .
(٥) فتح القدير ، للشوكانى (٥٦/٥) .

خامسا : قال تعالى : ﴿ أنتم تزرعونه ، أم نحن الزارعون ﴾ :

- (١) ذكر الألوسى :
(تزرعونه) : أى تنبتونه وتردونه نباتا يرفو وينمى الى أن يبلغ الغاية ، (الزارعون) أى المنبتون لا أنتم (١) .
- (٢) وجاء فى تفسير الخازن قوله :
(تزرعونه) : تنبتونه وتنشونه حتى يشتد ويقوم على سوقه .
(الزارعون) : معناه أنتم فعلتم ذلك أم الله ولاشك فى ان ايجاد الحب فى السنبيل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان القاء البذر من فعل الناس (٢) .
- (٣) وجاء فى الفتوحات الالهيه :
أى أفرأيتم البذر الذى تلقونه فى الطين أنتم تزرعونـــــــــــــــــه أى تنبتونه ، وفى المختار : الزرع طرح البذر والزرع أيضا النباتات يقال زرعه الله أى انبته (٣) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين فقد استنتجت أن الزرع لا يخرج عن المفاهيم

الآتية :

- (١) أن الزرع أتى باشتقاقات متعددة .
- (٢) أن الزرع يفيد معنى النبات والانبات .

-
- (١) روح المعانى ، للألوسى (١٤٨/٢٧) .
 - (٢) تفسير الخازن (٢٢١/٤) .
 - (٣) الفتوحات الالهية ، سليمان الشهير بالجمل (٢٧٩/٤) .

- ٣- أنه يفيد معنى الحرث والغرس بما يباشره الانسان ابتداءً .
- ٤- أنه يفيد معنى النشوء والظهور والايجاد من العدم .
- ٥- أنه يفيد معنى النمو والزيادة والتكامل والتطور من مرحلة الى مرحلة ومن حالة الى أخرى .
- ٦- أن الزرع هو كل ما قام على ساق من أنواع النباتات كالشجر والنخيل ويشمل النباتات التي لم تقم على ساق كالنجم .
- ٧- انه يشمل كل أصناف النامي من النباتات كالشجر والحبوب والثمر .
- ٨- ان الزرع هو ما كان بفعل الله عز وجل بالانبات ثم بفعل الانسان بالحرث والغرس والبذر .
- ٩- أن الزرع أشرف أنواع النباتات وذلك لانه يختص بكل ما كان قوتاً للانسان والحيوان وما كان دواً .

ولعل لمصطلح هذه المعاني يتضمنها قول الراغب الاصفهاني حيث يقول : (الزرع الانبات ، وحقيقة ذلك تكون بالامور الالهية دون البشرية قال تعالى : ﴿ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (١) فنسب الحرث اليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه الى نفسه ، واذا نسب الى العبد فلگونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع كما تقول أنبت كذا اذا كنت من أسباب إنباته والزرع في الأصل مصدر وعبر به عن المزروع نحو قوله تعالى : (فنخرج به زرعاً) (٢) . وقال : (وزرع ومقام كريم) (٣) ، والمزِع ، الزراع ، وأزدرع النبات صار ذا زرع (٤) .

(١) سورة الواقعة : (آية ٦٤) .
(٢) سورة السجدة : (آية ٢٧) .
(٣) سورة الدخان : (آية ٦٦) .
(٤) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني ص ٢١٢ .

- ويقول الفيروز ابادى فى كتابه البصائر (١) مبينا وجوه ذكر —
الزرع فى القرآن الكريم (والزرع ذكر فى ثمانية مواضع من القرآن:
الاول : فى ذكر بسانيين آل فرعون: " كم تركوا من جنات وعيون —
وزروع ومقام كريم) (٢) .
- الثانى: مامن الله به على سائر الخلق فى قوله : " والنخل والزرع
مختلفا آكله " (٣) .
- الثالث : فى خلو وادى مكة منه : " انى أسكنت من ذريتى بواد غير —
ذى زرع عند بيتك المحرم " (٤) .
- الرابع : فى تعبير يوسف رؤيا الملك " تزرعون سبع سنين .. (٥) .
- الخامس : فى قوله : " أنتم تزرعونه " (٦) (اى تنبتونه فتجعلونه —
زرعا) .
- السادس : فى قوله : " أم نحن الزارعون " (٧) (اى المنبتون له الجاعلون
له زرعاً) .
- السابع : فى تشبيه حال أهل الاسلام فى ظهورهم به : " كزرع أخرج
شطاه " (٨) .

-
- (١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، ج٣ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧
ط. المكتبة العلمية .
- (٢) سورة الدخان : آية ٢٥ ، ٢٦ .
- (٣) سورة الانعام : آية ١٤١ .
- (٤) سورة ابراهيم : آية ٣٧ .
- (٥) سورة يوسف : آية ٤٧ .
- (٦) سورة الواقعة : آية ٦٤ .
- (٧) سورة الواقعة : آية ٦٤ .
- (٨) سورة الفتح : آية ٢٩ .

الثامن : فى تشبيه تقوية الخلفاء الأربعة فى ايمانهم بالصدق والاخلاص به

" فاستوى على سوقه يعجب الزراع " (١) .

قال الشاعر :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا . ندمت على التفريط فى زمن البذر (٢)

(٣) الزرع فى الحديث الشريف :

ولقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معانى الزرع فى الحديث النبوى الشريف فجمعت ماتيسر لى من الاحاديث الشريفة التى ذكر فيها الزرع كما هى مبينة فى الجدول .

جاء فى الصحيحين :

(١) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان
أو بهيمة الا كان له به صدقه (٣) .

(١) سورة الفتح : آية (٢٩) .

ولقد ذكر الفيروزآبادى : أن الزرع ذكر فى ثمانية مواضع والأصح ذكر فى اثنى عشر موضعا كما بينت ذلك فى جدول الآيات واستخراجها من القرآن الكريم ، ولعل الفيروزآبادى قصد بذلك وجوه ذكرها فى القرآن ثم ذكر الآيات كشاهد على الوجوه والموضوع التى ذكرت من أجله الآيات وبما أن معظم الآيات كانت فى مقام الامتنان من الله على خلقه بالزرع لذلك اكتفى بشاهد واحد من الآيات وهى آية سورة الانعام .

(٢) راجع :

- تفسير النسفى ، ج ٣ ، ص ١٩٨ على هامش الخازن .
- تفسير الخازن ، ج ٢ ص ٣٩ - ٥٨ ، معجم الفاظ القرآن الكريم (١/٥٣٥) .
- تفسير البحر المحيط لابي حيان ، ج ٤ ص ٢٣٤ - ٢٣٦ .
- تفسير النهر الماد من البحر لابي حيان ، ج ٧ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- فتح القدير للشوكانى ، ج ٥ ص ٥٦ .
- تفسير الجواهر طنطاوى جوهر ، ج ١ ص ١٤٥ .
- تفسير القاسمى ، ج ٦ ص ٦٥٤ .
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : محمد باراهيم (١/٢٤٠) .

(٣) صحيح البخارى (٣/١٣٥) كتاب الحرث والمزارعه ، باب فضل الزرع والغرس ، واللفظ للبخارى / صحيح مسلم (٣/١١٨٩) كتاب المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع .

(٢) سمع سفيان بن أبي زهير رجلا من أزد شنوءة ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعا ولا ضرعا نقص كل يوم من عمله قيراط ، قلت أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال اي ورب هذا المسجد (١) .

(٣) عن ابن عمر رض الله عنهما قال عامل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج من ثمر أو زرع (٢) .

(٤) عن ابن عمر رض الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خيبر اليهود ، على أن يعملوها ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها (٣) .

(٥) قال ظهير لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا ، قلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ماتصنعون بمحاقلكم ، قلت نواجرها على الريح ، وعلى الأوسق من التمر والشعير ، قال لاتفعلوا أزرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها ، قال رافع قلت سمعا وطاعة (٤) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٦/٣) كتاب الحرث والمزارعه ، باب اقتناء الكلب للحرث ، صحيح مسلم (١٢٠٤/٣) كتاب المساقاة ، باب الأمر بقتل الكلاب ، واللفظ للبخارى .
- (٢) صحيح البخارى (١٣٨/٣) كتاب الحرث والمزارعه ، باب اذا سلم يشترط السنين فى المزارعه ، صحيح مسلم (١١٨٦/٣) ، كتاب المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع ، واللفظ للبخارى .
- (٣) صحيح البخارى (١٣٨/٣) كتاب الحرث والمزارعه ، باب المزارعه مع اليهود .
- (٤) صحيح البخارى (١٤١/٣) كتاب الحرث والمزارعه ، باب ما كان من أصحاب النبي يواسى بعضهم بعضا فى الزراعة والشمرة ، صحيح مسلم (١١٨٢/٣) كتاب البيوع ، باب كراء الارض بالطعام ، واللفظ للبخارى .

(٦) عن جابر رضى الله عنه قال ، كانوا يزرعونها بالثلث والرابع والنصف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فمن كانت لــــه أرض فليزرعها أو ليعمنحها فان لم يفعل فليمسك أرضه ، وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو ليعمنحها أخاه فان أبى فليمسك أرضه (١) .

(٥) الزرع فى أقوال المحدثين :

لقد تتبعت معنى الزرع فى أقوال المحدثين فظهر لى أن جميع مقالته العلماء فى معنى الزرع لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

(١) قال العينى فى حديث متقدم فى النبات : (استأذن ربه فى الزرع... فبذر) يعنى القى البذر ، وفيه حذف تقديره فاذن له بالزرع، فعند ذلك قام ورمى البذر فى أرض الجنة فنبت فى الحال واستوى وأدرك حصاهه (٢) .

(٢) قال العينى :

المزارعه : هى مفاعلة من الزرع والزراعة هى الحرث والفلاحة وتسمى مخابرة ومحاولة ويسمونها أهل العراق القراح ، وفى المغرب القسراج من الأرض كل قطعة على حبالها ليس فيها شجر ولا شائب سبخ ، وفى الشرع المزارعه : عقد على زرع ببعض الخارج (٣) .

(٣) وجاء فى معنى الزرع قول العينى :

تزرعونه أى تنبتونه وتردونه نباتا ينمى الى أن يبلغ الغاية (٤) .

(١) صحيح البخارى (١٤١/٣) كتاب الحرث والمزارعه ، باب ماكان من أصحاب النبي يواسى بعضهم بعضا فى الزراعة والتمرة ، صحيح مسلم (١١٧٨/٣) . كتاب البيوع ، باب كراء الأرض .

(٢) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، للعينى (١٨٧/١٢) .

(٣) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، للعينى (١٥٣/١٢) .

(٤) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، للعينى (١٥٤/١٢) .

- (٤) قال ابن حجر :
المزارعه العمل فى الأرض ببعض ما يخرج منها (١) .
- (٥) وجاء فى فتح البارى :
أصل الحقل القراح الطيب ، وقيل الزرع اذا تشعب ورقه من قبل أن
يغلظ سوقه ، ثم أطلق على الزرع ، واشتق منه المحاقلة فاطلقت على
المزارعه (٢) .
- (٦) وذكر العينى :
بمحاقلكم : أى بمزارعكم جمع محقل من الحقل وهو الزرع (٣) .
- (٧) وجاء فى شرح النووى :
المزارعة هى المعامله على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع (٤) .
- (٨) قال النووى :
أنهم كانوا يدفعون الأرض الى من يزرعها ببذر من عنده على أن يكون
لمالك الأرض ما ينبت على الماذيانات وأقبال الجداول (٥) .
- (٩) وذكر النووى :
وظيفة عامل المساقاة وهو أن عليه كل ما يحتاج اليه فى اصلاح الشمر
واستزادته مما يتكرر كل سنة كالسقى وتنقية الانهار واصلاح منابست
الشجر وتلقيحه وتنمية الحشيش والقضبان وحفظ الثمرة وجذاذها (٦) .
- (١٠) جاء فى فيض البارى :
ان الزرع انما يكون فى الأرض سنته تلك له أصل باق فى الأرض (٧) .

-
- (١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لابن حجر (١٢/٥) .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لابن حجر (١٥/٥) .
(٣) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، للعينى (١٨١/١٢) .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (١٩٣/١٠) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى (١٩٨/١٠) .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى (٢١١/١٠) البيوع .
(٧) فيض البارى على صحيح البخارى / الكشميرى (٢٩٧/٣) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المحدثين فقد استنتجت من أقوالهم أن الزرع لا يخرج
عن المفاهيم الآتية :

- (١) أن الزرع يفيد معنى النبات .
- (٢) أنه يفيد معنى الحرث والغرس والفلاحة .
- (٣) أن الزرع يفيد معنى الخروج من الأرض والظهور على وجهها .
- (٤) أنه يفيد معنى النمو والتطور من مرحلة الى مرحلة ومن حالة الى حالة أخرى .
- (٥) أن الزرع يشمل ما كان على ساق من النباتات وما لم يكن على ساق .
- (٦) أنه يشمل كل أنواع النباتات الشجر وغير الشجر ما كان محتاجاً الى غرس أو تلقيح أو بذر .
- (٧) ان الزرع منه لم يدم أصله مدة طويلة من الزمن وانما ينتهي أصله بانتهاء فائدته من الثمر والحبوب والخضروات ، ومنه ما يندوم أصله مدة طويلة مثل الأشجار والنخيل .
- (٨) ان الزرع هو ما كان بفعل الله عز وجل ثم بفعل الانسان(١)

(١) راجع :

- صحيح البخارى ، ج ٣ ص ١٣٥ - ١٣٨ ، الحرث والمزارعة .
- صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١١٨٦ - ١٢٠٤ المساقاة والمزارعة .
- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر ، ج ٥ ص ١٢ - ١٥ .
- عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ، للعيني ، ج ١٢ ص ١٥٣ - ١٨٧ .
- فيض البارى على صحيح البخارى ، الكشميرى ، ج ٣ ص ٢٩٧ .
- صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٠ ص ١٨٣ - ٢١١ ، البيوع .

المبحث الثالث

معنى الحرث

١- الحرث فى اللغة :

الحرث مصدر سمي به العمل فى الارض ، و اشارتها واعدادها للزراعة . يقال: حرث الارض حرثا شقها بالمحراث ليزرعها (١) .

كما يطلق الحرث على الزرع ومنه الحراث للزراع وقد حرث و احتـرـث مثل زرع وازدرع (٢) . وقد يطلق على القاء الحب فى الأرض .

يقول صاحب اللسان : (حرث : الحرث والحراثة : العمل فى الارض زرعاً كان أو غرساً وقد يكون الحرث نفس الزرع وحرث يحـرث حرثاً . . . الحرث : قذفك الحب فى الارض للازدراع والحرث الزرع والحراث الـزراع وقد حرث و احتـرث مثل زرع وازدرع) (٣) .

ومن معاجم اللغة نستنتج ان الحرث فى اللغة يدور حول المعانى

الاتية :

- أ - الحرث هو الزرع .
- ب - الحرث هو العمل فى الارض بشقها و اصلاحها للزراعة .
- ج - الحرث هو القاء البذر فى الأرض .
- د - الحرث هو فلاحه الأرض وهو شقها للحرث .
- هـ - الحرث يطلق على المكان الذى يزرع فيه .

(٢) الحرث فى القرآن الكريم :

لقد ورد لفظ الحرث فعلاً واسماً ومضافاً فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة . فى احدى عشر موضعاً . كما هو مبين فى جدول الآيات القرآنية الكريمة الآتية :

(١) انظر المعجم الوسيط : ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٥٩٨ .

• المصباح المنير / الفيومى ص ١٢٧ تحقيق الشناوى .

• المصباح المنير / الفيومى (١/١٣٨) تصحيح مصطفى السقا .

- (١) قال تعالى : * قال انه يقول انها بقرة لاذلول تشير الأرض ولاتسقى
الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا
يفعلون * البقرة (٧١) .
- (٢) قال تعالى : * واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد * البقرة (٢٠٥) .
- (٣) قال تعالى : * نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم ان شئتم * البقرة (٢٢٣)
- (٤) قال تعالى : * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن العاقبة * آل عمران (١٤) .
- (٥) قال تعالى : * مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها
صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن
أنفسهم يظلمون * آل عمران (١١٧) .
- (٦) قال تعالى : * وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا الشر كانا فما كان لشركائهم فلا
يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون *
الأنعام (١٣٦) .
- (٧) قال تعالى : * وقالوا هذه انعام وحرث هجر لا يطعمها الا من تشاء
بزعمهم * الأنعام (١٣٨) .
- (٨) قال تعالى : * وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفثت فيه
غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * الانبياء (٧٨) .
- (٩) قال تعالى : * من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نوتته منها وماله فى الآخرة من نصيب * الشورى (٢٠) .
- (١٠) قال تعالى : * أقرأيتم ما ترحثون * الواقعة (٦٣) .
- (١١) قال تعالى : * أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صادقين * القلم (٢٢) .

(٣) الحِثُّ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ :

لقد تتبعنا معنى الحِثِّ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ فَظَهَرَ لِي أَنَّ جَمِيعَ مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى الْحِثِّ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا قَالَهُ أَصْحَابُ الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيَّةِ .

أولاً : قَالَ تَعَالَى : (تَثِيرُ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقَى الْحِثُّ) :

(١) قَالَ الطَّبْرِيُّ :

عَنْ قَتَادَةَ : تَقْلِبُ الْأَرْضَ لِلْحِثِّ ، يُقَالُ مِنْهُ : أَثَرْتُ الْأَرْضَ أَثِيرَهَا —
إِشَارَةٌ : إِذَا قَلَبْتَهَا لِلزَّرْعِ (١) .

(٢) وَجَاءَ فِي رُوحِ الْمُعَانِي :

الإِشَارَةُ : قَلَبَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعِ مِنْ أَثَرْتَهُ إِذَا هَيْجَتَهُ .
(وَالْحِثُّ) الْأَرْضَ الْمَهْيَأَةَ لِلزَّرْعِ أَوْ هُوَ شَقُّ الْأَرْضِ لِيَبْذُرَ فِيهَا —
وَيُطْلَقُ عَلَى مَا حَرَثَ وَزَرَعَ ، وَعَلَى نَفْسِ الزَّرْعِ أَيْضًا (٢) .

(٣) قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ :

الْحِثُّ الْقَاءُ الْبُذْرِ فِي الْأَرْضِ وَتَهْيِئُهَا لِلزَّرْعِ وَلِيَحْنُ الْمَحْرُوثُ
حِرْثًا (٣) .

ثَانِيًا : قَالَ تَعَالَى : (وَيَهْلِكُ الْحِثُّ وَالنَّسْلُ) :

(١) ذَكَرَ فِي الطَّبْرِيِّ :

الْحِثُّ : الزَّرْعُ ، وَالْحِثُّ النَّبَاتُ ، وَالْحِثُّ نَبَاتُ الْأَرْضِ . (٤)

(٢) وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْمُرَاغِيِّ قَوْلَهُ :

وَالْحِثُّ : الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ (٥) .

(١) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٣٥١/١) .

(٢) رُوحُ الْمُعَانِيِّ / الْأَلُوسِيِّ (٢٩٠/١) .

(٣) الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ / الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (١١٢) .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٣١٨/٢) .

(٥) تَفْسِيرُ الْمُرَاغِيِّ (١٠٨/٣) .

ثالثا : قال تعالى : (نساءكم حرث لكم) :

(١) جاء فى الطبرى :

• الحرث هو الزرع المحترث والمزروع (١)

(٢) وقال المراغى :

• الحرث موضع النبت من الأرض (٢)

رابعا : قال تعالى : (والخيل المسومة والانعام والحرث) :

(١) قال القرطبى :

• الحرث هنا اسم لكل ما يحرث ، وهو مصدر سمي به .

تقول : حرث الرجل حرثا اذا اثار الأرض بمعنى الفلاحة ، فيقع اسم

الحراثة على زرع الحبوب وعلى الجنات وعلى غير ذلك من نـوع

• الفلاحة (٣)

خامسا : قال تعالى : (اصابته حرث قوم) :

(١) قال ابن كثير :

• (حرث قوم) اى مافيه من ثمر وزروع (٤)

سادسا : قال تعالى : (وجلعوا لله مما ذرأ من الحرث) :

(١) قال ابوحيان :

• وقيل الحرث : الزرع والأشجار وما يكون من الأرض (٥)

سابعا : قال تعالى : (من كان يريد حرث الدنيا) :

(١) قال ابوالسعود :

• الحرث : القاء البذر فى الأرض ويطلق على الزرع الحاصل منه (٦)

(١) تفسير الطبرى (٢٢٣/٢) •

(٢) تفسير المراغى (١٥٥/٢) •

(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبى (١٢٧٧/٢) •

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٧/١) •

(٥) البحر المحيظ / ابوحيان (٢٢٧/٤) •

(٦) تفسير ابى السعود (٦٦٤/٧) على هامش الرازى •

شامنا : قال تعالى : (أن اغدوا على حرثكم) :

(١) قال ابن عباس :

• الحرث : البساتين (١) .

(٢) وذكر الخازن فى معناها :

• الحرث يعنى الثمار والزرع والاعناب (٢) .

(٣) وجاء فى تفسير الجلالين :

• (- على حرثكم) أى غلتكم (٣) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين فقد استنتجت من أقوالهم أن الحرث لا يخرج عن المفاهيم الآتية :

(١) أن الحرث هو اشارة الأرض وتقليبها للزراعة .

(٢) أن الحرث يأتى بمعنى الزرع والغرس .

(٣) أن الحرث يعنى النبات .

(٤) أن الحرث هو عمل الانسان المباشر فى الأرض .

(٥) أن الحرث هو الأرض المهيأة للزراعة وموضع الزرع .

(٦) أن الحرث يأتى بمعنى الفلاحة وهو شق الأرض واثارتها وتقليبها

للزراعة وبذر البذور فيها .

(٧) أن الحرث يطلق على البذور .

(٨) ان الحرث قد يطلق ويراد به البساتين والجنات والاشجار والثمار

والفواكه والحبوب .

(٩) ان الحرث قد يطلق ويراد به الغلة والحصاد .

وقد تتداخل هذه المعانى المتعددة التى استنتجتها من كلام المفسرين

وتتداخل بعضها الى الآخر وينتج من مجموعها الوجوه الثلاثة التى ذكرها

(١) تنوير المقياس / ابن عباس (١٢١/٦) على هامش السيوطى .

(٢) تفسير الخازن (٢٩٦/٤) .

(٣) تفسير الجلالين (٣٨٦/٤) على هامش الفتوحات .

كل من الامام ابن الجوزى والفيروزآبادى (١) . حيث اتفقا على ان الحرث قد ورد فى القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الزرع المعهود " أفرأيتم ماتحرثون " (٢) .

" ولاتسقى الحرث مسلمة " (٣) و " يهلك الحرث والنسل " (٤) .

الثانى : منبت الولد : ومنه قوله تعالى : " نساؤكم حرث لكم

فاتوا حرثكم أن شتمتم " (٥) .

الثالث : بمعنى منفعة الدنيا وثواب الآخرة ، كما فى قوله تعالى :

" من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا

نوته منها وماله فى الآخرة من نصيب " (٦) .

(٤) الحرث فى الحديث الشريف :

لقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معنى الحرث

فى الحديث النبوى الشريف فجمعت ماتيسر لى من الأحاديث الشريفة التى ذكر

فيها الحرث كما هى مبينة فى الجدول الآتى :

(١) انظر : نزهة الاعين النواظر لابن الجوزى ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ط الرسالة

وبمائر ذوى التمييز للفيروزآبادى ج ٢ ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

وراجع :

- تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ٣٥٢ .
- معجم الفاظ القرآن الكريم (٢٥٦/١) .
- تفسير المراغى ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
- تفسير الجلالين ج ١ ص ٦٦ ، ج ٤ ص ٣٨٦ على هامش الفتوحات .
- تفسير العلامة ابى السعود ج ١٢ ص ٤٩٣ ، ج ٧ ص ٦٦٤ على هامش الرازى
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : محمد ابراهيم (ج ١ ص ١٢٧) .
- الفتوحات الالهية ، سليمان الشهير بالجمل (ج ١ ص ٦٦ ، ص ٢٤٩) .

(٢) سورة الواقعة : آية ٦٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٧١ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٠٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٢٣ .

(٦) سورة الشورى : آية ٢٠ .

أولا : جاء في صحيح البخارى :

(١) عن ابى امامة الباهلى قال : ورأى سكة وشيئا من آلة الحـرث فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل هذا بيت قوم الا أدخله الذل (١) .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل راكب على بقرة التفت اليه فقالت لم أخلق لهـذا خلقت للحراثة ، قال آمنت به أنا وأبوبكر وعمر ، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعى فقال الذئب من لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى ، قال آمنت به أنا وأبوبكر وعمر ، قال ابوسلمة وماهمـا يومئذ فى القوم (٢) .

ثانيا : وجاء فى صحيح مسلم :

(١) أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ضراب الجمل وعن بيع الماء والأرض لتحـرث ، فعن ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم " (٣) .

(٢) عن جابر قال : كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنصيب من القَصِيرِيِّ ومن كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كانت له أرض فليزرعها أو فليحـرثها أخاه ، والا فليدعها " (٤) .

ثالثا : وفى الصحيحين :

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط ، الا كلب حـرث أو ماشية (٥) .

(١) صحيح البخارى (٣/١٣٥) كتاب الحرث والمزارعه ، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع .

(٢) صحيح البخارى (٣/١٣٦) كتاب الحرث والمزارعه ، باب استعمال البقر للحراثة

(٣) صحيح مسلم (٣/١١٩٧) كتاب المساقاة باب تحريم فضل بيع الماء للحراثة .

(٤) صحيح مسلم (٣/١١٧٧) كتاب البيوع باب كراة الأرض .

(٥) صحيح البخارى (٣/١٣٥-١٣٦) كتاب الحرث والمزارعه ، باب اقتناء الكلب

للحرث / صحيح مسلم (٣/١٢٠٣) كتاب المساقاة ، باب الأمر بقتل الكلاب .

المبحث الرابع

معنى الشجر

١- الشجر فى اللغة :

الشجر جمع شجرة والشجرة : ماكان على ساق من نبات الارض . يقول ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة :

(شجر : الشينوالجيم والراء اعلان متداخلان يقرب بعضها من بعض ولايخلو معناهما من تداخل الشئ بعضه فى بعض ومن علو فى شئ وارتفاع فالشجر معروفالواحدة شجرة وهى لاتخلو من ارتفاع وتداخل اغصان) (١) .

ويقال : أرض شجرا أى كثيرة الأشجار والمشجرة : موضع الأشجار (٢) وجاء فى لسانالعرب (الشجر : والشجر من النبات : ماقام على ساق وقيل : الشجر كل ماسما بنفسه دق أو جل قاوم الشتاء أو عجز عنه والواحدة من كل ذلك شجرة (٣) .

ومن التتبع والاستقراء لكلمة شجر فى : المعاجم اللغوية (٤) ،

استنتج ماياتى :

- أ- الشجر نوع من أنواع النبات .
- ب- أن الشجر كل نبات قام على ساق صلبة او رخوة .
- ج- أن الشجر له أغصان وفروع متداخلة ومتشابكة .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٣ ص ٢٤٦ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ج٢ ص ٦٩٣ .

(٣) لسانالعرب ج٢ ص ٢٧٢ .

(٤) راجع : تهذيب اللغة تاليف ابى منصور محمد بن احمد الازهرى ج١٠ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ تحقيق على حسن هلالى ، محمد على النجار ، مطابع سجل العرب . - معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٣ ص ٢٤٦ - المعجم الوسيط ج١ ص ٤٧٣ .

- (د) ان الشجر من النبات الذى يعمر مدة طويلة وقد تقطع اغصانه ويبقى
أصله فينبت مرة أخرى .
- (هـ) أن من الشجر ماهو عظيم ومنه ماهو صغير ورقيق .

(٢) الشجر فى القرآن الكريم :

ولقد ورد لفظ " الشجر " فى القرآن الكريم مفردا وجمعا ومضافا
ستا وعشرين مرة فى خمس وعشرين موضعا كما هو ظاهر ومبين فى جدول الآيات
القرآنية الكريمة الآتية :

- (١) قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)
البقرة (٣٥) .
- (٢) قال تعالى : (ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) الاعراف (١٩) .
- (٣) قال تعالى : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من
سواتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا آن تكونا ملكين
أو تكونا من الخاسرين) الاعراف (٢٠) .
- (٤) قال تعالى : (فدلّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما
وظفقا بخصفاً عليهما من ورق الجنة ونادايهما ربهما ألم أنهما
عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) الاعراف(٢٢)
- (٥) قال تعالى : (ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها فى السماء) ابراهيم (٢٤) .
- (٦) قال تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الأرض مالها من قرار) ابراهيم (٢٦) .
- (٧) قال تعالى : (وهو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسيمون) النحل (١٠) .

- (٨) قال تعالى (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً
ومن الشجر ومما يعرشون) النحل (٦٨) .
- (٩) قال تعالى : (واذا قلنا إن ربك احاط بالناس وما جعلنا الرءىسا
التي أريناك الأفتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الاسراء (٦٠) .
- (١٠) قال تعالى : (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لايبلى) طه (١٢٠) .
- (١١) قال تعالى : (الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى
الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء) الحج (١٨) .
- (١٢) قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين)
المؤمنون (٢٠) .
- (١٣) قال تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه
نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال
للناس والله بكل شىء عليم) انور (٣٥) .
- (١٤) قال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حقائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع
الله بل هم قوم يعدلون) النمل (٦٠) .
- (١٥) قال تعالى : (فلما آتاها نودى من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة
المباركة من الشجرة ان ياموسى إنى أنا الله رب العالميين)
القصص (٣٠) .
- (١٦) قال تعالى : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يملى من بعده
سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) لقمان (٧) .

- (١٧) قال تعالى : الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون (يس (٨٠) .
- (١٨) قال تعالى : (اذالك خير نزلا أم شجرة الاقوم) الصافات (٦٢) .
- (١٩) قال تعالى : (انها شجرة تخرج من أصل حميم) الصافات (٦٤) .
- (٢٠) قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) الصافات (١٤٦) .
- (٢١) قال تعالى : (ان شجرة الرقوم) الدخان (٤٣) .
- (٢٢) قال تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) الفتح (١٨) .
- (٢٣) قال تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) الرحمن (٦) .
- (٢٤) قال تعالى : (لآكلون من شجر من زقوم) الواقعة (٥٢) .
- (٢٥) قال تعالى : (أءنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) الواقعة (٧٢) .

(٣) الشجر فى أقوال المفسرين :

لقد تتبععت معنى الشجر فى أقوال المفسرين فظهر لى أن جميع ما قاله العلماء فى معنى الشجر لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

أولا : قال تعالى : (ولاتقربا هذه الشجرة) :

- (١) قال الأصفهاني :
- شجر : الشجر من النبات ماله ساق ، يقال شجرة وشجر نمو شجرة وثمر وواد شجير كثير الشجر ، وهذا الوادى أشجر من ذلك (١) .
- (٢) قال ابوالسعود
- والمراد بها الحنطة أو العنبة أو التينة (٢) .

- (١) المفردات فى غريب القرآن / الاصفهاني (٢٥٥) .
- (٢) تفسير ابى السعود (٢٢٢/١) على هامش الرازى .

- (٣) وذكر الالوسى فى ذلك قوله :
- والشجر ماله ساق أو كل ماتفرع له أغصان وعيدان أو أعم من ذلك (١)
- (٤) وجاء فى تفسير الجواهر :
- الشجر : كل نبت يقوم على ساقه منتصبا أصله مرتفعا فى الهواء
ويدور عليه الحول ولايجف (٢) .

شانيا : قال تعالى : (كشجرة طيبة) :

(١) قال الرازى :

ان الشجرة لاتستحق أن تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء :

عرق راسخ ، وأصل قائم ، واغصان عاليه (٣) .

شالشا : قال تعالى : (ومنه شجر فيه تسيمون) :

(١) قال الفخر الرازى :

ان الحبة تقع فى الطين فاذا مضت على هذه الحالة مقادير معينة من الوقت نفذت فى داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الأرض وندواتها فتنفخ الحبة ، فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الأرض الى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة فى قعر الأرض وهذه الغائصة هى المسماة بعروق الشجرة ثم ان تلك الشجرة لاتزال تزداد وتنمو وتقوى ثم يخرج منها الأوراق والأزهار والاكمام والثمار (٤) .

(٢) وجاء فى الفتوحات :

المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أو لا ، والشجر الذى ترعاه المواشى ، وقيل كل نبت على الأرض فهو شجر والشجر هنا كل نبات من الأرض حتى الكلا ، وهو مجاز لأن الشجر ماكان له ساق (٥) .

(١) روح المعانى / الالوسى (٢٣٥/١) .

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم / طنطاوى جوهر (١٤٥/١) .

(٣) التفسير الكبير / الفخر الرازى (٢٣٧/٥) .

(٤) التفسير الكبير / الفخر الرازى (٢٩٥/٦) .

(٥) الفتوحات الالهية / سليمان الشهير بالجمل (٥٦١/٢) .

الاســــــــــــتنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين فقد استنتجت من أقوالهم أن الشجر لا يخرج

عن المفاهيم الآتية :

(١) الشجر نبات من نبات الأرض سوا ٦ كان بفعل الانسان أو بفعل الله عز وجل يثمر أو لا يثمر .

(٢) الشجر هو ماكانت له أصول غائصة راسخة فى باطن الأرض .

(٣) الشجر هو ماقام على ساق من الخارج سوا ٦ كانت غليظة عريضة صلبة أو رقيقة رفيعة رخوة ،عالية مرتفعة أو قصيرة منخفضة كبيرة أو صغيرة .

(٤) الشجر هو ماكان له أغصان متفرعة عظيمة أو دقيقة متداخلة أو متفرقة مورقة أو غير مورقة .

(٥) الشجر يدل على النمو والزيادة والنشوء والخروج .

(٦) أن بعض الشجر تبقى أصوله وسيقانه بعد الحصاد الى الحصاد الآخر كما أنه يعمر مدة طويلة من الزمن .

(٧) أن الشجر ماقام بنفسه دون الاعتماد على غيره .

(٨) أن الشجر انواع كثيرة مختلفة الاشكال والثمار الى غير ذلك .

ولعل ابن الجوزى بين بعضا من هذه الأنواع والأصناف من الأشجار

وأسماءها الواردة فى القرآن الكريم .

يقول ابن الجوزى : (وذكر أهل التفسير ان الشجر فى القرآن

على أحد عشر وجها .

- أحدها : الشجر الذى له ساق ومنه قوله تعالى فى سورة الرحمن —
" والنجم والشجر يسجدان " (١) .
- الثانى : الكرم ومنه قوله تعالى فى سورة البقرة : " ولا تقربا هذه
الشجرة " (٢) قيل : أى نبات او ساق وقيل هى الحنطة .
- والثالث : الزيتون : ومنه قوله تعالى فى المؤمنین (وشجرة تخرج
من طور سيناء) (٣) .
- والرابع : الزقوم : ومنه قوله تعالى فى بنى اسرائيل :
" والشجرة الملعونة فى القرآن " (٤) .
- وفى الصافات : " انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم " (٥) .
- والخامس : النخلة . ومنه قوله تعالى فى ابراهيم : " ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة " (٦) .
- والسادس : شجرة الحنظل ومنه قوله تعالى فى ابراهيم : " ومثل كلمة
خبیثة كشجرة خبیثة " (٧) .
- والسابع : شجرة العوسج ومنه قوله تعالى فى سورة القصص " نودى
من شاطيء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة " (٨)
وكانت شجرة العوسج .

-
- (١) سورة الرحمن: آية ٠٦
(٢) سورة البقرة: آية ٠٣٥
(٣) سورة المؤمنون: آية ٠٢٠
(٤) سورة الاسراء: آية ٦٠
(٥) سورة الصافات: آية ٠٦٤
(٦) سورة ابراهيم: آية ٠٢٤
(٧) سورة ابراهيم: آية ٠٢٦
(٨) سورة القصص: آية ٣٠

والثامن : شجرة القرع: ومنه قوله تعالى فى الصافات :
" وأنبتنا عليه شجرة من يقطين " (١)

والتاسع: شجر المرخ والعفار ومنه قوله تعالى فى سورة يس :
" الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا " (٢) .

قال ابن قتيبة : اراد بها الزنود الذى تورى بها الاعراب
(الأصل من وَرَى وَوَرَى من شجر المرخ والعفار وهو شجر معروف .
والعاشر: السمرة . ومنه قوله تعالى فى سورة الفتح " اذ يبايعونك
تحت الشجرة " (٣) وكانت هذه الشجرة سمرة وقال ابــــن
فارس: والسمرة واحدة السمر وهو شجر الطلح .

والحادى عشر: ابراهيم الخليل عليه السلام ومنه قوله تعالى فى النور :
" يوقد من شجرة مباركة " وهذا مثل ضربه الله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله " مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح " الى قوله " يوقد من شجرة
مباركة " (٤) . أى هو من ذرية ابراهيم عليه السلام (٥)

هذا واننى لا أوافق الامام ابن الجوزى على قوله : أن المراد بالشجر
فى قوله تعالى: " يوقد من شجرة مباركة " انها ابراهيم مع ان بعض
المفسرين قد قالوا بذلك برواية عن ابن عمر ، لان أكثر اراء المفسرين

(١) سورة الصافات: اية ١٤٦ .

(٢) سورة يس : اية ٨٠ .

(٣) سورة الفتح: اية ١٨ .

(٤) سورة النور: اية ٣٥ .

(٥) انظر نزهة الاعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص ٣٨٠ ،
٣٨٢ .

• التفسير الكبير للفخر الرازى ج٥ ص ٢٣٧ .

• الكشاف ، الزمخشري ج٤ ص ٤٣ .

• تفسير الجلالين ج٤ ص ٢٥٣ على هامش الفتوحات .

• معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : محمد ابراهيم (١/٢٩١) .

على أن المراد بالشجرة فى الآفة الكرفمة شجرة الزفون . وانه صفة لضفاء المصباح الذى ضربه الله مثلا لنور الايمان ونور القرآن ونور الفطرة الذى ينبعث وشرق فى قلب المؤمن الصادق . والله أعلم .

(٤) الشجر فى الحديث النبوى الشريف :

لقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معنى الشجر فى الحديث الشريف فجمعت ما تيسر لى من الأحاديث الشريفة التى ذكر فيها الشجر كما هى مبينة فى الجدول الآتى :

أولا : جاء فى صحيح البخارى :

(١) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جمارا فقال من الشجرة شجرة كالرجل المؤمن فأردت أن أقول هى النخلة فاذا أنا أحدثهم قال هى النخلة (١) .

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حرم مكة ولم تحل لاحد قبلى ولا لاحد بعدى وانما حلت لى ساعة من نهار لا يخلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها الا لمعرف ، وقال ابن عباس بن عبدالمطلب إلا الأذخر لصاغتنا ولسقى بيوتنا فقال الأذخر فقال عكرمه هل تدري ما ينفر صيدها هو أن تنكبة من الظل وتنزل مكانه قال عبد الوهاب عن خالد لصاغتنا وقتبونا (٢) .

(٣) عن قيس قال سمعت سعدا رضى الله عنه يقول : انى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا ورق الشجر حتى أن أحدنا ليضع كما يضع البعير

(١) صحيح البخارى (١٠٣/٣) كتاب البيوع ، باب بيع الجمار وأكله .

(٢) صحيح البخارى (٧٩/٣) كتاب البيوع باب ما قيل فى الصواغ .

أو الشاة ماله خلط ثم أصبحت بنو آسد تعزرفنى على الاسلام لقسد
خبت إذا وصل عملى وكانوا وشوابه إلى عمر قالوا لا يحسن صلى (١) .

شانيا : وجاء فى صحيح مسلم :

(١) عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتقوم
الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود . فيقتلهم المسلمون . حتى
يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر :
يامسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى . فتعالى فاقتله الا
الفرقد . فانه من شجر اليهود (٢) .

(٢) قال عبد الله : جاء رجل من أهل الكتاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم : ان الله يمسك السماوات على
أصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر والشرى على إصبع . والخلائق
على إصبع . ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، قال فرأيت النبى
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ : وما قدروا
الله حق قدره (٣) .

(٣) عن ابى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فقال : " خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال
يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين . وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق
آدم عليه السلام ، بعد العصر من يوم الجمعة ، فى آخر الخلق ، فى
آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر الى الليل (٤) .

(١) صحيح البخارى (٢٨/٥) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب سعد بن
أبى وقاص .

(٢) صحيح مسلم (٢٢٣٩/٤) كتاب الفتن / باب لاتقوم الساعة حتى يهر
الرجل بغير الرجل .

الفرقد : نوع من شجر الشوك معروف ببلاد المقدس .

(٣) صحيح مسلم (٢١٤٨/٤) كتاب المنافقين ، باب صفة القيامة والجنة والنار

(٤) صحيح مسلم (٢١٤٩/٤ - ٢١٥٠) كتاب المنافقين / باب بدء الخلق .

(٥) الشجر فى أقوال المحدثين :

لقد تتبععت معنى الشجر فى أقوال المحدثين فظهر لى أن جميع مقاله العلماء فى معنى الشجر لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

(١) قال العيني :

قوله : " من الشجر " قال الصنعانى فى العباب الشجر والشجرة
ماكان على ساق من نبات الأرض وأرض شجراً كثيرة الاشجار(١) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المحدثين فقد استنتجت من أقوالهم أن الشجر لا يخرج
عن المفاهيم الآتية :

- (١) أن الشجر نوع من أنواع النبات الخارج من الأرض .
- (٢) أن الشجر هو ما قام بنفسه دون الاعتماد على غيره .
- (٣) أن الشجر ما كان على ساق منه ما يكون دقيقاً ومنه ما يكون ضخماً .
- (٤) أن الشجر ما كان له فروع وأغصان وأوراق .
- (٥) ان الشجر له أنواع متعددة .
- (٦) أن الشجر يعرف بثمره .

ومن جميع ماتقدم فى بيان المراد بالشجر يظهر للمتأمل بوضوح
أن جميع المعانى التى جاءت فى اللغة وفى القرآن الكريم وفى السنة
النبوية المطهرة متلاقية تبين معالم الاشجار ومزاياها .

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى / العيني (١٣/٢) .

المبحث الخامس

معنى النخل

١- النخل فى اللغة :

النخل جمع نخلة ولفظ نخليدل على انتقاء الشىء

واختياره .

جاء فى معجم مقاييس اللغة : (نخل : النون والخاء واللام كلمة تدل

على انتقاء الشىء واختياره وانتخلته : استقصيت حتى آخذت أفضله .

وعندنا أن النخل سمي به لأنه أشرف كل شجر ذى ساق الواحدة نخلة (١) .

والنخلة المراد بها شجرة التمر والجمع نخلات ونخل ونحيل وهى تنبست

من النواة ولها جذع وعجز ولا يقال فى النخل ورق ولكن خوص (٢) .

ومن تتبع كتب اللغة فى النخل يخرج بما يأتى :

- ١- النخل نوع من أنواع النبات الذى يقوم على ساق قوى صلب .
- ٢- النخل اشرف أنواع الشجر واعلاه قيمة .
- ٣- النخل له شكله الخاص الذى يميزه عن غيره من أنواع الاشجار .
- ٤- النخل معروف بثمره وهو التمر .
- ٥- النخل اصناف متعددة ولكن المعروف والمشهور منه هو نخل التمر .

(٢) النخل فى القرآن الكريم :

لقد ورد لفظ النخل فى القرآن الكريم مفردا وجمعا ومضافا احدى وعشرين

مرة فى احدى وعشرين موضعا كما هو مبين فى جدول الآيات القرآنية الآتية :

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جد ص ٤٠٧ .

(٢) انظر المخصص لابن سيده ج ٣ ص ١٠٢-١٠٦ .

لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٣ ص ٦٠٤ .

المعجم الوسيط ج ٢ ص ٩٠٨ ،

- (١) قال تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) البقرة (٢٦٦) .
- (٢) قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم آيات لقوم يؤمنون) الانعام (٩٩) .
- (٣) قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكثفه والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الانعام (١٤١) .
- (٤) قال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون) الرعد (٤) .
- (٥) قال تعالى : (ينبئ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك آية لقوم يتفكرون) النحل (١١) .
- (٦) قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك آية لقوم يعقلون) النحل (٦٧) .
- (٧) قال تعالى : (او تكون لك جبة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) الاسراء (٩١) .
- (٨) قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا) الكهف (٣٢) .
- (٩) قال تعالى : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) مريم (٢٣) .

- (١٠) قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)
• مريم (٢٥) .
- (١١) قال تعالى : (لأصلبنكم في جذوع النخل) طه (٧١) .
- (١٢) قال تعالى : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها
فواكه كثيرة ومنها تأكلون) المؤمنون (١٩) .
- (١٣) قال تعالى : (وزروع ونخل طلعها هضيم) الشعراء ١٤٨ (١٤٨) .
- (١٤) قال تعالى : (وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من
العيون) يس (٣٤) .
- (١٥) قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد) ق (١٠) .
- (١٦) قال تعالى : (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) القمر (٢٠) .
- (١٧) قال تعالى : (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) الرحمن (١١) .
- (١٨) قال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) الرحمن (٦٨) .
- (١٩) قال تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها
فياذن الله ولييخزي الفاسقين) الحشر (٥) .
- (٢٠) قال تعالى : (كأنهم أعجاز نخل خاويه) الحاقة (٧) .
- (٢١) قال تعالى : (وزيتونا ونخلا) عبس (٢٩) .

(٣) النخل في أقوال المفسرين :

لقد تتبعت معنى النخل في أقوال المفسرين فظهر لي أن جميع ما قاله
العلماء في معنى النخل لا يختلف عما قاله اصحاب المعاجم اللغوية .

أولا : قال تعالى : (جنة من نخيل واعناب) :

- (١) قال الزمخشري :
- قلت : النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرهما منافع
• خصهما بالذكر (١) .

(١) الكشاف / الزمخشري (٣٩٥/١) .

ثانيا : قال تعالى : (ومن النخل ومن طلعتها) :

(١) قال الطبرى :

النخل القصار الملتزقة بالأرض ، وفى قوله تعالى : (انظروا الى ثمره إذا أثمر) قال : انظروا الى ثمر هذه الاشجار التى سمينا من النخل والاعناب والزيتون والرمان إذا أثمر (١) .

(٢) وذكر القاسمى فى تفسيره :

الطلع : أول ما يبدو من ثمر النخيل ، كالكيان يكون فيه العذق ، فاذا شق عنه كيانه سمي عذقا (٢) .

ثالثا : قال تعالى : (والنخل والزرع مختلفا أكله) :

(١) قال القرطبى :

(النخل ما قطع على ساق وسائر الشجر) (٣) .

رابعا : قال تعالى : (ونخيل صنوان وغير صنوان) :

(١) قال الكشاف :

والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد (٤) .

خامسا : قال تعالى : (الى جذع النخلة) :

(١) قال القرطبى :

أى ساق النخلة اليابسة فى الصحراء الذى لاسعف عليه ولا غصن (٥) .

(٣) ذكر الالوسى فى معناها :

والنخلة معروفة ، والجذع ما بين العرق ومتشعب الاغصان من الشجرة (٦) .

(١) تفسير الطبرى (٢٩٤/٧) .

(٢) تفسير القاسمى (٦٥٣/٦) .

(٣) الجامع لاحكام القرآن / القرطبى (٢٥٣٤/٣) .

(٤) الكشاف / الزمخشرى (٣٩٥/١) .

(٥) الجامع لاحكام القرآن / القرطبى (٤١٣١/٥) .

(٦) روح المعانى / الالوسى (٨١/١٦) .

سادسا : قال تعالى : (وزروع ونخل طلعتها هضم) :

- (١) جاء في روح المعاني :
- الهضم الداخل بعضه في بعض ، وقال ابن عباس : هو المنضم بعضه الى بعض (١) .
- (٢) وقال الزمخشري :
- ونخل قد أرطب ثمره (٢) .
- (٣) قال ابوالسعود :
- الهضم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنشى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كمنصل السيف في جوفه شمرايخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل ، وافراد النخل لفضله على سائر الجنات أو لأنه المراد بها غير من الاشجار (٣) .
- (٤) وجاء في الفتوحات الالهية :
- طلعتها هو ثمرها في أول ما يطلع وبعده يسمى خلال ثم يلحاً ثم يسرا ثم رطبا ثم تمرا (٤) .

سابعا : قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد) :

- (١) قال ابن عباس :
- النخل طوالا غلاظا لها ثمر مجتمع (٥) .
- (٢) وذكر الفخر الرازي :
- النخل يُوْبَر ولولا التأبير لم يثمر فهو جنس مختلط من الزرع والشجر، والنخل الباسقات كبيرة وقوية ومحتاجة كل سنة إلى عمل عامل (٦) .

- (١) روح المعاني / الالوسي (١١٢/١٩) .
- (٢) الكشاف / الزمخشري (١٢٣/٣) .
- (٣) تفسير ابى السعود (٢٩٢/٧) على هامش الرازي .
- (٤) الفتوحات الالهية / سليمان الشهير بالجمل (٢٨٨/٣) .
- (٥) تفسير ابن عباس (٢٥٣/٥) على هامش السيوطي .
- (٦) التفسير الكبير / الفخر الرازي (٥٩٧/٧) .

شامنا : قال تعالى : (أعجاز نخل منقعر) :

(١) قال ابوالسعود :

• اعجاز نخل هي اصولها (١) .

(٢) قال النسفي :

• أصول نخل منقطع عن مفارسه (٢) .

تاسعا: قال تعالى : (والنخل ذات الاكمام) :

(١) ذكر في الخازن :

يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف

وهو الطلع مالم ينشق ، وكل شىء ستر شيئا فهو كم ، وقيل اكمامها

• ليفها (٣) .

(٢) قال الشوكاني :

الاكمام هو وعاء الثمر ، وقال الحسن : ذات الاكمام : أى ذات

• ليف (٤) .

(٣) وجاء فى التفسير الكبير :

النخلة : شجرة عظيمة لايمكن هزها لتسقط منها الثمرة فكونها

• ذات الاكمام (٥) .

(٤) وذكر فى تفسير النهر المادون البحر :

ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر ثمرها وهو الثمر لكثرة الانتفاع

• بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار وثمر (٦) .

عاشرا : قال تعالى : (ماقطعت من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها)

(١) جاء فى القرطبي :

اختلف فى اللينة ماهى ، على أقوال عشرة ، الأول النخل كله

(١) تفسير ابى السعود (١٢/٨) على هامش الرازى .

(٢) تفسير النسفى (٢٠٤/٤) على هامش الخازن .

(٣) تفسير الخازن (٢٠٩/٤) .

(٤) فتح القدير / الشوكاني (١٣٢/٥) .

(٥) التفسير الكبير / الفخر الرازى (١٠/٨) .

(٦) تفسير النهر المادون البحر / ابى حيان (١٨٧/٨) .

إلا العجوة ، وأنها النخل كله ، وأنها لون من النخل ، وأنها كرام
النخل ، وأنها جميع أنواع التمر سوى العجوة والبرنى ، وأنها
العجوة خاصة ، وأنها ضرب من النخل يقال لثمره اللون وهو أجود
التمر ، وأنها النخلة القريبة من الأرض ، وأنها الدهل (قائمة
على أصولها) قائمة على سوقها) (١) .

جادی عشر : قال تعالى : (أعجاز نخل خاويه) :

(١) ذكر فى الفتوحات الالهية :

• أى اصول نخل بلا رؤس فالمراد بأصل النخلة الجذع بتمامه (٢) .

الاســــــــــــتنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين فقد استنتجت من أقوالهم أن النخل لا يخرج

عن المفاهيم الآتية :

- (١) ان النخل نوع من أنواع الشجر والنبات .
- (٢) أن النخل له أصول وجذوع وعروق متشعبة غائصة فى الأرض .
- (٣) أن النخل يأخذ معنى الغرس والزرع .
- (٤) أن النخل ما قام بنفسه على ساق قوية غليظة .
- (٥) أن من النخل ما كان طويلا مرتفعا ومنه ما كان قصيرا متدنيا .
- (٦) ان رأس النخل يتكون من الجريد والسعف والليف والعذق ثم التمر .
- (٧) أن النخل ما يجنى ثمره ويبقى أصله .
- (٨) أن النخل يحتاج الى العمل والتأبير كل سنة حتى يثمر .
- (٩) أن من النخل ماله رأس ومنه ماله رأسان وأصل واحد ومنه ماله أكثر .
- (١٠) أن ثمر النخل معروف وهو الرطب والتمر والبلح مع تعدد اصنافه وأشكاله .

(١) الجامع لاحكام القرآن / القرطبي (٦٤٨٨/٨ - ٦٤٨٩) .

(٢) الفتوحات الالهية / سليمان الشهير البجمل (٣٩٤/٤) .

- (١١) أن النخل له مترادفات من الالفاظ اللغوية .
(١٢) أن النخل يدل على النمو والزيادة والتطور من حال الى آخرى
ومن مرحلة الى مرحلة . (١) .

(٤) النخل فى الحديث النبوى الشريف :

لقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معنى النخل فى
الحديث الشريف فجمعت ما تيسر لى من الأحاديث الشريفة التى ذكر فيها
النخل كما هى مبينه فى الجدول الآتى :

أولا : قال البخارى فى صحيحه :

- (١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه
وسلم أقسم بيننا وبين أخواننا النخيل قال لا ، فقالوا تكفوننا
المؤنة ونشركم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا (٢)
(٢) عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرق
نخل يمين النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان :
وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير (٣)
(٣) عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه حدثه أن رجلا من الانصار

(١) راجع :

- الكشاف ، الزمخشري ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .
- تفسير ابن عباس ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ على هامش السيوطى .
- تفسير القاسمى ، ج ٦ ص ٦٥٣ .
- الفتوحات الالهية ، سليمان الشهير بالجمل ، ج ٣ ص ٢٨٨ .
- تفسير النهر الماد من البحر - ابي حيان ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .
- معجم الفاظ القرآن الكريم (٦٩٠/٢ - ٦٩١) .
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية/محمد ابراهيم (٢٤٤/٢) .
(٢) صحيح البخارى (١٣٦/٣) كتاب الحرث والمزارعه باب إذا قال اكفنى
مؤنة النخل وغيره وتشركنى فى الثمر .
(٣) صحيح البخارى (١٣٦/٣) كتاب الحرث والمزارعة باب قطع الشجر
والنخل .

خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل ، فقال الانصارى : سرج الماء يمر ، فأبى عليه فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير أسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى فقال أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ، فقال الزبير : والله انى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (١) .

(٤) عن أبى البختري قال سألت ابن عمر رضى الله عنهما : عن السلم فى النخل فقال نهى عن بيع النخل حتى يصلح وعن بيع الورق نسأء بناجرا ، وسألت ابن عباس عن السلم فى النخل فقال نهى النبي صلى الله عليه وسلم : عن بيع النخل حتى يوكل منه ، أو يأكل منسسه وحتى يوزن) (٢) .

(٥) عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع التمرة حتى يبدا صلاحها ، وعن النخل حتى يزهو ، وقيل وما يزهو : قال يحمار أو يصفار) (٣) .

(٦) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادي قال عبدالله ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحيت ثم قالوا حدثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة) (٤) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٤٥/٣ - ١٤٦) كتاب الحرث والمزارعة باب سكر الانهار .
- (٢) صحيح البخارى (١١٣/٣) كتاب السلم باب السلم فى النخل .
- (٣) صحيح البخارى (١٠١/٣) كتاب البيوع ، بيع النخل قبل أن يبيد صلاحه .
- (٤) صحيح البخارى (٢٣/١ - ٢٤) كتاب العلم باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا .

(٧) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
أيما امرئ باع نخلا ثم باع أصلها فللذئب أبرد ثمر النخل إلا أن
يشترطه المبتاع (١) .

ثانيا : جاء فى صحيح مسلم :

(١) عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشــــر
الأنصارية فى نخل لها . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم :
" من غرس هذا النخل ؟ أم مسلم أم كافر ؟ " فقالت : بل مسلم .
فقال : " ولا يغرس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرضا ، فيأكل منه انسان
ولا دابه ولا شيء ، إلا كانت له صدقة " (٢) .

(٢) عن زيد بن ثابت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى بيع
العريه بخرصها تمرا قال يحيى : العرية أن يشتري الرجل ثمر
النخلات لطعام أهله رطبا ، بخرصها تمرا (٣) .

(٣) وقال مسلم فى صحيحه :

عن أبى سعيد الخدرى : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المزابنه والمحاقله ، والمزابنه اشتراء الثمر فى رواس النخل
والمحاقله كراء الارض (٤) .

(٥) النخل فى أقوال المحدثين :

لقد تتبعت معنى النخل فى أقوال المحدثين فظهر لى أن جميع مقاله
العلماء فى معنى النخل لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

-
- (١) صحيح البخارى (١٠٢/٣) كتاب البيوع باب بيع النخل بأصله .
(٢) صحيح مسلم (١١٨٨/٣) كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع .
(٣) صحيح مسلم (١١٦٩/٣) كتاب البيوع باب تحريم بيع الرطب بالتمر
إلا فى العرايا .
(٤) صحيح مسلم (١١٧٩/٣) كتاب البيوع باب كراء الأرض .

- (١) قال ابن حجر :
• ان المراد بالشجرة النخلة (١) .
- (٢) وجاء فى فتح البارى فى النخلة :
• انه اذا قطع رأسها ماتت ، وانها لا تكمل حتى تلتقح (٢) .
- (٣) وذكر ابن حجر فى قصة نخل بطن النضير :
• لايجوز قطع الشجر المثمر أصلا (٣) .
- (٤) وقال العينى :
فقال بعضهم هو كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ، ووجودها على
الدوام ، فانه من حين يطلع ثمرها لايزال يوكل منه حتى يبس (٤) .
- (٥) وجاء فى عمدة القارى
ان النخلة ثابتة فى مثبتها ولها فروع مرتفعه ولها ثمر فى أوقات
السنة كلها (٥) .
- (٦) وذكر الكشميرى فيها قوله :
• ان النخل أصله مخلص فى الأرض (٦) .
- (٧) قال النووى :
يقال زها النخل يزهو إذا ظهرت ثمرته وأزهى يزهى إذا أحمر
أو أصفر (٧) .
- (٨) وجاء فى النووى :
يقال أبرت النخل : وهو أن يشق طلع النخلة ليدر فيه شيء من طلع
ذكر النخل ، والابار هو شقه سواء حط فيه شيء أو لا ولو تأبـرت
بنفسها أى تشقت (٨) .

-
- (١) فتح البارى شرح صحيح البخارى / ابن حجر (١٤٦/١) .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى / ابن حجر (١٤٧/١) .
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى / ابن حجر (٩/٥) .
(٤) عمدة القارى بشرح صحيح البخارى / العينى (١٤/٢) .
(٥) عمدة القارى بشرح صحيح البخارى / العينى (١٥/٢) .
(٦) فيض البارى على صحيح البخارى / الكشميرى (٢٩٧/٣) .
(٧) صحيح مسلم بشرح النووى (١٧٨/١٠) .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووى (١٩٠/١٠) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المحدثين فقد استنتجت من أقوالهم أن النخل لا يخرج عن المفاهيم الآتية :

- (١) ان النخل نوع من أنواع الشجر .
- (٢) ان النخل ماقام بنفسه على ساق .
- (٣) ان النخل له أصل ثابت فى الأرض وفروع عالية مرتفعة .
- (٤) أن النخل ينتهى ثمره بانتهاء حصاده ويبقى أصله .
- (٥) أن النخل لا يثمر الا بعد أن يؤبر ويلقح .
- (٦) أن زهو النخيل يدل على النمو والزيادة والتطور .
- (٧) أن ثمر النخل مختلف اللون والشكل ويوجد على مدار العام من نضجه فى النخيل الى أن يحصد ثم يؤكل رطبا وجافا .

ومن جميع ماتقدم يتضح لنا أن ماجاءت به كتب اللغة عن النخيل وما جاء به القرآن الكريم وفسره علماء التفسير وما ذكره علماء الحديث النبوى الشريف جميعها متلاقية متألّفة موضحة كل ما يمتاز به النخيل وما يختص به وكونه نوع من أنواع النبات .

المبحث السادس

معنى الثمر

١- الثمر فى اللغة :

الثمر جمع مفردة ثمرة • وتجمع ايضاً على ثمرات • وهو كل شىء يتولد عن شىء متجمعاً ومن ثم فهو يطلق على الحمل الذى تخرجه الشجرة سوا ١٦ اكل اولاً • ويقال: أثمر الشجر أى طلع ثمره وشجر شامر اذا أدرك ثمره وشجرة ثمر ١٦ اى ذات ثمر (١) •

ومن استقر ١٦ كتب اللغة فى مادة ثمر خرجت بما يأتى :

- ١- أن الثمر له اشتقاقات متعددة وكل اشتقاق له معنى خاص •
- ٢- أن الثمر ياخذ معنى الشجر باعتبار خروجه من الارض لان الثمر هو الخارج من الاشجار •
- ٣- ان الثمر هو ما تنتجه وتخرجه الاشجار والزروع بجميع أنواعها من المأكول وغير المأكول ما قام على ساق او ما كان متعلقاً على غيره او كان ممتداً فى الارض •
- ٤- ان الثمر هو بلوغ أو ان حمل الاشجار •
- ٥- ان الثمر هو تمام حمل الاشجار سوا ١٦ نضج أو لم ينضج •
- ٦- أن الثمر هو الذى يجمع ويحني ويحصد من الاشجار •
- ٧- الثمر يطلق اول شىء على ما تنتجه الاشجار والنباتات وقد يطلق على غير ذلك على سبيل المجاز •

(١) انظر : الصحاح للجوهري ج٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٦ ، المنجد فى اللغة (٧٤) تهذيب اللغة للازهري ج٥ ص ٨٣-٨٥ ، معجم مقاييس اللغة ، ج١ ص ٣٨٨ ، المصباح المنير ص ٨٤ ، لسان العرب ج١ ص ٢٧٢ ، القاموس المحيط ، الفيروز ابادى ج١ ص ٣٩٧ ، تاج العروس للزبيدي ، ج ٣ ، ص ٧٧ •

(٢) الثمر في القرآن الكريم :

لقد ورد لفظ الثمر مفردا وجمعا ومضافا في القرآن الكريم أربع وعشرين مرة في اثنين وعشرين موضعا كما هو مبين في جدول الآيات القرآنية الآتية :

(١) قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون) البقرة (٢٢) .

(٢) قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) البقرة (٢٥) .

(٣) قال تعالى : (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) البقرة (١٢٦) .

(٤) قال تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) البقرة (١٥٥) .

(٥) قال تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) البقرة (٢٦٦) .

(٦) قال تعالى : (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتات كل شيء فأخرجنا منه خضرا ثمخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أشمر وبينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الانعام (٩٩) .

(٧) قال تعالى : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمروا أتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) الانعام (١٤١) .

- (٨) قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الاعراف (٥٧) .
- (٩) قال تعالى : (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) الاعراف (١٣٠) .
- (١٠) قال تعالى : (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد (٣) .
- (١١) قال تعالى : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) ابراهيم (٢٢) .
- (١٢) قال تعالى : (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا) ابراهيم (٣٧) .
- (١٣) قال تعالى : (يبينت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل (١١) .
- (١٤) قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) النحل (٦٧) .
- (١٥) قال تعالى : (ثم كلى من كل كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل (٦٩) .
- (١٦) قال تعالى : (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا واعرز نفرا) الكهف (٣٤) .
- (١٧) قال تعالى : (واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) الكهف (٤٢) .

(١٨) قال تعالى : (وقالوا ان نتبع الهوى معك نتخطف من ارضنا أولم
نمکن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن
أكثرهم لايعلمون) القصص (٥٧) .

(١٩) قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به
ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرايب سود) فاطر (٢٧) .

(٢٠) قال تعالى : (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)
يس (٣٥) .

(٢١) قال تعالى : (إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائى قالوا
أذنك مامنا من شهيد) فصلت (٤٧) (السجده) .

(٢٢) قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء
غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لــــــذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم)
محمد (١٥) .

(٣) الثمر فى أقوال المفسرين :

لقد تتبععت معنى الثمر فى أقوال المفسرين فظهر لى أن جميع ما قاله
العلماء فى معنى الثمر لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

أولا : قال تعالى : (فاخرج به من الثمرات) :

(١) قال الأصفهانى :

ثمر : الثمر اسم لكل ما يتطعم من أعمال الشجر الواحد ثمرة والجمع
ثمار وثمرات (١) .

(١) المفردات فى غريب القرآن / الراغب الاصفهانى (٨١) .

(٢) قال المراغى :

• والشمرات : المأكولات مما يخرج من الأرض والشجر (١) .

شانيا : قال تعالى : (ونقص من الأموال والأنفس والشمرات) :

(١) قال النسفى :

• شمرات الحرث (٢) .

ثالثا : قال تعالى : (انظروا الى ثمره) :

(١) جاء فى القرطبى :

والشمر فى اللغة جنى الشجر ، وقال مجاهد : الشمر اصناف المال ،
والشمر ثمر النخل ، وكأن المعنى على قول مجاهد : انظروا الى
الأموال التى يتحصل منه الثمر والصحيح فى البقول أنها الثمرة (٣) .

(٢) ذكر الالوسى :

اي ثمر ذلك الزيتون والرمان والمراد شجرتهما والنخل وغيره مما
يثمر أى إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضيلا لا يكاد ينتفع به إلى حال
نضجه وكيف يعود ضخما ذا نفع عظيم ولذة كاملة (٤) .

(٣) قال الخازن :

اي كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة
الكثيفة اليابسة (٥) .

رابعا : قال تعالى : (كلوا من ثمره) :

(١) جاء فى روح المعانى :

• " آكله " أى ثمره الذى يؤكل من النخل والزرع (٦) .

(١) تفسير المراغى / احمد المراغى (٢١٠/١) .

(٢) تفسير النسفى (٩٨/١) .

(٣) تفسير القرطبى (٢٤٨٥/٢ - ٢٤٨٨) .

(٤) روح المعانى / الالوسى (٢٤٠/٧) .

(٥) تفسير الخازن (٣٩/٢) .

(٦) روح المعانى / الالوسى (٣٨/٨) .

- (٢) قال الخازن :
(مختلفا أكله يعنى باختلاف الطعوم فى الثمار كالحلو والحامض
والجيد والردىء) • (١)
(٣) وذكر النسفى :
• اى وقت طلوع الشجر والثمر (٢)
(٤) قال الشوكانى :
• آى اذا حصل فيه الثمر وان لم يدرك ويبلغ حد الحصاد (٣)

خامسا : قال تعالى (ونقص من الثمرات) :

- (١) جاء فى الخازن :
• يعنى اتلاف الغلات بالآفات (٤)
سادسا : قال تعالى : (ومن كل الثمرات)

- (١) قال الآلوسى :
• اى جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجوده فى الدنيا ضديـن
وصنفين إما فى اللون كالأبيض والأسود ، أو فى الطعم كالحلو والحامض
أو فى القدر كالمصغير والكبير أو فى الكيفية كالحار والبارد وما
• أشبه ذلك (٥)

سابعاً : قال : (فأخرج به من الثمرات) :

- (١) قال الخازن :
• والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا (٦)

-
- (١) تفسير الخازن (٥٨/٢) •
(٢) تفسير النسفى (٥٨/٢) هامش الخازن •
(٣) فتح القدير / الشوكانى (١٦٩/٢) •
(٤) تفسير الخازن (١٢٢/٢) •
(٥) روح المعانى / الآلوسى (١٠٠/١٣) •
(٦) تفسير الخازن (٨٠/٣) •

(٢) جاء في التفسير الكبير :

لفظ الثمرات يقع في الاغلب على ما يحصل على الاشجار ويقع أيضا على

الزرع والنبات (١) .

شامنا : قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (ثم كل من كل —

الثمرات) :

(١) قال الالوسي :

• الثمرة حمل الشجر ، وتقال الثمرة للشجرة أيضا (٢) .

تاسعا : قال تعالى : (وكان له ثمر) (واحيط بثمره) :

(١) جاء في الفتوحات الالهية :

والثمر هو الحمل الذى تخرجه الشجرة وسواء أكل أو لا ، فيقال

ثمر الاراك وثمر العوسج ، كما يقال ثمر النخل وثمر العنب ، قال

الازهرى : وأثمر الشجر أطلع ثمره أول ما يخرجه فهو مثمر ، ومن

• هنا قيل لما لانفع فيه ليس له ثمر (٣) .

عاشرا : قال تعالى : (لياكلوا من ثمره) :

(١) قال النسفى :

اي مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى

والتلقيح وغير ذلك من الأعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى

أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه ، وفيه أشار من كد بن آدم (٤) .

(٢) وجاء فى الخازن :

• اي من الثمر الحاصل من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه (٥) .

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى (٢٤١/٥) .

(٢) روح المعانى / الالوسي (١٨٣/١٤) .

(٣) الفتوحات الالهية / سليمان الشهير بالجمل (٢٣/٣) .

(٤) تفسير النسفى (٧/٤) .

(٥) تفسير الخازن (٧/٤) .

الاستنتاج :

بعد عرض أقوال المفسرين فقد استنتجت من أقوالهم أن الثمر لا يخرج

عن المفاهيم الآتية :

- (١) أن الثمر هو أول ما يخرج من الشجر قبل النضج وبدأ حمله .
- (٢) أن الثمر هو حمل الشجر سواء نضج أو لم ينضج على اختلاف أنواعه .
- (٣) أن الثمر هو ما يحصل من الشجر وغيرها من المطعومات وغير المطعومات .
- (٤) أن الثمر هو ما يجمع ويغسل ويجنى ويحصد بعد نضج الشجر من الزرع والغرس .
- (٥) أن الثمر يأخذ معنى الشجر على اعتبار الخروج فالشجر خارج من الأرض والثمر خارج من الشجر وعلى اعتبار الجنس بمعنى أن الثمر جنس الأشجار والأشجار جنس الزرع والحرس والغرس .
- (٦) أن الثمر يأخذ معنى الزرع والنبات على اعتبار الخروج والظهور والنمو والتطور وأنه محصوله .
- (٧) أن الثمر هو ما كان من فعل الله سبحانه وتعالى في الخلق والايجاد ثم فعل الانسان بالكد والسعي في الحرث والزرع (١) .

(١) راجع :

- تفسير النسفى (٩٨/١) .
- تفسير الخازن (٥٨/٢) .
- فتح القدير للشوكانى (١٦٩/٢) .
- الفتوحات الالهية / سليمان الشهير بالجمل (٢٣/٣) .
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية / محمد ابراهيم (٩٧/١) .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم (١٨٠/١) .

ولعل بعض هذه المعانى التى يدور عليها لفظ الثمر يجمعها قول صاحب البصائر حيث يقول : (قد ورد فى القرآن الكريم على أربعة أوجه :

- (١) بمعنى الفواكه المختلفة " ومن ثمرات النخيل والاعناب " (١) .
" كلوا من ثمره اذا أشعر " (٢) .
" له فيها من كل الثمرات " (٣) ولها نظائر .
- (٢) عبارة عن كثرة المال " وكان له ثمر " (٤) اى مال كثير مستفاد
قاله ابن عباس .
- (٣) بمعنى الاولاد والأحفاد فى قول بعض المفسرين " ونقص من الأموال
والأنفس والثمرات " (٥) .
- (٤) بمعنى الأزهار والأنوار " ثم كلى من كل الثمرات " (٦) أى من
الأزهار والأنوار .

والثمر فى الأصل اسم لكل ما يتطعم من احمال الشجر الواحدة ثمرة
والشمار نحوه والثمر هو الثمار وقيل : هو جمعه ويكنى به عن المال
المستفاد كما تقدم عن ابن عباس ويقال ثمر الله ماله أى كثره .

ويقال لكل نفع يصدر عن شىء : ثمرته كقولك : ثمرة العلم العمل
الصالح وثمره العمل الصالح الجنة وثمره السوط عقد اطرافها تشبيها
بالثمر فى الهيئة والتدلى عنه كتدلى الثمر عن الشجرة (٧) .

-
- (١) سورة النحل : آية ٦٧ .
 - (٢) سورة الانعام : آية ١٤١ .
 - (٣) سورة البقرة : آية ٢٦٦ .
 - (٤) سورة الكهف : آية ٣٤ .
 - (٥) سورة البقرة : آية ١٥٥ .
 - (٦) سورة النحل : آية ٦٩ .
 - (٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجدالدين ابن يعقوب
الفيروز آبادى المتوفى سنة ٨١٧هـ تحقيق الاستاذ محمد على النجار، الجزء
الثانى الباب الخامس (باب الثاء) ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، توزيع دار الباز للنشر
والتوزيع ، المكتبة العلمية . بيروت : لبنان .
وأنوار : ازهار الأشجار بدايه أى عند ظهور الزهر وبدايته وهو
جمع : النواره مضموما مشددا نور الشجر ويجمع أيضا على نوار . انظر
لسان العرب (٣ / ٧٤٠) .

(٤) الثمر فى الحديث النبوى الشريف :

لقد ساقنى البحث التزاما بموضوع الرسالة الى بيان معنى الثمر فى الحديث الشريف فجمعت ما تيسر لى من الاحاديث الشريفة التى ذكر فيها الثمر كما هى مبينه فى الجدول الآتى :

أولا : ذكر البخارى فى صحيحه :

(١) عن نافع أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أخبره عن النبى صلى الله عليه وسلم عامل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يعطى أزواجه مائة وسق، ثمانون وسق، وعشرون وسق شعير فقسم عمر خيبر فخير أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أن يقطع لهن من الماء والارض أو يمضى لهن فممنهن من اختار الارض ، ومنهن من اختار الوسق وكانت عائشة اختارت الأرض (١) .

(٢) عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع ثمر الثمر حتى يزهو ، فقلنا لأنس ما زهوها ، قال تحمر وتصفر أرأيت أن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك (٢) .

(٣) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباعوا الثمر حتى يبدو صلاحه ، ولا تباعوا الثمر بالتمر قال سالم وأخبرنى عبد الله عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص بعد ذلك فى بيع العرية بالرطب أو بالتمر ولم يرخص فى غيره (٣) .

(٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزابنة أن يبيع ثمر حائطه ان كان نخلا بتمر كـيـلا ،

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٧/٣) الحرث والمزارعة . باب المزارعة بالتمر
(٢) صحيح البخارى (١٠٣/٣) البيوع . باب بيع الخاضرة
(٣) صحيح البخارى (٩٨/٣) البيوع . باب بيع المزابنة

وان كان كرما أن يبيعه بزبيب كيلا أو كان زرعا ، أن يبيعه بكييل
طعام ، ونهى عن ذلك كله (١) .

ثانيا : وجاء فى صحيح مسلم :

(١) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة
والمزابنة بيع الثمر بالثمر كيلا ، وبيع الكرم بالزبيب كيلا (٢) .

(٢) عن جابر بن عبد الله ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كراء الأرض وعن بيعها السنين ، وعن بيع الثمر حتى يطيب (٣) .

(٣) عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب آجلى اليهود والنصارى من أرض
الحجاز ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر
أراد اخراج اليهود منها . وكانت الأرض ، حين ظهر عليها ، لله
ولرسوله وللمسلمين فأراد اخراج اليهود منها ، فسألت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يقرهم بها ، على أن يكفوا
عملها ، ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " نقركم بها على ذلك ماشئنا " ففروا بها حتى أجلاهم
عمر الى تيماء وأريحاء (٤) .

(٥) الثمر فى أقوال المحدثين :

لقد تتبعت معنى الثمر فى أقوال المحدثين فظهر لى أن جميع ما قاله

العلماء فى معنى الثمر لا يختلف عما قاله أصحاب المعاجم اللغوية .

-
- (١) صحيح البخارى (١٠٢/٣) كتاب البيوع باب بيع الزرع بالطعام كيلا .
 - (٢) صحيح مسلم (١١٧١/٣) كتاب البيوع باب تحريم بيع الرطب بالتمر
إلا فى العرايا .
 - (٣) صحيح مسلم (١١٧٦/٣) كتاب البيوع باب النهى عن المحاقلة
والمزابنة .
 - (٤) صحيح مسلم (١١٨٧/٣ - ١١٨٨) كتاب المساقاة باب المساقاة
والمعاملة بجزء من الثمر والزرع .

- (١) جاء في فتح الباري :
- المساقاة في النخل والكرم وجميع الشجر الذي من شأنه أن يثمر (١)
- (٢) قال ابن حجر :
- اشقح ثمر النخل اشقاحا اذا أحمر أو أصفر ، والاسم الشقح (٢) .
- (٣) وذكر ابن حجر :
- أصل الحب مثلا الزرع ، وأصل الثمر مثلا الشجر (٣) .
- (٤) قال العيني :
- قال ابن الاعرابي : زها النخل يزهو اذا ظهرت ثمرته وأزهو
اذا أحمر أو أصفر (٤) .
- (٥) وجاء في عمدة القاري :
- واما لأن الغالب في اشجارهم كان النخل وفي معناه كل ثمر بارز يرى
في الشجر كالعنب والتفاح اذا بيع أصول الشجر ولم تدخل هذه الثمار
في بيعها الا أن شرط (٥) .
- (٦) وذكر العيني :
- المخابرة بيع الثمار قبل أن تطعم لأن الثمر قبل زهوها خضراء (٦) .
- (٧) قال العيني :
- ويكون للمشتري ما ينبت حتى ينقطع ثمره (٧) .
- (٨) وذكر العيني :
- ان يجتنى الثمر من جنيت الثمرة اذا أخذتها من الشجرة (٨) .
- (٩) وجاء في عمدة القاري :
- الثمر الكائن على رؤس الشجر ، فان الثمر الذي هو الرطب لا يطيب
الا على رؤس الشجر (٩) .

-
- (١) فتح الباري شرح صحيح البخاري / ابن حجر (١٣/٥) .
- (٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / ابن حجر (٣٩٦/٤) .
- (٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / ابن حجر (٤٣١/٤) .
- (٤) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري / العيني (٥/١٢) .
- (٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني (١١/١٢) .
- (٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني (١٤/١٢ - ١٥) .
- (٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني (١٤/١٢) .
- (٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني (١٦٦/١٢) .
- (٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / العيني (٣٠١/١١) .

الاســــــــــــتنتاج :

بعد عرض أقوال المحدثين فقد استنتجت من أقوالهم أن الثمر لا يخرج
عن المفاهيم الآتية :

- (١) ان الثمر هو جنى الشجر وحصاده .
- (٢) ان الثمر يدل على الخروج والظهور من الشجر والزرع .
- (٣) ان الثمر يدل على النمو والزيادة .
- (٤) أن الثمر يأخذ معنى النبات .
- (٥) ان الثمر هو الدليل على معرفة اسم الشجر .
- (٦) ان الثمر منه مايكون فى رأس الشجر ومنه مايكون من خلال فروعــــــــه
واغصانه ومنه مايكون على الأرض ومنه مايكون مع جذور النبات
داخل التربة .

المبحث السابع

علاقة ألفاظ النبات بعضها ببعض وبيان اطوار عناصر النبات

التي تدل على أنواعه وأشكاله وصفاته

بعد أن عشنا هذه الفترة الوجيزة من الزمن والدراسة المستفيضة من البحث ونحن نتجول خلالها ما بين كتب اللغة العربية وكتب التفسير والحديث بحثا عن النبات لمعرفة معناه ومعنى الزرع والحرق والشجر والنخيل والتمر والعلاقة بينه وبين تلك الالفاظ من حيث اللفظ والمعنى فنجد أن النبات والزرع والحرق والشجر والنخل والتمر كلها ألفاظ مختلفة في المبنى فكل لفظ منها يختلف عن الآخر من حيث مبنى حرفه اختلافًا متباينًا أما من حيث المعنى كما مر معنا سابقًا من التعاريف والآراء عند اللغويين والمفسرين والمحدثين والاستنتاجات حول ذلك نجد أن اللغويين والمفسرين والمحدثين اتفقوا في آراءهم وتعريفاتهم إلى أن الزرع والحرق والشجر والنخل والتمر كلها ألفاظ تهدف إلى معنى واحد وهو النبات ، فالنبات أعم وأشمل من كل تلك الالفاظ فهو يشملها كلها ويشمل غيرها بما ينبت في الصحراء والجبال وبين الصخور وعلى حواف الترع والعيون والأنهار والمياه .

فالزرع نبات والحرق نبات ، والشجر نبات ، والنخل نبات والتمر نبات . لكن هناك بعض التفاوت في معاني تلك الالفاظ وذلك يتعلق بوظيفة كل لفظ ليناسب مسماه على الترتيب .

ويبدأ من النبات البذرة وينتهي إلى النبات الثمرة إذا فالنبات يمر بمراحل مختلفة مرتبة من وضعه في الأرض إلى أن يحمى . فأول ما يكون بذرة توضع في الأرض وذلك بعد شق الأرض وتسميدها وتقليبها وسقيها وهذه أول مرحلة في النبات وهي ما يسمى الحرق ثم

بعد ذلك ياتى دور النبات فى الزرع وهو عندما يبدأ ظهور هـذا المفعول والمجهود فى النبات على وجه الأرض وينمو ويكبر ويسمى الزرع ، والزرع مختلف الاشكال ومتعدد الأنواع فمنه الصغير أى الشجيرات الصغيرة ومنه الكبيرة ، ومنه مايمتد على وجه الأرض ، ومنه مايتسلق على غيره ، ومنه مايقف على ساق ومنه ما لاساق له ثم يأتى بعد ذلك دور النبات فى الشجر بكل أنواعه كما أسلفنا سابقا وبيننا والنخل كذلك .

وبعدها يكون النبات فى دور الثمرة التى تعم كل ما يحصد ويجنى سواها كان من الشجرة الكبيرة العالية وهى كما ذكر القرآن منها الفاكهة والرمان والزيتون ، أو ما كان من النخل وهـو الرطب والتممر ، أو ما كان من الشجيرات الصغيرة مثل الزهور والحبوب ، أو ما كان على غير ساق قائمة مثل بعض الخضروات والأعشاب والكأ أو ما كان ممتدا على وجه الأرض مثل البطيخ والقرع أو ما كان فى باطن الأرض مثل الجزر والبطاطس أو ما كان متسلقا مثل نبات الزينة والجمال أو ما كان عريشا مثل العنب .

والنبات على عمومه له عدة عناصر لابد له منها لانه يتكون منها فى كل أحواله ومراحله وبها يعرف نوع النبات ، فالنبات يعرف بورقه وزهره وثمره . هذه العناصر الشكلية الظاهرة التى يتكون منها النبات وهى أكثر دلالة عليه وهناك العناصر الأخرى التى تكون هى أساس تكوينه وكل عنصر له وظائفه الخاصة التى تخدم النبات اذكره باختصار موجز لأنه ليس مجال بحثى ولكن لبيان قدرة الله سبحانه وتعالى فى خلق النبات وانه صنعته عز وجل بدقة واتقان ولم يكن هذا النبات فى الأرض عشوائيا او من الطبيعة ولكن بقدره الله عز وجل بحيث جعل له عناصر يمر فيها حتى يكتمل نمو هذا النبات ويستفيد منه

الانسان والحيوان ولتعم الفائدة عن الموضوع عند قراءته وهو:—————
كما يلي :

١ - البذور :

البذور هي أساس تكاثر النباتات ولقد عرفها علماء النبات بأنها نبات جنينى صغير فى حالة سكون ، لديه ما يحتاج اليه أثناء الانبات من غذاء مدخر ، وتغلفه أغلفة تحميه من المؤثرات الخارجية وتنتج عن البذرة من نبات بالغ سابق ، وتبدأ منها حياة جيل جديد (١) .

وهذا مصداق لقوله تعالى : (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) (٢) .

وقال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) (٣) .

وللمفسرين فى معنى هذه الآيات أقوال :

١- قال تعالى (ولا حبة فى ظلمات الأرض) قال الصاوى : أى هى التى يضعها الزارع للنبات فيعلم الله موضعها ويعلم هل تنبت أولا (٤) .

٢ - جاء فى تفسير الجواهر :

وذكر الدقائق فى الورقة والحبة فى باطن الأرض ، وهى الحبة قبل أن تنبت فاذا نبتت لم تكن حبة (٥) .

-
- (١) النبات العام : تأليف مجموعة من الدكاترة (ص ١٩) .
(٢) سورة الأعمام : اية (٩٥) .
(٣) سورة الانعام اية (٥٩) .
(٤) حاشية الصاوى على تفسر الجلالين: احمد الصاوى (٢٠/٢) مطبعة الاستقامة / ١٣٥٣هـ .
(٥) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم / طنطاوى جوهر (٣٧/٤) ط ٣ (١٩٧٤م) .

٣- قوله تعالى : (ان الله فلق الحب والنوى) يقول القرطبي :
الفلق : الشق ، أى يشق النواة الميتة ، فيخرج منها ورقا أخضرا .
وكذلك الحبة ، ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحية ، وفى قوله تعالى :
(وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض) أى ما يسقط من
ورق الشجر الا يعلم متى يسقط وأين يسقط وكم يسقط ويدور فى الهواء
ولا حبة الا يعلم متى تنبت وكم تنبت ومن يأكلها (١) .

٤ - وجاء فى تفسير المنار:
والحبّ بالفتح اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون فى السنبل والأكمام والجمع
حبوب والواحدة حبة والحبّ بالكسر بذر ما لا يفتت مثل بذور الرياحين، والنوى جمع نواة
وهى عجمة التمر والزبيب وغيرها ، والعجمة بالتحريك ما يكون فى داخل
التمر والزببية ونحوها ، والمعنى أن الله هو فلق ما تزرعونه من
حب الحصيد ونوى التمرات وشاقه بقدرته وتقديره ، الذى ربط به أسباب
الانبات بمسبباتها ، ومنها جعل الحب والنوى فى التراب وارواء التراب
بالماء ، وبذلك يخرج الزرع وهو حي من الميت وهو التراب والحب والنوى
وغيره من البذور (٢) .

٥ - وذكر سيد قطب فى مفهومها فقال :
وفى كل لحظة تنفلق الساكنة عن نبتة نامية ، وتنفلق النواة الهامدة
عن شجرة صاعدة ، والحياة الكامنة فى الحبة والنواة النامية فى النبتة
والشجرة (٣) . وقد ورد لفظ الحبة فى القرآن اثنتى عشرة مرة فى احدى عشر
موضعا بكل مراداته ، وان كان المراد به عند المفسرين من الحب والحبّة

(١) تفسير القرطبي . (٢٤٨٠/٣) (٢٤٤٠/٣) .

(٢) تفسير المنار / السيد محمد رشيد رضا (٥٢٥/٧) .

(٣) فى ظلال القرآن / سيد قطب (١١٥٣/٢) .

أنها أنواع الحبوب من القمح وغيره ، الا أن هذا يفيد أن أصل النباتات هو البذرة والحببة ، جاء في تفسير الشيخ الشعراوي عند قوله تعالى: (لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا) (١) .

انظر الدقة في التعبير لا يمكن أن يقولها الا خالق ، اولا النباتات والجنات والالفاف لازم لها من جراثيم بذرية لكي تطلع منها ، فيبقى الحب هذا هو الاصل ، ان كنت أنت ترى شيئا ليس له حب ، فهو في الاصل جاء من حب ، اذا فكل شيء له بذرة ، ان كنا نحن نزرع الان باشياء من غير بذرة ، يعنى نأخذ منها عقل ونغرسها فلان يكون أصلها بذرة (٢) .

نفهم مما سبق أن البذور هي أحد عناصر تكوين النبات ، وهي مادة ساكنة لاحتياجها ولاحركة غير نافعة للاقتيات بها ، وتستخرج من نبات سابق ، ولا بد أن يكون محتفظا بقيمته حتي يستفاد منه مستقبلا ، أي لا يكون فاسدا ، ولا متعفنا ، وبوضع هذه البذور في الارض وخدمتها ، تنشق من أسفلها ويخرج منها الجذور التي تمتد في داخل الأرض ، وتنشق من أعلاها فيخرج منها ساقا يشق سطح الأرض ويظهر عليها ، ثم ينمو وتظهر عليه الاوراق والفروع والأغصان ، ثم الازهار ثم الثمار ، وهكذا يكون دور البذور في النبات والفائدة منها ، ومن فائدة البذور أيضا أن بها يستطيع الانسان أن يحدد نوع النبات الذي يرغب زراعته والفائدة منه واستهلاكه .

(١) سورة النبا : آية ١٥-١٦ .

(٢) تفسير سورة النبا / الشعراوي (٦٧) .

المختار من تفسير القرآن / الشعراوي (٦١/٢) .

مفتاح دار السعادة / ابن القيم الجوزية (٢٢٧/١ - ٢٢٨) .

٢ - الجذور :

وهذه الجذور على أنواع وصفات متعددة ، فالجذور تمتد إلى أسفل الأرض على استقامة الساق ثم تخرج منه فروع جانبية تمتد إلى أسفل ثم تتفرع إلى فروع صغيرة تمتد في كل اتجاه ويمتد هذا المجموع الجذري ويتشعب في أرجاء التربة وينتشر في حيز كبير منها . وتقوم الجذور بوظائف :

- (١) تثبيت النبات في التربة .
- (٢) امتصاص الماء والأملاح .
- (٣) اختزان الغذاء المدخر .
- (٤) تعمل على تفكيك التربة وزيادة نفاذيتها وتهويتها (١) .

٣ - الساق :

يقصد بالساق محور النبات الذي يحمل الأوراق والبراعم والأزهار والشمار . والاصل فيه أن يكون عضوا قائما اسطوانيا يتجه في الهواء إلى أعلى حاملا الأوراق والأزهار ومعرضا ايها للضوء والهواء مما يمكنها من تأدية وظائفها على أكمل وجه وتختلف السيقان في صفاتها وأشكالها وأنواعها في النباتات سواء كانت قائمة أم ممتدة منبسطة على الأرض أم متسلقة عاليه أو قصيره غليظة أو رقيقة صلبة قوية أو رخوة ضعيفة ، وللساق وظيفتان أساسيتان في النبات وهى مايلى :

- (١) حمل الأوراق ووضعها في الموضع الملائم لحدوث عمليتى التمثيل الضوئى والنتج وحمل الأزهار ووضعها في المكان المناسب لحدوث عمليتى التلقيح والاصاب .

(١) مقتبس بتصريف من كتابى :

- النبات العام : د. مصطفى عبدالعزيز ، د. احمد مجاهد ، د. احمد

البار ، د. عبدالرحمن أمين (١٥ - ٤٣) .

- كتاب الجغرافيا المناخية والنباتية ، عبدالعزيز طريح شرف

(٣٤٩) .

٢ - توصيل الغذاء غير المجهز من الجذور الى الأوراق والبراعم والازهار والثمار ، وكذلك توصيل الغذاء العضوي المجهز من الأوراق الى مختلف أجزاء النبات (١) .

وعلى هذا فان كل النباتات لها سيقان سواء كانت سيقان قائمة أم ممتدة - فوق التربة أم تحتها فكل نبات لابد له من ساق لأن له وظائف مهمة يؤديها للنبات فلا بد من وجوده الا أن السيقان تختلف في أشكالها وأنواعها وصفاتها وتكوينها فكل ساق يكون حسب نوع النبات (٢) . وكنت قد ذكرت سابقا في تعريف الشجر في اللغة وعند المفسرين والمحدثين أن الشجر هو ما قام على ساق ومالم يقيم على ساق من النباتات فليس بشجر وإنما النجم كما ذكره القرآن - فهذا يخص الشجر فقط بالسيقان وبقيصة النباتات لا توجد لها سيقان ، وفي هذا تعارض وعدم توافق بين ما ذكر في القرآن واللغة وأقوال المفسرين والمحدثين وبين ما ذكر علميا من أن كل النباتات لابد لها من ساق .

ولأجل أن يكون هناك توافق وترايط بين ما ذكر في الاستنتاجات وما ذكر في تعريف الساق علميا أنه في تعريف المفسرين واللغويين والمحدثين قصدوا بذلك هو الأصل في الساق أن تكون قائمة مرتفعة الى أعلى سواء كانت صلبة أو غير ذلك ولم يقصدوا بذلك وجود سيقان لبعض النباتات وبعضها ليس لها ساق أصلا وإنما لها ساق غير أنها غير قائمة لذلك قالوا : الشجر كله نبت يقوم على ساقه منتصبا أصله . والنجم لا يقوم أصله على ساقه مرتفعا في الهواء (٣)

-
- (١) مورفولوجيا النبات وتشرح النبات : د. حسين العروسي ، د. عماد الدين وصفى (١٨٣) النبات العام (٦٣) .
- (٢) انظر : مورفولوجيا وتشرح النبات ، د. حسين العروسي ، د. عماد الدين وصفى (١٨٤ - ٢٤٣) ، ٢ ، النبات العام (٥٣ - ٧٥) .
- (٣) انظر :
- الجواهر في التفسير ، طنطاوى جوهر (١٤٥/١) .
- تفسير الرازي (٢٣٧/٥) .

وجاء فى حاشية الشهاب : اشتهر أن الشجر ماله ساق ولكن ماوقع فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ (١) وفى حديث البخارى (شجرة الثوم) (٢) يدل على خلافه . قال الكرمان العامة تخصص الشجر بماله ساق وعند العرب كل شىء له أرومة تبقى فهو شجر وغيره نجم ويشهد له قول أفصح الفصحاء ، ولك أن تقول أصل معناه ماله أرومة لكنه غلب فى عرف أهل اللغة على ماله ساق وأغصان(٣) .

§ - الأوراق :

أتى لفظ الورق فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة الانعام عند قوله تعالى ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ (٤) قال القرطبى أى ورق الشجر الا يعلم كم تسقط ومتى تسقط واين تسقط وكم تدور فى الهواء(٥) .

وهى أعضاء نباتية محدودة النمو ، مسطحة رقيقة أو غير ذلك ، غنية بالكلورفيل عادة ، تخرج من الساق من أماكن معينة وتوجد الأوراق على الساق بترتيب هندسى ثابت لكل نوع من أنواع النبات والأوراق هى أكثر أعضاء النبات اختلافا فى الشكل والسمك والنوع والصفه ، والأوراق هى أهم أعضاء النبات استخداما فى التعرف على النبات بعد تركيب أزهارها وللورقة وظيفتان رئيسيتان هما :

- ١ - عملية التمثيل الضوئى وهى تكوين المواد الكربوهيدراتية فى النبات .
- ٢ - عملية النتج وهى أهم عامل يساعد فى صعود الماء والعناصر الذائبة من الجذور الى أعلى النبات (٦) وجعل الورق أيضا

(١) سورة الصافات ، آية (١٤٦) .
(٢) صحيح البخارى (٢١٦/١) كتاب الصلاة ، باب ماجاء فى الثوم النبىء .
(٣) حاشية الشهاب (٢٨٦/٧) .
(٤) سورة الانعام : آية (٥٦) .
(٥) تفسير القرطبى (٢٤٤٠/٣) .
(٦) مورفولوجيا وتشريح النبات : د. العروسى ، د. عماد الدين وصفى (٢٤٥) .

سترا ولباسا للثمرة ووقاية لها من الآفات التي تمنع كمالها ووقايسة
لمنبت الثمرة الضعيفة من اليبس (١) .

٥ - الأزهار :

وهي أعضاء النباتات التي تحتوى على أعضاء التكاثر الجنسي ويحدث
بها التلقيح والاختصاص ثم يتكون عنها البذور والزهرة عبارة عن ساق قصيرة
متحورة للتكاثر الجنسي وتحمل أوراقا متخصصة . اذا الزهرة هي وسيلة
التكاثر للنبات والمحافظة على بقاء نوعه (٢) .

ومعنى هذا أن كل النباتات لها أزهار لأن الزهرة هي وسيلة التكاثر
للنبات والمحافظة على بقاء نوعه الا أن هناك اختلاف فى الأزهار فممن
النباتات أزهارها واضحة معروفة مختلفة الاشكال والأنواع والألوان ونباتات
لا ترى أزهارها ولا تكون على الشكل المعروف ومن هنا كان تقسيم علماء
النبات للمملكة النباتية الى نباتات زهرية ونباتات اللازهرية : جاء فى
كتاب النبات العام " وأهم ما تتميز به النباتات اللازهرية هو أنها
لا تحمل أزهارا بالمعنى المعروف فى النباتات الراقية " (٣) .

٦ - الثمار :

ان كلمة ثمرة تعنى فى اللغة الدارجة شيئا نأكله ، وحيانا نتوسع
فيها كى يشمل أعضاء نباتية تأكلها الحيوانات مثل ثمار البلوط والثمرة هي
ليست سوى نهاية نمو المبيض الذى هو الجزء الداخلى الأساسى من الزهرة (٤) .

-
- (١) مفتاح دار السعادة : ابن قيم الجوزية (٢٢٦/١) دار الكتب العلمية .
 - (٢) المملكة النباتية : د. حسين العروسى ، د. عماد الدين وصفى (١٦٩) .
 - (٣) النبات العام (٢٦٠-٢٦٤) وانظر كتاب المملكة النباتية ، د. حسين العروسى ، د. عماد الدين وصفى (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥) .
 - (٤) كتاب المعرفة ، النبات (١٠٤/١) .

والثمرة تكون بعد التلقيح عقب الاخصاب ووظيفة الثمار حمل البذور وحمايتها ومدتها بالغذاء اللازم حتى استكمال نموها . وقد تساعد الثمار فى انتشار البذور (١) . والثمار اما أن تكون صلبة واما ليننة كبيبرة أو دقيقة صغيرة ، إلا أنها جميعا تتألف من غلاف اسمه الغلاف الثمـرى يحتوى على بذرة أو أكثر (٢) .

وصدق الله العظيم اذ قال فيها : * وما تخرج من ثمرات مــــن أمامها * . قال القرطبي : اى اوعيتها ، فالاكمام وعاء الثمر وأوعيتها واحدهما كمة . والكمة والوعاء قبل أن تنشق . فاذا انشقت اى انشق عنها الوعاء أو الغطاء أو الغلاف وظهرت الثمرة فليست بكمة (٣) .

-
- (١) المملكة النباتية : د. حسين العروسى ، د. عماد الدين وصفى (١٩٦) ، وانظر : دائرة المعارف - معارف القرن العشرين ، محمد فريــــد وجدى (٧٦٤/٢) ط ٣ ، ١٩٧١ م) دار المعرفة للطباعة والنشر .
- (٢) كتاب المعرفة : النبات (١٠٤/١) .
- (٣) تفسير القرطبي (٥٨١٥/٧) سورة فصلت (٤٧) .

”عوامل التنبيه“

ويتكون من مباحث :-

١. المبحث الأول : الأرض
٢. المبحث الثاني : الماء
٣. المبحث الثالث : الهواء
٤. المبحث الرابع : الشمس

الفصل الثانى

عوامل الانبيات

المبحث الاول : الأرض :

هيا الله سبحانه وتعالى عددا من العوامل التى تؤدى الى ظهور النبات ، وقيامه بدوره الذى سخره الله سبحانه وتعالى للقيام به وأهم هذه العوامل ما يلى :

أولا : الأرض :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الواسع وما فيه من الكواكب، ومنها الأرض حيث جعلها كوكبا معدا للحياة ومجهزا لاستقبال الخلق عليها من بنى آدم والحيوان والنبات وغير ذلك من الجمادات (١) ، وهذه الأرض المحيطة الواسع فيها من الايات التى تشهد بعظمة الخالق وقدرته وانفراده فى ملك هذا الملكوت . يقول الله تعالى "وفى الأرض آيات للموقنين" (٢) .

ويقول: " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ... " (٣) . وقد ورد لفظ الأرض معرفا ونكرة مفردا وجمعا فى (٤٦١) موضعا فى القرآن (٤) .

(١) انظر معجم المسطحات الجغرافية - د. يوسف التونى ص ٢٣ .

(٢) سورة الذاريات : اية (٢٠) .

(٣) سورة العنكبوت : اية (٢٠) .

(٤) معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية

(٣٦-٣٥/١) ط ٢ ، (١٣٩٠ هـ) الهيئة المصرية للتأليف

والنشر .

مظاهر سطح الأرض :

من آيات الله سبحانه وتعالى في مظاهر سطح الأرض ما يلي :

أ - أنه قسمها إلى يابس وماء حيث قال تعالى: " أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون " (١) . وقال تعالى: " ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " (٢) .

ب - أنه سبحانه وتعالى خلق الجبال جزءاً من الأرض وسخرها لمنفعة الإنسان ومصالحته بان أرساها فوق سطح اليابسة وذلك لحفظ توازنها من الحركة والاضطراب فقال تعالى: " وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم " (٣) .

وثبتها بان جعلها منغرسه في أعماق الأرض غرساً كالأوتاد التي تثبت الخيمة فقال تعالى: " ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً " (٤) .

- مهمة الأرض وصفاتها ووظائفها :

أولاً : مهمة الأرض :

إن مهمة الأرض هي استقبال الخلائق من الإنسان والجن والحيوان والنبات بكل أنواعه وأصنافه من الفواكه والنخل والقوت والزينة وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى في قوله تعالى: " والأرض وضعها

(١) سورة النمل: آية (٦١) .

(٢) سورة الإسراء: آية (٧٠) .

(٣) سورة النحل: آية (١٥) .

(٤) سورة النبأ: آية (٦-٧) .

للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان (١) .

ولاجل أن تؤدي مهمتها وتقوم بوظائفها لهذه المخلوقات وخاصة النبات لابد ان تكون لها مواصفات معينة تناسب حركة الخلاق عليها وقد جمع الله سبحانه وتعالى الخلاق كلهم في هذه الآية في كلمة (الأنام) فالأنام: الناس ، عن ابن عباس ، وقال الحسن: الجبن والانس . وقال الضحاك : كل مادب على وجه الارض (٢) .

بينما نجده فصل في النبات وتذكر كل أنواعه واصنافه في مجمل كلمات معدودة، فالفاكهة تعطينا كل أنواع الفواكه والنخل تعطينا الغذاء والفاكهة ، والحب يعطينا كل أنواع الحبوب للغذاء، والريحان يعطينا كل أنواع الزينة ذات الرائحة الذكية والمنظر الجميل .

ثانيا : صفات الأرض ووظائفها :

١- أنه سبحانه وتعالى جعل الأرض قرارا للإنسان ليأمن فيها ويستقر في حياته ، بما فيها من الثبات والبهجة والجمال فقال تعالى : في قرارها ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء

٢- أنه سبحانه وتعالى مد الأرض وبسطها وجعل لها سطحاً ممدوداً مبسوطاً أمام النظر ليعيش الإنسان عليها ويحيا ويسير ويعمل

-
- (١) سورة الرحمن : آية (١٠-١٢) .
 - (٢) تفسير القرطبي (٦٣٢٥/٧) .
 - (٣) سورة غافر آية (٦٤) .

ويسلك ما فيهما من سبل وطرق لأسباب المعاش . يقول تعالى في بسطها (والله جعل لكم الأرض بساطاً ، لتسلكوا منها سبيلاً فجاجاً) (١) .

وقال تعالى في سطحها : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقنا —————) وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) (٢) .

وقال تعالى في مدها : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٣) .

ومد الأرض وبسطها وسطحها له علاقة وثيقة بالنبات . لذلك نجد القرآن الكريم ربط وصفها بالمد والبسط بالنبات كما في هذه الآية . وفي آية أخرى حيث قال تعالى : " وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٤)

وفي آية أخرى قال تعالى : " والأرض بعد ذلك دحاهماً ، اخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها) (٥) .

قال الرازي : (دحاها) أي بسطها ومهدها للسكنى وذلك بتسوية امر المشارب والمأكول واماكن القرار عليها باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتاداً لها حتى تستقر عليها (٦) .

-
- (١) سورة نوح : آية (١٩-٢٠) .
 - (٢) سورة الغاشية (١٧-٢٠) .
 - (٣) سورة ق آية (٧) .
 - (٤) سورة الرعد آية (٣) .
 - (٥) سورة النازعات آية (٣٠-٣٢) .
 - (٦) الفخر الرازي (٣٢٨/٨) .

٣ - من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن جعل لهم الأرض ممهداً
والمهد والمهاد هو الفرش واسم لكل ما يفرش كما قال تعالى:
(الذى جعل لكم الأرض فراشا) (١) .

وفى اخرى (والأرض فرشناها فنعم الماهدون) (٢) .
(الم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) (٣) .

والفرش والمهد هو راحة الانسان عند الصحو وفى المنام ولاجل
ان يكون الفرش هريحا يجب ان لا يكون فى غاية الصلابة لانه يؤلم
البدن ، ولا يكون فى غاية الليونة لانه يغوص الانسان فيه ، مثل
الماء فلا يرتاح ، فكذلك الأرض نجد ان الله سبحانه وتعالى
من حكمته ورحمته بعباده وخلقها لم يجعلها كلها صلبة فى غاية
الصلابة فلو كانت كذلك لتعذرت الزراعة عليها والمشى عليها
ولم يجعلها فى غاية الليونة ، فلو كانت كذلك لغاص الانسان فيها
وجميع المخلوقات وانما جعلها وسطا بين هذا وذاك ، لتكون فراشا
للانسان والحيوان والنبات ، يستطيع كل مخلوق منهم ان يؤدي دوره
ومهمته التى سخره الله سبحانه وتعالى للقيام بها على هـ
الأرض والأرض المفروشة الممهدة لها دور كبير فى مساعدة النباتات
لاداء مهمته ، لذلك نجد القرآن ذكر النبات بعد ذكر الأرض بالمهد
حيث قال تعالى : (الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا
وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا
وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى " (٤) . (٥)

-
- (١) سورة البقرة آية (٢٢) .
(٢) سورة الذاريات آية (٤٨) .
(٣) سورة النبا آية (٦-٧) .
(٤) سورة طه آية (٥٣-٥٤) .
(٥) انظر مفتاح دار السعادة / لابن القيم الجوزية (١/٢١٧-٢١٨) .

٤ - أنه سبحانه وتعالى جعل الأرض ذلولا للإنسان أي أنه ذللها
وسهلها للإنسان وذلك بان سخرها له ، فانقادت هذه الأرض للبشر
لكي ينتفع بها ويكل ما على سطحها وباطنها فقال تعالى : (هـ
الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزق
واليه النشور) (١)

والأرض الذلول كانت تعنى في أذهاب المخاطبين القدامى
هذه الأرض المذلة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة . . . وبالفلك
التي تمخر البحار . . . ، والمذلة للزرع والجنى والحصاد . . . ،
والمذلة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح
للزراعة والانبات ، وجعلها سبحانه ذلولا ببسط سطحها
وتكوين التربة اللينة فوق السطح ، ولو كانت صخورا صلبة كما
يفترض العلم بعد برودها وتجمدها لتعذر السير عليها . . . ،
ولتعذر الانبات . . . ، ولكن هذه التربة الخصبة هي الصالحة للحياة
التي أنشأ ما فيها من النبات والأرزاق (٢) .

٥ - أنه سبحانه وتعالى جعل الأرض كفاتا قال تعالى : (الم نجعل
الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا) (٣) ، أي تضم وتجمع المخلوقات
داخلها وخارجها وأرزاقهم وأسباب معاشهم وحاجاتهم من الطعام
والشراب وغيره ، والكفات في اللغة : الضم والجمع . ويقصد به
في الآية عدة معاني ، كما ذكرها الرازي في تفسيره فقال :
لمعنى كفاتا وجوها :

(١) سورة الملك آية (١٥) .

(٢) نظر المنهج الايماني للدراسات الكونية : عبد العليم خضر (٣٦٢-٣٦٣) .

(٣) سورة المرسلات ، آية (٢٥-٢٦) .

أحدها : انها تكفت احياء على ظهرها وامواتا فى بطنها ، والمعنى ان الاحياء يسكنون فى منازلهم ، والاموات يدفنون فى قبورهم — ولهذا كانوا يسمون الارض اما ، لانها فى ضمنها للناس كالام التى تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يضمنون اليها جعلت كأنها تضمهم .

ثانيها : انها كفت الاحياء بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من — الامور المستعذرة .

ثالثها : أنها كفت الاحياء بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانس — ان اليه فى حياته ، من مأكـل ومشرب لان كل ذلك يخرج من الارض والابنية — الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها .

رابعها : أن قوله (احياء وامواتا) معناه راجع الى الارض والحي — وما انبت ، والميت مالم ينبت (١) .

فيكون المعنى المراد منها هو انها تضم وتجمع فى باطنها وعلى — ظهرها جميع المخلوقات الانسان والحيوان والنبات ، الجذور فى داخلها والساق والورق والزهر والثمر على ظاهرها .

٦- انه سبحانه وتعالى جعلها قابلة للتصدع والتشقق وذلك — اما ان تتصدع وتشقق بذاتها نتيجة لفعل الحركات الباطنية فيتخلف عن ذلك اثارا عظيمة من المعادن وكذلك تتصدع وتشقق — شقوقا صغيرة عند خروج النبات على سطحها فهذا من بيان قدرة الله عزوجل فى أنه كيف جعل هذا النبات الضعيف ، يقوى ان يشقق — الارض ويخرج منها بما اودع الله سبحانه وتعالى فيه من قدرة على ذلك واما ان تتصدع وتشقق بفعل الانسان فيها وذلك —

(١) تفسير الفخر الرازى (٢٩٤/٨) .

بان تكون قابلة للتصدع ليسهل على الانسان شقها بحرثها وزراعتها
وليسهل على الانسان حفرها للبناء عليها وهذا مصداق لقوله تعالى:
(والسماء ذات الرجج ، والارض ذات الصدع) (١) .

الرجج : المطر ، والصدع : الشق .

جاء في تفسير ابن عباس : (ذات الرجج) اي المطر سمي رججيا
لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم
يرجعه الى الأرض ، أو أراد بذلك تفاوت الارض ليرجع بمعنى ان اللـ
يرجعه حيناً بعد حين .

(والارض ذات الصدع) هو تشققها بالنبات لان الاقسام

(١) سورة الطارق : (آية ١١-١٢) .

فى الآيات على حقيقة الصدع والشق بالنبات المحاكى للبعث والنشور كما ذكر فى الآيات (١) .

وقال تعالى فى آية أخرى : (فلينظر الانسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فىها حبا ، وعنبا وقضبنا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم) (٢) .
يتضح من الآية أن هناك علاقة وثيقة بين الماء وصدع الأرض وشقها والنباتات وذلك لأن فى تشقيق الأرض وتصديعها فائدة للحرث والزرع والغرس ، حتى تكون الأرض هشة من أجل أن يتخللها الهواء وأشعة الشمس من أعلى ، وتشقق من أسفل بامتداد الجذور وغوصها فيها فتقوى ، فمن شأن الجذور أن تتعمق وتكبر كلما كبرت الشجرة لتكون أقدر على تثبيتها فى الأرض (٣) .

٧ - جعل الله سبحانه وتعالى سطح اليابسة على ثلاثة أنواع ، ليستطيع الانسان أن يستغلها ويستفيد منها فى كل جوانب الحياة وأسباب المعيشة ومنها :

- أ - صلدة صلبة قوية ينتفع بعض منها مثل الجبال والصخور .
- ب - رخوة طيبة ينتفع بها كلية للسكن والزراعة .
- ج - سبخة لا ينتفع بها فى النبات وهى المالحة .
- د - رملية لا ينتفع بها فى النبات .

وهذا ماورد فى صحيح البخارى : عن أبى موسى الأشعري عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب

-
- (١) انظر: تنويرالمقibas تفسير ابن عباس (٤٣٧/٨-٤٣٨) .
وانظر الفخر الرازى (٣٧٦/٨) .
 - (٢) سورة عبس : الآيات (٢٤-٣٢) .
 - (٣) انظر : تفسير الشعراوى ، سورة عبس (٥٢-٥٣) .
• وجود الله : جمال الدين عياد (ص ١٨) .
• نعمة الله : جمال عياد (ص ٩٩-١٠١) .

الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماءً ولاتنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه دى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به " (١) .

وهذا ما قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى : " وهو الذى مد الأرض ، وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " (٢) .

قال الفخر الرازى عند تفسيره لهذه الآية وتقرير ذلك من وجهين :
الاول : انه حصل فى الأرض قطع مختلفة الطبيعة والماهية وهى مسطح ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخية وبعضها تكون رخوة وبعضها تكون صلبة ، وبعضها تكون منبثة ، وبعضها تكون صخرية أو رملية ، وبعضها تكون طيناً لزجاً ، ثم انها متجاورة ، وتأثير الشمس وسائر الكواكب فى تلك القطع

(١) صحيح البخارى (٣٠/١) كتاب العلم .

صحيح مسلم (١٧٨٧/٤) كتاب الفضائل .

مختصر المنذرى لصحيح مسلم (٤٠٢) .

المطر: الغيث .

الكأوالعشب : العشب والكأوالحشيش كلها اسماء للنبات . لكن الحشيش

مختص باليابس ، والعشب والكأ مقصوران مختصان

بالرطب والكأ بالهمزة يقع على اليابس والرطب .

اجادب : لاتنبت الكأ .

قيعان : الأرض المستوية وقيل الملساء وقيل التى لانبات فيها ولاتنبت

وهذا هو المراد كما بينها الحديث والمراد بها هى الأرض الرملية

والله اعلم لان الرمل لايمسك ماء . انظر هامش صحيح مسلم (١٧٨٧/٤ - ١٧٨٨)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

فقه : فهم .

(٢) سورة الرعد : آية (٣ - ٤) .

على السوية فدل هذا على أن اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير.

وقال أبوبكر الأصب: أرض قريبة من أرض أخرى واحدة طيبة وأخرى سيخة وأخرى حرة، وأخرى رملة، وأخرى تكون حصاء، وأخرى تكون حمراء، وأخرى تكون سوداء، وبالجملة فاختلاف بقاع الأرض في الارتفاع والانخفاض والطباع والخاصية أمر معلوم.

ثانياً: أن القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد فيكون تأثير الشمس فيها متساوياً ثم إن تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية (١).

إذاً من خلال ما مر معنا سابقاً نجد أن الأرض عنصر أصيل من عناصر انبات النبات، بما سخر الله سبحانه وتعالى فيها من أسباب الانبات وهي التربة، والتربة كما علمنا من الحديث السابق أن أجودها للزراعة والنبات هي ما كانت رخوة وتتوفر فيها كل أسباب الحياة للنبات، وما تحويه من المعادن والأملاح، وبما هيأها الله عز وجل لذلك في الحقل والبيـر والصحراء أو الجبل.

والتربة بمعناها الضيق: هي المواد الصخرية المتفتتة التي طرأ عليها التغير الكيميائي، واختلط بها نسبة من المواد العضوية والسائلة والغازية فاصبحت ملائمة لنمو نوع أو أكثر من أنواع الحياة النباتية (٢).

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي (١٨٠/٥-١٨١).

تفسير القرطبي (٣٥١٠/٤-٣٥١١) - طريق المهجرتين / ابن قيم الجوزية

(١٧٢ - ١٧٣) مفتاح دار السعادة / ابن القيم الجوزية (١٩٩/١-٢٠٠).

(٢) الجغرافيا المناخية والنباتية / عبدالعزیز طريح شرف (٣٤٠).

والنبات لا يأخذ كل غذاءه من الأرض ونموه وزياداته التي تدخل في بنيته ليس فقط من الأرض ، وإنما بعضها من الأرض وبعضها من الهواء وبعضها من الماء كما سيأتى معنا ، والنبات جسم حي فهو بصفة الحياة يأخذ من الأرض ما يناسبه من عناصرها الكثيرة كالنيتروجين والفسفور والحديد والجير والأملاح (١) .

إذا تعتبر التربة بدون شك من أعظم الثروات الطبيعية للإنسان في حياته ترتبط به ارتباطا مهما وثيقا ومباشرا ، فهي العنصر الأساسي المباشر للنبات الذي يجد فيها احتياجاته اللازمة لنموه ووجوده ، وتكاثره وتنوعه ومن النبات يحصل الإنسان على كل احتياجاته في الحياة من غذاء وكساء وسكن ، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر . وقد قال الله تعالى في ذلك : " يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تكونون " (٢) .

وفي أخرى قال تعالى : (ألم ترأ أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (٣) .
وقال تعالى : (ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون) (٤) . وانتفاع الإنسان بما فى الأرض من النعم تكريم له واعلاء لشأنه وأنه سيد المخلوقات ، واطهار لمعنى خلافته فى الأرض حيث قال تعالى : (ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٥) .

(١) تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا (٢٢/٣-٢٣) .

(٢) سورة فاطر : آية (٣) .

(٣) سورة لقمان : آية (٢٠) .

(٤) سورة الاعراف : آية (١٠) .

(٥) سورة الاسراء : آية (٧٠) .

المبحث الثانى

ثانيا : الماء :

الماء: هو السائل اللطيف الشفاف (١) .

وهو عصب الحياة ، وهو المصدر الجوهرى لكل كائن حي، فمن الماء خلق الانسان والحيوان والنبات ، هذه المخلوقات لاتستطيع أن تستغنى عنه أبدا ، ان جسم الانسان لا يستطيع أن يستغنى عن الماء ، لان الماء عنصر من عناصر مكوناته ، بما فيه من المواد المركبة التى تفيد الجسم ، والانسان كذلك لا يستغنى عنه شرابا لارواء عطشه كما قالتعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (٢) .

وقالتعالى : (أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) (٣) .

ولا يستغنى عنه كذلك استخداما للطهر غسلا ووضوء ، غسلا للملابس طهيرا للطعام ، تنظيف للمنزل ، ولبناء المنازل .

وجسم الحيوان كذلك لا يستغنى عنه ، حيث قال تعالى : (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لئلا نحيا به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناس كثيرا) (٤) .

والماء بالنسبة للنبات عامل مهم جدا لانباته ، كما قالتعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (٥)

(١) معجم الفاظ القرآن الكريم (٦٦٩/٢) .

(٢) سورة النحل : آية (١٠)

(٣) سورة الواقعة : (٦٨-٦٩) .

(٤) سورة الفرقان: آية (٤٨-٤٩) .

(٥) سورة الحج (٥) .

وقال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أهله مع الله بل هم قوم يعدلون) (١) .

وذلك أن الماء المختلط بحبيبات التربة من أهم العوامل التي تتدخل بقدرة الله تعالى في عمليات التحلل الطبيعية والكيميائية ، التي تحدث للكائنات العضوية التي توجد في التربة ، وهي بقايا مخلفات الحياة النباتية والحيوانية بمختلف أنواعها ومراتبها (٢) .

يقول الحق سبحانه وتعالى في ذلك : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) (٣) .

أولاً : أصل الماء وأقسامه :

١- أصل الماء :

عند قراءة الآيات عن الماء يتساءل القارئ عن أصل الماء هل ابتداءً أولاً من السماء أم كان من الأرض مباشرة؟ وهذا ما سوف أبينه من خلال النصوص القرآنية وأقوال المفسرين .
قال مجاهد : ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء .

(١) سورة النمل: آية (٦٠) .

(٢) الجغرافيا المناخية والنباتية / عبدالعزيز طريح شرف (٣٤٢ - ٣٤٨)

ط ٩ (١٩٨٣ م) دار الجامعات المصرية .

(٣) سورة الكهف : آية (٤٥) .

قال القرطبي : وهذا ليس على اطلاقه ، والا فالاجاج ثابت في الأرض ،
فيمكن ان يقيد قوله بالماء العذب ، ولامحالة ان الله تعالى قد جعل
في الارض ماء وأنزل من السماء ماء (١)

قال الألوسي : ومعظم الفلاسفة يزعمون أن ذلك الماء من انقلاب البخار
المحتبس في الأرض ماء إذا مال الى جهة منها برد وليس لماء المطر
دخل فيه ، وكونه من السماء باعتبار أن لاشعة الكواكب التي فيها مدخلا
فيه من حيث الفاعلية (٢) .

وقال سيد قطب : في وقت مبكر جدا تكونت البحار من اتحاد الايدروجين
بنسبة (٢) والاكسوجين بنسبة (١) ومن اتحادهما ينشأ الماء . وقال : ثم قام
يفعل فيها الماء ، هابطا من السماء أو جاريا في الارض (٣) .

من أقوال المفسرين نفهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الماء أولا
من الأرض ، ثم بعد ذلك أنزل الماء من السماء ، وجعل منه البحار والمحيطات
المالحة والأنهار والعيون والآبار العذبة ، كما قال تعالى : (والأرض بعد
ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها، متاعا لكم
ولأنعامكم) (٤) .

وقال تعالى : (وهو الذي هدانا لهذا الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم
يبتفكرون) (٥) . وذلك عن طريق دورة المياه التي جعلها الله سبحانه

-
- (١) القرطبي (٤٥٠٤/٥) .
 - (٢) روح المعاني للالوسي (١٨/١٨) .
 - (٣) في ظلال القرآن/ سيد قطب (٣١١٠-٣١١١) .
 - (٤) سورة النباذعات (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) .
 - (٥) سورة الرعد : آية (٣) .

وتعالى فى سنن هذا الكون بان تتكون بعدة أمور مرتبطة بعضها ببعض ، وهى الحرارة وبخار الماء ثم التميعيد ثم البرودة والتكاثف ونزول المياه . وقد اثبتت الأبحاث الحديثة أن القارات قد دفعت الى قشرة الأرض من باطنها . . فى شكل مواد منصهرة اصطحبت معها عنصرى الاكسجين والايروجين المتحديين فى شكل بخار الماء (١) .

والله أخرج من الأرض ماءها سواء ما يتفجر من الينابيع أو ما ينزل من السماء فهو أصلا من ماءها الذى تبخر ثم نزل فى سورة مطر (٢) .

وقد ثبت أن ماء المطر ليس مخزونا فى مكان معين ، ولكنه دورة بين السماء والأرض حيث تقوم أشعة الشمس بأمر الله تعالى بتبخير بعض ماء البحار والمحيطات ، وتحوله الى بخار تحمله الرياح الى مناطق اشارة السحب وتلقيحها ، وهذه اضافة جديدة لمفهوم عجز الانسان عن تخزين ماء المطر (٣) . وذلك مصداق قوله تعالى : " وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين " (٤) .

-
- (١) انظر : المنهج الايمانى / د. عبدالعظيم خضر (٤٧٢) .
الكون والانسان فى التصور الاسلامى / حامد قنبرى (٢٦) ط (١٤٠٠ هـ) مكتبة الفلاح .
 - (٢) هندسة النظام الكونى فى القرآن ، د. عبدالعليم خضر (١٣٥) .
وجود الله / جمال عياد (٧١ ، ٧٣) .
 - (٣) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، د. عبدالعليم خضر (٢٥) .
وجوه من الاعجاز القرآنى / مصطفى الدباغ (١٠٣-١٠٤) .
 - (٤) سورة الحجر: آية (٢٢) .

٢ - الجبال والماء :

وللجبال دور كبير فى سقوط الامطار وتكوين المياه العذبة فنجده ربط بين رسو الجبال وشموخها وكونها أوتادا ، وبين الابخرة والسحب ومجارى الانهار وانبثاق الينابيع ، وادرار القوت والرزق وضمان المنافع ومن عجيب الاعجاز ان هذه الحقائق قد ذكرت على لسان نبى ٢مى فاذا لم تذكر الأنهار مع الجبال ذكر ما يكون من آثارها من الخصب والنماء والقوت والرزق والمتاع (١) .

وقال تعالى : (والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) (٢) .

ودور الجبال فى سقوط الأمطار هو عندما يصعد بخار الماء التسي تحمله الرياح الى أعلى يصطدم بالجبال الشامخات فتجبر الهواء الرطب على الارتفاع إلى أعلى فيبرد ويتكاثف ويسقط مطرا غزيرا (٣) .

لذلك نجد أن القرآن الكريم فى كثير من الآيات ربط بين إنزال الماء من السماء وبين الجبال ووجود النبات . وهذه الدورة وهذا الربط فى قوله تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٤) .

(١) الانسان فى الكون بين العلم والقرآن / د. عبدالعليم خضر (٢٠٦) .

(٢) سورة النازعات (٣٢-٣٣) .

(٣) انظر : الظواهر الجغرافية/ د. عبدالعليم خضر (٢٤) .

مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية (١/٢٢٣-٢٢٤) .

الجغرافيا المناخية والنباتية/ د. عبدالعزيز طريح شرف (٢١٢) .

دنيا الزراعة والنبات وما فيها من آيات/ عبدالرزاق نوفل

(٥٧-٦١) ط ١ .

(٤) سورة لقمان : آية (١٠)

ثم نجد ه قرن بين وجود الجبال بالأنهار والنبات ، لما للجبال من دور فى تكوين الأنهار وبمياه الأنهار والعيون والآبار العذبة تسقى النباتات وتروى فقال تعالى : (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك آيات لقوم يتفكرون) (١)

ثم ربط بين الجبال الرواسى الشامخات والماء العذب الفرات فقال تعالى : (وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) (٢) .

ثم قرن الجبال الرواسي بالانهار فقال تعالى : (وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون) (٣) .

وفى آية أخرى كان الربط بين الجبال الرواسي والنبات فقال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) (٤) .

وفى أخرى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٥) .

وفى غيرها جعل الربط فقط بين انزال الماء من السماء والنبات ، وهذا دليل على أن النبات لا ينبت الا من الماء العذب الحلو ، سواء كان من ماء المطر مباشرة أو من ماء الأنهار او العيون أو الآبار التى تتكون من الأمطار ، فقال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) (٦) .

-
- (١) سورة الرعد : آية (٣) .
 - (٢) سورة المرسلات : آية (٢٧) .
 - (٣) سورة النحل : آية (١٥) .
 - (٤) سورة الحجر : آية (١٩) .
 - (٥) سورة ق : آية (٧) .
 - (٦) سورة ق : آية (٩) .

٣ - أقسامه :

١- أنواع الماء ورد في القرآن العظيم اربعا وستين مرة ، وينقسم الماء في القرآن الكريم إلى نوعين عذب ومالح ، كما قال تعالى: (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (١) .

وقال تعالى : (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) (٢) .

٢- الماء العذب في القرآن الكريم :

- ١ - قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (٣) .
- ٢ - قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيح فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولى الاباب) (٤) .
- ٣ - قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) (٥) .

-
- (١) سورة فاطر : آية (١٢) .
 - (٢) سورة الفرقان : آية (٥٣) .
 - (٣) سورة ق: آية (٩ ، ١٠ ، ١١) .
 - (٤) سورة الزمر: آية (٢١) .
 - (٥) سورة فاطر : آية ٢٧ (٤٧)

جدد : جمع جدة وهي الطريقة : أى طرائق تخالف لون الجبل أو طرق ظاهرة . انظر مختار الصحاح (٩٥) .
غرابيب : أى شديدة السواد . انظر مختار الصحاح (٤٧٠) .

٤ - قال تعالى : * وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت
سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات

كذلك فخرج الموتى لعلكم تذكرون * (١) .

٥ - قال تعالى : * ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * (٢) .

٦ - قال تعالى : * وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه

تأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ،

ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * (٣) .

ومن الآيات السابقة نرى أن الماء العذب الفرات له أهميته وضرورته

لقيام أى نوع من أنواع الحياة فوق سطح الأرض والماء العذب مصدره الأساس هو

المطر ، ثم يكون هذا الماء فى الأرض عيونا وأنهارا وينابيع ، ومنه مايسكنه

الله سبحانه وتعالى فى الأرض فقال تعالى : * وأنزلنا من السماء ماء بقدر

فأسكناه فى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون (٤) .

وقال تعالى : * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * (٥)

وفى آية أخرى : * ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى

الأرض (٦) . والينبوع : العين يخرج منها الماء ، وفى بعض التفاسير العين التى

لاينضب ماؤها وهو أيضا الجدول يجرى فيه الماء (٧) .

وعلى هذا فالمياه العذبة هى المياه الجوفية الموجودة فى داخل التربة ،

والذى يتسرب اليها عن طريق الانهار أو البحيرات أو الأمطار ، وقد يرتفع السى

السطح كما فى الواحات والعيون الطبيعية أو يضح بالمضخات كما فى الآبار

الصحراوية (٨) .

(١) سورة الاعراف (٥٧) .

(٢) سورة نوح (١٢) .

(٣) سورة يس (٣٣ - ٣٤ - ٣٥) .

(٤) سورة المؤمنون (١٨) .

(٥) سورة الاسراء (٩٠) .

(٦) سورة الزمر (٢١) .

(٧) معجم الفاظ القرآن الكريم (٦٨٢/٢) .

(٨) الموسوعة العربية الميسرة (١٦٠٦/٢) دار النهضة ، لبنان ، ١٩٨٠م ، معجم

المصطلحات الجغرافية / د . يوسف التونى (٤٣٣) .

فسواء كانت المياه الجوفية من الأنهار أو القنوات فان كل المسطحات المائية من الأمطار ، وعند نزول الأمطار على الأرض منها ما يأخذ شكلا ظاهرا ، وهو مثل الأنهار والعيون الجارية التي تصب في البحار والمحيطات ومنها ما يتسرب الى باطن الأرض وهي المياه الجوفية مثل الينابيع والآبار .

ثانيا : أوصافه ومترادفاته :

ماء المطر ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه بأوصاف متعددة والفاظ مترادفة :

١ - قال تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) (١) .

٢ - قال تعالى : (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضي أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (٢) .

من خلال النصين السابقين نجد انه مرة ذكره بلفظ مطر ومرة بلفظ ودق ثم نجده بعد ذلك أتى بأوصاف متعددة :

- ١- أنه يحي الأرض الميتة . قال تعالى : (والله أنزل من السماء ماء — فاحيا به الأرض بعد موتها) (٣)
- ٢- أنه ماء طهور صالح للشرب والتطهر به من الاحداث لانه طاهر في نفسه مطهر لغيره فقال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) (٤)

-
- (١) سورة النور: آية (٤٣) .
 - (٢) سورة النساء : آية (١٠٢) .
 - (٣) سورة النحل: آية (٦٥) .
 - (٤) سورة الفرقان : آية (٤٨) .

ودق : قيل ما يكون من خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر .
انظر لسان العرب (٩٠١/٣) - المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني (٥١٧) .

- ٣ - أنه ما مبارك فقال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) (١) .
- ٤ - أنه ماء غزير كثير مغدق غامر من المطر المدرار فقال تعالى : (وألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) (٢) .
- ٥ - أنه ماء زلال عذب حلو فرات والغرات ما اشتدت عذوبته . قال تعالى : (وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) (٣) .
- ٦ - أنه معين جار ظاهر للعيون ويسهل تناوله قال تعالى : (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين) (٤) .
- ٧ - أنه ماء شاجا سائلا منصبا بكثرة فقال تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماء شاجا) (٥) .
- ٨ - أنه مصبوب صبا من السماء الى الارض اى مسكوبا فقال تعالى : (انما صببنا الماء صبا) (٦) .
- وكلمة صب تشعر بغزارة وقوة وكثرة (٧) .

-
- (١) سورة ق : آية (٩) .
- (٢) سورة الجن : آية (١٦) .
- (٣) سورة المرسلات : آية (٢٧) .
- (٤) سورة الملك : آية (٣٠) .
- (٥) سورة النبأ : آية (١٤) .
- (٦) سورة عبس : آية (٢٥) .
- (٧) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية / محمد اسماعيل ابراهيم (٩٥/١) ، (١/٢ - ٣٧ - ٨٥ - ١٠٦ - ٢٠٧ -) ط ٢ دار الفكر العربي . وانظر تفسير سورة عبس / الشيخ الشعراوي (٥١) .

ثالثا : فوائده :

من خلال العرض السابق للماء نجد أن للماء العذب علاقة كبيرة بالنبات، والماء لا يصل الى النبات الا بعد أن يمر بأدوار ومراحل وسنن كونية دقيقة محكمة مرتبة ، لاتتقدم ولاتتأخر ، ولاتتوانى او تنتهى الا بامرته تعالى كما مر معنا سابقا ، وهى البحار والمحيطات والشمس وبخار الماء والجبال والسحب والتكاثف والبرودة ، ثم نزول المطر كل هذه الخدمة التى سخرها الله سبحانه سبحانه وتعالى والاستعدادات للماء لخدمة النبات وتشريفه لما له من الفوائد للانسان والحيوان والكون . وأن عدم نزول المطر سبب من أسباب انعدام النبات كما قال الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل أبقالها (١)

وبما أن الموضوع فى النبات والماء عامل من عوامل انبات النبات أذكر من فوائده للنبات خاصة ثم فوائده العامة :

اولا: فوائده الخاصة بالنبات :

- ١- أول ما يبدأ الانبات هو دخول الماء الى البذرة فتشرب أنسجة البذرة المختلفة الماء ويزداد حجمها .
- ٢- أن توفر الماء وامتصاص البذور له يؤدي الى زيادة الماء بداخل البذور (٢) .
- ٣- ان الماء ضرورى للانبات لان التغيرات التى تطرأ عليه لاتحدث الا بوجود الماء .

(١) الكامل فى اللغة / المبرد (٧٨/٢) مكتبة المعارف .
(٢) مورفولوجيا وتشريح النبات : د. حسين العروس ، د. عماد الدين وصفى (١٤-١١) دار المطبوعات الجديدة .

- ٤ - ان الماء مكون من مادة الاكسوجين والنبات يستفيد منه .
- ٥ - ان التغيرات الفيزيائية التى تحدث للنبات هى نتيجة امتصاص البذور للماء وانتفاخها وازدياد حجمها .
- ٦ - ان الماء يساعد على نشاط البذرة الحية التى تكون سببا فى تحول المواد الغذائية المختزنة من صورة غير ذائبة الى صورة اخرى ذائبة حتى يستفيد منها النبات (١) .
- ٧ - ان الماء يقوم بعملية اذابة الاملاح والمعادن المكونة فى التربة لكي تمتصها الجذور فيستفيد منها النبات .
- ٨ - ان بعض النباتات تعتمد على الماء المدخر فى انسجتها فى فصل الجفاف .
- ٩ - ان الماء عامل مهم فى عملية التمثيل الضوى للنبات .
- ١٠ - ان الماء لا يكفى فى ضروريته لاتمام الكثير من العمليات الكيميائية والطبيعية داخل النبات ، ولكنه موصل للمواد الغذائية الى بقية اجزاء النبات قبل أن يتم نتحه عن طريق الورق (٢) .
- ١١ - الماء يلعب دورا هاما فى تعديل او تلطيف درجة حرارة النباتات بما يمكنه من مقاومة ارتفاع درجة الحرارة الوقتى والمفاجيء (٣) .
- ١٢ - ينقل حبوب اللقاح والبذور من مكان الى آخر فهو سبب لتكاثر النبات . كل ذلك يتم بقدرته تعالى وحكمته فى ملكوته وتسخيره لمن اراد ان يسخره فقال له كن فيكون : (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) (٤) .

-
- (١) مقتبسا من كتاب النبات العام (٢٢-٢٣) .
 - (٢) اسس الجغرافيا الحيوية / د. زين الدين عبدالمقصود (٨٣) .
 - (٣) المصدر نفسه (٨٤) .
 - (٤) سورة يس : آية (٨٢-٨٣) .

ثانيا : فوائده العامة :

- ١ - يقوم بنقل الغذاء المهضوم من الامعاء الى الخلايا والاعضاء للانسان والحيوان .
 - ٢ - يخفف حرارة الجسم الداخلية .
 - ٣ - تلطيف حرارة الجو والارض .
 - ٤ - وسيلة للنقل اذ ينتقل الناس عن طريقه من بلد الى آخر لقول الله تعالى : (وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (١) .
 - ٥ - اطفاء الحرائق .
 - ٦ - توليد الكهرباء (٢) .
 - ٧ - جمال يزين الكرة الارضية بما يعطيها من اللون الازرق الذى يشعـر باللطف واللين ، وبما جعل الله سبحانه وتعالى منه الاثر العظيم فى تشكيل سطح الارض وتحويلها الى قطع زمردة خضراء ملونة متجاورات ، كما قال تعالى : ﴿ انا جعلنا ها على الارض زينة لها لنبلوهم ايهـم احسن عملا ﴾ (٣) .
- وبعد هذا لا املك الا ان اقول كما قالت الأعراب فى ٢مثالها :
- (الماء ملك امر) أى أن الماء ملك الاشياء (٤) .

(١) سورة النحل: اية (١٤) .
(٢) نعمة الله : جمال عياد (٤٩-٥٢) .
(٣) سورة الكهف: اية (٧) .
(٤) كتاب الامثال / ابن سلام (٣٩٥) تحقيق د. عبدالمجيد قطامس
ط ١ (١٤٠٠ هـ) دار المأمون للتراث .

وقد ورد في مدح الماء وفوائده هذه الطرفة الادبية عن لسان الماء :

الحمد لله الذي خلق كل حي " أما بعد " فإنا أول مخلوف ولا فخر،
وانا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وانا الجوهر الشفاف المشبه
بالسيف اذا سل من الغلاف ، وقد خلق الله مني جميع الجواهر حتى اللآلئ
والاصداف ، احي الارض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع اقواتها
واكسو عرائس الرياض انواع الحلل ، وأنثر عليها لآلئ الوبل والطلل حتى
يضرب بها في الحسن المثل كما قيل :

ان السماء اذا لم تبك مقلتها - لم تضحك الارض عن شيء من الزهر

وقد جعلني الله نهرا من أنهار الجنة ، أنا أرفع الاحداث ، وأطهر الاخبات
وأجلو النظر ، وأزيل الوض (١) واذا غبت عن الناس يتضرعون الى الله
بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ، ويسألونه تعالى ارسال من قبيل
السماء والافضل من ذلك كله (ان الله خلق آدم من الماء) (٢) .

...

(١) وض : الوض : الدرر والدسم : والوضخ أي وسخ الدسم . انظر لسان
العرب (٩٤١/٣) .
(٢) جواهر الأدب : أحمد الهاشمي (٢٨٥/١ - ٢٨٦) .

المبحث الثالث

ثالثا : الهواء :

لم يرد في القرآن الهواء بلفظه وانما ورد بلفظ الرياح ، والرياح جمع ريح . والريح : هو الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والارض ، المتحرك في الطبقات المحيطة بالأرض ، يدرك بحس اللمس عند هبوبه ، يدرك جسمه ولا يرى شخصه ، والهواء : هو الغاز المحيط بالكرة الأرضية ، واتي لفظ الرياح في القرآن سبعة وثلاثين مرة ، في أربع وثلاثين موضعا ، واتي مفردا بلفظ الريح سبعة عشر مرة وجمعا بلفظ الرياح عشر مرات (١) .

انواع الريح :

الريح في القرآن على نوعين :

عذاب - ورحمة ، كما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لاتسبوا الريح فانها من روح الله تاتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله من خيرها ، وتعوذوا بالله من شرها) (٢) .

١ - جاءت الريح في القرآن مع العذاب والهلاك مفردة وهي التي اتت بلفظ ريح ومنها قوله تعالى (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صهر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) (٣) .

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٥٢٢/٢) .

وانظر معجم الألفاظ والاعلام القرآنية / محمد ابراهيم (٢٣٤/١) (٢٦١/٢)

مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزي (٢٠٠/١) .

معجم المصطلحات الجغرافية د. يوسف التونى (٢٤٩) .

(٢) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد / محمد بن محمد بن سليمان (٢٦٥/٢) .

أخرجه ابوداود في السنن (٦٢٠/٢) الأدب . وابن ماجه في السنن (١٢٢٨/٢) الأدب وقال سنده حسن . وذكره الألبانى في صحيح الجامع الصغير (١٥٢/٦) وقال السيوطى أنه صحيح فى الجامع الصغير (٢٠٠/٢) وانظر كشف الخفاء للعجلونى (٤٣٥/١) (٣٥٦/٢) وأخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير (١٧/١) عن ابى هريرة .

(٣) سورة آل عمران : آية (١١٧) .

ص : شدة البرد : أى ريح شديدة لما فيها من البرودة وهي عذاب .

انظر لسان العرب (٤٢٨/٢) .

قوله تعالى ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ فاهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ (٣) .
الا سورة يونس فانها آتت مفردة مع الرحمة عند قوله تعالى ﴿ هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن ممن الشاكرين ﴾ (٤) .

- ٢ -

مجموعة مع الرحمة والبشرى واللفظ ، وهى التى أتت فى القرآن الكريم بلفظ (رياح) ومنها قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (٥) .
جاء فى تفسير القرطبى قوله : " روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا هبت الريح : " اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " (٦) .
وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتزمة الاجزاء كأنها جسم واحد ، وريح الرحمة لينة متقطعة ، فلذلك هى رياح فافردت مع الفلك فى يونس عليه السلام

-
- (١) سورة الذاريات (٤١ - ٤٢) .
 - (٢) سورة الحاقه (٦) .
 - (٣) سورة فصلت (١٦) .
 - (٤) سورة يونس (٢٢) .
 - (٥) سورة الروم (٤٦) .
 - (٦) انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٣٨/١٠ - ١٣٩) قال رواه الطبرانى عن ابن عباس وذكر الالبانى فى ضعيف الجامع الصغير وزياداته روايه بلفظ آخر بقوله (اللهم انى أسألك من خير ماتجىء به الريح وأعوذ بك من شر ماتجىء به الريح) وقال ضعيف (٣٦٩/١) ، انظر الفتح الكبير فى ضم الزيادات الى الجامع الصغير / السيوطى (٢٤٥/١) / منتخب كنز العمال ، على بن حسام الدين (١٠٤/٢) على هامش مسند أحمد .
ريميم : بالى . انظر تفسير الخازن (١٨٤/٤) .
الصرصر : الريح الشديدة الصوت والبرد فهى تحرق بشدة بردها (انظر تفسير النسفى (٣٠٣/٤) هامش الخازن .
عاصف : شديدة . انظر مختار الصحاح (٤٣٧) .
عقيم : أى ريح لاخير فيها من تلقيح شجر أو سحاب لاتقبل أثر الخير فلا تقبل ولا تتأثر ولا تعط ولا تتأثر . انظر تفسير الخازن (١٨٤/٤) .

لان ربح اجرا٦ السفن إنماهى ربح واحدة متملة ثموصفت بالطيب فزال
الاشترار بينهما وبين ربح العذاب (١) .

والسفن إنما تسير بربح واحدة تأتي من وجه واحد لتسيرها ، فاذا
اختلفت الرياح وأتت من عدة جهات لم يتم سيرها ، فالمقصود من الرياح فى
البحر خلاف المقصود منها فى البر ، اذ المقصود فى البحر ان تكون واحدة
طيبة لايعارضها شيء فافردت فى البحر وأجمعت فى البر (٢) .

وربما الرحمة المبشرات هى موضع البحث لما فيها من الفوائد
للانسان والحيوان والنبات ، حيث أن التنفس وظيفه حيوية هامة للانسان
والحيوان والنبات ، وهذه العملية لاتتم ولاتؤدى وظائفها الا عن طريق
الهواء الموجود فى الجو حيث انها تستخلص الاكسوجين الموجود فى الهواء
الجوى الذى يدخل الجسم، ويترد ثانى اكسيد الكربون الناتج من تأكسد
المواد الغذائية، وتتخلص فائدة التنفس فى توليد طاقة يعتمد عليها الكائن
الحي فى تأدية وظائفه الحيوية الأخرى كالتمثيل والحركة والنمو (٣) .

وهذا النشاط فى جسم الكائن الحي يعتمد على الاكسوجين فى الجسم ،
ونسبة الاكسوجين فى الهواء أعلى منها فى الماء ، فمن هنا كان الهواء من
أهم العوامل التى تساعد على نمو النبات ، أو لاتقل أهمية عنها ، وأن قلة
الاكسوجين هى أحد العوامل المحددة لنمو النباتات فى الوسط المائى ، وذلك
لاهميته فى التنفس، ولهذا فان النباتات الأرضية تموت عند غمرها او عـمـر
جدورها فى الماء لعدم توفر الاكسوجين اللازم لتنفس خلاياها (٤) .

(١) تفسير القرطبي (٥٧٨/١ - ٥٧٩) .

(٢) مفتاح دار السعادة : ابن القيم الجوزية (٢٠١/١) .

(٣) النبات العام (٦) .

(٤) مورفولوجيا وتشريح النبات د . حسين العروسى ، د . عماد الدين وصفي

والهواء لا يحمل فقط عنصر الاكسوجين وإنما كذلك عنصر النتروجين —
فالهواء يتركب من مجموعة من الغازات أعلاها نسبة فيه النتروجين ثم
الأكسوجين ، وإذا تأملنا مكونات الماء والهواء نجد أنهما يتكونان من
عنصر الاكسوجين ثم هذا الاكسوجين إذا اتحد مع النتروجين كون الهواء ، وإذا
اتحد مع الهيدروجين صار ماء .

والنبات يحتاج احتياجا كبيرا للهواء والماء ، ليس فقط لما فيهما
من عنصر الاكسوجين ، ولكن يحتاج أيضا إلى العنصرين الاخرين ، وهما النتروجين
والهيدروجين ، وعند اتحاد هذين العنصرين بشروط خاصة ينتج غاز النشادر الذى
يستعمل فى تحضير السماد للزرع والنبات ، ومن مكونات الهواء كذلك غاز
ثانى أكسيد الكربون ، وهذا الغاز الموجود فى الهواء مهم جدا بالنسبة للنبات
مثل الاكسوجين إذ أنه يؤدي وظيفتين للنبات وهما :

١- يمتص الاكسوجين من الهواء ويخرج ثانى أكسيد الكربون فى اثناء الليل
ولكن فى النهار على عكس ذلك إذ أنه يمتص من الهواء ثانى أكسيد
الكربون ويخرج الاكسوجين .

٢- والوظيفة الثانية التى يؤديها للنبات هي أنه عند اتحاده مع الماء
يقوم بعملية التمثيل الضوئى للنبات مستعينا فى ذلك بالطاقة
الضوئية (١) .

إذا العلاقة وثيقة جدا بين الهواء والنبات ، وهذا ما ذكره
القرآن الكريم فى الرىاء فقال تعالى : (أمن يهديكم فى ظلمات البر
والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله تعالى الله
عما يشركون) (٢) .

(١) نعمة الله / جمال عياد (٥٦-٥٥) .

(٢) سورة النمل: آية (٦٣) .

وأوثق من ذلك العلاقة بين الهواء ومياه الأمطار والنبات . فقال
تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده
إذا هم يستبشرون) (١) . وفى آخر الآيات قال تعالى : (فانظر الى آثار رحمت
الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمخى الموتى وهو على كل شىء
قدير) (٢) .

وفى آية أخرى قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته حتى إذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا
به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٣)

والرياح لاتكون إلا بقدره الله سبحانه وتعالى فهو الذى يصرفها حيث
شاء وكيف يشاء كما قال تعالى : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء
من ماء فاتحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون) (٤) .

من خلال الآيات السابقة ترى الارتباط الوثيق بين الرياح والبحار والسحاب
ونزول الأمطار والمنافع الجنية من الرياح ، فمرة الآيات اعتمت المنافع
بالبشرى للناس بهذه الرياح وبيان آثار رحمة الله سبحانه وتعالى فى هذه
الرياح فقال تعالى (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم
من رحمته) (٥) .

-
- (١) سورة الروم: آية (٤٨) .
 - (٢) سورة الروم: آية (٥٠) .
 - (٣) سورة الأعراف: آية (٥٧) .
 - (٤) سورة البقرة: آية (١٦٤) .
 - (٥) سورة الروم: آية (٤٦) .

إذا بالرياح تحيا الأرض بالنبات والبشر والحيوان لان الماء حياة الأرض ثم إن الرياح تعمل على تلطيف الجو وأنها تحمل بخار الماء كما تحمل حبوب اللقاح للنبات وتسير السفن فى البحار.

وفى الايات الاخرى حددت المنافع من الرياح للانسان بانزال الماء وإخراج النبات من الأرض وبيان أن الرياح سبب من أسباب نمو النباتات فى الأرض وعليها ولكن بعدة عوامل هى :

١- العامل الاول: تلقيح السحب .

لم يرد ذكر التلقيح وان الرياح لواقح الا فى اية واحدة فى القرآن فى قوله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) (١)

من خلال النص القرآنى يفهم ان تلقيح الرياح للسحب بدليل إنزال الماء من السماء وتلقيح الرياح للسحب إذ لا يكفى لتكوين السحب ونزول المطر ان يبرد الهواء المشبع ببخار الماء حتى يتكثف وانما يلزم وجود نواة تبني حولها ذرات الماء المكثفة ، وهذه النويات يحملها الهواء من تراب الشهب السماوى ثم يحمل معها ذرات من الغبار الأرضى ويحملها الهواء الى طبقات الجو العليا ويلقح بها السحب فينزل المطر (٢) .

إذا ليس كل سحب يمطر وإنما الذى يمطر لازم يكون سحب من ذكورة ومن أنوثة ، لازم يكون فيه كهربائية موجبة وكهربائية سالبة ، ويجتمعان ، وهذا لا يتم إلا عن طريق الرياح بالتلقيح للسحاب

(١) سورة الحجر : اية (٢٢) .

(٢) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن / د. عبدالعليم خضر (٢٣) .

نعمة الله / جمال عياد (٥٨-٥٧) .

وجوه الإعجاز القرآنى / د. مصطفى الدباغ (٩٧) .

السالبة والسحابة الموجبة ، وينزل المطر ولكن ليس كل رياح
تلقح وإنما التي تلقح لها صفات معينة كما ذكر سابقاً .

إذا للرياح عدة وظائف لانزال الماء من السماء كما قرره
القرآن الكريم قبل أن يقررها العلم وهي :

١- تسخير الرياح المشيرة للسحب المتفرقة المبسوطة بين السماء
والأرض وذلك عن طريق بخار الماء الذي تحمله من سطح الأرض إلى أعلى
ويتكثف إلى قطرات مائية صغيرة لاتزيد عن رأس الدبوس ، فتظل
عالقة بالجو مبسوطة متفرقة ومنتشرة فيه ومن ذلك قوله تعالى
(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء) (١) .

وفي قوله تعالى (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والأرض) (٢) .

٢- تسخير الرياح التي تؤلف بين كسفه وقطعه لأن السحاب أول ما يتكون يكون
مفرقا في الجو ، ثم بعد ذلك يؤلف الله بينه ويجمعه ويجعله
قطعة واحدة ، عن طريق الرياح ، كما قال تعالى (ألم تر أن الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله
وينزل من السماء من جبال فيها برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن
من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) (٣) .

٣- تسخير السحاب الحاملة له عند انتشاره في الجو بعد أن تتجمع السحب
وتصير قطعة واحدة متراكمة ، كما قال تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت) (٤) .

(١) سورة الروم: آية (٤٨) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٦٤) .

(٣) سورة النور: آية (٤٣) .

يزجي: يسوق ويدفع . انظر مختار الصحاح (٢٦٩) .

(٤) سورة الاعراف : آية (٥٧) .

٤ - تسخير الرياح الملقحة للسحاب بعد تجمعه وتراكمه ومنها قوله تعالى:
(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
وما انتم له بخازنين) (١) . وبهذا يكون المطر سبب من أسباب نمو
النبات .

- العامل الثاني : تلقيح النبات :

إن تلقيح الرياح ليس فقط للسحب وانما أيضا تلقيح النباتات
وتلقيح النبات على أنواع : تلقيح بالحشرات ، تلقيح صناعى بالانســــــــــــــــان ،
تلقيح بالماء ، وتلقيح بالحيوانات كالطيور والخفافيش .

والتلقيح بالرياح : هو أن تعمل الرياح كعامل انتشار ، حيث تسهم
فى نقل بذور النباتات وحبوب اللقاح وتعمل على انتشارها فى مساحــــــــــــــــات
أوسع ، مما يزيد من فرص نمو النبات فى اكبر مساحة ممكنة وذلك عندما تفتقد
حبوب اللقاح فى النبات لزوجتها وتجمعها وتصبح جافة دقيقة يسهل انتشارها
بالرياح (٢) .

وهذا يقع للاشجار الكبيرة كالصنوبر فان الرياح تحمل اللقاح من
ذكرها لانثائها وقد دبر الله ذلك اللقاح فجعله كثيرا جدا ، حتى إذا حملته
الرياح وتبعثر منه أهم أجزاءه فما بقى كفى إناث الأزهار منــــــــــــــــ

(١) سورة الحجر: آية (٢٢) .

انظر: مفتاح دار السعادة/ ابن القيم الجوزية (٢١٧) .

تفسير سورة النبأ / الشعراوى (٦٦) .

نعمة الله / جمال عياد (٥٨/٥٧) .

(٢) انظر : اسس الجغرافيا الحيوية/ د. زين الدين عبدالمقصود (٩٢) دار

المعارف بالاسكندرية .

المملكة النباتية/ د. حسين العروسى ، د. عماد الدين وصفى

(١٨٩) دار المطبوعات الجديدة بالاسكندرية (١٩٨٠-١٩٨١م) (=)

ذلك النوع (١) .

إذا التلقيح بالرياح سبب من أسباب ظهور النبات ، وظهور الثمار في النبات سواء كان تلقيح للسحب أو للنبات ، والتلقيح بالرياح لم يكن معروفا سابقا عند عصر نزول القرآن ، وإنما عرف في العصور المتأخرة إذ كان أهل النخيل من العرب ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها ، ولم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك (٢) .

قلت: ولا زال إلى الآن عملية تلقيح النخيل من الإنسان أكثر من الرياح وذلك لأن تلقيح النخل عن طريق الإنسان أفضل بكثير من الرياح ، جاء في مجلة الخفجى ، تتفاوت الطرق المتبعة في تلقيح الأشجار المؤنثة من النخيل في قدرتها على العطاء فالتلقيح الطبيعي التلقائي بالرياح لا يحقق الغرض المنشود ولا بد من إجراء التلقيح إما بواسطة الإنسان أو آليا وذلك بأن يقوم الملقح بتنفيذ الشماريخ الذكرية على أغريض الأزهار المؤنثة ، ثم يوضع خمسة شماريخ أو أكثر وسط كل غدق ويربط الغدق بالخصوص وتكيس الأغاريف لتعطى محصولا أكثر واحسن وتظل أزهار النخل الانثى قابلية للتلقيح لمدة ٣ اربعة أيام من بدء انشقاق الأغريض ، ولكن افضل التلقيح ماتم خلال يومين من بدء انشقاق الأغريض ، وتجرى عملية التلقيح على مرتين وثلاث نظرا لأن الأغاريف في الانثى لا تتفتح كلها في وقت واحد (٣) .

(=) الاسلام في عصر العلم / محمد احمد الغمراوي (٤٠٥-٤٠٧) مطبعة السعادة دار الكتب الحديثة .

احكام القرآن لابن العرب (١١٢٦/٣) روح المعاني (٣١/١٤) .

(١) تفسير الجواهر / طنطاوى جواهر (٣٩/٨) .

آيات الله في الافاق / محمد احمد العدوى (٨٧) ط ١ (١٣٥٢هـ) (١٩٣٣ م) مطبعة المنار بمصر .

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا (١٧٦/١) .

(٣) انظر مجلة الخفجى (٦) العدد ١٢ (١٩٨٦)

المجلة الزراعية (٣٥) العدد الاول المجلد (١٧) .

٣ - العامل الثالث : ما يحمله الرياح ويتكون منه الغازات الاكسوجين والنتروجين وثانى اكسيد الكربون التى تؤثر تأثيرا مباشرا على نمو النبات ، كالتنفس والتمثيل الضوئى ، وعمل السماد الذى يحتاجه النبات .

- مبشرات الرياح وفوائده الأخرى :

- ١ - إحياء الارض الموات للبشر والحيوان والنبات ، وذلك بانزال الماء الطهور من السحب بسبب الرياح ، فقال تعالى : (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا) لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسا كثيرا (١) .
- ٢ - تسير الفلك فى البحر واتجاهها ، فقال تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٢) .
- ٣ - أن الهواء هو الوسط الذى تنتقل فيه الأصوات ، فبغير الهواء لا يمكن لاحد أن يسمع غيره .
- ٤ - تساعد على اشتعال النار .
- ٥ - تعمل على تبريد الماء .
- ٦ - تقوم بتجفيف الرطوبات الضارة والاشياء التى يحتاج التجفيفها .
- ٧ - يقوم بحماية الأرض خلال الليل والنهار من الشهب وحرارة الشمس القاتلة ، والاشعاعات الفتاكة بالحياة على الأرض ، وهذه طرفة أدبية فى بيان فضل الهواء ومنافعه :

(١) سورة الفرقان : (٤٨-٤٩) .

(٢) سورة الروم : (٤٦) .

الحمد لله الذى رفع فلك الهواء على عنصر التراب والماء :
" اما بعد " فانا الهواء الذى أولف بين السحاب ، وأنقل نسيم
الاجباب ، وأهب قارة بالرحمة ، وأخرى بالعذاب ، وأنا الذى سيربى الفلك فى
البحر ، كما تسير العيس^(١) فى البطاح ، وطاربى فى الجو كل ذى جناح ، وأنا
الذى يضرب منى الماء اضطراب الأنابيب فى القناء ، إذا صفوت صفاء
العالم وكان له نضرة وزهوا ، واذا تكدرت انكدرت النجوم وتكدر الجو ، لا أتلون
مثل الماء المتلون بلون الاناء ، لولاي ما عاش كل ذى نفس ، ولولاي ما طاب
الجو من بخار الارض الخارج منها بعدما احتبس ، ولولاي ما تكلم آدمى
ولا صوت حيوان ، ولا غرد طائر على غصن بان ، ولولاي ما سمع كتاب ولا حديث
ولا عرف طيب المسموع والمشموم من الحبيث (٢) .

...

(١) العيسى : بالكسر جمع أعيس وعيساء الأبل البيض . انظر مختار الصحاح
(٤٦٥) .
(٢) جواهر الادب / أحمد الهاشمى (٢٨٥/١) .

المبحث الرابع

رابعاً : الشمس :

الشمس : هي الجسم الذي تنبعث منه الحرارة والضوء على الأرض وغيرها من الكواكب المحيطة بها (١) .

جاء في المنهج الايماني : (ان الشمس جسم ناري ملتهب في كبد السماء ويشع الضوء والحرارة والطاقة) (٢) .

وقد وردت الشمس في القرآن بلفظها ثلاثة وثلاثين مرة وفي آية النبأ وردت بلفظ السراج قال تعالى : (وجعلنا سراجاً وهاجاً . وانزلنا من المعصرات ماءً شجاجاً ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا) (٣) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا في آيات اخرى المراد من سراج وهاج ، أنها الشمس حيث قال تعالى : (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً) (٤)

وصف الشمس في القرآن :

- ١ - وصفت الشمس بانها ضياء ، حيث قال تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره منازل) (٥) .
- ٢ - وصفت بالسراج كما في قوله تعالى : (وجعل الشمس سراجاً) وقيل تعالى : (سراجاً وهاجاً) .

-
- (١) معجم الفاظ القرآن الكريم (٣١/٢) .
 - (٢) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية / محمد ابراهيم (٣٠٥) .
 - (٣) سورة النبأ : (١٣-١٦) .
 - (٤) سورة نوح : آية (١٦) .
 - (٥) سورة يونس آية (٥) .

يقول المفسرون فى ذلك :

- ١- قال الرازى : السراج له ضوء والضوء أقوى من النور فجعل الالضعف للقمر والاقوى للشمس (١) .
والوهج مجمع النور والحرارة فبين الله تعالى أن الشمس بالغتة إلى أقصى الغيات فى هذين الوصفين وهو المراد بكونها وهاجا .
- ٢- عن ابن عباس : ان الوهاج مبالغتة فى النور ، وهذا يدل على أن الوهاج يفيد الكمال فى النور، والوهج حر النار والشمس ، وهذا يقتضى أن الوهاج هو البالغ فى الحر (٢) .
- ٣- قال القرطبى : (الشمس سراجا) يعنى مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا إلى الانصراف لمعاشهم .
(وهاجا) وقادا وهى الشمس وهاجا منيرا متللا . (٣) .
- ٤- ولعل فضيلة الشيخ محمد الشعراوى أبان هذا الموضوع ووضحه وفصله وذكر الفرق بين الضوء والنور ، ونور القمر والشمس ، والمراد من السراج والوهاج ، فقال فضيلته : عرفنا أخيرا أنهم فرقوا بين نجم وكوكب ، أن النجم مضى بذاته ملتهب بذاته ، لكن الكوكب يستمد ضوءه من غيره ، ولذلك يقول القرآن مبينا لدقة الخالق فى الأداة :
" إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب " (٤) .
وفى آية اخرى : " ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح " (٥) .

-
- (١) تفسير الفخر الرازى (٢١٧/٨) .
 - (٢) الفخر الرازى (٣٠٤/٨) .
 - (٣) تفسير القرطبى (٦٧٨٤/٨ - ٦٩٦٢) .
 - (٤) سورة الصافات : آية (٦) .
 - (٥) سورة الملك : آية (٥) .

جاء بكواكب مرة ، وبمصاييح مرة ، وهى كلها تزين السماء ، لان القمر والكواكب التى تستمد ضوءها من الشمس ايضا متللاة وضاءة مشرقية منيرة ، فهى ايضا زينة ، إذ لايشترط أنها تكون هى فى ذاتها متوهجة ولكن يكتفى بان تكون آخذة الضوء من غيرها وتبقى زينة المصباح الذى هو ضوءه ذاتيا . ومرة يقول عليها مصاييح ، لو أردنا أن نفرق بين الكوكب والمصاييح ، نجد أن القرآن هو الفيصل فى ذلك . كيف ؟ يدللك على أن المصباح متوقد بذاته ، لكن فيه شيء يعطى الاشعاع ، ولكنه غير متوقد بذاته فيقول : " الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة (١) .

الزجاجة ضوءها ليس ذاتيا ، الزجاجة تعكس ضوء المصباح الذى هو ضوءه ذاتيا ، إذ ، فلما يقول ربنا : " انا زينا السماء الدنيا بمصاييح " ومرة يقول : " انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب " يبقى الحق سبحانه وتعالى جاء بالاشنين : " اما أن يكون كوكبا ، واما أن يكون نجما مضيئا بذاته ، وبعد ذلك قال تعالى : " وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا " (٢) الحق سبحانه وتعالى فى كلمة سراج وهاج هذه ، أولا الشيء الوهاج هو المتوقد او الشيء الوهاج هو المتلألئ ، يبقى التوهج يعطى معنيين اثنين : معنى توقد والتوقد يعطى حرارة ، المتلألئ يعطى لمعانا وبريقا . يقول الذهب متوهج ، يعطى لونا وهيجا ، والنار متوهجة ، صحيح الشمس سراج ونحن نعلم أن السراج فيه حرارة وفيه نور ، لكن القمر فيه نور فقط " وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا " (٣) يبقى القمر نورا ، ولذلك يسمونه بالنور الحليم يعنى الذى ليس فيه

حرارة لكن الشمس نورها فيه حرارة ، هذا له مهمته وهذا له مهمته (٤) .

-
- (١) سورة النور ، آية (٣٥) .
 - (٢) سورة النبأ (١٢ - ١٣) .
 - (٣) سورة نوح (١٦) .
 - (٤) تفسير سورة النبأ / الشعراوى (٥٦ - ٥٧ - ٦٢ - ٦٣) .
المختار من تفسير القرآن / الشعراوى (٥٦/٢ - ٥٩) .

إذا نفهم مما سبق أن الشمس نجم مضيء بذاته ملتهب يشع حرارة وضوء . كما ذكر ذلك في المنهج الايماني : الضوء نور ذاتي ينبعث من جسم مشع له بفعل الحرارة النارية المتوقدة كالشمس . ومن هنا كان الضوء مشتملا على حرارة دائما (١) ، وهي آية من آيات الله عز وجل ، لها آثارها العظيمة على الارض ، لذلك نجد القرآن أقسم بها في قوله تعالى :
(والشمس وضحاها) (٢) .

فالشمس من أعظم مخلوقات الله ذاتيا ومعنى ، لذلك أقسم بها عز وجل والقسم بها ليس لتعظيمها ولكن لتعظيم الخالق الذي جعلها دالة على بديع صنعته وكمال قدرته وعظيم قوته عز وجل وجليل حكمته وسعة علمه عز وجل .

- الشمس مصدر للحرارة والضوء :

مما سبق يتبين أن للشمس آثار وفوائد عظيمة ، ومن آثارها أنها مصدر الحرارة والضوء للارض التي تقوم عليها حياة كل كائن ، فالانسان والحيوان والنبات حياته قائمة على وجود حرارة الشمس وضوءها على سطح الارض ، فضاءها في النهار يسهل للناس السعي إلى معاشهم ، ويتصرفون في أمورهم ، والنبات كذلك لاجل نموه وتكامله ، فهو في حاجة الى الحرارة والضوء ، ولا يأخذ حاجته من الحرارة والضوء إلا من الشمس ، ولولا وجود الشمس ما بقيت نبتة على وجه الارض وسوف نرى مدى احتياج النبات إلى الحرارة والضوء .

- حاجة النبات الى الحرارة :

تعتبر الحرارة من العناصر المناخية الرئيسية الحاكمة في اعالة الاحياء

(١) المنهج الايماني / عبدالعليم خضر (٨) .

قدرة الله / جمال الدين عياد (٢١) .

معجم المصطلحات الجغرافية د . يوسف التونى (٣٢٥) .

(٢) سورة الشمس : آية (١) .

على سطح الأرض ، وذلك لأن الكائنات العضوية يحكمها ويضبطها الطاقة التي يستقبلها سطح الأرض بصورة مباشرة من الشمس ، فلذلك تعتبر الحرارة هي مصدر الطاقة للنبات ، فالنباتات تنمو خلال حدود حرارية معينة ، وهذه الحدود تختلف بطبيعة الحال من نوع نباتي إلى آخر ، ولكب نبات حد أدنى لدرجة الحرارة الملائمة لنموه ، كأي كائن حي بحاجة إلى حد أدنى من الحرارة لا يمكنه أن يعيش بدونها .

لذا كانت لكل منطقة نباتاتها الخاصة ، فاشتهرت المناطق الاستوائية بالمطاط ، والكافور ، والموز ، ونخيل الزيت ، وامتازت المناطق المعتدلة بالزيتون والعنب والحمضيات ، ويلائم التفاح المناطق الباردة ، وفي هذا دليل واضح على الارتباط الوثيق بين درجة الحرارة وبين النبات ، فكلمة ازدادت الحرارة كلما أسرع نمو النبات وكبر حجمه وازدادت كشافته بشروط توفر المياه وكلما قلت درجة الحرارة كلما أبطأ نمو النبات في نموه وصغر حجمه وتضاءلت كشافته حتى مع توفر المياه ، ويختلف النبات بحسب مدى حاجته للحرارة ، بل إن كل جزء من أجزاء النبات يحتاج إلى قدر من الحرارة يختلف عن الجزء الآخر ، فتخرج البراعم في درجة حرارة معينة تختلف عن الدرجة التي تخرج فيها الأوراق أو الأزهار إلى غير ذلك .

- علاقة حرارة التربة والهواء بالنبات :-

١- كما تمتد الشمس النبات بالحرارة كذلك التربة والهواء ، وحرارة التربة والهواء لهما تأثير على نمو النبات أيضا ، فالنباتات لا تأخذ الحرارة من الشمس مباشرة فقط ، ولكن لحرارة التربة تأثير على النبات ، وذلك أن نمو معظم النباتات يتوقف إذا هبطت درجة الحرارة في التربة إلى ما دون ٤° ف تقريبا ، فإذا انخفضت عن ذلك فإن درجة امتصاص جذور النبات للرطوبة تقل ، وقد يصبح النبات

النبات عاجزا عن تعويض المياه الفاقدة منه بفعل النتح ، ويلاحظ
أن هناك علاقة مترابطة بين عملية النتح والحرارة ، فكلما ارتفعت
درجة الحرارة كلما زاد النتح والعكس .

- ٢ -

٢ ما حرارة الهواء ء فانها تنتقل الى أنسجة الورقة فترفع درجة
حرارتها وقد وجد أن حرارة الأوراق ترتفع دائما إلى حوالى (١٠) درجات
زيادة على حرارة الهواء ء ، وتعمل هذه الحرارة على توفير الطاقة
الحرارية اللازمة لتبخير الماء من سطوح خلايا النسيج الوسطى
فى الورقة ، كما تساعد سرعة انتشار بخار الماء على خروج كميات كبيرة
منه فى عمليات النتح ، وللعلاقة الوثيقة بين الحرارة والنبات ،
ولشدة حاجة النبات إلى الحرارة نجد الحق قد ءحكم هذه القضية
وأبانها ووضحها فى أن ربط حرارة الشمس والنبات فى آيات متتاليات
وجعلها قضية واحدة مترابطة متلازمة فقال تعالى : (وبنيينا فوقكم
سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء
شجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا) (١) .

ومن دقة القرآن فى تعبيره فانه لم يربط بين الحرارة والنبات
فقط فى الآيات وإنما ربط أيضا بين الحرارة والعوامل التى تكون أيضا من
أسباب نمو النبات ، هكذا القرآن دائما يربط الأمور على أسبابها
ومسبباتها وعللها ومعلولاتها ، فالماء من العوامل التى تدخل فى
عملية نمو النبات كما ذكرناه ، وهذا الماء فى البحار مالح ،
ولاجل أن يحصل النبات على ما عطلو اذا لابد من عملية تقطير لهذا
الماء ، ولاتكون عملية التقطير هذه الا بالتبخر ، والتبخر لا يكون الا
بوجود الحرارة والحرارة من الشمس ، فاذا تبخرت مياه البحر بفعل

(١) سورة النبى : آية (١٢-١٦)

حرارة الشمس ، يعد بخار الماء الى أعلى ويتكاثف وينزل مطرا كما علمناه سابقا ، وهكذا تتم الدورة بين الماء والنبات ، والحرارة كما ذكرها القرآن العظيم .

٢ - الضوء :

يعتبر الضوء من العناصر المناخية الهامة في توفير فرص الحياة للحياء ، إذ الضوء يساعد على دفع و اتمام عملية التمثيل الضوئي " تكوين الغذاء " و انتاج الكلورفيل ، كما يساعد على فتح واغلاق مساميات الأوراق ، حيث تتم عمليات النتح والتنفس ، كما يساعد الضوء على تكوين مادة الاكسوجين وهو هرمون نباتي في المادة الخضراء يساعد على النمو ، وكثرة الضوء في بعض الاقطار تعوض نقص الحرارة ، وذلك بسقوط الضوء على الأوراق النباتية يتحول جزء كبير من الطاقة الضوئية الممتصة الى طاقة حرارية يستفيد منها النبات في النتح ، ومن أهمية الضوء أيضا للنبات أنه هو المسئول عن صغر الاوراق وكبرها وعددها ، إذ تقل وتمغر الاوراق مع قلة الضوء وتكبر وتزداد مع ازدياد الضوء .

- كمية الضوء :

أن كمية الضوء وكثافته تتحكم في تنوع النباتات ، فالنباتات التي لاترى النور أو الضوء إ قليلا تكون صفراء ، وتتسابق النباتات نحو الضوء وتحاول كل شجرة أن ترتفع فوق الاخرى ، وهذا ما وجد في البيئة الاستوائية من تسابق نحو النور مما جعل الاشجار باسقة عالية والنباتات سامية مرتفعة وكما هو موجود في الغابات حيث تتكون من طبقات نباتية :

١- الطبقة العليا: وهي ذات الاشجار الطويلة الفارهة كثيرة الفروع والأغصان والأوراق المتشابكة ، فانها تستفيد من الضوء الشديد في أعلى

الغابة ، إذ تحتاج إلى كمية كبيرة من الضوء للوصول إلى أوج نموها .

٢ - الطبقة الثانية : وهي تمثل طبقة الأشجار الأقل طولاً ، وهي التي تتحمل

أو تفضل بعض الظل ، إذ لا تتعدى كثافة الضوء في هذه الطبقة عن ٥٠ ٪ .

٣ - الطبقة الثالثة : وتتمثل في طبقة الشجيرات التي تتحمل قليلة

كثافة الضوء ، حيث لا تستقبل هذه الطبقة سوى ١٠ ٪ من كمية الضوء

الواصل إلى قمة الغابة .

٤ - الطبقة الرابعة : هي الطبقة الدنيا " الأنجم " وتتمثل في النباتات

الأرضية مثل الأعشاب والزواحف النباتية ، وهي أنواع لا تحتاج إلا لكمية

ضوء قليلة من النبات .

إن هذا الصراع بين النباتات من أجل الضوء هو مسئول مسئولية

مباشرة عن التنوع الهائل بين الأشجار التي تتراوح بين أشجار ضخمة عملاقة

ونباتات متسلقة وأخرى عكازية أو معلقة ونباتات زاحفة ، ومع هذا فإن

زيادة كثافة الضوء وكميته عن الحد الأمثل كثيراً ما يحد من النمو النباتي ،

إذ أن الضوء الزائد عن حاجة النبات غالباً ما يكون له تأثير ضار على النبات ،

حيث يؤدي إلى توقف عملية التمثيل الضوئي عند بعض النباتات وقد يتلف مادتها

الخضراء عند البعض الآخر ، لذلك في المناطق ذات الضوء الشديد عادة ما تمارس

أوراق النبات حركة دوران أو تعديل في أوضاعها ، بحيث لا تتعرض للضوء

الإحافات تلك الأوراق .

— طول مدة الضوء :

لا يقتصر الأمر على مقدار كمية الضوء بل كذلك طول فترة الضوء ، وهذه

تختلف من مكان إلى آخر ، ويعتبر تدرج طول ضوء النهار عاملاً هاماً لكثير من

النباتات ، وعليه تتوقف مراحل عمليات نموها ، فبعض النباتات لا تزهر

أو لا تثمر ما لم يتوفر لها فترات ضوء يومية معينة ، وخلال فصل الصيف في المناطق يطول النهار كثيرا ومن ثم فان عملية التركيب او التمثيل الضوئى تظل مستمرة دون توقف ، وذلك نظرا لاستعمالها لطاقة الشمس خلال فترة ظهورها ، ولذلك تبلغ بعض النباتات نموا كبيرا .

النبات والظل والليل :

إن توفر الضوء شرط اساسى لنمو معظم النباتات ، وبدونه لا تستطيع هذه النباتات أن تنمو على الوجه الصحيح ، وان كانت كمية الضوء التى يتطلبها النبات تتفاوت من نوع لآخر كما عرفنا سابقا ، إلا أن هناك بعض النباتات الأخرى تتلاءم مع الظلام أو ظروف الظل المناسبة لنموها (١) .

وجماع كل ما ذكر من علاقة النبات بالشمس والحرارة والضوء والليل والنهار والضوء مرتبط بالليل والنهار والشمس والتى بها يعرف الليل والنهار ذكره القرآن فى آيات متتاليات فى سورة واحدة ليبين قدرته فى خلقه وحكمته فى ترابط المخلوقات بعضها ببعض واحتياجاتها من بعض ، وتدبيره لذلك عز وجل ، فقال تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ، يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل

(١) انظر :

- الجغرافيا المناخية والنباتية/ على البنا (٢٥٣-٢٦٠) .
- جغرافية البيئات / محمود شاكر (١٦٩-١٧٠) .
- اسس الجغرافيا الحيوية/ د. زين الدين عبدالمقصود (٦٦-٨٢) .
- جغرافية المناخ والنبات د. يوسف عبدالمجيد فايد (٢٩٤-٢٩٩) .
- الزراعة الجافة / د. عبد الله الفخرى (٨٦-٩١) .

صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل إن فسـي ذلك لآيات لقوم يعقلون (١) .

وهكذا القرآن على عاداته دائما يربط الأحداث الكونية ، ويجعلها سلسلة واحدة مترابطة لاتنفك عن بعضها سموات وارض وشمس وقمر وأنهار وليل ونهار ، وبعد ذلك نباتات متنوعة على تنوع الظروف البيئية والمناخية .

- فوائد الشمس الأخرى :

- ١- أن بها يعرف الليل والنهار .
- ٢- أن بالشمس والقمر يعرف حساب الشهور والايام لقوله تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق ليفصل الايات لقوم يعلمون) (٢) .
- ٣- ان بالشمس يعرف توقيت الصلاة لقوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) (٣) .
- ٤- انها تغيد جسم الانسان بفيتامين (د) وذلك حيث انه لا يوجد فى الشمس أى نوع من أنواع النبات ، إلا أن الله سبحانه وتعالى جعله فى الشمس تعويضا عن النباتات ، والجسم بحاجة له لانه يدخل فى نقاء البشرة والاسنان وصلابة الصدر ورشاقة الساق وقوته وتكوين العظام ونقصه يؤدي الى الكساح .
- ٥- أن الشمس تطهر الهواء والارض من الميكروبات والجراثيم حيث تعمل حرارتها على قتلها .
- ٦- جعل الله سبحانه وتعالى الشمس دليلا على الظل لقوله تعالى : (ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) (٤) .
- ٧- انها تقوم على تسخين الهواء فيكون فى حركة دائمة . (٥)

-
- (١) سورة الرعد : اية (٢-٤) .
 - (٢) سورة يونس : اية (٥) .
 - (٣) سورة الاسراء اية (٧٨) .
 - (٤) سورة الفرقان : اية (٤٥) .
 - (٥) المنهج الايمانى (٧-٨١) .

الفصل الثالث

” فوائد النبأ ”

وسَيِّون من تمهيد و سباحة :

- ١- التمهيدي : فوائد المحفوظات للإنسان .
- ٢- لجنة الأول : الفائدة الحسية .
- ٣- لجنة الثاني : الفائدة النفسية .
- ٤- اللجنة الثالث : الفائدة الروحية .
- ٥- لجنة الرابع : الفائدة الاضوية .

الفصل الثالث

فوائد النبات

تمهيد : فوائد المخلوقات للانسان :

إن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وسخر له كل ما فى السموات والارض ، وذلك له وجعله فى خدمته وهذه من نعم الله عز وجل على الانسان فالشمس والقمر سخرهما للانسان وجعل فائدتهما له وكذلك النجوم ، والارض بما فيها وما عليها سخرها أيضا للانسان وجعل منفعة ذلك كله وفائدته ترجع للانسان ، وجعل الله سبحانه وتعالى منافع هذه المخلوقات من بعضها البعض فى هذا الكون ، فالارض وما عليها من مخلوقات وما فى باطنها تستفيد من السماء وما فيها من القمر والشمس والنجوم والكواكب، تستفيد من الارض ، تستفيد منها الحرارة والبرودة والضياء والماء والهواء والغازات ، والسماء كذلك تستفيد من الارض ، تستفيد بخار الماء من بحارها ومحيطاتها وانهارها ، والنتح النباتى لتكوين السحب والامطار ، كما وأن المخلوقات على الارض تستفيد من بعضها بعض فالنبات يستفيد من الحيوانات والتربة والحيوانات تستفيد من النبات ، والمعادن فى باطن الارض تستفيد من الحيوان والنبات والانسان سيد هذه المخلوقات فى هذا الكون ، فهو المستفيد الوحيد من جميع هذه المخلوقات معا ، سواء ما كان فى السماء او ما كان فى الارض ، فلانسان يستفيد من الشمس والقمر والنجوم والحرارة وغيرها من الامور الفلكية والمناخية ، ويستفيد من الحيوان أكله والتنقل عليه ، وفى الحراسة وفى الحراثة ومن شعره ووبره وفى الملبس والسكن، ويستفيد من المعادن فى الجبال وفى باطن الأرض ، وكما يستفيد من هذا وذاك ، فانه يستفيد من النبات عموما ، بل ان النبات يعتبر ذا أهمية عظيمة بالنسبة للانسان ، وسائر الحيوان ، وذلك لأنه ضرورى لاستمرار حياة

على وجه البسيطه ولما له من الفوائد الجليلة العظيمة للانسان والحيوان
ولذلك يمكن تقسيم فوائد النبات الى اربع فوائد دنيوية واخرى —
ثلاث منها فى الدنيا والرابعة فى الآخرة وسوف اجعل لكل فائدة من هذه
الفوائد مبحثا مستقلا .

المبحث الأول

الفائدة الحسية

ان للنبات فوائد حسية عظيمة للانسان والحيوان وهي مايلي :

الفائدة الاولى : أنه مصدر من مصادر الغذاء للانسان :

قال تعالى : (وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها ماءً
حياً فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها مـ
العيون، لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، سبحان الذي
خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) (١) .

ان الانسان يعتمد في غذائه اعتماداً كلياً على النبات سواء كان ذلك
بطريق مباشر أو غير مباشر ، فالانسان يعيش على النبات وما يستطيع
استخلاصه منه من منتجات غذائية ، أو على لحوم الحيوانات الماكول لحمها
والطيور ومنتجات هذه الحيوانات والطيور والتي تعتمد بدورها في غذائها
على النبات ، واما استفادة الانسان من النبات فمنه ما يؤكل مباشرة وذلك
مثل الاشجار المثمرة بجميع أنواعها من الفواكه وغيرها ، مثل التين
والزيتون ، العنب ، والكمثرى ، ... إلى اخره من أنواع الفاكهة التي
تؤكل ثمرتها مباشرة ومنها ايضا الحمضيات مثل البرتقال والليمون وكذلك
اشجار النقولات المثمرة مثل اللوز ، الفستق الحلبي ، الجوز - البندق . ومن
الاشجار المثمرة ايضا النخيل الذي يثمر البلح أو الذي يسمى بنخيل البلح
ونخيل جوز الهند ، وقد ورد ذكر الفاكهة في القرآن الكريم فقال تعالى :
(فانشأ لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (٢)

(١) سورة يس : آية (٣٣-٣٦) .

(٢) سورة المؤمنون : آية (١٩) .

وفى آية اخرى قال تعالى : (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) (١) .

وفى غيرها قال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (٢) .

ولم يكتف القرآن بذكر الفاكهة مجملا وبلفظ العموم وانما ايضا ذكر بعض أنواع الفاكهة باسمه المعروف ، فقال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٣) .

وقال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا ثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المرففين) (٤) .

كما ورد ذكر النخيل أيضا وفائدة ثمره فقال جل ذكره فى قصة السيدة مريم رضى الله عنها (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترى من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (٥) .

ولم تذكر الفاكهة فقط وانما ذكر الله تعالى أيضا بقية أنواع النباتات التى يمكن للانسان ان يتغذى بها وهى ماتحتاج من الانسان الى مجهود وفى تنقيتها وتصنيفها وتهذيبها وطحنها حتى يستطيع ان يحصل على الغذاء منها ، وذلك مثل الحبوب وهى ماتسمى (بمحاصيل الحقل) ، ومنها الذرة البيضاء ، والصفراء والأرز ، والقمح ، والشعير إلى غير ذلك من أنواع الحبوب ، فقال تعالى فيها : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى

-
- (١) سورة الرحمن : آية (١١)
(٢) سورة الرحمن : آية (٦٨) .
(٣) سورة النحل : آية (١١) .
(٤) سورة الانعام : آية (١٤١) .
(٥) سورة مريم : آية (٢٥-٢٦) .

سبيل الله كمثل حبة ٣ نبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (١) .

وقال فى آية ٢ اخرى : (وقال الملك ارنى سبع بقرات سمسان يتاكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر و آخر يابسات يا ايها الملا فتونى فى رءياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) (٢) .

ثم قال تعالى : (قال تزرعون سبع سنين د ابا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تاكلون) (٣) .

وقال تعالى : (وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نباتات كل شىء فاخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا) (٤) .

ولم يكتف القرآن بذكر الفاكهة والحبوب على أنها غذاء للانسان ، وانما ٢ ايضا هناك المحاصيل السكرية مثل البنجر وقصب السكر وشميرات النخيل والعنب ، فقال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) (٥) .

ومن أنواع النبات التى يستفيد منها الانسان ايضا فى غذائه ، هو ما يتأتمد به الخضروات سوا ٦ كانت هذه الخضروات تحتاج الى طهو أم لا .. ومنها ما يسمى بالخضروات الورقية كالسبانخ والبقلة الحمقاء (٦) ، والخس وغيرها ومنها الجذرية كالجزر واللفت والبطاطس والفجل وغير ذلك ، والساقية كالكرنب والقرنبيط ، والثمارية كالطماطم والخيار والبصلية كالشوم

(١) سورة البقرة آية (٢٦١) .

(٢) سورة يوسف : آية (٤٣) .

(٣) سورة يوسف : آية (٤٧) .

(٤) سورة الانعام : آية (٩٩) .

(٥) سورة النحل : آية (٦٧) .

(٦) البقلة الحمقاء : الرجله (انظر أدب الكتاب / ابن قتيبة (٧٨) ،

تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط ٤ (١٣٨٢هـ) مكتبة السعادة .

مختار الصحاح / الرازى (٦٠) .

والبصل والقرنية كالفاصوليا والفول والعدس (١) .

فهذا معظمه لم يذكر في القرآن بالتفصيل وإنما ذكر مجملا تحت لفظ
النبات والزرع القضب مع ذكر بعض الأنواع كالبيقل والبصل والعدس
والقثاء .

والبيقل كما ذكر المفسرين في معناه : هو ما أنبتته الأرض مما
لاساق له من الخضروات وهو يشمل جميع أنواع الخضروات سواء كانت خضروات
ورقية أو جذرية أو ساقية (٢) فقال تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها) (٣) .

وقال أبو حنيفة : البيقل هو كل عشبة تنبت من بذر ولم تنبت من
أروهة باقية (٤) .

والنبات لم يكن فقط هو هذه الأنواع والأصناف من الفواكه والحبوب
والخضروات التي ذكرت في القرآن ، وإنما هو أنواع وأصناف كثيرة لاتعد
ولاتحص ، ولا يعلم بها إلا خالقها سبحانه وتعالى ، وهذا كله كما قلنا
سابقا يدخل تحت عموم لفظ الزرع والنبات ، كما في قوله تعالى : (وهو
الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) (٥) .

-
- (١) مقتبس من كتاب المحاصيل الزراعية د . محمد عبده العودات /
د . عبد الله محمد الشيخ . مراجعة د . احمد محمد مجاهد . دار المريخ
للنشر .
 - (٢) تفسير القرطبي (١ / ٣٦١) .
 - (٣) معجم الفاظ القرآن الكريم (١ / ١١٩) .
 - (٤) سورة البقرة اية (٦١) .
 - (٥) النبات لأبي حنيفة الدينوري (١٢٢) مخطوط .
 - (٥) سورة الانعام اية (٩٩) .

وقالتعالى : (الذى جعل لكم الارض مهذا . وسلك لكم فيها سبلا وانزل
من السماء ماء فخرجنا به أزواجا من نبات شتى) (١) .

وقالتعالى فى الزرع : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغيره
معروشات والنخل والزرع مختلفا آكله) (٢) .

وذكر كذلك فى آية اخرى قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل
من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) (٣) .

والاكل من النبات ورد فى القرآن صريحا وذلك ان الانسان لا يتغذى
ويتقوى جسمه الا عن طريق اكل الطعام بصنوف أنواعه ، فالانسان لا يستطيع
أن يعتمد فى غذائه على صنف واحد من الطعام ، مثلا كأن يعتمد فى غذائه
على الحبوب فقط ، او على الفواكه فقط ، او على الخضروات فقط بل لابد له فى
غذائه ان يتنوع ما بين هذا وذاك ، لأنه سبحانه وتعالى جعل ما يحتاجه جسم
الانسان من الفيتامينات والاملاح والمعادن والدهون والبروتينات فى النبات
بل هذه كلها بمجموعها موجودة فى مجموع اصناف وانواع النبات من حبوب
وخضروات وفواكه ، فمن هنا نجد القرآن ذكر أنواعا من كل صنف مثلا الفواكه
والخضروات وقد تقدم ذلك ، وقد قرن فى بعض الآيات التى ذكر فيها النباتات
لفظ الاكل ، وفى بعضها بصيغة الامر ليبين للانسان حاجته فى مجموع اصناف
النبات ، والفائدة التى يجنيها منه لبقاء قوته وصحته فقالتعالى :
(الذى جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء
فخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات
لاولى النهى) (٤)

(١) سورة طه آية (٥٣) .

(٢) سورة الانعام آية (١٤١) .

(٣) سورة الزمر : آية (٢١) .

(٤) سورة طه آية (٥٣-٥٤) .

وعند ذكر الزرع وانواع الفواكه اتى بلفظ الأكل فقال تعالى
(وهو الذى أنشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا
أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر
وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (١) .

وفى هذه الآية ٢ أيضا لم يكتف بذكر الأكل بل ٣تى بعد ذلك بصيغة
الامر (كلوا من ثمره) ، والامر للاباحة للترغيب فى اكل النبات بانواعه
وبيان عظيم فائدته .

وبالتفصيل مع ٣اصناف الطعام فى حاجة الجسم اليه ورد لفظ الاكل عند
حاجة جسم الانسان للدهون نجد أن الله سبحانه وتعالى ختم الآية بالأكل
فقال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين) (٢) .

وجسم الانسان فى حاجة الى الدهون ، وذلك لتوليد الطاقة الحرارية
للنشاط والحركة ، ونجد فى الآية انه سبحانه وتعالى لم يخصص شجرة بعينها
لدهون وانما ٣اطلق ذكر لفظ الشجر على عمومه، وذلك ليعطينا ان الدهون
يكتسبها الانسان من كثير من النباتات، وليس " الزيتون فقط " كما ذكره
المفسرون ، وانما الدهون التى تدخل فى طعام الانسان تستخرج من ثمر
النارجيل ومن الجوز ، واللوز ، والسمن ، والذرة ، ونوى النخيل ،
والبندق وكثير من النباتات التى تحتوى على الدهون يستفيد منها جسم
الانسان عند الأكل منها أو تصنيفها، علاوة على ما يستفيدة من الدهون
الحيوانية والدهون النباتية أفضل من الحيوانية لقلّة نسبة الكستيرول
فيها كما عرف حديثا ، ومع حاجة الانسان للحبوب قال تعالى : (قال تزرعون سبع
سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون) (٣) .

(١) سورة الأنعام: آية (١٤١) .

(٢) سورة المؤمنون: آية (٢٠) .

(٣) سورة يوسف: آية (٤٧) .

ومع الفاكهة التى يتفكه بها الانسان وهى الذ وأشهى ما يأكله الانسان ويستمتع ويستطيب بأكله من أصناف الطعوم النباتية، بل ومــــن أصناف الطعام كله نباتى أو حيوانى ، ورد لفظ الأكل فقال تعالى: (فأنشا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) (١) .

وفى قصة السيدة مريم رضى الله عنها : أتى بصيغة الامر فى الأكل من النخلة للاباحة وذلك للترغيب فى الأكل منه ، وبيان عظيم فائدة ثمر النخل فآكلا عند الولادة فقال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عيننا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (٢) .

ومع الفائدة التى يجنيها الانسان من النبات فى الطعام والغذاء، إلا أنه يفضل بعضه ^{بعضه} فى الأكل سواء كان فى الأصناف كتفضيل أكل الحبوب على الفواكه ، والفواكه على الخضار ، فيكون التفضيل هنا إذا من حيث الغذاء ، والقيمة الغذائية ، أو التفضيل فى الصنف الواحد بأنواعه ، كتفضيل بعض الحبوب على بعضها ، الحب على الشعير ، والفاكهة كذلك الرمان على التفاح ، وهكذا، فيكون التفضيل من حيث الطعم والحلاوة والحموضة والليونة واليبوسة الى غير ذلك من الاختلافات (٣) .

وفى هذا قوله تعالى : " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون) (٤) .

-
- (١) سورة المؤمنون: آية (١٩) .
 - (٢) سورة مريم : آية (٢٥-٢٦) .
 - (٣) الفخر الرازى : (٥ / ١٨٠-١٨١) .
 - (٤) سورة الرعد: آية (٤) .

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل النباتات أصنافاً وأنواعاً كثيرة لاتعد ولا تحصى وفي كلها فائدة للإنسان ، وهذه الفائدة موزعة على مجموعة هذه النباتات وذلك لأن الإنسان من طبيعته وجبلته التي خلق وخلق وخلق فطرها عليها أن نفسه تمل وتسام من أكل طعام واحد وصنف واحد ونوع واحد ، فهو يحب دائماً التنوع في طعامه وشرايه بكل صنوفه وأنواعه ، وهذا مصداق قوله تعالى بما ورد في قصة قوم موسى عليه السلام عندما طلبوا منه أن يبدع الله بأن يخرج لهم مما تنبت الأرض ، لعدم صبرهم على طعام واحد الذي وهبهم الله إياه ، فقال تعالى : (واذا قلت يا موسى لنصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائها فومها وعدسها وبصلها) (١) .

فسبحان من جعل في تركيب النبات عناصر تتوافق مع حاجات جسم الإنسان ، بنسب معينة ومقادير محدودة ، حتى تنشط حركة الحياة على وجه الأرض ، وهذه نظرة عامة لانتفاع الإنسان بالنبات وثماره تحتاج التفصيل بين عناصرها الغذائية حسب اصطلاح العلماء في العصر الحديث وفائدته للجسم .

ان جسم الانسان يحتاج الى المواد الغذائية الاتية :

- ١- البروتين : يوجد في الفول الأخضر أو جاف - فول سوداني ، عدس ، لوبيا ، فاصوليا - تمر .
- فائدته : بناء الأنسجة وتعويض التالف منها .
- ٢- الدهون : زيت الزيتون ، زيت ذرة - تمر - فواكه .
- فائدتها : توليد الطاقة الحرارية للحركة والنشاط .

- ٣ - الكربوايدرات : تنقسم الى قسمين
- أ - سكريات : قصب السكر - فاكهة - تمر .
- ب - نشويات : الحبوب بأنواعها - القمح - الأرز - وكذلك البطاطس -
تمر .

- فائدتها : إنتاج طاقة حرارية ضرورية للحركة والنشاط .
- ٤ - الاملاح المعدنية وهي كما يلي :
- أ - أملاح الكالسيوم : بصل - تفاح - جزر - كرات - عدس .
- فائدتها : تكوين العظام والانسان .
- ب - ملح الطعام : خضروات .
- فائدته : يدخل في تركيب الدم واللحاح والدموع والعصارة المعوية .
- ج - أملاح الفوسفور : تمر - مشمس - تين - يوسفى - سفرجل - خوخ
- فائدته : تكوين العظام والأسنان ويعمل على حساسية الاعصاب .
- د - املاح الحديد : تمر - باذنجان - كرات - سبانخ - سفرجل - جزر - عدس .

- فائدته : تركيب كرات الدم الحمراء " هيموجلوبين " .
- هـ - املاح اليود : بصل - شوم - كرفس .
- فائدته : نقصه يسبب تضخم الغدة الدرقية وتورم كبير فى الرقبة .

٥ - الفيتامينات :

- أ - فيتامين " أ " : جزر - جرجير - سبانخ - المشمش - بقدونس -
لفت بطيخ اصفر .
- فائدته : قوة الابصار - مضاد مرض جفاف الجلد والعمى الليلي .
- ب - مجموعة فيتامين " ب " : ذرة - قمح - فول نابت - فول سودانى -
العدس - الحمص - الجوز .
- فائدته : يحافظ على نشاط الجسم والعيون - ومرونة الاعصاب وفاعلية
الدماغ والجهاز الهضمى ويمنع سقوط الشعر .

ج - مجموعة فيتامين " ج " ليمون - برتقال - فلفل اخضر - فاكهة
فائدته : يلعب دورا هاما فى زيادة تآلف اللون ولمعانه، ويزيد
قوى الجسم ويدخل فى تكوين الانسجة التى تعطى القوة والمرونة
للغضاريف والاربيطة وجدران الشرايين الدموية وللنسيج العظمى ويساعد
على التئام الجروح وجبر الكسور.

د - فيتامين " ك " : طماطم - خسروات - قرنبيط - بصل اخضر -
سبانخ - جزر - ملفوف .

فائدته : مضاد للنزيف ويمنعه ويسرع بالتئام الجروح وسرعة
تخثر الدم .

هـ - فيتامين " E " الخس - القمح - البندورة - الجزر - الجوز -
زيت السمسم - زيت الصويا - زيت فستق العبيد .

فائدته : قيام الغدة النخامية بوظيفتها جيدا - يساعد على النمو
الطبيعى ويساعد على نمو العضلات - يساعد على اجتناب عسر الولادة .

٦ - الماء : الفواكه - الخضروات .

فائدته : يدخل فى تركيب الدم وانسجة الجسم كما يسبب ليونته (١) .

(١) انظر فى ذلك :

- تغذية الانسان : د. فاروق فاضل النورى - السيدة لامعه جمـال
الطالبى .

- الغذاء يصنع المعجزات / جايلوردهاوز : ترجمة احمد قدامسة،
ط ٧ (١٤٠٣هـ) . دار النفائس / بيروت .

- التداوى بالاعشاب والنباتات / عبداللطيف عاشور مكتبة القرآن
- القاهرة .

- الصحة والعلاج فى الطبيعة والاعشاب / د. سامى محمود / المركز العربى
الحديث - القاهرة .

- نعمة الله / جمال الدين عياد (٣٢-٤٨) .

- الطب المجرب / خالد سيد على ط ١ (١٤٠٦هـ) دار التراث - الكويت .

إذامما سبق يتضح أن النباتات فيها جميع احتياجات جسم الانسان الغذائية ليس كالفواكه على اللحوم فانها تفقد بعض العناصر كالفيتامينات لذلك يمكن الغذاء على النبات دون اللحوم وتعطى النباتات حاجات الجسم بصورة كافية لكن لا يستطيع الانسان الاعتماد فى غذائه على اللحوم لوحدها فقط لانها تسبب كثير من الامراض . وهذه حقائق اقربها العلم وايدتها الشواهد والحوادث والحقائق ، ان تجنبها المرء ، نعم فى حياته بصحة جيدة . كما ذكر العلماء ذلك علماء الطب والتغذية حيث قالوا : هناك حقائق لاسبيل الى تجاهلها : وهى الاقلال من اللحوم الى الحد الاقصى ، والاكثر من الخضروات والفواكه واللبن والسلطات ، واذا استطاع المرء تجنب اللحوم فليفعل فان فى البقول والخضروات بروتينات تصلح لتعويضنا عن بروتينات اللحم وتحمل محلها (١) .

والفواكه والخضروات تمتاز بنكهتها اللطيفة وألوانها الجذابة، وتحتوى الفواكه على نسب متفاوتة من السكر كما تحتوى على نسب عالية من الماء، وتمتاز الفواكه بأنها مصدر مهم للألياف الغير قابلة للهضم والتي تساعد على تنظيم سير الكتلة الغذائية المتبقية بعد الهضم فى الأمعاء الغليظة وطرحها الى الخارج (٢) .

ومن هنا تظهر الحكمة عند تتبع آيات القرآن الكريم فيما يلى :

١- انه لم يرد ذكر الحيوانات أو اللحوم بقدر ماورد ذكر النباتات ، فعند تتبع آيات القرآن وتقصيها يلاحظ أن آيات النبات تعرض للقرآن لذكرها أكثر من الحيوانات واللحوم .

(١) انظر ذلك بالتفصيل فى طبيبك فى البيت/ جماعة من كبار الاطباء

العلماء (٥٨٥٠ ط (١٩٨٠) مكتبة الحياة: بيروت .

(٢) تغذية الانسان / د. فاروق فاضل: السيدة / لامعه جمال (٣٥٦) .

- ٢- أن آيات النبات ذكرها الله سبحانه وتعالى في مجال الأكل
أكثر مما ذكر اللحوم والحيوانات .
- ٣- أن القرآن تعرض لذكر أنواع واصناف النباتات التي تدخل في غذاء
الانسان وصحته أكثر من غيرها من النباتات . أما الحيوانات فلم
يتعرض لذلك . وهذا يفيدنا بما في النباتات من قيمة غذائية
عالية كاملة متكاملة . والله أعلم .

الفائدة الثانية: مصدر من مصادر الغذاء للحيوان :

قال تعالى : (الذي جعل لكم الأرض مهذا . وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من
السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في
ذلك آيات لأولى النهى) (١) .

أن النباتات تعتبر أساس مصانع الغذاء لسائر الكائنات الحية من
الحيوان والطيور والزواحف ، وخاصة الحيوانات والطيور المأكول لحمها
والإليفة منها ، ان كثيرا من النباتات التي يتغذى عليها الانسان
بعد ما يستخلص منها غذائه ويأخذ فائدتها ما يبقى منها بعد ذلك يستعمل
أعلاف للحيوانات تتغذى عليها ثم ان هناك ما يعرف بنباتات الأعلاف وهي الخاصة
بالحيوانات كالبرسيم والحشائش التي يزرعها الانسان وهي تسمى بالمراعى
او ما كانت في الصحراء كالكلأ والعشب والتبن التي تتغذى عليها الحيوانات
ودليل ذلك قوله تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من
السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) (٢) .

وفي آية أخرى قال تعالى: (أولم يروا أناسوق الماء الى الأرض الجرز
فنخرج به زراعا تاكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) (٣) .

(١) سورة طه : آية (٥٣-٥٤) .

(٢) سورة يونس : آية (٢٤) .

(٣) سورة السجدة : آية (٢٧) .

وفى العلف والمرعى قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (١) .

وفى قوله تعالى : (الذى أخرج المرعى) (٢) .

وفى أخرى قال تعالى : (أخرج منها ماءها ومرعاها) (٣) .

والأمر صريح فى النص القرآنى لغير الانسان فى الأكل من النبات ؛ قال تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٤) .

فظهر من كل ذلك أن النبات فيه غذاء كامل لكل حيوان يدب على ظهر الأرض ، والمقصود الأول هو الانسان الذى كرمه الله وسخر له كل ما خلق فى الكون ومن المعلوم ان جميع الحيوانات تتكون أجسامها من النباتات ، وهذا ما جعل كثير من المفسرين يقول فى مثل قوله تعالى : (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) (٥) .

ليس المقصود هو خلق أصلهم وهو أبوالبشر آدم عليه السلام من تراب وانما المراد هو أن كل فرد من أفراد الانسان هو مخلوق من تراب بمعنى ان من التراب ينشأ الزرع وتنمو النباتات التى تؤتى ثمارها فيتغذى بها الانسان ومن عمارتها تتكون النظفة التى منها يخلق كل فرد من أفراد الانسان ، وكذلك الأنعام التى يتغذى بها الانسان فانما منشأها هو النبات ، حيث يأخذ

-
- (١) سورة النحل : آية (١٠) .
 - (٢) سورة الأعلى : آية (٤) .
 - (٣) سورة النازعات : آية (٣١) .
 - (٤) سورة النحل : آية (٦٨ - ٦٩) .
 - (٥) سورة الحج : آية (٥) .

دورته فى غذاة الانعام . وعليه يتغذى الانسان فكان جميع غذاة الانسان يأتى من النبات . وهذا ما يحشنا نحن المسلمين على العمل بدأب ونشــاط على توسيع الرقعة الزراعية وتنشيط عملية الفلاحة والزراعة وتنويع المحاصيل الزراعية بجميع أصنافها وأنواعها ، حتى نكون قد امتثلنا لمقاصد القرآن الكريم واشاداته وتنبيهاته لنا على مافى الزراعة وما فى النبات من خير كثير ونفع عميم) .

انفاضة الثالثة : النبات مصدر من مصادر الصحة للانسان :

ان الصحة أمر مهم للانسان بها يسعد فى حياته سواء كانت جسمية أو نفسية ، واذا ما اعترضها عارض ، أو اغتالها مرض ، أو نكد حياتها تعب فهناك الدواة والعلاج والأمراض التى تصيب الانسان كثيرة ولها أسباب متعددة ، واذا أصاب الانسان الداء نجده يتلمس طرق الشفاء ، ورحمة بالانسان ومحافظة على صحته لم يتركه الاسلام ، وانما رسم له العلاج ، وذلك بالأمر بالتداوى ، وهذا ما كان فى هدى النبى صلى الله عليه وسلم ففى صحيح مسلم عن جابر عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لكل داء دواة فاذا أصيب دواة الداء براً باذن الله عز وجل " (١) .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى قال صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " (٢) .

النباتات الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ودورها فى الصحة :

لم يأمر الاسلام الانسان بالتداوى ويتركه يتخبط فى مسارة الأدوية والعلاج تخبطا عشوائيا ، وانما حدد له طريق العلاج ورسم له المنهج فى ذلك ،

- (١) صحيح مسلم (١٧٢٩/٤) كتاب السلام . باب لكل داء دواة واستحباب التداوى .
- (٢) صحيح البخارى (١٥٨/٧) كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء .

وبينه له والهمه إليه فقال تعالى : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (١) •

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن فى العسل شفاء ، والعسل مصدره الأساسى النبات حيث أن النحل يتغذى على النباتات فقط • كما ألهمه الله سبحانه وتعالى ، والعسل فيه فوائد كثيرة للإنسان وهو يستعمل غذاء ودواء فى كثير من الأمراض كما ذكر ذلك عنه (٢) ، وهذا مثبت بالتجربة الواقعية بما حصل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بتأكيده له • ففى صحيح البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : " الشفاء فى ثلاثة ، شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنا أنهى أمتى عن الكى " • رفع الحديث ورواه القمى عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى العسل والحجامة (٣) •

وفى الصحيحين من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى : " أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أخى يشتكى بطنه ، فقال : اسقه عسلا ، ثم أتى الثانية ، فقال : اسقه عسلا ، ثم أتاه فقال فعلت فقال : صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، اسقه عسلا ، فسقاه فبرأ " (٤) •

-
- (١) سورة النحل (٦٨ - ٦٩) •
(٢) الطب النبوى / ابن القيم الجوزية (٢٧) - القانون فى الطب / ابن سينا (٤٠٢/١) نهاية الارب فى فنون الأدب / النويرى (٣٢٥/١١) •
(٣) صحيح البخارى (١٥٩/٧) كتاب الطب ، باب الشفاء فى ثلاث - صحيح مسلم (١٧٣٠/٤) كتاب السلام ، باب لكل داء دواء عن جابر - انظر كتاب وجوه من الاعجاز القرآنى ، مصطفى الدباغ (١٠٨ - ١٠٩) ، ط ١ مكتبة المنار (١٩٨٢ م) •
شرطة : ضربة مشراط •
محجم : أى الحديد التى يشرط بها موضع الحجامة ليخرج الدم • انظر هامش صحيح مسلم تعليق محمد فؤاد عبدالباقي (١٧٣٠/٤) •
(٤) صحيح البخارى (١٥٩/٧) كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل واللفظ له • صحيح مسلم (١٧٣٦/٤) كتاب السلام ، باب التداوى بسقى العسل • استطلقت بطنه (الاستطلاق الاسهال استطلق بطنه اذا مشى) ، انظر هامش صحيح مسلم (١٧٣/٤) تعليق محمد فؤاد عبدالباقي •

أى المراد بقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) (١) وهذا تصريح منه صلى الله عليه وسلم بأن الضمير فى قوله تعالى (فيه شفاء) يعود الى الشراب الذى هو العسل ، وتختلف أنواعه ومنافعه وفوائده على حسب أكل نحلته أى على حسب نوع النبات الذى جمعه النحل من رحيق الأزهار (٢) .

فوائد العسل :

- (١) علاج للجروح لأن العسل إذا عولج به الجرح يزيد فى كمية (الجلوتاثيون) الموجود فى افراز الجرح ، والجلوتاثيون يلعب دورا فى منتهى الأهمية فى عمليات التأكسد والاختزال فى الجسم ، وهو ينشط نمو الخلايا وانقسامها وبهذه الطريقة يسرع بشفاء الجروح .
- (٢) علاج لجهاز التنفس وترجع فائدة العسل كعلاج بالاستنشاق الى التباين القديم جدا ، وهذه الطريقة ناجحة فى علاج أمراض الجوزء العلوى من جهاز التنفس ، وذلك بوضع محلول العسل فى جهاز رشاش للاستنشاق من الماء والعسل .
- (٣) علاج للزكام ونزلات البرد ولقد استعمل العسل لعلاج الزكام فى العصور القديمة وذلك بمزجه باغذية وعقاقير اخرى مثل اللبن الدافىء وعصير الليمون وغير ذلك .

(١) سورة النحل (٦٩) .

(٢) انظر كتاب العلاج بعسل النحل : ن . يويريش / ترجمة د . محمد

الخلوى (٥٩) .

٩ - علاج للأمراض الجلدية فلقد استعملت مراهم العسل واقراصه منذ القدم
لعلاج امراض الجلد مثل الخراييج و الدمامل وسل الجلد ، كما ان للعسل
دور فى المحافظة على جمال الوجه باستعمال قناع للوجه من العسل
لتقوية وتظرية الجلد وازالة التجاعيد .

١٠- علاج لأمراض العين لقد ثبت لدى الأطباء أن العسل يمكن استعماله
بنجاح لعلاج أمراض العين ، وخصوصا التهابات العين كالتهاب
الجفون والملتحمة والقرنية ، كما أنه نجح فى علاج القروح البطيئة
الالتئام الموجودة بالقرنية وأمراض أخرى (١) .

معنى هذا أن النبات مصدر شفاء للانسان كما هو مصدر غذاء ورزق ،
ومأوى وكساء . ومنه ماهو أيضا غذاء ودواء للانسان كالتمر الذى قال فيه
الرسول صلى الله عليه وسلم (من تصبغ بسبع تمرات عجوة من عجوة العالية
لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (٢) .

والنباتات التى تدخل فى علاج الانسان وغذائه كثيرة لاتعد ولا تحصى ، ولم
يتعرض القرآن لذكر النباتات كلها وانما اجملها فى ذكر الفواكه والزرع ،
وذكر بعضها بأسماء ثمارها ، ولقد جمع الله سبحانه وتعالى أنواع النباتات

(١) انظر ذلك بالتفصيل من كتاب العلاج بعسل النحل / تاليف ن يويورىيش

ترجمة محمد الحلوجى ، من ص ١١٧ الى ص ١٤٠ .

(٢) الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٢٤) علل الحديث / الرازى (٣٢٨/٢)

اخرجه صحيح البخارى (١٧٩/٧-١٨١) وصحيح مسلم (١٦١٨/٣-١٦١٩) الطب

عن عامر بن سعد عن ابيه رواية عن عائشة فى صحيح مسلم ورواية البخارى
بدون عجوة العالية .

سم : هو كل مادة اذا دخلت الجوف عطلت الاعمال الحيوية أو أوقفتها
تماما .

عجوة : نوع جيد من التمر .

العالية : ماكان من القرى من جهة المدينة العليا مما يلى نجد .

والسافلة : مما يلى تهامة . انظر هامش صحيح مسلم ، تعليق محمد فؤاد

عبدالباقي (١٦١٨/٣) .

التي تدخل فى غذاء الانسان وصحته ، ويهتم بها الانسان ، فى قوله تعالى :
(فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا
الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا
وحداثق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم) (١) .

فى هذه الآيه يبين الله سبحانه وتعالى حاجة الانسان للنباتات غذاء
ودواء فى الحبوب ، والفواكه ، والخضر ، وغيرها مما يتخذ علاجاً ولا يتغذى
به أو يتفكه .

لذلك سوف أقوم بتصنيفها حسب أنواعها وذكرها فى القرآن وبيان
فائدتها الصحية .

أولا : الفواكه :

ورد ذكر الفاكهة فى القرآن أربعة عشر مرة فى احدى عشر موضعا
مفردة وجمعا ،

والفاكهة : هى ثمار الشجر وتؤكل بدون معالجة أو طبخ فمنها
ماله عجم مثل البلح والتمر ، الخوخ ، المشمش ، ومنها ماله بذور مثل
العنب ، البرتقال ، اليوسفى ، الكمثرى ، ومنها ماله قشر : الجوز ،
اللوز ، التين الشوكى ، الرمان .

والفاكهة كما هى غذاء مفيد للجسم كذلك تدخل فى علاج كثير من الامراض
ولها فائدة صحية للجسم الانسان ، وقد ذكر القرآن بعض من بعض أنواع الفواكه
باسمائها ومنها التين ، الرمان ، الزيتون ، العنب ، النخل .

(١) سورة عبس : (٢٤-٣٢) .

١- التين فاكهة : ذكر في القرآن مرة واحدة في سورة التين وهو على ألوان وأنواع الأسود والأبيض والأحمر وأكبره الأحمر وهو ما يعرف بالطباز، وأفضله وأحسنه وأجوده الجلد اشى وهو أسود ليس بالحالك ، وحياته فيها طول ، وبطونه ابيض وهو أحلى أنواع التين (١) ، وقال ابن سينا : وأجوده الابيض ثم الأحمر ثم الأسود (٢) ، وربما كان الأسود أجود من حيث الطعم والحلاوة، والأبيض أجود من حيث الصحة والعلاج .

قال الرازي : التين غذاء وفاكهة ودواء ، اما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم ، لا يمكن في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشيح، ويقلل البلغم ويطهر الكلية ويزيل ما في المثانة من رمل، ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه، وأما كونه دواء فلأنه يتداوى به في اخراج فضول البدن (٣) .

فائدته الصحية : يعالج به الجروح والقروح النتنة، ويعالج به الامساك وكسل الامعاء والسعال وتعطى ثمار التين الجافة خاصة للأطفال والناقهين والرياضيين والنحفاء (٤) .

٢- الرمان فاكهة : ورد ذكره في القرآن ثلاث مرات في موضعين وثمار الرمان كبيرة وتحتوى على بذور داخل قشرة رقيقة ويغلفها من الخارج غلاف جلدى .

قال الرازي : للرمان حالة عجيبة جدا وذلك لأنه جسم مركب من أربعة أقسام قشره ، وشحمه، وعجمه، وماؤه، فهو غذاء من وجه ودواء من وجه ، فاذا تأملت في الرمان وجدت الأقسام الثلاثة موصوفة بالكثافة التامة الأرضية، وهي اليبوسة ، والبرودة والقبوضة ، ووجدت القسم

(١) انظر النبات: ابوحنيفة الدينورى (١٢٧) مخطوط .

(٢) القانون فى الطب : ابن سينا (٤٤٦/١) .

(٣) تفسير الفخر الرازي (٤٣١/٨) .

(٤) انظر كتاب الغذاء لا الدواء ، د. صبرى قبانى (١٠٧ - ١٠٨) .

الطب النبوى / ابن الجوزى (٢٢٥ - ٢٢٦) .

الصحة والعلاج فى الطبيعة والأعشاب/ د. سامى محمود (٢٢٣) .

الرابع وهو ماء الرمان موصوفاً باللطافة والاعتدال وهو ألد الأشربة وأشدّها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف (١) .

فائدته الصحية : يعالج به أمراض القلب ويقوى المعدة ويقطع
الاسهال ويشفى من عسر الهضم ومن الأمراض الصدرية ويكافح
الأورام فى الغشاء المخاطى . (٢)

٣ - الزيتون : ورد ذكره فى القرآن ست مرات فى خمس مواضع ، والزيتون
يعتبر فاكهة وادام حيث يؤتدم بزيتته وثماره خضراء او سوداء
وله عجم وليس له قشر .

فائدته الصحية : قال الرازى : شجرة الزيتون هى الشجرة المباركة
فاكهة من وجه وادام من وجه اخر ودواء من وجه (٣) ويستعمل
لعلاج تساقط الشعر والأمراض الجلدية كما يعالج به الحصى الكلوى
والروماتيزم والتهاب الاعصاب والتواء المفاصل ، وهو مليح
ومفيد جداً لمرضى السكر . (٤)

٤ - العنب : ورد ذكر العنب فى القرآن احدى عشرة مرة فى عشر مواضع
ومرة اتى بلفظ المعروفات فى سورة الأنعام (وهو الذى انشأ
جنات معروفات وغير معروفات) (٥) والمعروفات العنب الذى يجعل
له عريش ، لان العنب نبات من النباتات التى تنبسط على الارض ولا تقوم
على ساق وثماره رقيقة لطيفة لينة فاذا تركت منبسطة على الأرض تتعرض
للتلف ولذلك يعرّش حماية للثمرة ، ليس كالبطيخ فانه أيضاً ينمو
منبسطة على الارض ولكنه لا يعرّش فثماره ثقيلة وكبيرة ولها قشرة
سميكة قوية ، وتحمل انبساطها على الأرض ولا تتحمل التعريش فانها

-
- (١) تفسير الفخر الرازى (١٠٧/٤) .
 - (٢) انظر الطب النبوى / بن الجوزى (٢٤٣) .
 - (٣) تفسير الرازى (٤٣٢/٨) .
 - (٤) انظر الغذاء لا الدواء / د. صبرى قبانى (٣٣٢ - ٣٣٥) ، تذكرة
داود الانطاكى (١٨٣/١) .
 - (٥) سورة الانعام (١٤١)

إذا عرشت تسقط الثمار لثقلها ، فسبحان من ألهم الانسان الى كل ذلك .

وثمار العنب لحمية متعددة الأشكال والحجوم والألوان وتنبت
الثمار على عنقايد وكل عنقود يجمع حبات العنب الصغيرة .

فأحدثه الصحية : قال الرازي : ان العنب اشرف انواع الفواكه
وذلك لأنه من اول ما يظهر يصير منتفعا به الى آخر الحال . فـأول
ما يظهر على الشجر يظهر خيوط خضراء دقيقة حامضية الطعم لذيدة
المطعم ثم بعده يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء والمرضى
وقد يتخذ من الحصرم أشربة لطيفة المذاق ونافعة لأصحاب الصفراء ،
ثم اذا تم العنب ونضج فهو الذ الفواكه واشهاها ويبقى منه الدبس
والزبيب والخل (١) ، ومنافع هذه الاشياء كثيرة - - - ويعالج
بالعنب الأمراض الصدرية وأمراض الكلى والرمل والامسك .

٥ - النخل : ورد ذكر النخل في القرآن عشرين مرة في ست عشر موضع
بلفظ النخل ولم يرد ذكر ثمره إلا في آية واحدة في قوله تعالى :
(وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٢) وهو أكثر
أنواع الفواكه والنباتات ذكر في القرآن لما فيه من الفوائد
العظيمة من ثمره وشجره ، وثمره النخيل معروفة بالرطب والتمر ،
وهي غضة لينة ، وتتكون من ثلاث طبقات خارجية رقيقة ، ووسطى
لحمية وداخلية على شكل غشاء رقيق يحيط بالبذرة وهي على اشكال
وأنواع وأحجام وألوان ، وتؤكل رطبة طازجة أو مجففة يابسـة
وخاصيتها حارة رطبة .

(١) تفسير الرازي (١٠٧/٤) وانظر كتاب الغذاء لا الدواء ٤٠٠ صـرى

قبانى (٦٨ - ٧٢) .

(٢) سورة مريم (٢٥) .

فائدته الصحية : ذكر فى الرطب أنه أشرف أنواع المطعومات بعد الحبوب ، فهو غذاء وفاكهة حيث أنه كان طعام العرب سابقا ولاحقا وهو كذلك دواء يدخل فى كثير من علاجات الامراض الجسدية التى منها الاورام السرطانية لانه غنى بعنصر المغنسيوم والروماتيزم وأمراض العيون ، وهو غذاء جيد للحامل وخاصة عند الولادة فانه يسهل ويساعد عملية الولادة ويعالج به الامساك كما يظهر الجسم وينقيه من السموم والجراثيم وصدق القائل فى ذلك صلى الله عليه وسلم اذ قال: (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (١) .

ثانيا : الحبوب :

ورد ذكر الحبوب فى القرآن اثنتى عشرة مرة فى احدى عشر موضعا والحبوب انواع من كل ما يقتات ويدخر مثل القمح ، الشعير ، الدخن ، والذرة البيضاء والصفراء السلت وغيرها ، ولم يرد فى القرآن ذكر أى نوع وانما كله أدرج تحت كلمة الحبوب (حبا - حب - حبة) والحبوب لها منافع عظيمة جملة للانسان وهى اول ما يقتات به الانسان خبزا من القمح والشعير والدخن ، وهى غذاء جيد للجسم كذلك علاج ودواء . وسوف اتناول بعضا من الحبوب لبيان الناحية العلاجية فيها :

١ - القمح : يقال له الحب والبر والحنطة وهو أجود أنواع الحبوب غذاء وأكثر ما يتخذ منه الخبز للاقتيات به ، وهو الافضل فى استعمال انواع المعجنات كلها من الخبز والكعك والبسكويت وغيره ، وهو على أنواع أيضا ، فمنه القمح الطرى ، ومنه القاسى ، وكل نوع يصنع

(١) صحيح البخارى (١٧٩/٧-١٨١) الطب . وانظر الرطب والنخله / ذ عبد الله السعيد (١٠٧ - ١٥١) الغذاء لا الدواء / د. صبرى قبانى (١١٩ - ١٣٠) . صحيح مسلم (١٦١٨/٣ - ١٦١٩) عن عامر بن سعد عن أبيه ورواية عن عائشة . سبق بيانها .

منه أكلات تناسب صفة حبة القمح من يبوسة وليونة ، وأجودهــــــــــــــــــــــــــــــا المتوسطة فى الصلابة، طبعها حار معتدل فى الرطوبة واليبوسة والقمح الكبير الاحمر اكثر غذاة .

فائدته الصحية : القمح يدخل فى علاج كثير من الامراض وخاصة النخالسة فانها يعالج بها السعال والزكام والحميات وتعتبر مهدئة لــــــــــــــــــــه ويعالج الامراض الجلدية والعصبية وامراض الاسنان والشعر والروماتيزم كما يستخدم دقيق القمح كعلاج لتهديجات الجلد الملتهب ، وقد ثبت علميا ان تناول خبز القمح من نخالته (الخبز البلدى) يقوى الاعصاب والدماغ ، واجهزة التناسل والدم والعظام والاسنان والشعر ويعدل وظيفة الغدة الدرقية وينشط العصارات الهاضمة ويحفظ الجسم من عدة امراض ويعطيه الحيوية والنشاط .^(١)

- ٢ - الشعير : يقال ان الشعير هو أقدم نبات زرع عرفته البشرية ومن ثم فهو أقدم غذاة عرفه الانسان ولقد عرف فى الطب القديــــــــــــــــــــــــم ، وكان اول من استعمله (ابوقراط) حيث استعمل مطبوخه فى علاج الالتهاب والحميات والشعير نوع من انواع الحبوب الا انه يختلف فى الشكل والطبع والطعم عن القمح وهو لا يصل الى الدرجة التي يصل اليها القمح فى اتخاذه غذاة او صنع الخبز منه لان دقيقهــــــــــــــــــــــــــــه لا يصلح كثيرا لصنع الخبز وهو ذو قيمة غذائية عالية .

فائدته الصحية : ان من خصائص الشعير انه ملين مقوى عام للاعصاب بوجه خاص مجدد للقوى منشط للكبد مخفض لضغط الدم نافع للاسهــــــــــــــــــــال ويوصف الشعير فى علاج امراض الصدر كالكسل والضعف العام وضعف المعدة والامعاء والكبد والتهاب المثانة والكلى وبطء النمو عند الاطفال ^(٢) . هذا وقد نصح الرسول صلى الله عليه وسلم باستعمال الحبوب لعلاج بعض الامراض ومنها ماجاء فى الصحيحين عن عائشة

(١) انظر كتاب الغذاء لا الدواء / د. صبرى قبانى (٣٠٠ - ٣٠٦) .

(٢) انظر فى ذلك :

(١) الغذاء لا الدواء ، د. صبرى قبانى (٣١٠ - ٣١١)

(٢) القانون فى الطب ، لابن سينا (٤٤٠/١) .

(٣) الموسوعة العربية الميسره (١٠٨٧/٢) .

(٤) التداوى بالاعشاب ، عبد اللطيف عاشور (١٢٤ - ١٢٦) .

(٥) المحاصيل الزراعية ، د. محمد العودات ، د. عبد الله الشيخ (٤٥ - ٤٦) .

رضى الله عنها انها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون
على الهالك وكانت تقول : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: (إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن) (١) .

والتلبينة : هى حساء من دقيق او نخالة قالوا: وربما جعل فيها
عسل . قال الهروى وغيره سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها
ورقتها . (٢)

ثالثا : الخضروات :

لم يرد ذكر الخضروات فى القرآن بلفظه وانما ادرجت واجملت فى
بعض الالفاظ الواردة فى القرآن الدالة عليها ضمنا ومنها (البقل) فى قوله
تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) (٣) .

وورد لفظ البقل مرة واحدة فى القرآن فى هذا الموضوع
ولم يرد ذكره فى غيره . جاء فى تفسير البقل : هو ما تنبت الارض من
الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكسرات
واشابهها قاله ابو السعود (٤) .

وقال القرطبى : البقل : معروف وهو كل نبات ليس له ساق (٥) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٦١/٧) كتاب الطب ، باب التلبينة للمريض .
 - صحيح مسلم (١٧٣٦/٤) كتاب السلام ، باب التلبينة هجئه لفؤاد المريض .
تجم : آى تريح الفؤاد وتزيل عنه الهم وتنشطه .
 - (٢) انظر هامش صحيح مسلم (١٧٣٦/٤) .
 - (٣) سورة البقرة (٦١) .
 - (٤) تفسير ابو السعود (٢٥٧/١) على هامش الرازى .
 - (٥) تفسير القرطبى (٣٦١/١) .

وعند أبوحنيفة: البقلة : هي كل عشبة تنبت من بذر ولم تنبت من أرومة باقية (١) .

معنى هذا أن البقل يدخل فيه كل أنواع النباتات غير الشجرية، والحبوب، ومن هذه النباتات الخضروات، والخضروات كثيرة فمنها ما يؤكل مطبوخا ومنها ما يؤكل غصبا ومنها ما يؤكل ورقا ومنها ما يؤكل ثمرًا ومنها ما يؤكل جزورا، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الخضروات هي البقول، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أكل ثوما أو بصلا فليعتز لنا أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بقلدر فيه خضروات من بقول فوجد لها ريحا، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها إلى بعض أصحابه كان معه فلما رآه كره أكلها قال كل فإني أناجي من لاتناجي (٢) .

من هنا يمكن تصنيف الخضروات الى أربعة أقسام :

- ١- الخضروات الورقية مثل الخس، الجرجير، السبانخ، الكرنب، البقدونس، وهكذا كل ما كان مثلها .
- ٢- الخضروات الثمرية : منها الكوسة، القرع، الخيار، القشياء، وكل ما كان على شاكلتها .
- ٣- الخضروات الجزرية : وهي الجزر، البطاطس، البطاطا، القلقاس، اللفت، البصل .
- ٤- الخضروات القرنية : وهي مثل الفول، الفاصوليا، العدس، البازلاء وما شاكلها .

(١) النبات : أبوحنيفة الدينوري (١٢٢) .

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢١٦-٢١٧) كتاب الصلاة . باب ماجاء في الثوم النيء . صحيح مسلم (٣٩٤-٣٩٥) كتاب المساجد . باب نهى من أكل ثوما أو بصلا . . .

وعند النظر فى الآية نجد ان الآية جمعت جنس الخضروات البصل -
الثاء ، العدس ، والورقية مدرجة فى لفظ البقل ، وربما ذكرها القرآن
فى موضع آخر بدون لفظها وهى عند قوله تعالى (فانبتنا فيها حبا وعنباً
وقضياً) (١) .

جاء فى تفسير قضيا :

- ١- القت والعلف عن الحسن: سُمى بذلك لانه يقضب اى يقطع بعد ظهوره
مرة بعد مرة وذكر انها الغصصة (٢) وهو (القت الرطب) .
- ٢- القضب : اسم يقع على كل ما يقضب من اغضان الشجر .
- ٣- ويقال: قضبايعنى جميع ما يقضب مثل القت والكراث وسائر البقول
التي تقطع فينبت اصلها (٣) .

فيكون على هذا ان القضب هو ما يؤكل من النبات وهو اخضر
غضا طريا ولا يحتاج فى اكله الى معالجة او طبخا . كما ذكر ذلك فى
معجم الفاظ القرآن : والقضب : كل نبات يقطع بعضه وهو اخضر ليؤكل
ويخرج مكانه غيره كالكأ والبرسيم والبقول والعلف الرطب واذا يبس
يسمى القت .

والقضب : ما يأكله الادميون من البنات غضا كالبقول (٤) ، واذا كنت
قد ذكرت سابقا ان البقول تشمل جميع انواع النباتات غير الشجرية
ومنها الخضروات ، والخضروات انواع ، ولاتؤكل كلها خضرا غضة بدون طبخ
او معالجة الا الخضروات الورقية والورقية منها لا يؤكل الا مطبوخا
مثل السبانخ والسلق ، إذا فناسب ان يكون المقصود بالقضب هو الخضروات
الورقية التى تؤكل بدون معالجة او طبخ مثل الخس ، الجرجير ، البقدونس
الشبت وغيرها .

-
- (١) سورة عبس (٢٧ - ٢٨) .
 - (٢) الفصصة : البرسيم الحجازى . انظر تذكرة داود الانطاكى (٢٥٠/١) ،
الغذاء لا الدواء ٤٦ (٢٢٩) .
 - (٣) تفسير القرطبي (٧٠١٢/٨) .
 - (٤) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية / محمد ابراهيم (١٤٢/٢) .
معجم الفاظ القرآن الكريم (٤٠٠/٢) .

أما قوله تعالى (وفومها) ورد لفظ الفوم مرة واحدة في القرآن في هذا الموضع وقد اختلفوا في قراءة فومها فقرأها ابن مسعود (ثومها) بالشاء المثلثة ، روى ذلك عن ابن عباس فتبدل الفاء الى (شاء) كما قالوا : (معافير و معاشير) (١) (وجدث وجدف للقبر) ، فعلى هذه القراءة فسرهما قوم بأنهما الثوم لانه المشاكل للبصل .

وقال آخرون : أن الفوم هو الحنطة . روى عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال ابواسحاق الزجاج: وكيف يطلب القوم طعاما لابر فيسه ؟ والبر أصل الغذاء ، وقال عطاء وقتادة : الفوم : كل حب يختبز (٢) وقال القدماء انها معربة غير عربية الاصل ومعناها الحنطة ، او الخبز . وقولهم فوموا لنا : اى اخبزوا لنا (٣) .

قلت: ربما احتمل اللفظ المعنيين : الحنطة والثوم فكانهم طلبوا الحنطة وهى اصل القوت والغذاء والثوم وهو المشاكل للبصل المناسب للعدس لان العدس فى الغذاء يصلحه الثوم والبصل والاصح انها الحنطة وقد سبق الكلام عنها . والله أعلم :

فوائد الخضروات الصحية :

١- الخضروات القرنية : من الخضروات القرنية التى وردت فى القرآن الكريم العدس . ورد لفظ العدس مرة واحدة فى القرآن فى هذا الموضع ، والعدس من البقولات القرنية وهو حبوب تؤكل مطبوخة ، وطبعه بارد يابس ، وقشره حار يابس .
فائدته الطبية / ذكر داود الانطاكى : ان العدس يسكن الحرارة ويزيل بقايا الحمى وماؤه يسكن السعال و اوجاع الصدر ودقيقه مع العسل يصلح الكى ويلحم القروح وغسل البدن به ينقى البشرة ويصفي

-
- (١) مغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط راعته ليست طيبة . انظر لسان العرب (٢/١٠٠١)
(٢) تفسير القرطبي (٣٦٢/١) .
(٣) معجم الفاظ القرآن (٢/٣٥٠) .

اللون والطلاء به مع الخل والعسل وبياض البيض يحل الاورام الصلبة والاستسقاء والترهل (١) .

٢ - الخضروات الثمرية : من الخضروات الثمرية التي ذكرت في القرآن " القشء " ولم ترد القشء في القرآن الا مرة واحدة في هذا الموضع والقشء من النباتات والخضروات التي تؤكل غضة بدون طبخ وتؤكل مطبوخة وهي مثل الخيار تماما وطبعها بارد رطب .
فائدتها الطبية : يعالج به لتسكين الحرارة والصفراء ومطفيء لحرارة المعدة الملتهبة والقشء نافع من وجع المثانة وبزره يدر البول وورقه يتخذ ضمادا نافعا من عضة الكلب . (٢)

٣ - اليقطين : ذكر في القرآن مرة واحدة في سورة الصافات عند قوله تعالى (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) (٣) واليقطين هو الدباء والقرع كما اتفق عليه وتطلق في اللغة عامة : وهو كل ما ينبت على الارض بدون ساق مثل الخيار والقشء والبطيخ . وقد جاء في تفسير الرازي : قال المبرد والزجاج : اليقطين : كل شجر لا يقوم على ساق وانما يمتد على وجه الارض فهو يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال الزجاج : احسب اشتقاقها من قطن بالمكان اذا اقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه الارض . فلذلك قيل له اليقطين . وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال : ومن جعل القرع بين الشجر يقطينا ؟ كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين (٤) .

وجاء عند القرطبي قوله : قال المبرد : يقال لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدباء والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق يقلها فهي شجرة فقط ، وان كانت قائمة اي بعروق

(١) تذكرة داود الانطاكي (٢٣٥/١) .

(٢) الطب النبوي ، لابن الجوزي (٢٧٣) .

- القانون في الطب ، لابن سينا (٤٢٥/١) .

(٣) سورة الصافات (١٤٦) .

(٤) تفسير الرازي (١٦٠/٧) .

تفترش فهي نجمه وجمعها نجم (١) .

مما سبق يتضح ان اليقطين اعم من ان يخص بنبات معين ، والدباء والقرع نوع من أنواعه وهو من الخضروات الثمرية التي لاتؤكل الا مطبوخة .
فائدته الطبية : يعالج بالقرع والدباء الامساك وحصر البول والبواسير وعسر الهضم ، وهو مطهر للصدر وبذره نافع جدا لظرد الدودة الوحيدة ومعالجة الحروق والقروح ، ومعالجة الارق والتهاب مجارى البول (٢) .

٣ - الخضروات الورقية : لم يذكر القرآن منها شيئا وانما ذكرت مدرجة في البقول والقضب ومنها :

أ - الجرجير : فالجرجير معروف عند العرب قديما وحديثا ، وهو من الخضر الورقية بحيث تؤكل ورقة غضة طرية خضراء بدون طبخ ، اما فائدته الطبية فيعالج به سقوط الشعر وامراض الكلى كما انه يدر البول ويستعمل لعلاج الحروق والتسمم بالنيكوتين ب - البقدونس : يؤكل البقدونس بدون طبخ ويعتبر من التوابل للسلطات وكثير من الاطعمة المطبوخة . اما فائدته الطبية فيعالج به اضطراب الدورة الدموية وامراض الكلى وامراض العيون .

٤ - الخضروات الجزرية : لم يذكر منها القرآن الكريم الا البصل وذكر البصل مرة واحدة في هذا الموضع فقط وانما ذكر في الحديث وبين الرسول صلى الله عليه وسلم انه من الخضروات عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أكل من هذه الخضروات الثوم والبصل والكراث والفجل فلا يقرب مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما تتأذى بنو آدم) (٣)

(١) تفسير القرطبي (٥٥٧٣/٧) .

(٢) انظر الغذاء لا الدواء (٢٣٧) الطب النبوي (٣١٦ - ٣١٧) .

(٣) المعجم الصغير : الطبراني (٢٢/١) وقد أخرجها مسلم بغير لفظ الخضروات وانما بلفظ البقل عن ابن عمر وعدة روايات أخرى عن جابر وابى هريرة (٣٩٤/١ - ٣٩٥) كتاب المساجد . وكذلك أخرجها البخاري بعدة الفاظ وعدة روايات (٢١٦/١ - ٢١٧) كتاب الصلاة . وانظر في الفوائد المحاصيل الزراعية (١٢٥) ، الغذاء لا الدواء (٢٢٦-٢٢٧) .

والبصل نبات معروف يوجد منه نوعان أحمر وأبيض ولا فرق بينهما —————
من الناحية الطبية . وتتمثل فائدته الطبية في أن البصل يعالج كثير
من الامراض الخارجية مثل الاورام ، مسامير اصابع القدم ، والقروح النتنة
ومن الداخل: لتلين البطن وطرده الغازات المعوية والديدان ، ويعالج السعال
والربو كما أنه يخفض كمية السكر في الدم للمصابين بمرض السكر . (١)

رابعاً: النباتات المفيدة للعلاج :

هي النباتات التي تدخل في العلاج فقط دون الغدا ٦١ ، والتفكه
بها ومنها ما ذكره القران صريحاً في قوله تعالى : " والحب ذو العصف
والريحان " (٢) .

والريحان ورد في القران مرتين في موضعين . مرة ذكر في ضمن
نعيم الدنيا وهو في قوله تعالى : " والحب ذو العصف والريحان " ومرقذك
ضمن نعيم الآخرة عند قوله تعالى : " فاما ان كان من المقربين . فـروح
وريحان وجنة نعيم " (٣) .

وقد ورد في معنى الريحان أقوال :

١- انه الرزق فيكون كأنه قال : " والحب ذو الرزق، والرزق من حيث كان
العصف رزقاً، لان العصف رزقاً للبهائم والريحان رزق للناس .

٢- انه اشارة الى الزهر الذي يتكون بالحب فيكون ~~العصف~~ الورق والريحان
الزهر فيصبح هنا من باب حذف المضاف (ذو العصف وذو الريحان)
(والحب ذو العصف وذو الرزق) عطف على العصف بالجر .

٣- انه الريحان المشموم فيكون عطفاً على الحب بالرفع ، قال الرازي عند
تفسيره لقوله تعالى : (والحب ذو العصف والريحان) فيه وجوه :

-
- (١) الغدا ٦١ لا الدواء ٦١ (١٨١ - ١٨٤) ، المحاصيل الزراعية (٩٦) .
(٢) سورة الرحمن (١٢) .
(٣) سورة الواقعة (٨٨-٨٩) .

- ١- قيل مايشم .
- ٢- وقيل الورق .
- ٣- وقيل هو الريحان المعروف وبذره ينفع فى الادوية . والاظهر ان راسها كالزهر وهو اصل وجود المقصود ، فان ذلك الزهر يتكون بذلك الحب وينعقد الى ان يدرك ، فالعصف اشارة الى ذلك الورق والريحان الى ذلك الزهر وانما ذكرهما لانهما يؤولان الى المقصود من احدهما علف الدواب ومن الآخر دواء الانسان وقرىء (الريحان) بالجر على العصف وبالرفع على الحب وهذا يحتمل وجهين :
- ١- ان يكون المراد من الريحان المشموم فيكون امرا مغاير للحب فعطف عليه .

٢- ان يكون التقدير ذو الريحان بحذف المضاف واقامة المضاف اليه وهذا مناسب لما ذكرنا ليكون الريحان الذى ختم به انواع النعم الارضية اعز واشرف ، وذلك حيث انه ذكر النخل اولا ثم الحب على سبيل الارتقاء درجة فدرجة ، الحبوب انفع من النخل واعم وجودا فى الاماكن ولو كان المراد من الريحان هو المعروف ، او المشموم لما حصل ذلك الترتيب (١) .

الترجيح :

١- الراجع مما سبق انه المقصود به (الريحان) المشموم المعروف وذلك ان الاية فى سورة الرحمن (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان)^(٢) لما يكون الترتيب فيها من الاشرف الى الادنى ، فذكر الله سبحانه وتعالى اولا الفاكهة ومنها النخل حيث ان الفاكهة اعلم من الحبوب فهى غذاء ودواء وقوت وتفكه ومتعة فى الاكل منها وتلذذا بها . اما الحبوب فهى قوت وغذاء ودواء فقط لذلك ذكرها بعد

(١) الفخر الرازى (١٠/٨) تفسير القرطبي (٦٣٢٨/٧) .

(٢) سورة الرحمن: (١١-١٢) .

النخل لانها اقل درجة منها فى المنفعة ثم بعد ذلك (الريحان) فهو لا يستفاد منه لا قوت ولا غذاة ولا فاكهة وانما جاء جمالا وزينة وريحانة زكية ودواءة ، إذاً أقل درجة حيث لا يدخل فى غذاة الانسان ، فذكر آخر ما يستفاد منه من النبات حيث لا يحتاج اليه كل انسان .

٢ - كما ان سياق الاية يدل على التغيرات بين الالفاظ من الفاكهة اللى الحبوب الى النبات ، وفى ذلك بيان لانواع النباتات ، ثم ان اسم الريحان له مسمى نوع من انواع النباتات ، فطالما ان له مسمى فلما العدول عن ظاهر اللفظ وحقيقته الغير ذلك ، وقد ورد ذكر الريحان فى السنة فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الريح) (١) .

اذا فالمناسب ان يكون الريحان المقصود به فى الاية هو النباتات المعروف برائحته وشكله وبذره وهذا من بيان اهتمام الشرع بالمتعة فالريحان تستطيبه النفس وتستمتع به شكلا ورائحة وهنا تكمن فائدته الصحية النفسية للانسان .

قال ابن الجوزى : الريحان : كل نبت طيب الريح فكل أهل بلاد يخصونه بشيء من ذلك ، فاهل الغرب يخصونه بالريح وهو الذى يعرفه العرب بالريحان وأهل العراق والشام يخصونه بالحبق ، قلت المقصود بالريحان لان الريحان فى رائحته وورقه وزهرة وفائدته وطبعه يختلف عن الحبق ، لذلك كان المقصود به الريحان المعروف بعينه عند العرب من الماضي للحاضر .

فهو نبات اوراقه دائمة الخضرة وازهاره بيضاء صغيرة ، يسمى الالسى فطبعه بارد يابس .

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٦٦) كتاب الالفاظ ، باب كراهة رد الريحان والطيب .

ويعالج الاسهال والاورام الحادثة فى المشانة وشمه مفرح للقلب ومانع للوباء ، وورقه يعالج به الرعاف والقروح ، ويمنع تكون القشرة فى الرأس وتساقط الشعر ، وبذره نافع لعلاج الامراض الصدرية والسعال (١) .

وهناك كثير من النباتات التى تكون دواءً وعلاجاً للانسان فقط وذلك مثل الحبة السوداء . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " (٢) .

ومن فوائد الحبة السوداء أنها تقطع البلغم وتحلل الرياح والنفخ كما انها تعالج القروح البلغمية والجرب المتقرح والوجاع المزمنة فى الرأس ووجاع الاسنان . كما انها تصلح كدواء لقتل الديدان السامة غير ذلك من الامراض (٣) .

(١) كل مامر من الفوائد والتعريف بالنبات مقتبس من ماياتى:

- ١- القانون فى الطب ، ابن سينا ، الجزء الاول .
- ٢- الطب النبوى ، ابن قيم الجوزية .
- ٣- الرطب والنخلة ، عبد الله السهيد .
- ٤- التداوى بالاعشاب / عبد اللطيف عاشور .
- ٥- الصحة والعلاج فى الطبيعة والاعشاب / د . سامى محمود .
- ٦- التداوى بالاعشاب / امين رويحه .
- ٧- الطب المجرب / خالد سيد على .

(٢) صحيح البخارى (١٦٠/٧) كتاب الطب ، باب الحبة السوداء .
صحيح مسلم (١٧٣٥/٤) السلام ، باب التداوى بالحبة السوداء .
الحبة السوداء : الشوينز جاء فى مسند احمد عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للشوينز عليكم بهذه الحبة السوداء (٢٦٨/٢) واخرجها ابوداود والطيالسى فى مسنده عن ابى هريرة (٣٢٢) .

السام : الموت . انظر صحيح البخارى (١٦٠/٧) .
(٣) التداوى بالاعشاب والنباتات ، عبد اللطيف عاشور ص ٦٦ .

والقسط أو الكست (١) ورد ذكره في هدى النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوى به من حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير ما تداوى به الحجامه والقسط البحرى" (٢) .

ويستفاد من القسط فى معالجة الجرب وهو يعتبر من اقوى المطهرات لذلك يستعمل لغسل الجروح ومنع تقيحها ، ولمداواة الطفحات الجلدية الجافة ، كما أنه يفيد فى معالجة الالتهابات الشعبية والرئوية بجميع أنواعها بما فى ذلك السل الرئوى خصوصا وأن مادته المطهرة تضعف نمو الجراثيم وتقضى عليها كليا ، وتخفف عسر النفس وتحد من نوبات السعال الديكى ، وفى الجهاز الهضمى يحسن الشهية للاكل ويسهل افراز المرارة وادرار البول ، كما انه يصلح لعلاج الربو وفقر الدم (الانيميا) ويقى الجسم من الاصابة بالأوبئة عند ظهورها (٢) .

والقسط نبات له اصناف متعددة . ينفع فى كثير من الامراض كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسند أحمد من حديث أم قيس انها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لى قد أعلقت عليه (٤) من العذرة (٥) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله على ما تدغرن (٦) أولادكم بهذه الأعلق عليكم بهذا العود الهندى ، فان فيه سبعة أشفيئة

-
- (١) الكست : هو العود الهندى وهو خشب يوتى به من بلاد الهند طيب الرائحة قابض فيه مرارة يسيرة . انظر هامش صحيح مسلم (١٧٣٤/٤) محمد فواد .
 - (٢) الطب النبوى ، لابن الجوزى (٢٧٣ - ٢٧٤) قال السيوطى فى الجامع الصغير أخرجه أحمد فى المسند والنسائى فى السنن وهو صحيح (١١/٢)
 - (٣) التداوى بالأعشاب والنباتات : عبد اللطيف عاشور ص (١٦٤) الطب النبوى لابن الجوزى (٢٧٣ - ٢٧٤) .
 - (٤) أعلقت : أى عانجت وجع لهاته باصبعى .
 - (٥) العذرة : داء يصيب الحلق وهو قرحة تخرج من الخرم الذى بين الحلق والأنف . تصيب الصبيان غالبا .
 - (٦) تدغرن : أى أنها تغمر حلق الولد باصبعها فترفع ذلك الموضع وتكبسه . انظر هامش صحيح مسلم (١٧٣٤/٤) محمد فواد عبد الباقي .

منها ذات الجنب (١) . وقد أخرجت الرواية فى الصحيحين عن الزهرى عن
عبدالله بن عبدالله (٢) .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " الكمأة من
المن وماؤها شفاء للعين) ، والكمأة من النباتات التى توجد فى الربيع
تحت الأرض وهو اصل مستدير كالقلقاس لاورق لها ولا ساق ولا عرق لونه يميل
الى الغبرة وتنبت عفوية من غير صنعة ولا علاج ولا حرث (٣) .

والمن : شبهها بالمن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل لانه كان يحصل
لهم بلا تعب ولا غرس ولا زرع ولا حرث مثلها ، وقيل هى من المن الذى أنزل
الله تعالى على بنى اسرائيل حقيقة عملا بظاهر اللفظ (٤) .

ومنها كذلك نبات الأرقطيون(٥) يستعمل لطرد السموم وتنقية الجلد ،
ونبات حبق الراعى(٦) الذى يستعمل علاجاً لمرض البول السكرى والهندبان
البرى (٧) نبات يستعمل لعلاج البواسير واحتقان الكبد ،

-
- (١) ذات الجنب : هو التهاب غلاف الرئة فيحدث منه سعال وحمى ونخس فى
الجنب يزداد عند التنفس . انظر هامش صحيح مسلم (١٧٣٤/٤) .
- (٢) نهاية الارب فى فنون الادب / النويرى (٤٩/١٢ - ٥٠) .
القانون فى الطب : ابن سينا (٣٣٣/٣) (٤٢٠/١) .
- صحيح البخارى (١٦٤/٧) الطب ، باب اللدود ، صحيح مسلم (١٧٣٤/٤ -
١٧٣٥) السلام ، باب التداوى بالعود الهندى ، مسند احمد (٣٥٥/٦)
وروى فى علل الحديث / الرازى عن عائشة وانكره وقال انما يرون عن
ابى سفيان عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم (٣٢٤/٢) .
- (٣) الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٧٩) القانون فى الطب / ابن سينا
(٣٤٣/١) . صحيح البخارى (١٦٤/٧) كتاب الطب ، باب المن شفاء
للعين من صحيح مسلم (١٦١٩/٣) الأشربة . باب فى فضل الكمأة ، عن
سعيد بن زيد ، واللفظ للبخارى .
- (٤) صحيح مسلم (١٦٢٠/٣) تعليق محمد فؤاد عبدالباقي .
- (٥) ماؤها شفاء للعين : ماؤها مجردا يعصر ويجعل فى العين منه .
- (٦) الارقطيون : نبات مزغب مربع يخلف بذرا فى حجم الكمون اسود .
- (٧) حبق الراعى : عشبة عطرية لها مذاق يقرب من مذاق الفلفل له استعمالات
متعددة خاصة ورقه .
- (٧) الهندبان البرية : عشبة تعرف باسم خس برى أوراقها طويلة مكسوة
بشعيرات خشنة أزهارها زرقاء .

ونبات قررة دقوش (١) يستعمل علاجاً للزكام والنزلات الشعبية (٢) .
والحناء نبات مفيد جداً للشعر وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم :
كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء ، ويقول انه نافع باذن الله من
الصداع (٣) . وتستعمل الحناء في علاج حالات كثيرة منها الصداع ، تشقق
الرجلين نظراً لاحتوائها على مادة قابضة ، كما تستخدم في علاج الاورام ،

-
- (١) قردقوش : هو مرز بخوش ويعرف باسم مرو ، وهو نبات كثير الاغصان
عشبي اوراقه مستديرة زهره ابيض يميل الحمرة طيب الرائحة .
(٢) كتاب التداوى بالاعشاب : د . امين رويحه (٤٦-٤٨-٢٨٠-٣٠٦) .
التداوى بالاعشاب : عبد اللطيف عاشور (١٧-١٩٩-٢٠٧) .
(٣) كتاب الطب النبوي / ابن قتيبة الجوزية (٦٦) - القانون في الطب :
ابن سينا (٣١٣/١) نهاية الارب في فنون الادب / النويري (١١٨/١٢) .
مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية (٢٣٣/١) .
الطبيعة والاعشاب د . سامي محمود (٧٩) .
قال في المواهب اللدنية : القسطلاني أخرجه ابن ماجه في سننه
وفي صحته نظر (١٥٩/٢) .
قلت: ولم اقد عليه بنفس اللفظ ولم يذكر سنده وانما ماكان في سنن
ابن ماجه (١١٥٨/٢) الطب ، والترمذي (٢٦٥/٣) الطب ، وابدود :
(٣٣٢/٢) الطب ومسنده احمد (٤٦٢/٦) كلهم عن سلمى خادم الرسول
صلى الله عليه وسلم قالت : (ماكان يكون برسول الله صلى الله عليه
وسلم قرحة ولانكبة الا امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضع
عليها الحناء) واللفظ للترمذي وقال هذا حديث غريب انما نعرفه
من أحاديث فائد . وانظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني (١١٣-١١٤) .
وقال في مجمع الزوائد ، رواه احمد ورجاله ثقات . وروى عن أبي
هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا نزل عليه الوحي
صدع فيغلف رأسه بالحناء) رواه البزار وفيه الاحوص بن حكيم . وقد
وثق وفيه ضعف كثير وابوعوف لم أعرفه (مجمع الزوائد للهيثمى
(٩٨/٥) وانظر في توثيق وتجريح الاحوص خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : الخورجى
(٢٤) ضعفه - تهذيب التهذيب ابن حجر : (١٩٢-١٩٣) ضعفه .
الجرح والتعديل / الرازي (٣٢٧-٣٢٨) ضعفه .
تقريب التهذيب : ابن حجر (٤٩/١) قال ضعيف الحفظ .
الكاشف : الذهبى (١٠٠/١) ضعفه : المجروحين : للبستى (١٧٥/١) ضعفه .
التاريخ الكبير : البخارى (٥٨/٢) لم يقل فيه شيئاً .
ديوان الضعفاء / للذهبي (١٥) ضعفه .
(=)

والقروح ، هذا وتستخدم الحناء أيضا في الصباغة حيث تدخل في صباغة
ودبغ الجلود لما في الحناء من مواد ملونة وقابضة ، وكذلك في صباغة الشعر
لتجميله وفي علاج قشر الشعر والتهاب فروة الرأس ، كما تعمل على تقلييل
افراز العرق فتختفى بذلك رطوبة الشعر ، كما انها تعمل على تنقية فروة
الرأس من الميكروبات والطفيليات والافرازات الزائدة للدهون (١) .

وفي السواك امر عظيم للانسان ومهم جدا لنظافة وصحة بدنه وأسنانه
والنبت يدخل دخولا مباشرا في صحة ونظافة الاسنان والفم ، وذلك لأن
أصلح ما يتخذ للسواك هو عود من خشب أشجار الاراك لما فيه من الفوائد
والمنافع للانسان التي اودعها الله فيه لنظافة الفم والاسنان ، وقد كان
يستعمل في الماضي ولا زال للحاضر ، وسيزال الى المستقبل بل والى أن تقوم
الساعة ، وذلك لانه أفضل لصحة الاسنان من المعاجين التي يستعملها
الانسان فهو صنع الله سبحانه وتعالى وضع فيه من المواد النافعة
للانسان ما يتحير امامها عقل الانسان ، ولا يستطيع العلم الحديث أن يلمم
بها ويعوض عنها في معاجين مصنعة من صنع الانسان تتعرض للنقص والتقصير
والخطأ ، والسواك هدى النبي صلى الله عليه وسلم وحته ، وترغيبه للانسان
بالسواك فقد قال عليه الصلاة والسلام : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم
بالسواك مع كل صلاة) (٢) . وفي رواية أخرى (السواك مطهرة

(=) الضعفاء والمتروكين للنسائي : (٣٨٥) ضعفه آخر كتاب التاريخ الصغير
للبخارى - الضعفاء .

(١) التداوي بالاعشاب والنباتات / عبد اللطيف عاشور (٧٥-٧٦) .

(٢) الطب النبوي : ابن قيم الجوزية (٢٤٨) .

صحيح مسلم (٢٢٠/١) الطهارة . باب السواك .

صحيح البخارى (٥/٢) كتاب الجمعة . باب السواك يوم الجمعة واللفظ له .

للغم مرضاة للرب (١) . وفي غيرها (انه اذا قام من الليل : يشوص فاه بالسواك) (٢) . ومن هديه أيضا وفعله صلى الله عليه وسلم : " كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك " (٣) .

أما فوائده المحيية فلقد أثبتت الأبحاث الطبية ان السواك المأخوذ من شجرة الاراك غني بالمواد المطهرة والمنظفة والقباضة والمائعة للنسرف الدموي والعفونة ، والقاتلة للجراثيم ، حيث يحتوى السواك على العفص ولهذه المادة تأثير مضاد للتعفنات والاسهالات ، كما يعتبر العفص مطهرا وله استعمالات مشهورة ضد نزيف الدم ، كما يطهر اللثة والاسنان ويشفى جروحها الصغيرة ويمنع نزيف الدم منها (٤) .

...

(١) الطب النبوي : ابن قيم الجوزية (٢٤٨) أخرجها ابن ماجه فى السنن عن ابن أمامه وقان البوصيرى اسناده ضعيف (١٠٦/١) الطهارة واخرجه الدارقطنى بغير هذا اللفظ عن ابن عباس وقال فى سنده معلى بن ميمون وهو متروك (٥٨/١) وقال ابو حاتم ضعيف الحديث وقال ابن عدى احاديثه مناكير انظر لسان الميزان / ابن حجر (٦٥/٦) ميزان الاعتدال للذهبي (١٥٢/٤) وقد صحح الحديث ابن خزيمة فى صحيحه بغير سند ابن ماجه الدارقطنى (٧٠/١) الطهارة عن عبيد بن عمير عن عائشة واخرجه الدارمى فى السنن عن عائشة ولم يقل فيه شيئا (١٧٤/١)

(٢) صحيح مسلم (٣٢١/١) كتاب الطهارة ، باب السواك . صحيح البخارى (٥/٢) كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة واللفظ لمسلم يشوص فاه : ذلك الاسنان بالسواك عرضا . نظرها من مسلم (١٠١/١)

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠/١) كتاب الطهارة ، باب السواك . سنن ابن ماجه (١٠٦/١) الطهارة باب السواك

(٤) التداوى بالاعشاب / عبداللطيف عاشور (١٢٢) ، كتاب النبوات أبو حنيفة / مخطوط (٧٣) .

الفائدة الرابعة : النبات مصدر من مصادر الرزق للعباد :

الرزق :

هو العطاء والفضل : ورزق الله الخلق يرزقهم : اعطاهم من فضله
سواءً أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة ، والرازق يقال لخالق الرزق
ومعطيه والمسبب له وهو الله عز وجل كما قال تعالى : (ان الله هو
الرازق ذو القوة المتين) (١) .

وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وأنا
أولياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين) (٢) .

والرزق أيضا : اسم لما يعطيه الله وينتفع به (٣) .

وان رزق الله سبحانه وتعالى لعباده مسألة واقعية في حياتهم
منذ خلق آدم عليه السلام الى أن تقوم الساعة ، ورزق الله واسع مبسوط
في هذا الكون من السماء والأرض ، فمنه ماهو واقع وحاصل ملموس ومشاهد
وظاهر للإنسان مثل ظاهرة المطر والنور والحرارة والهواء والغازات من السماء ،
والترية والنبات ، والحيوان ، والمعادن ، والبحار ، والآبار ، والعيون ،
والزيوت ، والذهب من الأرض ، ومنه ماهو في علم الله لم يعرف الا بعهد

(١) سورة الذاريات : آية (٥٨) .

(٢) سورة سبأ : آية (٢٤) .

(٣) انظر :

- معجم الفاظ القرآن الكريم (٤٩٠/١ - ٤٩٢) .

- معجم الألفاظ والاعلام القرآنية / محمد ابراهيم (٢١٩ - ٢٢٠) .

ان تشاء الارادة الالهية باخراجه لعباده فيكشف ويعرف على مر الأيام والسنين عن ماسبق والصحة رزق، والأبناء رزق ، والمال رزق ، والعقل والفهم والعلم رزق ، وكل عطاء من الله سبحانه وتعالى للانسان رزق . وذلك لان الرزق هو العطاء سواء كان دنيوي ٢ او آخروي ، ومن استقرأ آيات الرزق فى القرآن الكريم نجد أن الرزق نوعان : رزق عام ورزق خاص ، والرزق العام هو مايعم الكافر والمسلم والمشرك والمؤمن ، اما الرزق الخاص فهو يخص الله به عباده المستقين كما فى قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (١) . ثم ان الرزق يدخل فيه ما هو حلال وما هو حرام ، لان الرزق هو عموم ما انتفع به عند اهل السنة (٢) . وهو اوسع دائرة من أن يحدد أو يضييق بشيء معين فقط ، لذلك نجد أن الحق أعمه فى كثير من الآيات ، ذكره على وجه العموم ليشمل جميع ماينتفع به الانسان ويستمتع به دنيا وآخره ، ولكن فى بعض الآيات نجد أن الحق سبحانه وتعالى خص الرزق ببعض المنافع كالنبات مثلا وذلك ليجل لنا آثار هذه النعمة فى كل مشهد ومنظر وهو الذى يهمننا فقال تعالى : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار) (٣) .

ان النبات هو المصدر الاول لرزق الانسان ومورد نعمه المباشرة وغير المباشرة وأول مايتبادر الى الأذهان عند سماع كلمة رزق الكسب المالى ، والكسب المالى لاياتى للانسان صدفة ، ولاتمطره الغمام على حد قول سيدنا عمر رضى الله عنه " ان السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة " (٤) .

(١) سورة الطلاق : اية (٢-٣) .

(٢) تفسير القرطبي (١٥٤/١) .
الفخر الرازى (١٦٧/١ - ١٦٨) .

(٣) سورة ابراهيم : آية (٣٢) .

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب / محمد رضا (٦٦) ط ١ (١٣٩٨هـ) د الكتب /

ولكنه يأتى بطرقه المشروعة التى شرعها الاسلام وامر بتحصيله من هذه الطرق ومنها الزراعة ، فالنبات لم يخلق فقط للاكل والطعام والغذاء للانسان والحيوان وانما أيضا هو مصدر رزقه فى المال والكسب المــــادى ، وحتى لاتنحصر فائدة الانسان من النبات ، نجد ان آيات القرآن فى النباتات التى تحصى وتجيب وترغب فى الاكل منه ، وبينان منة الله فى ذلك على عباده لم تقترن بذكر الرزق ، حتى لا ينحصر الرزق من النبات على الطعام فقط ، ومنها قوله تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (١) .

وفى آية أخرى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) (٢) .

وفى سورة يس قوله تعالى : (وءاية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (٣) .

وفى سورة الكهف قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرا ، كــــتــــما الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا) (٤) .

(١) سورة ابراهيم : آية (٢٤-٢٥) .

(٢) سورة يونس : آية (٢٤) .

(٣) سورة يس : آية (٣٣-٣٤-٣٥) .

(٤) سورة الكهف: آية (٣٢-٣٣) .

ثم اننا نجد فى الآيات التى تبين ان النبات رزق للانسان لم يقتصر
معها الاكل وانما اطلق على عمومه فقال تعالى (وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من أرضنا او لم نمكن لهم حرما آمنا يجيب اليه ثمرات كل
شء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون) (١) .

وفى آية أخرى قوله تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) (٢) .

وفى غيرها قال تعالى : (الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا ،
وانتم تعلمون) (٣) .

وفى سورة (ق) عند عرض أنواع النبات وصوره بالتفصيل بعد الاجمال
بين القصد منه انه رزق للعباد فقال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا
فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ،
والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا
كذلك الخروج) (٤) .

حتى فدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام لذريته من بعده لم يكن فى
دعوته ذكر للاكل والطعام وانما " الرزق " قال تعالى : " ربنا انى أسكنت
من ذريتى بواد غيرذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل
أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (٥) .

-
- (١) سورة القصص : آية (٥٧) .
 - (٢) سورة النحل : آية (٦٧) .
 - (٣) سورة البقرة : آية (٢٢) .
 - (٤) سورة ق آية (٧-١١) .
 - (٥) سورة ابراهيم : آية (٣٧) .

وفى آية ٢ اخرى من دعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام قوله تعالى :
(واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات مــــن
آمن منهم بالله واليوم الآخر) (١) .

وبعد أن استعرضت الآيات السابقة عن الرزق النباتى ولوحظ أن كلمة
الرزق ٣تت " رزقا " نكرة لاطلاق عموم الفائدة من الرزق بكل جوانبه وأوسع
مجالاته وليس معنى هذا أن الاكل لا يدخل فى مدلول كلمة الرزق وانما الاكل
والطعام والغذاء نوع من انواع الرزق الحلال المباح اى كان نوعه كما ذكرته
سابقا من ان الرزق هو كل ما يعطيه الله وينتفع به ، ومنه قوله تعالى :
(يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه كان لكم عدو مبين) (٢) .

ويأتى فى آية اخرى : ان الطعام رزق طيب حلال كما فى قوله تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم
به مؤمنون) (٣) .

وفى تفصيل هذا الرزق من المأكول وتوضيح وتبيين هذه المطعومات
والماكولات التى رزقها الله للانسان من الارض قال تعالى فى النبات يحكى
قصة قوم سبأ بما رزقهم الله من الجنان المغدقة لهم بالخير والعطاء
واباح لهم الاكل منها بما رزقهم اياه : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم
جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور) (٤) .

(١) سورة البقرة : آية (١٢٦) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٦٨) .

(٣) سورة المائدة : آية (٨٧-٨٨) .

(٤) سورة سبأ : آية (١٥) .

لقد قلت سابقا أن مدلول كلمة " الرزق " أوسع من أن تحسده حركة واحدة في حياة الانسان كحركة الطعام مثلا ، فقط أو حركة الكسب المادى فقط ، والكسب المادى يتحرك به الانسان في مجالات واسعة كالتجارة والصناعة والزراعة التى يحتاجها الانسان لسير حياته واستمتاعه والبيع والشراء هو أحد مصارف الاقتصاد فى الاموال ، لقد كان البيع والشراء فى الماضى فى فترة نزول القرآن معاوضات سلعة بسلعة ، تمر بتمر ، قمح بقمح ، او قمح برطب ، وهكذا ، من يريد أن يأكل طعاما ويبتاع طعاما القيمة المدفوعة مقابل ذلك طعاما أيضا أو سلعة أخرى وذلك لان مجال التجارة كان بسيط جدا ومجال الصناعة كذلك ، او يكاد يكون مفقودا ، والعمدة أكثر فى حياتهم على الزراعة . اذا الكسب المالى النقدى ليس هو كل شيء فى حياتهم . أما الآن فى وقتنا الحاضر ، فقد أصبح كل شيء يشتري بالمال بالنقود حتى الطعام لم يعد البيع فيه سلعة بسلعة انما سلعة مقابلها نقودا مالية ، والمال النقدى اوسع مجالا وانتشارا فى الاقتصاد من تبادل السلع فقط ، وذلك ان الانسان بالمال النقدى يستطيع ان يشتري ارضا ثم يستطيع ان يشتري بذورا لزراعتها أو غرسا ثم الماء ليرويها ويغذيها تؤتى هذه الأرض خيراتا وسعتها باذن ربها ، يستفيد من ذلك طعاما وبيعا وشراء ، يبيع غلاتها من ثمارها للطعام والغذاء والدواء أوراقها لمن يصنع منها غذاء وعلاجا واعلاف للحيوانات وثيرا واليا فيها للاقمشة والحبال وغيرها مما يدخل فى صناعته ، والزهور للجمال والزينة والاعطور واخشابها لكل ما يصنع منه بما يفيد الانسان فى حياته الخاصة والعامة وغير ذلك مما يستطيع ان يستخلصه من النبات ليستفيد منه .

ثم يستطيع بعد ذلك ان ينشئ ذلك الانسان المصانع من المنتجات النباتية ويوسع تجارته ، وهكذا يكون النبات أهم عامل اقتصادى فى حياة الانسان ورزقا ماليا ماديا نقديا بكل مجالاته الحياتية .

فسبحان من خاطب الانسان باسلوب يسرى مفهومه على مدار الزمان
والمكان ، ويدركه العقل والوجدان ، وذلك لينفعل الانسان فيتدبر ويتأمل
فى خلق الله فيحس بعظمة الله وقدرته، فيخضع لطاعته فى كل وقت وزمان
ومكان شاكرًا له نعمائه فى السماء والارض مجتهدًا فى العمل بما يرضى
ربه .

ونستنتج مما تقدم ما يأتى :

- ١- ان الله سبحانه وتعالى جعل النبات من الارزاق العظاممة
الشاملة لكل منافع الانسان .
- ٢- ان الله سبحانه وتعالى جعل النبات وثماره عاملا من عوامل تبادل
المنافع بين الخلق جميعا .
- ٣- ان الله سبحانه وتعالى جعل النبات رزقا مستقلا يصلح أساسا
لحياة الانسان واستمرار معيشته فى أية بقعة من بقاع الأرض .

—•—

الفائدة الخامسة : النبات مصدر من مصادر السكن والصناعات واللباس :

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من جسد وروح وعقل ، وجعل لكل
واحدة منها صفات وحاجات ، خلق الروح وجعل صفتها الاستقامة على الايمان،
اذا فهى تحتاج الى الهداية حتى تستقيم ، فأرسلها الرسل وذلك فى قوله
تعالى : (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت) (١) .

وخلق العقل وجعل من صفته التفكير والتأمل فى خلق الله وفى هذا
الملكوت ، اذا فهو يحتاج الى العلم والمعرفة فزوده بوسائل المعرفة

(١) سورة النحل آية (٣٦) .

السمع والبصر والفؤاد ، ليتعلم ويتفكر ويستطيع ان يستغل ما سخره الله سبحانه وتعالى لاحتياجاته واسباب معاشه ، فقال تعالى : (الله اخرجكم من بطون اعماقكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) (١) .

وقال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) (٢) .

النبات سكن للانسان :

ان الجسم من صفته النمو ، والجوارح والعورات اذا فهو يحتاج الى الغذاء والكساء والماوى فالجسد يحتاج الى الغذاء لكي ينمو ويحتاج الى اللباس لكي يستر عوراته ويقي جسده شر الحر والبرد ، ويحتاج الى المسكن حتى يأوى نفسه وبقيتها هجوم الحيوانات المفترسة ، والاعتداءات الخارجية وتقلبات الجو القاسية ، ويقي نفسه من شر المفسدين في الارض ، فالبيت مسكن وسكن للانسان ، مسكن مادي يريح نفسه وأهله وذريته ويحفظ فيه ماله وامنته ، وسكن نفسى للانسان وسلام وطمانينة له ، وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه العزيز فقال تعالى : (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وابوابها وأشعارها أثاثا ومتاعا حينئذ) (٣) .

(١) سورة النحل: آية (٧٨) .

(٢) سورة العلق : آية (٥-١) .

(٣) سورة النحل: آية (٨٠) .

والبيوت ليس فقط مأخوذة من جلود الانعام أو شعرها او صوفها
كالخيام كما فى الآية (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ٠٠) وانما
ايضا البيوت تتخذ من الطين والأخشاب والحبال ، والأخشاب والحبال مصدرها
النبات " الأشجار الكبيرة " ومن البيوت ما يبنى بالأحجار والطين ، ولكن
لا يستغنى عن استعمال الخشب فيها للابواب والنوافذ ، ومنها ما يبنى من
الخشب فقط ، ومنها ما يبنى من الخشب والطين سواء كان ذلك فى العصور
الغابرة فى زمن البابليين والآشوريين والفراعنة ، كانوا يبنون مساكنهم
من أخشاب غابات الأرز فى لبنان ، لذلك كان لغابات الأرز فى لبنان شأن
خطير فى حياة الشعوب القديمة ، كما كان الكنعانيون قبلهم يابنون
بيوت لهم مصنوعة من جذوع الأشجار والطين (١) ، كما كانت تبنى الحظائر
من القصب والطين (٢) .

أما أشجار الغاب والبوص فكانت تستعمل منذ أزمنة سحيقة فى مصر
لبناء مساكن الفقراء (٣) حتى فى عصر الحضارة الرومانية ان بعض
المقاطعات تمون الخشب وذلك ليشيد منازلهم وبنائها به وايضا للوقود
ثم يصدر الباقي (٤) .

وفى عهد الاسلام وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بنيت بيوتهم
من الخشب ، قال السهيلي فى الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من
جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة (٥) وسقوفها كلها من جريد وفى رواية
للحسن البصرى وكانت حجرة مشن مشن مبروط

- (١) انظر كتاب تاريخ الزراعة القديمة / عادل ابونصر (٢٩-٣٩) ط١ (١٩٦٠م) .
- (٢) انظر مقدمة ابن خلدون / عبدالرحمن بن خلدون (٤٠٧-٤٠٨) .
- وانظر ايضا قصة الحضارة / ول ديورانت (م/١ ج/١٧٥) نشأة الحضارة
ترجمة د. زكي نجيب ط ٣ (١٩٦٥) لجنة التأليف .
- (٣) مقتبس من كتاب تاريخ الزراعة القديمة ، عادل ابوالنصر (٧٦)
- (٤) تاريخ الزراعة القديمة ، عادل ابوالنصر (١٧٣) .
- (٥) مرضومة : مصفوفة بعضها فوق بعض . انظر لسان العرب (١١٧٨ / ١) .

بخشب من عرعر (١) .

وفي حياة الصحابة قال: أخرج ابن سعد عن الواقدي قال: حدثني

معاذ بن محمد الانصاري قال: سمعت عطاء الخرساني في مجلس فيه عمران
بن ابي انس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر أدركت حجر أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر (٢) أسود،
فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بادخال حجر أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك
اليوم ، قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يومئذ: يقول والله لوددت أنهم
تركوها على حالها ينشأ الناشء من أهل المدينة ويقولون القادم من الافق فيرى
ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فيكون ذلك مما يزهّد
الناس في التكاثر والتفاخر فيها (يعنى الدنيا) . قال معاذ: فلما فرغ
عطاء الخرساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس : كان منها أربعة أبيات
بلبن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لاجر لها ، على
أبوابها مسوح الشعر (٣) .

وفي صحيح البخاري عن نافع ابن عبد الله أخبره أن المسجد كان على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيًا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب
التخل (٤) .

وبعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والوقتنا الحاضر لازال بعض

من البيوت تبني من الخشب وذلك كما في بعض قرى بلدان العالم مثل جاكرتا،
اندونيسيا ، سنغافورة ، وخاصة في جزر اليابان التي يعيشون سكانها

(١) البداية والنهاية: ابن كثير (٣/٢٢٠-٢٢١) ط ٢ - ١٩٧٨م .

(٢) المسوح من الشعر: الكساء من شعر .

(٣) حياة الصحابة/ محمد يوسف الكاندهلوي (٢/٧١٢-٧١٣) دار المعرفة/

بيروت . اخرجتهذه الرواية في الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٦٧) ،

دار بيروت (١٣٩٨هـ) .

(٤) صحيح البخاري (١/١٢١) الصلاة . باب بنيان المسجد (مختصره) .

فى منازل من ورق الارز وفى أفريقيا شجرة تسمى الباوباب تجوف هذه الاشجار
وتفرغ تماما ليصنع منها بيوت يسكنها الناس (١) .

وفى فنلندا يستعمل الخشب على نطاق واسع كمادة من مواد البناء
وتبنى بعض بيوتها أيضا من الخشب ، وكثيرا ما يظهر ذلك فى منازل النرويج
تشيد وتبنى من الخشب (٢) .

ولقائل أن يقول : ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى القرآن بناء
المساكن من خشب النباتات ؟ صحیح ان ذكر البيوت والمساكن
ورد فى كثير من الايات القرآنية بدون ان يخص ذكرها فى البناء من الاخشاب
وانما ذكر من مادة صنعها او بناها الجلد او الشعر وبناء سقوفها من
الفضة ، أو نحت الجبال بيوتا ، ولم يرد ذكر البيوت والمساكن ضمن آيات
النبات ، او ذكر النبات ضمن آيات البيوت والمساكن . لذلك أقول مستعينة
بالله عز وجل :

ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى النحل فى ان تتخذ من الجبال
بيوتا ومن الأشجار ومما يعرشون فى قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل
أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) (٣) .

فكما ألهم الله سبحانه وتعالى النحل بأن تتخذ من الأشجار بيوتا
الهام فطرى غريزى ، كذلك ألهم الانسان بأن يتخذ من الاشجار بيوتا ،
كما يتخذها من الجبال والجلد والشعر والحجر ، جعل من فطرته وسجيته حب
السكون والماوى ، فالانسان الاول اتخذ له الكهوف والجبال بيوتا وسكنها

(١) مقتبس من كتاب المعرفة " النبات " (١١٧/١) .

(٢) كتاب المعرفة (٧/١١٢٦-١١٨٨) .

(٣) سورة النحل : آية (٦٨) .

اهتدى اليها بفطرته وغريزته ثم بعد ذلك عندما اهتدى الى النبات ومنافع
النبات واستخداه صنع منه البيوت الخشبية ، وهكذا ترقى الانسان من حالة
الى اخرى ، والرقى والتطور مسالة فطرية فى الانسان مجبول عليها ،
والله سبحانه وتعالى جعل ماينمى هذه الغطرة متوفر فى ماديات الحياة
الارضية وما على الانسان الا أن يفكر ويخطط ويستخرج وينفذ فيعيش ويسكن
ويهدأ ويرتاح فى حياته .

النبات مصدر من مصادر الصناعات للانسان :

١- صناعة الخشب :

ان كون الأخشاب فائدة من فوائد النبات لم يرد ذكرها فى القرآن وانما
ورد ضمنا .

١- ان الله سبحانه وتعالى عندما ذكر النبات فى القرآن وذكر أصنافه
وانواعه فانه لم يذكر كل أصناف النبات وكل الانواع وانما القليل
منها ، فمثلا صنف الفاكهة لم يذكر كل الانواع فهى لاتعد ولاتحصى والحبوب
كذلك فذكر القليل منها والباقي ضمنها عند قوله (نبات) او عند قوله
(فواكه) أو عند قوله (الزرع) فمع النبات نجد قوله تعالى (انما
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل
الناس والانعام) (١) .

ومع الزرع قال تعالى : (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم
يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الاباب) (٢) .

(١) سورة يونس : آية (٢٤) .

(٢) سورة الزمر : آية (٢١) .

ومع الفاكهة يقول تعالى: (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) (١)

وفي آية أخرى (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) (٢) .

عرفها الانسان بدافع حب الطعام والاكل منها ، فتذوقها وفرق بين ماينفعه ويضره ، وكذلك الفوائد من النبات انها كثيرة ومهمة فحيياة الانسان والقرآن لم يذكر كل هذه الفوائد وانما ذكر شيئا قليلا منها مثل الغذاء والرزق، وهذا ما بينته سابقا والاضاءة والظل وأدوات الكتابة كما سألينه لاحقا ، وترك الباقي للانسان يستنتجها بعقله وتفكيره ويستخرجها ويستفيد منها بما سخره الله سبحانه وتعالى له في النبات من المنافع والفوائد هذا ولا ..

أما ثانيا: ان منافع النبات مع الانسان في كل زمان ومكان وقد ترك معرفتها للانسان لانه في كل يوم عن الاخر يكتشف الانسان فائدة من فوائد النبات لم تكن معروفة سابقا ، ويعرف الانسان أنواعا من النباتات لم تكن معروفة في الماضي .

٢- في بعض آيات النبات ورد لفظ النبات أو الزرع والشجر بصيغة العموم ولم يخص القرآن منه شيئا ، وهذا يدل على ان الانسان ممكن ان يستفيد منه كل ما هو متحقق منه الاستفادة فنجد في قوله تعالى :

٣- (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) (٣) .
اي نبت كل صنف من النبات ، فلفظ (نبات) هنا في الآية عام مجمل

(١) سورة المؤمنون: آية (١٩) .

(٢) سورة الرحمن : آية (١١)

(٣) سورة الأنعام: آية (٩٩) .

لانه نكرة والنكرة تفيد العموم ، يشمل معناها كل أنواع النباتات واصنافها سواء ماكان للغذاء او الدواء او الكساء الى غير ذلك مما ينتفع الانسان به من النبات ، ويؤكد هذا العموم وهذا الاجمال بعد لفظ " نبات " قوله تعالى (كل شيء) اى كل شيء تدخل فيه فائدة فى حياة الانسان من النبات/فيدخل فيه الكساء والسكن والاكل والسفن والظل والدواء والزيوت للاضاءة والفوائد كثيرة لاتعدولاتحصى والله اعلم بمراده (١) .

ب- فى قوله تعالى : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (٢) .

تسيمون : قال المفسرون فى معناها : اى ترعون انعامكم ومواشيكم (٣) .
والسوم فى اللغة له عدة معانى منها :

والسوام والسائمة بمعنى : وهو المال الراعى .
وسامت الراعية والماشية والغنم تسوم سوما : رعت حيث شاءت فهي سائمة ، والسوم والسائمة : الابل الراعية ، سامت السائمة ، وأنا أسمتها اسمها اذا رعيته .

والسام : شجر تعمل منه أدغال السفن .

وسام اذا رعى وسام اذا طلب وسام اذا باع (٤) .

المسامة : خشبة عريضة غليظة فى اسفل قاعدة الباب وتسميها العامة العتبة، والسائم الذاهب على وجهه حيث شاء (٥) .

(١) انظر تفسير القرطبي (٢٤٨٣/٣) .

تفسير الرازى (١٠٦/٤) .

تفسير النسفى (٢٥/٢)

التحريروالتنوير (٢٩٨-٢٩٩/٧) .

(٢) سورة النحل: اية (١٠)

(٣) القرطبي (٣٦٩٨/٥) ، الفخر الرازى (٢٩٤/٥) .

(٤) لسان العرب / ابن منظور (٢٤٥-٢٤٦) .

(٥) لسان العرب (٢٤٥/٢) .

وقال الراغب : سام ؛ السوم أصله الذهب فى ابتغاء الشيء (١) .

فهو لمعنى مركب من الذهب والابتغاء للشئ فاجرى مجرى الذهب

فى قولهم سامت الابل ومجرى الابتغاء فى قولهم " سمته كذا " (٢) .

إذا لا يكون المقصود فقط من معنى قوله تعالى : (ومنه شجر فيه

تسيمون) الرعى فقط وإنما يكون المقصود هو ما تحتمله كلمة

" تسيمون " من المعانى اللغوية فيكون المعنى المقصود من الآية :

أن الله سبحانه وتعالى جعل من الماء شجر هذا الشجر له منافع وفوائد

كثيرة ، منها ما هو مباشر كما بينه القرآن ، وهو رعى الانعام

والمواشى ولكم منه ايضا منافع غير مباشرة وإنما هى ضمنا وهو ما تستفيدونه

من الشجر فى البيع والشراء والاستظلال تحت هذه الاشجار عند الظهيرة

وحر الشمس ، عند رعيكم وعند سعيكم لطلب المعاش ، وما تستخرجونه

من الزهور والطور والاشباب التى تستفيدونها فى البناء وعمـل

الابواب والنوافذ وعتبات الابواب ثم انكم تستفيدون منه فائدة

عظيمة ايضا الا وهى عمل السفن التى تكون سببا فى ترحالكم من بلد

الى آخر وانتقالكم فى تجاراتكم، وقد قرن القرآن بين ذكر النباتات

والفلك التى تجرى فى البحر، ليدل على ان الفلك فائدة من فوائد

النبات لان السفن والقوارب تصنع من الخشب حيث قال تعالى: (الله

الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من

الثمار رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامرهِ وسخر

لكم الانهار) (٣) .

ويؤكد عموم الفائدة لفظ " شجر " نكرة والنكرة تفيد العموم فيكون

ذكر على اطلاقه ولم يقيد . المنافع والأنواع، والشجر كما عرفنا سابقا

هو كل ما قام على ساق ، ولست مع من قال أن المقصود بالشجر

(١) المفردات فى غريب القرآن / الراغب الاصفهاني (٢٥٠) .

(٢) بصائر ذوى التمييز (٢٨٢/٣) .

(٣) سورة ابراهيم : آية (٣٢) .

الكأ والعشب ، لأن الشجر له شكله ومواصفاته واسمه ومسميات—
فهو يختلف فى الاسم والمسمى عن الكأ والعشب (١) .

ج - وفى قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيىج
فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب) (٢) .
لم يقل الله سبحانه وتعالى مختلفا ٣ كله او طعمه وانما قال
مختلفا ألوانه ، ليشمل كل اصنافه وانواعه واشكاله بما يتحقق
فى مجموعه المصلحة العامة للانسان ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى
بعباده أنه جعل الاخشاب التى يستخرجها الانسان من الاشجار اصنافاً
وانواعاً ألواناً وذلك لتعم وتتم فائدته للانسان فى جميع شئون حياته
ومجالاتها فلوجله الله سبحانه وتعالى على صفة واحدة لما استطاع
الانسان ان يطوعه ويكيفه على حسب مصلحته . وعلى هذا تتعطل
مصالح الانسان الحياتية ، ولم يستفد منه هذه الفائدة العظمى فمنه
الخشب المتين والرفيع ، ومنه الجامد والصلب واللين الطرى
ومنه الثقيل والخفيف ومنه متقارب الالياف، ومنه متوازي الالياف
ومنه متساوى الالياف ومنه غليظ الالياف ومنه دقيق الالياف،
ومنه ملس الالياف ، ومنه خشن الالياف .

أما بالنسبة لألوانه فهى مختلفة ما بين أبيض واصفر وبنى
مائل للاحمرار ، وبنى فاتح ، وبنى داكن ، والمقلم والمظلل بالوان
بنية داكنة ومقلم باللون الأسود ، والسادة ، وعلى اختلاف فى صنع
الخالق جلت قدرته فيه ، تختلف صناعات البشر منه ، وطرق الاستفادة
به وذلك لان الخشب يدخل فى صناعات كثيرة استفاد منها الانسان

(١) تفسير الرازى (٢٩٤/٥) ، القرطبي (٣٦٩٨/٥) .

(٢) سورة الزمر : آية (٢١) .

فحياته فمنها ما استفاد بها بطريق مباشر كمادة أولية تدخل في الصناعة ، كبناء البيوت وعوارض السكك الحديدية ، ، وأعمدة التليفون والأثاث والسفن ، فمثلا من النخلواشجار التاك والماهجنى والدوم (١) ، والصنوبر والدلب ، والكستناء تبني البيوت ، وذلك لصلابة خشبه وقوة تحمله وتصنع اكواخا في أفريقيامن الخشب مسقوفة باوراق الموز (٢) . ويصنع من شجر الحرير (٣) والصنوبر والبلوط ، الدردار ، الماهوجنى السفن والقوارب (٤) . كما كانت بعض السفن القديمة والقوارب يستعمل في تصنيعها وتركيب الواحها الخيط المصنوع من النارجيل ، ولاستعمل فيها المسامير حيث لا يثبت فيها الحديد . لأن ماء البحر يذيب الحديد ، فتسرق المسامير وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها (٥) .

ومن شجر الزان ، البلوط ، الدلب ، الجميز ، الجوز ، الكمثرى ، الورد ، الكرز ، الكستناء ، النخيل (٦) الدوم ، الاثل ، الماهجنى ، السدر (٧) تصنع ادوات المطبخ وأثاث المنزل من مقاعد وطاولات وسرر وخزانات الملابس ومكاتب وملاعق وأطباق وشوك وصوانى والكؤوس الخشبية والواح الخبز ، ومن شجر البلوط - الماهجنى (٨) ، الصنوبر بأنواعه

-
- (١) الوطن العربى / د. صبحى عبد الحكيم وآخرون (٢٩٦-٢٩٧) .
 - (٢) كتاب المعرفة " النبات " (٧٤/٢-١٣٩-١٤٢-١٥٠) (٧٩٢/٥) .
 - (٣) الجواهر فى تفسير القران / طنطاوى جوهر (٢١٧/١٩) وانظر الفخر الرازى (٢٤٠/٧) .
 - (٤) كتاب المعرفة " النبات " (١٥٠/٢) .
 - (٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر / المسعودى (١٦٣/١) .
 - (٦) كتاب المعرفة " النبات " (١٤٤/٢-١٤٨-١٥٠) .
 - (٧) الوطن العربى / صبحى عبد الحكيم وآخرون (٢٩٦-٢٩٧) .
 - (٨) المصدر نفسه (٢٩٦) .

تستعمل عوارض وفلنكات السكك الحديدية (١) ومن شجر الصنوبر تصنع
اعمدة التلغراف (٢) .

ومن فوائد الخشب كذلك تصنع آعواد الثقاب من خشب أشجار الحور (٣)
وتصنع كعوب البنادق والمسدسات من أخشاب الجوز (٤) . ومن اشجار الحور
والكستناء والزان تصنع الصناديق الخشبية الكبيرة والصغيرة التي تستعمل
لتعبئة وحمل البضائع والاطعمة ومن شجر الزان ايضا يصنع كعوب الاحذية
وعجلة العربات والواح خشبية ، ومن اشجار البلوط تصنع عربات النقل
وعربات السكك الحديدية لنقل الماشية ويصنع منه أيضا البراميل
الخشبية (٥) .

ومن خشب أشجار الموز تصنع الكائن الخشبية لان خشبه صلـب
مضغوط (٦) . اما ما يستعمل من اخشاب النبات كمواد خام فى الصناعة مثل
صناعة الفحم النباتى الذى يستخدم وقودا ويستخرج من اخشاب الاشجار
وخاصة شجر البلوط (٧) ويصنع من لب وخشب شجر الحور والصنوبر (٨) وشجر
حشيشة الورق (٩) ونباتات الحلفا (١٠) واليافاها الورق بجميع انواعه ،

-
- (١) كتاب المعرفة (النبات) (١٤٨-١٥٠) .
 - (٢) كتاب المعرفة (النبات) (١٥٠/٢) .
 - (٣) كتاب المعرفة (النبات) (١١٣/٢) .
 - (٤) كتاب المعرفة (٩٦/٢) .
 - (٥) كتاب المعرفة (النبات) (١١٢/٢-١٤٢-١٤٤-١٤٨) .
 - (٦) كتاب المعرفة (النبات) (٧٦٠/٥) .
 - (٧) كتاب المعرفة (النبات) (١٤٩/٢) .
 - (٨) كتاب المعرفة (النبات) (١١٢/٢-١٣٩-١٤٦) .
 - (٩) الجواهر فى التفسير / طنطاوى جوهر (٢١٧/١٩) .
 - (١٠) الوطن العربى / صبحى عبد الحكيم وآخرون (٣٠٠) .

الناعم والخشن وصناديق الكرتون ، وورق المقوى وأوراق الصحف .
ومن خشب شجر البقم والنيلة والفوه ^(١) تستخرج الاصباغ التي
تستخدم في صباغة النسيج وغيره (٢) .
وتصنع الالياف والخيوط لصنع الاقمشة الصناعية من خشب شجر
التوت وخشب شجر القطن وغيره من لب خشب الاشجار (٣)
هذا ماتتعم به علينا أخشاب النباتات من مواد أولية تدخل
في كثير من الصناعات المباشرة لهذه الأخشاب ، ومواد تدخل في كثير من
الصناعات التي تلعب دورا هاما في حياة الانسان بالتحوير والاضافة
والتغير .

- صناعات الورق والالياف واللحاء والقلف :

وليس كرم النبات في الصناعة من الأخشاب فقط ، وانما أيضا ورقه
وزهره وماءه وثمره وأليافه ولحائه ، وقلفه (٤) وسعفه ، وخصه ، وجريده
فمثلا من لحاء وقلف خشب البلوط والسنديان يستخرج الفلين الذي يستخدم
في صنع المواد العازلة أو في حجز الحرارة والبرودة ، وتشتمل استخدامات
الفلين لصنع سدادات الزجاجات وحصير الفلين ، وأطواق النجاة ، ونعمل
الاحذية ، الى غير ذلك من الصناعات التي تدخل فيها استخدامات الفلين (٥)

-
- (١) البقم : نبات يستخرج منه صبغة لون أسود .
النيلة : نبات يخرج لون النيلة الطبيعيه وهو لون أزرق .
الفوه : نبات ينتج صبغا أحمر . انظر كتاب المعرفة (١٠٦/٢ - ١٠٧) .
 - (٢) كتاب المعرفة (النبات) (١٠٧/٢) (١١٧٤/٧) .
 - (٣) الجواهر في التفسير/طنطاوى جوهر(٢١٢/٧) كتاب المعرفة (النبات) (١١٤/٢) .
 - (٤) اللحاء : هو النسيج الخشبي الذي يقع بين لب الخشب والقشرة الداخلية للخشب .
القلف : هو القشرة الظاهرة للشجر ويعرف بالبشرة / انظر مورفولوجيا
وتشريح النبات / د. العروسى (٢٠٧ - ٢٤٠) .
 - (٥) الوطن العربى (٢٩٨) كتاب المعرفة (النبات) (١٠٧/٢ - ١٤٩) .

ومن قلف اشجار البلوط والكبراشو والسماق تستخرج مادة تستعمل
لدباغة الجلود (١) . ومن ما عها الابيض الذى يسيل من جذع الشجرة عندما يعمل
شقوقا فى قلف الشجر من القمة حتى القاعدة، يصنع من هذا السائل المعروف
بالمطاط عجلات السيارات، وخراطيم المياه والأنابيب، والاحذية ، والكرات
للعب وهذا المطاط ماخوذ من شجر يعرف باسم شجرة مطاط بار (٢) وهناك
غيرها وهى الجوتابرشا أشجار تنمو فى غابات ماليزيا واندونيسيا
بشرط قلف الاشجار فيسيل منها سائل لزج ويصنع من سائلها الشريط العازل
المستخدم فى تغطية الكابلات الكهربائية ، ومن سائل اشجار الصنوبر يصنع
الورنيش ومواد تلميع الاثاث والمشمعات ، والصابون (٣) . ومن الياف
النباتات وورقها وسعفها وخصها وجريدها والنوى ، مثل نخل التمر والنارجيل
ونبات الخزم ، والحلفا ، والقنب ، والجوت ، والسيال ، والكتان ،
والصبار ، والدوم ، والمصاص والموز تصنع الأقمشة الطبيعية والصناعية
والحبال ، والحصير ، والاكياس ، والسلال ، والدبار ، والمكانس ، والبسط
والخيوط ، والليف والقفف والاطباق والاحذية الشعبية والاقفاص ، ويدخل
النوى فى صناعة الزراير وخاصة نوى شجر الدوم (٤) .

٣ - صناعات الثمر :

٣-١ مافائدة ثمرة النبات فهى غذاء أولا ، ثم ان فى بعض ثمار النبات
تؤكل بذورها ويلقى بالغلاف الثمرى لها لانه خشبى صلب وذلك مثل اللوز ،
والجوز ، جوز الهند ، الفول السودانى ، البندق ، الكاكاو ، والخروع ،
والسمسم ، وهذه الثمار تؤكل بذورها ويستخرج منها الزيت ومن هذا الزيت

- (١) كتاب المعرفة (النبات) (١٠٧/٢) .
- (٢) مطاط بارا : شجر ينمو فى البرازيل . انظر كتاب المعرفة (١٠٦/٢ - ١٠٧) .
- (٣) كتاب المعرفة (النبات) (١٠٦/٢ - ١١٠ - ١٤٦) الوطن العربى (٥٨٥) .
- (٤) انظر كتاب المعرفة (٧٧/٢ - ١٠٥ - ١١٥) (٧٩٢/٥) .
وانظر ايضا الوطن العربى (٢٩٧ - ٣٠٠) .
وكتاب النبات / ابي سعيد الأصمعى / تحقيق عبد الله يوسف الغنيم
(٢١) وكتاب نهاية الارب فى فنون الادب / النويرى (١٣١/١١) .

ماهو صالح للطعام ، ومنه مايدخل فى صناعة الكريم والزيتو والمصابون والطب ومنتجات التجميلواشتعال المصابيح ، ومن الثمار مايوكل خارجها ويلقى بالنواة الداخلية فيها ، ومن هذه النواة ايضا يستخرج الزيت مثل نواة التمر ومن النبات ما يستخرج من الغلاف والنواة زيتا مثل ثمرة الزيتون فانها تؤكل ويلقى بالنواة ويستخرج الزيت من الثمرة ، والنواة ، المستعمل للاكل والاضاءة وفى صناعات اخرى ، وكذلك يستخرج الزيت من الذرة وهو يستخدم فى الأكل والصناعة والطب (١) والثمر فى الاشجار لىس للاكل فقط وانما توجد بعض ثمار الفاكهة تعطى الانسان منافع غير الطعام ، وذلك مثل شجرة الحرير والتآسم والميس والخرفع ، فانها اذا اثمرت اثمرت فاكهة يخرج منها وبر قطن حريرى فى كمية جسيمة تتراعى على الارض الى مسافات بعيدة ويستخدم هذا الوبر فى صنع الوسادات والمراتب والكنبات وغيرها ويمكن غزله لاستخدامه فى صناعات اخرى (٢) .

٤ - صناعات الزهور :

أما العطور والروائح الذكية التى تنعش نفس الانسان فان الله سبحانه وتعالى قد أكرم الانسان بها فى النبات، وأن انتاج العطور من النباتات أمر على جانب كبير من الأهمية للانسان وتستخرج العطور من الأزهار كالورد والياسمين ، والفل والبنفسج ، وأحيانا تستخرج العطور من ورق النبات والمريمية (٣) وقلب أخشاب الأشجار ومثل الأبنوس والعناب والزيتون وعطر العود وشجر الصندل يعطى عطر الصندل (٤) .

(١) كتاب المعرفة (٧٦٠/٥ - ٧٦١)

(٢) كتاب النبات : الأضعى (٣٥) .

تفسير الجواهر / طنطاوى جوهر (٢١٧/١٩) .

(٣) كتاب المعرفة (١٠٥/٢ - ١١٦) .

(٤) نهاية الأرب فى فنون الأدب / النويرى (٢٣/١٢ - ٢٩) .

ولم تكتف أزهار النباتات تزكية الانسان بالروائح العطرة وانما أكرمه أيضا باعطاء مواد اخرى ينتفع بها، وهى الصمغ ومواد الدباغة وذلك باستخراجه من أزهار الاشجار السنطية المتنوعة (١) .

وبعد هذه الجولة السريعة ربما اكون قد اطلت الكلام فيها، وفى الحقيقة ماهى الاقطرة من بحر مهما كانت لاتفى بالغرض، لان انواع النباتات وفوائدها لاتف بحصرها المجلدات من الكتب، والله اعلم بما لايعرف حتى الان، وقد اقتصر فى هذه الفقرة على بعض جوانب فوائد النبات التى لم يرد ذكرها فى القرآن نسا صريحا وانما ذكرت سابقا انها ذكرت ضمنا، حتى يستخدم الانسان عقله وتفكيره ويكفى فيها دليلا قوله تعالى: (الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (٢) .

وبما ان هذه الفقرة تتكلم عن مسكن الانسان والبيوت تؤخذ من الخشب وكثير من الفوائد كما بينا من الخشب ذكرهذه الفوائد كلها تحت هذه الفقرة اما بقية الفوائد التى يكون قد ورد فيها نسا صريحا فى القرآن جعلت لها عناوين خاصة متفردة، ومنها ماتكلمت عنها سابقا .

- النبات لباس للانسان :

أما عن كون النبات لباس للانسان فقد قال تعالى فى ذلك :
(يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) (٣) .

(١) الوطن العربى (٢٩٦-٢٩٧) .

وانظر أيضا كتاب المعرفة (٢٥/٢) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٢) .

(٣) سورة الاعراف آية (٢٦) .

أن اللباس نعمة كبرى من الله سبحانه وتعالى على الانسان
ليستر عورته ، وجعل الله سبحانه وتعالى هذه النعمة تتمثل في الفطرية
السليمة السوية في الانسان التي تنفر من التكشف والعري، وتحرص في
ايمان وحياء واطمئنان علىستر هذه العورة والمحافظة على امر الله
سبحانه وتعالى وشرعه فيه، والحياء مفطور ومجبول عليه الانسان وهذا
يتمثل في قصة ابوالبشر سيدنا آدم عليه السلام في الجنة عندما اكل
من الشجرة وزوجته حواء عليهما السلام فبدات لهما سوءاتهما عند هذه
اللحظة استجاب آدم وحواء عليهما السلام لنداء الحياء المركوز في
طبع الانسان وفطرته استقباح العورة وتكشفها وتعريها فبادرا بسترها
إذا المبادرة والاسراع التلبية نداء الحياء في النفس الانسانية
واستجابة أمر الله سبحانه وتعالى هو محض الايمان الخالص لله عز وجل،
والعقيدة الصحيحة السليمة ، وهذا ما صورته لنا الايات القرآنية في قصة
آدم عليه السلام فقال تعالى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس
لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكون من الخالدين وقاسمهما
انى لكما لمن الناصحين، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوءاتهما وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة ونادايهما ربهما ألم انهاكما
عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (١) .

قال الله سبحانه وتعالى (من ورق الجنة) من باب حذف المضاف
للإيجاز والاختصار فيكون المعنى (من ورق شجر الجنة) او يكون المقصود
من الجنة : الشجر لأنه يقال احيانا للاشجار الساترة جنة ، وكما ذكر
المفسرون انه ورق التين أو الموز أو الزيتون فيكون مرادهم من ذلك

(١) سورة الأعراف : (١٩-٢٠-٢١-٢٢) .

ورق شجر التين ، والجنة هي كل بستان ذى شجر يستتر بأشجاره الأرض ، أو قال ورق الجنة ليفيد انهما أستترا من جميع ورق الشجر فى الجنة وليس شجرة بعينها كما ذكر، حيث انه لم يثبت لا بالقرآن ولا بالسنة ان الورق كان من شجرة بعينها او يكون المقصود من (الجنة) الستـ لان ٢صل (الجن) ستر الشئ عن الحاسة (١) ، وأخذا يستتران من الورق الذى جعله الله ستر لهما فتكون الحبة وصف للورق . والله اعلم بمراده .

وفى هذا نص صريح على ان النبات مصدر لباس للانسان ، واللباس ليس فقط استجابة لحياء الفطرة الانسانية وانما هو ايضا استجابة لشرع الله الذى شرعه الله للبشر فى اللباس المنزل عليهم من السماء . فقال تعالى : (يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) (٢) .

والمقصود من الآية كما ذكر المفسرون أن الله سبحانه وتعالى أنزل أسبابه من السماء وهو المطر ، وبالمطر ينبت النبات فينتفع الانسان بالنبات فى اللباس ، وتأكل الحيوانات من النبات وتتغذى ، ويستفيد الانسان منها أيضا اللباس ويؤكد عز وجل على الالتزام بشرع الله فى اللباس ، بالتحذير من تركه حيث قال تعالى : (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) (٣) .

اللباس أيضا جعله الله سبحانه وتعالى زينة للانسان ، وهذا متمثل فى قوله تعالى " وريشا " أى الظاهر من الثياب الجميلة التى تتخذ

(١) انظر : المفردات فى غريب القرآن / الاصفهانى (٩٨) .

البحر الميحيط / :ابى حيان (٢٨٠/٤) .

التحريب والتنوير / الطاهر بن عاشور (٦٥/٨) .

بصائر ذوى التمييز (٢٥٢/٢-٢٥٣) .

(٢) سورة الاعراف آية (٢٦) .

(٣) سورة الاعراف آية (٢٧) .

للزينة وتستر الجسم كله غير الملابس الداخلية التي تستر العورة، ويؤكد قول الحق جلت قدرته : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (١) .

فالمقصود من الزينة فى الآية الثياب ، وهذا ما ذكر فى الطبـرى عن سعيد بن جبير وعن طاوس ، قال : الثياب (٢) .

وفى الدر المنثور للسيوطى عن ابن عباس قوله : والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك من جيد البر والمتاع (٣) .

اذا وفى اتخاذ اللباس شـرعة ومنهاجا وسترا وزينة فى كليهما تقوى للانسان نفسية وجسدية ، ولجل ان تتمكن هذه التقوى فى قلب الانسـان وروحه وجسده وتستمر معه استمرارية حياته جعل الله سبحانه وتعالى له أنواعا من اللباس المناسب لتقلبات الجو من الحرارة والبرودة فسخر لهم أسبابه وسبله وطرقه ، واقدروهم على استخراجـه وتنفيذه بما هياه الله سبحانه وتعالى لهم من مكونات الارض وأرزاقها . فقال تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) (٤) .

جاء فى روح المعانى قوله فى معنى الآية : أى جعل لكم لباسا من القطن والكتان والصوف وغيرها (٥) . كما روى ذلك عن قتادة رضى الله عنه قوله فى الدر المنثور والطبرى " وجعل لكم سراييل تقيكم الحر " من القطن والكتان والصوف (٦) .

-
- (١) سورة الاعراف : آية (٣١) .
 - (٢) تفسير الطبرى (١٦١/٨) .
 - (٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / السيوطى (٧٨/٣) .
 - (٤) سورة النحل (٨١) .
 - (٥) روح المعانى الالوسى (٢٠٥/١٤) .
 - (٦) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / السيوطى (١٢٦/٤) وانظر أيضا جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى (١٥٥/٢) .

والقطن والكتان لباس متخذ من النبات أصلا ، والنبات هو اول لباس للانسان وأول من لبسه سيدنا آدم عليه السلام فى الجنة بالهام من الله سبحانه وتعالى وكما ورد ذلك فى القرآن الكريم فقال تعالى : (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لاتظموا فيها ولا تضى ، فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فآكل منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفا من عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ، ثم احتباه ربه فتاب عليه وهدى) (١) .

ثم تبعه بعد ذلك بنوه وذريته على وجه البسيطة فى اتخاذ أوراق الشجر ولحائها وأعشابها على هيئتها لباسا لهم بالهام فطرى من الله عز وجل كما ألهم أباهم سابقا فى الجنة ، ثم بعد ذلك تطور الانسان واتخذ لباسه من صوف وجلد وشعر الحيوان ، وبعد ذلك ازداد تطورا ورقيا وعرف ان النباتات يمكن الاستفادة منها بطرق مختلفة ، واكتشف فن النسيج النباتى وكان الكتان اول الياف نباتية تنسج لان الخيوط المأخوذة من السيقان طويلة جدا ولا يلزم غزلها، وبعد ذلك نسج هذا الكتان الى أقمشة لتعمل منه الملابس (٢) .

وقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الملابس المصنوعة من الكتان وكان أحب الثياب اليه . ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أحب الثياب الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة " (٣)

-
- (١) سورة طه : اية (١١٧-١٢٢) .
 - (٢) مقتبس من كتاب المعرفة (النبات) (١١٥/٢) (٧٥٤-٧٥٥/٥) .
 - (٣) صحيح البخارى (١٩٠/٧) كتاب اللباس .
صحيح مسلم (١٦٤٨/٢) كتاب اللباس والزينة .
والحبرة : ثوب من كتان ٣ او قطن مزينة . انظر المصباح المنير/الرافعى (١١٨)

ثم استعمل بعد ذلك فى نسيج الأقمشة نبات القنب (١) وتطور تفكير الانسان وترقى اكثر وتطورت معه اصناف النباتات وأنواعها وعرف الكثير منها التى لم يكن يعرفها سابقا وغرس وزرع منها الذى لم يكن مزروعا سابقا ، واكتشف نبات القطن فزرعه وحصده ثم غزله ونسجه وجعل منه الملابس (٢) .

وهكذا تنوعت ملابس الانسان ولم يكتفى الانسان عند هذا الحد باللباس القطنى والصوفى ، وانما حقق الله سبحانه وتعالى هذه الرغبة فى النفس وهى رغبة الزيادة والتجديد والتنويع ، وهدهداه الى النسيج الحريرى بأن سخر له دودة القز التى تتغذى على ورق شجرالتوت ثم تنسج خيوطا حريرية بعد ذلك على شكل كرة ، أخذ الانسان هذا الحرير وجعل منه الملابس على مستوى ارقى وافضل من ملابس القطن والكتان والقنب ، وبعدها اهتم الانسان بزراعة التوت وتربية دودة القز للحصول على الحرير ، اذا لبس الانسان اصناف الملابس وانواعها خشنها وناعمها أرقاها وأدناها ، ملابس داخلية تباشر بشرته وجسده وجلده ، وملابس خارجية للجمال والمباهاة والزينة كل هذه من مواد من الطبيعة وهى النباتات - التوت والقطن والكتان والقنب كلها نباتات استفاد منها الانسان أجمل الفائدة وأعظمها وأجلها وهى لباسه ، واتخذ لباسه من هذه النباتات من بذورها كما فى القطن ومن سيقانها كما فى نبات الكتان والقنب ، ومن ورقه كما فى نبات التوت والصبار الذى يتخذ من ألياف ورقه المتينة النسيج للأقمشة ، ولم يكتف الانسان عند هذا الحد وانما ازدادت أطعمته وطموحاته ، وأصبح الغزل والنسيج يمشى دورا خطيرا فى الناحية الاقتصادية لانه يتعلق بكساء الملابس من البشر والموارد

(١) القنب: نبات يزرع كان يزرع أصلا فى الهند ويزرع للزينة لأوراقه وزهره وهو يشبه الكتان فى أن اليف سيقانه طويلة ويصنع منه الأقمشة .

انظر كتاب المعرفة (٨٢/١) (١٠٣/٢) .

(٢) كتاب المعرفة (٧٩٠/٥ - ٧٩١) .

الطبيعية لاتقاوم رغبة الانسان واطماعه خاصة الحرير، فلجأ الى اخشاب النباتات وصنع منها حريرا صناعيا وخاصة شجرة التوت اتخذ من خشبه مـ حطب القطن وشعر القطن صناعة الحرير الصناعي، ولما لم تكف اشجار التوت لصناعة الحرير لجأ الى خشائش الحلفا والياف اخشاب الاشجار الاخرى ولبها باضافة مواد كيمياوية لصناعة الحرير^(١) وهكذا استطاع الانسان بعقله وحكمته وما سخره الله سبحانه وتعالى من الموارد في هذا الكون ان يحقق مايصبو اليه فرحياته من الملبس .

الفائدة السادسة: النبات مصدر من مصادر أدوات العلم والمعرفة للانسان:

قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) (٢) .
ان مصدر العلم القراءة والكتابة كما هو ظاهر من هذه الآيـة والقراءة وسيلتها صوت الانسان ولسانه بنطق الحروف والكلمات كما قال تعالى : (لاتحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرآنه فاتبع قرآنه) (٣) .
والقراءة تكون لحفظ العلم في الصدور كما قال تعالى : (الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان) (٤) .

(١) انظر :

- مقتبس من كتاب جواهر التفسير/طنطاوى جوهري (٢٠٩/٧-٢١٢) .
- وكتاب تاريخ الزراعة القديمة / عادل ابوالنصر (٢٠٦/٢٠٧) .
- وانظر ايضا كتاب الوطن العربي (٥٧٥) .
- وكتاب المعرفة " النبات " (١٠٣/٢-١٠٨-١١٤) .

(٢) سورة العلق: آية (٥-١) .

(٣) سورة القيامة : آية (١٦ / ١٨) .

(٤) سورة الرحمن : آية (١-٤) .

الوسيلة الأولى : القلم :

الكتابة وسيلة لتثبيت وتقعيد العلم ، ولذلك أقسم الله تعالى بالوسيلة الأولى وهو القلم ، وهو أداة الكتابة ، بل أقسم سبحانه وتعالى بجميع وسائل الكتابة ما عرفه الانسان منها وما لم يعرفه مما سوف يخترع من وسائل الى يوم القيامة ، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى (والقلم وما يسطرون) (١) . فقد أقسم سبحانه وتعالى بالقلم ، ثم أقسم بكل أداة من ادوات الكتابة . ومن هنا جاءت حكمة التعبير بالمضارع في قوله وما يسطرون ، قال الرازي : أقسم سبحانه بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم ، والجمع للتعظيم (٢) ، وقيل سيد قطب يقسم الله سبحانه : بنون والقلم وبالكتابة والعلاقة واضحة بين الحرف (ن) بوصفه أحد حروف الابدادية وبين القلم والكتابة ، فاما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيه اليها (٣) .

أما التعبير بالمضارع في قوله (يسطرون) مضارع سطر اذا كتب كلمات عدة تحصل منها صفوف من الكتابة ، وأصله مشتق من السطر وهو القطع لان صفوف الكتابة تبدو كأنها قطع وهذا فيها جمع والجمع للتعظيم ، تعظيم أمر الكتابة وأدواتها (٤) .

أما الكتابة فوسائلها وأدواتها القلم والورق والمداد ، ليكتب الانسان بيده ويسطر السطور ، والكتابة تستعمل لحفظ العلم في السطور ، كما قال تعالى : (ن . والقلم وما يسطرون) (٥) .

وأدوات الكتابة ، القلم والورق والمداد وكلها مستخرجة من النبات ، او النبات هو الوسيلة المباشرة لأدوات الكتابة ، فالقلم المستعمل للكتابة

(١) سورة القلم: آية (١) .

(٢) تفسير الرازي : (٠١٨٤/٨)

(٣) في ظلال القرآن : سيد قطب (٣٦٥٤/٦) .

(٤) التحرير والتنوير : ابن عاشور (٦١/٢٩) .

(٥) القلم: آية (١) .

ورد ذكره في القرآن الكريم أنه يتخذ من الشجر فقال تعالى : (ولو أنما
في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات
الله ان الله عزيز حكيم) (١) .

وللرازي وقفة عند تفسير هذه الآية : (في الآية ١ - وحدة الشجر
وجمع الأقلام إشارة إلى التكثير يعنون ولو ان بعدد كل شجرة أقلام .

٢- وعرف البحر باللام لاستغراق الجنس .

٣ - لم يقل في الأقلام المدد وذكر في البحر لوجهين :

أ - هو أن يكون بعدد كل شجرة موجودة أقلام فتكون الأقلام أكثر
من الأشجار الموجودة ، والبحر إشارة إلى أنه أكثر من الموجود
لاستوى القلم والبحر في المعنى .

ب - ان النقصان بالكتابة يلحق المداد أكثر فانه هو النافذ
والقلم الواحد يمكن ان يكتب به كتب كثيرة فذكر المداد للبحر
الذي هو كالمداد) (٢) .

وفي الآية تنبيه من الله وإرشاد لخلقه إلى الوسائل التي تتخذ منها
الكتابة ومنها القلم ، والقلم يتخذ من نبات الغاب والقصب قطعة بسيطة
يعالج طرفها ليكون كقلم الرسام (٣) . وقد قالوا في اختيار القلم النباتي
ان يتخير الكاتب من أنابيب القصب أقله عقدا ، وأكثره لحما وأصلبه
قشرا وأعدله استواء (٤) .

(١) سورة لقمان : آية (٢٧) .

(٢) الفخر الرازي : (٥٤٨/٦) .

(٣) قصة الحضارة / ول ايورانت (١٠٧/٢) الشرق الادنى ترجمة محمد زيدان /
لجنة التأليف والنشر ، وانظر الموسوعة العربية الميسرة (١٣٩٣/٢)
دار النهضة ، لبنان (١٩٨٠م) .

(٤) العقد الفريد : ابن عبدربه الأندلسي (٢٢٧/٤) تحقيق محمد سعيد
الغريان / دار الفكر .

٢ - الوسيلة الثانية : الورق :

أما الورق فإنه يستعمل للكتابة سواء كان على شكله وهيأته كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه كان يكتب القرآن على العسب (جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض) والقتاب (جمع قتب وهو الخشب) (١) .

أو يصنع من ألياف أوراق النبات وسيقانها الورق بجميع أنواعه الناعم ، والخشن الذى يستعمل للكتابة أو ورق الصحف والطباعة أو ورق التعبئة أو ورق الكارتون .

أما النباتات التى تستخدم فى صناعة الورق فهى كثيرة . فأول ما صنع الورق من أخشاب الأشجار مثل خشب شجر الصنوبر والتنوب ، والهور ، والبتولا ويعطى خشب الأشجار الرخوة ورقا جيدا ، تقطع الجذور وتكسر الى قطع صغيرة ثم توضع فى غلايات تحول فيها مع مواد كيميائية إلى أفرخ سليولوز ثم بعد ذلك تحول من أفرخ لب الخشب الورق بأنواعه (٢) .

ثم بعد ذلك تطورت صناعة الورق ولم يكتفى فيها بأخشاب الأشجار وإنما دخلت فى صناعتها أيضا كثير من النباتات والحشائش والأعشاب النباتية مثل سيقان نبات البردى والياف نبات الكتان والقنب والياف نبات الحلفاء والبوص والغاب ومخلفات الزراعة ، كالحش ومصاصة القصب ، ومن الأعشاب عشب الفيل ، وعشب الريش وحشائش اسبارتو (٣) .

(١) مباحث فى علوم القرآن / صبحى الصالح (٦٩-٧٠) ط ٦ (١٩٦٩) دار العلم للملايين - مناهل العرفان : الزرقانى (٢٣٩/١) ط ٣ دار احياء

الكتب العربية .

(٢) كتاب المعرفة (١١٧٤/٧) .

(٣) مقتبس من الكتب الآتية :

أ - كتاب المعرفة " النبات " (٣٨/٢ - ١٣٩ - ١٤٦) .

ب - الوطن العربى (٥٧٥) .

ج - الموسوعة العربية الميسرة (١٩٤٨/٢) .

د - قصة الحضارة / ول ديورانت (١٠٦/٢ - ١٠٧) .

هذا هو كرم النبات الذي منحه الله سبحانه وتعالى لنا في الورق للعلم والتعلم .

٣ - الوسيلة الثالثة : المداد :

أما الوسيلة الثالثة للكتابة والتي لا بد منها مع الورق والقلم اذ لو فقدت احدهما لا تتحقق الكتابة وهي المداد ، والمداد هو السائل السـذي يكتب به ، والمعروف بالحبر كما ذكر ذلك في القرآن فقال تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) (١) .

والمقصود بالمداد في الآية هو ما تمد به الدواة من الحبر (٢) .

والمداد أيضا مثل بقية اخواته يستخرج من النبات ، اذ ان مادة التنين تستخرج من بعض الأشجار مثل أشجار البلوط وتستعمل صناعة الصمغ او الغراء والدباغة وكذلك أشجار السنط (٣) .

مثل اشجار (الهاشاب) (والطلح) وشجر السماق والخطمي هذه الاشجار تعطى صمغا او غراء جيدا ومن الصمغ ما تستخرج من بعض اشجار الفواكه والصمغ مكون هام من مكونات الحبر المستعمل في الكتابة وذلك بمزجه مع الصنّاج (٤) ، او مع السخام (٥) أو أسود العاج (٦) بالماء فينتج حُبْزًا أسودًا لا يتلاشى

(١) سورة الكهف : اية (١٠٩) .

(٢) تفسير ابي السعود : (٥٥٤/٦) .

(٣) السنط : شجر من فصيلة القرنيات جذعه أملس وأزهاره وردية يزرع في مناطق المتوسط .

(٤) الصنّاج : خشب أسود تتخذ منه القصاص . انظر كتاب المصرفه (١٤٨/٢-١٤٩-١٥٠) .

(٥) السخام : السواد من الفحم ، والفحم . انظر المصباح المنير (٢٦٩) .

(٦) العاج : ناب الفيل أو عظمه . انظر مختار الصحاح (٤٦٠) ، المصباح المنير (٤٣٦) .

ومادة التين المستخرجة من بعض عفصات البلوط تعتبر مكون هام أيضاً من مكونات صناعة الحبر (١) .

وبهذا تكمل وسائل أدوات الكتابة لقصد العلم والتعلم من النبات المسخر لمنفعة الانسان .

الفائدة السابعه :

٧ - النبات مصدر من مصادر الوقود للانسان :

الوقود : هو كل مادة تتولد باحتراقها حرارة - وأوقد النار أشعلها (٢) .

قال تعالى : (أفرايتم النار التي تورون ؟ / أنتم أنشأتم شجرتها - أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين) (٣) .

تورون : تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب - وأورى النار : أوقدها .

ان النار لها فوائد عظيمة للانسان بها يستدفىء عند البرد القارس ، وبها يستنير عند الظلمة وبها يطهو طعامه ، ومصدر النار كما هو مفهوم من الآيئة النبات ، ان النار التي يوقدها الانسان للدفء أو الانارة والضوء أو طهو الطعام فى حله وترحاله مصدرها ومنشأها النباتات والأشجار التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، وأنشأها وجعل فيها هذه الفائدة العظيمة لبنى آدم وبما فيها من الفوائد والمنافع كانت متاع للانسان فى كل أحواله ، فى الإقامة أو فى السفر كما ذكر ذلك فى الدر المنثور عن قتادة رضى الله عنه قال :

(١) مقتبس من الكتب الاتية :

أ - كتاب المعرفة " للنبات " (٣٨ - ١٤٩) .

ب - الوطن العربى (٢٩٦) .

ج - قصة الحضارة / ول ديورانت (١٠٧ / ٢) .

د - الموسوعة العربية الميسرة (١ / ٦٨٨) .

هـ - نهاية الارب فى فنون الأدب / النويرى (١١ / ٣٢٢) .

(٢) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (٢٨٣) .

(٣) سورة الواقعة : (٧١-٧٣) .

" ومتاعا للمقوين" قال للمسافرين كم من قوم قد سافروا ثم ارحلوا فاحجبوا نارا فاستدفئوا بها وانتفعوا بها (١) .

وفى الطبرى عن مجاهد قوله : " للمستمتعين الناس أجمعين " (٢) .
أما كون النبات هو مصدر النار فهنا يكون بأساليب مختلفة :

الوسيلة الأولى فى الحصول على الوقود من النبات :

أما أن يكون من نفس الشجرة وهو أخضر فتنشأ النار من احتكاك فرع الشجرة بفرع شجرة أخرى وذلك مثل مافى نبت المرخ والعفار ، وهى زنادة العرب ومنه قولهم : فى كل شجر نار واستمجد (٣) المرخ والعفار ، فالعفار الزند وهو الأعلى ، والمرخ الزندة وهى الأسفل ، يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ماء فيحك بعضهما الى بعض فتخرج منهما النار ، وهذا مصداق قوله تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (٤) .

توقدون : تشعلون النار .

وان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا (٥) وفيهما قال كثير :

له حسب فى الحى وار زناده عفار ومرخ حته الورى عاجل (٦)

ومن هذا النبات أيضا ، نبات السلع والعشر ، وهو ضربان من الشجر كان

العرب يأخذونه لاشعال النار (٧) .

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : السيوطى (١٦١/٦) وانظر القرطبي (٦٣٩١-٦٣٩٢) .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن: الطبرى (٢٠٣/٢٨) .

(٣) استمجد: أى استكثر منها .

(٤) سورة يس : (٨٠) .

(٥) تفسير القرطبي (٥٥٠٤/٦) تفسير ابى السعود (٥٣٠/٧) علهامش الفخر

الرازى ، تفسير الجواهر/ طنطاوى جوهر (١٤٧/١٧-١٤٨) ، كتاب النبات

الاصمعى (٣٤) . وانظر أيضا : كتاى الحيوان: للجاحظ (٩٢/٥-٩٣)

(٤٦٥/٤ - ٤٦٦) .

(٦) الحيوان للجاحظ (٤٦٥/٤) .

(٧) الحيوان للجاحظ (٤٦٦/٤) .

وقال الاعشى :

زندك خير زناد الملووك صادف منهن مرخ وعفــــــــــــــــار
ولوبت تقدح فى ظلمة صفاة بنبع لاوريت نــــــــــــــــار (١)

وقال آخر :

بواد يمان يئبت الشت صدره و٢ سفله بالمرخ والشبهان (٢)

وبعد أن يحصل الانسان على الشعلة من مصدرها بالاحتكاك بيــــــــــــــــن
العصنين يزيد لها اشتعالا ويوقدها نارا من نفس النبات ، من نفس الشجر ، من
خشبه ، من سيقانه ، من ورقه ، من اغصانه ، من جذوره ، من حطبه
وتفله ودهنه (٣) (فاذا أنتم منه توقدون) .
(افرايتم النار التى تورون * أنتم أنشأتم شجرتهاــــــــــــــــا ،
أم نحن المنشئون) . (٤)

٢ - الوسيلة الثانية :

وهناك طريقة أخرى واسلوب آخر يحصل بها الانسان على النور والضوء
من النبات ، وذلك بزيت ودهن النبات الذى يستخرجه الانسان من النباتات
والاشجار كما فى شجر الزيتون التى يستعمل زيتها لضاءة المصابيح ، وقد
ذكر ذلك فى قوله تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكا دزيتها يضىء ولو لم تمسه نار
نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله
بكل شىء عليم) (٥) .

(١) الكامل فى اللغة والأدب : المبرد (١٢٤/١) مكتبة المعارف .

(٢) ادب الكاتب : ابن قتيبة (٤١٦) .

المرخ : شجر خوار خفيف العيدان ليس له ورق ولاشوك تصنع منه

الزناد وهو من أكثر الشجر نارا . انظر لسان العرب (٤٦٣/٣) .

(٣) كتاب الحيوان : الجاحظ (٦٥/٥) .

(٤) سورة الواقعة (٧١-٧٣) .

(٥) سورة النور : (٣٥) .

قال الطبرى فى معناها : يوقد المصباح لم يسم فاعله موقده من شجرة ،

توقد المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة (١)

وقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فقال عليه السلام :

(اعتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة) (٢) .

ومدحه صلى الله عليه وسلم لهذه الشجرة ينبىء عن قيمة هذه الشجرة ،

وبيان انكل مافيها مما ينفع الناس زيتها وخشبها وورقها وثمرها ونواها
غذاء ، واضاءة وعلاج ودهنا (٣) .

وعلى هذا تكون هذه الشجرة شجرة معمرة للبشر، ومعمرة فى نفسها

دائما تمد الانسان وتفيده وهذا ما بينه الحق فى قوله تعالى : (وشجرة

تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين) (٤)

وللدهن والزيت المستخرج من النبات ، مثل الزيتون ، التفاح ،

الحبق ، دهن الزنبق ، دهن البان ، دهن نوى المشمش ، دهن الجوز ، واللوز ،

ودهن الكاكاو ، والبندق ، والفول السودانى ، وجوز الهند ، وزيت بذرة

القطن (٥) .

لهذه الادهان والزيوت فوائد عظيمة للانسان ، الاكل والغذاء ، دهن

للشعر ودهن للجسم ، ولاضاءة المصابيح، وبعضه علاج من بعض الأمراض وتستخرج

منه أيضا العطور الزيتية، ويستعمل فى صناعات كثيرة كالمراهم والكريمات

والصابون .

(١) تفسير الطبرى : (١٤١/١٨) .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالماثور : السيوطى (٥٠/٥) اخرج الرواية

الترمذى فى السنن كتاب الطعام (١٨٦/٣) عن عمر ابن الخطاب رضى

الله عنه وقال هذا حديث لانعرفه الا من حديث عبدالرزاق وهو مضطرب

(٣) نهاية الارب فى فنون الادب / النويرى (١٣١/١١) .

(٤) سورة المؤمنون : (٢٠) .

(٥) نهاية الارب فى فنون الادب / النويرى (٧٨/١٢ - ٩٥ - ١١٥) .

- الوسيلة الثالثة :

وبقيت وسيلة ثالثة يحصل بها الانسان على الانارة ، وعلى الضوء
نحصل منها على النار والحرارة والاحتراق ، ألا وهو الفحم النباتى بجميع
أنواعه واستعملاته ، الذى يعتبر هو المادة الاولى لمئات الصناعات
فى الوقت الحاضر ، والفحم النباتى هو عبارة عن مواد نباتية من أشجار
وأعشاب وحشائش احتجبت فى طبقات الارض عن الهواء مدة طويلة من الزمن
تجرى عليها سلسلة من التغيرات الكيماوية ، حيث يفقد الخشب جزءا كبيرا من
الماء الذى يحتويه الخشب " الاكسجين والايروجين" ويبقى نصف مادة الكربون
او اكثرها وهو المعروف بالفحم النباتى ، ويستخرج من الأرض فينتفع به فى
كثير من الصناعات وقودا وغير ذلك من الصناعات مثل الطب ، ويستخرج منه
بعض المواد المستعملة فى الصباغة (١)

وبعد هذا العرض المختصر عرفنا فائدة أخرى من النبات وهو الوقود
والإضاءة ، فسبحان من أودع فى النبات هذه الخصائص .

وان كان هذا شأن النبات فى وجود الطاقة النارية بل والنوارية
على ظهر الأرض ، فانه ينبغى علينا نحن المسلمين أن نهتم بزراعة النبات
وغرسه، وأن تتجه عزائمنا نحو تشجير الاراضى الصحراوية الواسعة التى احتوتها
بلادنا المباركة، وبذلك نكون قد استجبنا لاشادات القرآن الكريم و اشاراته
التى دائما ماتلفت النظر الى مافى كون الله العظيم من نعم هى سبيل بقائه
وطريق حياته ومنهج تعميره لأرض الله عز وجل ، فانا أهيب بالأمة الاسلامية
جميعا أفرادا وجماعات أن يعملوا على تنفيذ تعليمات كتاب ربهم فى انشاء
الغابات كما ذكرها الله عز وجل فى قوله تعالى : (وحدائق غلبا) (٢)
يعنى كثيفة . قال الشيخ الشعراوى : يريد القرآن أن يعطينا صورة للغابات

(١) مقتبس من كتاب تفسير الجواهر / طنطاوى جوهر (١٦/١٤٣) .
الجغرافيا الاقتصادية : د. فتحى ابو عيانة (٤٦١ - ٤٨٦) ط ١٤٠٤ هـ ،
دار النهضة العربية . بيروت .
وانظر : جغرافيا الصناعة : احمد حبيب رسول (٣١-٤١) ط ١٤٠٥ هـ دار
النهضة العربية . بيروت .

(٢) سورة عبس (٣٠) .

والأشجار الكثيفة أو الأشجار الضخمة لاننا فى حاجة لغير الأكل مثلا لأخشاب لعمل السفن والأسقف والمحراث (١) .

ولم يقتصر على ذلك بل ان للغابات فوائد عظيمة من ناحية التربة ، وفوائد الغابات منها كما جاء فى كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) ان من الظواهر التى شوهدت فى الغابات فالقان الأبيض وهو عادة من الأعشاب التى تنمو بكثرة من تلقاء نفسها وتوجد زراعتها الحد بعيد فى مناطق السهول تنمو تحت جذوره وفى حضانتها نباتات الصنوبر البيضاء التى تكون فى هذه الحالة كثيفة غاية الكثافة وقد لوحظ أن أعراض نقص البوتاسيوم لاتظهر على الأشجار الصنوبرية التى تنمو بجوار أشجار القان ، وأثبتت تحاليل التربة والأوراق أن نسبة البوتاسيوم القابل للامتصاص كانت تحت هذه الظروف ثلاثة أمثالها فى الأرض الخالية من أشجار القان بما يثبت أن الأشجار القان قدرة كبيرة على تجديد خصوبة التربة التى تكون عناصرها قد استنزفت بسبب الاجهاد المترتب على طول فترات زراعتها ، ولاشك أن هذه التغذية المعدنية تعتبر همزة الوصل التى يستخدمها الانسان لى يحول المواد غير العضوية الميتة الى عالم الحياة .

ومن الظواهر العجيبة الأخرى التى شوهدت فى وادى كونيكتيكست^(٢) ما لوحظ من أن شجر السدر الأحمر يستطيع بمصاحبة خرطون الأرض وهو من الدود ، أن يزيىء من نسبة عنصر الكلسيوم بالتربة ، فأوراق السدر الأحمر تتساقط على قاع الغابة وعندئذ تنجذب ديدان الأرض اليها بسبب ارتفاع نسبة الكلسيوم بها وسرعان ما تلتهم الديدان هذه الأوراق وتهضمها وبذلك تطلق فى التربة عنصر الكلسيوم فى صورة يسهل على النبات امتصاصها والاستفادة بها (٣) .

(١) تفسير سورة عبس / الشعراوى (٥٤) .

(٢) كونيكتيكست : ولاية فى شرق الولايات المتحدة .

(٣) الله يتجلى فى عصر العلم (٦٧ - ٦٨) .

وتكثير الحقائق والمنتزهات والاهتمام البالغ بكل ما من شأنه أن يزين
وجه الأرض يعود بالنفع والخير على المسلمين جميعا .

- الوسيلة الرابعة :

ولا يفوتني هنا أن أتكلم عن البترول كمادة مشتقة أو مأخوذة من
النبات وتدخل أيضا في عملية الوقود، وتعتبر الوسيلة الرابعة التي يحصل
الانسان منها على الوقود بشتى أنواعه ، وكما سخر الله سبحانه - الكائنات
الدقيقة لمنفعة الانسان وهي حية فقد سخرها كذلك لمنفعة الانسان وهي ميتة
ففي اعتقاد العلماء أنه قبل ملايين السنين كانت المحيطات الضحلة تغطي سطح
الأرض وكانت ملايين لآلاف من الحيوانات الصغيرة جدا والنباتات الدقيقة
للغاية تعيش في هذه المحيطات ، وعندما كانت هذه الكائنات الدقيقة تموت
كانت ترسب إلى قاع المحيط وتوالي موت الملايين منها وهبوطها إلى القاع تكونت
طبقات مترسبة ازداد سمكها يوما بعد يوم، ثم غمرها الطين، وتأثير ضغط
وزن الماء والطين عليها تحللت هذه الكائنات العضوية المترسبة وتحولت إلى
قطرات صغيرة جدا من سائل أسود لزج هو الذي نعرفه بالنفط الخام (البترول)
ثم تصلب الطين على شكل صخور مسامية تشربت قطرات النفط كما يتشرب الإسفنج
الماء، ثم انتشر النفط تدريجيا خلال الصخور المسامية حتى وصل إلى حاجز مكون
عادة من صخر غير مسامي منعه من الاستمرار في الانتشار ، ولأن الصخر غير المسامي
لا يتشرب النفط أخذ النفط يتراكم في الصخور المسامية أكثر فأكثر حتى تكون
ما يسمى اليوم بـ "حقل النفط" الذي أصبح جزءا من اليابسة بعد عمر طويل
من الزمن فاكتشفه الناس واستخرجوا منه النفط وانتفعوا به انتفاعا كبيرا،
فكان مصدر وقود للسيارات والطائرات باستعمال "البنزين" منه، واستخراج
زيوت التشحيم منه أيضا التي تستعمل لتشحيم الآلات في القاطرات والمصانع
ومحطات توليد الكهرباء ، واستخرج منه أيضا غاز "الكبروسين" الذي يستعمل

في اشعال المصابيح والسراج واشعال المواقد لظهو الطعام واشعال
المدافئ، وهكذا انتفع بزيت البترول (١) .

٨ - الفائدة الشامنه : النبات مصدر من مصادر الظل للانسان :

ان الظل فضل من الله ونعمة منه سبحانه وتعالى ، فللنفس معه استرواح
وسكن وبه يتحقق الهدوء والنشاط ، والظل يجعل الانسان يشعر بالراحة
والطمأنينة ، والأمان، وخاصة النفس المجهدة المكدودة فعندما ترى الظل
والظلال الوارفة توحى اليها بالحنان والرحمة التي تتلمسها وتجد عندها
مسح الألم وراحة البدن من التعب والكد وهدوء القلب، ويفعل الظل سحره
وينفذ في أعماق النفس الانسانية تأثيره ، اذا وافق هذا الجهد والكود
والتعب حر الظهيرة وخاصة في هجير الصحراء المحرقة المتعبة، وهذا ما وجدته
نبي الله موسى عليه السلام عندما آوى بعد جهد جهيد فرحلتله الى بلاد مدين
ليرتاح من العناء والتعب . وقد حدثنا القرآن الكريم بذلك حيث قال تعالى:
(ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير،
فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خيبر
فقير) (٢) .

قال المفسرون: تنحى جانبا فجلس تحت ظل شجرة كانت هناك (٣) .

-
- (١) نقلا عن كتاب نعمة الله : جمال الدين عياد (١١٢-١١٣) .
وانظر: الجغرافيا الاقتصادية د. فتحى ابوعيانة (٤٨٧-٥٢٩) ط ١٤٠٤ هـ
دا والنهضة العربية . بيروت .
وانظر: جغرافية الصناعة د. احمد حبيب رسول (٣٩-٤٣-٢٢١) ١٤٠٥ هـ ،
دار النهضة العربية . بيروت .
(٢) سورة القصص : (٢٣-٢٤) .
(٣) تفسير المراغى (٤٧/٢٠) صفوة التفاسير / الصابونى (٤٣٠/٢) .

وقد روى الطبرى عن السدى : أن موسى عليه السلام تولى الى ظل شجرة
سمرة فاستظل بها (١) .

١- تعريف الظل :

الظل هو الخيال والسواد والظلمة الحاصلة من جسم قائم ، كالشجرة
أو الحائط أو الجبل بسبب ضوء الشمس يستظل به الانسان والحيوان أو يتظلل
تحتة عن حرارة الشمس أو يستدفىء به من برودة الشتاء .

الظل فى اللغة : قال ابن منظور : (الظل بالكسر انما هو ضوء شعاع
الشمس دون شعاع ، فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل ، والظل هو الفىء
الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أى شىء كان) (٢) .

الظل عند المفسرين : جاء فى معجم الفاظ القرآن الكريم : من الحسى فى
المادة الظل ، ومن قول الطبيعيين : أنه الظلام الناجم عن حائل دون مصدر ضوء ،
ومن قول اللغويين : أنه ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فاذا لم يكن ضوء
فهو ظلمة لا ظل على أنهم يقولون : ظل الليل : سواده ، والليل ظل .

قالوا : لا أشد سوادا من ظل ، وهو شبيه قول الطبيعيين ، ونقيض
الظل : الضح ، وجمعه أظلال ، وظلال ، وظلول ، واستعمالات المادة عائدة اليه
فظل كل شىء : شخمه لمكان سواده ، وظل الشىء : كنهه واستظل قعد فى الظل
وأظله كذا / غشيه وظل الشىء خياله والظلة : ما يستظل بها ، وأظله : جعله
فى الظل (٣) .

(١) تفسير الطبرى (٥٨/٢٠)

(٢) لسان العرب : (٢ / ٦٤٧-٦٤٩) .

(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم (٢ / ١٦٣-١٦٤) ، المفردات فى غريب القرآن

للأصفهانى (٣١٤) .

٢ - وقت الظل :

قال الفخر الرازى : إن الظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ، وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهذه الحالة أطيّب الأحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس وأما الضوء الخالص وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهى لوقتها تبهر الحس البصرى وتفيد سخونة القويّة ، وهى مؤذية فاذن أطيّب الأحوال هو الظل ، ولا يعرف الا اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل ، فلولا الشمس ووقع ضوءها على الأجسام والاجرام لماعرف ان للظل وجودا وماهية ، لأن الاشياء انما تعرف بأضدادها ، فلولا الشمس لما عرف الظل ، ولولا الظلمة لما عرف النور ، وهذا مصداق قوله تعالى : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه اليينا قبضا يسيرا) (١) .

أى خلقنا الظل أولا بما فيه من المنافع للانسان ، لأن فيه تطييب نفوس الناس ، ويجد فيه المريض راحة والمسافر ، وهو بدأ نشاط الانسان وعمله وحركته ، وهو من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم بعد ذلك هدينا العقول الى معرفة الظل بأن اطلعنا عليه الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة ثم بعد ذلك آزلنا الظل الممدود من وقت الفجر الى طلوع الشمس يسيرا يسيرا ، أى جعلنا الشمس تنسخ الظل عند مجيئها شيئا فشيئا ، حيث أنها اذا طلعت صار الظلم مقبوضا وخلفه فى الجو شعاع الشمس فاشرق على الارض وعلى الاشياء الى وقت غروبها ، ودخول ظلمة الليل وكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل وهكذا الى أن تغرب وتدخل ظلمة الليل ، لأنه لو أزيل أو قبض دفعة واحدة لتعطلت واختلت المصالح ، ولكن قبضه وإزالته يسيرا يسيرا يفيد معه قضاء أنواع المصالح البشرية فى الدنيا ، والمراد بالقبض الإزالة والإعدام (٢) .

(١) سورة الفرقان (٤٥ - ٤٦) .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى (٦/٣٤١-٣٤٢) .

إذا المفهوم من هذا أن وقت الظل الأصلي هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم بعد ذلك ينشأ الظل عن الأشياء وينسخ الظل الحقيقي .

٣- الفرق بين الفء والظل :

جاء في اللغة : الفء : ما كان شمسا فنسخه الظل والفء ما بعد الزوال والظل قبل الزوال والفء بعده من الظل (١) .
الفء والفيئة والفيوء : الرجوع الى حالة محمودة قال تعالى :
(فان فاءت فاصلحوا) (٢) . وسمى الفء فيئا مرجوعه من جانب الى جانب ، قال ابن السكيت : الفء : مانسخ الشمس . والظل : مانسخه الشمس (٣) .

والظل أعم من الفء فانه يقال : ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس : ظل ولا يقال الفء الا لما زال عنه الشمس . وقيل :
الظل يكون بالغداة والفء يكون بالعشى والجمع ظلال وظلول وأظلال (٤) .

مما سبق يتضح أن أصل الظل هو ما كان من أول طلوع الفجر الى طلوع الشمس اذا هذه الفترة من الوقت هو وقت الظل الحقيقي المخلوق أصلا المقصود به في القرآن (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا) (٥) .

وهذا الظل الحقيقي الذي يكون في الكون نورا خافتا هادئا ونداوة وطرارة وبرودة هادئة بدون حرارة واشعاع ، لذلك نجد القرآن أفردته عند ذكره له

-
- (١) لسان العرب (١١٥١/٢) .
 - (٢) سورة الحجرات (٩) .
 - (٣) بصائر ذوى التمييز (٢٢٢/٤ - ٢٢٣) .
 - (٤) بصائر ذوى التمييز (٥٣٧/٣) .
 - (٥) الفرقان (٤٥) .

حيث قال (مد الظل) أى أنه ظل واحد مخلوق أصلا ، وعند ذكر الأشياء التى يحدث منها الظل جمع فذكر بجانبها ظللا أى ظللا كثيرة من شجر وحجر وغيرها ، ثم بعد ذلك ينشأ الظل عن الأجسام والأجرام التى يتسلط عليها ضوء الشمس واشعاعها ، فيحدث من الجسم ظل بسبب منعه لأشعة الشمس وضوؤها .

ثم بعد ذلك تنسخه الشمس وتزيله من مكان الى آخر وهذا معنى قوله تعالى (مد الظل) أى جعله ظلا واحدا ممدودا فى هذه الفترة على مستوى العالم كله والكون كله بحيث تزيله الشمس من مكان الى مكان فى العالم وهكذا يأخذ دورته مابين نهار فى بلد وليل فى بلد آخر، وذلك لانه عز وجل ذكر مقابل المد السكون، والسكون هو الدوام والاستقرار والثبات وعدم الحركة، والمد هو البسط فى الطول والاتصال والزيادة فى الشئ . جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم: مد الشئ يمدّه مدا ، بسطه فى طول واتصال فهو ممدود ، والله يمد الظل يبسطه وينشره ولا يبقيه لاصقا بالجرم المظلل وظل ممدود سابق عام (١)

حيث قال تعالى : (ولو شاء لجعله ساكنا) فالسكون يدل على عدم الحركة . اذا الظل دائما فى حركة ببسطه من مكان الى آخر، ولم يجعله الله سبحانه ثابتا فى مكان واحد، أوفى زمن واحدا وذلك بأن جعل امتداده أيضا ينشأ بعد زوال الشمس له شيئا فشيئا من الأجسام والأجرام المادية التى تتسلط عليها الشمس بحرارتها وشعاعها وضوؤها ، فتحجب هذه الأجرام والأجسام شعاع الشمس وحرارتها ولهيبها فيكون الظل وهو نور بدون حرارة فيستتر الانسان به ، ثم انه على هذه الحالة يتحرك أيضا بتحريك الأجسام وتحرك الشمس كذلك من الشرق الى الغرب ، لذلك كان الظل قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٦١٦/٢-٦١٧) .

الى اقبال الليل والفيء بعد طلوع الشمس الى الليل ، وحكى أبو عبيدة
عن رؤية قال : كل ما كانت عليه الشمس فزالبت عنه فهو فيء وظل ، ومالم
تكن عليه الشمس فهو ظل (١) .

فمن هنا كان الظل أعم من الفيء والفيء أخص ، فكل فيء ظل وليس كل
ظل فيء فقد يطلق الفيء ويراد به الظل ويطلق الظل ويراد به الفيء .

٤ - مرادات الظل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

لقد ورد لفظ الظل في القرآن أربعة وعشرين مرة في إحدى

وعشرين موضعا :

- ١- يعبر بالظل عن العزة والمنعة وعن الرفاهية . قال تعالى : (ان المتقين
في ظلال وعيون) (٢) .
- ٢- ويعبر عن عن العذاب والعقوبة وعن الذلة والمهانة كما في قوله
تعالى : (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) (٣) وقوله (وظل من
يحموم) (٤) .
- ٣- يعبر به عن الامتحان والتجربة كما في قوله تعالى (وظللنا عليكم
الغمام) (٥) .
- ٤- يعبر به عن ظل السجدة والعبادة كما في قوله تعالى : (يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمال) (٦) .
- ٥- ظل الاعزاز والكرامة كما في قوله تعالى (ولا الظل ولا الحرور) (٧) وفي
الحديث (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله) (٨) .

(١) تفسير القرطبي (٤٧٥٣/٦) .

(٢) سورة المرسلات (٤١) .

(٣) سورة المرسلات (٣٠) .

(٤) سورة الواقعة (٤٣) .

(٥) سورة البقرة : (٥٧) .

(٦) سورة النحل (٤٨) .

(٧) سورة فاطر : آية (٢١) .

(٨) صحيح البخارى : (١/١٦٨) الأذان ، باب من جلس في المسجد .

- ٦ - ظل التبجيل والعناية كما فى قوله تعالى (ثم تولى الى الظل) (١) .
- ٧ - غضارة العيش كما فى قوله تعالى : (وندخلهم ظلا ظليلا) (٢) .
- ٨ - السحابة التى تظل " والظلة " واكثر ما يقال فيما يستوخم ويكـره ومنه قوله تعالى (الا ان يأتىهم الله فى ظلل من الغمام) (٣) .
- أى : يأتىهم عذابه وهو جمع ظلة (واذ نتقنا الجبل فوقه مـ كأنه ظلة) (٤) .
- ويقال فيما يحب ويرغب ومنه الحديث (رأيت الليلة فى المنام ظلـة تنطف السمن والعسل) (٥) .
- ٩ - ما يستتر به من الحر والبرد كما فى قوله تعالى : (ولا الظـل ولا الحرور) (٦) وقوله تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) (٧) .
- وفى الحديث "تفرق الناس فى العضاة يستظلون بالشجر " (٨) .
- ١٠ - يقال لكل ما يستتر به ظل محمود كان او مذموم من المحمود قوله تعالى (ولا الظل ولا الحرور) (٩) ومن المذموم قوله تعالى : (وظل من يحموم) (١٠) .
- ١١ - ان مثل الدنيا مثل الظل (ان طلبته تباعد وان تركته تتابع وفسي الحديث : " مامثل ومثل الدنيا الا كراكب قال فى ظل شجرة فى يوم حار ثم راح وتركها " (١١) .

-
- (١) سورة القصص : (٢٤) .
- (٢) سورة النساء : (٥٧) .
- (٣) سورة البقرة : (٢١٠) .
- (٤) سورة الأعراف : (١٧١) .
- (٥) صحيح البخارى (٥٥/٩) التعبير . باب من لم يرا الرويا .
- (٦) سورة فاطر : (٢١) .
- (٧) سورة النحل : (٨١) .
- (٨) صحيح البخارى : (٤٨/٤) الجهاد . باب تفرق الناس .
- (٩) سورة فاطر : (٢١) .
- (١٠) سورة الواقعة : (٤٣) .
- (١١) انظر : بصائر التمييز (٣/٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩) اخرج الحديث فى سنن الترمذى (١٧/٤) كتاب الزهد . وقال هذا حديث صحيح .

ويكون أول النهار على حال ويتقلص ، ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى (١) .

ويؤكد ذلك قوله تعالى : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا) (٢) .

وفي قوله تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظللا) (٣) .

وفي هذه الآية يخاطب الله عباده ليعرفوا الفضل ويقفوا على هذه النعمة الهامة وهي خلق كل ما يستظل به من الجدار والبيوت والشجر وجميع الاجسام المظلة ليوحدا ويؤمنوا بموجد هذه النعمة سبحانه وتعالى .

قال الرازي عند تفسيره لهذه الآية : أعلم ان الانسان اما ان يكون مقيما أو مسافرا ، والمسافر اما ان يكون غنيا يمكنه استصحاب الخيام او لا يمكنه ذلك ، فاذا كان المسافر غنيا صحب معه الخيام ليتظلل بها ، اما اذا لم يكن له خيمة يستظل بها فانه لابد ان يستظل بشيء آخر كالجدران والاشجار وقد يستظل بالغمام (٤) .

وبعد ان عرفنا ان الظل ينشأ عن الاشجار وعن غيرها من الاجسام لكن هناك فرق بين ظل الاشجار وظل الاجسام كما هو مشاهد :
١- أن ظل الاشجار والنبات يكون من جميع الجوانب للشجرة من الشرق والغرب ، اما الاجسام فيكون من طرف واحد او جانب واحد من جهة الشرق ثم من الطرف الثانى من جهة الغرب .

-
- (١) تفسير القرطبي (٣٧٢٧/٥) - تفسير الطبري : (١١٤/١٤) ،
معانى القران / الفراغ (١٠٢/٢) - تفسير المراغى (٨٧/١٤) .
(٢) سورة الفرقان (٤٥) .
(٣) سورة النحل (٨١) .
(٤) تفسير الفخر الرازي (٣٤١/٥) ، الدر المنثور / السيوطى (١٢٦/٤) ،
تفسير المراغى (١٢١/١٤) ، حاشية الصاوى (٣٢٢/٢) .
- الغمام : السحاب .

- ٢ - أن الظل يقصد به الاسترواح عن النفس والسكن ، وهذا لا يتحقق أكثـر
الامع ظل الاشجار والنباتات لما فيها من النداوة والرطوبة .
- ٣ - ان ظل الشجروالنبات فيه حجب لحرارة الشمس اكثر من الاجسام
الأخرى لأن فروعها وأغصانها وأوراقها تكون على طبقات فتكون بذلك
أكثر من غيرها من الاجسام فتمنع حرارة الشمس وأشعتها لكشافتها
عن ظلال الأجسام الأخرى ، ومن ذلك ما روى عن جابر قال: كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة
تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم (١) .
- قال العيني / ظليلة اى مظلمة : اى ذات ظل كثيف (٢) .
- ٤ - أن ظل الشجر يلطف حرارة الهواء والجو ، ويخفف من شدة
الرياح .

٦ - الظل والنبات :

الانسان يستفيد من الظل فى كل اوقات النهار ، لان الظل والفسح
دائم من بعد طلوع الشمس الى آخر النهار ، ومن جميع الجوانب للاشياء
عن اليمين والشمال / ومن الاشياء التى خلقها الله سبحانه وتعالى لينتفع
بها الانسان فى الاستراوح والسكن هى فى ظل الاشجار والنباتات كما مر
معنا سابقا ولم يرد فى القرآن نصا صريحا عن الظل بالنبات وانما ورد ضمنا
بما ذكرته الايات مجملا عن الظل كما فى قوله تعالى : (مما خلق ظللا)
وقوله (يتفياؤا ظلله) ولكن مع ظل الآخرة ورد النبات فى قوله تعالى
(ودانية عليهم ظلله) وذلك قطوفها تذيلا (٣) .

- (١) صحيح البخارى : (١٤٧/٥) كتاب المغازى . باب غزوة ذات الرقاع .
(٢) عمدة القارىء / العيني (١٩٩/١٧) .
(٣) سورة الانسان . (١٤) .

قال القرطبي : (أى ظل الأشجار فى الجنة قريبة من الأبرار) (١)

ولما السنة فقد وردت فيها كثير من الأحاديث التى تبين وتوضح فائدة الانسان من ظل الأشجار ، وخاصة فى أوقات الجهاد والغزو والسفر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أخبرانه غزا مع النبى صلى الله عليه عليه وسلم فأدركتهم القائلة (٢) فى واد كثير الغصاة (٣) فتفرق الناس فى العضاة يستظلون بالشجر ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه ثم نام فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط (٤) سيفى فقال من يمنعك قلت الله فنام (٥) السيف فيها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه (٦) .

وفرواية فى غزوة الحديبية عن ابن عمر رضى الله عنهما أن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون (٧) بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يا عبد الله : انظر ما شان الناس قد أهدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبائعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع (٨) .

وهكذا نجد الانسان تحت الأشجار فهو يتظل تحتها سواء قبل الزوال أو بعد الزوال ، سواء عن يمينها أو عن شمالها ومن جميع جوانبها، ومن النباتات والأشجار التى تكون ظللا للانسان هى مثل اشجار السرح فهو شجر

(١) تفسير القرطبي (٦٩٢٩/٨)

(٢) القائلة : أى شدة الحر وسط النهار . انظر لسان العرب (٢٠٢/٣) .

(٣) العضاة : كل شجر عظيم له شوك كالطلح والعوسج . انظر لسان العرب (٨٠٨/٢) . (٨٠٩)

(٤) اخترط : سله . انظر لسان العرب (٨١٥/٨) .

(٥) شام السيف : عمده أو سله وهو من الأضداد . انظر لسان العرب (٣٩٦/٢) .

(٦) صحيح البخارى (٤٩-٤٨/٤) الجهاد عدة روايات فى الجهاد والخطوب ، باب تفرق الناس

(٧) محدقون : محيطون به ناظرين اليه . انظر لسان العرب (٥٨٨/١) .

(٨) صحيح البخارى (١٦٣/٥) المغازى . باب غزوة الحديبية .

عظام يستظل به (١) وأشجار البلوط والزان والجوز، واللوز، والتين، والصنوبر، فهذه كلها اشجار عظيمة الحجم والفروع، والاعضان، يستظل بها الانسان من حرارة الشمس وفي نفس الوقت مافيها من برودة ولطافة تخفف من حرارة الجو في الليل والنهار او يستدفىء بها من برودة الشتاء في الليل والنهار كما يقول العرب في ذلك :

" ليس شيء أظل من حجر ، ولا أدفاً من شجر " .

وفيه قال حميد بن ثور:

الى شجر ألقى الظلال كأنها رواهب احمر من الشراب عذوب (٢)

وقد قال الرسول صلي الله عليه وسلم في ذلك تشبيه الحياة الدنيا بظل الاشجار وزهده في الدنيا ، عن عبد الله قال: " نام رسول الله صلي الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاً ، فقلنا ما لنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها " (٣) .

وهكذا عرفنا كيف يكون النبات مصدراً للظل الذي يستظل به الانسان ابتعاداً عن لفحة الشمس الحارة أو نسمة البرد القاسية .

٧ - الفرق بين ظل الدنيا وظل الآخرة :

ان ظل الدنيا كما مر معنا سابقاً يزول وتنسخه الشمس من مكان لآخر ثم بعد ذلك يتظلل الانسان ويتستر من الشمس بما خلق الله مما تحدثه الأجسام

-
- (١) كتاب النبات: الاصمعي (٦٥) .
 - (٢) كتاب الحيوان: الجاحظ (٤٩٣/٥-٤٩٤) - المي - كثيف أسود .
 - (٣) الجامع الصحيح/ الترمذى (١٧/٤) كتاب الزهد ، ضبط عبدالرحمن عثمان ، ط ٣ (١٣٩٨هـ) دار الفكر ، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٩/١٠) وقال اخرجه احمد ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة ، ورواه الطبراني واحد رواه ضعيفوبقية رجاله ثقات مسند أحمد (٣٩١/١-٤٤١) عن عبد الله بن مسعود . وقال الترمذى هذا حديث صحيح .

والاجرام من الظل وفي كلا الحالتين يتحرك اما ظل الاخرة فهو دائم ومستقر وبقا لا يزول ولا تنسخه الشمس ولا يتحرك كما قال تعالى : (في سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود) (١) .

وقال تعالى : (تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها...) (٢) .

قال الرازي : (وظل ممدود) فيه وجوه :

١- ممدود زمانا اي لازوال له فهو دائم كما قال تعالى : (اكلها دائم وظلها) .

٢- ممدودا مكانا اي يقع على شيء كبير ويستتره من بقعة الجنة ، اقول لأوافق على هذا الوجه لأن الجنة ظلها ممدودا مكانا بكاملها بحيث لا يكون فيها بقعة ظليلة وبقعة مشمسة والا كان كظل الدنيا وقد قال الله فيها (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) (٣) .

٣- المراد ممدودا اي منبسط فالظل في الجنة ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى (٤) .

ومعنى (ظلها دائم) أي أنه ليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ونظيره قوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) (٥) .
وقال ابو السعود : اي ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (٦) .

(١) سورة الواقعة (٢٨-٣٠) .

(٢) سورة الرعد: (٣٥) .

(٣) سورة الإنسان (١٣) .

(٤) الفخر الرازي (٥٤/٨) .

(٥) الإنسان (١٣) .

(٦) تفسير أبو السعود (٤٨/٨) على هامش الرازي .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في جانب ظل الدنيا لفظ (مد) فـ في قوله تعالى (مد الظل) وفي جانب ظل الآخرة وصف (بالمدود) فقال تعالى : (وظلممدود) .

ان المد : البسط ، فظل الدنيا والآخرة مبسوطان لكن مد ظل الدنيا يختلف عن مد ظل الآخرة ، فمد ظل الدنيا وهو انبساطه لا يكون بذاته وانما بحركة الخالق له ؛ فلذلك لا بد وان يخضع لحركة من يحركه ، فمن هنا لم يكن مده في وقت واحد سابق عام شامل لكل العالم ، وانما يتناسخ من مكان الى آخر ، بحيث لو وجد في بلد لا يوجد في أخرى اذا هو ممدود في الزمن وليس في المكان ، لذلك يتحرك باستمرار بتحرك دورة الفلك التي جعلها الله تعالى سبباً لتحركه لذلك عبر في جانبه بالفعل ، أما ظل الآخرة فهو ممدود زماناً ومكاناً سابقاً عاماً شاملاً ثابتاً مستمراً باق لا يتحرك ولا يتغير ولا يتبدل ، وطالما ان هذا الوصف ذاتياً له وصف (بالمدود) اذا فهو ممدود بذاته جعله سبحانه وتعالى ممدوداً في أصل خلقه ، (وممدود) اعلمق وأبلغ من (مد) في المبني والمعنى : أما الظل الناشئ عن اجرام واجسام فهو موجود في الآخرة ، كما هو موجود في الدنيا ولكن ليس عن شمس او ضوء وانما هو زيادة في نعيمهم واستمتاعهم يتلذذون بالنظر اليها حيث أن الظلال لها ناحية جمالية تسعد النفس وتريحها . اما ظلال الدنيا منها ما هو قريب ومنها ما هو بعيد عن الانسان ، لكن ظلال الآخرة فهي قريبة من الأبرار قال القرطبي عن تفسيره لقوله تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ، متكئين فيها على الأراشك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) (١) .

أى لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا بر دمغراً وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان هواء الجنة سجاج لحر ولا برد " (٢) والسجاج :

(١) سورة الانسان (١٢-١٤) .

(٢) لم أقف عليه في كتب الحديث ولكنه ذكر في تفسير القرطبي (٦٧٣٠ / ٨) .

الظل الممتد كما بين طلوع الفجر وظلوع الشمس (ودانية عليهم ظلالها)
اي ظل الاشجار والجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم
وان كان لشمس ولاقمر .

(وذلك قطوفها تذليلا) اي سخرت ثمارها تسخييرا فيتناولها القوائم
والقاعد والمضطجع ، لا يرد ايديهم عنها بعد ولاشوك ، قال قتادة ، وقال
مجاهد: ان قام احد ارتفعت له وان جلس تدلت عليه وان اضطجع دنت منه
فاكل منها (١) .

٣ - ان ظلال الاخرة اكثر كثافة من ظلال الدنيا واكبر وأطول مسافة من ظلال
اشجار الدنيا ، كما قال تعالى في ذلك (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار والذين فيها ابداء لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) (٢) .

قال القرطبي : (ظلا ظليلا) يعني كثيفا لشمس فيه . وقال
الحسن: وصف بانه ظليل لانه لا يدخله ما يدخل الدنيا من الحر والسموم ونحو
ذلك . وقال الضحاك : يعنى ظلال الاشجار وظلال قصورها ، وقال الكلبي:
" ظلا ظليلا " اي دائما (٣) .

وفى صحيح مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : " ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة
سنة " (٤) .

(١) تفسير القرطبي (٨/٦٩٢٩-٦٩٣٠) .

(٢) سورة النساء (٥٧) .

(٣) تفسير القرطبي (٢/١٨٢٥) .

(٤) صحيح مسلم (٤/٢١٧٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها . وفى رواية اخرى
عن سهل بن سعد زيادة لفظ (لا يقطعها) وأخرج الترمذى فى السنن
عن ابي سعيد الخدرى بزيادة (وذلك الظل الممدود) وعن ابي هريرة
بدون زيادة (سنن الترمذى (٤/٧٩) صفة الجنة / وذكر ذلك فى جمع
الفوائد/ محمد بن سليمان (٢/٣٠٧) .

قال العلماء : المراد بظلمها كنفها أى ناحيتها ، وهو ما يسترر
أغصانها (١) ، وفى رواية البخارى عن أبى هريرة زيادة (واقروا ان شئتم :
وظل ممدود ، والرواية الأخرى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها) (٢) .

قال العينى : (فى ظلها) أى راحتها ونعيمها لأن الظل المتعارف
انما هو وقاية حر الشمس واذاها ، وليس فى الجنة شمس وانما هى انوار
متوالية لا حر فيها ولا برد ، بل لذات متوالية ونعم متتابعة (٣) .

-
- (١) هامش صحيح مسلم (٢١٧٥/٤) .
(٢) البخارى فى الصحيح (١٤٤/٤) بدء الخلق ، باب ماجاء فى صفوة
الجنة فى رواية أبى هريرة (واقروا ان شئتم وظل ممدود) وانظر
فتح البارى (٣٢٦/٦) ، معجم الفاظ القرآن (١٦٤/٢) تحفة
الأحوذى (٢٢٦/٧) .
(٣) العينى : عمدة القارىء : (١٥٨/١٥) .

المبحث الثانى

ثانيا : الفائدة النفسية :

ان النبات عامل مهم يؤثر فى حياة الانسان النفسية ، فهو ينفذ الي
داخل النفس البشرية فيجيش فيها مشاعر الفرح والسرور والبهجة بروى يــــة
النبات ومافيه من النضارة والخضرة والاشكال الالوان ، فتسكن النفس
وتطمئن وتهدأ وترتاح ، ولم يترك القرآن فى الانسان جانبا الا وتناولــــه
بالعلاج ووصف له طرق الشفاء سواء كان من الناحية الجسدية ، كما معر معنا
سابقا ، أو النفسية او الروحية ، لذلك نجد انه جعل فى النبــــات
وسائل ترفيهية وراحة نفسية للانسان ، فاول متعة يجدها الانسان فى النبات
انه زينة على وجه الارض ، وجمال لها وزخرفها ، وذلك لانه يجعل الارض كالثوب
الموشح المزين باشكال الالوان والمرجان ، والالماس ، والزمرد ، ويجعلــــه
لامعا براقا يتلألأ ، وكأنه ينطق عن نفسه ليجذب اليه انظار غيره ، ويزيدــــه
جمالا الوانا وأشكال من الازهار والورود التى تبرزه وتظهره فى الحياــــة
والوجود ، وتجذب حوله النفوس والانوف وهى نشوانة مختالة ، وهذا مصداق
قوله تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الأرض ، مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها
وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها
حصيدا . كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يفتكرون) (١) أى مازال
ينمو ويزهو حتى استوفت واستكملت الارض زخرفها من النبات ، وتم ســــرور
أهلها بها وبالزهر أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر (٢) .

ومن جمال النبات على الارض الخضرة ، فهو يفرش الأرض باللون الأخضر
ويجعلها زمردة بهجة حية ، ومع الخضرة واللون الأخضر يحس الانسان بالندوة

(١) سورة يونس : (٢٤) .

(٢) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين (١٨٤/٢) .

واللطف واللين والرحمة ، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير) (١) .

والنبات مصدر بهجة الانسان ، ومع البهجة يشعر الانسان بالنشوة ، والنشاط والحيوية حيث قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٢) .

وقال تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (٣) .

فأى حياة بدون بهجة للانسان ، وأى بهجة للانسان بدون حياة للانسان ، فيعد الهمود ، والموت وجدت الحياة ومعها وجدت البهجة للانسان ، ومن النباتات تتكون الحقائق والبساتين والجنات والرياض وهى مصدر نعيم الانسان وسعاده وسوره وفرحه وبهجته . وقد قال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أله مع الله بل هم قوم يعدلون) (٤) . وقال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم) (٥) .

وفى الحنات قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرا ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا) (٦) .

(١) سورة الحج : (٦٣) .

(٢) سورة ق : (٧) .

(٣) سورة الحج : (٥) .

(٤) سورة النمل : (٦٠) .

(٥) سورة عبس : (٢٧-٣٢) .

(٦) سورة الكهف : (٣٢-٣٣) .

وفى آية اخرى قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهارخلالها تفجيرا) (١) .

وفى غيرها قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الارضوانا على نهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (٢) .

والحدائق والجنات هى البساتين المثمرة المسورة بحواظ تحميها (٣) . وقد ورد فيها كثير من النثر والشعر فى مدحها ووصفها بالحسن والبهجة فمنها ما قيل :

فمنها سعد سمرقند - الذى تحف به بساتين كست زهرتها من الارض عاريها وأصبح للسماء بكاء فى جوانبها ، وللروض ابتسام فى نواحيها (٤) .

وفى غوطة (٥) دمشق قيل : هى شرك العقول ، وقيد الخواطر ، وعقوال النفوس ، ونزهة النواظر ، خلخت الأنهار أسواق (٦) أشجارها ، ومثلت فى باطنها مواس (٧) أغصانها ، ويتوهم المتأمل لمثراتها أنها أشربة قد وقفت بغير أوان فى كل أوان (٨) ، خيالها من رياض من لم يطف بزهرها

(١) سورة الاسراء : (٩٠-٩١) .

(٢) سورة المؤمنون (١٨-١٩) .

(٣) انظر : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين (٢/٣٦٣) وانظر كذلك

فى ظلال القرآن : سيد قطب (٦/٣٨٣٣) وكتاب الفتوحات الالهية : الجمال

وتفسير الجلالين (٢/٦٤٨) (٣/٣٢٢) .

(٤) نهاية الارب فى فنون الادب : النويرى (١١/٢٥٧) .

(٥) الغوطة : مكان من دمشق .

(٦) اسوق : السيقان الطويلة .

(٧) مواس : تمايل .

(٨) اوان : جمع آنية .

من قبل أن يخلق (١) فقد قصر ،ومن غياض من لم يشاهدها في ابانها فـــــــد
فاته من عمره الاكثر (٢) .

وفي الشعر فوصفها قال اليسامى :

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها وللربيع ابتسام في نواحيها

وقال آخر:

قهقه زهر الربيع فاستبشــــر واكتست الأرض مطرفا أخضــــرا
وقال ابن سكرة الهاشمى :

أما ترى الروضة قد نــــورت وظاهر الروضة قد أعشــــبها
كانما الأرض سماء لنــــها نقطف منها كوكبا كوكبها

وقال أبو محمد الحسن بن على بن وكيع التنيسى :

أسفر عن بهجته الدهر الاغــــر وابتسم الروض لنا عن الزهــــر
ابدى لنا فصل الربيع منظرها بمثله تفتن آلباب البشــــر (٣)

...

(١) يخلق : أى يرتفع عن الغوطة ويرحل عنها الى مساواها وذلك لانها فى منخفض من الارض .

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب : النويرى (١١/٢٦١-٢٦٢) .

(٣) نهاية الأرب فى فنون الأدب : النويرى (١١/٢٦٧-٢٦٨-٢٧٠) .

المبحث الثالث

ثالثا : الفائدة الروحية :

ان النبات مصدر من مصادر الهداية الروحية للانسان فى هـذا الكون ، التى بها يحيى حياة طيبة كريمة لانها تربطه بالله سبحانه وتعالى فى كل أحواله وتصرفاته فى قوة ايمانه ، وفى تفكره فى خلق الله عز وجل وفى شكره ، ولقد وجه القران قلب الانسان وعقله ووجدانه الى خلق السموات والارض والفلك والليل والنهار والشمس والقمر ، وخلق الانسان كذلك ، ولفت نظره الى ذلك كله بالتدبير والتأمل ، كذلك نجد القرآن لفت نظر الانسان الى خلق النبات وما فيه ، وما يشمل عليه ، ووجه قلبه ووجدانه ومشاعره الى النبات ليتعاطف معه وينفعل به فيحس بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه بهذا النبات ، فيهدى الى خالقه ويؤمن به او يتقوى ايمانه حيث قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا . ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) (١) .

والايمان يستدعى العقل الذى به يستطيع من يعقل ويعرف ما يريد أن يتوصل اليه من العلم والمعرفة والايمان والتقوى ، ولقد قرن القرآن النبات بالعقل فقال تعالى : (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) (٢) .

وفى آية أخرى قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) (٣) .

(١) سورة الانعام (٩٩) .

(٢) سورة الرعد : (٤) .

(٣) سورة النحل : (٦٧) .

والعقل يستوجب التفكير والتأمل في خلق الله في هذا الكون ، والنباتات مخلوق من مخلوقات الله في هذا الكون ، وفي نموه ومراحل تطوره والوانه وأصنافه وأشكاله يستوجب التفكير من العقل الانساني ، كيف يكون ذلك وكيف يتم كله بقدرة الله القادر سبحانه وتعالى ، وقد جعل القرآن ذلك آية للذين يتفكرون فقال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (١)

ولم يخاطب القرآن العقل الانساني وتفكيره وقلبه ، وانما أيضا جوارحه ولفتها ووجهها الى هذا المخلوق الجميل العجيب في الصنعة ، فلفت النظر والبصر الانساني الى ذلك وخاطبه بقوله تعالى (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارضالجرز فنخرج به زرا تآكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) (٢) .

ومع بعد النظر ودقة البصر وعمق التفكير ورجاحة العقل وقوة الايمان يكون شكر النعمة ، وأى شكر ينبع من أعماق النفس من أعماق الروح ، من أعماق الايمان الا أن يكون الشكر للمنعمة المتفضل بهذه النعمة على الانسان ، وبما أن النبات نعمة من النعم العظيمة الجليلة من الله سبحانه وتعالى على الانسان اذا هذه النعمة تستوجب الشكر من الانسان لله عز وجل ، والنبات مصدر لان يجعل الانسان دائما شاكرا لله عز وجل ، وهذا ما نادى به القرآن العظيم الانسان بالشكر لله عز وجل على نعمة النبات فقال تعالى : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون) (٣) .

وفي آية أخرى في دعاء نبي الله ابراهيم عليه السلام قال تعالى : (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (٤) .

(١) سورة النحل : (١١) .

(٢) سورة السجدة : (٢٧) .

(٣) سورة الاعراف (٥٨) .

(٤) سورة ابراهيم : (٣٧) .

وقال تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ، لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ، سبحان الذى خلـق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) (١) .

وعندما تشد الحياة الدنيا الانسان للابتهاج بها وزينتها وزخرفها وتغريه بذلك فينغمس فيها وينسى آخرته ، يأتى النبات ويوقظ قلبه ويحيى نفسه ويشعل فى وجدانه جذوة الايمان ، وذلك بان يشده الى الاخرة ويذكره بالموت والانتهاى من هذه الحياة الدنيا الفانية الى الاخرة الباقية وذلك بما فى النبات من عملية الحياة والموت حيث قال تعالى فى ذلك : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٢) .

وفى قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيح فتراه مصفرا يم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) (٣) .

وبعد أن تجولنا خلال الشجر والثمر والزهر نستمتع بمنظره البهيج نتلمس ونتحسس ألوانه الطيفية ، ونشم راحته الزكية الندية ، ونعرف فوائده الحسية والنفسية والروحية ، من خلال الصفحات القليلة التى لو أطلت فيها البحث لاستغرقت بها المجلدات ، رأينا أن كل ما ذكرته من فوائد النباتات

-
- (١) سورة يس (٣٣-٣٦) .
(٢) سورة الاعراف (٥٧) .
(٣) سورة الزمر : (٢١) .

مجموع في قوله تعالى : (فأنبثنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا
ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم) (١)

وصدق الله العظيم اذ سماه متاعا حقا ، ان النبات متاع ومتعة ،
ونعيم للانسان في الحياة ، وأجل نعم الله وأعظمها على الانسان اللهم
ارزقنا حفظها والشكر عليها ولك الحمد حمدا كثيرا .

.....

(١) سورة عبس : (٢٢-٢٧) .

المبحث الرابع

الفائدة الأخرى

النبات مصدر من مصادر نعيم الانسان فى الآخرة :

لم يقتصر متاع الانسان بالنبات على الحياة الدنيا فقط ، وانما أيضا يتمتع به فى الآخرة ، ولقد جاء القرآن به فى كثير من الايات امتنانا به فى نعيم الآخرة للانسان وبيان ذلك ما يلى :

١- الجنة هي مكان نعيم الانسان فى الآخرة ، وهي كما عرفتها سابقا الحديقة والبستان الذى يزهر ويزدهر بالنباتات على اصنافها وانواعها وفى ذلك قوله تعالى : (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) (١)

وفى آية أخرى قال تعالى : (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم) (٢) .

٢- النبات مصدر من مصادر رزق الانسان فى الجنة فقال تعالى : (الاعباد لله المخلصين ، أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم فيها مكرمون ، فى جنات النعيم) (٣) .

وفى آية أخرى قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (٤) .

٣- النبات مصدر من مصادر أكلهم الدائم وطعامهم فى الجنة فقال تعالى : (مثل الجنة التروعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تظللك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) (٥) .

(١) سورة القلم : (٣٤) .

(٢) سورة الواقعة (١٠-١١-١٢) .

(٣) سورة الصافات (٤٠-٤٣) .

(٤) سورة البقرة : (٢٥) .

(٥) سورة الرعد (٣٥) .

وقال تعالى : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقـرءوا كتابية ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنـة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) (١)

٤ - من طعام أهل الجنة الفاكهة من النبات . قال تعالى :
(وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) (٢) .

وفى آية اخرى : (ان المتقين فى ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) (٣) .

وقال تعالى : (هذا ذكر وان للمتقين لحسن مئاب ، جنات عدن مفتحة لهم الابواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) (٤) .
وفى غيرها : (ان المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون) (٥) (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) (٦) .

٥ - أنواع الفواكه فى الجنة : قال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (٧)
وقال تعالى : (ان للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا) (٨) .

٦ - عموم النبات وديمومته قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وانها من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمـر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) (٩) .

(١) سورة الحاقة (١٩-٢٤) .

(٢) سورة الزخرف : (٧٢-٧٣) .

(٣) سورة المرسلات : (٤١-٤٣) .

(٤) سورة ص (٤٩-٥١) .

(٥) سورة الدخان (٥١-٥٢) .

(٦) سورة الدخان (٥٥) .

(٧) سورة الرحمن (٦٨) .

(٨) سورة النبأ (٣١-٣٢) .

(٩) سورة محمد (١٥) .

وقال تعالى " فيهما من كل فاكهة زوجان " (١)

وفى غيرها قال تعالى : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظلممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لامقطوعة ولا ممنوعة) (٢) .

٧ - النبات مصدر من مصادر الظل الدائم فى الجنة قال تعالى : (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) (٣)

وفى آية اخرى قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) (٤) .

وفى غيرها قال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) (٥) .

وقال تعالى : (ان المتقين فى ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون) (٦) .
وهكذا كانت آخر رحلة ومطاف الباب الأول الجنة ، كما وأن آخر مطاف الانسان المؤمن الجنة ، كان نهاية الباب الأول كذلك ، لانها هى النهاية المحمودة المرغوبة التى يرغبها كل انسان مؤمن ويجعلها غايته ونهاية رحلته ومطافه عن حياته اليهنا ، النهاية السعيدة لضيوف السماء بما أعده الله سبحانه وتعالى لهم فيها من المتع الحسية والنفسية ، التى منها :

-
- (١) سورة الرحمن (٥٢) .
 - (٢) سورة الواقعة (٢٧-٢٣) .
 - (٣) سورة يس (٥٥-٥٦-٥٧) .
 - (٤) سورة الرعد (٣٥) .
 - (٥) سورة الانسان (١٢-١٣-١٤) .
 - (٦) سورة المرسلات : (٤١-٤٢) .

الامن وعدم الخوف والحزن ، والخزى وفيها الأخوة والمحبة المتبادلة
والرحمة ، والشرف والرفعة ، والحبور والاستبشار واستقبال الملائكة لهم
والسلام عليهم ، ويحيطهم الله عز وجل بنوره ، وعطفه ورحمته ، اما المتع
الحسية فكما مر معنا من النباتات وما فيها من متع جليلة عظيمة ، من
طعام وظل ورزق وتفكه ومتعة نظر وانعام بالخضرة واللون الاخضر ، ثم
الانهار الجارية والبساط الاخضر الرحيب ، والدور والمساكن الطيبة والسرر
المرفوعة والقطوف الدانية ، والتزاور والمحبة بين أهلها (١) اللهم
اجعلنا من أهلها .

...

(١) انظر دستور الاخلاق في القرآن الكريم ، د. عبدالله دراز (٣٧٠-٣٨٧) ،
تحقيق د. عباغصبور شاهين ط ١ (١٣٩٣ هـ) مؤسسه الرسالة .

الأساليب النبوية

أساليب القرآن الكريم والأحاديث النبوية في عرض آيات النبأت

وتكون من تمهيد وبيانه :

- ١- التمهيد : معنى الاسلوب
- ٢- لفصل الاول : اسلوب المثل بالنبات وأثره في النفس
- ٣- لفصل الثاني : اسلوب التشبيه بالنبات وأثره في النفس
- ٤- لفصل الثالث : اسلوب الخبر بالنبات وأثره في النفس
- ٥- لفصل الرابع : اسلوب الاستفهام بالنبات وأثره في النفس
- ٦- لفصل الخامس : اسلوب القسم بالنبات وأثره في النفس

- تمهيد : معنى الأسلوب :

تتعدد الأساليب وتكثر وهي ضرب من البلاغة المؤدية الى ما يستكن في النفس من المعاني ، وذلك لأن الأسلوب هو طريقة التعبير التي يعبر بها الانسان عما يجيش في نفسه من الافكار والتصورات والتخيلات والمعاني، ويظهرها في قالب معين وهو الأسلوب ، ولعلماء اللغة في معناه عدد من المعاني :

- ١- المعنى الاول : هو الفن .
- ٢- المعنى الثاني : هو المذهب .
- ٣- المعنى الثالث : هو طريقة المتكلم في كلامه (١) .

وقد حاول علماء الأدب والبلاغة ان يضعوا للأسلوب معنى اصطلاحياً كل على حسب مافهمه وتصوره منه (٢) فقالوا :

- ١- هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه .
- ٢- أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه ،
- ٣- أو هو طابع الكلام وفنه الذي انفرد به المتكلم (٣) .

وبالنظر في التعاريف الاصطلاحية نلاحظ الصلة بينها وبين التعاريف اللغوية فنجدها مترابطة ، فالرأى الأول من التعريف الاصطلاحى مناسب تماماً للرأى الأخير في اللغة ، والرأى الثانى في التعريف الاصطلاحى مناسب للرأى الثانى في اللغة ، والرأى الثالث في الاصطلاحى مناسب للرأى الاول في اللغة .

-
- (١) مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقانى (٢/١٩٨-١٩٩) دار احياء الكتب العربية .
 - (٢) انظر بالتفصيل كتاب مدخل الى علم الاسلوب : شكرى محمد عياد (٢٣-٢٤) ، ط١ ، (١٤٠٢هـ) دار العلم .
 - (٣) مناهل العرفان في علوم القرآن/ الزرقانى (٢/١٩٨-١٩٩) .

إذا الصلة بين المعانى اللغوية والاصلاحية متقاربة مترابطة الهدف والمقصد منها واحد ، وان كانت هناك مفارقات فى اللفظ والتعبير فى معنوي الأسلوب ، فشكل الكلام وصياغته يعد فنا من فنون النظم الكلامي ، والأسلوب هو نظم الكلام^(١) الذى يعبر به الأديب أو الشاعر أو العالم لابرار المعانوي والأفكار التى يريد ابرازها للسامع أو القارئ^(٢) . من هذا يمكن أن يقسم الأسلوب الى قسمين :

١ - أسلوب علمي .

٢ - أسلوب أدبي .

وكل أسلوب له عباراته ووظائف كلماته .

١ - فالأسلوب العلمى عبارته واضحة محددة دقيقة والكلمة فيه وظيفتها تأدية المعنى وتوضيح الفكرة .

٢ - والأسلوب الأدبي عباراته غامضة موحية فضفاضة ، والكلمة فيه وظيفتها التأثير فى النفس ، والايقاع فى النغم ، وذلك بما يبعثه فى النفس من استجابات انفعالية عاطفية^(٣) .

إذا الاسلوب : هو طريقة الكلام وصياغته التى يعبر بها صاحبه عن المراد المقصود بصورة تمنع من سوء التعبير وسوء الفهم وتصل المعنى الى القلب والعقل ، وكل انسان له طريقته الخاصة فى التعبير كل على حسب

(١) كتاب نقدالنثر / أبى فرج قدامه (٣٠) تحقيق عبدالحميد العبادي(١٤٠٠ هـ) دارالكتب العلمية / بيروت / وانظر كتاب وجوه من الاعجاز القرآني مصطفى الدباغ (١٨) ط ١ (١٩٨٢م) مكتبة المنار . وانظر : كتاب مدخل الى علم الاسلوب / شكرى عياد (٢٤) .

(٢) المعانى فى ضوء أساليب القرآن : د. عبدالفتاح لاشين (٤٤) ط ٢ (١٩٨٣ م) المكتبة الاموية . وانظر : مدخل الى علم الاسلوب : شكرى عياد (١٣) ، وانظر: القرآن المعجزة الكبرى/ محمد أبوزهرة (١٢٥) دار الفكر العربى .

(٣) انظر: خصائص التراكيب / د. محمد أبوموسى (٢١١-٢١٢) ط ٢ (١٤٠٠هـ) ، دار التضامن للطباعة والنشر ، مكتبة وهبة . وانظر: من بلاغة النظم العربى د. عبدالعزيز عبدالمعطى عرفه (٣٠/٣١) ط ٢ (١٤٠٥هـ) عالم الكتب (بيروت) . وانظر: فن البلاغة ، د.عبدالقادر حسين (٤٦) ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ) عالم الكتب . وانظر: البيان فى ضوء أساليب القرآن ، د. عبدالفتاح لاشين (١٠) ط ١ (١٩٨٤م) وانظر : الموجز فى تاريخ البلاغة د. مـازن المبارك (١٣) (١٤٠١هـ) دار الفكر دمشق . وانظر : بينات المعجزة الخالدة/ حسن ضياء الدين عتر (٣٠٥-٣٠٦) ط ١ (١٣٩٥هـ) دار النصر ، سورية .

قدرته فى تفنن العبارة ، واختيار الكلمات والألفاظ المناسبة البليغة التى تشد القارئ أو السامع لأن البلاغة هى وسائل الاعراب عما فى النفس (١) .

وأسلوب القرآن الكريم أسلوب فريد ويراد به طريقة القرآن فى التعبير عن مراد الله سبحانه وتعالى كما نزل من عند الله عز وجل ، وبأسلوبه الأسر البليغ الذى تحدى العرب ، وهم أهل لغة وفصاحة وبلاغة فدهشوا عندما سمعوا آيات القرآن تتلى ، وعرفوا مافيهما من أساليب البلاغة والبيان ، ذلك أن كتاب الله هو كتاب دعوة ، أراد به الله أن يخاطب العقول والأرواح ، وقد اشتمل على البراهين والحجج المقنعة للعقول المرققة للعواطف المثيرة للوجدان ، ولكي يشير القرآن الانفعالات والعواطف فى نفوس البشر ، أتى القرآن فى أساليبه المتعددة والمتنوعة والمختلفة معجز ، لأن من روائع الأسلوب القرآنى الذى نجده يأتى فريدا بلا أطوار يتقلب فيها ، أو اسهامات بشرية عديدة للتعديل والتقويم والتدعيم ، كما هو الحال فى كل فنون آداب الأمم ، فهى وليدة أزمان وأطوار وجماعات والقرآن جاء مرة واحدة على امتداد ثلاث وعشرين سنة بأسلوبه الفريد الذى حوى كل شئ من روعة النظم وحسنه وبهجه وحسن موقعه فى السمع وسهولته على اللسان ، ومعارف مشرقة ومبادئ وأحكام وعلوم ، بأبلى أسلوب وأجمله وأعلاه ، أسلوب جديد من أساليب القول يخرجها به ويجليها فيه ، فتقع ألفاظه ومعانيه فى النفس موقع القبول والاجلال ، فذروة الحكمة

(١) الموجز فى تاريخ البلاغة : د. مازن المبارك (٢١) .

وانظر : من بلاغة النظم العربى ، د. عبدالعزيز عبد المعطى عرفه (٦٥-٦٦) . وانظر : المعانى فى ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين (٤٢-٤٦) . وانظر : البيان فى ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين (٨-١٢) وانظر : التصوير البيانى : د. محمد ابوموسى (٦-٨) ط٢ (١٤٠٠) دار التضامن .

والعلم والادب تخرج في أسلوبه فهو الذروة العليا من ذرى الأدب ، ثم يتحدى الله بعد ذلك الاتيان بمثله أمة البلاغة والفصاحة والبيان ، والقــــرآن الكريم ليس من قول بشر لا من حيث انه نظم معجز وحسب ، بل لأن الطبيعة البشرية لاى انسان مهما بلغ من التمام والكمال البشرى لاتتسع هذه الطبيعة لان تتعلم غاية العلم والحكمة ثم تصوعها فى هذا الاسلوب المبدع المعجز ثم تستنبتها فى الحياة وتلايها مشارق الارض ومغاربها ، ان ذلك لا يكون لانسان أبدا (١) .

ومن الابداع القرآنى والاعجاز والسحرفيه ما ذكره سيد قطب رحمه الله فى كتابه التصوير الفنى فى القرآن فقال :

-
- (١) انظر: قضية الاعجاز القرآنى: د. عبدالعزيز عبدالمعطي عرفه ————— (٤١٤-٤١٥) ط ١ (١٤٠٥هـ) عالم الكتب .
وانظر: وجوه من الاعجاز القرآنى: مصطفى الدباغ (٢٥-٢٦) .
وانظر : من بلاغة النظم العربى : د. عرفه (٨-٩) .
وانظر: بينات المعجزة الخالدة: حسن عتر (٣٠٤-٣٠٥) .
وانظر: من بلاغة القرآن د. احمد احمد بدوى (١-٣٥) (٢٤٤-٢٥٠) دار النهضة . مصر .
وانظر: اعجاز القرآن : الباقلانى / تحقيق السيد احمد صقر (٢٨٦-٢٩٠) ، ط ٣ دار المعارف .
وانظر: اعجاز القران : مصطفى الرفاعى (٢٩-٣٢) (١٨٨-١٩٢) ط ٩ (١٣٩٣هـ) دار الكتاب العربى .
وانظر: دلائل الاعجاز/ الجرجانى/ تعليق عبد المنعم خفاجى (٨٩-٩٠) ، (١٣٩٧هـ) مكتبة القاهرة .
وانظر: دلائل الاعجاز/ الجرجانى/ تعليق السيد محمد رشيد رضا (٤٢) ، ط ٦ (١٣٨٠هـ) مطبعة على صبحي .
وانظر: النظم القرانى فى سورة الرعد: محمد بن سعد الدبيل (١٢٣-١٢٥) عالم الكتب .
وانظر: التصوير الفنى فى القرآن / سيد قطب (٣٤) .
وانظر: خصائص التراكييب : د. محمد ابو موسى (٢٦-٢٧) .
وانظر: الاعجاز البلاغى : د. محمد محمد ابو موسى (١٨٠-١٨١) ط (١٤٠٥ هـ) مطابع المختار الاسلامى . مصر . مكتبة وهبه .

فلننظر فى السورة الاولى : " العلق " انها تضم خمس عشرة فاصلة قصيرة ربما يلوح فى أول الامر أنها تشبه " سجج الكهان " أو " حكمة السجاع " مما كان معروفا عند العرب اذ ذاك : ولكن العهد فى هذه وتلك انها جملة متناثرة لاترابط بينها ولا اتساق ، فهل هذا هو الشأن فى سورة العلق؟

الجواب : لا . . فهذا نسق متساق يربط فواصله تناسق داخلى دقيق : هذه هى السورة الأولى فى القرآن ، فناسب ان يستفتحها بالاقراء وباسم الله الاقراء للقرآن ، واسم الله لأنه هو الذى يدعو باسمه الى الدين ، والله " رب " فالقراءة للتربية والتعليم : " اقرأ باسم ربك " وانها لبدء للدعوة فليختر من صفات " الرب " صفته التى بها معنى البدء بالحياة " الذى خلق " وليبدأ من الخلق بمرحلة أولية صغيرة : " خلق الانسان من علق " فنشأ صغير حقير ، ولكن الرب الخالق الكريم ، كريم جدا ، فقد رفع هذا العلق الى انسان كامل ، يعلم فيتعلم : " اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم " (١) .

وبعد أن فهمنا الاسلوب والمقصود منه ، ومن أجل الاحاطة به هذه الألوان من الاساليب أو بعضها وبخاصة ماله صلة بالنبات ، سيكون هذ الباب مشتملا على عدد من الفصول حيث أجعل كل فصل يبحث فى أسلوب من بعض الأساليب القرآنية ، وسأجعل كل فصل مشتملا على الآيات مرتبة تبعا لموضوعها وهى :

- ١- الامثال .
- ٢- التشبيه .
- ٣- الخبر .
- ٤- الاستفهام .
- ٥- القسم .

(١) نقل مختصرا من كتاب التصوير الفنى فى القرآن : سيد قطب (١٩-٢٠) ط ٨ ، دار المعارف .
- سورة العلق (٣-٥) .

وبما أن الأمثال نوع من أنواع الأساليب البيانية للتعريف بهـا
وما يراد تعريفه وبيانه ووضوحه ، وشرحه بطريقة غير مباشرة ، ولأجل
أن أصل الى حقيقة المثل وغرضه فى القرآن ، لابد من تعريفه لغة واصطلاحا
وبيان أنواعه واقسامه و سوف أتناول هذا بالتفصيل فى فصل الأمثال.

الفصل الأول

”السُّلُوبُ الْمَثَلُ بِالنَّبَاتِ وَأَثَرُهُ فِي النَّفْسِ“

ويتكون من تمهيد ومباحث

- ١- التمهيد : علاج لقرآن الكريم للنفس البشرية .
- ٢- لبحث الأول : معنى لثقل .
- ٣- لبحث الثاني : أقسام لثقل وأنواعه .
- ٤- لبحث الثالث : أسلوب لثقل بالنبات في لقرآن الكريم وأثره في النفس .
- ٥- لبحث الرابع : أسلوب لثقل بالنبات في لحدِيث شريف وأثره في النفس .
- ٦- لبحث الخامس : خصائص لثقل .
- ٧- لبحث السادس : أعراض لثقل وأهله .
- ٨- لبحث السابع : أثر لثقل بالنبات في النفس البشرية وأسبابه .

الفصل الأول

اسلوب المثل بالنبات وأثره فى النفس البشرية

تمهيد : علاج القرآن للنفس البشرية :

ان فى الوجود الكبير المتضمن من الكون وما فيه الانسان أشباهه ونظائر بحسب ما قدره الله سبحانه وتعالى للأشياء ، وآتقن صنعتهما ، وهذا ملاحظ فى ظواهر الأشياء بما تدركه الحواس فى أنواعها وأجناسها وأصنافها وأفرادها ، وفى طبائع الأشياء من كل المخلوقات مثل النبات ، والهواء ، والتراب ، والماء ، والمعادن ، والنار ، وذلك بما فيها من قوى وطاقات وكذلك الانسان فيه من طبائع النفوس والمشاعر والاحاسيس ، والسلوك ، ومن سنن الهدى الاسلامى مراعاة النفس على حسب طبائعها ونوعياتها ومراتبها فهناك نفس مكينة قوية ، ونفى دنيئة هشة ، ونفس فاجرة نافرة ، ونفس فاسقة مارقة ، ألوان من النفسيات متباينة متغايرة ، ولكل نفس علاج فى القرآن فالنفس المتينة القوية لاتزيد لها الدعوة الى الله الا تمسك بقوة ايمان وعلاجها يكون سهلا بالاشارة ، اما النفس الضعيفة الايمان الهشة تحتاج الى شىء من المجاهدة والمثابرة والمصابرة فى الكلمة البليغة والارشاد الجليل حتى تتمكن فى النفس وتستقيم ، واما النفس الفاقدة للايمان الكافرة الفاجرة فتحتاج الى شىء من التقرير والحجة والبرهان فى الدعوة ، ولما كانت ارادة الله سبحانه وتعالى هداية خلقه له ، كان هناك استعمال عدة أساليب للدعوة الى الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز لهداية الخلق الى خالقهم ، والأمثال نوع من أنواع أساليب الدعوة الى الله ، فكانت هداية القرآن بالامثال هداية تكشف الحقائق وتبرز المعانى فى ثوب رائع يجلب النفوس اليها لتغريها الى الخير ، أو تحضها على البر أو تمنعها عن الاثم والشر ، وتدفعها الى عمل الفضائل وتمنعها عن كل ما يميقتها وينقص قيمتها من اجل هذا كله كانت الامثال فى القرآن لونا من ألوان الهداية الالهية للنفس البشرية ، ومن الأشياء التى ضرب الله سبحانه وتعالى به المثل النبات .

المبحث الأول : معنى الممثل

التعريف اللغوي للممثل :

يطلق الممثل في اللغة ويراد منه استعمالات متعددة كما هو ذلك في القرآن الكريم على غير أصله الذي هو النظير والشبيه - فان أصل الممثل ما ذهبوا اليه من معنى الممثل تقول : هذا مثل الشيء ومثله ، كما تقول : هذا شبه الشيء وشبيهه (١) ثم يستعمل في حالات متعددة أذكر بعضها :

١ - يستعمل الممثل في الأضداد وفيه الانتصاب واللطوء بالأرض مثل يمشل مثولا اذا انتصب قائما فهو ماثل ومنه الحديث عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ من النار) (٢) .
ومثل أى لظاً بالأرض ومنه قول الاعرابي : ماثلت القوم وانا غير مشتة لمقاعدتهم " .

٣ - يطلق ويراد منه الصورة والممثل المصور على مثال غيره ، والتمثال الشيء المصور وتمثل كذا تصور ومنه قوله تعالى : (فتمثل لهــــا بشرا سويا) (٣) .

-
- (١) لسان العرب / ابن منظور (٤٣٦/٣-٤٣٧) مادة مثل .
وانظر اساس البلاغة : الزمخشري (٥٨١-٥٨٢)
(٢) الامثال في القرآن الكريم / ابن القيم الجوزية : تحقيق سعيد الخطيب (١٧) ط ٢ (١٤٠٣هـ) دار المعرفة . بيروت .
وانظر / تاويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (٨٣) .
وانظر : كشف الخفاء / العجلوني (٢٢٠/٢) .
وانظر : سنن الترمذي : (١٨٤/٤) الأدب قال : وفي الباب عن ابي أمامة وهذا حديث حسن . واللفظ له .
(٣) سورة مريم : (١٧) .

- ٣ - يطلق ويراد منه التسوية كقولهم : مثل الشيء بالشيء ومثل بــــه
إذا سوى منه قوله تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله عبادا
أمثالكم ((١)) (٢) .
- ٤ - يطلق ويراد منه العبرة والعظة ومنه قوله تعالى : (فجعلناهم
سلفا ومثلا للآخرين) (٣) اى جعلناهم عظة وعبرة لغيرهم .
- ٥ - يطلق ويراد منه الأمر العجيب ومنه قوله تعالى : (ان هو الا عبدا
أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) (٤) اى أمرا عجيبا لهم .
- ٦ - يطلق ويراد منه الوصف أو الصفة ومنه قوله تعالى : (للذيــــن
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) (٥)
اى لهم وصف السوء ولله الوصف الأعلى وقوله تعالى : (ذلك مثلهم
فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) (٦) اى وصفهم فى التــــوراة
والانجيل (٧) .
- ٧ - يطلق ويراد منه الحال ومنه قوله تعالى : (ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٨) اى ان حال عيسى
فى الخلقة .

-
- (١) سورة الاعراف (١٩٤) .
- (٢) انظر : امثال القرآن : د. منصور العبدلى (٧-٨-١١) رسالة ماجستير (١٣٩٤هـ) .
وانظر: الأمثال فى القرآن الكريم : ابن قيم الجوزية : تحقيق سعيد الخطيب
(٣٠ - ٦٠) .
- وانظر : تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة (٤٩٦) ط ٢ (١٣٩٣هـ) دار
التراث ، شرح ونشر السيد احمد صقر .
- وانظر : الاشباه والنظائر : عبدالملك الثعالبي : تحقيق محمد
المصرى (٢٤٥) ط ١ (١٤٠٤ هـ) سعد الدين للطباعة والنشر .
- (٣) سورة الزخرف (٥٦) .
- (٤) سورة الزخرف (٥٩) .
- (٥) سورة النحل (٦٠) .
- (٦) سورة الفتح (٢٩) .
- (٧) انظر امثال القرآن د. منصور العبدلى (٨ - ١١) .
وانظر : تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة (٤٩٦) .
وانظر: الاشباه والنظائر: عبدالملك الثعالبي/تحقيق محمد المصرى (٢٤٥) .
وانظر: الامثال القرآنية/عبدالرحمن الميدانى (١٨) (١٤) .
وانظر: دعوة الاسلامية/احمد غلوش (٣٥٩) .
- (٨) سورة آل عمران (٥٩) .

- ٨ - يطلق ويراد منه الشبه : ومنه قوله تعالى : (المتر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) (١) .
ومثله قوله تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (٢) (٣)

المثل عند البلاغيين :

المثل هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد امور حسية كانت
أو غير حسية (٤) .

وقال قدامة بن جعفر : (وهو أن يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع
كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن
يشير اليه (٥) .

- (١) سورة ابراهيم : (٢٤) .
(٢) سورة الحج : (٧٣) .
(٣) انظر : الامثال القرآنية/ عبدالرحمن الميداني (١٤)
انظر : البرهان في علوم القرآن : الزركشي (١/٤٨٩) .
انظر : الدعوة الاسلامية / احمد غلوش (٣٥٩) .
انظر : الامثال في القرآن الكريم / ابن قيم الجوزية / تحقيق الخطيب (٦٠)
انظر : الاشباه والنظائر / الثعالبي (٢٤٥) .
انظر : تاويل مشكل القرآن / ابن قتيبة (٤٩٦) .
(٤) انظر : علوم البلاغة : احمد مصطفى المراغي : (٢٢٣) راجعه ابو الوفاء
المراغي (ط٥) المطبعة العربية .
انظر : معجم البلاغة العربية / د. بدوي طيبانه (١: ٣٦٥) ط (٢) (١٤٠٢ هـ) ،
دار العلوم - الرياض .
انظر : جواهر البلاغة : احمد الهاشمي (٢٦٢) ط ١٢ (١٣٩٨ هـ) دار الفكر -
بيروت .
انظر : شرح الكافية البديعية / صفى الدين حلبى / تحقيق د. نسيب
نشاوى (١١٥) - (١٤٠٢ هـ) دمشق .
(٥) قضية الاعجاز القرآنى : د. عبدالعزيز عرفه (٣٠٧) .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل ، وهو قول سائر : يشبه به
حال الشانى بالأول ، وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق
معناه معنى ذلك اللفظ .

وقال غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها فى العقول امثالا ، لانتصاب
صورها فى العقول ، مشتقة من المثل الذى هو الانتصاب ، ومنه الحديث
(من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار) (١) .

وعلى التعريف البلاغى يكون للمثل موقعان :

اولا : ان يجيء فى اعقاب المعانى ، وهو ما يذكر فيه المشبه به بعد كلام
يبين به احوال المشبه وذلك لايضاحتها وتقريرها فيشبه البرهان الذى تثبت به
الدعوة ومنه قول تعالى : (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على
شئ) (٢) .

ثانيا : أن يكون فى مفتتح الكلام فىكون قياسا موحا وبرهانا مصادبا
وهو كثير فى القرآن مثل قوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فسي
سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة) (٣) (٤) .

(١) انظر : مجمع الامثال : ابى الفضل الميدانى (٧/١) تحقيق محمد ابوالفضل
ابراهيم : عيسى البابى الحلبي .

انظر : المستقصى فى امثال العرب : جلاله الزمخشري (١/هـ) ط ٢ (١٣٩٧هـ)
دار الكتب العلمية .

انظر : الامثال فى القرآن / ابن قيم الجوزية : تحقيق الخطيب (١٨-٣٢-٣٣) .

انظر : اسرار البلاغة : الجرجانى (١/١٨٧) .

انظر : اعجاز القرآن : الباقلانى / تحقيق السيد أحمد صقر (٧٨) .

انظر : روح المعانى : الالوسى (١/١٦٣) سبق تخريج الحديث فى سنن
الترمذى والكلام عنه .

(٢) سورة النحل (٧٦) .

(٣) سورة البقرة (٢٦١)

(٤) انظر : علوم البلاغة : احمد المراغى (٢٢٣-٢٢٤) .

انظر : اسرار البلاغة : الجرجانى (١/٢٣١-٢٣٢) شرح محمد خفاجى (=)

إذا المثل قول يضرب ليوضح الصورة امام القارىء او السامع ويقربها له وذلك لوجود تشابه بين مورد المثل ومضربه بوجه من الوجوه ، وعلـي هذا المثل بالفتح هو المقدار أو القالب الذى يقدر على مثله ، ولو كان المثل بالكسر ، والمثل بالفتح سيان للزم التنافى بين قوله تعالى: (ليس كمثلـه شيء) (١) وبين قوله (ولله المثل الأعلى) (٢) فان الأولـي نافية والثانية مثبتة (٣) .

ومعنى هذا أن لفظ المثل بالكسر يكون تشبيه ذات بذات ، وأمـا بالفتح فهو تشبيه حالة بحالة (٤) .

قال القاضى أبوبكر بن العربى : المثل بفتح الميم والثاء عبارة عن تشابه المعانى المعقولة ، والمثل بكسر الميم واسكان الثاء عبارة عن تشابه الاشخاص المحسوسة ، فالمشابهة فى الصفات والمماثلة فى الذات (٥) .

(=) ط ٢ (١٣٩٦ هـ) مكتبة القاهرة .

انظر : معجم البلاغة العربية : د. بدوى طبانـه (١/٣٧٣) .

وانظر : جواهر البلاغة : احمد الهاشمى (٢٦٦) .

وانظر : البيان فى ضوء أساليب القرآن : د. عبدالفتاح لاشين (٦١) .

(١) سورة الشورى : (١١) .

(٢) سورة النحل : (٦٠) .

(٣) البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى (١/٤٩٠) .

(٤) طرح التشريب فى شرح التقريب / زين الدين ابى الفضل (٨/٢١) .

(٥) عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى ابن العربى (١٠/٢٩٥) .

وبعد الاستقصاء في آيات القرآن الكريم نجد أن كل آيات القرآن الكريم التي فيها لفظ مثل بالكسر المماثلة فيها بين متفقيين في الجنس من جميع الوجوه محوسين ، وذلك مثل المماثلة بين السموات والارض وبيِّن جزاء السيئات والحسنات ، ومثلية البشر ، ومثلية القرآن ومثلية الحديث ومثلية حال الأقوام السابقة واللاحقة وهكذا (١)

ومن ذلك قوله تعالى : في مثلية خلق السموات والارض (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) (٢) .

وأما المثلية في جزاء السيئات والحسنات قوله تعالى : (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) (٣) .

وفي مثلية البشر قال تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) (٤) .

وقال تعالى في مثلية القرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٥) .

وفي حال الأمم السابقة واللاحقة والمماثلة بينهما قال تعالى : (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) (٦) .

وفي مثلية الحديث قوله تعالى : (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (٧) .

-
- (١) الامثال في القرآن : ابن القيم الجوزية : تحقيق الخطيب (٦٠-٦٦) .
 - (٢) سورة الطلاق : (١٢) .
 - (٣) سورة غافر : (٤٠) .
 - (٤) سورة الكهف : (١١٠) .
 - (٥) سورة الاسراء (٨٨) .
 - (٦) سورة آل عمران (١٦٥) .
 - (٧) سورة الطور (٣٤) .

وعند النظر فى التعاريف نجد أن التفرقة أتت فقط فى اللغوة ولم يكن لها نصيب عند علماء البيان أو أهل المثل السائر أو المفسرين لان الذى يعينهم المثل بالفتح وهو الذى يطلق على الحالة العجيبة الشأن ، لما فيها من التمثيل والتوضيح والتشبيه ، وقد قال فى ذلك صاحب كتاب التحرير والتنوير : (وقد اقتص لفظ المثل بفتحين - باطلاقه على الحالة الغريبة الشأن لانها تمثل للناس وتوضح وتشبه (١) وهذا هو موضع بحثى بما ورد فى القرآن الكريم من ضرب الامثال يجعل المتخير من الامور محققا ، والمعقول منها محسوسا ، كما قال تعالى : (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل به الا القاسقين) (٢) (٣) .

وهو أيضا مافشا فى كتب الأمثال وكانت به عبارات البلغاء واشارات الحكماء وكلام الأنبياء .

- التعريف المختار للمثل :

بعد عرض التعاريف السابقة للمثل والمرادات من المثل والفوارق ، استنتج التعريف الاصطلاحى للمثل وهو :

(قول يضرب بين طرفين ليوضح ويقرب الى الذهن صورة ومعنى الطرف الأول من الطرف الآخر بلفظ بليغ حسن ، وذلك للتشابه بين الطرفين فى صفة أو صفات حسية أو معنوية) ، وحيث ان هذا يتحقق فى لفظ المثل (بالفتح) المراد به التشبيه والحالة العجيبة الشأن كما مر معنا سابقا فى معانى المثل كان هذا النوع من المثل (بالفتح) هو موضع دراستى فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغرضى وهدف البحث .

(١) التحرير والتنوير (٣٠٣/١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦) .

(٣) انظر فى ذلك : تفسير المنار / محمد رشيد رضا (١٩٨-١٩٩) .

وانظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى (٨٠/٣) .

المبحث الثانى

أقسام الممثل وأنواعه

ينقسم الممثل الى عدة أقسام باعتبارات مختلفة وهى كما يلى :

- أولا : تقسيم الممثل من حيث الحقيقة .
- ثانيا : من حيث ذكر الاطراف وعدم ذكرها .
- ثالثا : من حيث التركيب والافراد فى وجه الشبه .
- رابعا : من حيث كونه حسيا أو معنويا .

وبيان هذه الأقسام كما يلى :

أولا : الممثل الحقيقى :

هو ما يحدث مورده فى الوجود (أى الحالة القديمة التى قيل فيها لأول مرة) ويطلق على نفس الشيء وذاته ، ومنه قوله تعالى : (كمن مثله فى الظلمات) (١) أى كمن هو فى الظلمات .

وأما ماورد فى الحالة القديمة فمنه قوله تعالى : (ضرب الله مثلا للذين كفروا أمراة نوح وأمراة لوط) (وضرب الله مثلا للذين آمنوا

(١) سورة الانعام (١٢٢) .

• امرأت فرعون (١) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (انما مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل لناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة) (٢) .

ثانيا : وينقسم المثل أيضا باعتبار الأطراف الى :

- (١) المثل الصريح
- (٢) المثل الضمني
- (٣) المثل القياسي
- (٤) المثل السائر

(١) المثل الصريح :

هو ما ذكر فيه لفظ المثل أى كان ظاهر الاداة ومنه قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل القاشم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استسهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على ايديهم نجوا جميعا) (٤) .

-
- (١) سورة التحريم (١٠ - ١١) .
 - (٢) سنن الترمذى (٢٢٥/٤) الامثال ، طرح التشريب : زين الدين (٢٢٠/٨) صحيح البخارى (٢٢٦/٤) بدء الخلق . اخرجها فى باب خاتم النبيين عن جابر بن عبد الله بنفس اللفظ .
 - (٣) سورة البقرة (١٧) .
 - (٤) هداية البارى / الطهطاوى (١٨٦/٢) .
- صحيح البخارى (٢٣٧/٣) كتاب الشهادات ، باب القرعة فى المشكلات عن النعمان بن بشير .
- وأخرجها بنفس اللفظ فى كتاب التركة باب هل يقرع فى القسمة عن النعمان بن بشير .

(٢) المثل الضمنى :

وهو ما كان خفى الاداة اى لا يذكر فيه لفظ المثل وحكمه حكم الامثال
لأنه يتضمن مثلا كامنا فى القول ومن أمثلة القرآن فى ذلك قوله تعالى :
(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) (١) .

يتضمن مثلا كامنا تعرفه العرب هو قولهم (خير الأمور أوساطها) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (لياتى الخير الا بالخير ان هذا
المال خضرة حلوة وان كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، إلا آكلية
الخضرة آكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت
وبالت ثم عادت فاكلت ، وان هذا المال حلوة من آخذه بحقه ووضع فى
حقه فنعم المعونة هو ومن آخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع) (٢) .

وفيه تشبيه المال بنمو النبات ، وهو يضرب مثل للزهادة فى الدنيا
والأخذ منها بحذر (٣) .

وقوله تعالى : (من يعمل سوءا يجز به) (٤) هو قولهم (كـمـا
تدين تدان) (٥) .

(١) سورة الاسراء (١١٠)

(٢) انظر صحيح البخارى (١١٣/٨) كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا .

(٣) انظر : ارشاد السارى (٢٤٦/٩) .

(٤) سورة النساء (١٢٣) .

(٥) انظر : الاتقان فى علوم القرآن : السيوطى (١٣٢/٢-١٣٣) دار الفكر ،
بيروت .

وانظر : جواهر البلاغة : احمد الهاشمى (٢٦٥) .

وانظر : الدعوة الاسلامية / احمد غلوش (٣٦٠) .

وانظر : البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤٩١/١ - ٤٩٢) .

٣- المثل القياسي : هو سرد وصفى أو قصصى أو صورة بيانية لتوضيح فكرة " ما " عن طريق التشبيه والتمثيل (١) .

ففى السرد الوصفى القياسى فى القرآن قوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) (٢) .

تضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين فى الوصف العمى والصمم بالسمع والبصر ، والكفر بالإيمان ، ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله : (هـل يستويان مثلا) ومنه فى السرد القصصى القياسى قوله تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين) (٣) .

فقال سبحانه من حمل التوراة ، فترك العمل بها ولم يؤدى حقه — ولم يرعها حق رعايتها ، كالحمار الذى يحمل الكتب ولم يستفد منها ، وكذلك من حمل القرآن وترك العمل به ولم يؤدى حقه ولم يرعه حق رعايته (٤) .

(١) الامثال فى القرآن الكريم لابن قيم الجوزية : تحقيق الخطيب (١٩-٢٠) .

(٢) سورة هود : آية (٢٤) .

(٣) سورة الجمعة (٥) .

(٤) الامثال فى القرآن / ابن قيم الجوزية : تحقيق الخطيب (١٨٦-١٨٧) (٢١٣ - ٢١٤) .

وانظر : امثال القرآن / ابن قيم الجوزية : تحقيق د. ناصر سع دالرشيد (٢٠-٢١-٣١) .

وانظر : الجمال فى تشبيهات القرآن : ابن نافع البغدادي (٣١٢-٣١٣) تحقيق

د. مصطفى الصاوى الجوينى . دار المعارف بالاسكندرية ، / وانظر

القران المعجزة الكبرى / محمد ابوزهرة (٢٥٠-٢٥١) .

وانظر التفسير القيم : ابن القيم (١٢٠) تحقيق حامد الفقى : لجنة

التراث العربى - بيروت - لبنان .

وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار فقالوا لاحاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم : لاتفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا ، واستأجر أجيرين بعدهم فقال لهما : أكملوا بقية يومكم هذا ولكما الذى شرطت لهم من الاجر ، فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه ، فقال لهما اكملوا بقية عملكم ما بقى من النهار شئ يسير فأبيا ، واستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور) (١) .

هذا مثل يضرب لبيان قصة اليهود والنصارى مع أنبياءهم ثم مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى رفض دعوته وقبول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين (٢) .

٤ - المثل السائر : وهو القول الممثل لمضربه بمورده بحيث يكون قولا بديعا فيه غرابة تجعله خليقا بالقبول ، وجدير بالتيسير فى البلاد (٣) .

-
- (١) انظر : سنن الترهذى (٢٣٠/٤) الامثال .
انظر : صحيح البخارى (١١٨/٣ - ١١٩) الاجارة ، واللفظ له عن ابى موسى ، باب الاجاره من العصر الى الليل .
(٢) هداية البارى : الطهطاوى (٢/١٨٧-١٨٨) .
(٣) انظر : الدعوة الاسلامية / اخمد غلوش (٣٥٩) .
انظر : امثال القرآن : د. منصور العبدلى (٨) .
انظر : المستقصى فى امثال العرب : الزمخشري (١/هـ) .

وهو أن يريد المتكلم العبارة فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، الا أنه ينبغي إذا أوردته عن المعنى الذي أراده ... كقولهم فلان نقى الثوب - يريدون به أنه لا عيب فيه ... وليس موضوع نقاء الثوب البراءة من العيوب . وانما استعمل فيه تمثيلا (١) .

والمثل السائر هو حكمة حكماء العرب وأدباءها في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكناية غير تصريح ، ويبينون للناس تصور الاحوال بالنظائر والاشباه والاشكال ، فاجتمع لها بذلك ثلاث جلال ، ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه (٢) .

ومنه قولهم (ان الجواد قد يعثر) يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ، ثم تكون منه الذلة (٣) .

ومن أمثالهم (لاتهرف بما لاتعرف) ، الهرف : الاطناب في الشنأ والمدح ، ويضرب مثلا لمن يمدح غيره بما لايعرف فيه (٤) .

ومن أمثالهم (انك لاتجنى من الشوك العنب) يضرب لمن ساء تصرفه فانه لايجنى منه خيرا .

(تر الفتيان كالنخل ومايدريك ما الدخل) يضرب لذي المنظر لاخير فيه .

(١) كتاب الصناعتين / ابي هلال العسكري / تحقيق مفيد قميحة (٣٨٩) ط ١ ،

(١٤٠١ هـ) دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢) الامثال / ابن سلام / تحقيق د. عبدالمجيد قطامش (٣٤) .

نقد النشر / لقدامة (٦٦) .

شرح الكافية البديعية / صفى الدين الحلبي (١١٨) .

مجمع الامثال / الميداني (٨/١) .

جواهر الأدب / احمد الهاشمي (٢٦/٢) .

(٣) مجمع الامثال / الميداني (١٧/١) .

(٤) الامالى : ابي على القالى (١٥/٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب

(١٩٧٥) ، جواهر الادب / الهاشمي (٢٢٥/٢) .

(الزيت فى العجين لا يبيض) يضرب فى الاحسان الى الأقارب (١) .

وفى القرآن ألفاظ جارية مجرى المثل حيث أن موردها القصة التى جاءت معها ، ومضربها تضرب لأحداث مستقبلية ، وهذا النوع البديعى المسمى بارسال المثل ، ومن ذلك قوله تعالى :

(١) قال تعالى : (الآن حصص الحق) (٢) موردها قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، قالتها امرأة العزيز حيث ظهر أمر سيدنا يوسف عليه السلام فى براءته ، قال تعالى : (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ، قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) (٣) .

ثم أخذت تضرب بعد ذلك عند وقت ظهور الشئء واتضاحه (٤) .

(٢) وقال تعالى : (حاجة فى نفس يعقوب قضاها) وردت فى قصة يعقوب عليه السلام عندما قال لبنيه أن يدخلوا من عدة أبواب متفرقة ولا يدخلوا من باب واحد ، خشية عليهم من العين ، مع قوله لهم : (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ، وما أغنى عنكم من الله من شئء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكـــــــل المتوكلون) (٥) .

اي أن هذا الاحتراز لا يرد قضاء الله وقدره ، وقال تعالى : (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ماكان يغنى عنهم من الله من شئء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٦) .

ثم أخذت تضرب بعد ذلك على كل من أراد ان يحقق رغبة وغرضا فى

نفسه مهما كان (٧) .

-
- (١) جواهر الادب : الهاشمى (٣١٩/٢ - ٢٢٣) .
 - (٢) سورة يوسف (٥١) .
 - (٣) سورة يوسف (٥١) .
 - (٤) الدعوة الاسلامية / احمد غلوش (٣٦١) .
 - (٥) سورة يوسف (٦٧) .
 - (٦) سورة يوسف (٦٨) .
 - (٧) مختصر تفسير ابن كثير / الصابونى (٢٥٦/٢) .

ومن الحديث :

عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت : سمعت النبی صلی اللہ علیہ وسلم
يقول : (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكـر
منها اختلف) (١) .

مثل يضرب لمن توافقت طباعه ونياته مع غيره .

ثالثا : ينقسم المثل أيضا باعتبار وجه الشبه :

(١) المثل المركب :

هو الذي وجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد ، بل منتزعا من
أحد الطرفين أو من كليهما على شكل عناصر متلاقية تقابل أمثالها في
الممثل له ، أو على شكل وحدة مركبة متداخلة تعطى بجملتها وجه الشبه
ومنه قوله تعالى : (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) (٢) . وهو تمثيل الكفار
وتشبيهم بالأغنام في عدم فهمهم وانتفاعهم بالهدى والايمن ، فلا يسمعون
الا مجرد صوت الراعي ينعق بها فلا تفقه من قوله شيئا الا الصوت المجرد
وهو النداء (٣) ، ومنه قوله صلی اللہ علیہ وسلم :

- (١) انظر : صحيح البخارى (١٦٢/٤) بدء الخلق ، باب الأرواح جنود
مجندة عن عائشة واللفظ للبخارى .
انظر : صحيح مسلم (٢٠٣١/٤) عن أبي هريرة كتاب البر والصلوة
باب الأرواح جنود مجندة .
(٢) سورة البقرة (١٧١) .
(٣) انظر الأمثال القرآنية / عبدالرحمن الميداني (٢٨/٢٧) .
انظر : الأمثال القرآنية / ابن قيم الجوزية / تحقيق الخطيب (٢٥٢) .
انظر : الأمثال في القرآن : د. محمود بن الشريف (٢٩) .
انظر : أمثال القرآن / ابن قيم الجوزية : تحقيق د. ناصر
الرشيد (٤٨) .

(مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل صاحب المسك وكبير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك اما ان تشتريه أو تجد ريحه ، وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) (١) .

٢ - التمثيل المفرد : هو المشتمل على التمثيل بمفرد ، لأن الممثل له يشابه الممثل به بوجه من الوجوه أو جانب من الجوانب منه قوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلاتذكرون) (٢) .

ففي الآية ضرب مثل الكفر والضلال ، بالعمى والنم والنور والايमान بالبصر والسمع (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعمى الذي احدى رجله بيضاء) (٤) .

-
- (١) انظر : فيض القدير : المناوى (٥٠٧/٥) .
انظر : صحيح البخارى (٨٢/٣) البيهقي ، باب في العطار وبيع المسك عن أبى موسى .
انظر : صحيح مسلم (٢٠٢٦/٤) البر. باب استحباب مجالسة الصالحين .
سورة هود : (٢٤) .
(٢) انظر : الدعوة الإسلامية : د. احمد غلوش (٣٧٤) .
انظر : الامثال القرآنية : عبدالرحمن الميداني (٢٧) .
(٣) انظر : الجامع المغير / السيوطى (١٥٥/٢) وقال حسن ، قال المنساوى في فيض القدير رواه النسائى (لم اقف عليه فى المجتبى) (٥١٥/٥) .
وقال العجلونى فى كشف الخفاء رواه ابن ماجه فى الكبير عن أبى أمامة بسند ضعيف ، والنسائى عن عمرو بن العاص بسند صحيح (٣١٦/٢) وكذلك قال الهيثمى فى الزوائد فيه مطرح بن زييد وهو مجمع على ضعفه (٤٠٢/١٠) .

رابعاً : ينقسم المثل باعتبار كونه حسياً ومعنوياً :

١- المثل الحسي : وهو ما يمكن ادراكه بأحد الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

٢- المثل المعنوي : وهو ما يكون معنى من المعاني أو شعوراً يمس به الوجدان كالأفكار والعواطف والانفعالات ، وكل أنواع الشعور النفسي الباطن .

وينقسم الحسي والمعنوي الى أربعة أقسام وهى :

١- القسم الأول : تمثيل حس بحس ومنه قوله تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (١) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل مني كالرحم فى ضيقه فاذا حملت وسعها الله) (٢) .

٢- تمثيل معنوي بتمثيل معنوي ومنه قوله تعالى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) (٣) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت) (٤) .

-
- (١) سورة العنكبوت (٤١) .
(٢) الجامع الصغير / السيوطى (١٥٥/٢) .
- كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق : المناوى (٨٩/١) على هامش الجامع الصغير .
- فيض القدير : المناوى (٥١٧/٥) قال أخرجه الطبرانى فى الاوسط
قال الهيثمى وفيه من لم أعرفه .
(٣) سورة آل عمران (١١٦-١١٧) .
(٤) فيض القدير / المناوى (٥٠٦/٥) صحيح مسلم (٥٣٩/١) مسافرين . باب استحباب صلاة النافلة ، عن أبى موسى .

- ٣ - القسم الثالث : تمثيل معنوى بتمثيل حسي ، ومنه قوله —
تعالى : (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) (١)
وقوله تعالى : (مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الأرض مالها من قرار) (٢) .
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل الايمان مثل القميص ،
تقمصه مرة وتنزع أخرى) (٣) .
٤ - القسم الرابع : تمثيل حسي بتمثيل معنوى (٤) .
ومنه قوله تعالى : (وحرورين كأمثال اللؤلؤ لؤلؤ المكنون) (٥) .
وقوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) (٦) .
وهو تمثيل صورة معنوية فى صورة حسية لافتة للعقول الى الكسوف
وما فيه (٧) .
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (مثل الرافلة فى الزينة فى
غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لانور لها) (٨) .

-
- (١) سورة النور : (٣٥) .
(٢) سورة ابراهيم : (٢٦) .
(٣) الجامع الصغير : للسيوطى (١٥٣/٢) ، فيض القدير : المناوى (٥٠٥/٥)
ابن قانع عن والدمعدان قال فى الميزان وهذا خبر منكر واسناده
مركب ، وانظر كذلك منتخب كنز العمال على بن حسام الدين (١٢٦/١) على
هامش مسند احمد / وفى كنوز الحقائق قال اخرجه ابونعيم فى
الحلية (٩٦/١) على هامش الجامع للسيوطى . تقمصه : تلبسه .
(٤) انظر فى ذلك : الامثال فى القرآن / عبد الرحمن اميدانى (٢٩ / ٢٨)
انظر فى ذلك : البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤٨٦/١) .
انظر : اسرار البلاغة الجرجانى (١٨٤-١٨٥) .
(٥) سورة الواقعة (٢٢ - ٢٣) .
(٦) سورة البقرة (١٧)
(٧) القرآن المعجزه الكبرى / محمد ابوزهرة (٢٥٢) (٢٥٣) .
(٨) الجامع الصغير / السيوطى (١٥٤/٢) .
فيض القدير / المناوى (٥٠٧/٥) .
أخرجه الترمذى فى الرضاع ، باب ما جاء فى كراهية خروج النساء فى الزينة
(٣١٧/٢) الرضاع قال : هذا حديث لانعرفه الا من حديث موسى بن عبيدة
وموسى ابن عبيدة يضعف فى الحديث من قبل حفظه وهو صدوق . وقد روى عنه
شعبة والثورى ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه .

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات الشرعية

المشرف

د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز

هذه نسخة التي قدمت للمناقشة ولم يعلب من طابع أي تعديل
وقد قامت بإجراء التصويبات التي أيدتها أثناء المناقشة
د. عبد الحميد بن عبد القادر

د. عبد الرحمن بن فايز

عضو المناقشة

عضو المناقشة

عنه

١٤٠٥/١١

عضو المناقشة

التأليف

في ضوء

الأحكام الشرعية

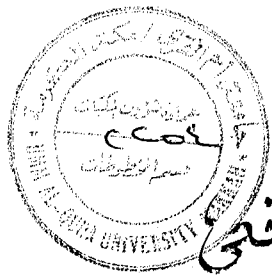
بمحة مقدم لنيل درجة الدكتوراة

أعداد الطالبة

جولاه محمد بن سعيد باسالم

تخضع : كتاب و سنة

استاذ في الشريعة



محمد إبراهيم السيفاني

لغاه ١٤٠١ هـ

”الجزء الثاني“

١٤٠١

المبحث الثالث

اسلوب المثل بالنباتات فى القرآن الكريم وآشـره فى النفس

ان المثل الصريح الحسى فى سرد قصة أو وصف حالة عجيبة ، ويكـون هذا الوصف مركبا من عدة عناصر متلاقية فى الممثل والممثل به كثير فى آيات القرآن الكريم ، ومن ضمن تلك الآيات آيات النبات التى ورد فيها المثل .

أولا: الأمثال الصريحة الحسية المركبة فى وصف نور الله سبحانه وتعالى

بالنبات :

قال تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء لو لم تمسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم) (١)

ان هذه الآية وردت فى سورة النور التى سميت باسم وصفة النور الذى هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى وصفة من صفاته الذاتية (٢) .
فى سنن الترمذى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله خلق خلقه فى ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل) (٣) .

(١) سورة النور (٣٥) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٣٨٨-٣٩٢) .

مختصر الصواعق المرسله / ابن قيم الجوزية (٢/٣٥٧-٣٦٣) .

(٣) سنن الترمذى (١٣٥/٤) كتاب الايمان . قال هذا حديث حسن أخرجه أحمد فى المسند (١٩٧/٢) وذكرت الرواية فى تفسير ابن كثير (٢٩١/٣) قال أخرجه أحمد والبخارى عن طريق عبد الله بن عمرو وله طرق وقلت أخرجه الحاكم (٣٠/١) كتاب الايمان وقال هذا حديث (=)

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ووردت هذه الآية في السورة (اللـه نور السموات والأرض) وقد كرر فيها لفظ النور ست مرات بخلاف غيرها من سور القرآن الكريم لم يكرر بمثل هذا العدد لما فيها من الحدود والتكاليف والآداب الاجتماعية والنفسية والأخلاقية ، وهذا يدل على أن عنصر الاخلاق عنصر مهم في الحياة البشرية ، وبيان قوة ارتباط هذا العنصر الاخلاقي وأصالته بالعقيدة الاسلامية ، وقد بدأت السورة بتقرير حاسم في فرضيتها بكل ما فيها من الحدود والتكاليف والآداب والاخلاق ، فبينت الحدود في الزنا والقذف والملاعنة وذلك لتشنيع هذه الغلظة وتغليظها في نفوس البشر ، لان الاسلام يهدف من وراء ذلك انشاء مجتمع صالح نظيف طاهر لا تشوبه شائبة ، ثم بعد ذلك تكلمت السورة عن كل الأسباب التي تبعد الانسان عن السقوط في الهاوية وتجنب النفوس البشرية من الاغواءات الشيطانية والاغراءات فجعلت هناك آداب اجتماعية وأخلاقية وذلك بالاستئذان عند الدخول على البيوت ، وغيض البصر من الجنسين وحفظ العورة ، وهذه من الآداب الاجتماعية والاخلاقية الى غير ذلك من الاحكام والتكاليف والآداب التي تكلمت عنها السورة لتبين فيها آثار النور الالهي الذي هو اسم من أسمائه تعالى وصفة من صفاته الذاتية ومنه قوله تعالى : (وأشرق الأرض بنور ربها) (١) .

وفي معجم الطبراني وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه) (٢) .

(=) قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له

علة .

وانظر : التلخيص : للذهبي (٣١/١) على هامش الحاكم / وقال الهيثمي أخرجه احمد باسنادين والبخاري والطبراني ورجال احمد اسنادي احمد ثقات : مجمع الزوائد (١٩٧/٧) .

(١) سورة الزمر: (٦٩)

(٢) التفسير القيم / لابن القيم (٣٧٥) ، تفسير ابن كثير (٢٩٠/٣) .

مختصر الصواعق المرسله / ابن القيم الجوزية (٣٦٢/٢) .

تفسير القاسمي (٢١٠/١١) . لم أقف عليه عند الطبراني في المعجم الصغير .

ومظاهر النور في القلوب والأرواح فتتهدى القلوب والنفوس والأرواح الى الحق ، وهو أقوم السبل الذي تجد فيه النفس الراحة والامن والاستقرار، لان المحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية الاسلامية الصحيحة للنفوس البشرية على هدى الله وعلى منهجه شدة وضعفا فتربى الضمائر وتستجيب المشاعر وترفع المقاييس الاخلاقية عن الدناءة والخسة وتتحرر من الاداب الاجتماعية في سلوكيات البشر في الفرد والجماعة في المقود والقائد فتتصل بنور الله وتنير القلب والحياة لان هذه التربية عناصرها مستمدة بل ومصدرها من مصدر النور الالهى نور السموات والارض نور الله الذي أشرقته به الظلمات في السموات والارض ، والعقائد والنفوس والقلوب والضمائر والأرواح ، وبهذا النور ، تنور الحياة حسيا ومعنويا لارتباط ذلك النور بالنور الكونى الشامل للمعاني والحواس ، فالنور الشامل للمعاني هو نور الله سبحانه وتعالى الذي يقذفه في قلوب البشرية المؤمنة ، لقصد التعليم والتهديب والتوجيه ، ومعالجة للكيان البشرى من أمراضه كما مر معنا سابقا فتشرق النفوس بهذا النور وتفيض المشاعر به والجوارح ولكي يظهر هذا النور جليا واضحا أمام البشر وتقرب صورته امام أعينهم وترسخ في أذهانهم، ضربه الله سبحانه وتعالى بمثل حسي وربطه بالنور الكونى الذى أمام أعينهم يشاهدونه فى كل لحظة وحين عنهم ، واما النور الحسى هو النور الذى سخره لعباده من الشمس والقمر اللذان ينيران الدنيا بنورهما من شرقها الى غربها ليلا ونهارها (١) .

وهذا من صفات الأفعال له عز وجل وهو اضافة مفعول لفاعله .

وضرب الله سبحانه وتعالى لهذا النور ومحلّه وحامله ومادته مثلا بالمشكاة وهى الكوة فى الحائط ، فهى مثل الصدر ، وفى تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدرى وصفائه ، وهى مثل القلب، وشبهه بالزجاجة لانها جمعت أوصافا هى فى قلب المؤمن من وهى الصفاء والرقية،

(١) مقتبس بتصريف من : فى ظلال القرآن / سيد قطب (٢٥١٨/٤-٢٥١٩) من

بلاغة القرآن/ أحمد بدوى (١٩٤-١٩٥) .

مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٩٢/٦-٣٩٣) .

والصلابة باشتداده فى أمر الله وغلظته على أعداء الله وفى الزجاجاة مصباح وهو النور الذى فى الفتيلة ، وهى حاملته ، ولذلك مادة وهو زيت قد عسر من زيتونة ، لاشرقية ولا غربية بحيث انها لاشرقية تضحى للشمس ولاتصيب ظلام ولا غربية فى الظل ولا يصيبها الشرق بل إنها فى اعدل الاماكن تصيبها الشمس شرقا وغربا وهو خير الشجر والنبات (١) .

كذلك قلب المؤمن يحيط به النور من جميع الجهات كما تحيط الشمس بالشجر من جميع الجهات ، لذلك كان زيتها من أصفى الزيوت وأبعده من الكدر حتى انه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار ، كذلك قلب المؤمن من هو من شجرة الوحي التى هى أعظم الأشياء بركة وأبعدها عن الانحراف ، وهذا من الأمثال الصريحة الحسية المركبة التى قيس بها شىء معنوى على مثل حسي فالمشكاة صدر المؤمن ، والزجاجة قلبه ، مثل قلبه بها لرققتها وصفائها وصلابتها ، والمصباح هو نور الايمان فى قلبه والشجرة المباركة هى شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين الحق فكما تستقى فتيلة المصباح من النبات وهو الزيت الخارج من الشجرة المباركة التى أخذت بأوفى نصيب من الشمس فصفا زيتها ، وهذا يدلنا على أهمية النبات فى حياة الانسان ، وكيف ضرب الله به مثلا بالبركة والخير والنماء للانسان ليستفيد منه فى كل أحواله ، كذلك يستقى قلب المؤمن نور اليقين حتى يجد الأمن سبيله الى قلبه وتستقر الطمأنينة فى نفسه ويشعر بالسرور الذى يغمر فؤاده ، فالمصباح يبدد ظلام الليل ، ونور الله يبدد ظلام الشك ويمزق دجى الكفر والنفاق (٢) .

وليس لهذا وحده مكان اختيار هذا المثل ، انما هو كذلك الظلال المقدسة التى تلقيها الشجرة المباركة فى ظلال الوادى المقدس فى الطور ،

(١) مجاز القرآن/ أبى عبيدة (٦٦:٢) عارضه فؤاد سزكين .

(٢) التفسير القيم/ ابن القيم (٣٧٥-٣٧٦) .

تاويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة (٣٢٧-٣٢٨) .

من بلاغة القرآن/ احمد بدوى (١٩٥) .

وهو أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب ، وفى القرآن اشارة لها وظلال حولها : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين) . وهى شجرة معمرة ، وكل مافيها مما ينفع الناس ، زيتها - خشبها - ورقها - ثمرها (١) .

(نورعلى نور) ان مادة نور المصباح هو الزيت الذى استخرج من النبات وهو فى أشد حالاته صفاء ونقاء ، وأبعد من الكدر يكاد أن يضىء بنفسه من غير أن تمسه نار ، ثم خالط النار فاشتدت بها اضاءته وقويت مادة ضوء النار فيه ، كان ذلك نورعلى نور ، كذلك قلب المؤمن، قلبه مضىء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لامادة له من نفسه ، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه ، وخالطت بشاشته ، فازداد نورا بالرحى على نوره الذى فطره الله عليه ، فاجتمع له نور الوحي الى نور الفطرة نورعلى نور فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا ، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا ، فينشأ ايمانه عن شهادة الوحي وعن شهادة الفطرة ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى نوره السموات والأرض ، ونوره فى قلب عباده المؤمنين ، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالابصار الذى استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى فهما نوران عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر (٢) .

وهو النور الذى أودعه الله فى قلب عبده من معرفته ومحبته والايان به والاهتداء بهديه ، فان الله هو هادى أهل السموات والأرض ، وذكره لمن يشاء من عباده يهديهم اليه (يهدى الله لنوره من يشاء) ، السير على نهج الله بما جعل لهم من السنن فى شئون حياتهم وفى الكون على مقتضى الحكمة .

(١) فى ظلال القرآن / سيد قطب (٢٥١٩/٤) .

(٢) التفسير القيم / ابن القيم (٣٧٤) .

ويهدى بنوره على وجه الارض الذى أنزله عليهم فى الشمس وسائر الكواكب والنجوم - يحبون به ويمشون به فى هذا الكون ، كما يمشون ويرون ظلمتهم بنو والمصباح .

(ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم) اى بما فى هذا المثال من الحالة العجيبة الذى تضمنته الآية من الاسرار والمعاني ، واطهار تمام نعمته على عباده المؤمنين بما نالوه من نوره ماتقربه عيون أهله وتبتتهج به قلوبهم .

وجاء فى كتاب منهج سورة النور قول المؤلف :

(ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم) له معنيان :
الأول : أن الله تعالى يعلم أى الامثال يضربه ليكون أنفع للناس فى افهامهم حقيقة من الحقائق .

والثانى : أنه سبحانه وتعالى يعلم من يستحق الهداية مــــمن لا يستحقها ، فمن كان لا يطلب النور وكان منغمسا فى طلب اغراضه الدنيوية ومنافعه المادية فليس لله تعالى حاجة الى هدايته الى صراط مستقيم ، فإن هذه المنحة لا يستحقها الا من يعلم الله سبحانه وتعالى أن يطلبها ويسعى اليها بجدده واخلاصه ، وقال الشوكانى : (اى يبين الاشياء بأشباها ونظائرهما تقريبا الى الافهام وتسهيلا لادراكها ، لان ابراز المعقول فى هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحا وبيانا ، ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة) .

والمتبادر لنا ان الآية من حيث الاجمال اسلوب من اساليب تقريرات القرآن لعظمة ذات الله وآثاره الباهرة فى السموات والارض ، وقد استهدفت تقرير كون نور الله وهداه فى آياته قد بلغا من الظهور والسطوع والصفاء والسناء أقصى الغايات ، فاذا لم يهدد بهما احد ما فلن يكون ذلك بسبب قصور منه ، فالله انما يهدى لنوره من يشاء ممن حسنت نياتهم وطابت سرائرهم ولم يتعمدوا الضلال والغواية ، اما خبثاء النية المعاندون والمكابرون فهم عمي لا يبصرون نور الله فلا يهتدون به (١) والله أعلم .

(١) منهج سورة النور/ د. كامل سلامة الدقس (٣١٩-٣٢٠) .

بعد ذلك أقول : ربما يكون المثل على حقيقته كما قال فى ذلك
الشيخ الشعراوى : والمثل فى الآية ممكن أن يكون على حقيقته وذلك أن نور
الله سبحانه وتعالى الحقيقى غامض على الخلق ، ويريد أن يوضحه لهم
فضرب لهم المثل بالمشكاة ، وذلك أن وجود النور فى هذا الخيز الضيق
من المشكاة والمصباح والزجاج ، فهذه تضييق فى اطلاقه ، كذلك نور الله فى
السموات والارض ، تضييق السموات والارض عنه - كما تضييق المشكاة بذلك
المصباح فهذا مثل نور الله وليس هو نوره (١) .

وحيث أن للمفسرين والعلماء أقوال على مامر معنا من الكلام عن
الآية فى المراد من (النور) فى الآية فمنهم من قال : هادى السموات والارض ،
ومنهم من قال : موجد السموات والارض ، ومنهم من قال : مدبر السموات
والارض ، وفى المراد من تمثيل نوره بنور المصباح ، ذكروا فى عودة الضمير
فى النور على أقوال أيضا :

- ١ - أن المقصود منه : صفة دلالة التى يلقيها فى قلب المؤمن .
 - ٢ - أو المقصود منه قلب المؤمن .
 - ٣ - ومنهم من قال : أنه محمد صلى الله عليه وسلم أو هداه أو القرآن .
 - ٤ - وقالت طائفة : الضمير فى نوره عائد على الله أى مثل نوره .
- وهكذا اختلفت الاقوال فى المراد من النور فى الآية (٢) .

وجاء فى تفسير الطبرى : عن أبى بن كعب فى قوله تعالى : (الله
نور السموات والارض) قال : فبدأ بنور نفسه فذكره ، وقال آخرون : (مثل
نوره) مثل نور الله ، وقد روى عن ابن عباس قوله : (الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد :

(١) الامثال فى القرآن / الشعراوى (١٤) .
وانظر : تفسير سورة النور/ للشيخ ابى الاعلى المودودى (١٩٥-٢٠١) .
(٢) انظر: تفسير الطبرى (١٣٥/١٨-١٤٠) تفسير القرطبي (٦/٤٦٤٨-٤٦٥٢) ،
انظر : روح المعانى / الالوسى (١٦٠/١٨-١٦٦) .

كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ ف ضرب الله مثل ذلك لنوره فقال: (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة) (١) .

وقال الفقيه القاضى ابوبكر رضى الله عنه : لاختلاف بين المحققين الذين ينزلون التفسير منازلهم ويضعون التأويل مواضعه من غير افراط ولا تفريط ان هذا مثل ضرب الله لنوره ، ولا يمكن ان يضرب لنوره المعظم مثلاً تنبيهه للخلق الا ببعض خلقه لان الخلق بقصورهم لا يفهمون الا بأنفسهم ومن أنفسهم ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده ، وأنور المصابيح فى الدنيا مصباح يوقد من دهن الزيتون ، ولا سيما اذا كانت مفردة قد تباعد عنها الشجر فخلعت من الكل وأخذتها الشمس من كل جانب ، فذلك أصفى لنورها وأطيب لزيتها وأنضرا لغصانها ، وذلك معنى بركة هذه الشجرة (٢) .

وهذا مما يؤيد قول من قال: المثال على حقيقته بان المقصود منه نور الله عزوجل لما توجد من قرائن وتؤيد ذلك ، ولعل الامام ابن قيم الجوزية ذكر ذلك بالتفصيل أوجز ذلك فى نقاط مختصرة :

١ - أن النور جاء فى أسمائه تعالى ، وهذا الاسم مما تلقته الامة بالقبول وأثبتوه فى أسمائه الحسنى وهو فى حديث ابى هريرة الذى رواه الوليد بن مسلم ومن طريقه رواه الترمذى والنسائى (٣) .

(١) تفسير الطبرى (١٣٧/١٨) تفسير ابن كثير (٢٩٠/٣) قال: وقال العوفى عن ابن عباس رجا فى الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد ابوشهبه قوله : وطريق العوفى عن ابن عباس ، اخرج منها ابن جرير وابن ابى حاتم كثيرا ، والعوفى ضعيف ، ليس بواهن وربما حسن له الترمذى (٢٢٠) .

(٢) تفسير أحكام القرآن / ابن العربى (١٣٨٨/٣) .

(٣) سنن الترمذى (١٩٢/٥-١٩٣) كتاب الدعوات واخرجه الحاكم فى المستدرک (١٧-١٦/١) الايمان/ قال الحاكم وهذا الحديث قد اخرجاه فى الصحيحين باسانيد صحيحة دون ذكر الاسماء ، ولقد تفرد بذكر الاسماء / الوليد بن مسلم وهو عند أئمة الحديث أوثق واحفظ واعلم واجل من ابى اليمان . واخرجه الذهبى فى التلخيص (١٧-١٦/١) هامش المستدرک قال الذهبى : لم يخرجاه لتفرد الوليد بذكر اسماء الله الحسنى وليس بذاعلة فالوليد أوثق واحفظ من أبى اليمان وعلى بن عياش ، قلت ورواية (=)

ولم ينكره احد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة ، ومحال أن يسمى نفسه نورا وليس له نور ولا صفة النور ثابتة له كما ان من المستحيل ان يكون عليما قديرا سميعا بظييرا ولا علم له ولا قدرة بل صفة هذه الاسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له ، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه ، والثانى باطل فتعين الأول .

٢ - أن النبي صلى الله عليه وسلم : لما سأل ابوذر هل رأيت ربك؟ قال (نور أنى أراه) (١) . وفى الحديث قولان (احدهما) ان معناه ثم نور ، اى فهناك نور منعني رؤيته ، على ما فى الحديث من لفظ (رأيت نورا) (٢) وكما فى الحديث الاخر عن ابي موسى رضى الله عنه (حجابة النور ، لو كشفه لاحتقرت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) (٣) .

فيكون ان هذا النور هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات . الثانى : فى الحديث أنه سبحانه نور فلا يمكننى رؤيته ، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لاحتقرت السموات والارض مانع من رؤيته ولا ريب انه اذا كان نور الحجاب مانعا من رؤية ذاته فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب ، بل الحجاب انما استنار بنوره وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور ، وعلى هذا فلاتناقض بين قوله صلى الله عليه وسلم (رأيت نورا) وبين قوله (نور انى أراه) فان المنفى مكافحة الرؤية للذات المقدسة ، والمثبت رؤية ما ظهر من نوره الذاتى .

(=) الصحيحين عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة) صحيح مسلم (٢٠٦٣/٤) الذكر ، باب فى اسماء الله ، وصحيح البخارى (١٠٩/٨) الدعوات باب لله مائة اسم ...

سنن النسائى (لم أقف عليه) .

- (١) صحيح مسلم (١٦١/١) الايمان ، باب قوله عليه السلام فور أنى أراه .
- (٢) صحيح مسلم (١٦١/١) الايمان ، باب قوله عليه السلام فور أنى أراه .
- (٣) صحيح مسلم (١٦٢/١) الايمان ، باب ان الله لا ينام (الرواية مختصره) .
حجابه : أى المانع من رؤيته .
سبحات : نوره وجلاله وبهاؤه .

انظر فى المعانى هامش صحيح مسلم ، تعليق محمد فواد عبد الباقي (١٦٢/١)



- ٣ - ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : اذا قام من الليل : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض (الحديث (١) .
- وهو يقتضى أن كونه نور السموات والارض مغاير لكونه رب السموات والارض ، ومعلوم ان اصلاحه السموات والارض بالانوار وهدايته لمن فيهما هى ربوبيته فدل على أن معنى كونه نور السموات والارض أمر وراء ربوبيته .
- ٤ - قال ابن فورك : ان المشهور من مذهب أبى محمد بن كلاب بان الله سبحانه وتعالى نور لا كالانوار حقيقة ولا بمعنى انه هاد ، وان سأل سائل عن الله عز وجل أنور هو ؟ قيل له كلامك يخلط وجهين : ان كنت تريد أنه نور يتجزأ تجوز عليه الزيادة والنقصان فلا ، وهذه صفة النور المخلوق ، وان كنت تريد معنى مقاله سبحانه وتعالى (الله نور السموات والارض) فالله سبحانه وتعالى نور السموات والأرض على ما قال .
- ٥ - وقال ابن العربى : والصحيح عندنا انه نور لا كالأنوار ، لأنه حقيقة والعدول عن الحقيقة الى انه هاد ومنور وما أشبه ذلك هو مجاز من غير دليل لا يصح .
- ٦ - ان النور صفة كمال ، وضده صفة نقص ، ولهذا سمي الله نفسه نوراً وسمى كتابه نوراً ، وجعل لاوليائه النور ، ولاعدائه الظلمة (٢) .

(١) صحيح البخارى (٨٦/٨) كتاب الدعوات ، باب الدعاء اذا انتبه بالليل .
صحيح مسلم (٥٣٢/١-٥٣٣) كتاب الصلاة ، باب الدعاء فى صلاة الليل .

(٢) انظر بالتفصيل مختصر الصواعق المرسله / ابن القيم الجوزية (٣٥٩) (٣٦٨) .
وانظر : تفسير القاسمى (٢١١-٢١٠/١٢) .

وعلى هذا يكون المثل على حقيقته ، فيكون نوع التمثيل هو التمثيل المركب ، وذلك بتمثيل نور الله سبحانه وتعالى جملة دون تجزأة بنور المصباح جملة بما فيه من الاجزاء المركبة من الكوة ، والمصباح والزجاجة ومادة الاضاءة وهى الزيت الصافى النقي الذى يؤخذ من شجرة مباركة جامعة لكل اوصاف الحسن ، فى المنبت لاشرقية ولا غربية ، فمن شدة اضاءة زيتها وصفائها وحسنها يكاد يضىء من غير أن تمسه نار ، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى ضربه الله عز وجل وسيلة لتقريبه الى المدارك ، وهو العليم بطاقة البشر (١) .

...

ثانياً : الأمثال الصريحة الحسية المركبة فى بيان أهمية كلمة التوحيد

بالنبات :

قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها)
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون (قال تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء) (٢) .

(١) فى ظلال القرآن/ سيد قطب (٢٥٢٠/٤) .

(٢) سورة ابراهيم (٢٤-٢٧) .

أولا : بيان كلمة التوحيد :

لقد اختلف فى معنى (كلمة طيبة) فمنهم من قال (لا اله الا الله) ومنهم من قال: انها الايمان ، ومنهم من قال انها المؤمن^(١) .

والراجع والله أعلم انها (لا اله الا الله) بدليل ما ذكر بعده من الايات قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وما أجمع عليه من اقوال المفسرين ، فعلى هذا يكون ضرب الله سبحانه وتعالى فى الآيات المثل للكلمة الطيبة لانها كالشجرة الطيبة ، حيث ان الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح كما ان الشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع والمراد بالكلمة الطيبة كما ذكرت هى شهادة أن لا اله الا الله وهذا ظاهر من قول جمهور المفسرين الذين يقولون (الكلمة الطيبة هى شهادة ان لا اله الا الله)^(٢)

فانها تثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة الطيبة وفى تفسير على بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كلمة طيبة شهادة ان لا اله الا الله ، وكشجرة طيبة وهو المؤمن اصلها ثابت قول لا اله الا الله فى قلب المؤمن وفرعها فى السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن الى السماء)^(٣) .

وقال الربيع بن أنس : (كلمة طيبة هذا مثل الايمان ، والايمان الشجرة الطيبة ، وأصلها الثابت الذى لا يزول الا خلاص فيه وفرعه فى السماء خشية الله)^(٤) .

-
- (١) انظر تفسير القرطبي (٣٥٨٨/٤) تفسير الطبرى (٢٠٣/١٣-٢٠٤).
 - (٢) تفسير الطبرى (٢٠٣/١٣) - تفسير البغوى (٤٠/٤).
 - (٣) تفسير ابن كثير (٥٣٠/٢) - تفسير الطبرى (٢٠٣/١٣).
 - (٤) اعلام الموقعين / ابن قيم الجوزية (١٧٢/١) تفسير الطبرى (٢٠٣/١٣-٢٠٤).
 - اعلام الموقعين / ابن قيم الجوزية (١٧٢/١).

وقال القرطبي : يجوز ان يكون المعنى أصل الكلمة فى قلب المؤمن - وهو الايمان - شبهه بالنخلة فى المنبت وشبه ارتفاع عمله فى السماء بارتفاع فروع النخلة ، وثواب الله له بالثمر (١) .

وفى هذا المثل المضروب ان الشجرة فى الآية هى الشجرة الحسية التى ذكرها ليعطى القارىء المتدبر الواعى صورة الكلمة الطيبة ومنافعها مثل هذه الشجرة وهى النخلة كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففي سنن الترمذى عن أنس بن مالك قال : (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال : (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها) قال هى النخلة (٢) .

ولكن هناك اختلافات أيضا فى المقصود من الشجرة الطيبة ، كما ذكر الطبرى حيث قال : واختلفوا فى هذه الشجرة التى جعلت للكلمة الطيبة مثلا ، فقال بعضهم ، هى النخلة ، وقال آخرون : بل هى شجرة فى الجنة (٣) ، ومنهم من قال انها المؤمن ، ومنهم من قال : انها كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان (٤) ، وللامام الرازى رحمه الله رأيه عند تفسير هذه الآية وأقوال المفسرين والعلماء فيها ، فقال : وأقول هؤلاء وان أصابوا فى البحث عن مفردات الفاظ الآية الا انهم بعدوا عن ادراك المقصود ، لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ولحاجة بنا الى تلك الشجرة هى النخلة ام غيرها ، فانا نعلم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغى لكل عاقل أن يسعى

(١) تفسير القرطبي (٣٥٨٨/٤) .

(٢) سنن الترمذى (٣٥٨/٤) كتاب التفسير سورة ابراهيم / واخرجه الحاكم فى المستدرک وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه
(٣٥٢/٢) التفسير .

(٣) تفسير الطبرى (٢٠٤-٢٠٦) .

(٤) تفسير الدر المنثور / السيوطى (٧٥/٤) تفسير الفخر الرازى (٢٣٧/٥) .

فى تحصيلها وتملكها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود فى الدنيا او لم يكن لها لان هذه الصفات امر مطلوب التحصيل ، وانما ضرب اللبس سبحانه وتعالى الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعنى وذلك لان المعانى العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فاذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب (١) .

قلت والارجح والله تعالى اعلم ، انها النخلة كما ذكر من رواية انس رضى الله عنه التى تقدم ذكرها من انها النخلة وجاء فى تفسير الدر المنثور والقرطبي قولهم : قال الترمذى رضى الله عنه والحديث هذا الموقوف اصح (٢) .

ثم ان المواصفات التى ذكرت للشجرة فى الاية متوفرة غالباً فى النخلة وهى :

- ١- وصفت بانها طيبة ، فالنخلة طيبة من جميع النواحي طيبة المنظـر طيبة النفع ، طيبة الثمر، طيبة الرائحة .
- ٢- وصفت بان اصلها ثابت راسخ متغلغل فى الارض ،
- ٣- وصفت بان فرعها فى السماء ، والنخلة كذلك .
- ٤- وصفت بانها تؤتى اكلها كل حين ، والنخلة تؤكل ثمرتها كل حين .

قال الربيع بن انس : كل حين : يعنى غدوة وعشية ، لان ثمر النخل يؤكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء ، فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والبسر والخلال والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فؤكلها دائم كل حين (٣) .

(١) الفخر الرازى : (٢٣٧/٥-٢٣٨) .
(٢) تفسير الدر المنثور : السيوطى (٧٦/٤) .
(٣) تفسير القرطبي (٣٥٨٨/٤) .
تحفة الاحوذى : (٥٤٦/٨) .
الجمار: / الذى يؤكل من قلب النخل يكون لينا . انظر لسان العرب (٤٩٦/١) .
البسر : التمر اذا لون ولم ينضج . انظر لسان العرب (٢١١/١) .
الخلال: الرطب من النبات وهو ما كان غضا أخضر وهو البلح . انظر لسان العرب (٨٩٥/١) .

وإذا تأملنا المثال : (كشجرة طيبة) وجدناه مطابقا لشجرة التوحيد
الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الاعمال الصالحة صاعداً
الى السماء ولاتزال هذه الشجرة تثمر الاعمال الصالحة كل وقت ، بحسب
ثباتها في القلب ومحبة القلب لها ، واخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها
وقيامه بحقها ومراعاته لها حق رعايتها فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه
بحقيقتها واتصف قلبه بها وانصغ بها بصيغة الله التي لا احسن صيغة
منها فعرف حقيقة الهيبة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه ،
وتصدقها جوارحه ، ونفى تلك الحقيقة ولو ازمها عن كل ماسوى الله عز وجل
وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والاثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له
بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللا غير ناكسة ولا باغية سواه
بدلا ، كما لا ينبغي سوى معبوده الحق بدلا فلا ريب ان هذه الكلمة من هذا
القلب على هذا اللسان لاتزال تؤتي ثمرها من العمل الصالح الصاعد الى الله
تعالى ، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرا طيبا يقارنه عمل صالح
فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب ،
والعمل الصالح يرفعه) (١) .

فأخبر سبحانه ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وأخبر
ان الكلمة الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملا صالحا لكل وقت وهكذا يبين
لنا الله سبحانه وتعالى ان كلمة التوحيد (لا اله الا الله) لها
مظهرها وابعادها وثمارها النافعة للانسان في الدنيا والاخرة التي لا يمكن
للشجرة ان تكون على ذلك وانما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل فقط لتقريب
المعنى الى الافهام .

ثانيا : قرائن التركيب فى المثل :

ان فى هذا المثل الصريح ذكر فيه لفظ المثل الحس بان كان المثل بشىء محسوس ملموس للانسان وهى الشجرة والمثل مركب من عدة صور وعناصر متلاقية بين المثل والممثل به فمن ذلك :

١ - أن الشجرة لابد لها من فروع وعروق وساق وورق وثمر ، فكذلك شجرة الايمان والاسلام ، ليطابق المثل الممثل به ، فعروقه العلم والمعرفة واليقين ، وساقها الاخلاص ، وفروعها الاعمال ، وثمرتها ماتوجه الاعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والاخلاق الذكية والسمت الصالح والهدى ، والشجرة لاتبقى حية الا بمادة تسقيها وتنميتها ، فاذا انقطع عنها السقى أو شككت أن تيبس .

وقد روى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الايمان يخلق فى القلب كما يخلق الثوب ، فجددوا ايمانكم) (١) .

٢ - أن الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الزرع والغرس ما يخالطه نبت غريب ، ليس من جنسه فان تعاهده الزارع بالتنقية والقلع كمل

(١) اعلام الموقعين / ابن القيم الجوزية (١٧٤/١) قال ابن القيم ان أحمد أخرج الحديث فى المسند عن ابي هريرة ولم اقف عليه فى مسند ابي هريرة عند مسند احمد ولكن اخرجه الحاكم فى المستدرک (٤/١) ، الايمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال رواه ثقات وكذلك الذهبى فى التلخيص (٤/١) .

وقال الهيثمى رواه الطبرانى فى الكبير واسناده حسن عن عبد الله بن عمرو وروى احمد عن ابي هريرة واسناده جيد/ مجمع الزوائد للهيثمى (٥٧/١) وانظر منتخب كنز العمال/ على بن حسام الديلمى (١٢٦/١) هامش مسند أحمد .

الغرس والزرع ، واستوى وتم بناؤه ، وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى ، وان تركه اوشك ان يغلب على الغرس والزرع ويضعفه ويجعل الثمرة ذميمة ، ناقصة بحسب كثرته وقلته ، والمؤمن دائماً يسعى لشيئين ، سقي هذه الشجرة وهى شجرة الايمان وتنقيتها ماحولها ، فيسقيها تدوم وتبقى وتنقيتها وازالة ماحولها من الشوائب تكمل وتتم .

ثالثا : الكلمة الخبيثة :

ثم نجد فى الآيات مقابل الشجرة الطيبة والكلمة الطيبة كلمة خبيثة وشجرة خبيثة ، والخبت يرجع فى معناه الى القبح والرداءة (١) .
فمثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة التى استوصلت من فوق الارض ، مالها من قرار ، فلاعرق ثابت ولا فرع عال ، ولا ثمرة زاكية ، فلا أصل ولا جنسي ولا ساق قائم ، ولا عرق فى الارض ثابت فلا أسفلها مغلق ولا أعلاها سامق ولا جنسي لها ولا تعلق ، بل تعلق ، وهذه الشجرة التى وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : انها الحنظلة ، فى سنن الترمذى عن أنس بن مالك (تكلمة للرواية السابقة عند تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم للآية) فعندما وصل الى قوله تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) قال هى الحنظلة (قال أنس : فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : صدق وأحسن (٢) .

والحنظلة وهى نبات يمتد على الارض كالبطيخ وثمره يشبه البطيخ لكنه أصغر منه جدا ويضرب المثل بمرارته وهى شجرة خبيثة وليس لها ثبات فى الأرض ، لانها ليس بها أصل ثابت فى الارض ولا فرع صاعد الى السماء (٣) .

(١) معجم الفاظ القرآن (٣٣١/١) .

(٢) سنن الترمذى (٣٥٨/٤) .

كتاب التفسير سبق تخريجه .

(٣) تحفة الأحوذى / المباركفورى (٥٤٦/٨) .

ولكن كما ان هناك اختلاف فى (الكلمة الطيبة) و (الشجرة الطيبة) ، كذلك فى (الكلمة الخبيثة) آراء واختلافات فمنهم من قال انها الشرك بالله ، ومنهم من قال انها الكافر نفسه ، والأصح أن الكلمة الخبيثة هى الكفر والشرك والكافر ، كما أن الكلمة الطيبة هى (لا اله الا الله) والايمان والمؤمن لانه لايعرف الايمان الا بالمؤمن ولايعرف الشرك والكفر الا بالكافر ، فيكون المقصود من المثل بيان كفر الكافر وشركه باللله تعالى كما قال فى ذلك قتادة رضى الله عنه ، ضربت هذه الشجرة التى وصفها الله بهذه الصفة بكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذى هو معصية الله فى الارض ثبات ولا له فى السماء مصعد لانه لا يصعد الى الله منه شىء (١) .

قال الضحاك : (ضرب الله مثلا) للكافر بشجرة اجتثت من الارض مالها من قرار ، يقول : (ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة ، وكذلك الكافر لا يعمل خيرا ، ولا يقوله ولا يجعل له فيه بركة ولا منفعة ، ومادام لا أصل لا قيمة ذاتية او عارضة فى الشىء .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : ومثل كلمة خبيثة : وهى الشرك ، كشجرة خبيثة يعنى الكافر ، اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يقول : الشرك ليس له أصل ياخذ به الكافر ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملا فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد الى الله ، ليس له عمل صالح فى الارض ولا فى السماء (٢) .

(١) تفسير الطبرى (٢١٢/١٣) - تفسير الدر المنثور / السيوطي (٧٨/٤) .

(٢) تفسير الطبرى (٢١٣/١٣) - التفسير القيم لابن القيم (٣٢٢-٣٢٧) .
زاد المسير فى علم التفسير : ابن الجوزى (٣٦٠/٤) .
الامثال فى القرآن/ ابن القيم (٢٢٩-٢٣٧) .

أما (الشجرة الخبيثة) فقد اختلف أهل التأويل من المفسريين والعلماء في تفسيرها فمنهم من قال إنها الحنظل وهذا ما أجمع عليه معظم المفسرون ، ومنهم من قال أنها الكافر وهو قول ابن عباس والربيع ابن أنس بمعنى أن الكافر عمله خبيث لا أصل له ولا ثبات ولا قرار ولا يصعد إلى السماء وقد سبق القول عنه ، ومنهم من قال إنها شجرة الشوم ، وقيل أنها الكراث ، وقيل أنها شجرة الشوك (١) .

والأرجح من ذلك كله - والله أعلم - أنها الحنظل وذلك لما يأتي:

- ١ - صح عنهما بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (هى الحنظلة) وقد ذكر الحديث سابقا .
- ٢ - أجمع معظم المفسرون في تفسيرها على أنها الحنظل .
- ٣ - أنها مطابقة لكل المواصفات التي ذكرت في الآية وهى :
 - ١ - أنها وصفة بالخبيث ، والخبيث يكون من عدة أوجه :
 - (أ) يكون الخبيث في الشجر من حيث الرائحة وهو موجود في الحنظل .
 - (ب) يكون الخبيث في الشجر من حيث الطعم ، وهو موجود في الحنظل - بأن طعمه مرا لا يطاق ولا يستساغ .
 - (ج) يكون الخبيث في الشجر من حيث المنظر والشكل ، وكذلك الحنظل شجر ليس بالجميل شكلا ولا منظرا ، لانه لم يثمر بل ولم يعرف حتى الآن أن انسانا زرع في حديقته أو فناءه شجرة حنظل للجمال والزينة ليستمتع بها .
 - (د) ويكون الخبيث في الشجر بحسب اشتماله على المضار أكثر من المنافع ، حتى ولو أن فيه بعض المنافع الا أن صفة الضرر والخبيث تتغلب عليه أكثر من النفع ، وكذلك الحنظل فان صفة الخبيث والضرر وعدم النفع تغلب عليه عن النفع ، ومع هذا الخبيث والضرر الا أن فيه بعض النفع اليسير فهو يعالج به بعض الأمراض ولكن أيضا يحذر فقد ذكر عنه

يعالج به نرف الدم ، وأوجاع العصب والمفاصل وعرق النسا ، والنقرس وهو مسهل ولكنه خطير (١) .

وقد وصفه داود الأنطاكي في التذكرة فقال: (هو نبت يمد علي الأرض كالبطيخ ، الا أنه أصغر ورقا وأدق أصلا وهو نبات مشهور بمرارته الشديدة (٢) .

- ٢ - اجتثت من فوق الأرض أي استوصلت من فوق الأرض .
٣ - مالها من قرار ، أي مالها ثبات ولا أصل في الأرض تنبت عليه وتقوم ، وقد قال أنس رضي الله عنه فيها : تلکم الحنظل ، الم تروا السبي الرياح كيف تصفقا يميننا وشمالا (٣) .

إذا الجامع بين الاثنين في ضرب المثل الطيب والحلاوة في الثبات والاصل والدوام بين المثل والممثل به ، والخبث في عدم الاصل والمرارة ، وذلك لان الاصل يعطي الشيء صفة الثبات ، ومادام لا أصل لاثبات ومادام لاثبات لا أصل والمرارة ترفضها النفس الابية السوية المستقيمة صاحبة الفطرة السليمة ، وكما ان الكلمة الطيبة ، دعوة كانت أو حركة او عملا كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة ، ثابتة لاتزعزعها الاعاصير ولاتعصف بها رياح الباطل ، ولاتقوى عليها معاول الطفيان ، وان خيل للانسان انها معرضة للخطر ، فهي سامقة متعالية على الشر والظلم ، وان خيل للانسان ان الشر يزاحمها الا انها مثمرة لا ينقطع ثمرها لان بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة أنا بعد آن .

-
- (١) التداوي بالأعشاب / عبداللطيف عاشور (٧٧) .
(٢) تذكرة داود الانطاكي (١/١٣٢) .
(٣) تفسير الطبري (١٣/٢١١) .

كذلك الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتتشابك
يخيل للانسان أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة
هشة ، وتظل جذورها فى التربة قريبة ، حتى لكأنها على وجه الارض ، وماهى
الافترة حتى تجتث من فوق الارض فلا قرار لها ولا بقا ء (ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون) هي أمثال مصداقها واقع الارض ، والله
سبحانه وتعالى يضربها للناس ليجدد فى نفوسهم تقوى الله ويذكرهم
بفضله وعفوه وكرمه الذى ينسونه فى زحمة الحياة الدنيا بما فيها من
مشاغل وشهوات ومغريات وفى ظل الشجرة الثابتة الاصل فى الارض والسامقة
فى الفضاء يكون التكريم الالهى ، يثبت الذين آمنوا فى الحياة الدنيا
وفى الآخرة يثبتهم بالقول الثابت والكلمة الطيبة كلمة التوحيد الثابتة
الراسخة فى نفس المؤمن (لا اله الا الله محمد رسول الله) لها أهميتها
فى حياة الانسان الدنيوية والأخروية كما مر معنا وعرفنا من أهميتها
ومكانتها .

أما الذين كفروا فلا ثبات لهم ولا تثبيت وانما الكفر والضلال
والتظليل لهم والعذاب فى الدنيا والآخرة وذلك بسبب ظلمهم وشركهم (١) .

(١) فى ظلال القرآن / سيد قطب (٢٠٩٨/٤ - ٢٠٩٩) .
الامثال فى القرآن / محمود بن الشريف (٩٩ - ١٠٠) .

ثالثا : الأمثال الصريحة الحسية المركبة المتعلقة بصفات صحابة الرسول

صلى الله عليه وسلم بالنبات :

قال تعالى : (محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) (١) .

ان هذه الآية التي وردت في سورة الفتح ترسم لنا صورة واضحة وضيئة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي التي ختم بها سورة الفتح التي بشر الله سبحانه وتعالى فيها رسوله بدخول مكة وفتحها هو وصحابته المؤمنة ، هذه الجماعة الفريدة السعيدة المؤمنة التي رزقها الله سبحانه وتعالى السكينة والطمأنينة وأحاطها بالرعاية والحماية وبشرها بالفتح والغنمية ، لانها جماعة ضحت بنفسها ومالها جهادا في سبيل الله لنصرة الاسلام والمسلمين ، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأوصاف حقيقية أساسية ثابتة في جوهرهم ، وأعطى صورة عنهم في كتابه العزيز لمن يأتي بعدهم ممن لم يراهم ، بحيث لا تتغير ولا تتبدل ، وأثنى عليهم ثناء ثم يكمن لأحد غيرهم ، فنجد القرآن أعطى صور عنهم مؤنفة من عدة لقطات ، لقطعة تصورهم في حالة تعبدهم لله (تراهم ركعا سجدا) ، ولقطعة تصورهم في حالة تعاملهم مع الكفار والمسلمين (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ولقطعة تعطي شكلهم الظاهري من أثر العبادة (سيماهم في وجوههم من أثر العبادة) ، وصورة تعطينا وجدانياتهم وقلوبهم وما يجيش فيها من حب الله

(١) سورة الفتح : (٢٩) .

والتقوى والايمان (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) .

(ذلك مثلهم فى التوراة) أى أوصافهم تلك التى وصفناهم بهـا وهى ثابتة لهم من القدم قبل مجيئهم الى الدنيا وبشرت الأرض بهم ، فقد جاء ذلك الوصف العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الأمثال فى التوراة ، وأما مثلهم فى الانجيل ، وهذه الأوصاف الوضيعة البالغة الدقة من الشفافية الصافية ، والوجوه المنورة المشرقة الهادئة هـبى (كزرع أخرج شطأه) ان مثلهم فى الانجيل مثل الزرع النامى القوى الذى يخرج فرخه من قوته وخصبته ، ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده (فأذره) أو أن العود آزر فرخه فشدته (فاستغلظ) الزرع وضمت ساقه وامتألت فاستوى على سوقه ، لامعوجا مميتا وانما ساقا مستقيما قويـا سويا (١) .

العناصر المشتركة بين المثل والممثل به :

وفى هذا المثل الصريح الحسى بالنبات المركب من عدة عناصر بين المثل والممثل به عدة صفات مجتمعة بينهم فهم فى شدتهم على الكفار مثل الزرع تماما يشد بعضه بعضا ، الحذور والساق والفروع والاوراق والزهور والثمار وبذلك يكون وحدة قوية متماسكة شديدة فى نفسها وما فى بينها لا يستطيع أحد من الخارج أن يقتلعها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك (وهم يد على من سواهم) (٢) ، أما كونهم رحماء بينهم فهم

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب (٣٣٣٢/٦) .

(٢) سنن ابن ماجه (٨٩٥/٢) كتاب الديات عن ابن عباس بلفظ (المسلمون تتكافأ دماءهم وهم يد على من سواهم) ورواية اخرى عن معقل بن يسار وفى سندها عبدالسلام ابن ابى الجنوب وهو ضعيف ذكره الهيثمى ورواه الطبرانى: انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٢٨٦/٦-٢٩٥) .

فى رحمتهم ليزود وتعاطف وتناصر مع بعضهم البعض ، وحب من اغاثة ملهمـوف
وبذل معروف ، ومنع تعدى ، وكف ظلم ، كل منهم ينفع الآخر بما يملك
من أعمال البر والخير ، وهذه صفة المؤمنين التى رسمها الرسول صلى
الله عليه وسلم ووصفها لنا فقال: (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم هثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى) (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضاً) (٢) فهم فى تراحمهم مثل النبات تماما فى تبادل منافعه بيـن
اجزائه بعضها البعض ، وتعاطفها مع بعضها البعض ، فالشمر ينتفع مـن
الزهر والزهر من الورق ، والورق من الساق ، والساق من الجذور وكل عضو
من النبات يحمل الآخر ويساعده ويقويه ويعطف عليه ، بحيث اذا عطبت الجذور
لم ينشأ بقية الاعضاء ، وعندما تظهر الثمرة دليل على صحة بقية الاعضاء
وتراحمها وتوادها مع بعضها بحيث كل عضو ينفع الآخر ، وتتمثل الرحمة
واللين والهدوء والطراوة فى زهور النبات وأوراقها وثمارها ، وأبلغ
من هذا تمثيلهم بالنبات فى كثرة الاعمال والمداومة عليها ، (تراهم
ركعا سجدا) ، والاخلاص فى تلك الاعمال والعبادات فالنبات أيضاً
منذ أن توضع البذرة فى الأرض فهو فى عمل دائم مستمر ، الى أن يعطي
ثمرته ليستفيد منها غيره ، وهم فى عملهم ذلك راجين ثمرة عملهم عند الله
سبحانه وتعالى الفضل والاحسان والمغفرة والرضوان ، ثم تظهر بعد ذلك
كثرة أعمالهم فى سلوكياتهم وجوارحهم ومعاملتهم مع غيرهم ووجوههم

(١) صحيح البخارى (١٢/٨) الادب ، باب رحمة الناس . أخرجه الطبرانى

فى المعجم الصغير (١٣٧/١) .

صحيح مسلم (١٩٩٩/٤ - ٢٠٠٠) البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين

عن النعمان بن بشير ، واللفظ لمسلم .

تداعى له سائر الجسد : أى دعا بعضه بعضاً الى المشاركة فى ذلك .

(٢) فتح البارى (٤٥٠/١٠) .

صحيح البخارى (١٤/٨) الادب ، باب تعاون المؤمنين ، عن أبى موسى .

صحيح مسلم (١٩٩٩/٤) البر والصلة . باب تراحم المؤمنين ، واللفظ

لمسلم .

(سيماهم فرجوههم من أثر السجود) أى علامات تظهر عليهم ، وهي السمات الحسن والخشوع والتواضع والوقار والبهاء فى الدنيا وفى الآخرة ، بيباض الوجوه ونور الجباه على اختلاف اقوال العلماء والمفسرين (١) .

والنبات تظهر عليه كثرة عمله الدائم الخالص الحسن ، وذلك بكثرة الثمر وحسنه ، ثم ان فى تمثيلهم بالنبات فى الخشوع والخضوع دليل على أن النبات رغم شموخه وعلوه الا انه فى انحناء اغصانه وتمايله وتراخى أوراقه دليل على خشوعه وخضوعه لله عز وجل .

الصورة المركبة من التمثيل :

هناك تقابل مركب بصورة عامة فى التمثيل لهم بالنبات فى مظهر نماء الأمة الاسلامية وتكاثرها وتماسكها ووحدة كيانه ، بدءا من النواة الأولى لهذه الأمة ، فالقلة المخلصة التى اجتمعت حولها الى التكاثر السريع حتى أخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فمثلهم كزرع يبدا نباتا ضعيفا ، ثم يشتد شيئا فشيئا ثم تنبت من جوانبه فراخه وصغارهم ثم يقوى ويشتد عوده ثم ينتشر فى الارض ، عندئذ يعجب الزراع ولما استكملت الصورة عناصرها فى المثل وحضرت صورة الممثل له فى الذهن كان المثل بمثابة الممثل له تماما ، فبنى النص القرآنى على هذه الصورة الذهنية التى أحضرها المثل فقال تعالى : (ليغيظ به الكفار) أى أنهم يبدؤن ضعافا ثم يتكاثرون وتقوى شوكتهم وينتشرون فى الارض ويشد الله أزهرهم وينصرهم على عدوهم ليغيظ بهم الكفار الذين كفروا به) (٢) .

(١) تفسير القاسمى (١٥/١٠١-١٠٢) .

روح المعانى : الالوسى (٢٦/١٢٥) .

القرطبى (٧/٦١١٣) .

(٢) الامثال القرآنية / الميدانى (٧٤) .

من بلاغة القرآن / أحمد بدوى (١٩٧-٢٨١) .

وفى كشافتهم وقوتهم وغلظتهم ورحمتهم وحسن منظرهم اعجاب للناس
بحيث قلوا فى بدأ الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم ، كالزراع فى
كشافته وغلظته وقوته ورقته وحسن منظره اعجاب للزراع (١) .

واذا كان على صورته هذه أعجب الزراع وهم يعرفون عيوب الزرع فهـو
أحرى أن يعجب غيرهم ، ويكون له وقع عظيم فى النفوس ، خاصة عند أهل الخبرة
من أهل الزرع والنبات النامى ، والزرع يتعرض للهبوب والرياح فيصبح هشيمًا
وتذروه الرياح ، ولكن صورة محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله
عليهم ليس كمثلهذا الزرع الذى لا يخلد وانما هى صورة ثابتة فى مكانها
قارة فى منبتها لا تتحرك ، وعرضها دائم على البشرية الى الساعة فى كتاب الله
عز وجل ، ومنظرها ثابت فى النفوس البشرية المؤمنة .

فائدة هذا المثل :

فائدة هذا المثل المضروب فى هذه الصورة الرائعة صورة الزرع
النامى القوى المخصب البهيج تتضح لنا وضوحا تاما اذا استعرضنا مبادئ
أمر الصحابة :

١ - ان الصحابة رضوان الله عليهم قد كانوا فى بداية أمرهم فى قلة وضعف ،
ثم لزال أمرهم يزداد شيئا فشيئا ويوقى قليلا حتى كثروا واستحكمت
قوتهم واشتدت شكيמתهم وقويت شوكتهم ، فترقى أمرهم بحيث أعجب
الناس وأدهشهم تلك النقلة العجيبة التى نقلتهم من ذلك الضعف
الى تلك القوة ، التى دانت لهم بها جميع الأمم وخضعت لها دولتى
الأكاسرة والقيصرة والتى نقلتهم من رعاة الغنم الى قيادة الأمم
ومن ذلك الذل الذى سامهم به مشركوا مكة الى ذلك العز السامق ،

(١) حاشية الشهاب (٧٠/٨) .

• تفسير البيضاوى (٧٠/٨) على الحاشية .

• من بلاغة القرآن/ أحمد بدوى (٢٨١) .

أدركتهم عناية الله وأخذت بأيديهم الى مدارج الكمال الانساني
والسعادة الخالدة .

٢ - كانوا خير مثل فى تطبيق أحكام الله وشريعته المطهرة فى جميع
مجالات الحياة فى العقيدة القائمة على أساس الحق وفى الاقتصاد
على أساس العدل ، وفى البذل القائم على أساس الاخلاص ، وفى الاجتماع
القائم على أساس العطف والرحمة والشفقة ، والأخذ بيد الضعيف
والمحتاج وفى الاخلاق القائمة على أساس الحكمة ، والنظر الصحيح (!)

٣ - قوة ايمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه فانتفع
الناس بهم ، واحتاجوا اليهم كما ينتفعون بالزرع ويحتاجون
اليه (٢) .

٤ - ختم الله سبحانه وتعالى المثل فى شأن هؤلاء السادة الأصفياء
والكرام النجباء أهل البر والوفاء ، أهل الفضل والتقوى ، أهل
المجد والبراعة ، أهل الحزم والنجدة والشجاعة بالوعد الكريم ،
بالمغفرة الشاملة والاجر العظيم ، فقال تعالى (وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) (٣) فى الدنيا
والآخرة ، لا يقدر قدره ، ولا تدرك حقيقته .

٥ - فى المثل تنويه بشأن الصحابة رضى الله عنهم وفضلهم ، والحث على
الاقتداء بهم والنسج على منوالهم ، والتخلق بأخلاقهم والتأدب
بآدابهم فانا لانصلح الا بما صلحوا به ، وليست حالنا اليوم التي
نحن عليها والتي نشكوا منها الا بتقصيرنا وتراخيها عن الواجبات
التي كلفنا بها ، حتى انعكست الأوضاع فأصبح الامر التافه مهمنا
والمهم تافها (٤) .

(١) أمثال القرآن/ د. منصور العبدلى (١٦٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ عبدالرحمن السعدى (١٨٣/٧-١٨٤) .

(٣) سورة الفتح ، آية (٢٩) .

(٤) امثال القرآن / د. العبدلى (١٦٥) .

رابعاً : الأمثال الحسية الصريحة المركبة فروصف الحياة الدنيا بالنبات :

١ - يقول تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض ، زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تمنى بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون . والله يدعو الى دار السلام ، ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) (١) .

٢ - وقال تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) (٢) .

٣ - وقال تعالى : (واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (٣) .

للتشابه الكبير بين الحياة الدنيا والنبات ضرب الله سبحانه وتعالى بمثل صريح أحوال الحياة الدنيا بالنبات ، فقاس الحياة الدنيا على النبات لما فى وصفهما من الغرابة وما فيهما من القصص الغريبة ، ففي النباتات نباتات غريبة الأطوار والأشكال والمنافع كما ذكر عنها وكتب فيها

(١) سورة يونس : (٢٤-٢٥) .

(٢) سورة الكهف : (٤٥) .

(٣) سورة الحديد (٢٠) .

مثل النباتات المفترسة وشجرة البقرة التي تنبت فى كراكاس وهى تعطى لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين ، وكانوا اهل كراكاس يتغذون منه ، ومن العجيب أن صفات هذا اللبن هى نفس صفات لبن البقر ويفضل عليه بأن الاحمـاض لا تؤثر فيه ، ومن العجيب أيضا أنه يستخرج منه عطرًا (١) .

ومنه أيضا نباتات (الابرقيق) وهى نباتات تنتهى بأقداح أسطوانية تمتلئ ماء يسقى به الناس ويغاثون من الهلاك (٢) ، فتعجب من صنع الله تعالى وشجرة السائح فى حديقة النباتات (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهى تحتوى دائما على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب ، فاذا ثقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فروع به مخزن مستقل من الماء (٣) . ومثل شجرة فى (مدغشقر) ذكرت المجـلات الأوروبية انها متى شرب منها انسان ماءها الحاصل فوقها سكر ثم ضمت عليه أوراقها وشوكها فامتصته وصار غذاة لها (٤) .

كذلك فى الحياة الدنيا قصص وحكايات غريبة الأحداث والمغزى مثل ماورد من قصص الأنبياء مع أقوامهم وما يحدث فيها من معجزات وقصة خلـق سيدنا آدم عليه السلام ورسول الله عيسى عليه السلام ، وكذلك ما فى وصفهم من الغرابة ، فالحياة الدنيا تشبه النبات من غرابة تطورها ونموها وازدهارها وبدايتها ونهايتها ، وما فيها من منافع وحسنات وما فيها من مضار وسيئات واحداث ، وفى وصف الحياة الدنيا بالنبات كثير من العناصر المركبة المتلاقية بين الممثل وهى الحياة الدنيا والممثل به وهو النبات ، جعلها القرآن فى صورة حسية ملموسة مشاهدة امام الانسان فى يومه وشهره

(١) تفسير القرآن الكريم / طنطاوى جوهر (١١٨/٢٤) .

(٢) المصدر السابق (٧/١٣) .

(٣) المصدر نفسه (٢٤٠/١٣) .

(٤) المصدر نفسه (٩٩/١٠) .

وسنته وفى ليله ونهاره ، فى حياته كلها تتكرر وعلى مدى الدهور والعصور والأزمنة لا يغيىب عن ناظره ولا يحجب عنه وهو النبات ، فصورت نهايــــــــــــة الحياة الدنيا وبدايتها فى النبات عند بدايته ونهايته ، ثم الأطلــــــــــــوار التى تمر فيها الحياة الدنيا من النمو والازدهار والابتهاج مثل النبات فى نموه وازدهاره وابتهاجه اعجاب الكفار واهل الدنيا بالحياة الدنيا عند زينتها وبهجتها ، كاعجاب الزراع والفلاحين بالنبات عند هيجانه واخضاره وزهوه .

متاع الحياة الدنيا فيه غرور للانسان يفرح به ثم يأتية الموت فجأة فتنتهى حياته كذلك النبات عندما يراه الانسان مزدهرا يغتر به ويظن أنه دائم ثم يفاجأ بانتهائه وهلاكه .

فهذه العناصر كلها متلاقية بين النبات والحياة الدنيا ، صررها القرآن بصورة حسية للانسان لكى يتصور الحياة الدنيا حق تصورها ويعرفها على مظاهرها وحقيقتها وذلك من خلال المثل المضروب لها (١) .

فالحياة الدنيا قابلة للنظر تستدعى التفكير من الانسان والتأمل فى كل احوالها وأحداثها وسننها الربانية والكونية والاحيائية ، وهذا ما اتفقت عليه الآيات المعروضة سابقا من ضرب المثل بالنبات وهو قياس الحياة الدنيا على النبات ، ثم وجود عناصر مركبة بين الحياة الدنيا والنبات والمثل معروضا فى أمور حسية يستطيع الانسان أن يدركها ، ولكن هناك بعض المفارقات بين الآيات فى المراد منها بضرب المثل بالنبات ، فعند التأمل فى الآيات السابقة فى سورة يونس والكهف والحديد نجد كأن المثل تكرر فى تمثيل الحياة الدنيا بالنبات فى البداية والزهو والبهجة ثم النهاية ولكن هناك

(١) القرآن المعجزة الكبرى / أبوزهرة (٢٤٧) .
أعلام الموقعين / ابن قيم الجوزية (١/١٥٣) .

فروق بسيطة فيما يطوى عليه التمثيل فى الآيات ، ففي آية سورة الحديد نجد لفظ " بهيج " فى النبات وهو الممثل به أى مضرب المثل ملاءم ملاءمة دقيقة لحال الممثل له ، وهو مورد المثل من اللعب والتفاخر والتكاثر وما فى ذلك الهيجان من النمو والحركة واية يونس لمتهتم بما اهتمت به آية الحديد من اللهو واللعب والغرور وما شابه ذلك مما يجرى فى الحياة ، وانما اهتمت بشرح خطوات هذه الحياة الدنيا التى تخطوها فى طريق النهاية فتابعت مراحل نزول الماء من السماء فيختلط به نبات الارض ، وعلى أثر هذا الاختلاط يكون الاخضرار والازدهار للنبات وتزين الارض به فهنا الآية لم تطو شيئا من مراحل نمو النبات وذلك لان آية يونس ضرب المثل فيها للحياة الدنيا بالنبات وهو السياق المناسب للتحليل للحياة الدنيا ورسم خطواتها من بدايتها الى ان تنتهى وقت ما يشاء الله سبحانه وتعالى وذلك لما فيه من العبرة والعظة للانسان فى أن يتفكر فى أن كل فان حقير وان طالت مدته وصغير وان كبر قدره .

أما سورة الحديد فلم تشر الى نشأة النبات وانما اشارت فقط الى اعجاب الزراع بالهيجان للنبات وتكاثره ، وهذا السياق مناسب للعجب الانسان ومفاخرته وازدهاره بالحياة الدنيا فى التكاثر ، اذا التمثيل فيه حالة اعجاب الانسان بالحياة الدنيا بالمال والاولاد ، مثل حالة اعجاب الزراع بهيجان النبات ، وفى شدة الاعجاب ثم التغيير والانقلاب فى ذلك الاحتقار للدنيا والتحذير منها وعدم الاغترار بها والسكون اليها . أما سورة الكعف نجد انه لم يفصل النضارة والنماء والتكاثر والزينة الذى فصله فى يونس وانما طوى ذلك كله فقد ذكر الماء الذى أنزله من السماء فاختلف به نبات الارض ، ثم ينتقل به الكلام الى النهاية وذلك لان السياق هناك ليس سياق تحليل للحياة الدنيا ورسم خطواتها وانما هو تصوير للاقبال ثم الاعراض ، وهو الأشبه بحال الصاحب الذى أحيط بثمره بعدما كانت له جنة لا يظن أن تبيد أبدا ، وفى هذا حقارة للحياة الدنيا فى سرعة قضاءها

وفناءها ، وهكذا نجد القرآن فى الامثلة التى مرت معنا مرة أظن فى ذكر
المثل ومرة أوجز وذلك ليستقر معناه فى النفس ويحدث أثره فى القلب (١) .

- عناصر المثل :

المشبه : الحياة الدنيا فى زينتها وزخرفها ، وانقضائها وسرعة زوالها .
المشبه به : النبات فى نموه وبدايته وازدهاره ونهايته .
وجه الشبه : مركب من عدة عناصر متلاقية وهى بداية ونمو وازدهار ثم
نهاية وحسرة وندم بين المثل والممثل به وهو النبات ، فىكون تشبيهه
سعى الزارع فى العمل بزرعه لنمائه وازدهاره ولما كان سعيه هذا باطلا
بسبب حدوث الأسباب المهلكة له فكذلك سعى الطالب للدنيا ومفاتنها
والمغتر بها يكون باطلا وهباء منشورا ونهايته الهلاك والدمار ، لأن الدنيا
وأحوالها منتهية لاتدوم أبدا ولاتدوم على حال .

- قرائن الصراحة فى هذا المثل :

المثل من الأمثال الصريحة وذلك لوجود لفظ المثل صريحا فى الآيات .

(١) مقتبس من :

- ١- البيان فى ضوء أساليب القرآن . د. عبدالفتاح لاشين
- (٥٥-٥٤) .
- ٢- التصوير الفنى فى القرآن / سيد قطب (١٠٦-١٠٩) .
- ٣- فى ظلال القرآن / سيد قطب (٦/٣٤٩١) .
- ٤- الاعجاز البلاغى / د. محمد ابوموسى (١٠٧-١٠٨-١٠٩) .
- ٥- مباحث فى علوم القرآن / صبحى الصالح (٢٢٣) .
- ٦- من بلاغة القرآن / أحمد بدوى (٢٠٩-٢٣٤) .

- الحكمة من الأمثال فى الآيات :

- ١ - أن عاقبة الحياة الدنيا كعاقبة النبات النابتة النهاية والهلاك .
- ٢ - بيان انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد ، كذلك المغتـبـر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد، وهى الحسرة والنـدم وفى هذا شقاء ، فهو كالزارع الذى يشق ويكد ويتعب للحصول على الانتفاع من النبات ثم بعد ذلك يهلك ، فيدخل فى شقاء آخر مستقبلا وهو الحسرة والألم ، كذلك طالب الدنيا يتعب ويشقى من أجلها ثم يستقبل شقاء آخر بعد انتهاء وقضاءها من الحسرة والألم على ما فاتته وضيعه من طاعة الله عز وجل .
- ٣ - أثبت المثل بالنبات قدرة الله المطلقة فى الخلق والابداع ، وبما أنعم به على الانسان .
- ٤ - الحياة والموت للنبات دليل على البعث والحساب .
- ٥ - دعوة الانسان للتفكر فى شأن الحياة الدنيا لاحتقارها .
- ٦ - ان الأمور الدنيوية مبنية على المظاهر المادية .
- ٧ - وجوب شكر النعمة .
- ٨ - حث الانسان على الاستعداد للآخرة والتزهيد فى الدنيا وفى هذا تعظيم لشأن الآخرة وتحقير لشأن الدنيا .

خامسا : الأمثال الحسية المركبة فى بيان حال المنفق بالنبات :

- ١- قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (١) .
- ٢- وقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعيفا فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) (٢) .
- ٣- وقال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حلیم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالأذى ينفق ضاله رعاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين) (٣) .
- ٤- وقال تعالى : (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) (٤) .

١- بيان كيفية مضاعفة أجر النفقة فى سبيل الله :

ضرب الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أمثلة مثل فيها مضاعفة أجر النفقة فى سبيل الله ، سواء كان المراد به الجهاد أو غيره من جميع

- (١) سورة البقرة (٢٦١) .
(٢) سورة البقرة (٢٦٥) .
(٣) سورة البقرة : (٢٦٢-٢٦٤) .
(٤) سورة آل عمران (١١٧) .

وجوه الخير وطرق البر ، بمن بذر بذرة فى تربة طيبة خصبة نقية زكية توفرت فيها كل عوامل الانبات من ماء وشمس وهواء ، فنمت أحسن نماء وزكت أجود زكاء واخرجت غلتها مضاعفة من حبة الى سبع مائة حبة ، وذلك ان كل حبة تنبت سبع سنابل ، ثم ان هذه السنابل لطيبها وطيب معدن أرضها تراها مليئة بالحب ، ففى كل سنبل مائة حبة ، والمضاعفة تكون على حسب حال المنفق واخلاصه واحسانه ، وتقع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها وان ثواب الانفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الايمان والاخلاص عند النفقة وهو اخراج المال بقلب ثابت ، قد انشرح صدره باخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند اخراجه غير جزع ولا هلع ولا نفس متعبة .

وفى هذا المثل نجد ان الحياة تتوالد وتتضاعف أضعافا كثيرة ، وذلك بتلك الخصوبة المماثلة فى تلك الحبة التى أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبل مائة حبة ، وهذه الخصوبة المماثلة فى الحبة هى خصوبة القلوب التى أخصبتها صلته بالله فصارت معادن الخير وينابيع حياة وثروة للانسان بالبذل والعطاء فى الدنيا ، وحفظه من الافات والفساد والفسوق ، ومضاعفة الاجر فى الآخرة ، ثم نجد فى مثل آخر فى نفس السورة يعرض صورة أخرى تتلاقى مفاد المثل الاول فى عموم الغرض ، فيضرب مثل النفقة فى ابتغاء وجه الله بجنة على ربوة عالية ، فهى نقية التربة اذا أصابها وابل تشربت منه ما تزداد به خصوبة ، وتركت الباقي ينحدر الى القيعان ، فاذا لم يصبها وابل لاتظماً لانها ترتوى من قطر الندى بطهره ونقاءه فهى مخصبة فى كل حال نامية أبدا .

- وجه الشبه :

والجامع بين المثلين هو أنه ضرب مثل الانفاق بالبذر فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره ، باذر ماله فى ارض زكية ، مغلة بحسب بذره وطيب أرضه ،

وتعاهد البذر بالسقى وتنقية النباتات الغريبة عنه ، فاذا اجتمعت هذه الامور جاء أمثال الجبال وكان مثله كمثل حبة بربرة وهى المكان المرتفع الذى تكون الحبة فيه نصب الشمس والرياح ، فتربى الأشجار أتم تربية شمنزل عليهما من السماء مطر عظيم القطر متتابع فرواها ونماها ، فأتت أكلها ضعف ماتوته غيرها بسبب ذلك الوابل ، وان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القدر يكفيها لكرم منبتها تزكوا على الطل وتنمو عليه وفى ذكـر الوبابل والطل اشارة الى نوعي الانفاق الكثير والقليل فمن الناس من يكون انفاقه وابلا ، ومنهم من يكون انفاقه طلا ، والبربرة هى قلب المؤمن لما فيه من ترفع عن الدنيا ، وفى الجنة النامية فوق هذه البربرة الاثر الطيب وأعمال البر التى هى كالظل فى حياة الانسان ، فالقلوب المؤمنة بالله ورسالة الخير هى التى تثير فيها الحياة الانسانية حياة صحيحة وتخصبها خصوبة طاهرة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يشبه المؤمن بخامة الزرع ، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الرياح كفاتها فاذا اعتدلت تكفاً بالبلا ، والفاجر كالارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء) (١) . وذلك لما فيه من نفع لحياة الانسان ويرجى خيره دائماً فى كل حال ، فقلب المؤمن كالبربرة التى عليها الجنة لا ينقطع عطاؤها لانها تمدها فى كل حال ان لم يصبها وابل فطل .

- أثر النفقة فى سبيل الله :

وعند النظر فى الآية الاولى نجد أن النفقة فى سبيل الله ربما تشوبها شائبة من الرياء أو المن أو الأذى كما وضحته الايات التى بعدها، ثم بينت بعد ذلك الآية الثانية النفقة فى سبيل الله تكون مقبولة هى التى تكون طلباً لمرضاة الله تعالى خالصة لوجهه الكريم من غير من ولا أذى ولا رياء ، (وتثبتا من أنفسهم) أى تصديقاً لوعده الله ناشئاً من أنفسهم ،

(١) صحيح البخارى (١٤٩/٧) الطب . باب فى كفارة المرض .

وهذان شرطان أساسيان فرحة النفقة وقبولها ونمائها وزكائها ، فان المنفق
تعرضه عند انفاقه آفتان ان نجامنها كان مثله ما ذكر في الآية .

احدهما : طلبه بنفقته محمداً أو ثناء أو غرضاً من أغراضه الدنيوية ،
والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وتردها هل يفعل أولاً ؟

فالآفة الاولى تزول بابتغاء مرضاة الله ، والآفة الثانية تزول
بالتثبت فان تثبیت النفس تشجيعها وتقويتها على البذل (١) .

ثم نجد الآية الاولى بينت النبات نفسه في زكائه ونمائه وازدياده
بينما نجد في الآية الثانية فصلت ذلك وبينت الاسباب التي تؤدي الزيادة
هذا النبات وزكائه ونمائه وهي الربوة ، أي المكان المرتفع فهي تتعرض
أكثر لغروب الشمس وشروقها والرياح وتوفر التربة الخصبة فيها ، ووجود
الماء فيها أكثر من غيرها المطر الغزير وان لم يكن فطل ، مطر ضعيف
أو الرزاز أو الندى ، وللرازي مفهوم آخر في تفسير الربوة ، حيث قال :
واعلم أن المفسرين قالوا البستان اذا كان في ربوة من الأرض كان أحسن
وأكثر ريعاً ، ولى فيه اشكال وهو أن البستان اذا كان في مرتفع من الأرض كان
فوق الماء ولا ترتفع اليه أنهار وتضربه الرياح كثيراً ، فلا يحسن ريعه ، واذا كان
في وهدة من الأرض انصب اليه مياه الأنهار ، ولا يصل اليه اشارة الرياح
فلا يحسن ايضاً ريعه ، فاذا البستان انما يحسن ريعه اذا كان على الأرض المستوية
التي لا تكون ربوة ولا وهدة ، فاذا ليس المراد من هذه الربوة ما ذكره بل
المراد منه كون الأرض طينا حرا ، بحيث اذا نزل المطر عليه انتفخ وريا ونما
فان الأرض متى كانت على هذه الصفة يكثر ريعها وتكمل الأشجار فيها ، وهذا
التأويل الذي ذكرته متأكد بدليلين :

(١) أمثال القرآن : د . منصور العبدلى (٢٢٢) .

أحدهما : قوله تعالى : (واذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت)
والمراد من ربوها ما ذكرنا فكذا هاهنا .

الثانى : أنه تعالى ذكر هذا المثل فى مقابلة المثل الاول ، ثم كان
المثل الأول هو الصفوان الذى لا يؤثر فيه المطر ولا يربو ولا ينمو بسبب نزول
المطر عليه ، فكان المراد بالربوة فى هذا المثل كون الأرض بحيث تربو وتنمو
فهذا ما خطر ببالى والله أعلم بمراده (١)

قلت : وربما كان المقصود من المعنيين ، حيث لا مانع فى ذلك بأن
تكون منطقة مرتفعة وأرضها مستوية وترتبتها خصبة للنبات فتتأثر بسرعة عند
نزول المطر عليها فتزداد وتربو وتنمو ، وذلك كما هو معروف أن المناطق المرتفعة
تتعرض للأمطار أكثر من غيرها ، والآخرى مرتفعة ، ولكن أرضها صلبة صخرية
وترتبتها غير خصبة للزراعة والأرض الصخرية وان كان عليها تراب فان مجرد
نزول الماء عليها يزيل هذا التراب فيظهر صخرها وحجرها والله أعلم .

وكأن المعنى أن النبات الذى يتضاعف ويزداد هو الذى تتوفر له كل
أسباب النماء والزيادة ، من المكان العالى المرتفع والهواء والشمس
والترربة الخصبة ، ووفرة الماء باستمرار وذلك لتكمل الصورة بالمثل الحسى
المركب من عدة صور أمام الانسان ، فما حذف فى الآية الأولى ذكر فى الثانية
وما حذف فى الثانية ذكر فى الأولى ، وعندما يجد الانسان هذا التكثير فى النبات
وهذه الرخاوة وهذه الخصوبة يندفع هو بنفسه وبماله بمشاعر صادقة وإيمان
عميق ونية خالصة لله سبحانه وتعالى لان يعطى ويبذل من أمواله فى كل وجوه
الخير والبر ويضاعفه ، حتى يضاعف الأجر عند الله . وبعد استعراض
مشهد الحياة النامية الواهبة فى وصف الذين يخرجون أموالهم فى سبيل الله
ابتغاء مرضاته وطاعته توصف الحبة النامية التى فيها الحياة ، وهذا مشهدا
للزراع والنماء والعطاء ، وفى مضاعفة الحبة الواحدة الى سبعمائة حبة فى

(١) تفسير الرازى (٢/٣٣٦) .

اشارة للمشاعر الانسانية ، واحياء للضامير بالبذل والعطاء ، شـرط
أن لايقترن ذلك باليمن والأذى ، لانالمن والأذى كـريه المنظر فى الفعل والقول
فهو خسة فى النفس الانسانية ولؤم وشعور دنىء ، وهذا لا يكون الا صفة مـن
خرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ومرضاته .

أثر النفقة لغير الله عز وجل :

وكعادة القرآن الكريم فى خصائص أسلوبه انه يقرن المعانى
المتعارضة فى سياقواحد لتمييز الحقائق تماما ، فحين يذكر الجنة يذكـر
النماء ، وحين يصف المؤمن ، يصف الكافر ، وكذلك فى الآيات السابقة حين
وصف اخلاص النية فى النفقة تضاعفها ، وصف عقبها أيضا عدم الاخلاص لله فـى
النفقة فيه هلاك للمنفق فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا
صدقاتكم باليمن والأذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولايوئم بالله واليوم
الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرن على
شء مماكسبوا والله لايهدى القوم الكافرين) (١) . فالوابل الذى أصاب
الجنة التى هى مثل الانفاق فى سبيل الله ، أصاب هو نفسه الصفوان الذى
هو مثل الانفاق فى سبيل الناس فصار عنصرا مشتركا فى الصورتين التى أتت
للمتمثيل ، ولكن أثره متناقض تمام التناقض ، فهومن المنافق ابرز جوهـره
المضمحل الخسيس السىء .

وهناك آثار طاقات الحياة والنماء فى النفس العامرة بالخير والايمان
فآتت أكلها ضعفين ، فالوابل يشير الى تلك الهزات التى يتعرض لها الانسان
فى حياته فتنجلى بها حقائق النفوس ، فترى به النفوس الكاذبة وتظهمـر
بجورها القائم ، وترى النفوس الصادقة تشرف بمعانى الخير الفياض ، وهناك
جنة وربوة ، وثمار وطل ، وهنا حجر وتراب زائف ، هناك حياة زاهية تمدها

(١) سورة البقرة (٢٦٤) .

صلدا : أى صلبا يابسا أملسا . انظر لسان العرب (٤٦٣/٢) .

السموات والأرض وقلوب عامرة بالخير ، وهنا صلادة وموت ، وقلوب قاسية صلدة صلبة كاللجر أو أشد حيث قال تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (١) .

وهى قلوب الكفر والنفاق ، حيث أن القرآن يشبه الايمان فى القلوب بالحياة والكفر والنفاق بالموت ، فقال تعالى (أو من كان ميتا فاحييناه) (٢) .

وفى الآيات الأخرى يقول تعالى : (والله لا يهدى القوم الكافرين) هذه القلوب الخبيثة الخسيسة الدنيئة لاتنفق الا من أجل الناس رياء وسمعة وافتخارا ، فيتبع انفاقها من وأذى تعال وتكبر على الناس وجرح لمشاعرهم واستحقارا لحالهم ، ثم لايدوم ذلك منهم حتى تنكشف حقيقة امرهم فى الانفاق ومقصدهم منه ، كما ينجلى التراب عن الحجر الصلد فتظهر حقيقة ويعرف أنه غير نافع لبقاء حياة النبات عليه . (٣) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى وصفهم فى مثل ٣ آخر فى سورة آل عمران وذلك بعد أن تكلم عن احوال الكافرين وأموالهم وأولادهم وحال نفقتهم أنهم مهمما أنفقوا من أموالهم فلن تقبل منهم ، فقال تعالى : (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ، مثلما ينفقون فهذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) (٤) .

(١) سورة البقرة (٧٤) .

(٢) سور الأنعام : (١٢٢) .

(٣) مقتبس بتصريف من :

- الأمثال فى القرآن / ابن القيم الجوزية (٢٥٣-٢٥٥) .

- التصوير البيانى / د. محمد ابوموسى (٩٨-١٠١) .

- فى ظلال القرآن / سيد قطب (٣٠٦/١-٣٠٩-٤٥١) .

- التفسير القيم / ابن القيم (١٥٠) (١٦٠) .

أعلام الموقعين (١٨٤/١-١٨٥) .

(٤) سورة آل عمران: (١١٦-١١٧) . ص : شدة البرد. انظر لسان العرب (٤٢٨/٢) .

هذا هو حال من أنفق ماله في غير طاعة الله ومرضاته ، مثل الزرع ،
الذى زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره ، فاصابته ريح فيها صر والصـر
على معان :

١ - قال أكثر المفسرين واهل اللغة ، الصر : البرد الشديد وهو قول
ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد .

٢ - ان الصر هو السوم الحارة والنار التى تغلى وهو اختيار ابى بكر
الاصم و ابى بكر الانبارى ، قال ابن الانبارى ، وانما وصفت النار
بانها صر لتصويتها عند الالتهاب ومنه صرير الباب ، والصـرة
الصيحة ومنه قوله تعالى : (فاقبلت امراته فى صرة) (١) وعلي
القولين فالمقصود من التشبيه حاصل لانه سواء كان بردا مهلكا
او حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث والزرع (٢) .

فيصبح التشبيه بالريح فيها صر ، وهى شديدة الحرارة والبرودة
جدا ، شديدة البرد جدا ، يحرق بردها او حرها ما يمر عليه من الزرع
والثمار فاهلكت ذلك الزرع وايبسته ، (اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم) .

(ظلموا انفسهم) جاء فى تفسيرها وجهان كما ذكره الرازى :

١ - انهم عصوا الله فاستحقوا هلاك حرثهم عقوبة لهم ، والفائدة فى ذكره
وهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه
شيء ، وحرث الكافرين الظالمين هو الذى يذهب بالكلية ولا يحصل
منه منفعة لافى الدنيا ولا فى الآخرة ، فاما حرث المسلم المؤمن
فلا يذهب بالكلية ، لانه وان كان يذهب صورة فلا يذهب معنـى
لان الله تعالى يزيد فى ثوابه لاجل وصول تلك الاحزان اليه .

(١) سورة الذاريات : (٢٩) .

(٢) تفسير الرازى (٣/٣٥) .

٢ - ان يكون المراد من قوله (ظلموا انفسهم) هو انهم زرعوا في غير موضع الزرع او في غير وقته لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وعلى هذا التفسير يتأكد وجه التشبيه ، فان من زرع زرعاً في غير موضعه وفي غير وقته ، يضيع ثم اذا اصابته الريح الباردة كان اولى بان يصير ضائعاً فكذا هاهنا الكفار لما اتوا بالانفاق على غير وجهه لافى وقته ولافى موضعه ، ثم اصابه شؤم كفرهم ، امتنع ان لا يصير ضائعاً (١) .

قلت وفي كلا التشبيهين المعنى حاصل من التمثيل ، في ضياع انفاق الكافرين والمنافقين ، من المنافع الاخروية ، بسبب كفرهم مثل ضياع الحرث اذا هبت عليه ريح عاتية احرقتة واهلكته واقلعتة ، ولكن الارجح من التفسيرين ، التفسير الثانى لانه اكمل لاعطاء الفرض من التمثيل وهو الخروج عن طاعة الله ، وعن المنهج الربانى الصحيح ، ثم ان الصورة من المثل واضحة فيه ، وذلك بيان المثل وهو النفقة ، والممثل به وهو الحرث ، ووجه الشبه وهو الجامع بينهما ، الهلاك والدمار لكل من خرج عن الطريق السوى المستقيم ، وفى هذا يظلم الانسان نفسه فى مجالات حياته الدنيوية والاخروية والله اعلم .

وهكذا نجد المثل بالنبات ابرز الصور للناس حيث لعب دوراً كبيراً فى النفوس ، كي تسمح ببذل مالها فى سبيل الله وفى صالح المجتمع وذلك لما للمال من اثر على الحياة الاجتماعية ، فقرر مضاعفة الجزاء والثواب على ما يبذل ، واحاط القرآن ان هذه المضاعفة لاتكون الا بشرط ان لا يكون الانفاق رياءً ، وحتى تبذله النفس وهي راضية مغتبطة ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى (٢) .

(١) تفسير الفخر الرازى (٣/٢٥٠)

(٢) من بلاغة القرآن / احمد بدوى (٢٠٩) .

وبعد استعراض آيات الامثال بالنبات نجد ان الايات التي مرت معنا كانت الامثال فيها كلها من الامثال الحقيقية الحسية الصريحة المركبة سواء كانت بصورة كلية او جزئية ، وهي لاتخلو من اثنين ، اما تمثيل محسوس بمحسوس ، كما فى مثل اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبات ، والكلمة الطيبة بالنبات ، والنفقة بالنبات ، حتى تتضح الصورة اكثر وتظهر لسامعها ورائيها وقارئها واما تمثيل معنوى بمحسوس ، وذلكمثل امثال الحياة الدنيا بالنبات ، ونور الله سبحانه وتعالى بالنبات ، وذلك لتتضح الصورة وتظهر مكنونها .

ومن كل ماتقدم يظهر للمتدبر ان الله عز وجل قد ضرب المثل بالنبات والاشجار لما له من مكانة فى الكون ، ولكثرة انتشاره فى الارض فالنباتات والاشجار يجدها الانسان فى كل مكان يحيط به ، قديكون فى البيت الذى يسكنه وقد يكون فى الشارع الذى يسير فيه وقد يكون فى الطريق الذى يقطعه ذاهبا وآيبا .

وفى الصحراء ، فهو من الاشياء المألوفة المعروفة التى تشهد الانسان وتجذبه فتجعله كثير التامل والتدبر ، ومن ثم ف ضرب المثل به يكون اقرب اليه واسمى فائدة لديه .

المبحث الرابع

اسلوب الأمثال بالنبات فى الحديث النبوى الشريف و اثرها فى النفس

أولا : مثل المسلم بالخامة من الزرع فى احتمال المصائب :

ففى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث انتهت الرياح كفاتها فاذا اعتدلت تكفتا بالبلاء والفاجر كالارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء) .

٢ - وفى رواية عن عبد الله بن كعب عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الرياح مرة وتعديلها مرة ومثل المنافق كالارزة لاتزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة) (١) .

وفى صحيح مسلم عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تصرعها مرة وتعديلها اخرى حتى تهيج ، ومثل الكافر كمثل الارزة المجذبة على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة) (٢) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٤٩/٧) كتاب الطب ، باب ما جاء فى كفارة المرضى (١٦٨/٩) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (انما قولنا لشيء) .
صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن كالزرع .
الخامة : الطاقة الفضية اللينة من الزرع . انظر هامش صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) .
كفاتها : أماليتها . انظر المصباح المنير (٥٣٧) .
انجعافها : الانجعاف : الانقلاع . انظر هامش صحيح مسلم (٢١٦٤/٤) .
يقصمها : يكسرها . انظر مختار الصحاح (٥٣٩) .
تفيئها : تميلها . انظر هامش صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) .
مختصر صحيح مسلم : المنذرى (١٥) .
- (٢) صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) صفات المنافقين . باب مثل المؤمن .
المجذبة : الثابتة المنتصبه . انظر المرجع السابق .

وفى رواية اخرى : عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن كمثل الخامة
من الزرع تفيئها الرياح تصرعها مرة وتعديلها حتى ياتيها أجله ، ومثل
المنافق مثل الأرزة المجذبة التي لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها
مرة واحدة) (١) .

...

اولا : ضرب المثل للمؤمن بالنبات

ان المؤمن مبتلى فيحياته وهذا المثل الحسى الصريح المركب
منعدة صور من النبات ، يعطينا صورة واضحة عن الانسان المؤمن فيحياته
وما يعتريه من المصائب والبلايا وماهو موقفه من ذلك وعمق ايمانه
فيقبله ومشاعره وسلوكياته فى ذلك .

ففى الأحاديث السابقة نجد فى الحديث الأول مثل الرسول صلى الله
عليه وسلم المؤمن بالخامة من الزرع فيما يصيبه من البلايا فى جسده
ونفسه وأمواله وأولاده ، فانها تميله تارة يمنا وتارة يسرة وتارة
يعتدل بمعافاته منها وهذا مكفرا لسيئاته كما روى عن عبد الله بن
مسعود (٢) رضى الله عنه قال : (أتيت النبی صلى الله عليه وسلم فى مرضه
فمسسته وهو يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا ، وذلك أن لك
أجرين قال : أجل وما من مسلم يصيبه أذى الا حاتت عنه خطاياه كما تحات
ورق الشجر) (٣) .

-
- (١) صحيح مسلم (٢١٦٤/٤) كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن .
(٢) ذكره ابن حجر فى الفتح (١١١/١٠) .
(٣) صحيح البخارى (١٥٣/٧ - ١٥٧) كتاب الطب - فتح البارى (١١٠/١٠) باب
مايقال للمريض .
يوعك : يجد ألم الحمى وحرارتها . انظر لسان العرب (٩٥٣/٣) .
تحات : أى تلقيه بعيدا منتشرا . انظر لسان العرب (٥٦١/١) .

والمثال فى الأحاديث مركب من عدة عناصر بين الممثل والممثل به فمثل المؤمن مثل الخامة من الزرع، (والخامة من الزرع : هى الطائفة الغضبية الطرية اللينة من الزرع ، او هى النبتة الرطبة من النبات اول ما ينبت وفى المحكم هى اول ما ينبت على ساق واحد (١) .

وفى هذا المثل بيان لقلب المؤمن المفعم بالايمان فهو مثل النبات فى الليونة والطراوة والرقة والرحمة كما قال تعالى : (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة) (٢) .

وذلك بما يجده فى نفسه من حلوة الايمان والسكينة والطمأنينة كما قال تعالى فى وصف قلوب المؤمنين (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا) (٣) .

وقال تعالى : (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) (٤) .

وقال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) (٥) .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : (القلوب أربعة ، فقلب ٣ جرد فيه (٦) مثل السراج فزهـر

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى / القسطلانى (٣٤١/٨) .

عمدة القارىء/ العينى (٢٠٩/٢١) .

فتح البارى / ابن حجر (١٠٦/١٠) .

(٢) سورة الحديد (٢٧) .

(٣) سورة الفتح (٤) .

(٤) سورة النحل ، آية (١٠٦) .

(٥) سورة الرعد (٢٨) .

(٦) اجرد: اى ليس فيه غل ولاغش فهو اصل الفطرة فنور الايمان فىه

يزهر . انظر هامش المعجم الصغير للطبرانى (١١٠/٢) .

وذلك قلب المؤمن وسراج فيه نوره ، وقلب اغلف مربوطا على غلافه ،
فذلك قلب الكافر ، وقلب منكوس وذلك قلب المنافق ، عرف ثم انكسر
وقلب مصفح (١) وذلك قلب فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل
البقلة يمدها ماء طيب ، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها القيح والدم
فاى المدتين غلبت صاحبها غلبت عليه (٢) .

والزرع نوع من انواع النبات الغضى الطرى معرض لهبوب الرياح تميله
يمنة ويسرة فاذا انقلبت عنه اعتدل ، وكذلك المؤمن معرض لهبوب
المصائب تميله البلىا يمنة ويسرة ، كما قال صلى الله عليه وسلم
(مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تميله ولايزال المؤمن يصيبه
البلاء) (٣) . حتى يرتبط دائما بذكر الله سبحانه وتعالى ، وفى هذا
فائدة له كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى اكثر الناس بلاء عن
عبد الله قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقللت
يا رسول الله انك توعك وعك شديد ا قال اجل انى اوعك كما يوعك رجلان
منكم قلت ذلك ان لك اجرين ؟ قال اجل ذلك كذلك مامن مسلم يصيبه
اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (٤)

(١) مصفح : المصفح من له وجهان يلقي اهل الكفر بوجه وأهل الايمان بوجه

وصفح كل وجهه ناحيته . انظر هامش المعجم الصغير (١١٠/٣) .

(٢) المعجم الصغير : الطبرانى (١١٠/٢) (١٤٠٣هـ) .

مسند احمد (١٧/٣) قال الهيثمى رواه احمد والطبرانى فى الصغير
وفى اسناده ليث بن ابي سليم (٦٨/١) جاء فى خلاصة تذهيب
تهذيب الكمال للحافظ الخزرجى (٣٢٣) قوله قال احمد ليث
مضطرب الحديث .

(٣) صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) صفات المنافقين . باب مثل المؤمن .

(٤) صحيح البخارى (١٥٠/٧) كتاب الطب . باب أشد الناس بلاء .

صحيح مسلم (١٩٩١/٤) كتاب البر والصلة . باب ثواب المؤمن .

وفى رواية اخرى عن الزهري قال اخبرني عروة بن الزبير ان عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها) (١) .

وعن ابي سعيد الخدري وابراهيم بن زهير رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يبهمه الا كفر به من سيئاته) (٢) .

وذلك لرقته ولطفه ولينه كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال : (مثل المؤمن مثل السنبلة ، تستقيم مرة ، وتخمر مرة ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال مستقيمة حتى تخمر ولا تشعر) (٣) .

(١) صحيح البخارى (١٤٨/٧) كتاب الطب . باب ما جاء فى كفارة المرضى .

صحيح مسلم (١٩٩٢/٤) البر والصلة . باب ثواب المؤمن .

(٢) مختصر صحيح مسلم : المنذرى (٤٧٦-٤٧٧) كتاب البر والصلة .

صحيح مسلم (١٩٩٣/٤) البر والصلة . باب ثواب المؤمن .

صحيح البخارى (١٤٨/٧) الطب . باب ما جاء فى كفارة المرضى .
وصب : الوجع اللازم .

نصب : تعب

الهم يبهمه : يغمه . انظر فى المعانى هامش صحيح مسلم (١٩٩٣/٤) .

(٣) الجامع الصغير للسيوطى (١٥٤/٢) وقال حسن وجاى فى فيض القدير

شرح الجامع الصغير المناوى (٥١٢/٥) قوله اخرجه البزار بسند

رجاله ثقات وعزاه الى احمد عن جابر وفى سنده ابن لهيعة .

مسند احمد (٣٤٩/٣) قال فى الفتح الربانى للبنا (١١٣/١) فى

ابن لهيعة وهو ضعيف .

وقال فى تذكرة الحفاظ للذهبي كثير الوهم فى حديثه

(٢٣٨/١) .

ثم ان فى هذا المثل بيان ان المؤمن حتى وان مال احياناً
واتبع شهوة نفسه وعصى الله سبحانه وتعالى الا انه يرجع مرة اخرى الى
الله سبحانه وتعالى ، واذا ذهب عنه البلايا اعتدل واستقام فى صحتة
ايمانا وجسداً . ثم يرجع مرة اخرى فيعتدل ويستقيم ويتوب الى الله نادماً
متحسراً ، وهكذا طوال حياته الى ان يموت ، مثل النباتات اذا ذهب عنها
الرياح استقامت واعتدلت واذا اتتها الرياح من اى جهة كانت امالتها
وفى هذا بيان قوة صبره فى السراء والضراء وشكره لله سبحانه وتعالى
فى السراء والضراء ، وشدة بأسه عند حلول المصائب ، فيكتب له الخير
مقابل ذلك وقد اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن صهيب رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجبا لامر المؤمن ، ان امره
كله خير ، وليس ذاك لاحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكــــان
خييراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (١) .

فاذا كان هذا حال المؤمن فما هو حال الكافر ؟

ثانياً : ضرب المثل للكافر بالنبات :

حال الكافر يختلف تماماً عن المؤمن ايمانا وبدناً ونفساً وعملاً
فهو كالارزة ، والارزة هى نوع من الشجر الكبير الضخم المعتدل الصلب
الثابتة فى الارض (٢)

-
- (١) مختصر صحيح مسلم : المنذرى (٥٥٦) كتاب الزهد .
صحيح مسلم (٢٢٩٥/٤) الزهد . باب المؤمن أمره كله خير .
(٢) انظر شرح السنة / البيهقى (٢٤٨/٥) باب شدة المرض .

الذى لاتحركه هبوب الريح فتبقى صلدة صماء الى أن يقصمها الله سبحانه وتعالى مرة واحدة يكسرها من وسطها او قلعها من جذورها ، وهذا بقدرته عز وجل (ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لاتهتز حتى تستحصد) (١) .

فالكاfer يعطيه الله سبحانه وتعالى الدنيا ، وياخذ حظه منها فى الصحة والعافية قويا صلبا وفي هذا استدراج له ليزداد فى معاصيه وكفره وطغيانه وبعده عن الله عز وجل ، حتى يأخذه الله عز وجل بغتة بأسوأ انواع الامراض والبلايا وعلى أسوأ حال من الكفر والفسوق فيقصمه فجأة بالهلاك ، وفى تمثيله صلى الله عليه وسلم أيضا بقساوة وصلابة وشدة الاشجار مايدل على قساوة قلب الكافر والمنافق فمهما تصيبه البلايا والمصائب فهو يكون قاسى القلب صلب ، بل أشد واصلب من الحجارة ، فلا يلين قلبه لذكر الله ولا لطاعته ، ولا تعرف الرحمة والطمأنينة طريقا الى نفوسهم ، فقال تعالى مصورا قلب الكافر وحاله : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة) (٢)

وفى آية أخرى (قلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم) (٣)

وفى غيرها : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) (٤) .

(١) صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) . كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن كالزرع .

سنن الترمذى (٢٢٨/٤) ابواب الامثال .

تستحصد : اى لاتتغير حتى تقتلع مرة واحدة . انظر هامش صحيح مسلم السابق .

(٢) سورة البقرة (٧٤) .

(٣) سورة الانعام (٤٣) .

(٤) سورة الزمر (٢٢) .

وفى هذا المثل استدراج للكافير فى تنعمه بنعم الدنيا وعدم
بلاءه حتى لاتكون له هناك فرصة للتكفير عن سيئاته ، ثم تحصى عليه كل
ذنوبه وسيئاته ويكفيه كفره بالله عز وجل وهو اعظم الذنوب والسيئات
فيندم حيث لاينفع الندم ، ويقول : (ياويلتنا مال هذا الكتاب لايفاد
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) (١) وقد قال المهلب فى ذلك : ان المؤمن
حيث جاءه امر الله عز وجل انطاع له ، فان وقع له خير خرج به وشكر
وان وقع له مكروه صبر ورجا فيه الخير والاجر ، فاذا اندفع عنه اعتدل
شاكرا ، والكافر لايتفقه الله باختباره بل يحصل له التيسير فى
الدنيا ليتعسر عليه الحال فى المعاد ، حتى اذا اراد الله اهلاكه قصمه
فيكون موته اشد عذابا عليه واكثر الما فى خروج نفسه ،

وقال غيره : المعنى ان المؤمن يتلقى الاعراض الواقعة عليه
لضعف حظه من الدنيا فهو كاوائل الزرع شديد الميلان لضعف ساقه ، والكافر
بخلاف ذلك (٢) .

الفرق بين الفاظ الاحاديث لبيان الغرض من التمثيل :

ولو نظرنا للحديثين لوجدنا :

- ١- ان الحديث الاول فيه تفصيل فى المثل والممثل به فى عناصره وجزئياته
كما ذكر سابقا .
- ٢- واما الحديث الثانى ففيه اجمال وذلك ان فى الرواية الاولى ذكر
المثل صريحا ، وادخل عليه الكاف وذلك للتوكيد ، ودخول الكاف

(١) سورة الكهف : (٤٩)

(٢) فتح البارى / ابن حجر (١٠٧/١٠) .

ارشاد السارى / القسطلانى (٣٤١/٨) .

عمدة القارىء / العينى (٢١٠/٢١) .

على مثل زائدة للتأكيد ولتزيين اللفظ (١) .

٣ ما الرواية الاخرى دخلت (الكاف) على الخامة مباشرة فهي هنا تكون بمعنى المثل (اى مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع واذا كانت فى الرواية الاولى قد اتت مع لفظ (المثل) فمن حيث اعرابها : انها خبر فى قوله (كمثل) للمبتدأ لانها اسم فىكون التقدير (مثل المؤمن مثل مثل الخامة من الزرع) ، كما ذكر الشوكاني فى تفسيره عند قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (٢) .

(مثلهم) مرتفع بالابتداء ، وخبره الكاف فى قوله (كمثل) لانها اسم : اى مثل مثل الذى استوقد (٣) .

اذا معنى هذا ان الكاف اسما بمعنى المثل سواء كانت مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً .

مثل قوله تعالى : (كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة) (٤) .

فالكاف هنا فى موضع رفع مبتدأ (اى انتم مثل الذين) (٥) او نصب على المفعول ل مثل (فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم) وفى قوله تعالى : (او كالذى مر على قرية) (٦) .

اسما فى موضع جر معطوف على (الذى) التقدير (او الى المثل الذى مر على قرية) او صفة لمصدر محذوف مثل قوله تعالى (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) (٦) .

(١) من روائع الادب النبوى / د . كامل سلامة الدقس (٤٠) .

(٢) سورة البقرة (١٧-١٨) .

(٣) فتح القدير / الشوكانى (٤٦/١) .

(٤) سورة التوبة (٦٩) .

(٥) سورة البقرة (٢٥٩) .

(٦) سورة النساء (٧٧) .

الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره (اى خشية مثل خشية الله) (١) .
اذا معنى ذلك ان لفظ (المثل) تكرر فى الحديث ، والتكرار فى اللفظ
يفيد التوكيد ، وكذلك فى الجملة يفيد التوكيد ، كما ذكره ابن عزيمة
فى كتابه عند قوله تعالى : (حتى اذا اتيا اهل قرية استطعموا
اهلها) (٢) .

تكرر لفظ (اهل) على سبيل التوكيد ، وعند قوله تعالى :
(فانمع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا) (٣) الظاهر ان التكرار
للتوكيد (٤) .

- ٣- فى الرواية الاولى نجد اتجاه الريح من كل ناحية وتأثيرها على النباتات
اما فى الرواية الاخرى اكتفى بتأثير الريح على النبات وذلك ليبين لنا
ان المؤمن مبتلى بكل انواع البلياء .
- ٤- وصف الكافر وتشبيهه بالارزة ، بالقوة والصلابة والقسوة ، بينما اكتفى
فى الرواية الاولى بالاستمرار لها لبيان استدراج الكافر فى نعيم الله
عز وجل حتى تاخذه بغتة .

(١) انظر فى ذلك : املاء مامن به الرحمن: ابى البقاء العكبرى (٦١/١) علي
هامش الفتوحات الالهية/دراسات لاسلوب القران الكريم/ محمد
عبد الخالق عزيمة/ القسم الثالث (٢/١١٤-١١٥-١١٦) .

(٢) سورة الكهف (٧٧) .

(٣) سورة الشرح (٦٥) .

(٤) انظر فى ذلك :

دراسات لاسلوب القران الكريم/ د. محمد عزيمة/ القسم الثالث (٤/١٥-١٩)

الاتقان فى علوم القران / السيوطى (٢/٦٦) .

البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٢/٣٨٦) .

تاويل مشكل القرآن / ابن قتيبة (٢٣٥) .

اعجاز القرآن / ابو عبدة (١/١٢) .

فن البلاغة/ د. عبد القادر حسين (٢٢١) .

من بلاغة القرآن / احمد بدوى (١٤٦) .

دلالات التراكيب / د. محمد ابوموسى (٣١١-٣٢٢) . (=)

٥ - اذا ما أجمل في الرواية الثانية فصل في الرواية الأولى ، وذلك ليعطى المثل بالنبات في صورة واضحة عن حال وهيئة الكافر والمؤمن الايمانية من حيث القوة والضعف والشدة واللين والصلابة والقسوة والرحمة والظراوة :

٣ - فناسب ان يذكر مع الكافر حيث القوة والقسوة والصلابة والقسم والانعجاف ، وهو الانقلاع والخلع والكسر من الجذور والاصول وهذا الاسلوب لا يكون مناسباً الا للصلابة فالصلابة والقوة لابد أن يقابلها الشدة والقسوة .

ب - وحيث اللين والرحمة واللفظ مناسب أن يذكر معه التكفراً والتفياً وهو الميل من جانب الى آخر والرجوع مرة أخرى وحيث أن غصن النبات رقيق فناسب التعبير بأسلوب اللين واللفظ ، وفي امالة النبات والمؤمن فائدة ظل ورحمة ، ففائدة المؤمن للبشرية هو دائماً يظلمهم بالنصح والارشاد والدعوة الى الله ، عن تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (١) كالنبات عندما يميل يلقي ظله على غيره ، ولما في الظل من الحنو والنداوة والرحمة واللفظ واسترواح النفس ، كذلك المؤمن تستريح له النفس البشرية في قوله وفعله .

(=) قضية الاعجاز القرآني / د. عبدالعزيز عرفه (٢٤٨) .

الكواكب الدرية شرح متحمة الاجرومية / الاهدل (١٠٠-٩٩/٢) .

(١) صحيح مسلم (٧٤/١) الايمان ، باب بيان ان الدين النصيحة .
صحيح البخاري (٢٢/١) كتاب الايمان . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة .

ثانيا : مثل الانسان بالنبات الجيد والردىء فيتمسكه بقراءة القرآن وتركها :

١ - فى صحيح البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن كالتمر طعمها طيب ولاريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولاريح لها) (١) .

٢ - وفى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) (٢) .

ان النبات فيه كثير من المنافع وفى أغلبه كذلك ، الا أن بعضه مضر للانسان أو لا يعطى نفعا ماديا للانسان ، لذلك نجد الحديد مثل الانسان المؤمن والفاجر أو المنافق كما فى رواية مسلم ببعض أنواع النباتات كالأترجة والتمر والريحان والحنظلة ، فتكون الصورة التمثيلية مركبة من عدة صور بين الممثل والممثل به ، وهى كما يلى :

(١) صحيح البخارى (١٩٨/٩) كتاب التوحيد / قراءة الفاجر .

(٢) مختصر صحيح مسلم / للحافظ المنذرى (٥٦٠) باب مثل من يقرأ القرآن ولا يقرؤه .

صحيح مسلم (٥٤٩/١) فضائل القرآن / فضيلة حافظ القرآن / تعليق
محمد قواد عبدالباقي (ط ٣) (١٣٩٧هـ) المكتب الاسلامى .

١ - أنه لما فى الأترجة (١) من جميع المنافع - كما ذكر فيها - أنها أفضل ما يوجد من الثمار فى سائر البلدان ، وأجدى لأسباب كشيورة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها فمن ذلك :
كبر حجمها وحسن منظرها ، وطيب طعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ بالابصار صفة ولونا ، فاقع لونها تسر الناظرين ، تتشوق اليها النفوس قبل تناول تفيد آكلها الالتذاذمذوقها طيب نكهته ودباغ معدة ، وهضم واشتراك الحواس الأربع البصر والذوق والشم واللمس فى الاحتفاظ بها ، ثم ان اجزاها هى القشر ، واللحم ، والحماض ، والبزور ، وفى كل جزء من جزئياتها فوائد ومنافع للانسان (٢) .

(١) الأترجة : قال فى المخصص : الأترج والترنج - ويسمى الأترج المتك واحدته متكه (المخصص فى اللغة ٣/١٩٦) .

قلت : وهو شجر من جنس الليمون يقال له أيضا " الترنج " وتسمية العامة الأترج .
وذكر فى صحيح مسلم : هى ثمار جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ الهامش / محمد فؤاد عبد الباقي (١/٥٤٩) .
(٢) انظر : عمدة القارى / العيني (٢٠/٣٨) وانظر : زاد المعاد فى هدى خب والعباد / ابن قيم الجوزية (٣/١٥٦) - وانظر : كتاب الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢١٩) ذكر فيه كل المنافع المستفادة من قشره ولحمه وبذره ، وحماضه ، يستفيد الانسان منه فى منع السوس من الثياب ويستفاد من رائحته شما ، ويستفاد من لحمه غذا ودوا ، من كثير من الامراض ، وقال ابن سينا : فى القانون فى الطب : ان شرابه يقوى المعدة ويعمل شرابه من قشره (القانون فى الطب : ابن سينا ٣/٣٧٠) وقد ذكر فيه هذه الطرفة (ان بعض الاكاسرة غضب على قوم من الاطباء فأمر بحبسهم وخيرهم أدما لا يزيد لهم عليه فاختراروا الأترج ، فقليل لهم : لم اخترتموه على غيره؟ فقالوا : لانه فى العاجل ريحان ، ومنظره مفرح ، وقشره طيب الرائحة ، ولحمه فاكهة وحمضه آدم ، وحيه ترياق ، وفيه دهن) (الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٢٠) .

فحقيق بنبات مثل هذا أن يمثل المؤمن به لما فيه من المنافع للبشرية في هذا الوجود ، فمثل طعم الأترجة باعتبار باطن الانسان لان طعم النبات لا يكون الا في داخله ، ولا يعرف الا عند أكله ، كذلك باطن الانسان لا يعرف الا بقوله وفعله ، ومثل الريح بظاهر الانسان لأن المؤمن عندما يقرأ القرآن يكون ذلك ظاهر منه لغيره ، وشهادة على ايمانه كما روى عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان ، فان الله يقول: انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة) (١) .

ثم هو يقرأ بنية خالصة لله تعبدا لا يقصد رياء ، فيتأثر به داخله خشوعا وخضوعا ، ويقتبس منه تفقها ، ويطبقه حكما وعملا ثم يظهر ذلك فيما ينفع به البشرية من أحكام كتاب الله .

- ٢ -

ذكر الحديث أن المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، فالتمرة لها طعم ، وليس لها ريح وباعتبار ان الايمان أصل في الانسان والطعم اصل في النبات ، فراعى في المؤمن الاصل والجوهر وتوكل منه الظاهر ، راعى فيه الايمان من حيث انه مؤمن ، وحتى ان لم يكن تاليا للقرآن في الحال أو لم يداوم ويستمر على قراءته ، انما يقرأه فترة ويتركه أخرى ولكنه مع ذلك فهو مطبق لأحكامه متبع له ، كذلك التمرة جوهرها وأصلها الطعم فهي محتفظة بالطعم وان لم يكن لها ريح ظاهر يشد الأكل لها ، ولها منافع كثيرة للانسان ، فهو فاكهة وغذاء ودواء وحلوى وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : (من تصبح بسبع تمرات عجوات لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (٢) .

(١) سنن الترمذى (١٢٥/٤) كتاب الايمان . قال هذا حديث حسن غريب ، باب ماجاء في حرمة الصلاة .

وجاء في المعاصد الحسنة للسخاوى : وصحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم (٣٩) : صحيح ابن خزيمة (٣٧٩/٢) ، المستدرک للحاكم (٢١٣-٢١٢/١) الصلاة . سورة التوبة (١٨) .

(٢) صحيح البخارى (١٧٩/٧) كتاب الطب عن عامر بن سعد عن سعد . باب الدواء بالعجوه .

صحيح مسلم (١٦١٨/٣ - ١٦١٩) كتاب الأشربة . باب فضل تمر المدينة .

وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة: (بيت لاتمر فيه
جياع أهله) (١) .

وقال تعالى مادحا التمر مبينا منافعه : (وهزى اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٢) .
فمن هنا كان تمثيل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن بالتمر .

٣ - بما أن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن القارىء وغيره
القارىء بنوعين من النبات ، فهناك نباتات تقل منافعتها أو لا تكون
لها منافع للانسان بل تعتبر ضارة له ، كذلك البشر منهم الصادق
النافع لغيره ومنهم الكاذب الضار لغيره ، ولجل أن تكمل الصورة
التمثيلية لابد أن تكون المقارنة بين ضدين ، فالحديث ذكر
المؤمن ، والايمان ضد الكفر ، والمؤمن ضد الكافر والمنافق
والنبات النافع ضد الضار ، فكما مثل المؤمن من بالنبات النافع
ناسب أن يمثل المنافق بالنبات الذى لا يتجاوز نفعه الظاهر ،
لان المنافق عند قراءته للقرآن لا يكون الا ظاهرا فقط ، فهو لا يتأثر
به ولا تنفعه القراءة لان الاصل والجوهر معدوم عنده وهو الايمان ،
وتكون قراءته على هذا رياء فتكون عليه لاله ، ولا يستطيع
أن ينفع أحدا من البشرية بما فى كتاب الله ، لان تلاوته لم تجاوز
حنجرته كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فى صحيح
البخارى عن ابى سعيب د الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : (يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز

(١) صحيح مسلم (١٦١٨/٣) كتاب الأشربة . باب فى ادخال التمر .

(٢) سورة مريم (٢٥) .

تراقبيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لايعودون فيه حتي يعود السهم الى فوقه قيل ماسيماهم : قال: سيماهم التحليق او قال التسييد (١) .

وذلك لان قلوبهم لم تتأثر به ، فكان تمثيله بالريحانة التي فيها بعض المنافع وهي طيب الرائحة وعلاجا لبعض الامراض يستعمل ظاهرياً — شماً فنستفيد من رائحته او يوضع على موضع الالم فيستفيد من خاصيته (٢) .

وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (فاما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنت نعيم) (٣) . وقال تعالى : (والحب ذو العصف والريحان) (٤) .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عرض عليه ريحان فلا يردده فانه خفيف المحمل طيب الريح) (٥) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٩٨/٩) كتاب التوحيد . باب قراءة الفاجر . تراقبيهم : جمع ترقوة وهى العظم الذى بين نقرة النحر والعاتق . يمرقون : يخرجون . فوقه : موضع الوتر من السهم . سيماهم : العلامة . التحليق : هو ازالة الشعر . التسييد : استئصال الشعر . انظر فى المعانى عمدة القارى (٢٥/٢٠١) .
- (٢) الطب النبوى / ابن قديم الجوزية (٢٤٢) .
- (٣) سورة الواقعة (٨٨-٨٩) .
- (٤) سورة الرحمن (١٢) .
- (٥) صحيح مسلم (٤/١٧٦٦) كتاب الالفاظ . باب استعمال المسك . وكراهة رد الريحان المحمل : أى خفيف الحمل . انظر هامش صحيح مسلم السابق .

وفى سنن ابن ماجه من حديث أسامه بن زيد رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (ألا مشمر للجنة ، فإن
الجنة الجنة لاخطر لها وهى " ورب الكعبة " نور يتلألأ ، وريحانة
تهتز ، وقصر مشيد ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجه وثمره نضيجة
وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، فى مقام أبد فى حبرة ونضرة ،
فى دور عالية ، سليمة بهية ، قالوا : نحن المشمرون لها يارسول
الله قال : قولوا ان شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه (١) .

وحسن تمتيل المنافق القارىء بالريحانة وذلك حيث ان الريحان
هو كل نبت طيب الريح فكل أهل بلد يخصونه بشيء من ذلك فأهل الغرب
يخصونه بالاسى ، وهو الذى يعرفه العرب ، وأهل العراق والشام
يخصونه بالحبق (٢) .

وقراءة المنافق ليس تلاوته وقراءته ذاتها طيبة بايمان وخشوع
وانما المتلو هو الطيب ، أى القرآن طيب فكسبت تلاوته الطيب من
الطيب وهو القرآن ، واستفاد صوته جمالا وزين صوته بكتاب الله ،
وقد روى عن البراء ابن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (زينوا القرآن باصواتكم) (٣) .

وذلك حيث انه اذا سمعه غيره استطاب ذلك وظنه مؤمن وهو غير ذلك
والنفاق هو الكفر الباطن ، فمخال بالريحانة لأن باطنها مر ، فكذلك
هو باطنه مر ، فلم ينتفع ببركة القرآن ، والريحانة كما مر معنا فى

-
- (١) سنن ابن ماجه (٢/١٤٤٨ - ١٤٤٩) كتاب الزهد ، باب صفة الجنة .
قال فى الزوائد : فى اسناده مقال والضحاك المغافرى الدمشقى ذكره
ابن حبان فى التقات وقال الذهبى فى طبقات التهذيب : مجهول ،
وسليمان بن موسى مختلف فيه وباقى رجال الاسناد ثقات .
مشمر : ساع لها . مطرد : جار عليها .
حبرة : نعمة وسعة عيش . نظرة : حسن الوجه
انظر فى المعنى هامش سنن ابن ماجه السابق .
- (٢) الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٤١) .
- (٣) سنن ابى داود (١/٣٣٨) كتاب الصلاة . قال الخطابى : معناه ==

الحديث السابق دائمة الاهتزاز لانها نبات خفيف لاتقوم على ساق قووى صلب وانما هى من صغار الاشجار التى لاتقوم على ساق صلبة ، والمنافق كذلك دائم التردد لايستقر على حال لا الهوى لاء ، ولا الى هـــــــــــــوء لاء ف نفسه دائما مهتزة لفساد عقيدته ، وكما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : ففى صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة ^(١) بين الغنميين تعبير ^(٢) الى هذه مرة والى هذه مرة) .

وفى رواية اخرى (تكر فى هذه مرة وفى هذه مرة) ^(٣) .

٤ - واما المنافق الذى لا يقرأ القرآن ، فكان تمثيله بنبات سىء مثله تماما باطنا وظاهرا وهو (الحنظل) والحنظل لاينتفع به لظاهره ولا باطنا طعمه مر ، والطعم المر لا يستساغ ولاتقبله النفس بل تنفر منه وليس له ریح ، او له ریح ولكنه مر كما ذكر فى الرواية الأخرى فى آخر كتاب فضائل القرآن (ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أوخبیث وریحها مر) ^(٤) .

فالمقصود أن فى كل الحالىن لاينتفع به لا له ولا لغيره ، فاذا كان ليس لها ریح فهذا مفقود أصلا اذا النفع غير موجود ، وان كان لها ریح مر ، فالنفع ايضا لم يحصل منها لانه مر وهو سىء لاتقبله

(=) زينوا أصواتكم بالقرآن . هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث وزعموا انه من باب المقلوب ورواه معمر عن منصور عن طلحة ، فقدم الاصوات على القرآن وهو الصحيح / معالم السنن/الخطابى (١٣٧/٢) سنن النسائى (١٣٩/٢) وقال شعبة نهانى ايوب ان احدث بذلك ، والاصح (زينوا أصواتكم بالقرآن) .

(١) العائرة : المترددة الحائرة لاتدرى ايهما تتبع .

(٢) تعبير: تتردد وتذهب . انظر المعنى هامش صحيح مسلم (٢١٤٦/٤) .

(٣) صحيح مسلم (٢١٤٦/٤) كتاب صفات المنافقين .

صحيح ابن حبان (٤٢٢/١) كتاب الايمان

(٤) صحيح البخارى (٢٤٤/٦) فضائل القرآن . باب من رايا بقراءة القرآن .

سنن الترمذى (٢٢٧/٤) الأمثال . باب مثل المؤمن القارىء .

النفس ، والريح لايوصف بالطعم لانه يشم والطعم بالمذاق ، ووجه هـذا بان ريحها لما كان كريها استعير للكراهة لفظ المرارة لما بينهما من الكراهة المشتركة (١) . فيكون المعنى لا ريحا لها طيبة ، فتارة أخبر بوجود ريح خبيثة ، وتارة بعدم وجود ريح طيبة .

والمنافق مثل الحنظلة تماما لم يحصل منه النفع تماما لظاهره ولا باطنا فهو لم يكسبه ظاهرا بالرياء تلاوة ، ولم يكسبه باطنا بالايمان به وتطبيق أحكامه ، فكيف يكون النفع به ؟

اذا كان فاقدا للمادة التي يعطيها ، وفاقد الشيء لا يعطيه وقد قال شارح مشكاة المصابيح في هذا الحديث : ان هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه الا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم ان كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره وان العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير في باطن العبد وظاهره وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لانصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائى ، او بالعكس وهو المؤمن الذى لا يقرأ القرآن .

وابراز هذه المعانى وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلائمها اقرب ولا احسن ولا اجمع من ذلك لان المشبهات والمشبه بها وارادة على التقسيم الحاصر ، لأن الناس اما مؤمن أو غير مؤمن والثانى اما منافق صرف او ملحق به ، والأول اما مواظب على القراءة او غير مواظب عليها ، فعلى هذا قس الاثمار المشبه بها ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح ، ثم ان اشبهت القراءة في قوله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن على صيغة المضارع ونفيها في قوله لا يقرأ ليس المراد منهما حصولها مرة ونفيها بالكلية بل المراد

(١) عمدة القارىء/ العينى (٣٨/٢٠) باب فضل القرآن على سائر الكلام .

وانظر : عارضة الاحوذى: ابن العربى (٣٠٩/١٠) .

منها الاستمرار والدوام عليهما وان القراءة دأبه وعادته (١).

الفوائد من هذا المثل :

- قد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب المثل الى أمور منها:
- ١- أنه ضربه بما يخرج الشجر للمشابهة بينه وبين الأعمال فانها من ثمرات النفوس .
 - ٢- ومنها أنه ضرب مثل المؤمن بما يخرج الشجر ومثل الكافر بمثل تنبته الارض تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله وانحطاط شأن المنافق واحباط عمله .
 - ٣- ومنها أن الشجر المثمر لا يخلو عن يغرسه ويسقيه ، وكذا المؤمن يقيض الله له من يعلمه ويهديه ، ولا كذلك الحنظلة المهملة فلا أحد يهتم بهافي تنبت بالبرية (٢) .

...

(١) انظر :

ارشاد السارى / القسطلانى (٤٦٨/٧) .

عمدة القارى/ العينى (٣٨/٣٠) .

تحفة الاحوذى / شرح سنن الترمذى / الميباركفورى (١٦٥/٨) .

شرح السنة ولبغوى (٤٣٢-٤٣١/٤) فضل تلاوة القرآن .

(٢) فيض القدير / المناوى (٥١٣/٥) .

ثالثاً : ضرب المثل للمؤمن بالنبات في النفع به :

١ - في صحيح البخارى عن عمران يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم
(مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات فكل القوم : هي شجرة كذا ، هي شجرة كذا ، فأردت ان أقول هي النخلة
وانا غلام شاب فاستحييت ، فقال هي النخلة) (١) .

٢ - وفي رواية أخرى أيضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (اخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم
تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ولا تحترق ورقها ، فوقع في نفسي
النخلة فكرهت أن أتكلم وشم أبوبكر وعمر ، فلما لم يتكلموا
قال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة ، فلما خرجت مع أبي
قلت يا أبتاه وقع في نفسي النخلة ، قال: ما منعك أن تقولها
لو كنت قلتها كان أحب الي من كذا وكذا قال ما منعني الا انني
لم أرك ولا أبابكرتكلمتما فكرهت) (٢) .

وفي رواية من كتاب العلم من مجاهد قال: صحبت ابن عمر
الى المدينة فلم أسمع يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا حديثا واحدا ، قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتني
بجمار فقال (ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم فأردت
أن أقول هي النخلة فاذا انا اصغر القوم فسكت قال النبي صلى
الله عليه وسلم هي النخلة) (٣) .

(١) صحيح البخارى (٣٦/٨) كتاب الادب / باب الحياء (ما لا يستحي من
الحق للتعرفه في الدين) .

صحيح مسلم (٢١٦٦/٤) كتاب صفات المنافقين / مثل المؤمن مثل
النخلة .

(٢) صحيح البخارى (٤٢/٨) كتاب الادب / باب اكرام الكبير ويبدأ الاكبر
بالكلام والسؤال .

(٣) صحيح البخارى (٢٨/١) كتاب العلم باب الفهم في العلم .

وفى رواية مسلم : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم يوما لأصحابه : (أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن)
فجعل القوم يذكر شجرا من شجر البوادي ، قال ابن عمر : وألقى في
نفسى أو روى أنها النخلة ، فجعلت أريد أن أقولها ، فاذا أسنان
القوم فأهاب أن أتكلم فلما سكتوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
" هي النخلة " (١) .

ان لما فى التمثيل من اعطاء صورة واضحة ظاهرة لما هو مكنوننا
خفيا واخرجه الى حيز الوجود ، وبيانه فى منافعه والاخذ بها أو ضرره
للابتعاد عنه فقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الروايات السابقة
المثل الصريح الحقيقى للمسلم المؤمن بالنخلة وهو تمثيل حالة معنوية بذات حسيمة
مركبة من عدة صور، وفى رواية البخارى فى باب الفهم فى العلم فصلت وبينت الجامع
بين المؤمن والنخلة وفى رواية مسلم أبهمت الرواية وأجمعت الجامع بين المؤمن
والنخلة، ولكن فى بعض الروايات فى صحيح البخارى فى مواضع متعددة
مختلفة بينت ووضحت بعض المشابهة بين المؤمن والنخلة ، وفى صحيح
البخارى أيضا فى الادب (باب اكرام الكبير . . .) فصل شئ من
هذا الاجمال فقال صلى الله عليه وسلم : (أخبروني بشجرة مثلها مثل
المسلم تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ولا تحت ورقها) (٢) .

وفى الرواية الاخرى أيضا فى كتاب الادب : (مثل المؤمن كمثل
شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات) (٣) .

اذا الميزات التى فى هذه الشجرة وهى النخلة ، والنخل نوع من
أنواع الشجر لانه يقوم على ساق صلبة قوية ترتفع الى أعلى ليس لها

-
- (١) صحيح مسلم (٤ / ٢١٦٥) كتاب صفات المنافقين / باب مثل المؤمن .
 - (٢) صحيح البخارى (٨ / ٤٢) الادب . باب اكرام الكبير .
 - (٣) صحيح البخارى (٨ / ٣٦) الادب . باب ما لا يستحيا من الحق .

فروع وانما لها رأس أو رأسان أو ثلاثة رؤوس ومن كل رأس يتفرع
الجريد وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى:
(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك
آيات لقوم يعقلون) (١) .

وتتميز عن بقية النباتات ، اذ أنها لاتموت اذا غمر
مجموعها بالماء ، لانها تحمل الهواء من الجو الخارجى الى المجموع
الجذرى فيساعده على التنفس فلا يتلف ولا يتعفن ، ولاشجار نخيل التمور
قابلية ملحوظة على سرعة اعادة انتاج جذور جديدة محل ماتفقده من
جذور) (٢) .

فلذلك قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم (ان من الشجر
شجرة مثلها كمثل المسلم) وفي أخرى (مثل المؤمن كمثل شجرة)
وفي غيرها (أخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم) .

والميزات هي كما بينتها الأحاديث (لايسقط ورقها ولا يتحبات)
(وأنها خضراء) (تؤتى أكلها كل حين) .

الوجه الجامع المشترك بين المؤمن والنخلة كما فى الحديث مايلى:
١ - فى قوله (لايسقط ورقها) أى ان هذا صفة للنخلة مختصة بها
دون غيرها وهي عدم سقوط ورقها ، لان النخلة ليس لها ورق مثل
بقية الاشجار يمكن أن تسقط اذا جفت ولكن لها سعف وجريدة
وعدم السقوط ايضا صفة للمسلم المؤمن فكما لايسقط للنخل ورق كذلك
المؤمن لاتسقط له دعوة وهو ما رواه ابن أبى أسامة فى هذا

(١) سورة الرعد (٤) .

(٢) التمور والنخيل (٤٢) .

الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : (ان مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة ، أتدرون ماهي ؟ قالوا : لا . قال : هي النخلة لا تسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤ من دعوة) (١) .

وعدم سقوط ورق النخل دليل على أن النخلة لا تعرى عن لباسها من الورق ، والمؤمن كذلك لا يعرى من اللباس الظاهري ليقى نفسه به من آفات الدنيا وحياء وطاعة لله عز وجل ، ولا يعرى أيضا من لباس التقوى فلباس النفس الورع ، ولباس القلب قطع الأمل ونفى الطمع في الدنيا والبشر ، ولباس الروح سلوك الصراط المستقيم دون سائر الطرق (٢) .

والمؤمن المخلص الصادق لا يتعرى من ذلك كله لظاهرا ولا باطنا .

واما الجامع بين المؤمن والنخلة في قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات) فوصفها صلى الله عليه وسلم بدوام الخضرة دليل على كثرة خيرها ودوامه ومنافعها من جميع الجهات (٣) .

وذلك لأن الشجرة وقت اخضرارها تعطي ثمرها ولا يسقط ورقها وفي الاخضرار طراوة ونداوة تحي نفس الانسان وتوتسه وتجعله مرتبطا به ، ثم اذا جفت وييبست وذهبت خضرتها انقطع ثمرها وهش ورقها وتساقط ثم تذروه الرياح ، والمؤمن كذلك يبطل طول عمره اخضرا طريا نديا بحلاوة

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ابن حجر) (١٣٤/١) كتاب العلم / تقديم سيد صقر .

تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : المباركفوري (١٦٧/٨) الامثال .

هدى السارى شرح صحيح البخاري / القسطلانى (١٥٨/١) العلم .

عارضة الاحوذى / شرح صحيح الترمذى / ابن العربي (٣١٤/١٠) .

(٢) عارضة الاحوذى / ابن العربي (٣١٣/١٠) الامثال .

(٣) عمدة القارىء / العيني (١٦٦/٢٢) الأدب .

الايمان ، مرتبطا دائما بالله عز وجل فى احواله وأقواله وأفعاله
ليله ونهاره ، سرائه وضرائه ، سره وعلانيته .

٣ - ثم فى قوله صلى الله عليه وسلم : (توتى أكلها كل حيين)
قال ابن العربى ان الحين : ظرف زمان وهو مبهم لاتخصيص فيه ولاتعيين
فى المفسر له ، وهذا مقرر لغة مجمع عليه من علماء اللسان
انما يفسره ما يقترن به وهو يحتمل ساعة لحظية ويحتمل سنة ،
كما اختلفت الاقوال فى ذلك (١) .

فان قلنا كل سنة على من يرى ذلك وهو قول مجاهد وعكرمة
وذلك لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة (٢) .

فالوجه الجامع من ضرب المثل بين المؤمن وبين النخلة فى
ذلك هو أن المؤمن يوتى زكاة أمواله كل عام ويصوم كل عام ويحج كذلك (٣) .

وان قلنا كل لحظة أى كل وقت من غدوه وعشيه من خضب وجذب
ومطر وقحط ، فان ثمر النخيل يوتى كل أبدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء فيؤكل
منها الجمار (٤) والطلع (٥) والبلح (٦) والخلال (٧) والبسر (٨) والرطب (٩) ،

-
- (١) احكام القران / ابن العربى (١١٨/٣) سورة ابراهيم .
 - (٢) تحفة الاحوذى / المباركفورى (٥٤٦/٨) .
 - (٣) عارضة الاحوذى / ابن العربى (٣١٣/١٠) .
 - (٤) الجمار: قلب النخلة ومنه يخرج التمر والسعف وتموت بقطعه . انظر المصباح المنير (١٠٨)
 - (٥) الطلع : هو ما يبدو من ثمرة النخل فى اول ظهورها وهو شئ يخرج
كأنه نعلان مطبقان والتمر بينهما منضود . انظر لسان العرب (٦٠٥/٣) .
 - (٦) البلح: ثمر النخل مادام أخضر قريبا الى الاستدارة . انظر المصباح المنير (٦٠) .
 - (٧) الخلال: ثمر النخل مادام أخضر قريبا الى الاستدارة وهو البلح واهل
البصرة يسمونه خلال . انظر لسان العرب (٢١١/١ - ٨٩٥) .
 - (٨) البسر: ثمر النخل اذا أخذ فى الطول والتلون الى الحمرة أو الصفرة . انظر لسان العرب (٢١١/١)
 - (٩) الرطب : ثمر النخل اذا أدرك ونضج قبل أن يتتمر . انظر المصباح المنير (٢٣٠) .

وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الحين الطرى الرطب ، فأكلها دائم فى كل وقت (١) .

فعلى هذا القول المؤمن كذلك لا ينقطع عمله لله أو لعباده فى غنى أو فقر أو صحة أو مرض .

- فوائد النخل :

وليست هذه الخصال فقط التى حددتها وبينتها الآيات فى النخلة وإنما هناك كثير من الميزات والخصال والمنافع الموجودة فى النخلة دون سائر غيرها من الأشجار والنباتات ، فإن النخلة هى النبات الوحيد الذى ذكر فى القرآن باسمه ، وتعرف دائما باسمها وليس باسم ثمرها ومعظم ما ذكر من الأشجار فى القرآن ذكر بثمره مثل الزيتون والرمان والعنب ولا يعرف الا بثمره .

١- فوائد التمر والرطب أكلا :

ذكرت ثمرة النخلة مرة واحدة فى القرآن وذلك عندما أمر الله سبحانه وتعالى السيدة مريم بالأكل من ثمرها عندما جاءها المخاض السري جذع النخلة ، فقال تعالى : (فأجاءها المخاض الذى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيامنسيا ، فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلوا واشربوا وقرى عينا) (٢) .

وفى هذا دليل على ما فى ثمرها من الفوائد للانسان وخاصة للمرأة الحامل والمخاض ، فمن كان يعرف أن فى الرطب الجنى مادة تساعد على تسهيل الولادة غير الله سبحانه وتعالى ، فمن هنا أمر السيدة مريم بالأكل منه

(١) تحفة الأحوذى / المباركفورى (٥٤٦/٨) .

(٢) سورة مريم (٢٣-٢٦) .

عند ولادتها وذلك لان المادة التى تشبه مادة الاكسينوسين التى تساعده على الولادة والموجودة فى الرطب لم تعرف عند نزول القرآن الكريم أو قبله ولم تعرف الا حديثا ، والتمر يحوى على مادة تنبه تقلصات الرحم وتزيد من انقباضها وخاصة أثناء الولادة ، وهذه المادة تشبه مادة الاكسينوسين ، وتبين من الابحاث المجراة على الرطب أنها تحوى مادة مقبضة للرحم ، وتقوى عمل عضلات الرحم فى الاشهر الأخيرة للحمل فتساعد على الولادة من جهة ، كما تقلل كمية النزف الحاصل بعد الولادة من جهة أخرى ، وأن فى التمر مسادة مليئة ، ومعلوم أن المليينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة . بتنظيفها للقولون ، ان الحكمة الالهية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة (١) .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على اطعام المرأة عند نفاسها التمر ، فعن سلمى بنت قيس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فانه من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليما ، فانه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله طعاما خيرا من التمر لأطعمها اياه) (٢) .

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم اذ قال : (بيت لتمر فيه جياح آهله) (٣) .

(١) الاعجاز الطبى فى القرآن والاحاديث النبوية / الرطب والنخلة . د. عبدالله عبدالرزاق السعيد (١٠٩) ط ١ (١٤٠٥هـ) دار السعودية للنشر .

(٢) الرطب والنخلة : د. عبدالله السعيد (٢٨) . قال الشوكانى : (رواه الخطيب عن مسلم بن قيس مرفوعا ، وفى اسناده : سليمان النخعي وداود بن سليمان كذابان) (الفوائد المجموعة للشوكانى (١٨١) تحقيق عبدالرحمن اليماني / عبدالوهاب عبداللطيف ، ط ١ ١٣٨٠ هـ / المحمدية / القاهرة .

وانظر كشف الخفاء / العجلونى (١٣٤/١) تنزيه الشريعة المرفوعة / الكنانى (٢٤٠/٣) .

(٣) صحيح مسلم (١٦١٨/٣) الاشرية . باب فى ادخال التمر . سنن الترمذى (١٧٢/٣) كتاب الأطعمة . باب ما جاء فى استحباب التمر .

وفى صحيح مسلم : عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(لايجوع أهل بيت عندهم التمر) (١)

فجاء فى كتاب الاعجاز الطبى : حقا لو تأملنا التركيب الكيماوى
للرطب والتمر على ضوء الابحاث والتحليلات فى العصر الحديث ، لوجدنا
أن فيها غذاء مفيد ودواء بلسما لبعض الحالات الجسمانية (٢) . فالتمر يحتوى
على الاملاح المعدنية ، كالسيوم ، حديد ، فسفور ، بوتاسيوم ، كبريت ،
صوديوم ، كلوريد ، ماغنسيوم ، منغنيز ، نحاس ، كوبالت ، زنك ،
فلورين .

ويحتوى كذلك على فيتامينات بأنواعها ، وسكريات ، وأحماض وبروتينات
ودهون ، ونشويات (٣) .

فلهذا يعتبر الرطب والتمر أفضل غذاء للجسم لما يستفيد منه
استفادة عظيمة وهو الغذاء الرئيسى لاهالى الجزيرة العربية وخاصة فى
الماضى ، فقد كانوا يتوقدون قوة وصحة ونشاطا وذكاء ، وحدة فى النظر
والصحة والعافية ، وذلك لاعتمادهم الاساسى فى الغذاء على التمر ، وكم
أن للتمر قيمة غذائية كبيرة مفيدة للجسم يعتبر غذاء كاملا لما يحتويه من
المواد كما ذكرت سابقا ذو قيمة طبية كبيرة مفيدة للجسم فهو علاج لكثير
من الأمراض منها الروماتيزم وامراض العيون ، وضعف النظر ، والضعف
العام ، وأمراض الأعصاب ، والدم ، والكبد ، والكلى والخلايا والعظام (٤) .

-
- (١) صحيح مسلم (١٦١٨/٣) الاشربة . يباب فى ادخال التمر .
(٢) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (١٠٩) .
(٣) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (١٣-١٤-١٥) .
النخيل والتمور / د. طاهر خليفة / محمد جوانه / محمد السالم (٧٥-٧٠) .
(٤) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد . (انظر من صفحة
١٣٢ - ١٤١) .

وهذا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قيمتها الغذائية
فى صحيح البخارى عن سعد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : (من تصبغ بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم
ولاسجر) (١) .

وفى رواية أخرى (من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك اليوم) (٢)
وفى سنن النسائى وابن ماجه من حديث جابر وابى سعيد رضى الله
عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : (العجوة من الجنة وهى شفاء
من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين) (٣) .

وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: (ان التمر يذهب
الداء ولا داء فيه) (٤) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٧٩/٧) الطب . باب الدواء العجوة .
صحيح مسلم (١٦١٨/٣) الاشربة . باب فضل تمر المدينة .
- (٢) الرطب والنخل (٢٩) د . السعيد / لم أقف على نصه ولكن له شواهد
صحيحة كما فى الرواية السابقة (من تصبغ بسبع تمرات ٠٠٠) .
- (٣) زاد الميعاد / ابن قيم الجوزية (١٧٥/٣) وأخرجهما مسلم فى الأشربة
بدون لفظ العجوة عدة روايات عن عمرو بن نفيل ، وسعيد بن زييد
(١٦١٩/٣ - ١٦٢٠) سنن ابن ماجه (١١٤٢/٢ - ١١٤٣) الطب : اسناده
حسن / سنن الترمذى (٢٧٠-٢٧٠/٣) كتاب الطب عن ابى هريرة وقال
حديث حسن غريب . يئفس اللفظ المذكور فى النص .
- (٤) الرطب والنخلة : السعيد (١٧٥-١٧٧) جاء فى مجمع الزوائد : للقزويني
ابوسعيد رفعه : بنص (خير تمراتكم البرنى يذهب الداء ولا داء فيه)
(١٣٢/٢) وقال الشوكانى : رواه ابن عدى عن على مرفوعا ، وفى
اسناده اسحاق الغروى (متروك) وقال الذهبى : الحديث منكرو .
الفوائد المجموعة (١٨٠) وانظر تنزيه الشريعة/ الكنانى (٢٤٠/٢)
٠ (٢٥٥)
- ورواه الحاكم فى المستدرک (٢٠٤/٤) عن أنس ورواية عن ابى سعيد
الخدري وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى فى التلخيص
وقال: عثمان لا يعرف والحديث منكر (٢٠٤/٤) هامش المستدرک .

وقد ثبت علمياً أن الجراثيم الموجودة في البيئة لا تؤثر على التمر ولا تعيش فيه ، ويقول الدكتور جبار حسن النعيمي ، والدكتور الامير عباس : (٥٥٥٥٥٥ ان سكان الواحات لا يعرفون مرض السرطان ، والمعتقد ان غنى التمر بعنصر المغنسيوم هو السبب في ذلك ويمكن انتاج الكثير من الأدوية والمواد الكيماوية من التمور كالبنسيلن والترمايسين ، والعديد من المضادات الحيوية ، وفيتامين B_٦ ٥٥٥٥٥٥ وبعض الهرمونات (١) .

ويقول الدكتور عبدالقادر باشي : (التمر مصدر لدواء جديد يدعى (يوستونس) وهو مهم جدا في الطب حيث يصفه الأطباء لمعالجة الورماتيزم وأمراض العيون (٢)) .

٢- فوائد النوى :

ولم تتوقف فائدة ثمر النخل على الثمرة فقط ، وانما أيضا هناك كثير من الفوائد في نواة الثمرة ، فان النواة تحتوي على مواد كربوهيدراتية ودهون ، وبروتين ، وألياف (٣) .

والآن يستخرج من النواة زيوت ذات قيمة غذائية عالية تستخدم في الطبخ (٤) .

-
- (١) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (١٧٥-١٧٧)
 - فسلجة وتشريح ومورفولوجي نخلة التمر / د. النعيمي ، د. الامير (٢١٢)
 - (٢) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (١٧٧) .
 - سيدة الشجر / عبدالقادر باشي اعيان العباسي (١١١)
 - (٣) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (١٢٦-١٢٨)
 - النخيل والتمور بالمملكة العربية السعودية (٧١) .
 - (٤) الرطب والنخيل / د. عبدالله السعيد (٣٤٧) .

ويستعمل النوى علفا للماشية الابل والأغنام وخصوصا الماعز ويحتوى على نسبة لابأس بها من الكربوهيدرات والبروتين والدهن ، ولم يقتصر فى المادة الغذائية والطبية على ثمر النخل وإنما أيضا من الاعلاف مما يعد علفا طيبا (١)

٣ - فائدة قلب النخلة :

جمارها (وهولب النخلة) والجمارة هى لبة النخلة بعد قصها وقطع راسها حيث تؤخذ جمارتها من قلبها تكون لينة تؤكل وهى لذيدة الطعم وفيها قليل من الحلاوة ، ولها نكهة طيبة ، وهى تؤكل على طبيعتها كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأكلها ، وفى صحيح البخارى عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عند النبی صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جمارا فقال من الشجر شجرة كالرجل المؤمن فأردت أن أقول هى النخلة، فاذا أنا أحدثهم قال هى النخلة (٢) .

ويصنع منها حلوى ويصنع منها مخلل ويصنع منها شراب (٣)

٤ - فوائد الثمر الأخرى :

ويدخل ثمر النخل فى كثير من الصناعات المفيدة للإنسان مثل صناعة عسل النحل والسكر السائل، ونتاج الجلوكوز ، والفركتوز، صناعة الكحول والعلف للحيوانات من التمور الرديئة . صناعة الخل ، صناعة الحريير الصناعى من التمور ، اذ تعتبر التمور مادة أولية فى صناعة الحريير

- (١) الرطب والنخيل / د. عبدالله السعيد (١٢٦-١٢٨) .
- (٢) صحيح البخارى (١٠٣/٣) كتاب البيوع/ باب بيع الجمار .
- صحيح مسلم (٢١٦٥/٤) صفات المنافقين . باب مثل المؤمن .
- (٣) الرطب والنخل / د. عبدالله السعيد (٣٤٧-٣٥٠) .

الصناعى المسمى " الربيون " ولهذا الغرض يستعمل الكحول الايثيلى المستخرج من التمرور مع نفايات القطن .

صناعة بعض المواد الكيماوية مثل حامض الستريك ، والنار تريك .
والنوى كذلك يدخل فى كثير من الصناعات ، فهو يدخل فى صناعة نوعا من الفحم ، ويستخدم وقود فى أفران تبييض النحاس ، ويستعمل فى تحضير بعض الادوية والاكحال ، وكان النوى يستعمل فى العصور القديمة كغذاء رئيسى ، وذلك بعد نقعه فى الماء لعدة ايام ، حتى تلبين ثم يغلى مع الحليب ، ويؤكل ، ويستخرج منه الزيوت ويستعمل علفا للحيوان (١)

م- فوائد النخل الأخرى :

وأما الفوائد المجنية من النخل من غير الثمر فهى فوائد عظيمة مفيدة للبشرية لاتعد ولا تحصى فالنخلة عظيمة فى كثر خيرها ، ودوام ظلها وطيب ثمرها ، وجودها على الدوام رطبا ويابس كما قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرونى بشجرة تشبهه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا تؤتى أكلها كل حين ، قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النخلة ، فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة ، فقال مامنعك ان اتكلم قال لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا ، قال عمر لأن تكون قلتها أحب الى من كذا وكذا (٢) .

-
- (١) الرطب والنخلة / د. عبدالله السعيد (٣٤٥-٤٣٩) .
النخيل والتمرور فى المملكة العربية السعودية (٢٣٨-٢٤٤) .
(٢) صحيح البخارى (٩٩/١٠٠) . التفسير . باب سورة ابراهيم .
صحيح مسلم (٢١٦٦/٤) صفات المنافقين . باب مثل المؤمن ، واللفظ للبخارى .

وقد جاء في تفسير الآية (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) (١) لا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيوؤها ولا يبطل نفعها (٢) .

ومن خشبها وورقها وأغصانها يستعمل جذوعا وحطباً وحصياً ومخاصر وحصراً وحبالا ، وأوانى ثم جمال نباتها وحسن هيأتها ، وهيئة ثمرها فهي منافع كلها وخير وجمال وتستخدم أجزاءها ومخلفاتها في الوقت الحاضر في كثير من الصناعات ، صناعة الخشب المضغوط ، من جذوع وأغصان أشجار النخيل ، وصناعة ورق الكتابة والطباعة وذلك من الألياف والسعف ، صناعة المواد الخام وبعض المفرقات من جريد شجرة النخيل ، صناعة الماء المعطر من قشور طلع النخيل يستخدم طبيا ويسمى (ماء لقاح) ، صناعة مادة الفورفورال من فضلات النخلة كالسعف اليابس والعذوق بعد نفخ الثمار عنها ، ومادة الفورفورال هذه مهمة جدا تدخل في صناعات عديدة مثل ترشيح الزيوت الحيوانية والنباتية وفي صناعة النايلون ، ويتخذ كمادة مذيبة للأصباغ ، وفي إنتاج بعض المواد المكافحة للحشرات وصناعة بعض الأصباغ ، ان النخلة حتى عند موتها يستفاد منها شرابا يسمى (شراب النخيل) وهو شراب يستخرج من نسغ النخلة وذلك بأن يقطع قمة النخلة أفقيا وتعمل حفرة في وسط الجزء المقطوع حتى تبلغ الجمارة ، فتمتلئ هذه الحفرة بنسغ النخل وهو سائل حلو عسلي اللون طعمه شبيه بطعم الجمارة ، ثم يشرب هذا السائل طازجا بعد سكه في اناء ، وبعد الانتهاء من استخراج تلك العصارة اللذيذة الطعم لعدة أيام تموت النخلة (٣)

وبعد ذكر هذه المعلومة البسيطة ذو الفائدة العظيمة عن منافع النخلة وثمرها فلم يذكر الا الزبدة عنها ، ولو تناولت ذلك بالتفصيل لعجزت

(١) سورة ابراهيم (٢٤-٢٥) .

(٢) فتح الباري / ابن حجر (١٣٤/١) تقديم سيد صقر .

صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٤/١٧) .

هدى السارى / القسطلانى (١٥٨/١) .

(٣) انظر ذلك بالتفصيل في كتاب : الرطب والنخلة : د. عبد الله السعيد

(٣٥٣-٣٤٧) وكتاب النخيل والتمور (٢٤٤-٢٤٦) .

الأنامل من توقف اليراع عن أن يفى بالغرض ويشفى الغليل منها ، وحرى
بنبات هذه منافعه ، وهذا خيره وفضله أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم
(النخل والشجر بركة على أهله وعلى عقبهم) (١) .

وحرى بشجرة مثل هذه أن يكرمها الله سبحانه وتعالى ، وقد أشهر
عن مدحها الأثر من أقوال السابقين : (ان ليس من الشجر أكرم على الله
من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران) (٢) .

واليك ما قال عنها أبو حشمة عندما سئل أيهما أطيب : العنـب
أم الرطب ؟ فقال: ليس كالصقر (٣) فى رأس الرقل (٤) ، الراسخات فى
الوحد (٥) ، المطاعم فى المحل (٦) وتحفة الصائم ، ونزل مريم بنت عمران
وينضج ولا يعنى طابخه ، ليس كالزبيب الذى ان أكلته ضرت وان تركته
غرثت (٧) (٨) .

- النخلة والقرآن :

لقد أكرمها الله سبحانه وتعالى بأن ذكرها فى كتابه الكريم
فى (٢٢) موضعا من القرآن كله من سورة (البقرة) الى سورة (عبس)
ذكرت فى (١٧) سورة و (٢٢) آية فكانت آيتين فى سورة (الانعام) وآيتين
فى سورة (النحل) وآيتين فى سورة (مريم) وآيتين فى سورة (يس) وآيتين

-
- (١) الرطب والنخلة / د. عبد الله السعيد (٢٩) ذكره السويطى فى الجامع
الضعيف وقال ذكره الطبرانى عن الحسن بن على وهو ضعيف
 - (٢) الرطب والنخلة / د. عبد الله السعيد (٢٨) قلت هى رواية عن على رضى
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها الهيثمى وقال:
رواه أبو يعلى وفيه مسرور بن سعيد وهو ضعيف / مجمع الزوائد للهيثمى
(٤٢/٥) .
 - (٣) الصقر: السائل من الرطب وهو الدبس من غير طبخ . انظر المصباح المنير (٣٤٤) .
 - (٤) الرقل: النخل الطوال . انظر المرجع السابق (٢٣٥) .
 - (٥) الوحد: الطين . لسان العرب (٨٩٩/٣) .
 - (٦) المحل: التعب . انظر المصباح المنير (٥٦٥) .
 - (٧) غرثت : لصقت . انظر لسان العرب (٩٨٣/٢) .
 - (٨) انظر : الآمالى / ابي العلى القالى (٢/ ٦٦) .

فى سورة (الرحمن) الامة واحدة فى سورة الحشر ذكرها باسم لينة (١)
فقال تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبئس
الله (٢)) (٣) . ولم تذكر فى القرآن شجرة باسمها واسم ثمرها غير النخلة
وذكر ذلك فى آية واحدة فقال تعالى : (وهزى اليك بذعد النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا) (٤) .

فشجرة هذا تكريمها من الخالق عز وجل فلا بد أن تكون مباركة بما
أودع الله سبحانه وتعالى فيها من جم المنافع ، وقد سميت بالنخل ، والنخل
فى اللغة : هو الصفة والاختيار والافضل ، فيقال : نخل: نخل الشيء ينخله
نخلا وتنخله ، وانتخله صفاه واختاره ، وانتخلت الشيء استقصيت أفضله ، وتنخلته ،
تخيرته ، فالنخل التصفية ، والانتخال الاختيار (٥) .

فعلى هذا تكون النخلة هى اصطفاء الله سبحانه وتعالى واختياره ،
لتكون افضل نبات على هذه البسيطة فيستفيد منها البشر والدواب ومادامت
هى اصطفاء الله سبحانه وتعالى لها على سائر النباتات لعباده اذا هى
مباركة ، فكيف لاتكون مباركة وهى التى حن جذعها واشتاق الى الرسول صلى
الله عليه وسلم والى سماع كلامه ، وذلك عندما فارقه الرسول صلى الله
عليه وسلم بعد أن كان يخطب عليه الى منبر آخر قد صنع له عليه الصلاة
والسلام فجاء فى صفة الصفة عن جابر بن عبد الله قال : كان جذع يقوم
عليه النبى صلى الله عليه وسلم فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل
أصوات العشار ، حتى نزل النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه (٦) .

وقد أخرج هذه الرواية البخارى بهذا اللفظ ، عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى
شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يارسول الله ألا نجعل لك منبرا

-
- (١) لينة : نخلة وثمرها يسمى العجوة . انظر لسان العرب (٤٢٤/٣) .
 - (٢) سورة الحشر : (٥) .
 - (٣) انظر مصباح المنير : الفيومى (٥٦١/٢) تحقيق الشناوى .
 - (٤) سورة مريم (٢٥) .
 - (٥) لسان العرب / ابن منظور / مادة نخل (٦٠٤/٣ - ٦٠٥) .
 - (٦) صفة الصفة / ابن قيم الجوزية (٩٨/١) .
- العشار : الناقه التى آت عليها من وقت الحمل عشرة أشهر . انظر
المصباح المنير (٤١١) .

قال ان شئتم فجعلوا له منبرا ، فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه اليه وهى تتن أنين الضبي الذى يسكن . قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها (١) .

بوركت هذه النخلة باختيار الله سبحانه وتعالى لها وازدادت بركة بضمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا كان هذا حال النخل والجماد فى الحنين والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم والى ذكر الله عز وجل وسماعه له ، فكيف بالانسان المؤمن الذى يعتره البكاء والخشوع عند ذكر الله عز وجل وقد قال الله عز وجل فيه (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) (٢) .

فمن بركتها أن جعلها الله سبحانه وتعالى زينة الجنان فى الدنيا والاخرة ومن بركتها ان امر الله سبحانه وتعالى السيدة مريم بان تاكل من ثمرها الرطب الجنى اثنا مخاضها ، ولو كان هناك افضل منه غداً ودواء لوصفه الله عز وجل للسيدة مريم دونها ومن بركتها ان وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركة ، ففى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم جلسنا اذ اتى بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ان من الشجر لما بركته كبركة المسلم فظننت أنه يعنى النخلة فأردت أن أقول هي النخلة يارسول الله ثم التفت فاذا انا عاشر عشرة أنا أحدثهم ، فسكت فقال النبي صلى الله

(١) صحيح البخارى (٢٣٧/٤) كتاب بدء الخلق / باب علامات النبوة .

(٢) سورة الأنفال (٢) .

عليه وسلم هي النخلة) (١) .

وجه الشبه بين المسلم والنخلة :

فقد صدق خير البرية وهادي البشرية صلى الله عليه وسلم حين أجمل كل ما ذكرته عنها من المنافع والفوائد بأن وصفها بالبركة وأنهما شجرة مباركة من الله سبحانه وتعالى ، فهنيئاً لها من شجرة هذا اسمها وهذه فضائلها ومنافعها وهذا كرمها وتكريمها وبركتها بأن يمثل ويشبه بها المسلم ، فقد أصاب من مثلها ان المسلم وهو أفضل الخلق وأشرفهم صلى الله عليه وسلم ، فالمسلم عظيم والنخلة عظيمة ، فلا يمثل ويشبه العظيم الا بما هو عظيم مثله ، أو أعظم منه ولا يمثل ويشبه الحقير الا بحقير مثله ، فكما أن النخلة من أشرف النباتات وأعظمها ، كذلك المسلم المؤمن من أشرف وأعظم ذرية أبينا آدم عليه السلام ، والتمثيل هنا ليس المقصود به تمثيل ذات بذات ، اي ذات الانسان بذات النخلة ، لان الانسان من أكرم المخلوقات وأعظمها عموماً فلا يعادله شيء من المخلوقات ، ولا يشبهه حيث قال تعالى : (ولقد كرّمنا بني آدم) (٢) .

وقال تعالى : (وصوركم فأحسن صوركم) (٣) .

وقال تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) (٤) .

وانما المقصود به هنا تمثيل حالة بحالة ، بهيئة ، وذلك تمثيل حال النخلة وما تعطيه من منافع وخيرات كلها مادة كلها حسيات يستفيد منها الانسان نظراً وطعماً ولمساً وشماً ، بكل حواسه وجسده ، ومثلها بالانسان المسلم المؤمن حتى تتضح وتظهر حالته وهيئته وحقيقته المكنونة

(١) صحيح البخارى (١٠٤/٧) كتاب الاطعمة / أكل الجمار .

(٢) سورة الاسراء (٧٠) .

(٣) سورة غافر : (٦٤) .

(٤) سورة التين (٤) .

المخفية حلية واضحة كجلاء ووضوح النخلة فكما أن النخلة عظيمة البركة جامعة للمنافع كذلك المسلم عظيم البركة جامع للمنافع ، فهو لا ينفذ بذاته وشخصيته وإنما ينفذ بإيمانه بعهديته ، بأقواله وأفعاله ، بتعامله بطاعته لله سبحانه وتعالى ، فنفعه دائم في كل وقت من خصب وجذب مطر وقحط ، لا ينقطع عمله في غنى وفقر ، صحة أو مرض فهو كله خير من كثرة طاعات وعباداته لله عز وجل ، ومكارم أخلاقه ، فنفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته ، وهذا يؤيده ما رواه البزار من طريق سفيان بن عيينة عن أبي بشير عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك) (١) .

وقال ابن ماجه مثل المؤمن مثل النخلة ان جالسته نفعك وإن شاركته نفعك ، وإن صاحبتة نفعك ، وإن شاورته نفعك وكل شأن من شئونه منافع (٢) .

وذكر ان وجه التمثيل بين المسلم والنخلة من جهة الاصل والشبات ، فمثل الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم بالنخلة من حيث الايمان وأصله وثباته في قلب المؤمن كشبات لنخلة من أصلها في منبتها فالنخلة صلبة قوية ثابتة في مكانها لا يحركها شيء من الرياح والعواصف شامخة رافعة الرأس كذلك الايمان في قلب المؤمن من قوى صلبة ثابت لا يحركه شيء من أهوال الزمان والمكان ، بإيمانه شامخ رافع الرأس الى أعلى لا يخور أو يخضع أو يخفض وهذا ماورد في قوله صلى الله عليه وسلم ، ففي سنن الترمذي : عن أنس بن مالك قال : (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال : (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بـ))

(١) فتح الباري / ابن حجر: تقديم سيد صقر (١٣٥/١) .

فتح الباري / ابن حجر/ تحقيق عبد العزيز بن باز (١٤٧/١) .

هدى الساري / القسطلاني (٧٥/٩) كتاب الأدب .

(٢) عارضة الأحوذى الشرح صحيح الترمذي (٣١١/١٠) .

ربها) قال : هي النخلة (١) .

قال المفسرون : كلمة طيبة لا اله الا الله كشجرة طيبة هي النخلة
اصلها ثابت في الارض وفرعها في السماء أي رأسها توتى أكلها كل وقت
وقد شبه الله الايمان بالنخلة فشبات الايمان في قلب المؤمن كثبات
النخلة في منبتها ، وشبه ارتفاع عمله الى السماء بارتفاع فروع النخلة
وما يكتسبه المؤمن من بركة الايمان وثوابه في كل رقت وزمان ، بما ينال
من ثمر النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر (٢) .

ولنقرأ معا هذه الأبيات في مدح النخل ووصفها الشاعر محي الدين بن

عبد الظاهر اذ قال :

كأن النخل الباسقات وقد بدت لناظرها حسنا قباب زبرجد
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس (٣) عسجد (٤)

وقال السرى الرفاء :

فالنخل من باسق فيه وباسقه يضحك الطلع في قنواته الرطبا
أضحت شماريخه في النحر مقلعة اماثرياء واما معصما خضبا

وقال في البلح الاخضر :

اما ترى النخل قد نثرت بلحا جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحلا من زمرد خرطت مقمعات الرعس بالذهب

وفي البلح الأحمر :

انظر الى البسر قد تبسدى ولونه قد حكا الشقيقة
كانما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا (٥)

-
- (١) سنن الترمذى (٣٥٨/٤) تفسير سورة ابراهيم .
(٢) عمدة القارىء / العينى (١٥/٢) كتاب العلم .
(٣) أمراس : حبل . انظر لسان العرب (٤٦٨/٣) .
(٤) العسجد : من الذهب وهو اسم جامع لكل من الياقوت والذهب والزمرد
انظر لسان العرب (٧٧٣/٢) .
(٥) جواهر الادب السيد احمد الهاشمى (٢/٢٢٠ - ٢٢١) ط ٢٦ (١٣٨٥) مطبعة
السعادة . بمصر .

التعارض بين ضرب المثل للمؤمن بالنخلة والكافر بالأرزة:

وربما قائل يقول يوجد تعارض بين حديث تمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم المنافق بالأرزة ، وبين هذا الحديث في تمثيله المؤمن بالنخلة من حيث القوة والصلابة والثبات بينما هناك شبه المؤمن بالخامة من الزرع .

قلت: هذا واضح ، فتشبيه المؤمن بالخامة من الزرع من حيث ما يصيبه من البلاء في نفسه وماله وأهله فهو كثير البلاء مثل الخامة من الزرع فهي كثيرة التعرض للهبوب والرياح لخفتها ورقتها ، ولكن المؤمن مع هذا ثابت في عقيدته لا تغيره البلياء والمصائب ولا تضعفه ولا يتحرك إيمانه فهو قوى الإيمان صلب لا يتأثر بشيء مثل النخلة ، ومع بلائه وضعفه وصبره وقوة إيمانه فهو كثير المنافع مثل النخلة .

لكن الكافر مثل بالأرزة في القوة والصلابة ، وذلك لصلابته وثباته على الكفر فلا يحركه عنه شيء ولم يكثر الله سبحانه وتعالى البلاء له في الدنيا استدراجا له على كفره ثم أخذه بغتة وهو مع هذه القوة والصلابة ودوام صحته وخيره لا ينفع نفسه ولا غيره ، مثل الأرزة التي لا ينتفع بها فانها لا تثمر والله أعلم .

- بلاغة أسلوب الحديث :

ومن بلاغة أسلوبه صلى الله عليه وسلم نجد أنه مرة بدأ بذكر لفظ المثل ومرة بعد جملة فعلية ، ومرة بعد جملة اسمية ، وهذا كله من باب التفنن في العبارة ، وعلى تفنن مواقع المثل في العبارة في بداية الكلام أو بعد المشبه به أو أتى به في جانب الطرفين ، يراد به قياسا لا يوضح المعنى واعطاء برهانا ساطعا مصاحبا لظهور الصورة المركبة من عدة لقطات أمام القارئ أو السامع ليعرف الغرض والهدف من هذا المثال ، وهو إرادة تمثيل حالة بحالة ، وليس ذات بذات ولا حالة بذات ، وهذا هو أسلوب

البلغاء فانهم اذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة أعنى وصفيين منتزعين من متعدد وأتوا فى جانب المشبه والمشبه به معا أو فى جانب أحدهما بلفظ المثل ، وادخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما وذلك ليتبادر للسامع ان المقصود تشبيه حالة بحالة لاذات بذات ولا حالة بذات (١) .

وهذا هو المتبع فى كل الآيات والأحاديث التى مرت معنا فــــي

التطبيقات .

رابعاً: ضرب المثل للعلم بالنبات فى النفع به :

فى صحيح البخارى : عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لآتمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) (٢) .

وفى صحيح مسلم : عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان مثل مابعثنى الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان

(١) انظر فى ذلك : تفسير التحرير والتنوير (١/٣٠٤٠٣٠٣) الطاهر بن

عاشور .

(٢) صحيح البخارى (١/٣٠) كتاب العلم / باب فضل من علم وعلم .

لاتمسك ماءً ولا تنبت كلاً فذلكم مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثنا به
الله به ، فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله
الذي أرسلت به (١)

قال الدكتور كامل سلامه الدقي :

ان هذا الحديث يعد آية من آيات البلاغة النبوية التي أتاه الله
من التوفيق ما يهيء امامها جوامع الكلم ، فتأتى بالمعنى العزيز الكبير
في اللفظ القليل القصير ، وهي في توفيقها تدنى القصي وتظهر الخفي وتذلل
العشي وأول كلمة وردت في الحديث المثل ، حيث قد تضمن الحديث بياناً لمعظم
احوال الناس واقسامهم ، بالنسبة لما بعث الله به رسوله من الهدى
المؤدى الى رضوان الله وسعادة الانسان في الدنيا والاخرة ، والعلم بأصول
الدين واحكام الشريعة التي اختارها الله ، وجعلها خاتمة الرسالات وذلك
في صورة تشبيه بالغة في الروعة البيانية والمعنوية ، ابرزت اصنافاً
ثلاثة من الناس ، وقابلتها باصناف ثلاثة من الارض ، وما أروع هذا
التشبيه الذي اختار الأرض لتكون مادة للتشبيه ، فان الانسان خلق منها
واليها سيعود ، وما أبدع تشبيه العلم بالهدى اللذين انزلهما الله
تعالى للناس لاصلاحهم بالغيث الذي أنزله الله من السماء للأرض لبث الحياة
والحركة فيها (٢) .

— أقسام المثل في الحديث :

وقدم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدى والعلم بالغيث ، والأرض
بالانسان تمثيل صورتين معنويتين بصورتين حسيّتين ، صورتين معنوية وحسيّة
نازلة من السماء ، بصورتين حسيّة ومعنوية من الأرض المادة الهدى

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٨٨) كتاب الفضائل / باب بيان مثل ما بعث النبي

من الهدى والعلم .

(٢) من روائع الأدب النبوي/ د. كامل سلامه الدقي (٤٠) .

والعلم مقابلة الانسان ، والغيث مقبالة الارض والانسان هو الـــــــذى يتلقى الهدى والعلم والارض هى التى تتلقى الغيث وفى تلقى كليهما فائدة ومنفعة لنفسه ولغيره وهذه الفائدة هى الامر الجامع بين الممثل والممثل به . وفى الحديث امثلة منها:

١- تمثيل الهدى والعلم بالغيث .

٢- تمثيل اصناف الناس بالارض .

وذلك ليتجلى المعنى فى اتم مقاصده وتتأثر به النفوس ، وهذا من حسن بلاغته صلى الله عليه وسلم بان مثل الهدى والعلم بالغيث ، حيث أن الهدى والعلم وهما دين الله وعلوم شريعته بالغيث ، فكما ان الغيث ينزل من السماء الى الارض فلا يترك رملا ولا جبلا ولا تربة خسبة ولا حجرا صلدا ولا يفرق بينهم ، فهو ينزل على الجميع وذلك من قولـــــــه صلى الله عليه وسلم (أصاب أرضا) فهو هنا مجمل نكرة والنكرة تفيد العموم ثم بعد ذلك فصل بقوله (فكان منها نقية) كذلك دين الله وعلمه للبشرية جمعاء ، وما أحسن وأجمل تمثيل الهدى والعلم بالغيث فهما فيهما حياة الناس المعنوية والمادية بالعلم والهدى حياة الأرواح وبالمطر حياة الأبدان ، فكما أن الغيث يحيي الأرض الميتة فالهدى يحيي القلبـــــــوب الميتة (١) وهما امران احدهما معنوى (الهدى والعلم) والآخر حسي (الماء) نازلان من السماء ، من مكان واحد من علو يسمو على كل الوجود والكون نازلان وهما يحملان معهما كل السمو المعنوى على كل الوجود والكون والحسى ، يحملان معهما الطهارة والنقاء والصفاء ، والنظافة (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) (٢) .

(١) انظر :

اضواء البيان / للشنقيطى (٤٩/١) .

فتح البارى / ابن حجر / تحقيق الباز (١٧٧/١) .

فتح البارى / ابن حجر / تقديم سيد مقرر (١٦١/١) .

(٢) سورة الفرقان (٤٨) .

وقال تعالى : (و نزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات
وحب الحميد) (١) منزهان عن كل عيب ورجس ونقص لانهما منزلان من عند الله
سبحانه وتعالى خالق هذا الوجود ، وبهما تكون حركة الحياة فى الأرض
الحسية والمعنوية ، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات والله بما تعملون خبير) (٢) .

ومن ذلك قول الشاعر سابق البربرى :

العلم فيه حياة للقلب كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلى العمى عن قلب صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر
وليسر ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا البصير كأعمى ماله بصر (٣)

وحسن تمثيل الناس بالأرض وذلك لأنهم منها خلقوا واليها يعودوا، وبينهم
وبينها ارتباط وثيق فى حياتهم ، فعليها يقيمون وعليها يمشون ومنه
يستخرجون أرزاقهم ، وفيها حياتهم ومنافعهم والأرض قد قسمها الرسول
صلى الله عليه وسلم فى قبولها للغيث الى ثلاثة أقسام ، فكذلك الناس
فى قبول الهدى والعلم الى ثلاثة أقسام ، وهنا كان التمثيل الثالث فى
مماثلة كل فئة من الناس بما يناسبها ويشابهها من الأرض فى بعض الصفات
والمنافع ، والتمثيل فى أقسام الناس بالأرض ايضا هو تمثيل معنوى بحسى
وذلك أن الناس مختلفين فى تلقى المبعوث اليهم من الهدى والعلم ، فمنهم
من علم وعمل وعلم ، فهو كالأرض النقية شربت من المطر فحيت بعد موتها
واخصبت وانبتت النبات بانواعه المفيد للإنسان ولغيره فنفعت ، ومنهم
الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل به لكنه اداه السى
غيره ، فهو كالأرض التى يستقر فيها الماء فينتفع بها الناس دونها
حيث ينتفعون من ماءها التى حفظته فيشربون ويزرعون ويسقون ذوابهم ،

(١) سورة ق (٩) .

(٢) سورة المجادلة (١١) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر القرطبي (١/٥٠) .

وهو بذلك كالشمعة التي تضيء للآخرين وتحرق نفسها كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : (مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه) (١) .

وللعلم والعالم فضائل كثيرة بينها القرآن الكريم والسنة النبوية حيث قال تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (٢) .

وعن أبي امامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم (٣) .

ومنهم من ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فلم يلتفت الى ما جاء به عليه السلام من الهدى والعلم ، فهو كالارض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء من السحاب فلا انتفاع ولا تنفيج .

بلاغة أسلوب الحديث :

ومن بلاغة أسلوبه صلى الله عليه وسلم الدقة في اختيار الألفاظ على حسب ما يناسب المقام او الحال فقد قال : (كمثل الغيث) ولم يقل المطر ، أو ائى اسم من أسماء المطر وذلك ليبين شدة حاجة الناس ولهفتهم واضطرارهم الى العلم والهدى والى الغيث قال تعالى : (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنظوا) (٤) .

(١) هداية البارى الترتيب احاديث البخارى / عبدالرحمن الطهطاوى : (١٩٠/٢) .

شرح السنة للبلغوى / (٢٨٨/١) قال السيوطى : اخرجه الطبرانى عن
أبى برزة وهو حسن/ الجامع الصغير (١٥٤/٢) .
(٢) سورة الزمر (٩) .

(٣) رواه الترمذى فى السنن (١٥٤/٤) كتاب العلم وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . الرواية مختصره .

(٤) سورة الشورى (٢٨) .

وقد كان الناس قبل المبعث امتحنوا بموت القلوب حتى أصابهم
الله برحمة من عنده (١) .

وهكذا نجد بلاغته صلى الله عليه وسلم وروعتهما فى تقريب الحقائق
المعنوية فى صورة حسية تكاد تلمسها بيدك وتراها بعينك ، وتسمعها
بأذنك ، فانك ترى صوراً حية شاخصة متحركة متناسقة بين عالمى السماء
والارض ، وقد عمد عليه الصلاة والسلام الى التشبيه من بين فنون البلاغة
لان للتشبيه من حيث هو فن تصويرى جمالا وروعة متمثلين فى دقته وحسن
تصويره للمعنى (٢) .

علاقة ضرب المثل فى الحديث بالنبات :

وان كان التمثيل كما مر معنا سابقا هو تمثيل الهدى والعلم
بالغيث والناس بالارض الا أن له علاقة وثيقة بالنبات ، فالغيث والارض والتربة
هى عوامل الانبات للنبات ، فقد جعلها الله سبحانه وتعالى اسبابا للانبات
على وجه البسيطة ، ولجل أن ينمو النبات وتظهر ثمرته وينتفع بها الانسان
لابد ان تكون هناك تربة خصبة ، اذا فكما ان النبات لا ينمو ولا يزيـد
ولا يزدهر ولا يثمر الا اذا وجد تربة نقية طيبة خصبة كما قال تعالى:
(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا) (٣) .

كذلك العلم لا ينفع ولا يوفى ثمرته للبشر الا اذا وجد قلبا مؤمنا
نقيا طاهرا خالصا لله سبحانه وتعالى ، فالعلاقة اذا وثيقة بين النبات
والحديث . من هنا كان وروده فى تطبيقات على الامثال بالنبات من
الحديث الشريف ، وبعد أن ذكرت التطبيقات على الامثال بالنبات نرى

-
- (١) انظر: عمدة القارىء / العيني (٨٠/٢)
هدى السارى : القسطلانى (١٨٠/١) .
(٢) من روائع الادب النبوى / د. كامل سلامة الدقس (٤٩) .
طريق المهجرتين / ابن القيم الجوزية (١٧١-١٧٥) .
(٣) سورة الاعراف (٥٨) .

أن الآيات التي عرضت كلها والأحاديث كان المثل فيها بالفتح لانه هـ هو المثل المقصود بالدراسة فيما يخص البحث ، وهو الذى يقصد به التشبيه أو الحالة العجيبة الشأن ، والتشبيه فى الآيات التى مرت معنا والأحاديث هى لبيان حالة مركبة بحالة مركبة أخرى ، وذلك من خلال وجود المثل فى الطرفين ، أو فى طرف واحد ودخول الكاف على لفظ المثل فى المشبه به ، وذلك لتقرير وتوكيد صورة المشبه به ، وهذا كان منهج البلغاء فى تشبيهاتهم كما ذكرها تفسير التحرير والتنوير فقال : (ولما شاع اطلاق لفظ المثل بالتحريك على الحالة العجيبة الشأن ، جعل البلغاء اذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة أعنى وصفين منتزعين من متعدد ، أتوا فى جانب المشبه أو المشبه به معا ، او فى جانب أحدهما بلفظ المثل ، وادخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسيط فلا يقولون : مثل فلان كمثل الأسد وقلما شبهوا حالة بحالة مركبة مقتصرين على الكاف كقوله تعالى (كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) (١) بل يذكرون لفظ المثل فى الجانبين غالباً نحو الآية التى نحن بصددنا حيث قال تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) (٢) وربما ذكروا لفظ المثل فى أحد الجانبين كقوله تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) (٣) الآية . وذلك ليتبادر للسامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بذات ولا حالة بذات (٤) .

أما عن مواقع التمثيل فى الآيات والأحاديث التى مرت معنا فى التطبيقات فهى اما أن يكون فيها لفظ المثل فى أول الآيات ثم يأتى بعده المشبه والمشبه به ، وذلك كما فى آية (انما مثل الحياة)

-
- (١) سورة الرعد (١٤) .
 - (٢) سورة البقرة (١٧) .
 - (٣) سورة يونس (٢٤) .
 - (٤) تفسير التحرير والتنوير / الطاهر بن عاشور (١/٣٠٣-٣٠٤) .

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) ، وآية (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) ، وآية (مثل الذين ينفقون أموالهم) والاحاديث كلها كان المثل فيها فى أول الحديث وهذا الموقع للمثل يكون مقياسا موضحا وبرهانا ساطعا ومصاحبا بين المشبه والمشبه به ، لأنه يبعث المعنى الى النفس بوضوح وجلاء مؤيدا بالبراهين ، أما الموقع الثانى للمثل فهو أن يأتى بعد تمام المعانى وهذا مر معنا فى الآيات الآتية : قوله تعالى : (واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث عيث) ، وقوله تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره) ، وقوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه) ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى) .

وهذا الموقع للمثل يأتى للإيضاح والتقرير ، وذلك اما أن يكون دليلا على ما فى المشبه من الصفات والأحوال بما فى المشبه به ، أو يكون تاييدا لما فى المشبه من الصفات والأحوال بما فى المشبه به ، وذلك لأن المشبه به يذكر بعد كلام يبين به أحوال المشبه فيأتى المشبه به بعد ذلك دليلا واضحا كالبرهان أو التأييد . والله أعلم .

المبحث الخامس

خصائص الممثل

للأمثال القرآنية خصائص ذكرها الأستاذ الميداني في كتاب أمثال القرآن حيث قال :

- ١ - دقة التصوير مع ابراز العناصر المهمة في المثل .
- ٢ - التصوير المتحرك الحي الذي تبرز فيه المشاعر النفسية .
- ٣ - صدق المماثلة بين المثل والممثل له .
- ٤ - البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له .
- ٥ - حذف مقاطع يستطيع العقل المتدبر الواعي أن يستوعبها ويتخيلها ويكشف عنها بتأملاته وادراكه .
- ٦ - التنوع في عرض الأمثال ، مرة بالتشبيه ومرة بالعرض المفاجيء وبالتمثيل البسيط ، وبالتمثيل المركب وهكذا (١) .

وعند النظر والتأمل في الآيات والأحاديث المعروضة في التطبيقات وجدت ان هذه الخصائص تنطبق تماما على الامثلة المعروضة بالنبات في الآيات والأحاديث .

- ١- دقة التصوير في عرض المثل و ابراز العناصر المهمة فيه ، والمراد منها ذكر المثل وذلك مثل ما مر معنا في تمثيل الحياة الدنيا بالنبات في ازدهارها فترة ثم انتهائها ، حيث ابرز الممثل العناصر المهمة المرادة من الممثل به ولم يتكلم بالتفصيل عن كيفية نزول الماء ومراحل نمو النبات .
- ٢ - التصوير المتحرك الحي الذي تبرز فيه المشاعر الانسانية ، وكل الآيات والأحاديث التي مرت معنا ، كانت صورة حية متحركة لانها من

(١) الأمثال القرآنية / عبدالرحمن الميداني (٨٣).

الطبيعة التى يعيـشها الانسان فيراها فى كل وقت فهى متحركة دائماً وذلك أن النبات دائماً مع الانسان فى كل لحظة وحين ، طبيعـة وجمالاً وزينة وطعاماً ، ودواءً وراحة .

٣ - صدق المماثلة بين المثل والممثل له كما فى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فى شد بعضهم بعض على الاسلام والايمان والتقوى كالنبات فى شد عناصره بعضها البعض ابتداءً من الجذور وانتهاءً بالثمار .

٤ - حذف مقاطع يستطيع العقل المتدبر الواعى ان يستوعبها ويتخيلها ويكشف عنها بادراكه وتصوراتـه وذلك مثل نور المصباح الذى يوقد من الشجرة المباركة فحذف المادة المستعملة فى الاضاءة وهى الزيت وهى عنصر أساسى فى تكملة الممثل به ، وانما اكتفى بذكر الشجر لأن منها يستخرج الزيت ، ثم المراحل التى يمر بها الزيت حتى يكون صافياً نقياً ، يمكن استعماله للاضاءة .

٥ - البناء على المثل والحكم عليه ، كأنه عين الممثل له ، وذلك كمثل النفقة التى تكون فى سبيل الله يضاعف الله سبحانه وتعالى الأجر لصاحبها ، كما يضاعف النبات والحب منه فى سنبله والذى ينفقه رغاء الناس ، ولاتنبت له أرض بسبب سوء الأرض وعدم تقبلها للماء واستعدادها للنبات .

أما الخاصة السادسة : فهى لم تكن تنطبق على ما عرض من الأمثال وذلك لان الأمثال المعروضة كلها فى الآيات والأحاديث عرضت بأسلوب واحد ، حسية مركبة فى الأطراف ووجه الشبه ، من عدة صور صريحة ظاهرة ، حقيقية موجودة فى الطبيعة ، تقع عليها الحواس الخمس ، النظر ، والشم ، والتذوق ، واللمس والسمع ، فالنبات تقع عليه حواس الانسان الخمس ، فهى تؤكل وتلمس ، وترى بالعين ، ويسمع صوت حفيفها عند تمايلها بسبب الهواء والرياح .

وكل التطبيقات السابقة فى الأمثلة بالنبات تنطبق عليها
الخصائص السابقة للمثل ، فكل آية وكل حديث مما عرض لا يخلو من
الدقة فى التصوير ، وصدق المماثلة ، والبناء فى الحكم على المثل ،
وحذف مقاطع من الممثل به ، وجعل الممثل به صورة متحركة حسية .

...

المبحث السادس

أغراض المثل وأهدافه

عندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يكشف قضية لعباده غامضة عليهم أو على بعضهم ، فانه سبحانه يشرحها بمثل معروف للناس وذلك ليجلى به هذه القضية ، ف ضرب الأمثال يكون لما غاب من الأشياء عن الانسان وذلك ليديركوا ما غاب عنهم في صورة محسوسة مرئية ، اذا ضرب الممثل لايقصد منه اعطاء صورة الممثل به فقط والتأمل فيها انما المقصود منه الغرض والهدف من ضرب هذا المثل ، وفي ضرب القرآن للأمثال أهداف وأغراض يدعو اليها ليتأمل عما يعرض حوله فيتأثر به سلبا أو ايجابا وهي مايلي :

- ١ - اشارة الانفعالات الوجدانية في نفس المخاطب وذلك ليتأثر بما يعرض في اللوحة المعروضة له .
 - ٢ - ايضاح الأمور المعنوية بالصورة المرئية الحسية التي تكشف عن ملامح الخبيثات وتجعل غير المحسوس محسوسا مشاهدا ، وذلك لتقرب الصورة الى ذهن المخاطب .
 - ٣ - صرف النزاع بين العقل والوهم في الأمور المعقولة ، فيضرب الممثل تبرز هذه المعاني في معرض المحسوسات فيساعد العقل الوهم على فهمها وادراكها وتصورها .
- ولقد بين العلماء الأغراض والأهداف من ضرب الأمثال في كتبهم وهي كما يلي :

قال ابن حجر :

وفي ضرب الأمثال والاشباه لزيادة الافهام :

- ١- تصوير المعاني لترسخ في الذهن .
- ٢- تحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة (١)

(١) فتح الباري / ابن حجر (١/١٤٧) .

وقال العيني :

لضرب المثل شأن في ابراز خبيثات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، فان الأمثال ترى المخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد (١) .

وقد تناولها الشيخ الميداني بالتفصيل والتوضيح في كتابه الأمثال القرآنية فقال :

لما كانت الأمثال من الأساليب البيانية غير المباشرة للتعريف بما يراد التعريف به وكانت من أساليب الكلام البليغ التي يلجأ اليها كبار البلغاء ، ولما كانت تصاريف الرب الحكيم منزهة عن العبث، كان اللجوء الى ضرب الأمثال في القرآن لا يخلو عن غرض يدعو اليه ،

ولدى تتبع الأمثال القرآنية تكشفت لنا الأغراض التالية :

١ - الغرض الأول: تقريب صورة الممثل له الى ذهن المخاطب عن طريق المثل .

٢ - الغرض الثاني : الاقتناع بفكرة من الأفكار ، وهذا الاقتناع قد يصل الى مستوى اقامة الحجة البرهانية ، وقد يقتصر على مستوى اقامة الحجة الخطابية ، وقد يقتصر على لفت النظر الى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة .

٣ - الغرض الثالث : الترغيب بالتزين والتحسين ، أو التنفير بكشف جوانب القبح ، فالترغيب يكون بتزيين الممثل له ، و ابراز جوانب حسنه ، عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس ، مرغوب لذيها والتنفير يكون بابراز جوانب قبيحة عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس ، أو تنفير النفوس منه .

٤ - الغرض الرابع : اشارة محور الطمع أو الرغبة أو محور الخوف والحذر

(١) عمدة القارى / العيني (١٤/٢) .

- لدى المخاطب ، ففي اشارة محور الطمع والرغبة يتجه الانسان
بمعرض ذاتي الى مايراد توجيهه له ، وفي اشارة محور الخوف والحذر
يبتعد الانسان بمعرض ذاتي عما يراد ابعاده عنه .
- ٥ - الغرض الخامس : المدح أو الذم ، والتعظيم والتحقير .
- ٦ - الغرض السادس : شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية ،
او استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتكفر ويصل الى
ادراك المراد عن طريق التفكير (١) .

- وعند التأمل في التطبيقات نجد أن أي واحد منهما لا يخلو
من غرض من الأغراض السابقة .
- ١ - التطبيق الأول في وصف الحياة الدنيا .
كان الغرض من المثل ذم الحياة الدنيا وتحقيرها للتنفير منها .
- ٢ - التطبيق الثاني : في شكر النعمة .
كان الغرض من المثل اشارة محور الخوف والحذر من عقاب الله سبحانه
وتعالى بالمحافظة على شكر النعمة والحث على ذلك .
- ٣ - التطبيق الثالث : في وصف نور الله سبحانه وتعالى .
الغرض من المثل تقريب صورة الممثل له وهو نور الله سبحانه وتعالى
الى ذهن المخاطب عن طريق التمثيل بنور المصباح .
- ٤ - التطبيق الرابع : في اثبات صفات صحابة الرسول على الله عليه
وسلم .
- الغرض من المثل مدح الصحابة رضي الله عنهم وتعظيم شأنهم في الأمة
الاسلامية على مدى الحياة وتعلية قدرهم عند الكفار والمنافقين في
السابق واللاحق .

(١) الأمثال القرآنية / عبدالرحمن الميداني (٣٩-٤٠) .

- ٥ - التطبيق الخامس : فى اثبات كلمة التوحيد .
الغرض من المثل هو تعظيم كلمة التوحيد ، وتحقير الكفر والتنفير
منه مع الحث والترغيب على فعل الخير ، والتخدير من فعل السوء
بالتنفير منه ، وتقريب صورة المثل له الى ذهن المخاطب .
- ٦ - التطبيق السادس : فى النفقة .
الغرض من المثل اشارة محور الطمع والرغبة ، ومحور الخوف والحذر
والطمع والرغبة فى رضاء الله ومحبته ، وذلك بالحث والترغيب
فى النفقة اخلاصا لله سبحانه وتعالى ، ثم الخوف والحذر من
عقاب الله عز وجل وذلك بالتنفير من النفقة سمعة ورياء وما يتبعها
من آذى ومن .
- ٧ - أما ما ورد فى التطبيقات من الاحاديث :
(١) التطبيق الاول فى احتمال المصائب :
الغرض من المثل تقريب صورة الممثل له الى ذهن المخاطب ،
ثم الترغيب فى الصبر على ما يصيب الانسان ابتغاء مرضات الله ،
وذلك بالتشبت على الايمان ، والتنفير من الجزع والكفر ، لأنه
يؤدى الى سخط الله .
- (٢) التطبيق الثانى فى قراءة القرآن .
الغرض من المثل اشارة محور الخوف والطمع والرغبة ، وذلك
فى النفع والضر ، فالطمع فى مرضات الله يحتاج الى ترغيب الى
الطريق التى تؤدى الى ذلك ، فرغب فى ذلك بالنبات الجيد الحسن
حيث أظهر منافعه ومحاسنه ، وكذلك قارئ القرآن فى منافعه
ومحاسنه وهدفه من ذلك رضا الله عز وجل ، والخوف من عذاب الله
يحتاج الى تنفير بالابتعاد عن الطريق المؤدى الى عقابه وذلك
باعطاء صورة قبيحة عنه فكان المثل بالنبات الضار غير النافع
كذلك المنافق والكافر لا ينفعون ولا يريدون نفعاً من قراءتهم ، فكان
التخدير من الكفر والنفاق وتمغييره واحتقاره .

(٣) التطبيق الثالث : فى النفع من المؤمن :

الغرض من المثل : تعظيم شأن المؤمن واعلاء قدره والحسب
والترويج فى التثبيت على الايمان وفعل الخير .

(٤) التطبيق الرابع : فى الحث على طلب العلم والنفع به :

الغرض من المثل : تعظيم شأن العلم وعلو مرتبته ، ومرتبة
العلماء ، وتحقير شأن الجهل وأصحابه ، فكان هنا اشارة محسوس
الطمع فى الانسان الى العلم والتعلم ، والنفع بهذا العلم
والاحتفاظ به . والله أعلم .

...

المبحث السابع

آثر الممثل بالثبات في النفس البشرية وأسبابه

ان الممثل أسلوب من أساليب البلاغة له أهميته العظمى ، ومن أهميته تأثيره القوي في النفس ، وللقدامى عبارات كافية شافية في بيان هـذا الأثر ، وجاء في علوم البلاغة قول المرأى : اذا وقع التمثيل في صدر القـول بعث المعنى الى النفس بوضوح وجلاء مؤيدا بالبرهان ، واذا أتى بعد استيفاء المعانى كان :

١ - اما دليلا على امكانها .

٢ - أو تأييدا للمعنى الثابت .

وهو في كلتا الحالتين يكسب المعانى منقبة ويرفع قدرها ، ويجعل لها في القلوب هزة وارتياحا ، فانك اذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده ترى بونا شاسعا ومساحة الخلاف واسعة ، فان جاء في باب المدح كـسا المعنى حلة من الفخامة ، وان جاء في باب الذم كان وقعه أشد وحده أحد وان جاء في مقام الاحتجاج كان ساطع البرهان باهر البيان ، وان جاء في مقام الوعظ كان أبلغ في التنبيه والزجر ، وان جاء في موضع الاعتذار خلب القلب وسحر اللب وسـل السخيمة وأزال الموجودة والضغينة (١) .

وقد توسع في ذلك الامام الجرجاني في كتابه اسرار البلاغة وقال: واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعانى او برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته كساها أبهة ومنقبة ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصى الافئدة صباة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فان كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفسوس

(١) علوم البلاغة ، المرأى (٢٣٤) .

(٢) جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمى (٢٦٦-٢٦٧) .

وأعظم وأهز للعطف واسرع للالف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح وأوجب
شفاة للمادح ، وأقضى له بفرر المواهب والمنايح وأسير على الالسن
وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر ، وان كان ذما كان مسه أوجع وميسمه
الذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد وان كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطاننه
أقهر وبيانه ابهر وان كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أحد ، ولساننه
ألد ، وان كان اعتذارا كان الى القبول أقرب وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ،
ولغرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود أنفث ، وعلى حسن الرجوع أبعث ، وان كسان
وعظا كان أشفى للمصدر ، وأعى للفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر ، وأجسدر
بأن يتجلى الغيبة ، ويبصر الغاية ويبصر العليل ويشفى الغليل (١) .

وهكذا مامر معنا من التطبيقات فى الأمثلة بالنبات وجدنا ان معننى
الآيات والاحاديث مع التمثيل أبلغ وأعمق فى النفس وأجل وارق فى المقام ، وأروع
وأعجب فى البيان ، وكل آية مرت معنا او حديث لاتخلو من وعظ ينير الطريق ،
أو مدح فيه فخر للنفس ، أو افتخار فيه اثبات للذات أو ذم فيه تقريع للنفس
وتنفير أو حجة فيها برهان واضح ، أو اعتذار فيه تأليف للقول ورضاء
للنفوس ، فسبحان من ضرب الأمثال فى كتابه ليستفيد منها خلقه ، وجعلها
سبا لارشادهم وطريقا لهدايتهم كما فى قوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة
الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيمنا
تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا) (٢) .

ان فى هذا المثل أثر بليغ فى النفس فهو أسلوب من أساليب تربيئة
النفس البشرية على الطريقة الاسلامية ، وذلك لما فيه من اكساب المعننى
أبهة وقدرا ومنقبة لانه نقلها من صورته الاصلية الى صورة أخرى أكثر وضوحا

(١) أسرار البلاغة ، الجرجانى ، (١/٢٢٥-٢٢٦) .

(٢) سورة الكهف : آية (٤٥) .

فكانت برهاننا ساطعا وحجة قوية لهما من السلطان القوى والبيان الباهر
فى الوعظ والارشاد الذى يشفى الصدور ويجعل الفكر الانسانى يدور ويجـول
فيما حوله فتبين قدره العظيم القادر ، ويجد فيه من خلال تفكيره وتصوراتـه
فى معنى المثل المعروض ذما للحياة الدنيا وأهلها لما فيها من المغريات
والابتعاد عن منهج الله عز وجل فكان هذا اوجع وألذع فى نفسه للابتعاد
عنها والاعتراض بها .

ثانيا : فى قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشـداء
على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل
كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرـا
عظيما) (١) . ففى هذا المثل تنويه بشأن الصحابة رضى الله عنهم
وفضلهم والحث على الاقتداء بهم والنهج على منوالهم والتخلق بأخلاقهم
والتأدب بأدابهم وفى هذا اسلوب ناجح لتربية النفس البشرية على حب
القدوة بالصالحين والابرار فى سلوكياتهم وتصرفاتهم ، وفيه بيان ووضوح
لصفات الصحابة واثباتها لهم لما فيهم من المنافع كالنبات تماما ، وفي
هذا مدح لهم رضوان الله عليهم لاثبات منافعهم ومواهبهم حتى يكونوا
قدوة لغيرهم ، ففى قدوتهم افتخارا لهم وشرفا للأمة الاسلامية من بعدها
فى قدوتها لهم .

(١) سورة الفتح : آية (٢٨) .

أسباب تأثير ضرب المثل فى النفس :

لما للمثل من تأثير قوى فى النفس كان استعماله كثيرا فى القرآن والحديث ، ولكن هذا التأثير له أسباب تشد حواس المخاطب وتوقظ تفكيره وتوجب فى النفس تأثيره وتمكنه فى القلب وهى كما ذكرها الامام الجرجانى فقال :

" أولا : فأول ذلك وأظهره : أن أنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفى الى جلى وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وان تردها فى الشئ تعلمها اياه الى شئ آخر هنى بشأنه أعلم وثقتها به فى المعرفة أحكم فى نحو أن تنقلها عن العقل الى الاحساس وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لان العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من وجهة النظر فى القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : " ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين " فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الانس ، أعنى الانس من جهة الاستحكام والقوة .

ثانيا : وههنا اذا تأملنا مذهب آخر فى بيان السبب الموجب لذلك هو أطف مأخذا ، وأمكن فى التحقيق أولى بأن يحيط باطراف الباب ، وهو ان لتصوير الشبه من الشئ فى جنسه وشكله ، والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه اليه من البعيد بابا آخر من الظرف واللفظ ومذهبنا من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من الفعل واحضر شاهدا لك على هذا : أن تنظر الى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة ، أم خاصة مقصورة على قائل دون قائل ، تراها لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها موقع من السامعين ، ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقررا بين شيئين مختلفين فى الجنس فتشبيه العين بالنرجس عامية مشتركة معروف فى اجيال الناس ، جاء فى جميع العادات وانت تنظر الى بعد

ما بين العين وبينه من حيث الجنس والتباين والتباعد بين المشبه والمشبه به كلما كان أشد كانت الى النفوس اعجب وكانت النفوس لها اطـرب وكان مكانها الى ان تحدث الاريحية اقرب وذلك ان موضع الاستحسان ومكان الاستظراف والمشير للدفين من الارتياح والمتالف للنافر من المسـرة، والمؤ لف لاطراف البهجة انك ترى بها الشيئين مثلين متباينين وموتلفين مختلفين وترى الصورة الواحدة فى السماء والأرض وفى خلقة الانسان وخلال الأرض .

ثالثا : فاذا ثبت هذا الاصل وهو ان تصوير الشبه بين المختلفين فى الجنس مما يحرك قوى الاستحسان ويشير الكامن الاستظراف فان التمثيل أخص شىء بهذا الشأن ، وأسبق جار فى هذا الزمان ، وهذا للتصنيع صناعته التى هو الامام فيها والبادى لها والهادى الى كفييتها ، حيث يعمـل عمل السحر فى تأليف المتباين حتى يختصر بعد ما بين امشرق والمغرب ويجمع ما بين المشرق والمغرب وهو يريك للمعانى الممثلة بالاوهام شبيها فى الاشخاص الماثلة والاشباح القائمة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الاعاجم ويريك الحياة فى الجماد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والنـار والماء مجتمعين ، ويجعل الشىء من جهة ماء ومن أخرى نار كما قال

أنا نار فى مرتقى نظر الحاسد ماء جار مع الاخوان (١)

وبعد هذا أذكر ما اراده الامام عبدالقاهر الجرجانى فى ذكر أسباب تأشير التمثيل بصورة مختصرة لتكون للفهم أقرب :

١ - ان فى التمثيل نقله للنفس من العقل الى الحس ومن العلم النظرى الى العلم الضرورى .

(١) أسرا والبلاغة / الجرجانى (٢٣٤-٢٤٧) .

- ٢- انفى التمثيل جمع بين الامور المختلفة والمتباينة والمتباعدة .
٣- ان التمثيل فى حاجة الى اعمال الفكر والعقل فيوسع مدارك الانسان
ويعطيه بعد فى الأفق .

فالسبب الاول : تأثيره يجيء من ناحية تقوية المعنى وتوكيده
فى النفس فيوجب لها أنسابه ، وثقة واطمئنانا اليه ، وذلك يرجع
الى أمرين:

- أولاهما : ان العلم الحسى والضرورى أقوى من العقلى والنظرى .
ثانيهما : ان العلم الحسى والضرورى أسبق حصولا فى النفس من العقلى
والنظرى ، فهى لهما أشد ألفة واقدم صحبة .

والسبب الثانى : ان فى اجتماعه بين المختلفين تأثيره يجيء من
ناحية الطرافة والغرابة وذلك ان تاخذ الشبه للشئ من غير جنسه واجلابه
له من غير مظنة كما فيه من الطرافة والغرابة مما لا يخفى موضعه من
العقل .

السبب الثالث : أن تأثيره يجيء من ناحية اللذة العقلية لان
يحتاج الى اعمال الفكر ، والشئ اذا نيل بعد طلبه والتعب فيه يكون
موقعه أعظم فى النفس من المنساق اليها بلا تعب (١) .

وهكذا بعد أن تكلمت عن المثل فى الآيات القرآنية والاحاديث
النبوية ، بما يخص النبات الذى هو موضع البحث وبينت فيه خصائصه
وفوائده وتأثيره واسباب ذلك وجدت أن المثل له مكانة عالية ووظيفة هامة
لاتنكر فوائدها فله تأثيره العجيب كما رأينا فى الآذان وتقرير غريب
لمعانيها فى الأذهان ، بحيث ينفذ ذلك الى النفس البشرية ويستقر فيها
بعد أن يفعل ما يفعل من التخيل والادراك والانفعالات الوجدانية بما هو موجودا

(١) انظر: أسرار البلاغة : الجرجانى (٢٥٦/١-٢٦١) ، جواهر الادب :
الهاشمى (٢٨٨/١) البيان فى ضوء أساليب القران / د. عبدالفتاح
لاشين (٦٢-٦٧) .

فى الكون ، فى الخلق والطبيعة وخاصة النبات الذى يمثّل الناحية الجمالية فى الأرض ولشدة صلته بالإنسان ومشاهدته له نجد أن ضرب المثل به كان له الأثر العميق فى النفس ، وهذا التأثير من المثل بما اجتمع فيه من قوة البلاغة أو نهايتها . كما قال ابراهيم النظام : يجتمع فى المثل أربعة لا يجتمع فى غيره من الكلام ، ايجاز اللفظ واصابة المعنى ، وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة (١) .

(١) مجمع الأمثال / الميدانى (٨/١) .

الفصل الثاني

اسلوب التشبيه بالنبات وأثره فى النفس

تمهيد: علم البيان والتشبيه :

قال العلامة المراكشى فى شرح المصباح : " الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان " (١) .

وعلم البيان هو ذلك التصوير الذى يهب الفكرة وضوحا وقوة فيزيدها تأثيرا فى نفس المخاطب أو القارئ بالالتجاء الى الخيال المصور وهو اذا اراد الانسان اثبات صفة المصوف عمد الى شئ آخر تكون في هذه الصفة واضحة وتعقد بينهما مماثلة تجعل وسيلة لبيان تلك الصفة وتوضيحها او المبالغة فيها ، فمن هنا كان للتشبيه روعة وجمال وموقع حسن فى البلاغة والبيان ، فهو فن واسع النطاق فسيح الفناء ، ممتد الحواشى ، متشعب الاطراف ، متوعر المسلك ، غامض المدرك ، دقيق المجرى غزير الجدوى (٢) .

وقال قدامة بن جعفر :

والتشبيه من أشد كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبه منهم فى تشبيهه الطف ، كان بالشعر أعرف ، وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذق أليق ، (٣) .

وأنا لا أريد من بحثى دراسة التشبيه من ناحية الشعر وإنما التشبيه فى القرآن بما يتعلق بالنبات من الآيات ، وقبل الخوض فى آيات القرآن المتعلقة بالنبات ، وبيان التشبيه فيها ، أبدأ موضوعى هذا بالتعريف اللغوى والاصطلاحى ، ثم بيان اركانه ، وأقسامه ، وأنواعه ، ثم التطبيقات وبعدها بيان غرضه وفوائده وتأثيره .

(١) بينات المعجزة الخالدة : حسن العتر (٢٧٥) .

(٢) جواهر البلاغة / احمد الهاشمى (٢٤٧) .

(٣) كتاب نقد النثر / قدامة بن جعفر (٥٨) .

المبحث الاول

معنى التشبيه

- التشبيه لغة : التمثيل : يقال هذا شبه هذا ومثيله ، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لمابينهما من الصفة المشتركة (١) .

التشبيه عند البلاغيين :

للتشبيه ضروب كثيرة قد اتسع في تفصيلها قول أهل المعاننى والبيان ، وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى (٢) . وقد ذكره السكاكى (٣) .

وعند أهل البديع : العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل (٤) ، وقد ذكره الرماني (٥) .

وقال ابوهلال العسكرى : التشبيه هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب (٦) .

-
- (١) علوم البلاغة / المراغى (٢١٨) .
 - لسان العرب / ابن منظور (٢٦٥-٢٦٦) .
 - (٢) شرح الكافية البديعية / صفى الدين الحلبي (١٨٤) .
 - (٣) الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .
 - (٤) شرح الكافية البديعية / صفى الدين حلبي (١٨٤) .
 - (٥) الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .
 - اعجاز القرآن / الباقلانى (٢٦٢) .
 - الاعجاز البلاغى / محمد أبوموسى (٩٨) .
 - الجمان فى تشبيهات القران / ابن ناقيا (٤٩) .
 - (٦) كتاب الصناعتين / ابى هلال للعسكرى (٢٦١) .
 - القرآن المعجزة الكبرى / ابوزهرة (٢٤١) .

وعلى كثرة التعاريف للتشبيه عند أهل البيان بين المتقدمين والمتأخرين والتي ذكرت منها قول السكاكي والعسكري والتي منها قولهم : التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع الجهات (١) .

وقول آخر : وهو أن يقال ان أحد الشيئين مثل الآخر فى بعض الصفات والمعانى (٢) .

وقال ابن أبى الاصبع هو اخراج الأغمض الى الأظهر .

وقال غيره : هو الحاق شيء بذي وصف فى وصفه .

وقال بعضهم : هو أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به (٣) .

وعلى كثرة هذه التعاريف الا أن اعتماد أكثر الاقدمون فى عقد التشبيه على العقل بحيث يجعلونه رابطا بين أمرين أو مفرقا بينهما ، وأغفلوا فى كثير من الاحيان وقعه النفسى وأثره الوجدانى والواقع أن التشبيه يقوم على الربط بين أمرين متباعدين ربطا فكريا وشعوريا يوضح الخفى ويجلى الغامض ، ويحدث وقعه فى النفس الاحساس المبتغى من التشبيه من سرور او ألم أو رغبة أو رهبة ، وتحبيب وتنفير ، وليس التشبيه فى واقع الأمر سوى ادراك ما بين أمرين من صلة فى وقعهما على النفس .

وربما يستدل به عقليا على امكان المشبه ، فقد جاء البرهان فى القرآن على بعث الأموات من قبورهم باحياء الارض بعد موتها كل سنة ، ويقع التشبيه بأمر حسى لايضاح أمر معنوى خفى ، حتى يشتد ظهوره وتتجه نحوه الأحاسيس والأفكار ، فيترك آثاره فى أغوار النفس والوجدان ، وليس الحس هو الذى يجمع بين المشبه والمشبه به فى القرآن ، ولكنه الحس والنفس معا ،

(١) قضية الاعجاز القرآنى/ د. عبدالعزیز عرفه (٤٤٩) .

(٢) قضية الاعجاز القرآنى/ د. عبدالعزیز عرفه (٤٨٩) .

(٣) الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .

البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤١٤/٣) .

بل ان للنفس النصيب الأكبر والحظ الأوفى (١) .

وعلى هذا يكون التعريف الاصطلاحى المختار للتشبيه الشامل للنفس
والحس معا هو : التعريف الاصطلاحى :

التشبيه هو : اثبات صلة بين شيئين متباعدين لاشتراكهما فى صفة
او صفات لغرض عقلي ووجدانى .

...

(١) انظر فى ذلك :

- بينات المعجزة الخالدة / حسن العتر (٢٧٥-٢٧٦) .
- من بلاغة القرآن / أحمد بدوى (١٨٢) .

المبحث الثانى

أقسام التشبيه وأنواعه

ينقسم التشبيه الى عدة أقسام باعتبارات مختلفة :

- ١- ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه الى قسمين : حسى وعقلى .
- ٢- ينقسم باعتبار بلاغة طرفيه وجودته الى خمسة اقسام .
- ٣- ينقسم باعتبار وجهه الى مفرد ومركب .
- ٤- ينقسم باعتبار الأداة الى مؤكد ومرسل .

أما اقسامه باعتبار طرفيه فهو ينقسم الي قسمين حسى ومعنوى وكل

منهما ينقسم الي قسمين :

- ١- اما ان يكون الطرفان حسبيين .
- ٢- أو يكونان عقليين .
- ٣- أو يكون المشبه به عقليا والمشبه حسى .
- ٤- أو يكون المشبه عقلى والمشبه به حسى .

وقبل الخوض فى بيان ذلك أعرف الطرفين للتشبيه وهما :

- ١- المشبه : هو الأمر الذى يراد الحاقه بغيره .
- ٢- المشبه به : هو الأمر الذى يلحق به المشبه .

وهذان الركنان يسميان طرفى التشبيه وهما الأساس للتشبيه .

وأما الحسى والعقلى فهما لفظان متباينان ، ومتباعدان ، لفظا ومعنى .

حيث ان العقلى غير الحسى .

فالعقلى : هو لاعمال الذهن ، كالرأى والخلق ، والحظ ، والأمل ،

والعلم ، والذكاء ، والشجاعة .

ويشمل أيضا الوهمى ، وهو ما لا وجود له ، ولا لأجزائه كلها أو بعضها

فى الخارج كقوله تعالى : (طلعتها كأنه رؤوس الشياطين) (١) .

(١) سورة الصافات : آية (٦٥) .

ولو وجد لكان مدركا بالحس .

ويشمل الوجدانى : وهو ما يدرك بالقوى الباطنية ، كالغم ، والفرح والشبع ، والجوع ، والعطش ، والرى ، والحب ، والكره .

أما الحسى : فهو ما يدرك باحد الحواس الخمس : الانف ، كالشم والعين النظر ، واليد اللمس ، واللسان الذوق ، والاذنان السمع ، ويدرك بهامثل الروائح والالوان والاشكال والطعوم ، والنعومة والخشونة والأصوات والكلام (١) .

ومن حيث أقسام طرفيه كما ذكرت :

- أولا : محسوس بمحسوس :

وهو أن يكون المشبه والمشبه به حسيان ، ومنه قوله تعالى :
(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) (٢) ، فهو تشبيه القمر عندما يكون هلالا فهو دقيقا نحيفا محدودا حتى لا يكاد أن يرى كالعرجون القديم الذى لا أهمية له ولا عناية بأمره ، والهلال كذلك آخر الشهر ، وقوله تعالى : (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) (٣) .

- ثانيا : تشبيه معقول بمعقول :

وهو أن يكون المشبه والمشبه به عقليان ومنه قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (٤) وهو تشبيه قسوة قلوبهم بقسوة الحجارة التى لا تتأثر بشيء .

-
- (١) جواهر البلاغة / احمد الهاشمى (٢٥٠-٢٥٦) .
 - الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .
 - البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤٢٠/٣) .
 - علوم البلاغة / احمد المراغى (٢٢٠-٢٢١) .
 - (٢) سورة يس : آية (٣٩) .
 - (٣) سورة الشعراء : آية (٦٣) .
 - (٤) سورة البقرة : آية (٧٤) .

ثالثا : معقول محسوس :

وهو أن يكون المشبه به حسي والمشبه عقلى ومنه قولـــــــــــــــــه
تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءً حتى
إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع
الحساب) (١) . تشبيه أعمال الكفار بالسراب الذى لافائدة منه وذلك
فى تلاشيها مع ظنهم أنها حاصلة لهم بالسراب الذى إذا دخله الظمـــــــــــــــــآن
الذى وعد نفسه به لم يجده شيئا .

رابعا : تشبيه محسوس بمعقول :

ومنه قولهم (طبيب السوء كالموت) وأما جاء فى القرآن
فقد قال فى البرهان: وأما تشبيه المحسوس بالمعقول فمنعه الامـــــــــــــــــام
لان العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : ان من فقد حسا فقد علمـــــــــــــــــا ،
وإذا كان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيبه به يستلزم جعل الاصل فرعا والفرع
أصلا وهو غير جائز (٢) .

وقال السيوطى : تشبيه المحسوس بالمعقول لم يقع فى القرآن (٣) .

ثانيا : أقسامه باعتبار بلاغة طرفيه وجودته الى أربعة أقسام :

جاء فى قضية الاعجاز القرآنى عن الرماني قوله :
التشبيه البليغ عنده : هو اخراج الأغمض الى الاظهر بأداة التشبيه مع
حسن التأليف ، ولا يتحقق ذلك فى تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيـــــــــــــــــه

(١) سورة النور : آية (٣٩) .

(٢) البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤٢٠/٣) .

(٣) الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .

الجمان فى تشبيهات القرآن / ابن نايقا (٥٥٤) .

كتاب الصناعتين / أبى هلال العسكري (٢٦٤) .

الجوهرة بالجوهرة وتشبيه السواد بالسواد ، وانما يتحقق فى تشبيهه
شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما كتشبيه الشدة بالمسوت
والبيان بالسحر الحلال ، بشرط ان يكون هذا الجمع يحدث بيانا فيهم
وأبلغه ماكان على وجوه منها :

- ١ - اخراج مالاتقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة .
- ٢ - اخراج مالم تجر به العادة الى ماقد جرت به العادة .
- ٣ - اخراج مالايعلم بالبديهة الى مايعلم بالبديهة .
- ٤ - اخراج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فى الصفة (١) .

الأمثلة :

أولا: اخراج مالاتقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة :

(٢)
ومنه قوله تعالى : (فمالهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة)
فهنا اخراج مالاتقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة وهو تشبيه طريقة
اعراضهم عن كتاب الله بطريقة الحمر التى تنفر من صائدها خائفة مذعورة
وفيه دلالة على شدة نفورهم عن منهج الله وخوفهم منه حتى لا يؤمنوا وتشبيههم
بالحمر حقارة لهم وقوله تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما
تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (٣) .

اخراج مالاتقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة ، وذلك تشبيهه
اعراض الحافرين عن النظر والتفكير فى خلق الله ايمانا به ، وانشغالهم
بالدنيا كالانعام التى لاتأكل الا لشهوة نهمه فيها وهذا دليل على
خستهم ودناءتهم فى تشبيههم بالبهائم .

(١) قضية الاعجاز القرانى / د. عبدالعزيز عرفه (٢٢٧) .

الجمان فى تشبيهات القران / ابن نايقا (٥٠) .

الاعجاز البلاغى / محمد ابو موسى (٩٩) .

القرآن المعجزة الكبرى / محمد أبوزهرة (٢٤٢)

كتاب الصناعتين / ابي هلال العسكري (٢٦٢) .

(٢) سورة المدثر : (٤٩-٥٠) .

(٣) سورة محمد (١٢) .

ثانياً : اخراج مالم تجر به العادة الى ما قد جرت به العادة :

ومنه قوله تعالى : (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) (١) .
وهذا بيان اخراج مالم تجر به العادة الى ما جرت به العادة وهى اقتلاع الجبل من مكانه ورفع فوق رؤوس اليهود حين تمردوا على أحكام الله ولما كانت هذه الصورة غير مألوفة فيما يجرى عادة ألحقها القـــــرآن بصورة المظلة التى هى كل ما أظل الانسان من صخر أو شجر او سقـــــف او عريش وصورة المظلة صورة مألوفة للانسان معتاد عليها بعينها وهذا فيه دليل وآية عظيمة على قدرة الله عز وجل .

ثالثاً : اخراج مالم يعلم بالبديهة الى ما يعلم بها :

ومنه قوله تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) (٢) . وفى آية اخرى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣) .

وهذا بيان ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بها والجامع بين الامريين العظم ، والفائدة فيه التشويق الى الجنة بحسن الصفة وافراط السعة ، وفى هذا التشبيه تصوير المعقول وهى الجنة بالمحسوس وهى السمـــــوات والارض التى يعرفها الانسان بالبداهة ، ، فالسموات والارض أوسع وأفسح ما يعرفه الانسان سواء كان بدهاة او بخبر من الله سبحانه وتعالى، والنفس تأنس وتفرح لما هو واسع فسيح ، فكان الترغيب الى الجنة باعطاء شـــــئ من وصفها وهى السعة والانفساح ، وهذه لا ينالها الانسان الا بالالتزام بالمنهج الربانى .

(١) سورة الاعراف : (١٧١) .

(٢) سورة آل عمران : (١٣٣) .

(٣) سورة الحديد (٢١) .

رابعاً : اخراج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فى الصفة
ومنه قوله تعالى : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) (١) فقد
شبه الله سبحانه وتعالى : السفن المرفوعات الشراع ، المنشآت الامواج
فى البحر بالأعلام ، وهى الجبال الكبيرة ، والجامع بين الأمرين هو العظم
فى كل من السفن والجبال والقوة والضخامة والعظم والشموخ فى الجبال
أقوى من السفن ، فلذلك جلى صفتها فى الجبال والمراد هنا تجلية مظهر
من مظاهر قوة الله سبحانه وتعالى فى أنه يسر لهذه السفن الضخمة الحركة
على سطح الماء وما فهذه السفن من الانتفاع بها فى السفر والانتقال
من مكان الى آخر للتجارة (٢) .

ثالثاً : أقسامه باعتبار وجهه الى مركب ومفرد :

وجه الشبه : هو الوصف الخاص الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه ، ويكون
فى المشبه به أقوى منه فى المشبه (٣) .

فالتشبيه باعتبار وجه الشبه ينقسم كما ذكر الى قسمين : مفرد ومركب :

١- التشبيه المفرد : هو ما كان وجه الشبه فيه مفرداً ولم يكن وصفاً
منتزعا من عدة أمور ومنه قوله تعالى : (ولله غيب السموات والأرض ،
وما أمر الساعة الا كلمح البصر) (٤) . وجه الشبه مفرد وهو السرعة
وقرب الزمن فى الاثنين .

(١) سورة الرحمن : آية (٢٤) .

(٢) انظر فى ذلك بالتوضيح :

١- اعجاز القرآن / الباقلانى (٢٦٤-٢٦٥) .

٢- الاعجاز البلاغى / د محمد ابوموسى (١٠٤-١١١) .

٣- القرآن المعجزة الكبرى / محمد ابوزهرة (٢٤٣-٢٥١) .

٤- كتاب الصناعتين لابى هلال العسكرى (٢٦٢-٢٦٤) .

٥- البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤٢١/٣-٤٢٢) .

٦- الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى (٤٢/٢) .

٧- قضية الاعجاز القرآنى / د عرفه (٢٢٧-٢٢٨) .

٨- اعلام الموقعين / لابن القيم الجوزية (١/١٦٤) .

(٣) جواهر البلاغة / احمد الهاشمى (٢٦٠) .

علوم البلاغة : المراغى (٢٢٦) .

(٤) سورة النحل : آية (٧٧) .

٢ - التشبيه المركب : وهو ما كان فيه وجه الشبه منتزعا من أمرين
أو عدة أمور ومنه قوله تعالى :

- (انها ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالات صفر) (١) .

تشبيه نار جهنم بما ترميه من الشرر بالشجر الكبير الغليظ واللون
الأسود ، أى أن شررها كبير عظيم أسود ، ووجه الشبه بين المشبه
والمشبه به مركب من عدة أمور وهى : العظم والضخافة فى الشكل
والسواد فى اللون ، وذلك للتخويف والترهيب من النار .

رابعاً : أقسامه باعتبار أدواته الى مرسل ومؤكد :

الأداة : هى اللفظ الذى يدل على التشبيه ويربط المشبه بالمشبه
به وقد تذكر الأداة وقد تحذف ، وبعضها اسم وبعضها فعل وبعضها حرف ،
فالأصل فى مثل شبه من الاسماء المضافة لما بعدها يليها المشبه به ،
والأصل فى كأن ، ك ، وشابه وماثل ، ومايراد منها أن يليها المشبه ،
وهى من الحروف . وقد تغنى أداة التشبيه (فعل) يد على حال التشبيه
ولايعتبر أداة ، وهو فعل من أفعال اليقين أو الرجحان كعلم وظن
وحسب (٢) .

(١) التشبيه المرسل :

هو ما ذكرت أداة التشبيه ومنه قوله تعالى : (مثل الذين كفروا
بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا

-
- (١) سورة المرسلات (٣٢ - ٣٣) .
(٢) علوم البلاغة / المراعى (٢٣٩) .
جواهر البلاغة / الهاشمى (٢٤٨ - ٢٦٧) .
معجم البلاغة / بدوى طبانه (٣٢/١ - ٣٣) .
البرهان فى علوم القرآن / الزركشى (٤١٦/٣) .

على شيء ذلك هو الضلال البعيد (١) .

فهنا تشبيه ذكرت فيه الأداة وهي الكاف بعد المشبه وذكر بعدها المشبه به وهو تشبيه أعمال الكفار في ذهابها واحباطها كالرماد الذي اذا عصفت به الريح أذهبته ولم تبق له أثر ، بجامع عدم النفع في الاثنين الرماد وأعمالهم .

(٢) التشبيه المؤكد :

هو ما حذف فيه الأداة ومنه قوله تعالى : (وجنة عرضها السموات والأرض) (٢) . تشبيه محذوف الاداة وهو تشبيه الجنة في سعتها وكبرها وعظمتها بكبر وسعة السموات والأرض .

وقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) (٣)

هنا تشبيه محذوف الأداة ، وهو تشبيه سير الجبال وحركتها وازالتها من مكانها وعدم ثباتها بالسحاب بجامع البطء والتكاشف والثقل في الاثنين عند السير وذلك لتناسب سيرها واستواء أمرها (٤) .

-
- (١) سورة ابراهيم ، آية (١٨) .
 - (٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٣) .
 - (٣) سورة النمل ، آية (٨٨) .
 - (٤) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي (٤٣/٢) .
البرهان في علوم القرآن / الزركشي (٤١٧/٣ - ٤١٨) .
علوم البلاغة / احمد المراغي (٢٤٠) .
جواهر البلاغة / احمد الهاشمي (٢٦٩) .
معجم البلاغة / د. بدوي طيبانه (٤٥/١ - ٣٠٨) .

المبحث الثالث

اسلوب التشبيه بالنبات فى القرآن الكريم وآثره فى النفس

أولاً: تشبيه المؤمن والكافر بالطيب والخبيث من النبات:

قال تعالى: (و هو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ، والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) (١) .

بعد أن تكلم سبحانه وتعالى فى هذه الآيات عن ارسال الرياح وانزال الماء من السماء و احياء الارض بعدموتها بذلك وهو اخراج النبات منها ، وحيث أن من النبات ما هو طيب ومنه ما هو خبيث والارض منها الطيبة والخبيثة فقد اختتم سياق الآيات بهذا الموضوع فى الطبيعة ، ليكون متناسقا مع ما قبله فح الصورة المشاهدة من الطبيعة ومكملة للحقائق ، فعند نزول الماء الى الارض تكون الطيبة والخبيثة ، فالأرض الطيبة تتقبل الماء لطيب تربتها وكرمها ، فطيب التربة يؤثر على النبات ، فيخرج النبات بدوره طيبا كريما وهذا باذن الله تعالى ومشيبته بان هيا لهذا النبات هذه التربة الحسنة الجيدة وان كانت الارض خبيثة خرج نباتها خبيثا ، بتعبونكد فالخبيث لا يعطى الا خبيثا والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخبير على جهة البخل وقال الليث النكد الشؤم واللوم وقلة العطاء (٢) .

وقال الراغب الاصفهاني : النكد كل شيء أخرج الى طالبه بعسر (٣) ، والنكد والعسر والخبيث شيء مذموم مرفوض عقلا ونقلا ونفسا ، تأبى النفس البشرية فى المخلوقات الانسان والحيوان أو النبات ، لأنه يكلفها

(١) سورة الاعراف (٥٧-٥٨) .

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى (٢٤٥/٤) .

(٣) تفسير المنار/ محمد رشيد رضا (٤٢٧/٨) .

المفردات فى غريب القرآن/ الراغب الاصفهاني (٥٠٥) .

جهداً أو مشقة ، ويعسر عليها أمور حياتها الدنيوية وحركتها في الحياة ، وما يوصلها من الأعمال إلى السعادة في الآخرة وقد جبلت النفس البشرية على اليسر والسهولة والعطاء والطيب والخير فهي ترغب فيه دائماً وتسعى وراءه لأنه يساعدها على قضاء شئونها الحياتية ثم على فعل الطاعات والاجتهاد في ذلك للوصول إلى مرضات الله عز وجل كما روى عن أبي موسى قال: كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه من بعض أمره قال : (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) (١) .

وكما أن الخبيث والنكد موجود في الأرض والنبات ، والطيب موجود في النبات ، كذلك في الإنسان يوجد الخبيث والنكد والعسر والسهل والطيب ، هكذا سنة الله سبحانه وتعالى في الحياة جعلها عملية تقابل في المخلوقات الخير والشر الطيب والخبيث ، ذلك حتى تتم حركة الحياة وتسرى فعالية المنهج الرباني ويكون تأثيره في نفوس البشر ، فيكون الوعظ والإرشاد ، والتحذير والإنذار والحث والترغيب ، والألو كان كل ما في الكون خير فلم يعرف الشر ، فبالخير يعرف الشر وبالشر يعرف الخير ، وبضدها تتميز الأشياء .

التشبيه في الآيات : والتشبيه كما هو ملاحظ في الآيات تشبيهه
ضمني تشبيه المؤمن بالأرض الطيبة والكافر بالأرض الخبيثة ، فجاء في تفسير المراغي قوله : قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر أي للبر والفاجر أي أنه تعالى شبههما بالأرض الخيرة والأرض السيئة وشبه نزول القرآن بنزول المطر فالأرض الخيرة يحصل فيها بنزول المطر أنواع الأزهار والثمار كما قال تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (٢) والأرض السيئة

(١) صحيح مسلم (١٣٥٨/٣) كتاب الجهاد ، باب الأمر بالتيسير ، صحيح البخاري

(٢) (٢٧/١) كتاب العلم ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم .

(٢) سورة الحج: آية (٥) .

ان نزل عليها المطر لاتنبت النبات الا النذر القليل فكذلك الروح الطيب
النقى من شوائب الجهل و رذائل الأخلاق اذا اتصل به نور القرآن ظهرت
فيه أنواع الطاعات والأخلاق الحميدة ، والروح الخبيث الكدر وان اتصل به
نور القرآن لا يظهر فيه من المعارف وجميل الاخلاق الا النذر اليسير (١) .
(يخرج نباته باذن ربه) اي بمشيئته وتيسيره بما هيا له من اسباب المطر
وطيب التربة حيث يكثر النبات ويفرز نفعه (والذى خبت) اي الارض الخبيثة
السبخة والحجرية والجيرية والرملية وغيرها من الارض التى لاتنفع للنبات
فنباتها يخرج بجهد ومشقة وكلفة ، وفي هذا عسر له ، وهذا العسر يؤدى الي
نكده عند خروجه وبعد خروجه بحيث لو خرج لا يخرج الا قليلا ومع قلتـــه
ربما يكون خبيثا ضارا ، غير نافع ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مع
الطيب (باذن ربه) ومع الخبيث (نكدا) مع أنه فى كله باذنه و ارادته تعالى
حيث هيا اسباب للطيب ولم يهيأها للشانى ، وذلك تعليما لعبادة الأدب
حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وان كان منه ، كما قال ذلك الشيخ
الصاوى : (أى بارادته ولم يذكر ذلك فى القابل وان كان باذنه أيضا
تعلما لعباده الادب حيث اسند لنفسه الخير دون الشر وان كان منه أيضا
لما ورد ان الله جميل يحب الجمال ولقوله بيدك الخير ولم يقل بيــــدك
الشر فلا يجوز أن يقال سبحانه من خلق القرد ولا سبحانه من دب الشوك (٢) ،
والتشبيه فى هذه الآية هو التشبيه لاجراج ماليس له قوة فى الصفة مــــن
خبت النبات وطيبه ، فانه فيه قوة فى الصفة بحيث تجتمع فيه حاستى الشم
والذوق والعين الحاسة الثالثة . والله أعلم .

(١) تفسير المراغى / (١٨٦/٨) .
التفسر القيم/ابن القيم (٢٧٨) .
الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / السيوطى (٩٣/٣) .
الفتوحات الالهية / الجمل (١٥٢/٢-١٥٣) .
(٢) حاشية الصاوى (٨٠/٢) .

ثانياً: تشبيه منازل القمر بالنبات القديم :

قال تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ،
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (١) .

بعد أن عرض الله سبحانه وتعالى الآيات الكونية الارضية من الاحياء
والانبات ، أخذ في عرض الآيات السماوية الكونية من الليل والنهار والشمس
والقمر ، وهذه كلها تتكرر وترى على طول الليل والنهار فهي مشاهدة للبشرية
ولاتغيب عن ناظرهم ، وهذه الآيات الكونية السماوية هي التي تحكّم
حركة الحياة على سطح الأرض ، فالنهار مع وجود الشمس يكون السعي
وراء الرزق والمعيشة ، ويكون فيه حركة الانسان وجهده وتعبه وكسبه
واستنفاد كل نشاطه وحيويته ، ثم يأتي بعد ذلك الليل يكون في
الراحة والهدوء والاستكانة من بعد جهد وتعب ففيه يرتاح الجسم
المكدود ويهدأ ويستكين حتى يستعيد نشاطه لليوم التالي ، وهكذا
تدور الدورة مرة أخرى من الليل والنهار ، ومع الليل يكون هناك في
السماء القمر ،

المشبه : ان الناس يرون القمر دائما وهو يمر في منازل التي
يبدأ فيها هلالا حتى منتصف الشهر فيكون بدرا مستديرا ثم يرجع مرة أخرى
يتناقص شيئا فشيئا حتى يعود هلالا ، وهكذا كل شهر يسير على هذا النظام
لم يتغير ولم يتأخر مرة واحدة منذ أن قدره الله سبحانه وتعالى في الكون
ويستمر كذلك الى أن تقوم الساعة ، والقمر في بداية طلوعه (هلالا) يكون

(١) سورة يس : آية (٣٧-٤٠) .

ضعيفا نحيلًا ، وهذه هي البداية التي قدرها الله سبحانه وتعالى في الخلق والانسان والحيوان والنبات البداية من ضعف ثم بعد ذلك تكون القوة والفتوة والنضوج والنضارة ، وهذه في الهلال عندما يصير بدرا ، ثم بعد ذلك يرجع الى الضعف مرة أخرى ، والانحطاط والنهاية .

المشبه به : القمر صورة مشاهدة للبشرية تدركها ابصارهم يوميًا وعندما تكون الصورة المعروضة لها منفذ واحد من حواس الانسان للدخول بها الى نفسه ومشاعره تكون ضعيفة ، وكعادة القرآن ليقوى هذه الصورة ويجعلها تنفذ الى النفس البشرية ، يشبهها بصورة أقوى منها يجتمع حاستان أو أكثر والهلال والقمر مع حياة الانسان مع استمرارها ووجودها وتكراره دائما الا أنه يثير في النفس الانسانية احساسات ومشاعر وجدانية ايمانية بل ويجدد دائما هذه الاحساسات والمشاعر في الانسان المؤمن بربه فيستجيب الى القدرات الالهية ، أما النفس الخبيثة التي لاتحس ولاتشعر بذلك فانها تحتاج الى صورة أقوى منها تقع عليها الحواس ، فكان تشبيه القمر بالعرجون القديم ، وذلك حتى يكون أقدر على تصوير المشبه كما تراه العين وتلمسه اليد وتشعر به النفس ، والعرجون هو أصل العذق الذي يعوج من القدم ويبقى على النخل يابسا بعد ان تقطع عنه الشماريخ فالعرجون مشاهد ولموس فكان التشبيه أقوى مع التشبيه في الآية محسوس بمحسوس الا انه لابد أن يكون في المشبه به أقوى من المشبه حتى يعطى الصورة واضحة وتكون لها تأثيرا أقوى في النفس البشرية ، والعرجون نبات ، والنبات كالقمر ، يبدأ ضعيفا ثم يتقوى حتى يصل الى درجة القوة والنضارة والنضج ، ويعطى ثماره ومنافعه كالقمر تماما ، في أيام بدره فهو ينفع الكون والبشرية بضوئه ، في هذه الليالي المقمرة ، ثم بعد ذلك يبدأ النبات في الضعف والوجوم والشحوب والذبول الدال على النهاية كالعرجون الذي ذبل ويابس وقدم ، ومع قدمه انعوج ، فالقمر كذلك عند عودته الى الهلال مرة أخرى يعنى ذبوله ووجومه وشحوبه .

وجه الشبه : والوجه الجامع بين المشبه والمشبه به هو البدايئة من ضعف ثم النهاية الى ضعف ، وهذا فيه تحذير للانسان بعدم الاغترار بنفسه فى أيام قوته وفتوته وشبابه ، فهو يبدأ ضعيفا وينتهى ضعيفا ، وفى هذا التشبيه اخراج ما ليس له قوة فى الصفة وهو منازل القمر حيث أنه يشاهد فقط الى ماله قوة فى الصفة وهو العرجون حيث أنه تجتمع عليه معظم الحواس من اللمس والنظر وتحققت لها قوة صفته . والله أعلم .

ثالثا : تشبيه البعث بالنبات :

١- قال تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (١) .

٢- وقال تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير) (٢) .

٣- قال تعالى : (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذى أحيها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير) (٣) .

- المشبه : قضية البعث والاحياء والاماته كثر فيها جدال المشركين الكفرة بالله سبحانه وتعالى الملحدين ، وكثرت فيها تساؤلاتهم وانكارهم وجودهم لها على حسب تصوراتهم وقدراتهم الذهنية التى لاتبعده عن المحسوسات أمامهم مع أن هذه القضية موجودة على صفحة الكون تتكرر كل يوم أمام الانسان على مدى الحياة فى يسر وسهولة وبساطة ، ولاتستدعي من الانسان الا مجرد التفكير بعقله وايمانه فيها وفى حدوثها ، فيعرف

(١) سورة فاطر : آية (٩) .

(٢) سورة الحج : آية (٥ - ٦) .

(٣) سورة فصلت : آية (٣٩) .

من خلالها قضية البعث والحياة بعد الموت التي ينكرها ولا يتقبلها عقله لأنه لا يحسها ولا يراها على حقيقتها مع أنها تتكرر معه كل يوم على سطح الأرض .

المشبه به : ان المشبه به هذه الأرض الأم التي لها علاقة وثيقة بالانسان والنبات والحيوان ، حيث ان هذه المخلوقات تتكون من عناصر الأرض فمنها خلق وفيها يعاد ومنها يخرج مرة أخرى ، هذه الأرض تتكون هامة ، لانفس فيها ولا حركة ، والهمود هو درجة بين الحياة والموت ، وهي في هذه الحالة الشبه منتهية في حالة السكون وعدم الحركة والحياة تكون هناك المفاجأة العجيبة في حركة هذه الأرض واحياءها وهي بانزال الماء عليها الذي هو عصب الحياة والعنصر الاصيل في الاحياء ، وذلك بعد ان يرسل الله سبحانه وتعالى الرياح التي تثير السحاب فالرياح الساخنة تثير البخار من المحيطات والبحار ، والرياح الباردة تكثفها حتى تصير سحابا ، علاقة وثيقة بين السماء والأرض ، ثم بعد ذلك يسيرها الله سبحانه وتعالى الى حيث يريد يمينا وشمالا الى أرض ميته فتتحرك هذه الأرض حركة عجيبة بالماء بعد أن كانت هامة ساكنة . حادثة سجلها القرآن كما قال سيد قطب في ذلك: سجلها القرآن قبل ان تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الاعوام ، فالترية الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تشرب الماء وتتفتح فتربوا بالحياة (١) .

وذلك باخراج النبات عنها أنواعا وأصنافا وألوانا بهيجا نظرا ، وهل توجد حياة بهجة نظرة بعد هذا الهمود والركود والسكون ، وفي مشهد هذه الحياة النابضة بالحركة والحيوية والنشاط بعد الموت في صفحة الكون وعلى سطح الأرض وفي اخراج النبات وبعثه من الأرض تصوير البعث

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب (٤ / ٢٤١١) .

بعد الموت كما فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما بين النفختين أربعون ، قالوا يا ابا هريرة أربعون يوماً ؟ قال آبيت . قالوا أربعون شهراً . قال آبيت . قالوا أربعون سنة قال آبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : وليس من الانسان شىء الا يبلى الا عظاما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) (١)

وجه الشبه : ان وجه الشبه فى هذه الصورة التشبيهية الرائعة التى تنير وجدان الانسان وتهز قلبه وتوقظ مشاعره واحاسيسه بما يحدث فى الكون ويشاهد ، ترسم البعث وتصوره وتجعله كأنه مشاهد ملموس محسوس يرى فى كل لحظة وحين وفى كل زمان ومكان ، انه تشبيه مركب من عدة صور ولقطات فى المشبه والمشبه به ، الجامع بينهما هو الاحياء والبعث والنشور بعد الموت والهمود والركود ، تشبيه البعث واحياء الموتى من القبور بالنبات ، باخراجه من الارض الميتة التى تتوفر لها بعد ذلك كل الاسباب وتتهيأ فى احياءها بعد موتها ، وبهذا المشهد المشاهد المعروف المحسوس من النبات تكون الحجة الدامغة على من أنكروا البعث بعد الموت حتى

(١) فى باب عم يتساءلون فى صحيح الخارى / (٢٠٥/٦) ، كتاب

التفسير ، صحيح مسلم / (٢٢٧١/٤) كتاب الفتن و اشراط الساعة واللفظ

لمسلم . فى باب ما بين النفختين .

آبيت : معناه أن اجزم بان المراد أربعون يوماً او شهراً او سنة

بل الذى أجزم أنها أربعون مجملة ، وقد جاءت مفسرة من روايات

غيره فى غير مسلم أربعون سنة . انظر صحيح مسلم (٢٢٧١/٤) . الهامش

عجب الذنب : العظم اللطيف الذى أسفل الصلب وهو راس العصعص

ويقال له عجم الذنب وهو أول ما يخلق من الانسان وهو الذى يبق

منه ليعاد تركيب الخلق عليه . المرجع السابق .

يدحضوا فى جدالهم وججودهم ، ويكون لهم الخزى والضعف والاستكانة والذل على هذه الارض ثم العذاب والنكال فى الآخرة .

- تناسق وتنوافق ألفاظ الآيات مع التشبيه :

لقد أظهر لنا التشبيه أن الصلة وثيقة بين بعث الحياة فى الأرض الميتة وبعث الحياة فى الموت من القبور ، واخراجهم منها عند التدبير والتأمل فى الآيات السابقة فى تركيب جملها وكلماتها وألفاظها ، نجد أن هناك دقة فى اختيار الألفاظ فى كل آية على حسب ما يناسب جو الآية وموضوعها . وحسبى فى ذلك قول المفسر الفاضل سيد قطب فى هذا البيان والتوضيح والتحليل من الآيات فقال: " وعبر القرآن عن الأرض قبيل نزول المطر وقبل تفتحها بالنبات مرة بأنها " هامة " ومرة بأنها " خاشعة " وقد يفهم البعض أن هذا مجرد تنويع فى التعبير ، فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان " لقد وردتا فى سياقين مختلفين على هذا النحو " وردت (هامة) فى هذا السياق قال تعالى (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علمه شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) " (١)

" ووردت (خاشعة) فى هذا السياق (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحيها لمحيط الموتى انه على كل شىء قدير) " (٢) .

(١) سورة الحج: آية (٥) .

(٢) سورة فصلت : آية (٣٧-٣٩) .

وعند التأمل السريع في هذين السياقين يتبين وجه التناسق في " هاميدة " و " خاشعة " ان الجو في السياق الاول جو بعث و احياء واخراج ، فمما يتسق معه تصوير الارض " هامة " ثم تهتز وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج ، وان الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود ، يتسق معه تصوير الارض " خاشعة " فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت ثم لايزيد على الاهتزاز والارباء هنا في آية " خاشعة " الانبيات والاخراج - كما زاد هناك في آية " هامة " ، لانه لامحل لها في العبادة - السجود ، ولم تجيء " اهتزت وربت " هنا للغرض الذي جاءتا من أجله هناك ، انهما تخيلان حركة للارض بعد خشوعها ، وهذه الحركة هي المقصودة هنا ، لان كل مافي المشهد يتحرك حركة العبادة ، فلم يكن من المناسب أن تبقى الارض وحدها خاشعة ساكنة ، فاهتزت لتشارك العابدين المتحركين في المشهد حركتهم ولكي لا يبقى جزء من اجزاء المشهد ساكنا ، وكل الاجزاء تتحرك من حوله ، وهذا لون من الدقة في تناسق الحركة المتخيلة يسمو على كل تقدير (١) .

أقول: أما الآية في سورة فاطر فلم يذكر فيها الاهتزاز والارباء وانما ذكر الاحياء ، لانه مناسب للفظ الموت ، والاماتة لم تكن في الارض فقط وانما كانت في البلد ، والبلد بكل مافيها من أرض وسكان ونبات وحيوان فالمعنى وكأنه ان هذه البلد صحراء جدباء لاحياة فيها اطلاقا وعندما أحيا الله سبحانه وتعالى أرضها بالماء لان الماء حياة كل شيء في هذه الأرض فدبت فيها الحياة والحركة من الانسان والحيوان والنبات ، والتمنع وأصبحت بعد ان كانت بلدميتة بلد حية حركة نشطة ، فناسب مع الموت الاحياء ومع الهمود والخشوع ، (هو ما يخص التربة فقط) الارباء والاهتزاز لأنه ممكن أن تكون هذه حية بالسكان والحيوان الا أن النبات معدوم فيها لأن أسبابه لم تنهيه ، فعندما يسرها الله سبحانه وتعالى اهتزت هذه التربة وربت وأنبت . والله أعلم .

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب (٣١٢٥/٥ - ٣١٢٦) .

وفى هذا التشبيه اخراج مالم يعلم بالبديهة للبشر الى ما هو معلوم
بالبديهة: من احياء الارض الموات بالنبات ، واخراج مالم تقع عليه
الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة ، فالبعث امر غيبى لاتقع عليه الحواس
والأرض الهامدة والخاشعة والنبات تقع عليه الحواس . والله أعلم .

رابعاً: تشبيه ضعف الكفرة باعجاز النخل فى مقاومتهم لعذاب الله فى

الدنيا والآخرة :

- ١ - قال تعالى : (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ، انا أرسلنا عليهم
ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم اعجاز نخسل
منقعر) (١) .
- ٢ - قال تعالى : (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع
ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم فيها صرعى و كأنهم أعجاز
نخل خاوية) (٢)
- ٣ - قال تعالى : (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) (٣)
- ٤ - قال تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم
تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ،
فجعلهم كعصف مأكول) (٤) .

-
- (١) سورة القمر : آية (٢٠-١٨) .
 - (٢) سورة الحاقة : آية (٧-٦) .
 - (٣) سورة القمر : آية (٣١) .
 - (٤) سورة الفيل : آية (٥-١) .

كعادة الرسل والأنبياء مع أقوامهم في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى فانهم يواجهونهم بالتكذيب والتعذيب والاستهزاء والسخرية والعنساد والاستكبار في الارض على الله ورسله وعلى رسالاته وعلى البشرية كلها ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يتركهم على عنادهم وجبروتهم وانما يمهلهم ويعطيهم فرصة ليزدادوا سوءا ومكرا وخداعا لانفسهم ، ولا يترك صفوة خلقه بيديهم للتعذيب والسخرية وانما ينتقم لهم منهم ، فاذا كان عنادهم وجبروتهم يعتبرونه قوة لهم مدمرة يستطيعون ان يدمروا بها الكون فان الله سبحانه وتعالى اقوى منهم فهو خالقهم وعالم بهم فتدميرهم يكون على يده فيسلط عليهم من العذاب ما هو مناسب لهم في قوتهم وعنادهم وتحديهم وينصر انبياءه ورسله ، والعناد والتحدى والجبروت قوة قاسية في الانسان .

- المشبه والمشبه به في الآيات :

لما كانت القوة والجبروت صفات الكفار او أعلى درجات القسوة ناسب أن يكون العقاب والعذاب بما هو أقوى واقسى فمنهم من كان عذابهم بالريح الباردة الشديدة العنيفة التدامت عليهم عدة ايام فصارت تنزعهم نزعا كما تنزع النخل من جذورها وتلقيها بعيدا عن اماكنها فصورهم الله سبحانه وتعالى وصور عذابهم من الطبيعة ، فكان تشبيههم بالنبات في اقتلاعه وفي صرعهم عند الموت بالنبات ، اى باعجاز النخل المنخلعة من اماكنها الخاوية البالية من القدم ، ثم بعد هذا بالهشيم وهو النبات الجاف المتكسر ، ثم بالعصف المأكول .

- أولا: الصورة التشبيهية في عذاب قوم عاد :

صور الله سبحانه وتعالى عذاب قوم عاد لمن بعدهم من الأمم والأقوام بأن أرسل اليهم ريحا باردة عنيفة شديدة دامت أياما عليهم ، وكانت ريح شؤم وعذاب وهلاك فاخذت تنزعهم نزعا شديدا من اماكنهم وتخذلهم

وتحطمهم تنزعهم حسيا باجسادهم وتنزعهم معنويا من عنادهم وكبرياءهم —
وغرورهم واعتزازهم باموالهم وانفسهم وطغيانهم فأين هذا كله من عذاب
الله عز وجل بهم ، ثم تنزعهم بعد ذلك كالنخل تماما المنقلع
من جذوره رغم قوته وصلابته ، فالتصور فى النخلة رغم قوتها وطولها —
وعمق جذورها فى الارض وغوصها فيها الا انها انقلعت من مكانها بسبب الريح
المسلط عليها والريح جند من جنود الله سبحانه وتعالى فى الارض سلطها —
على قوم عاد فتنزعهم من غرورهم وكبرياءهم واماكنهم الى غير رجعة —
كان فيها الدمار والهلاك فهم امام هذا كله لا يستطيعون المقاومة ولا يقوون ،
على الامتناع والتحدى والاصرار على البقاء وذلك لانها تلقيهم صرعى مصروعين
بالموت او مصروعين من هول العذاب ، او مصروعين من شدة الريح ، فهي
تصرعهم بأن تلقيهم على الارض مهالكين خاوين كالنخل التى خوى داخلها —
ويجوف من التآكل فاصبحت هشة فارغة خفيفة منتهية محتقرة ساقطة على الارض ،
لافائدة منها ، وذلك كما ذكر فى الآية الثانية ، (فترى القوم فيها صرعي
كأنهم أعجاز نخل خاوية) بل ربما النخل يستفاد منه بعد موته وسقوطه —
على الارض لكن هو لاء فى الموقف العظيم هذا والمشهد الكئيب المشعشع —
لا يستطيعون حتى أن ينفعوا أنفسهم ويبدفوا عنها أمام عذاب الله عز وجل .

— تناسق وتوافق الالفاظ فى الآيات مع التشبيه :

نجد تناسق وتوافق الالفاظ فى الآيات مع التشبيه حيث أن السياق
فى الآية الأولى كان وصف النخل بلفظ (منقعر) وفى الثانية بلفظ (خاوية)
وذلك يناسب سياق الآية فى اللفظ والمعنى بما قبلها وبعدها ، وفى الآية
الأولى (منقعر) وذلك مراعاة للالفاظ التى قبلها وبعدها ، فكل الآيات
كانت تنتهى على نفس النسق والجرس اللفظى فكان نهاية كل آية قبلها —
بالالفاظ عسر ، وازدجر ، ومدكر ، ومستمر ، وبعدها اشر ، اصطبر .

أما مراعاة المعنى ، فان الريح التى أرسلها الله سبحانه وتعالى أصبحت تنزع الناس ، كالسنخ التى تنزع من جذورها ، وهذا يبين حالة انقلاع الرياح لهم عند هبوبها واشتدادها . أما الآية الثانية تبيّن حالة النخل بعد النزاع وهو أنها بالية وخلو المكان منها ، فظهر فيها حالهم بعد الانتزاع والانقعار لهم ، وهو أنهم صرعى وأموات ، فكانت تلك البداية وهذه النهاية ، ففى الآية الأولى تظهر حالة الريح فى نزوعها وفى الآية الثانية تظهر حال الناس بعد هذه الريح وهى صرعى ، فكان المعنى: أرسل الله سبحانه وتعالى الريح عليهم شديدة ، فنزعتهم من أماكنهم حتى ألقوا على الأرض وهم صرعى وأموات منتهين . ثم ان الآية الثانية أيضا روعى فيها تناسق الجرس اللفظى والمناسبة لما قبلها وبعدها من الآيات ، فكان نهاية كل آية قبلها بالالفاظ ، طاغية ، وعاتية ، وبعدها باقية ، وخاطئة ورابية وهكذا (١) .

ثانيا : الصورة التشبيهية فى عذاب قوم ثمود :

أما الآية الثالثة : فكان وصف قوم ثمود بالهشيم المحتظر ، وهو بأن أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم صيحة واحدة ففعلت بهم ما فعلت حتى جعلتهم كالهشيم المحتظر ، والهشيم المحتظر : هو الحظيرة التى تصنع من أعواد جافة والهشيم هو العشب الجاف من النباتات والأعواد الجافة منه ، او الحشيش الجاف ، وقد شبههم الله سبحانه وتعالى بالنبات الجاف المتهشم المتكسر وذلك بجامع الجفاف والتكسير واليبس فيهم بعد سماع الصيحة وفى النبات ، حيث أن النبات الجاف اليابس سريع التكسير والتحطيم فهم أصبحوا بعد موتهم مثل هذا النبات الجاف اليابس المتكسر بعد سماع الصيحة ، وقد فعل الله عز وجل بهم ذلك ليرد على تعاليهم وتكبرهم

(١) انظر مشاهد يوم القيامة / سيد قطب (١٨٢-١٨٣) دار الشروق .

فأين تكبرهم وجبروتهم وهم بهذه الحالة المهيمنة المفجعة المفزعة ، أين تكبرهم وتعاليمهم .

ثالثا : الصورة التشبيهية فى عذاب أصحاب الفيل :

ثم نجد فى الآية الرابعة أن الله سبحانه وتعالى حين عذب أصحاب الفيل فإنه قد ارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، وبعد هذا المنظر المخيف المذهل المروع للنفس من تسليط الله الطير عليهم ورميهم بالحجارة ، بعد هذا العقاب المدمر والمهلك الشنيع فى صورته وهيأته وطريقة العذاب ، بعد هذه المعركة التى دارت بين رسل الله من السماء وجنده وبين اصحاب الفيل التى انتصر فيها جند الله عليهم وجعلهم الله سبحانه وتعالى كالعصف المأكول ، وهذا مقابل العناد والتحدى والمهجوم على بيته الحرام ، الذى نسي أبرهة الحبشي أن لهذا البيت رب يحميه فجعلهم الله كعصف مأكول وهذا جزء مصير التعدى على الحدود والحرمت والعصف المأكول اختلف فى تفسيره على اقوال واراى وذلك كما ذكرها الرازى فى تفسيره فقال :

احدها : انه ورق الزرع الذى يبقى فى الارض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتاكله المواشي .

الثانى : قال أبو مسلم : العصف : التين ، لقوله (ذو العصف والريحان) لانه تعصف به الريح .

ثالثا : قال الفراء هو اطراف الزرع قبل ان يدرك السنبله .

رابعا : هو الحب الذى أكل لبه وبقى قشره .

والمأكول كما ذكر فيه على وجوه :

١- أنه الذى أكل فيكون كزرع وتبين قد أكلته الدواب ثم ألقته روثا ،

ثم يجف وتتفرق اجزائه ، أو أن يكون التشبيه واقع بورق الزرع اذا

وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود .

- ٢ - هو الزرع الذى قد اكل حبه وبقي تبينه .
٣ - أنه مما يوهكل يعنى تأكله الدواب (١) .

فعلى كل الأقوال والتفسيرات التى وردت فى (كعصف مأكول) المراد منه ان الله سبحانه وتعالى شبههم بعد أن أرسل عليهم العذاب وهم فى تلك الحالة البشعة بالعصف المأكول ، وهو النبات الذى جف وتعصف به الريح ، سواء من ورق الشجر المصفر الجاف ، او التبين الذى يلقي من قشور النباتات للحيوانات فتمضغها وتهرسها وتطحنها وتاكلها ثم تلقيها روثا ، او النباتات الجافة والروث الذى تدوسه بارجلها فتهرسها فى هذا كله تشبيه حسى بتمزيق اجسادهم وطحنها وهرسها بفعل الاحجار التى رمتهم ورجمتهم بهذا هذه الجماعات من الطيور التى أرسلها الله سبحانه وتعالى اليهم وسلطها عليهم وجعلتهم لاقيمة لهم ولا حياة ولا منفعة منهم او اليهم .

والتشبيه فى الآيات هو اخراج ما لاتقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة ، وذلك أن عذاب الأمم السابقة التى ذكرتها الآيات لم يكن موجودا وقت نزول القرآن وانما كان قبل ذلك ، فبهذا لم تقع عليهم حواسهم فبينه الله سبحانه وتعالى ، وأظهره ووضحه عندما أخبر به فى سورة النباتات التى تقع عليها حواس الانسان ، والله أعلم .

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى (٤٨٥/٨) .

المبحث الرابع

اسلوب التشبيه بالنسب في الحديث النبوي الشريف وأثره في النفس

اولا : تشبيه نبت الأجساد في الآخرة بنبت النبات في الدنيا :

- في سنن الدارمي قال: اخبرنا عمرو بن عون عن خالد بن عبد الله عن سعيد بن يزيد بن سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما أهل النار الذين هم أهل النار فانهم لا يموتون في النار أما ناس من الناس فان النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها اذا صاروا فحما أذن في الشفاعة فيخرجون من النار ضبائر ضبائر (١) فينشرون (٢) على أنها رالجنة فيقال لأهل الجنة تفيضوا عليهم من الماء ، قال : فيفيضون (٣) عليهم فتنبت لحومهم كما ينبت الحبة في حمل السيل) (٤)

أما في سنن ابن ماجه فقال :

حدثنا نصر بن علي واسحاق بن ابراهيم بن حبيب قالا : حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم نار بذنوبهم او بخطاياهم فاماتتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن لهم في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا (٥)

(١) ضبائر : جماعات في تفرقة ،

(٢) ينتشرون : يفرقون .

(٣) يفيضون : تسيلون . وتصبون عليهم من ماء الأنهار .

(٤) سنن الدارمي / محمد الدارمي (٣٣٢/٢) دار الكتب العلمية .

صحيح مسلم (١/١٧٢-١٧٣) بلفظ مختلف ، كتاب الايمان ، باب اثبات الشفاعة .

(٥) فبثوا : فرقوا .

على أنهار الجنة ، فقيل : يا أهل الجنة : أفيضوا عليهم ، فینبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل (١) قال: فقال رجل من القوم: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فى البادية (٢) .

انبت الانسان من الماء بعد موته شيء غير مألوف للبشر ولم تجر به العادة ولم تقع عليه حواسهم لانه شيء لم يحدث فى الدنيا ولا يحدث ولــــن يحدث ، وانما هذا من أمر الآخرة من أمور الغيب التى لانعلمها الا ما أخبرنا بها الله عزوجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث عن مصير أهل النار وأهل الجنة فان أهل النار وهم الكفرة والمنافقون والملحدون والمشركون ، أما أهل الملة ، فانهم يدخلونها ويحرقون ويعذبون فيها على قدر ذنوبهم فى الدنيا ثم يأمر الله سبحانه وتعالى باخراجهم منها بعد اذنه فى الشفاعة لهم، فجىء بهم جماعات جماعات ثم ينشرون على أنهار الجنة، النهر حيث مصدر من مصادر الماء، والنار لا يطفئها الا الماء ، وآثار احراقها من الرماد والسواد لا يزيله الا الماء ، فكان الامر لاهل الجنة بان يفيضوا عليهم من ماء الانهار اى يصبوا عليهم الماء صبا بافاضة ، وعند صب هذا الماء عليهم بافاضة حتى يسيـــــل كما تسيل السيول من مياه الأمطار يكون انباتهم وخرجهم مرة أخرى للحياة الاخرية ، ولكنها تختلف عن الأولى ، فالأولى عذاب و احراق والثانية نعيم مقيم ومتعة دائمة ، ولكن كيفية الانبات هى التى فيها الاعجاز وفيها اعجاز بيانى أيضا ، فكون الانسان ينبت فى الآخرة من الماء بهذه الصورة

(١) حمل السيل: الغشاء الذى يحتمله السيل .

(٢) سنن ابن ماجة (١٤٤١/١) كتاب الزهد / باب ذكر الشفاعة / تحقيق محمد

فؤاد عبد الباقي .

صحيح مسلم (١٧٢/١-١٧٣) كتاب الايمان بنفس اللفظ . باب اثبات الشفاعة .

الواضحة المذكورة فى الحديث شىء لا يدركه العقل البشرى لانه لم يكن مألوفاً لديهم ، ولاجرت به عادة ولم تقع عليه حواسهم ، وهذا شىء لا بد منه لانه أمر من أمور الآخرة وأمور الآخرة غيب ، ومادام غيب فمهما كانت عقولهم وكانت تخيلاتهم وتصوراتهم فانها لاتستطيع ان تصل الى ذلك مهما حاولوا لانها خارجة عن قدراتهم العقلية مهما كانت ولم يترك الاسلام ولم تترك الشريعة البشر يتخبطون فى ذلك على حسب عقولهم وتفكيرهم وتصوراتهم وخيالاتهم وانما اتت لهم بصورة حية تجدها امامهم حتى تخاطب حواسهم صورة خلاصة بديعة من الطبيعة التى يعيشها حتى تستطيع ان تهيمن على مشاعر الانسان واحساسه ووجدانه وكيانه وايمانه بالله عز وجل ، عند ذلك يتعمق فى نفسه ويزداد وهى صورة انبات البذرة فى مجرى السيول ، والتشبيه فى هذا هو تشبيه حصى بحصى مركب من عدة صور .

فالمشبه هو نبت الانسان من ماء أنهار الجنة ، وذلك بان يفاض عليهم الماء بكثرة ثم ينبتون كما تنبت الحبة اى بذور البقول أو حبة الرياحين فى مجرى السيول ، وفى هذا تشبيه سرعة عودة أبدانهم وأجسامهم اليهم بعد احراق النار لها كالحبة التى اذا ألقيت واستقرت فى وسط مجرى السيل فانها تنبت فى يوم وليلة وذلك من كثرة الماء عليها أو وجودها فى الماء لفترة طويلة يساعدها على النضج ، والتفتح بسرعة ، ثم امتداد جذورها فى الأرض ، فوجود الماء أيضا يساعد الجذور على امتصاص ما فى التربة من غذاء ثم يساعد هذا على انبات الساق خارج الأرض أى على ظهرها فتخرج هذه النبتة الى الحياة الأرضية .

ثانيا : تشبيه سمن الماشية باللحوم كسمنها بالنبات :

ففى سنن ابن ماجه قال:

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن اسحاق ، حدثنا

عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال: (تفتح ياجوج وماجوج ، فيخرجون كما قال

الله تعالى :) وهم من

كل حذب (١) ينسلون (٢) فيعمون الارض وينحاز منهم المسلمون ، حتى تصير بقية المسلمين في مداائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه ، حتى ما يذرون فيه شيئا ، فيمروا بهم على أثرهم فيقولوا لهم : لقد كان بهذا المكان مرة ماء ، ويظهرون على الارض ، فيقولوا لهم : هؤلاء أهل الارض ، قد فرغنا منهم ولننازلنا أهل السماء ، حتى أن أحدهم ليهز حربته الى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون : قد قتلنا أهل السماء ، فبينما هم كذلك اذ بعث الله دواب كنفج الجراد ، فتأخذ باعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون : من رجل يشرى نفسه وينظر مافعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه ، فيجدهم موتي، فيناديهم : ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم ، فما يكون لهم رعى الا لحومهم فتشكر (٤) عليها ، كاحسن ما شكرت من نبات أصابته قط (٥) .

بعد أن ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث ما ذكر من خروج يأجوج وما يفعلوه في الارض والبشر وبعد انتهاءهم وموتهم بما يصيبهم الله عز وجل من الدواب فيميتهم ، يخرج الناس من بيوتهم فيتركون أغنامهم

-
- (١) حذب : غليط الارض ومرتفعها .
 - (٢) ينسلون : يسرعون . سورة الانبياء ، آية (٩٦) .
 - (٣) كنفج : دود يكون في أنوف الابل والغنم .
 - (٤) فتشكر : تسمن وتمتلىء شحما .
 - (٥) سنن ابن ماجه (١٣٦٤/٢) كتاب الفتن / باب فتنة الدجال وخروج يأجوج وماجوج .
- أخرجه الحاكم بنفس اللفظ عن أبي سعيد الخدري (٤/٤٨٩-٤٩٠) .
وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة بغير هذا اللفظ (٣٧٥/٤) وقال هذا حديث حسن غريب .
وأخرجه مسلم أيضا بلفظ مختلف (٢٢٥٤/٤) كتاب الفتن . باب ذكر الدجال .

ومواشيهم تأكل من جيفهم حتى تسمن من رعيها على لحومهم ، وذلك لأنه لا يوجد نبات بسببهم ترعاه المواشي ، كما هي معتادة من رعي النباتات ، فترعي على لحومهم وسمنها على رعي لحومهم هو تماما مثل رعيها من النباتات فـ في الفائدة الغذائية وهذا تشبيه حسي بحس وذلك مفرد فيه اخراج مالا قوة له في الصفة الى ماله قوة في الصفة وذلك حيث أن رعي الماشية دائما على النبات وليس على اللحوم فشبها سمنها واستفادتها من رعي النباتات ففادتها من اللحوم ، كفادتها من النباتات لان الحيوان أساس غذاة لحمه من النبات فالمكونات الموجودة في النبات هي الموجودة في الحيوان ، وهذا يدلنا على فوائد النبات التي تعتبر هي الغذاء الأساسي والرئيسي للانسان والحيوان .

ثالثا : تشبيه منازل البشر في الدنيا والآخرة بالنبات :

في فيض القدير :

(كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار فاسلكوا اي طريق شئتم فأى طريق سلكتم وردتم على أهله) (١) .

ان لكل طريق بداية ونهاية وفيه من المساويء والمحاسن كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم : (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات) (٢) .

(١) فيض القدير / المناوى (٤٧/٥) قال السيوطى (٩٦/٢) اخرج فـ في الحلية لابي نعي ملامبهاى عن يزيد بن مرثد مرسلا واخرجه ابن عساكر عن أبى ذكر وفي الموضوعين الحديث ضعيف . قلت : لم اقف عليها في مرويات يزيد بن مرثد في الحلية (١٦٤/٥) - (١٦٦) وان كان الحديث ضعيفا الا ان معناه صحيح ويخدم الموضوع من حيث التشبيه بالنبات لذلك ذكرته .

(٢) صحيح مسلم : (٢١٧٤/٤) كتاب الجنة وصفتها . باب كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . حفت : حجبت .

ان طريق الحياة طويل ، ولهذا الطريق من الطرق التي تؤدي بالانسان الى النعيم والى العذاب ، وقد خلق الله الخلق وجعل لهم الخيار فى اختيار هذه الطرق ، ولكن لم يتركهم يتخبطون فيها ويتيهون ويضيعون على حسب أهوائهم وانما رسم لهم هذه الطرق وبينها ووضحها وحددها وماذا تحتوى ومن اين بدايتها وماهى نهايتها وعلى أى أساس أو هدف أو غرض يسير فيها فطريق بدايته صعبة وكله شوك وحسك لمن يسير فيه مصاعب ولكن نهايته النعيم المقيم ، والطريق الآخر بدايته مغرية وكله ورود وجمال وشهوات ولكنه فى النهاية هلاك وعذاب ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات) (١) وعلى الانسان ان يختار فى اى يسير ويحدد طريقه اما على حسب نهايته او على حسب ما يحتويه ، فالعاقل هو الذى يحدد الطريق على حسب النهاية والعاقبة كما قال الامام على رضى الله عنه فى خطبته (أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم) (٢) ثم يسير فيه ويكابد ويتحمل ويصبر الى أن يصل الى النهاية السعيدة بقدرته تعالى ، ومن يريد ملذات الدنيا وشهواتها وشهوات نفسه يسير فى الطريق الآخر حتى يصل الى النهاية المخزية المحزنة ، وبهذا يحظى الانسان بمنزلته ومكانته فى الدنيا والآخرة وهو من كان من أهل الله عز وجل وكل طريق له أهله وهذا ما بينه الحديث فانه لن يسير فى طريق الخير الفجار ولن يسير فى طريق الشر الابرار ، ولكن كل يسير فى طريق حسب رغبته وشهوته وهدفه وعرضه ، فانه لن ينزل الفاجر منزلة البار فى الدنيا من الهيبة والاجلال والصلاح والخير والآخرة كذلك من النعيم والسعادة ، ولن ينزل البار منزل الفاجر فى الدنيا من الذل والهوان والاستمغار ، والآخرة من العذاب والجحيم وذلك كما قال تعالى :

(١) سبق تخريجه . ص (٤٣٦) .

(٢) انظر البداية والنهاية / ابن كثير (٧/٨) .

(قل كل يعمل على شاكلته) (١) وقد قوى هذا المعنى وجلاه ووضحه ما في الحديث من التشبيه وهو تشبيه محسوس بمحسوس يزيد في صفة المشبه قوة وبياناً ووضوحاً ، حيث شبه الرسول عليه الصلاة والسلام بأهل التقى لا يسلكون طريق الشر بالنبات لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يجتنى من الشوك العنب) (٢) أى أن الانسان لا يجنى ويحصل من شجرة الشوك العنب وانما العنب يكون بجنيه وياخذه من شجره المعروف وشجر الشوك معروف فشجر العنب فيه خير وفائدة للانسان ثمره وورقه وعريشه ويكايد الانسان ويجاهد في غرسه وزرعه وحرثه للعنب الى ان يثبت ويكبر ويعرش ثم تظهر الثمرة ويصبر عليها الى ان تنضج فبعد ذلك ياتى موعد الحصاد والجنى والقطف ، فيقطعها ثمرة ناضجة حلوة المذاق لها من الفائدة ما لاتعد ولا تحصى ، ويستفيد من ورقها أيضا غذايا وطعاما ، ومن عريشه ظلاباردا يختمى فيه من لسعات الشمس ولهيبها ودفعا من برودة الشتاء . هذه هى النهاية السعيدة وهذه النتيجة وهذا هو الجنى والحصاد المرغوب المحبب للنفس بعد الكد والجهد والتعب ، والصبر والثبات فى الوصول اليه . اما الشوك فلا اهتمام للناس به ولا بزراعته لان ضرره أكثر من نفعه فهو يدمى البدن ويطلق فى البرارى ، فمن اهتم بغرسه فانه لا يجنى منه الا شوكا وحسكا ضارا غير نافع وفى هذا التشبيه بيان على أن الجزاء من جنس العمل ، فمن عمل الخير وسلك طريق أهله فانه يرد فى النهاية الى أهل الخير فيصير منهم ويسعد معهم ومن عمل الشر وسلك طريق أهله فانه يرد فى النهاية الى أهل الشر فيصير منهم ويشقى معهم ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . والانسان مع من أحب ، كمزارع العنب لا يجنى الا العنب وزارع الشوك لا يجنى الا الشوك ، وفى هذا التشبيه بالنبات قوة لايضاح طريق الخير والشر الذى يسعى فيه الانسان

(١) سورة الاسراء / آية (٨٤) .

(٢) سبق تخريجه ص (٤٦) .

في الدنيا ليؤدي به الى الآخرة بسعادة أو بشقاء .

ولقد أظلت البحث في فصل الأمثال عن فصل التشبيه وذلك لوقوفني على الآيات والأحاديث التي فيها التمثيل بالنبات أكثر من الآيات والأحاديث التي فيها التشبيه بالنبات، فلذلك أتت فصل التشبيه مختصراً عن فصل التمثيل .

...

المبحث الخامس

خصائص التشبيه

للتشبيه القرآنى خصائص تتميز عن الامور البلاغية الأخرى فى الكتاب والسنة ، لذلك نجدها فى كثير من الآيات والاحاديث لما له من الخصائص التى تؤثر فى النفوس ومنها:

١- أن القرآن يستمد عناصر التشبيه من الطبيعة وذلك لاعطاءه صفة البقاء مادامت وبقيت الطبيعة ، والعموم للناس جميعا لأن الطبيعة عامة للناس جميعا فهى لا تحتكر اشخاصا دون أشخاصا وهذا هو سر خلوده وبقائه ، فنجد ذلك فى الآيات والاحاديث التى مرت معنا فى التطبيقات حيث كان التشبيه بالنبات فى الكفر والايمان ومنازل القمر والبعث ونبت الاجساد وفائدة الحيوان ومنازل البشر ، كل هذا مشبه بالنبات ، والنبات من الطبيعة والطبيعة باقية مابقى الانسان ، والطبيعة ناظرة مرئية محسوسة للانسان والطبيعة عامة لكل البشر فى كل زمان ومكان ، لذلك نجد القرآن يتخذها ميدانا واسعا ليقتبس منها الصور التشبيهية لان هذا ابلغ فى التأثير فيهم لما يدركون من عناصرها وهى قريبة منهم وبين أيديهم .

٢- انه جزء أساسى لا يتم المعنى بدونه ، فهو يأتى ضرورة فى الجملة يتطلب المعنى ليصبح واضحا قويا ويعطى الفكرة المراد عرضها فى صورة واضحة مؤثرة لما له من المكانة فى نقل الفكرة وتصويرها وهذا واضح فى الآيات السابقة كيف ان التشبيه بالنبات فى الآيات والاحاديث كان جزءا أساسيا فى الآية لما فيه من اتمام المعنى واكماله ، ولم يكن شيئا اضافيا فقط لابرار الشكل اللفظى فقط وتزيينه وانما هو جزء من المعنى بحيث لو سقط من الجملة لانهار المعنى ولم يتم،

ثم ان التشبيه فى الآيات السابقة والأحاديث أعطى الفكرة فى صورة واضحة تؤثر فى النفوس بحيث اعطى صورة منازل القمر مثل العرجون القديم من النخل ، وأعطى صورة البعث فى احياء النبات واخراجهم من الارض وأعطى صورة الكفر والايمان فى النبات الخبيث والنبات الطيب ، وهكذا بقية الآيات والأحاديث أعطيت الصورة واضحة بالنبات لتتمكن فى النفس وتتوطد فيها .

٣ - دقة التشبيه فى الوصف والتقبيد وذلك بان يقيد الفكرة فى صورة مقيدة بكل اتجاهاتها وابعادها حتى تأتى الصورة دقيقة واضحة أخاذة وذلك عندما وصف البعث وصفه وقيده فى صورة النبات بكل اتجاهات النبات وابعادها وما يحتاجه من الماء وكيفية انباته وخروجه من الارض و احياء الارض الموات به ، فأنت الصورة دقيقة واضحة لاتحتاج الى جدال .

٤ - اختيار الالفاظ الدقيقة المصورة والموحية للفكرة فعندما صور لنا منازل القمر نجد أنه آثر لفظ العرجون مع الهلال لان العرجون هو عود عذق النخل القديم ففى القدم تحول ونهاية فى الهلال والعرجون فاعطى الصورة بمجال لفظى يعبر عن الاحساس البصرى والشعور النفسى ونجد فى قوله تعالى : (انها ترمى بشرى كالقصر)^(١) فأثر كلمة القصر مع الشرر ، والقصر هو الشرر الضخم ، والقصر البيت الضخم ، فالقصر كلمة تشترك فيه عدة معانى ، فلذلك آثر على اى معنى حتى تعطى كل ما يوحى بالضخامة والعظم للشرر^(٢) .

(١) سورة المرسلات ، آية (٣٢) .

(٢) انظر : بينات المعجزة الخالدة : حسن ضياء الدين عتر (٢٧٨-٢٨٠) ، من بلاغة القرآن / أحمد بدوى (١٩٦-٢٠١) .

المبحث السادس

أغراض التشبيه وأهدافه

للتشبيه القرآنى أهداف وأغراض من أجلها كان وجودها فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لان التشبيه أسلوب من أساليب البيان والتوضيح فعندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لعباده قضية ما ويجليها لهم بحيث تظهر بكل أبعادها ومحتوياتها يكون التشبيه هو الأسلوب الذى يظهر هذه القضية وهى المشبه فى صورة المشبه به الذى قصدها القرآن لايضاح هذه القضية المصورة فى المشبه وأغراض التشبيه وأهدافه تكون موجودة فى المشبه والمشبه به .

(١) بيان صفة المشبه وذلك عند كون المشبه مجهولا وغير واضح أو معروف الصفة ، فيقاس أمره على المشبه به بأن يكون معروفا واضحا فبوضوحه تتضح صفة المشبه ويظهر ما كان فيه مجهولا . مثال ذلك ما ذكر من ارادة الله سبحانه وتعالى فى توضيح حال قرم عاد وشمود فى الأزمان الماضية حينما أرسل عليهم الريح الصرصر العاتية والصيحة فشبهم بما هو مألوف عند البشر وواضح فى حياتهم وهو اصول النخل الفارغة والمنزوعة من مكانها ، وهذا مامر معنا فى التطبيقات .

(٢) تقرير حال وصفة المشبه فى ذهن السامع ونفسه وذلك بابرار الحالة أو الصفة فيما هو اقوى منها وأظهر وهذا لكثير فى تشبيه الامور المعنوية بالحسية بحيث يعطى الصورة المعنوية الذهنية فى صورة حسية مشاهدة حتى تتمكن هذه الحالة والصفة فى نفس السامع وتستقر فى ذهنه وذلك لما فى النفس من الميل الى المحسوسات أكثر من المعنويات ، مثال ذلك : مامر معنا فى التطبيقات من الآيات والاحاديث فى تشبيه صفة البعث والخروج من القبور بالنبات وفى وصف أصحاب الفيل فى هلاكهم بالعصف المأكول .

- (٣) بيان مقدار حال وصفة المشبه من القوة والضعف والزيادة والنقصان وذلك اذا كان المخاطب يعرف صفته وحال المشبه معرفة اجمالية عامة بدون تحديد مقدار معين فهذه الصفة ، فيقاس على ما هو أقوى وازود منه وذلك مثل تشبيه القمر بالعرجون القديم ، صلاح المؤمن ، وخبث الكافر بالنبات الطيب والخبيث .
- فالقارىء لآلية يعلم بوجود القمرالذى يملأ الدنيا نورا ، ثم بعد ذلك يصبح نحيلاً دقيقاً بما لاتنتبه له العين .
- فضعفت صفته فكان تشبيهه بالعرجون القديم حتى يزيده فى قوة صفته ويصور هيئة الهلال بالعرجون وذلك فى الدقة والنحول والانحناء .
- (٤) بيان امكان وجود المشبه وذلك اذا كان المشبه امراً غريباً لا يمكن فهمه او تصوره الا بالتشبيه فيؤتى حينئذ بمشبه به مسلم الوقوع والوجود ، ولا يمكن انكاره عقلاً ولانقلا ، فيكون دليلاً على المشبه ، وذلك مثل تشبيه النبعث بالنبات فالبعث فى اذهان البشر شئ لا يمكن وجوده أو حدوثة عند الكفرة والمنكرين له ، فشبهه الله سبحانه وتعالى باخراج النبات واخراج النبات أمر مسلم الوقوع والوجود لا يمكن انكاره .
- (٥) تزيين المشبه وتحسينه وذلك ليظهره فى صورة محببة للنفس البشرية حتى ترغب فيه فتحبه النفس البشرية وتأخذ به وذلك كما مر معنا سابقاً فى الايات فتشبيهه طيب المؤمن بطيب النبات فى الحديد ومنزلة المؤمن فى الدنيا والاخرة بالنبات الذى لايجنى منه الا الخير والثمر الطيب واظهار منزلته من النبات الخبيث .
- (٦) تقبيح المشبه وتشويه صورته للسامع والقارىء ليظهر فى صورة منفرة تنفر منها النفس ليرهب فيه فتكرهه وترغب عنه ، وذلك مثل تشبيهه حال الكافر بالنبات الخبيث ومنزلة الكافر فى الدنيا والاخرة بمنزلة النبات الخبيث من الطيب وأنه لايجنى منه الا البلاء والهلاك والثمر السام والضار .

المبحث السابع

أثر التشبيه فى النفس البشرية وأسبابه

ان فى التشبيه تأثيرا بليغا قويا فى العاطفة ، فيرغب فى مكان الترغيب ويرهب فى مكان الترهيب ، ففيه الذم والمدح ، وفيه الوعظ والارشاد وفيه الاعتذار ، وفيه الفخر والمباهاة ، وفيه الحجة والبرهان ، والقرآن فى تشبيهه يبعث فى التصورات الانسانية صوراحية تخاطب حواس الانسان بما يلائمها من الطبيعة والكون ، فهذه التصورات تترك فى أفكار البشر ومخاطبهم تأثيرات وانفعالات قوية تحشدها وتقوي نوازعها لفعل الخير ، وترك الشرف فى النفس والوجدان والفكر والعمل ، فتتمسك بكتاب الله عقيدة وعبادة وعملا وطقا وسلوكا ، وتشريعا ، وأسباب هذا التأثير العميق عن التشبيه فى النفس البشرية هو ما كان منه من توكيد الحقائق وتوضيحها ، واخراجها من الاغمض الى الاظهر وتقوية المعنى فى النفس البشرية . ثم ان فى التشبيه من اعمال العقل والفكر وفى هذا يجد الانسان لذة وممتعة فكرية بما فيه وخاصته عندما يكون مع النبات وخضرتة وجماله ومنافعه فانه له الأثر العميق فى النفس البشرية فيه يتحقق الذم والمدح ، والوعظ والارشاد ، والفخر ، والمباهاة ، والحجة والبرهان فهو الصورة الحية النابضة المرئية باستمرار فى حياة الانسان .

الفصل الثالث

”أَسْلُوبُ الْخَبَرِ بِالنَّبَاتِ - وَآثَرُهُ فِي النَّفْسِ“

وَيَتَكُونُ مِنْ تَهْمِيدٍ وَمُبَاهِجَةٍ :-

- ١- تهْمِيد : علم المعانيخ والخبر .
- ٢- لُبْحَتُ الْإِدْرَاقِ : معنى الخبر .
- ٣- لُبْحَتُ الْبَنَانِيِّ : أَسْمَاءُ الْخَبَرِ وَأَنْوَاعُهُ .
- ٤- لُبْحَتُ الثَّلَاثِ : أَسْلُوبُ الْخَبَرِ بِالنَّبَاتِ فِي لَفْظِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ لِطَهْرَةِ وَآثَرِهِ فِي النَّفْسِ .
- ٥- لُبْحَتُ الرَّابِعِ : أَعْرَافُ الْخَبَرِ وَاصْرَافُهُ .
- ٦- لُبْحَتُ الْخَامِسِ : آثَرُ الْخَبَرِ بِالنَّبَاتِ فِي النَّفْسِ لِبَشَرِيَّةِ رَأْسِيَابِهِ .

الفصل الثالث

اسلوب الخبر بالنبات وأثره فى النفس

تمهيد: علم المعانى والخبر:

ان علم المعانى علم يعرف به كيفية مطابقة الكلام بمقتضى الحال والمعانى هى الافكار والتصورات التى فى عقول الناس متصلة بخيوطها فى الهمم بحيث تكون خفية بعيدة عن الغير فلا يعرف أى انسان ما فى ضمير الاخر وما يجول بخاطره وماهى حاجته ولا يعرف ما يريد شريكه منه ولا من يعاونه فى أمره فى شئون حياته ، وهذا كله لا يعرف الا بالتعبير بالكلام والقول الذى يظهر الخفى فى النفس ويقرب البعيد وتقرب المعانى فى النفس الى الفهم والمجهول معروف والمليتبس فى الامر خالص وواضح والمنعقد منحل والوحش مألوف ، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة من الكلام والقول يكسبون ظهور المعنى ، والكلام نوعان ومن انواعه الخبر ، والخبر نوع من انواع علم المعانى وهو من الكلام الذى يوضح المعنى ويقرب البعيد من القصص والاخبار ولجل ان نعرف الخبر وانواعه واغراضه فاتعرض اولاً لتعريفه لغتياً واصطلاحاً حتى أصل الى حقيقة الخبر .

المبحث الأول

معنى الخبر

الخبر لغة :

جاء في لسان العرب : الخبر ما آتاك من نبأ عن تستخبر والخبر
النبأ (١) .

أما الخبر عند البلاغيين :

هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته (٢) .

إذا الخبر هو النبأ وهو الكلام الذي يقصد به قائله اختبار غيره به ، سواء
كان هذا القول صدقا او كذبا ، بغض النظر عن القائل نفسه ، وإنما ينظر
الى الكلام نفسه ان كان كذبا او صدقا ، وبغض النظر أيضا عن خصوص الخبر
اي الحادثة التي كان عنها هذا القول صدقا او كذبا ، إنما النظر والاعتماد
على القول ذاته هل هو صدق او كذب؟ هل ممكن ان يقال مثل هذا الكلام او لا يقال؟
ولاعبرة للأحداث ، وذلك لاختلاط الاخبار والكلام والأقوال بعضها ببعض ، فمنه
الاخبار الواجبة الصدق وهي التي ما كانت عن الله عز وجل ، ورسله ، وما هو
بديهي مألوف لدى الناس بالضرورة ، كالبحار والسماء والأرض ، ومنها
ما يحتمل الصدق كأخبار العلم ، ومنها ما تكون واجبة الكذب كأخبار الدجالين .

...

(١) لسان العرب / ابن منظور (٧٨٣/١) .

(٢) جواهر البلاغة / احمد الهاشمي (٥٣) .

• علوم البلاغة / المراغي (٤٥) .

المبحث الثاني

أقسام الخبر وأنواعه

ان الكلام لابد أن يكون بين طرفين متكلم و سامع ،
والخبر نوع من أنواع الكلام ، والمتكلم هو قائل الخبر والسامع
هو المخاطب بهذا الخبر ، ولأجل أن يكون الخبر له تأثيره على المخاطب السامع
لابد أن تراعى حال المخاطب في القاء الخبر ، وهذا من مزايا اللغة العربية
الدقة في التعبير واختلاف أساليبها باختلاف أغراضها ومقاصدها وتنوعها
فأحيانا يحتاج المخاطب الى الاطناب ، وأحيانا الى الإيجاز في القاء الخبر ،
كما ذكر المرآغى في علوم البلاغة عن الكندي فقال : ويرشد الى ذلك
مارواه الثقات من أن المتفلسف الكندي ركب الي ابن العباس المبرد ، وقال
له : انى أجد فى كلام العرب حشوا فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك ؟
فقال أجد العرب يقولون : عبدالله قائم ، ويقولون ان عبدالله قائم
ثم يقولون ان عبدالله لقائم ، فالالفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس
بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ فالاول اخبار عن قيامه والثانى جواب عن
سؤال سائل والثالث جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ
لتكرر المعانى فما احار المتفلسف جوابا

ومن هذا نعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لازاءدا عليها
والا كان عبثا ولا ناقصا والا أدخل بالغرض وهو الافصاح والبيان (١) .

ونعلم أيضا أن المخاطب لا يخلو من ان يكون واحدا من ثلاثة :

١- أن يكون المخاطب خالى الذهن من الخبر غير متردد فى قبوله ولا منكره

(١) علوم البلاغة / أحمد المرآغى (٥٢) .

وفى هذه الحال يلقي عليه الخبر بدون توكيد لانه لا يحتاج الى ذلك وهذا الضرب يسمى ابتدائيا لان المخاطب خال الذهن فيتمكن الكلام فى نفسه بسهولة اذا صادف نهنا خاليامن مدلول الخبر ومنه قول الشاعر :

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكن (١)

ومنه قوله تعالى : (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) (٢) .

ومنه قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (٣) .

ومن الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى صلى الله عليه وسلم (بإعاشة ان من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء آسنتهم) (٤) .

فهذه الأمثلة وما شابهها لاتحتاج الى توكيد الخبر ، لانه ليست فى حاجة الى ذلك ، والمخاطب غير متردد فى قبوله ولا يشك فيه ولا ينكرها فهو لا ينكر أن الله له ملك السموات والأرض ، وأن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وأن سليط اللسان من شرار الناس .

٢- أن يكون المخاطب مترددا فى الخبر وفى ثبوت حكمه وعدمه بألا يترجح عنده هذا على ذلكا فى قبوله ، يريد الوصول لمعرفته والوقوف على حقيقته ، عند ذلك من الافضل تأكيد الخبر له والكلام الملقى اليه بمؤكد واحد تقوية للحكم وازالة للشك ، ومحوا للتردد فيمكن الخبر فى نفسه ويعرف معناه ، ويقف على حقيقته ويسمى هذا طلبيا .

(١) انظر: جواهر البلاغة/ احمد العاشمى (٥٨-٥٩) .

علوم البلاغة/ احمد المراعى (٥٢-٥٣) .

فن البلاغة/ د. عبدالقادر حسين (٨٣-٨٤) .

(٢) سورة النجم: آية (٣١) .

(٣) سورة الكهف/ آية (٤٦) .

(٤) سنن ابوداود (٥٥١/٢) كتاب الأدب ، باب حسن العشرة ، واخرجها البخارى (٣٨٨/٨)

الأدب ، باب المداراه .

وأخرجه مسلم (٢٠٠٢/٤) البر والصلة ، باب مداراة من يتقى فحشه . واللفظ

لابى داود .

(١)
ومنه قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدلوالاحسان وابتئى ذى القربى)
وقوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل
الشیطان) (٢)

فهنا الآيات قد أكدت بأن ، ليتأكد الخبر فى نفس القارىء والسامع
فياخذ بالحكم لثبوته عنده وتأكيده له .

٣ - أن يكون المخاطب منكرا للخبر الذى سيلقى عليه ولحكمه ومعتقدا خلافه ،
عندئذ يؤكد له الخبر والكلام بقدر انكاره قوة وضعفا ، حسب حاجته ،
الى ذلك حيث أن المتكلم أحيانا يكون محتاجا الى زيادة تثبت الخبر
وحكمه فى ذهن ونفس السامع والقارىء اذا كان هناك من ينكره ويدفع
صحته ، فهو فى هذه الحالة وفى هذا الموقف يبالغ فى تأكيد الخبر
حتى يزيل الانكار وهذا يسمى انكاريا فيؤكده بما يزيل ذلك (٣) .

ومنه قوله تعالى فى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حين كذبوا :
(انا اليكم مرسلون) (٤) فأكدوا الخبر بأن ، والجملة الاسمية ، ولما
كان انكارهم شديدا أكدوا لهم بما هو أكثر من ذلك (ربنا يعلم
انا اليكم لمرسلون) (٥) أكدوا لهم الخبر بأن والجملة الاسمية
والقسم (٦) .

وفى قوله تعالى : (ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون) (٧) .

-
- (١) سورة النحل آية (٩٠) .
 - (٢) سورة المائدة آية (٩٠) .
 - (٣) انظر المراجع السابقة : علوم البلاغة (٥٢-٥٣) .
جواهر البلاغة (٥٨-٥٩) .
فن البلاغة (٨٣-٨٤) .
 - (٤) سورة يس / آية (١٤) .
 - (٥) سورة يس / آية (١٦) .
 - (٦) انظر تفسير القرطبي (٦/٥٤٥٨-٥٤٥٩) .
 - (٧) سورة غافر / آية (٥٩) .

تأكد بأن واللام لأن المخاطب هم الكفار الذين ينكرون حدوث الساءة
فاحتاج الخطاب الى التأكيد نفيًا لهذا الانكار ، وفي قوله تعالى:
(ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) (١) .

عندما أوقع الله في نفوس عباده بأنه سريع العقاب وأكد لهم
هذا بتوكيد واحد وهو أن استبعدوا الرحمة والغفران عنه عز وجل ،
لان في اعتقادهم العقاب والغفران لا يجتمعان فنفي عنهم هذا الظن
والاستبعاد والانكار ، وأكد لهم أنه أيضا غفور رحيم بما هو أقوى أن
واللام أنه لغفور رحيم رغم سرعة عقابه ، ورحمته سبقت غضبه بعزته
وجلاله .

...

(١) سورة الأنعام : آية (١٦٥) .

المبحث الثالث

أسلوب الخبرالنبات في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

وأثره في النفس

أولا : أسلوب الخبر في بيان أنواع النبات وأسمائه وأصنافه من القرآن

الكريم والسنة النبوية .

- ١ - قال تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا ، وأنتم تعلمون) (١) .
- ٢ - قال تعالى : (واذا قلتُم يا موسى لنصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) (٢) .
- ٣ - قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (٣) .
- ٤ - قال الله تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (٤) .

(١) سورة البقرة آية (٢١-٢٢) .

(٢) سورة البقرة : آية (٦١) .

(٣) سورة الأنعام : آية (٩٩) .

(٤) سورة الأنعام : آية (١٤١) .

- ٥- وقال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون) (١) .
- ٦- قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك آية لقوم يتفكرون) (٢) .
- ٧- قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض واننا على ذهابه لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (٣) .
- ٨- وقال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (٤) .
- ٩- قال تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صبينا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم) (٥) .

فى الآيات السابقة التى عرضتها نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبر فيها عن بعض أنواع النبات وأصنافه وأسمائه .

(١) فى آية سورة البقرة بعد أن بين سبحانه وتعالى أوصاف المؤمنين والكافرين والمنافقين وأحوالهم انتقل من الغيبة الى الخطاب بالنداء والامر من باب الالتفات وهو من أساليب البلاغة ، بالنداء فى قوله تعالى : (يا أيها الناس) والأمر فى قوله تعالى (اعبدوا ربكم) فالضمير هنا للخطاب ، وذلك لمافى الموضوع من الاهمية وهو الاهتمام بالتوجه بالعبادة لله عز وجل وحده ، وفى هذا تحريك لأسماعهم ونفوسهم وهز لمشاعرهم وقلوبهم

(١) سورة الرعد : آية (٤) .

(٢) سورة النحل : آية (١١) .

(٣) سورة المؤمنون: آية (١٨ - ١٩) .

(٤) سورة الرحمن: آية (٦٨) .

(٥) سورة عبس : آية (٣٢-٢٤) .

التي غفلت وماتت وابتعدت عن عبادة الله عز وجل ، وبعد هذا النداء
والامر بعبادة الرب كان البيان والتوضيح لصفة هذا الرب المستحق
للعبادة (الذين من قبلكم) اذا ربكم الامر بعبادته وحده هو خالقكم
وخالق من قبلكم ، ولم يقف سبحانه وتعالى في ذكر ربوبيته لعباده في
خلقه لهم ، وانما أيضا كان من خلقه عز وجل خلق السموات والارض، وجعل
الارض فراشا والسماء بناء ، ثم ذكر ما يترتب عليهما من المنافع للبشر
من انزال الماء من السماء ، واخراج الثمار من الارض ، والارزاق ، ثم
نجده سبحانه وتعالى قد ختم الآية بقوله تعالى : (فلا تجعلوا لله
أندادا و أنتم تعلمون) اذا بعد أن أمر بالعبادة له وحده ناسب
أن ينهى عن اتخاذ شريك معه في العبادة ، ثم بعد أن خاطبهم بالامر
بالعبادة وحده ، لفت نظرهم الى الأسباب الداعية الى وجوب الايمان
أصلا او الى زيادة التشبث والتقوى على الطاعة واستحقاق العبادة
وافراده بها وهي دلائل الصانع في صنعته وقدرته تعالى باسلوب خبري
ابتدائي لايحتاج الى توكيد لانه شاهد حاضر أمام ناظريهم مسلم به لا يترددون
فيه ولا يشكون وهو انزال الماء من السماء الى الارض واخراج الثمرات
من الارض وهي دلائل ثابتة لله عز وجل على كمال ربوبيته وقدرته
واحسانه وانعامه ، ولي مع هذه الايات وقفات :

(١) ظاهر الآية أن انزال الماء من السماء مباشرة . قال تعالى

(وأنزل من السماء ماء) وقد اختلف فيها المفسرون على رأيين :

أ - الرأي الأول قال: ان انزال الماء من السحاب .

ب - الرأي الثاني قال: ان انزال الماء من السماء على حسب

ما يشير اليه ظاهر الآية ، ولا يجوز الرجوع الى التأويل

على ما يذكر انه من السحاب بسبب الابخرة الصاعدة (١) .

(١) انظر تفسير الفخر الرازي (٤/١٠٥-١٠٦) .

والرأى الذى أميل اليه والراجح لدى هو رأى من قال ان المَطَر من السحاب وذلك لعدة أمور :

١ - مذكره العلامة ابن عاشور فى تفسيره فقال : " واعلم أن كون الماء نازلا من السماء هو أن تكونه يكون فى طبقات الجو من آثار البخار الذى هو فى الجو ، فان الجوممتلىء دائما بالابخرة الصاعدة اليه بواسطة حرارة الشمس من مياه البحار، والانهار، ومن نداوة الارض ومن النبات ولهذا نجد الاناء المملوء ماء فارغا بعد أيام اذا ترك مكشوبا للهواء فاذا بلغ البخار اقطار الجو العالية يبرد ببرودتها وخاصة فى فصل الشتاء ، فاذا برد مال الى التميع فصير سحابا ثم يمكن قليلا أو كثيرا بحسب التناسب بين برودة الطبقات الجوية والحرارة البخارية ، فاذا زادت البرودة عليه انقبض السحاب وثقل وتميع فتجتمع فيه الفقائيع المائية فتثقل عليه فتتساقط مطرا وهو ما أشار اليه قوله تعالى : (وينشأ السحاب الثقيل) (١) . ومن القواعد أن الحرارة وقلة الضغط يزيدان فى صعود البخار وفى قوة انبساطه والبرودة وكثرة الضغط يصيران البخار ماء" (٢) .

٢ - جاء فى روح المعانى قوله : ان القوم قد شاهدوا من أعلى جبل شامخ سحاب يمطر مع عدم مشاهدة ماء نازل من السماء اليه الى غير ذلك وهذا وان لم يقيم عليه دليل شرعى ولم يشهد لصحته ، لكن المشاهدة من على الجبل مذكر ونحوها يستدعى صحة قولهم فى الجملة ولا أرى فيه بأسا (٣) .

(١) سورة الرعد : آية (١٢) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر عاشور (١/٢٢٣) .

(٣) روح المعانى : الألوسى (٧/٢٢٧-٢٢٨) .

٣ - وقول البيضاوى عند تفسير قوله تعالى : (الم ترى ان اللبنة
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخسرج
من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) (١) .
المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الأرض جبال من
حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه ، والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد
عناك اجتمع وصار سحابا ، فان لم يشتد البرد تقاطر مطر
وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا
والانزل برد وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا
وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب
الحكيم ، لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمجالها
وأوقاتها ، واليه اشار بقوله : (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من
يشاء) (٢) .

٤ - وقال الزجاج : (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) وفى هذا
تعظيما لما ينزل من البرد من السحاب (٣) .

وبعد عرض الآراء الراجعة أضيف الى ذلك بعض الآراء المناسبة

للموضوع فأقول :

١ - لقد ذكر فى فصل عوامل انبات النبات فى فقرة (الماء) ما يشير الى
ذلك من نزول الماء من السحاب بطريق الأبخرة المتصاعدة وتكاثفها
ما يغنى عن ذكرها هنا ، وعلاقة الجبال فى هذا الموضوع بالماء وانشاء
السحاب ونزول الماء .

(١) سورة النور : آية (٤٣) .

(٢) تفسير البيضاوى (٤٧١) .

(٣) اعراب القرآن : الزجاج (٤١٨/٢) .

٢- انه وان كانت هناك كثير من الآيات التي تذكر انزال الماء من السماء ، الا أن هناك أيضا آيات تبين نزول الماء من السحاب وان كان رأى البعض ، على أن نزول الماء من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الأرض ، فلو كان كذلك لما كان هناك داعى الى ذكر كثير من الآيات التي تذكر أن هناك علاقة وثيقة بين الجبال والرياح والسحاب والماء النازل من السحاب ، وقد صرحت الآيات بذلك فقال تعالى فى الجبال: (خلق السموات بغير عمد ترونها والقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) (١) .

وقال تعالى فى الرياح (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٢) .
وقوله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) (٣) .

وفى آية غيرها قال تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) (٤) .

ففى الآية الأولى ذكر علاقة الجبال بانزال الماء من السماء ، وذلك أنه عندما يصعد بخار الماء الذى تحمله الرياح الى أعلى يصطدم بالجبال فتجبره بالصعود الى أعلى فيتكون السحاب وينزل المطر .

-
- (١) سورة لقمان / آية (١٠) .
 - (٢) سورة الأعراف / آية (٥٧) .
 - (٣) سورة الحجر / آية (٢٢) .
 - (٤) سورة النور / آية (٤٣) .

وفى الآية الثانية ذكر علاقة الرياح بالسحاب لأن الرياح هى التي تحمل السحاب وتلقحه كما ذكر ذلك فى الآية الثالثة ، ثم نجد الضمير فى قوله تعالى : (فأنزلنا به) اما أن يعود الى الرياح أى بسبب الرياح أو على السحاب وتكون هنا بمعنى أى بالسحاب أو على البلد فيكون بالبد الماء (١) .

ثم نجده ذكر فى سورة (النور) اجمال ذلك وهو بعد أن يرسل الله سبحانه وتعالى الرياح وتحمل بخار الماء من على سطح الأرض ، وترتفع الى أعلى وتصطدم بالجبال لتجبرها على الصعود الى طبقات الجو العليا فتقابل برودة أكثر فتتكون السحب بسبب تلك الرياح وتلقح وتكون سحبا مفرقة هنا وهناك فيسوقها الله سبحانه وتعالى ويجمعها ويؤلف بينها حتى تكون مترابطة على بعضها ثم بعد ذلك يخرج من خلالها المطر وسميت السحابة بذلك لأنها تسحب بالهواء أو لانسحابها فى الهواء (٢) .

٣ - ذكر المفسرون أن المقصود بالسماة فى الآيات السحاب فالسماة اسم لأعلى طبقات الجو حيث تتكون الامطار فهى تطلق على الجو المرتفع وتطلق على الهواء المرتفع كما قال تعالى : (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) (٣) . وتطلق على السحاب وتطلق على المطر نفسه كما جاء فى حديث زيد بن خالد الجهنى (أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر (٤) سماة كانت من الليل) (٥)

(١) تفسير الفخر الرازى / (٤/٢٤٣) .

(٢) لسان العرب / ابن منظور (٢/١٠٤) .

وانظر: الاسلام فى عصر العلم / محمد الغمراوى (٣٩٣-٤٠١) .
دنيا الزراعة/ عبدالرزاق نوفل (٥٧-٥٨) .

(٣) سورة ابراهيم / آية (٢٤) .

(٤) اثر سماة: أى بعد المطر، والسماة: المطر .

(٥) صحيح البخارى (٢/٤١) كتاب الأذان ، باب قول الله تعالى : وتجعلون . . .

صحيح مسلم (١/٨٣) كتاب الايمان ، باب بيان كفر .

التحرير والتنوير/ ابن عاشور (١/٣١٧) . وانظر المعنى فى هامش صحيح مسلم (١/٨٣) .

ولما كان تكون المطر فى طبقات الجو العليا المرتفعة جعل
ابتدائه من السماء وذلك لان تكون السحب أعلى فى السماء أى تحت
السماء وفوق الأرض ، فأطلق عليه السماء هنا مجازاً . جاء فى
لسان العرب فالسماء: من سمو وهو كل ما على وارتفع ، فالسمو
هو العلو والارتفاع ، وسماء كل شىء : أعلاه والسماء سقف كل شىء
وكل بيت . وقال الزجاج : السماء فى اللغة يقال لكل شىء
وكل بيت ، وقال الزجاج : السماء فى اللغة يقال لكل ما ارتفع
وعلا قد سما يسمو وكل سقف فهو سماء ، ومن هذا قيل للسحاب
السماء لأنها عالية ، والسماء : كماءلك فأظلك ، ومنه قيل لسقف
البيت سماء ، والسماء التى تظل الأرض عند العرب (١) .

ومادام عند العرب أن كل ما أظل فهو سماء ، والقرآن نزل
بلغة العرب فناسب أن يخاطبهم بلسانهم ، بأن المطر ينزل من
السماء مجازاً المقصود من السحاب لانه هو الذى يعتبر ظلاً للانس من
من حرارة الشمس ، ومنه الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة طويلة : قوله (فاذا انابحابة
قد أظلتنى) (٢) .

٤ - أقول شاهدا لقول الألوسى للقوم الذين سعدوا على أعلى جبل ، فوجدوا
أن السحابة التى تمطر لاينزل عليها مطرا من السماء ، كذلك صعود
الطائرة الى أعلى ودخولها فى السحاب ولي فى هذا قول الدكتور
كامل سلامة الدقس: (ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب
الطائرة ، وهى تعلق فوق السحاب ، أو تسير بينهما ، فاذا المشهد
مشهد الجبال حقا بضخامتها ، ومساقطها ، وارتفاعاتها وانخفاضاتها ،

(١) لسان العرب / ابن منظور (٢/٢١١) .

(٢) صحيح مسلم (٣/١٤٢٠) كتاب الجهاد . باب ما لى النبى صلى الله عليه وسلم .

تأتى اليها الرياح ، وعلى هذا فلامانع من أن نأخذ بالنظريات العلمية ان ثبتت حقيقتها وكان لها هناك استدلال من القرآن والسنة النبوية المطهرة .

٢- قال تعالى (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) .

بعد أن ذكر الله سبحانه خلق السموات والأرض والمقصود منهم البناء والفرش والمهد والانبساط للإنسان ذكر ما بينهما من المنافع للإنسان بحيث تتساعد وتتعاون في ذلك السماء والأرض على إعطاء المنافع للإنسان ، انزال الماء من السماء ، ثم يأتى دور الأرض في ابراز منافعها اخراج الثمرات رزقا لبني آدم ، وقد ذكر قوله (الثمرات) مع الثمر المخرج من الأرض الماء النازل من السماء مطرا أو مخزونا كثيرا ولم يقل الثمر أو الثمار أو الأثمار الدال على الكثرة وذلك والله أعلم ليبدل علي أن ثمار الدنيا مهما كانت فهي قليلة لاتساوى شيئا لثمار الآخرة ، وتعظيم وتفخيم أمر الجنة كما جاء في الحديث عن وصفها عن سهل بن سعد الساعدي قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال: صلى الله عليه وسلم: (فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (١) .

ثم ان التعبير بقوله (أخرج) دليل على إخراج النبات من داخل الأرض وباطنها ، وإخراج النبات من باطن الأرض يكون بسبب الماء ، وهو ما دل عليه ظاهر الآية (فأخرج به من الثمرات) . والله سبحانه وتعالى له مطلق القدرة على خلق النبات بالماء ، وبغير الماء اليه أو أن الله عز وجل جعل في الماء طبيعة مؤثرة وفي الأرض كذلك ، فاذا نزل الماء على الأرض وتسرب في باطنها استقبلته وتفاعلت معه وتعاونت وتعاضدت معه

(١) صحيح مسلم (٢١٧٥/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها واللفظ له .
صحيح البخارى (١٤٣/٤) بدء الخلق ، عن أبي هريرة . باب ما جاء في وصفة الجنة .

لاخراج هذا النبات فقدرته سبحانه وتعالى نافذه فى خلقه ابتداءً بدون أسباب أو خلقه وخروجه بنأسباب وواسطة، وقد جعل الله عز وجل خروجه بأسباب ووسائط لحكمة منها :

١ - أنه سبحانه وتعالى جعل من العادة للبشر أن لا يخرج النبات من الأرض الا بأفعال من المكلفين تمر بطرق مرتبة مدرجة من الحرث والغرس وذلك لان المكلفين اذا تحملوا مشقة الغرس والحرث والزرع لاجراج الثمرات واتعبوا انفسهم وكدوها ، مرة بعد أخرى ، ثم بعد ذلك ذاقوا حلاوة جهدهم وتعبهم من حسن الثمر بقدرته تعالى كان هذا دافعا لهم لتحمل مشاق التكليف من أوامر الله عز وجل طلبا لمنافع الآخرة وهي الباقية ، والاسلام قد حث على الجهد والاجتهاد والعمل قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) (١) .

وقال تعالى (انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) (٢) .

٢ - لو جعل الله سبحانه وتعالى خلق النبات وخروجه بدون تكليف وجهد ومشقة من الانسان ، وبدون أسباب ووسائط ، لأدى هذا بالعلم الضرورى والتواكل من البشر واسناد الامر كله الى الخالق فقط ، دون اعمال العقل والفكر والنظر الدقيق فى ذلك ويكون فى هذا تعطىلا للتكليف والعمل بأوامر الله عز وجل، فلا أجروا ثواب ولا عقاب .

٣ - (الثمرات) أن الثمر نبات وهو ما أخرجه الأرض من الاشجار والنباتات أو ما أخرجه الشجر من الثمار ، وبما أن النباتات كثيرة فناسب هنا فى الآية أن يشملها بقوله (الثمر) لتعنى كل ما يخرج من الارض ، وذلك عند كونه رزقا للعباد ، والنباتات أنواعها وأصنافها كثيرة كما ذكرت ، لذلك نجد أن ما أجمله فى هذه الآية بينه وفصله وذكر أنواعه وأجناسه فى آيات أخرى فنجد سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام بين وذكر بعض أنواع النباتات بالماء النازل من

(١) سورة التوبة : آية (١٠٥) .

(٢) سورة آل عمران : آية (١٩٥) .

السحاب ، كل شيء ينبت وينمو من جميع أنواع النباتات وأصنافها وذلك بعد أن أمضت الآيات السياق مع موكب الايمان الموصول بالتقرير والتوحيد والبعث والرسالة وأفانين المواعظ والبراهين ، انتقلت الآيات من ذلك السياق الى سياق آخر ، وهو الاخبار عما فى صفحة الكون من الاستدلال على ذلك كله من المخلوقات ، ومن نشأة الحياة النباتية الى نشأة الليل والنهار والشمس والقمر ، ودورة الفلك هذه العجيبة الغريبة الهائلة التى تمر أمام أعين الناس كل يوم وليلة وهم غافلون عنها ، هذه كلها دلالات على قدرة الله عز وجل وعلمه فقال تعالى : (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى توفكون ، خالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) (١)

(١) الاستدلال الاول : على علم الله عز وجل :

(ان الله فالق الحب والنوى) (٢) أسلوب خبرى مؤكد بأن لانه فى معرض من يشك فى ذلك ، وهو البعث والحساب ، فكان التأكيد له للدلالة على اثبات هذا الوصف لله عز وجل ، فهو (فالق الحب والنوى) ان فى هذا تمام الاعجاز الذى لا يعلم سره أحد ، وهى معجزة الحياة ونشأت الحركة فى الحبة الساكنة الهامدة فتصبح نبتة نامية ، ثم فى النوى الميتة تنفلق عنها شجرة صاعدة ، ان فى هذه الحياة فى النبتة والشجرة ، والهمود والموت فى الحبة والنوى ، سر لا يعلم حقيقته الا الله عز وجل مهما كان للانسان فى ذلك اسباب يباشرها ، الا أنه لا يعلم حقيقة ذلك وكنهه وهو الاحياء والامانة .

(٢) الاستدلال الثانى على قدرته عز وجل :

(فالق الاصباح) (٣) : ان فالق الحب والنوى هو فالق الاصباح ، وفى انفلاق الصبح حركة توحى بالحياة والنمو والتطور وهى تشبيه حركة النباتات فى انفلاقه ونموه وتطوره وفى سكون الليل ، وظلوع الشمس وظهور القمر فى هذا الكون بهذا القدر المحدد المرسوم

(١) سورة الانعام (٩٥ - ٩٦) .

(٢) سورة الانعام (٩٥) .

(٣) سورة الأنعام (٩٦) .

وبهذه الدقة ، وفى هذه الأرض له علاقة وثيقة مباشرة بالحياة والنمو والحركة والنبات ، فلولا هذه التقديرات من هذه الحركات الفلكية الكونية لما انبثقت حياة على وجه الأرض من الانسان ، ولما انبثق النبات والشجر من الحسب والنوى ، وهذا دليل على علمه تعالى الشامل بكل شيء ثم توالى الدلالات بعد ذلك .

٣ - فالاستدلال الثالث على حكمته عز وجل فى جعل النجوم فى السماء وهى لهداية البشر فى ظلمات البر والبحر .

٤ - والاستدلال الرابع فى خلق الانسان من نفس واحدة استدلال أكبر على وحدانية الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته بعباده كما قال تعالى (وفى أنفسكم أفلات تبصرون) (١) .

٥ - يأتى الاستدلال الخامس وهو ظهور نعمة الله على عباده وبيان ووجوه احسانه الى خلقه وكل ما كان دليلاً على عباده وبيان وجوه احسانه الى خلقه كان أيضاً نعمة من الله عز وجل ، فما عرضنا من دلائل قدرته وحكمته وعلمه ورحمته فهى دلائل من وجوه على ذلك ونعم بالغة واحسان كامل من الله الى عباده من سائر الوجوه ، وفى هذا تأثيره البليغ فى النفوس وهز القلوب والوجدان ، وخاصة عندما يكون هذا فى مشاهد الحياة المتفتحة ، تراها الأعين، وتحسها الحواس فى جنبات الأرض ، فتتدبرها القلوب وترى فيها قدرة الخالق وبدائع صنعه فى خلقه ، وقد عرضها السياق القرآنى فى صفحة الكون ، ليلفت اليها النظر فى كل لحظة وحين فى أشكالها وأطوارها وأنواعها ، ويلمس النمو والحركة فى وجوده والنبات خلق من خلق الله المعروف فى صفحة الكون فيه دلالة على قدرة الله وعلى نعمه ووجوه احسانه الى عباده .

(١) سورة الذاريات : آية (٢١) .

- ٢

فقال تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به نبات كل شئ) (١) ، وفى هذه الايات عدة وقفات اذكرها بالتفصيل :

١- أخرج الله سبحانه وتعالى بالماء النازل من السحاب ما ينبت من أصناف النبات ، فالنبات جنس له أنواع كثيرة ، فمنه الزرع ، وهو ماله ساق لينة كالقصب ، ومنه العريش وهو العنب ، ومنه ماله ساق قويــــــــــــة صلبة كالنخل والشجر ، ومنه النجم وهو ما كان على وجه التربة ملتصقا بها مثل الجزر والبطاطس والبطيخ .

٢- فقلوه (نبات كل شئ) يفيد العموم فى الخبر ، أى النباتات مختلفة الأصناف والأنواع والثمار والأشكال والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهذه كلها نابتة من ماء السماء (يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض فى الأكل) (٢) .

٣- ثم بعد هذا الاجمال فى الاخبار عن النبات أتى بالتفصيل فى أنواعه فقال تعالى : (فأخرجنا منه خضرا) أى من النبات ، بمعنى أن النباتات اول ما يخرج من الأرض أخضرا غضا وقال المفسرون فى ذلك :

- قال الزجاج : معنى خضر أخضر .

- وقال الليث : الخضر فى كتاب الله هو الزرع وفى الكلام كل نبات من الخضر .

وقال الفخر الرازى : أنه تعالى حصر النبات فى الآية المتقدمة فى قسمين حيث قال : (ان الله فالق الحب والنوى) فالذى ينبت من الحب الزرع ، والذى ينبت من النوى الشجر فاعتبر هذه القسمة أيضا فى هذه الآية ، فابتدأ بذكر الزرع وهو المراد بقوله (فأخرجنا منه خضرا) وهو الزرع كما روينا عن الليث وقال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت

(١) سورة الأنعام : آية (٩٩) .

(٢) سورة الرعد : آية (٤) .

والذرة والأرز والمراد من هذا الخضر العود الأخضر الذى يخرج أولا ويكون السنبيل فى أعلاه (١) .

وفى أقوال المفسرين هذه تخصيص اللون الأخضر فقط بالنباتات التي لاساق لها صلبة ، وهي الغضة اللينة مثل الحبوب والخضار وزروع الزينة والورود والزهور ، وغيرها من النباتات الغضة وليس هذا هو الصحيح لأنه :

أولا : أن كل النبات أخضر سواء كان صغيرا أو كبيرا ، شجرا أم نجما كله أخضر الورق والساق والفروع ، كما قال الليث ، وفى الكلام كل نبات خضر يعنى أن النبات عموما يأخذ صفة الاخضرار ، وليس شيئا منه دون شيء ، وذلك لان مادة الكلوروفيل ، أى المادة الخضراء الموجودة فى النبات وتسمى (اليخضور) أو (الكلوروفيل) هى التى تساعد فى عملية البناء الضوئى للنبات أو هى تعتبر شرطا لحدوث عملية البناء الضوئى للنبات ، وذلك عن طريق امتصاصه من طاقة ضوئية من الشمس ، والذى يدخل فى عملية التمثيل الغذائى للنبات ، وهو تحويل المواد الغذائية التى يمتصها النبات من الهواء والضوء والحرارة والتربة ، الى صورة مماثلة يستفيد منها النبات فى غذائه وذلك بسلسلة من التغيرات الكيماوية وهو عندما يسقط ضوء الشمس على النبات فتتحول الطاقة الضوئية الى طاقة كيميائية ، ولكي تتم عملية البناء الضوئى فى النبات لابد من وجود غاز ثانى أكسيد الكربون والماء والطاقة الضوئية (والكلوروفيل) لتحويلها الى مواد كربوهيدراتية ، وغاز الاكسجين يخرج من النبات ، واليخضور فى النبات يساعد على تحويل الطاقة الضوئية التى يمتصها من ضوء الشمس الى طاقة حرارية فى النبات يستفيد منها فى عملية التمثيل ، والكلوروفيل هو الذى يعطى النبات الناحية الجمالية فى الاخضرار

(١) الفخر الرازى (٤/١٠٥-١٠٦) .

والازدهار والنشوة وتتمام النمو كما قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) (١)

أما عدم وجوده في النبات فهو يوحى بالذبول وشيخوخة النبات وفي لفظ الخضر نداوة وطراوة وظلا وارفا رقيقا وله عمقا في النفس وأكثر ألفة وتأثيرا من لفظ (اخضر) لما يعطيها من الهدوء النفسى والراحة والاستمتاع ، ثم ان لفظ خضر جمع أخضر فهو يدل على الكثرة والكثرة تزيد من لون الخضرة (٢) .

لذلك نجد القرآن قد عبر عنه في المواضع التي تشير الى ذلك من المتع النفسية ومنها قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر) (٣) ويلبسون ثيابا خضرا) (٤) (وسبع سنبلات خضر) (٥) .

أما في مجال المتعة الحسية فقال تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) (٦) . فذكر لفظ الأخضر مع السياق المناسب للآية من اثبات البعث والحساب والرد على منكريه ، والمجال مجال ايقاظ ايمان فسي النفس لما هو مشاهد حسي ، واثبات قدرة الله ، والكلوروفيل هو أهم صبغة في النبات لامتصاص الطاقة الضوئية في البناء الضوئي ، لذلك يتأثر البناء الضوئي ونمو النبات بمقدار مادة (اليخضور فيه) لأن صبغة الكلوروفيل وحدها في النبات ، لها القدرة على البناء في تحويل الطاقة الضوئية الى طاقة كيميائية في التفاعلات الخاصة بالبناء الضوئي وهو تحويل غاز ثاني أكسيد الكربون والماء الى مواد كربوهيدراتية .

x

(١) سورة الحج: آية (٦٣) .

(٢) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص (٥٠)

معاني القرآن/ الفرا ٢ (٣٨١/٢) .

(٣) سورة الرحمن : آية (٧٦) .

(٤) سورة الكهف: آية (٣١) .

(٥) سورة يوسف : آية (٤٣) .

(٦) سورة يس : آية (٨٠) .

والكلوروفيل له علاقة وثيقة فى تكوينه بالضوء والحرارة ، وهو —
أن الصبغات الأخرى فى النبات غير الكلوروفيل فانها تحول ماتمتصه من
الطاقة الضوئية وتنقله الى كلوروفيل والحرارة كذلك تساعد على تكوين
المادة الخضراء فى النبات بدرجة معينة لزيادة ولا تنقص بحيث لو زادت او نقصت
فان مادة الكلوروفيل تتحلل ويتغير لون النبات الى الاصفرار ، كذلك
الضوء الشديد الذى يؤدى الى تلف المادة الخضراء فى النبات (١) .

ولشدة علاقة المادة الخضراء فى النبات بالضوء والحرارة والشمس والليل
والنهار والماء والرياح ، نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر صفة الاخضرار
للنبات بعد ذكر الاسباب والعوامل المكونة له ، وهى الضوء والحرارة
والماء ، وكل ذلك تأثيره بمقدار لا يزيد ولا ينقص عن المقدار المطلوب
لتكوين هذا اللون فى النبات ، لذلك نجد فى آخر الآية قال : (ذلك تقدير
العزيم العليم) العليم بعلمه الشامل لكل شئ فى الوجود فى تكوينه
 واحتياجاته .

ثانياً : أن لفظ (خضرا) نكرة والنكرة تفيد العموم فهذا يعنى
أن النبات عموماً له صفة الاخضرار وخاصة عند بدء خروجه وظهوره على وجهه

(١) انظر فى ذلك :

- أ - الخلية : د. عماد الدين الشيشني ، د. محمد عزيز فكري ،
(١٢٥-١٤٧) .
ب - الزراعة الجافة / د. عبدالله الفخرى (٩١) .
ج - النبات العام (٧٥) .
د - دنيا الزراعة والنبات / د. عبدالرزاق نوفل (١٤٣-١٤٥) .
هـ - الاسلام فى عصر العلم / محمد الغمراوي (٤١٢-٤١٣) .
و - الطبيعيات والاعجاز فى القرآن الكريم / د. عبدالعليم خضر
(٣٥٣-٣٦٥) .

الأرض فهو يكون أخضرا غضا، اذا الاخضرار كما مر معنا سابقا فى النظريات العلمية صفة لازمة للنبات ، ولايمنع الأخذ بها اذا ثبتت حقيقتها ————— وهذا قد ثبت حقيقته وذكره القرآن .

ثالثا : بعد أن أجمل وأعم فى ظهور النبات واخضاره فصل فى أنواعه قال تعالى (نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها (١) ٠٠٠) فممنه الحبوب مثل الأرز والقمح والشعير والدخن ، وكل ماكان من النباتات الذى يقوم على ساق ضعيفة أو يمتد على وجه الأرض ثم بعد ذلك ذكر نوع آخر من النبات الأخضر ، وهو ماقام على ساق صلبة من الأشجار مثل النخيل والزيتون والرمان ، والعنب من النباتات التى تمتد على وجه الأرض ، ولايقوم على ساق صلبة ولا ضعيفة لذلك يعرش له ، فكأنه هنا سبحانه وتعالى ذكر أن أصناف النبات أساسا ثلاثة ، ماقام على ساق صلبة قوية ، وكان عاليا ، ومنه ماقام على ساق ضعيفة قصيرة ، ومنه ماكان ممتدا على وجه الأرض ، وذكر من كل صنف من هذه الاصناف بعض الأنواع ، وماقام على ساق صلبة شجر مثل النخيل والزيتون والرمان ، وماقام على ساق ضعيفة مثل الحبوب كالشعير والسلت والقمح ، ماكان ممتدا على وجه الأرض مثل العنب ، وكل هذه النباتات تأخذ صفة الاخضرار ، حتى ظهور ثمرها أول ما يظهر أخضرا ، ثم بعد ذلك يينضج ويتغير لونه ، والمعنى نخرج من هذا الاخضرار الحبا المتراكب والنخل والعنب والزيتون والرمان وحسبى فى ذلك قول المراعى : (فأخرجنا من النبات الذى لاساق له شيئا غضا أخضر وهوماتشعب من أصل النبات الخارج من الحبة ، كساق النجم ، وأغصان الشجر ، نخرج من هذا الاخضرار المتشعب النبات أنا بعد أن حبا متراكما ، وهذا تفصيل لنماء النجم الذى لاساق له من النبات ، ثم عطف عليه نظيره من الشجر (٢) .

(١) سورة الأنعام (٩٩) .

(٢) المراعى (٢٠٢/٧) .

تفسير المنار / محمد رشيد رضا (٥٣٥/٧) .

(والطلع) هو وعاء عرجون التمر الذى يبدو فى أول خروجه يكسبون
كشكل الأترجة العظيمة مغلقا على العرجون ، ثم ينفتح كصورة نعلين
فيخرج منه العنقود مجتمعا ، وسمى حينئذ الاغريض ، ثم صير قنوا ، و(القنوا) :
هو عرجون التمر كالعنقود للعنب ، ويسمى العذق ، واول ما يخرج منه
التمر أخضرا يسمى بسرا (١) .

وقد ذكر سبحانه وتعالى وصف ثمرة النخل دون غيرها من ثمار الأشجار
وذلك لانها فى طلوعها وظهورها تختلف عن غيرها من ثمار الاشجار ، فالزيتون
والرمان والعنب وغيرهم تظهر الثمرة مباشرة ، أما ثمر النخل فهو يمر
بعده أشكال وعدة مراحل حتى تظهر ثمرة النخل ، وهى الرطب ، وفى هذا
الخبر التعجب من قدرة الله سبحانه وتعالى فى تكوين هذه الثمرة بهذه
الصورة ، واتقان صنعته فيها .

ثم بعد ذلك قال تعالى (مشتبهها وغير متشابه) . ٤

لقد اتفق المفسرون على أن مشتبهها ومتشابه بمعنى واحد ، مع
أن الظاهر من الكلمتين الاختلاف ، ولأجل أن أعطى المعنى حقه أبحث عن
معناهما فى اللغة ، فجاء فى لسان العرب :

المشتبهات من الأمور : المشكلات والمتشابهات المتمثلات (٢) .

وعلى التعريف اللغوى يكون هناك فرقا فى الكلمتين من حيث المعنى
والغرض منها ، وهو ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسيره (وصرحوا
بأن المشتبه والمتشابه هنا بمعنى واحد ، والحق أن فى الصفتين فرقا ،
فمعنى اشتبهها التبس أحدهما بالآخر من شدة الشبه بينهما ومعنى تشابهها :
أشبه أحدهما الآخر ولو فى بعض الوجوه والصفات ، فهذا أعم مما قبله ،

(١) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٧/١٤٠٠-١٤٠١)

المفردات فى غريب القرآن / الاصفهاني (١٥٠) .

(٢) لسان العرب / ابن منظور (٢/٢٦٦) .

الصاح / الجوهري (٦/٢٢٣٦) .

ولاشك فى أن بعض ما ذكر يتشابه ولا يشتهه ، وبعضه يتشابه حتى يشتهه ، حتى على البستاني الماهر .

كما شاهدنا ذلك واختبرناه فى بعض أنواع الرمان الحلو مع الحامض وهذا من دقة تعبير التنزيل فى تحديد الحقائق (١) . وهذا هو المقصود فى سنابل الحبوب تشابه كبير فى التكوين والشكل ، بحيث يشتهه على لرائحتها فى نوع حبوب هذه السنابل ، قمح أو أرز أو شعير ، بينما هناك تشابه بين تراكم الحبوب فى سنابلها وتراكم ثمر النخل على عرجونه وتراكم حبات العنب على العنقود ، ولكن هذا التشابه لا يشتهه الانسان فيه بحيث لا يستطيع أن يحدد نوعه وصفه ، فالتمر والنخل يختلف عن سنابل الحبوب وعن عريش العنب فى الشكل ، وتختلف الثمر كذلك فى اللون والطعم والرائحة والشكل ، ولكن التشابه والاشتباه فى الشكل الظاهر والتكوين ، لان الناحية السياقية فى الآيات ناحية ظاهرية ، جمالية متعة للبصر والنظر والنفيس والحس والروح فى هذا النبات الذى يوحى بالرقرة والألفة والطف والوداعة المشهد مشهدا شكليا ظاهريا فيه جمال ومتعة للنفس البشرية ، فناسب أن يكون التشبيه والتشابه فى الشكل وفيه مع المتعة النفسية والروحية مجال لتقوية الناحية الايمانية فى الانسان ، بالتدبر والتفكر فى هذا الخلق وفى هذا الابداع وفى هذا الجمال الطبيعى الخلاب ، لذلك لو نظرنا الى سياق الآية بعد هذا نجد سبحانه وتعالى ذكر فى سياق الآية الأمر بالنظر الى النبات وثمره والنظر لا يعطى حقيقة كافية عن النبات فحاسة واحدة لاتعطى فكرة عميقة عن الشئ ، كذلك مع النظر ناسب السياق أن يقول مشتبهها فمع النظر يكون الاشتباه قويا فى تحديد نوع النبات ، اما اذا تعددت الحواس النظر واللمس والأكل أعطى فكرة أقوى وحقيقة كافية فى التمييز بينهما ، فيكون الاشتباه ضعيفا أو ينتفى وخاصة الاشتباه يكون قويا

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا (٧/٥٣٥ - ٥٣٦) .

عند بدايــــــــــــــــة بدو الثمر وظهوره ، لذلك
قال: (انظروا الى ثمره اذا أثمر) ويظهر أكثر ويتبين اذا نضج
وهو قوله (وينعه) فلذلك نجد قدم المشتبه على غير المتشابه .

٥ - ذكر بعد ذلك سبحانه وتعالى (انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه) أمر بعد
الاخبار لتتأكدوا من ما ذكرناه من اصناف النبات فانظروا الى ثمره
ومتعوا نظركم بجماله عند تدليه وتلونه واختلاف أشكاله ، أمر بالنظر
اليه بعد تمام نموه وكماله وظهور ثمرته نظر بالبصر والبصيرة نظــــر
بالحس والقلب اليقظ لتعرفوا نعمة الله عز وجل من هذا النبــــــــــــــــات،
انظروا اليه واستمتعوا بجماله ، وهو فى ازدهاره وكمال نضجه فالمجال
فى الآيه مجال جمال ومتعة للحس والنفس ، وفى هذا المجال يكون الاحساس
بالنعمة والاعتراف بها بما يودى بالانسان الى التفكير فى قدرة الخالق
وبدائع صنعه فى خلقه ، وهذا مما يزيد الايمان فى النفس وينميه ويرسخه
الايمان الذى يفتح القلب وينير البصيرة ، وينبه أجهزة الحس بأن تستقبل
وتستجيب بفطرتها الايمانية الى أوامر الخالق لذلك نجد انه سبحانه
وتعالى فى مجال التدبر والتفكير فى هذه الآيات ناسب أن يختتمها بقولــــــــــــــــه
تعالى : (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .

أما فى قوله تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغيــــــــــــــــر
معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا
من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (١) .
فى هذه الآيات يخبرنا الله سبحانه وتعالى فيها عن أنواع النبات
أيضا مثل الآيه الأخرى التى سبق توضيحها وشرحها واذا نظرنا فى الايتــــــــــــــــين

(١) سورة الأنعام : آية (١٤١) .

وجدنا هناك فروقا بينهما فى السياق القرآنى :

١- أن الآية الأولى جاءت عند سرد الدلائل الكونية على قدرة الله وحسن صنعه وابداعه وحكمته ورحمته وذلك لاقرار عقيدة التوحيد وتشبيت الايمان فى نفوس البشر وقد سبق الكلام عن ذلك . وأما الآية الثانية (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠٠) جاءت فى سياق الآيات التى قبلها والتى تتحدث عن ضلالات المشركين فى التحليل والتحريم بأهواءهم ، من قتل الأولاد وجعلهم لله نصيبا مما خلق لهم من الحرث ثمرة زرعه وغلته ومن نتاج الانعام ، وجعلوا منه أيضا نصيبا لشركائهم ، ثم تحديد بعض من هذا الحرث والانعام بتحريم شئ منها وحجرها وتحريم بعض ركوب الأنعام ، وبعضها لا يذكرون اسم الله عليها ، وبتحريم بعض الانعام على اناسهم دون ذكورهم ، لذلك ناسب أن يذكر الله سبحانه وتعالى بعد ذلك وأن يلفت نظرهم ويبين لهم فى ضلالتهم هذه من التقسيم والتحريم والتحليل ، أن مردها الأصلى الى الله عز وجل ، فمصدر الحرث والانعام التى يتصرفون فيها بهذه الطريقة مردها أصلا الى الله عز وجل فهو جعلها نعمة ومتاعا للناس جميعا ، وفى هذا دحض وتكذيب لأقوالهم هذه ، وتنفير الناس من الالتفات الى أقوالهم هذه والاعتراض بها وبيان ضعف عقولهم وقلة محصولهم يحصر تفكيرهم فى الهتهم .

فان الخالق الذى سبقت الدلائل على توحيدته وألوهيته ، هو أيضا الرازق وهو الرب المالك المربى لعباده فهو له حق التصرف فى خلقه فى هذا الكون كما يريد ويشاء عز وجل ، ولا يجوز لاحد ان يتصرف فى هذا المال الا باذنه وشرعه ، لذلك ناسب أن يذكر بعد هذا السياق ، أن الحرث هو من صنع الله ، وخلق الله وهو الذى خلقه وأوجده وله حق التصرف فىه وليس لكم .

٢ - لقد ابتدأ الآية الأولى بقوله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء) وذلك لان الآيات السابقة كانت تتحدث عن الكونيات العليا ،

من خلق السموات والنجوم والشمس والقمر والليل والنهار ، فناسب أن يذكر بعدها ما يتم ذلك في العالم العلوي وهو نزول الماء من السماء ، وفي الآيات بعد أن تحدث عن العالم الكوني العلوي ، أخبر بعد ذلك عن الانسان وخلقها لأنه أدنى منه فهو في الارض ، والارض مقابلة للسماء ، فالسما له صفة العلو والارض صفة الدنو ، وبعد نزول الماء المناسب ان يخر عن اخراج النبات ، والانسان أدنى من العالم العلوي وأعلى مرتبة من النبات فقدم عليه في السياق القرآني ، أما في الآية التي بصددها لم يذكر فيها السماء أو الماء وانما ذكر مباشرة (وهو الذي أنشأ جنات معروشات (١) ...) وذلك لأن السياق القرآني غير مناسب لان يذكر ، فالسياق القرآن كان يتحدث عن مخلوقات الله سبحانه وتعالى ونعمه في الارض التي سخرها وهي الحرث والانعام ، وضلالاتهم فيها فناسب أن يذكر النبات مباشرة ، دون أن يذكر أسباب انباته ، فالمقام في الآيات والسياق غير مناسب لذكره ، ثم نجد انه قدم في الآيات الحرث على الأنعام في الاجمال فناسب أن يتبعه ، كذلك في التفصيل بأن يقدم النبات وأنواعه على الانعام وأنواعها ، وفي تقديم الحرث على الانعام دليل على أن مرتبة النبات أعلى من مرتبة الانعام ، ومقدمة عليه وذلك لان النبات أساس للانسان والحيوان في التكرين ، فقدم عليه ، وقدم في الآية السابقة الانسان على النبات ، لان الانسان هو الذي يباشر عملية الحرث والزرع ، بما سخره الله سبحانه وتعالى له من أسباب في انباته وخروجه .

٣ - قال في الآية السابقة (فأخرجنا به نبات كل شيء) عندما كان

الاخبار في الآيات السابقة عن الاحياء الموت والبعث ، وهو فيه الاخراج ناسب أن يذكر بعد ذلك ما يشابهه ويمثله في الاخراج والوجود من العدم ، وهو

(١) سورة الأنعام : آية (١٤١) .

النبات ، فكما تخرج الاحساد من باطن الارض ، كذلك يخرج النبات من داخل الأرض ، والاخراج هو أول ابتداء خروج النبات من الارض ، ثم اذا خرج كان ظهوره ونشوءه ونموه ، وعند هذه الآيات كان السياق كما قال تعالى: (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) والنشوء فى اللغة يأتي بمعنى ربا وشب ، ويأتى بمعنى الارتفاع والبدو ، ومنه ماجاء فى لسان العرب قوله : نشأ ربا وشب ، ونشأ السحاب نشأ ونشوء : ارتفع وبدا (١) .

وعلى هذا المعنى اللغوى يكون المعنى المقصود من الآية فى الانشاء هو ظهور الجنات المعروشات وارتفاعها وتربيتها ونموها ، وكان الله سبحانه وتعالى يقول لهم: هذا الحرث والنبات الذى تتحكمون فيه من الذى نماء وكبره وجعله رابيا عاليا مرتفعا ظاهرا معروشا وغير معروش ، ولو تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن لفظ أنشأ مع النبات لم يأتى فى القرآن الا فى ثلاث آيات فقط ومنها قوله تعالى: (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) (٢) وقوله تعالى فى سورة الواقعة : (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (٣) . وقوله تعالى فى سورة المؤمنون (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) (٤) .

وكل آية اقترن فيها ذكر النبات بنزول الماء كان التعبير عنها بلفظ الخروج ، أو الاخراج للنبات بسبب الماء ، أما لفظ أنشأ أتى مع الجنات والشجر فقط كما هو فى الآيات المذكورة ، ثم لفظ الخروج فى الآيات كلها أتى مع الزرع والنبات والثمار ، لأن هذه الألفاظ تدل على

(١) لسان العرب / ابن منظور (٦٣٢/٣) .

(٢) سورة الأنعام / آية (١٤١) .

(٣) سورة الواقعة : آية (٧٢) .

(٤) سورة المؤمنون / آية (١٩) .

عملية الخروج بها من شيء داخل سواء النبات أو الزرع من الأرض أو الشمسار من الأشجار ، أما الجنات فتدل على أن فيها نموا وارتفاعا وظهورا وارباء فلذلك ناسب معها لفظ الانشاء وهو الدال على الارباء والنمو والعلو وهذا كله يكون بعد الخروج والخروج بعد انزال الماء .

٤ - ان فى الآية المتقدمة ذكر الله سبحانه وتعالى خمسة أنواع من النبات وهى الزرع والنخل وحنات من أعناب والزيتون والرمان ، وفى هذه الآية ذكر نفس الأنواع الخمسة ، لكن هناك خلاف فى الترتيب ، فابتدأ بذكر العنب ثم النخل ثم الزرع ثم الزيتون ثم الرمان .

وأما قوله (معروشات وغير معروشات) فالمعروشات هو العنب وهو مصرح به فى الآية الأولى ووصف بالتعريش لان الناس يعرشون له وذلك صيانة لثمره من الهلاك ، وأما غير المعروشات فهو كل نبات انبسط على الأرض بدون تعريش مثل البطيخ والقرع ، لأن ثمره لا يحتمل التعريش لثقله فهو يظهر وينمو منبسطا على الأرض .

(والزرع مختلفا أكله) ليدل على كل أنواع الزرع والنباتات من الحبوب والخضار وغيرها من الفواكه التى لم تعينها الايات بقوله (مختلفا أكله) .

٥ - قال تعالى فى الآية الأولى (مشتبهها وغير متشابه) (١) وفى هذه الآية قال (متشابهها وغير متشابه) (٢) .

لقد تكلمت سابقا عن (مشتبهها) ، ومناسبة ذكرها فى الآية السابقة على حسب السياق من متعة النظر فى النبات ، والثمار فيكون هنا الاشتباه بعدم تميزه والتفريق بينها ، وحيث أن الآيات مجال نظر للتأمل والتدبير ،

(١) سورة الأنعام (٩٩) .
(٢) سورة الأنعام (١٤١) .

وليس مجال أكل فكان اللفظ المناسب مشتبهها ، أما فى الآية الثانية فكانت مجال أكل حيث قال (مختلفا أكله) ، وقال (كلوا من ثمره) فناسب هنا أن يقول (متشابهها وغير متشابه) وذلك ما كان مشتبهها وملتبسا ومشكلا عليكم بالنظر فقط ، فالآن تبينوه وأزيلوا عنكم الاشتباه بالذوق واللمس والطعم بالاكل ، هذه كلها عوامل ودواعى تزيل الالتباس والاشتباه الذى لم يستطيع النظر لوحده أن يتبينه أو يميزه ، وبهذا سوف تعرفون أن هناك بينهما تشابه أيضا ليس فقط فى الشكل وإنما فى الطعم بين هذه النباتات المعروضة فى الآية وغيرها مثل التشابه فى الطعم بين أنواع الحبوب والتشابه فى العنب الأسود والابيض ، والتفاح كذلك (وغير متشابه) وذلك باختلاف طعم الفاكهة عن الخضار عن الحبوب وكذلك اشكال الاشجار والثمار أيضا مختلفة عن بعضها ومتغايرة فهى لاتشبه بعض وكذلك الثمار ، فثمار السنابل وهى الحبوب تختلف عن ثمار الخضار مثل القرع والكوسة والفاصولياء والبقول والعدس ، وثمار الأشجار الفواكه والنخل كالرمان والعنب والبرتقال والفتاح والبطيخ والرطب والحبوب ، تختلف بعضها عن بعض فى الشكل واللون ، وكذلك الخضار ، فالقرع يختلف عن البقول فى الشكل ، وثمار الفاكهة كذلك تختلف فى الشكل عن بعضها ، البرتقال يختلف عن التفاح وهكذا .

٦ - ولقد ذكر الحب فى الآية الأولى ولم يذكر فى الثانية ، لأنه دخل ضمن قوله تعالى (والزرع مختلفا أكله) فمن هنا اكتفى بذكر الزرع فى الآية الثانية وذكر الحبوب فى الآية الأولى .

٧ - ذكر فى الآية الأولى سبحانه وتعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر) وقد تكلمت عنه وقلت أن سياق الآية سياق متعة وجمال وتفكر وتدبر ، لذلك قال تعالى (انظروا) نظر متعة وتفكر وتدبر فى قدرة الله سبحانه وتعالى ، كيف يبدأ خروج الثمر على حالة ثم بعد

ذلك يتغير ويتبدل الى حالة أخرى ، وهى النضج فى تمامه وكماله ، وذلك لتستدلوا بها على وجود الصانع والخالق لها ، أما فى هذه الآية فقَالَ تعالى (كلوا من ثمره اذا أثمر) فالسياق سياق أكل ومتعة جسدية ومنفعة وسعادة جسمانية وليس نفسية الانتفاع من ثمره من بدايته اذا كان صالحا للأكل فهو مباح الى أن ينضج ، وذلك بدليل ما ذكر فى آخر الآية (ولا تسرفوا) فالاسراف يكون فى الأكل ، وفى هذا تنبيه على الاستدلال على وجود الخالق والتأمل فى بديع صنعه فقدم الاذن بالأكل منها ، وذلك لأن الأول يحصل منها متعة نفسية وروحانية ، أما الثانية فيحصل منها متعة جسدية ، والمتعة النفسية والروحانية مقدمة على المتعة الجسدية ، لان الأولى أبقي ، أما الثانية سريعة الانقضاء والذهاب ، ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى قوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) ولم يذكر هذا فى الآية السابقة ، وذلك لان المقصود من ظهور الثمر هنا النبات والشجر هو الأكل لحاجة الانسان الى ذلك وما فاض عن الحاجة فلا بد من اخراج زكاته .

٨ - نجد فى الآية الأولى (نخرج منه وجنات من أعناب والزيتون) (١) وفى الأخرى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات (٢)) .

١- ذكر فى الآية الأولى مع الجنات الخروج وفى الآية الثانية الانشاء لان الآية الأولى أتت فى سياق اخراج النبات فتكون الجنات هنا محمولة على معنى الاخراج . (أى اخراج جنات من أعناب) والآية الثانية تبين المرحلة الثانية بعد الخروج وهى الانشاء فقال (أنشأ جنات ...) وقد ذكر فى الآية الأولى (من أعناب) من شجر الأعناب أو يكون سمي الشجر باسم ثمره (٣) .

(١) سورة الأنعام / آية (٩٩) .

(٢) سورة الأنعام / آية (١٤١) .

(٣) انظر اعراب القرآن / للزجاج (٢/٥٢٠) .

وكان هذه الآية موضحه للآية الثانية (المعروشات) وكان سائل يقول ماهى المعروشات ؟ فكان الجواب فى الآيات الأولى (الأعناب) ، أو ربما يكون هنا فى الآية الثانية أطلق اللفظ على عمومه ليعطى معنى أوسع ومفهوم أشمل من كل ما يعرّش من النبات ، الأعناب وغيرها من نبات الزينة الذى يكون على أطراف الحائط ، أو الذى يمتد ويعرّش على الأرض ولا يرفّح على عريش مثل الكوسة والقرع فان ثمرها ثقيل لا يحتمل أن يرفع عن الأرض ، حتى لا يسقط الثمر من أمه قبل نضجه ، بسبب ثقله ، فهنا يريد من هذا نوع النبات كله الممتد على الأرض ولم يخص منه شيئا ، وان أردنا التخصص من هذا النوع تكون الآية الأولى موضحه لها ومبينة بان هذا النباتات المعروش هو الأعناب .

٢ - الآيات السابقة ذكرت بعض النباتات بأسماء ثمارها مثل العنب والرمان والزيتون والرطب ، وبعضها ذكر بأسماء أشجارها مثل النخل والزرع ، وبعضها ذكر باسم ثمره وشجره مثل النخل والرطب وبعضه ذكر باسم نوعه فقط مثل الفواكه ، وذلك ليبين لنا التفاضل بين النباتات واعتماد الانسان أكثر فى غذائه على أنواع دون أنواع ، فغذاء الانسان أكثر على الزرع والحبوب ، وهذه فقط للاقتيات والنخل يكون قوتنا وغذاء وفاكهة ، أما أنواع الفواكه فتكون للتفكه أكثر من القوت ، وهي كثيرة ولا يعتمد الانسان عليها فقط فى قوته ، لذلك ذكرت بأسماءها فقط او يذكر نوعها على أنها فاكهة ، وهو ماوضحه لنا فى قوله تعالى (ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) (١) .

٣ - أخبرنا الله سبحانه وتعالى ببعض من أنواع الفواكه التى ذكرها بأسمائها ، وهى العنب والتين والزيتون والرمان والنخل فى كذا موضع من القرآن ولم يذكر غيرها من الفواكه ، مع أن الفواكه كثيرة كما ذكرت فى بعض الآيات (لكم فيها فواكه كثيرة) (٢) .

(١) سورة الرعد: آية (٤) .

(٢) سورة المؤمنون ، آية (١٩) .

فتنكير لفظ فواكه ولفظ كثيرة يدل على كثرتها ، وذلك لأن هذه الأنواع هي المعروفة والمشهورة أكثر لدى الناس فى كل زمان ومكان ، وهي المتداولة أكثر وعليها اعتماد الناس دون سائر الفواكه والاهتمام بها ثم ان هذه الانواع هي الموجودة فى أرض العرب ، وخاصة ارض الحجاز وهي العروفة لدى العرب أيضا وقت نزول القرآن ، والقرآن نزل بلغة العرب لذلك اختص بذكر هذه الانواع دون غيرها ، لانها معروفة لديهم ، ثم ان هذه الانواع فيها كثير من الفوائد الغذائية والصحية دون غيرها وخاصة النخل والزيتون والعنب والتين ، فهي تؤكل على مدار السنة طازجة ومجففة ، واعتماد الناس عليها كثيرا ، أما بقية الفواكه التي منها الرمان ، فلا تكون الا فى فصول معينة وأماكن معينة وتؤكل لوقتها فكثير من الفواكه فى غير بلاد العرب لا يعرفها العرب الى الآن لا اسما ولا شكلا ، وكذلك ماكان فى بلاد العرب لا يعرفه غير العرب الى الان فالفواكه كثيرة وموزعة على بلاد العالم كله .

٩ - ان غذاة الانسان واقتياته أساسا على الخضر والحبوب

والخضر لم يتناولها القرآن بالتفصيل بل ولم يذكر منها أى نوع وانما أدخلت كلها تحت لفظ الزرع والنبات ، والحبوب ، للأسباب الآتية :

(١) ان الحبوب أنواعها قليلة معروفة فلاداعى الى ذكرها .

(٢) والانسان يتسعمل الحبوب قوتا لابد منه فلا يستغنى عنها فحاجته

اليها أقوى من حاجته الى غيرها كما جاء ذلك فى قوله تعالى (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (١) .

فعبّر فى جانبها بقوله يأكلون ، أى هم آكلوه ابتداءً وفطرة

أساسا وحاجة تدفعهم الى أكله أوهم ان أكلوه بأنفسهم دون أن يدلهم

غيرهم الى ذلك أو يرشدهم .

(٣) والخضر كذلك يأكلها الانسان أساسا فى غذاة٦٤ ، فهو مندفعاً لها بنفسه احتياجاً لها وخاصة مع الخبز للائتمام بها وقد أخبرنا القرآن بحاجة الانسان الى الخضار والحاجة فى وجودها واعتماده فى الغذاء أيضاً عليها ، ماكان فى قصة قوم موسى عليه السلام التى ذكر فيها بعض من أنواع الخضار بأسمائها ، ولم يذكر فى آية غيرها فى القرآن كله ، وإنما ذكرت الخضروات كما بينت سابقاً تحت لفظ الزرع والنبات والقضب حيث قال تعالى : (واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها) (١) .

بينما نجد فى جانب ذكر ثمر الفاكهة فى سورة يس قال : (ليأكلوا من ثمره) (٢) اى اننا لم نخلقه ونوجده الا لأجل أن يؤكل فان كانوا لا يأكلونه أساساً قوتاً ، فليأكلوه غذاءً وتفكها وتمتعا بنعمة الله عز وجل .

وبهذا العرض لهذه الآيات أكون قد عرضت أنواع النباتات وأصنافها وأسماءها التى أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم ، ويبان ذلك والغرض منه . والله أعلم .

...

x

(١) سورة البقرة : آية (٦١) .

(٢) سورة يس : آية (٣٥) .

ثانياً: الخبر عن وصف النبات في القرآن الكريم بأوصاف متعددة :

قال تعالى (يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكله من سبع عجاف وسبع سنبلات خضرو آخر يابسات) (١) .

قال تعالى (والأرض مددنا والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) (٢) .

قال تعالى : (وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٣) .

قال تعالى : (أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٤)

قال تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٥) .

قال تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) (٦) .

قال تعالى : (أتتركون في ما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) (٧) .

قال تعالى (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٨) .

قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحميد) (٩) .

-
- (١) سورة يوسف: آية (٤٦) .
 - (٢) سورة الحجر : آية (١٩) .
 - (٣) سورة مريم : آية (٢٥) .
 - (٤) سورة الشعراء : آية (٧) .
 - (٥) سورة لقمان : آية (١٠) .
 - (٦) سورة الدخان: آية (٢٥ - ٢٦) .
 - (٧) سورة الشعراء: آية (١٤٦ - ١٤٨) .
 - (٨) سورة ق : آية (٧) .
 - (٩) سورة ق : آية (٩) .

قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد) (١) .

قال تعالى (فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام) (٢)

ان للنبات صفات وأوصاف تستهويها النفس وترتاح لها وتسعى اليها
فيها البهجة وفيها الانس ، فيها السعادة للانسان من الناحية المادية
ومن الناحية النفسية ، وهذه الصفات كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى الايات
السابقة فنجد عز وجل وصف النبات بعدة أوصاف كريمة وشيقة وممتعة وجميلة
وهي مايلي :

١ - وصف النبات بأنه أخضر :

لقد وصف الله سبحانه وتعالى النبات بالاخضرار ومنه قوله تعالى
(يوسف أيها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر وأخر يابسات) (٣) .

وقوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) (٤) .

وقد أشبعت الكلام فى الموضوع وهو صفة الاخضرار فى النبات وماهية
فوائدها وقلت ان لفظ اخضر يدل على النمو الحياة والنداوة والرطوبة والظراوة، (٥)
لذلك نجد فى سورة يوسف قال بعدها (وأخرى يابسات) وهذا من باب المطابقة
فى علم من علوم البلاغة وهو البديع ، وعلم البديع : علم تعرف به وجوه تحسين
الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة
(المعانى ، البيان ، البديع) ووجوه تحسين الكلام التى يبحث فيها علم
البديع قسمان : قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ ، فهو علم
المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية ، ومن أساليب علم البديع الطباق .

والطباق عند البلاغيين هو : الاتيان بلفظين متضادين ، فكان المتكلم

(١) سورة ق: آية (١٠) .

(٢) سورة الرحمن : آية (١١) .

(٣) سورة يوسف: آية (٤٦) .

(٤) سورة يس : آية (٨٠) .

(٥) راجع ص (٥٥ + ٥٨)

طابق الضد بالضد (١) .

فالسنايل الخضراء ضدها السنايل اليابسات ، فالسنايل الخضراء كما قلت تدل على الحياة والحركة والنمو، واليابسات ضدها فهي تدل على السكون والموت والنهاية، وكان ذلك في الرؤيا التي رآها الملك فأولها نبي الله يوسف عليه السلام ، السنايل الخضراء بسنين خصب ، والسنايل اليابسات بسنين مجدية .

إذا في هذا الوصف للنبات يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن وصف النبات بالاختراع واليبس ، وقد أخبرنا بذلك في جملة خبرية طلبية في قوله تعالى : (وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابس) (٢) . فأكد الخبر هنا بأن الغرض منه اظهار الفزع والخوف مما رأى بما أتى بعدها من القرائن فى الآيات التى بعدها وهى :

- ١ - مطالبته الفتيا فى الرؤيا .
- ٢ - مطالبته بالاثبات بنبي الله يوسف عليه السلام عندما فسر له رؤياه .
- ٣ - تحقيق طلب نبي الله يوسف عليه السلام فى سؤال النسوة .
- ٤ - استخلاص نبي الله يوسف عليه السلام لنفسه .
- ٥ - جعل يوسف عليه السلام على خزائن الأرض كما طلب وأراد .

٢ - وصف النبات بأنه موزون :

قال تعالى : (والأرض مددنا وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) (٣) .

(١) انظر :

- أ - الكافية البديعية : صفى الدين الحلبي (٧٢) .
 - ب - كتاب الصناعتين : أبى هلال العسكري (٣٣٩) .
 - ج - جواهر البلاغة : أحمد الهاشمى (٢٦٦) .
 - د - اعجاز القرآن : الباقلانى (٨٠) .
 - هـ - معجم البلاغة العربية : د . بدوى طبانة (٤٤٧-٤٥٥) .
- (٢) سورة يوسف: آية (٤٣) .
- (٣) سورة الحجر: آية (١٩) .

والوزن فى اللغة : هو وزن الشقل والخفة - الليث : الوزن ثقل شىء
بشء مثله كاوزان الدراهم (١) .

وجاء فى الصحاح : وزن الميزان معروف ، أصله موزان ، انقلب
الواو ياء لكسره ما قبلها ووزن الشىء وزنا وزنة ، وهذا يزن درهم
ودرهم وزان : أى تام ، ويقال ليس لفلان وزن أى قدر لخسته (٢) .

(موزون) فى الآية صفة للانبات وهو كلما يتولد من الارض ، لذلك نجد
أن الله سبحانه وتعالى أطلقه على كل ما ينبت من الارض ولم يقيده بشىء معين ،
فيشمل النبات المعادن وغير المعادن ، ومعنى الانبات هو الانشاء والايجاد
كما بينته سابقا فى الباب الاول ، وقد اختلف فى المقصود فى الآية من كلمة
(موزون) على اعتبار عمومها :

- الرأى الأول : قال : الموزون هو المقدر المعلوم . قاله ابن عباس
وسعيد بن جبير وذلك لان الوزن يعرف بمقدار الشىء .
- الرأى الثانى : وقاله قتاده : موزون يعنى مقسوم .
- الرأى الثالث : وقال مجاهد : موزون : معدود (٣) .
- الرأى الرابع : جاء قول الرازى : فى تفسيره .
- ١ - ان يكون المراد منه أنه متقدر بقدر الحاجة .
 - ٢ - ان الله سبحانه وتعالى قدر ما ينبت على وجه مخصوص بقدرته وحكمته
فكانه قال تعالى وزنها بميزان الحكمة حتى حصلت هذه الأنواع .
 - ٣ - أن أهل العرف يقولون : فلان موزون الحركات أى حركاته حركات متناسبة
حسنة مطابقة للحكمة ، فكانه المراد كناية عن الحسن والتناسب ، فقوله
(وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) ، أى متناسب محكوم عليه عند العقول
السليمة بالحسن واللطافة ومطابقة المصلحة .

(١) لسان العرب (٣/٩٢١) القاموس المحيط الفيروز ابادى (٤/٢٧٧) .

(٢) الصحاح : الجوهري (٦/٢٢١٣) المصباح المنير : الرافعى (٦٥٨) .

(٣) تفسير القرطبي (٤/٣٦٢٩) وجاء فى تفسير الطبرى ، ان قتاده ذكر فى تفسيرها
معلوم . والضحاك كذلك ، وعكرمة قال بقدر ، ومجاهد قال المقذور بقدر
(تفسير الطبرى (١٤/١٧) .

٤ - أن الشيء الذي ينبت من الأرض نوعان : المعادن ، والنبات . أما النباتات فيرجع عالميته الى الوزن لان الحبوب توزن وكذلك الفواكه في الأكشــــر وأما المعادن فهي بأسرها موزونة (١)

الرأى الخامس : قال الزمخشري في الكشاف: وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لايصلح فيها زيادة ولانقصان ، أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة . (٢)

بعد عرض أقوال أهل التأويل فى تفسير (موزون) يتضح لى أن اطلاق لفظ الانبات على معنى الایجاد يعم كل ما يخرج من الأرض من المعادن والنبات ، واطلاق لفظ الوزن كذلك يشمل كل ما يوزن من الخارج من الأرض من النبات وغيره ، وعلى ما مر من المعانى اللغوية للفظ وزن ، يكون مفهوم الآية يشمل كل الآراء التى عرضت جملة فى مفهوم (موزون) ، وحيث ان البحث المقصود به هو النباتات ، لذلك يكون المقصود من لفظ (موزون) هو أن الله سبحانه وتعالى أخرجــــه وأنبته بقدرته وعظمته ، ومن جليل حكمته بان جعله مقدرًا على قدر الحاجة ومقسما فى أيام دون أيام ، وفى أماكن دون أماكن ، فمنه ما ينبت فى الشتاء ومنه ما ينبت فى الصيف ومنه ما ينبت فى الجبال ومنه ما ينبت فى الوادى ، ومنه ما ينبت فى البلاد الحارة ، ومنه ما ينبت فى البلاد الباردة ، ومنه ما ينبت فى الليل ومنه ما ينبت فى النهار ، وهكذا قسمه الله سبحانه وتعالى على الأزمنة والأمكنة ، والاحوال والظروف التى היאها له على حسب ما يناسبه من أنواعه ، ثم انه سبحانه وتعالى قدر النبات بمقدار معين بان جعله على قدر حاجة البشر والحيوان منه ، وما تقتضيه مصلحتهم من النبات ، وجعل الله سبحانه وتعالى النبات على وجه الأرض حسنا لها وزينة فيه اللطافة والألفــــة للانسان بحيث لا ينكره المجنون ، فكيف بالعاقل ، وبعد هذا جعل فيه مصالح

(١) تفسير الفخر الرازى : (٢٦٣/٥ - ٢٦٤) .

(٢) تفسير الكشاف (٣٨٩/٢) .

البشر من تلطيف وجمال ومنفعة جسدية بالطعام ولذة بالاستمتاع به ، وفي هذا لابد من الاهتمام والاعتناء بالزرع والغرس من قبل الأفراد والجماعات وخاصة في المناطق الصحراوية والحارة ليعمل على تطهير الجو وتحسينه ، وازدهار الارض بالمظهر الجميل في البيت ، والشارع ، والمدرسة ، والمصنع والمعمل ، والمكتب وغير ذلك في كل وقت على مدار الأسبوع والشهر أو السنة ويخص بذلك يوما يشترك فيه الجميع ثم منفعته ومصالحته فيـه بالتجارة والبيع والشراء ، ولأجل ان يكون الانسان عادلا في تجارته ، والنبات هو الذي يتحكم في أقوات الناس وغذائهم اذا لابد من العدل في ذلك ولا يكون العدل ولا يضبط الانسان المقدار الا بالميزان المعروف في الوزن وهو ما يعرف به الخفة والثقل بالكيلو او الجرام كما هو معروف في الوقت الحاضر او معدود اي معدودا بالحبة . والله أعلم .

٣ - وصف النبات بنالجنى :

ومنه قوله تعالى (وهزى اليك بذرع النخلة تساقط عليك رطبها جنيا) (١) .
لقد وصف الله سبحانه وتعالى الرطب في الآية وهو ثمر النخل بأنه جنيا .
الجنى في اللغة كما جاء في لسان العرب هو من جنيت الثمرة أجنيتها جنيا و اجتنيتها بمعنى و جنى الثمرة وتجنها كل ذلك تناولها من شجرتها والجنى كل ما جنى حتى القطن ، والجنى الكلاء ، والجنى الكمأة ، وأجنت الارض كثر جناها ، وأجنى الثمر اي ادرك ثمره ، واجنت الشجرة اذا صار لها جنى يجنى فيؤكل ، والجنى : الثمر المجنى ، مادام طريا ، والاجتناء أخذك اياه ، وهو جنى مادام رطبا ، ويقال لكل شيء اخذ من شجره : قـد جنى واجتنى (٢) .

(١) سورة مريم: آية (٢٥) .

(٢) لسان العرب : (١ / ٥٢٠) .

فعلى هذا التعريف اللغوي يكون: معنى جنيا: أي مجنيا والمجنى هو ما كان صالح للاجتناء ويؤخذ طريا للاكل منه، وهذا مقاله: في تفسيرهـــــــــــــــــــــــــ
ابوعمر و بن العلاء عندما سؤل عن قوله تعالى (رطبا جنيا) .

فقال : لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدى مجتنيه (١)، وذلك لان كثير من الثمار اذا جفت وييست تساقطت ، أما الرطبة الطرية فتبقى في شجرتها حتى تؤخذ من امها الشجرة وتقطف بحيث يتناولها الذى يجنيها بيده مباشرة ان كان فى تناولها او يقطفها ان كانت بعيدة عنه ، وهذا هو مقاله الله عز وجل للسيدة مريم عليها السلام : (وهزى اليك بجــــــــــــــــــــذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٢) . ولم يقل لها اقطفى لانه ربما لم يكن فى حدود تناولها ، لذلك قال لها (هزى) بالتحريك . وبهز جــــــــــــــــذع النخلة يتساقط عليها الرطب الطرى الذى على هياة الاجتناء والاخذ فكلى منه ، وهذا يبين ما فى الرطب والتمر اي ثمر النخل من الفوائد العظيمة وخاصة المرأة الحامل ، وقد اطلعت البحث فى ذلك وبينته فى الباب الثانى يراجع ، اذا ان ثمر الأشجار العظيمة أو الصغيرة يوصف بالجنى فى الوقت الذى يكون فيه طيب اكله قبل يبسه وجفافه وتغير طعمه ، وهذا يعطينا ان الفائدة فى أكل الثمار الناضجة نضجا تاما وقت جناها أفضل بكثير من التى لم تنضج أو التى تيبس وتجف وينتهى وقت جناها وقت الليونة والطراوة فى الثمرة ولم يوصف النبات بالجنى فى القرآن الا مرة واحدة وهو فى سورة مريم فى الآيه التى بصددها ، وقد ذكر جنى الثمار فى ثمار الآخرة فى سورة أخرى (الرحمن) وهى قوله تعالى (وجنى الجنتين دان) (٣) .

(١) تفسير القرطبي (٤١٣٤/٥) .

(٢) سورة مريم : آية (٢٥) .

(٣) سورة الرحمن : آية (٥٤) .

قال أبو السعود فى تفسيرها: اى مايجتني من اشجارها من الثمار قريب
بيناله القائم والقاعد والمضجع .

قال ابن عباس رضى الله عنهما: تدنو الشجرة حتى يجتنها ولى الله
ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضجعا. (١)

فى جنى ثمار الدينا لم توصف بالدنو والقرب ، وذلك كما مر معنا
فى سورة مريم حتى يكون من الانسان جهد ومشقة وعمل وسعى لكسب معيشته
لان الدنيا دار التكليف والعمل والجهد والسعى فيها ، أما الآخرة
فهى دار النعيم وراحة للانسان حيث لاجهود ولا تعب ولا نصب ولا وصـب
دار جزاء وثواب وعقاب ، لذلك وصف ثمار جنانها بالدنو والقـرب
للانسان (قطفها دانية) ولاداعى عند تناولها لاي حركة من الانسان
فهو يتناولها على اى كيفية شاء ، حيث اراد ، متوفرة من كل نوع سهلة
ميسرة فمن هذا المقام ناسب ان يقال للسيدة مريم عليها السلام عنـد
ولادتها الى جذع النخلة (وهزى اليك بجذع النخلة) كلفة وجهد ومشقة
من مريم عليها السلام ، ثم بعد هذا الجهد تسقط اليها الثمرة وهو الرطب
ناضجا طريا صالحا للجنى والأكل منه سقوطه أو قطفه .

فأشجار الدنيا منها الطويلة العالية ومنها القصيرة الدانية،
وثمارها ما يكون منها فى أعلاها ومنها ما يكون دانيا ، فعندما يأخذ
الانسان جميع ثمار الشجرة الواحدة فهو لا يستطيع ان يحصل عليها كلها
قطفة واحدة من قرب ، فيأخذ ويجنى ما قرب منها ثم يجنى ما بعد فى اعلى الشجرة
اما بالتسلق عليها وقطفه واما بالهز لساق الشجرة فيسقط الثمر على
الارض فيجمعه جاني الثمر وهكذا .

أما ثمار الآخرة فهى كلها دانية فى وقت واحد كما قال تعالى
(قطفها دانية) (٢) فثمارها كلها دانية قريبة من الانسان فى تناول

(١) تفسير أبى السعود (٣٥/٨-٣٦) على هامش الفخر الرازى ، تنوير المقياس /

تفسير ابن عباس (٣٢١/٥) .

(٢) سورة الحاقة ، آية (٢٣) .

يده يستطيع ان يقطفها بدون جهد ومشقة وتسلق وهز للجشرة وغير ذلك من الطرق التي يستعملها الزراع فى جني الثمر من الشجر .

وامام قصة مريم عليها السلام عند حملها وولادتها عند النخله وامر الله سبحانه وتعالى لها بهز الجذع سواء يطرح نفسه هل الامر هنا فى الآية بهز الجذع للوجوب أم للاباحة؟

جاء فى روح المعانى قوله تعالى : والامر قوله يحتمل الوجوب والندب ، وذلك باعتبار حالها ، وقيل هو للاباحة ^(١) أقول والله أعلم :

أولاً: أن الأمر للاباحة وليس للوجوب ذلك مواساة لها وتسليتها لما فيها من الآلام النفسية بسبب حملها ووضعها بدون مسببات تنقذ بها نفسها مما يقابلها من لوم أهلها وما فيها كذلك من الآلام الجسمية بآلام المخاض التي تنسى المرأة حتى نفسها فكان لها الأمر بالاكل من الرطب تخفيفاً لآلام الوضع بأكل الرطب لما فيه من المنافع والفوائد للمرأة الماخض ، وتخفيفاً لآلامها النفسية حتى تطمئن لقدرة الله وترضى بقضائه فيما ابتلاها به فهو القادر على نجاتها من هذه المحنة ، فكان الامر مواساة لها وتسلية واطمئنانا بان الله معها ولا تخشى شيئاً ،

ثانياً: المعروف فى منهج الله سبحانه وتعالى وفى تشريعاته أنه عز وجل لم يفرض فيها نوعاً معيناً من الطعام على عباده لئلا يكلوه وإنما جعله مباحاً لهم يأكلون منه ما يشاءون من جميع انواع المطعومات وذلك لان الفوائد من المطعومات متنوعة وكثيرة ، وجعلها الله سبحانه وتعالى متفرقة على جميع أنواعها وأصنافها ، فكانت الاباحة فيها لتعم الفائدة ، وأما ما كان فيه ضرراً على الانسان كان هنا التشريع بالتحريم ، لذلك نجد أن التشريع فى منهج الله عز وجل تناول التحريم لبعض المطعومات التى فيها ضرر على الانسان ولم يتعرض ويتناول الوجوب فيها . والله أعلم .

(١) روح المعانى / الألوسى (١٦ - ٨٦) .

الأحكام :

- أما الأحكام المستفادة من قصة السيدة مريم عليها السلام فهي حملها وولادتها وأكلها من الرطب ووضعها لابنها عليهما السلام فهي كما يلي :
- ١- وجوب بر الوالدين .
 - ٢- الملاحظة والملاينة في معاملة المرأة والاهتمام بها في كل شئونها الدينية والدنيوية .
 - ٣- الاهتمام بالمرأة الحامل والماخض والرعاية لها .
 - ٤- أفضل طعام وعلاج لتخفيف آلام الوضع التمر .
 - ٥- أفضل الكسب والمعاش ما كان عن جهد واجتهاد من الانسان في طاعة الله عز وجل .
 - ٦- بيان أن المرأة مخاطبة بأحكام الله مثل الرجل ومطالبة بها .
 - ٧- بيان فضل المرأة بالأمومة .

٤ - وصف النبات بالكريم ومنه :

قال تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها والقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبطنا فيها من كل زوج كريم) (١) .

قال تعالى : (أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٢)

ان الكرم صفة محبوبة ومرغوبة وقد امتدح صاحبها من البشر وحث عليها الاسلام وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبات بالكريم ولأجل أن نعرف وصفه بالكريم هل الكرم بمعنى العطاء أوله معنى آخر كذلك ابحت عنه في اللغة أولا :

(١) سورة لقمان: آية (١٠) .

(٢) سورة الشعراء: آية (٧) .

قال الجوهري : الكرم ضد اللؤم (١) .

وجاء فى لسان العرب : الكريم : الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل .
والكريم : اسم جامع لكل ما يحمد ابن سيده ، والكرم نقيض اللؤم يكون
فى الرجل بنفسه وان لم يكن له آباء ويستعمل فى الخيل والابــــــل
والشجر (٢) .

فعلى هذا التعريف اللغوى يكون المقصود من الاية ان كل ما يشمله النبات
من الحسن فى العطاء بسخاء للانسان والحيوان وفى الحسن الشكلى والجمالى
وفى رايحه الزكية ، وفى منافعه الاخرى من الظل وغيره وهذه كلها صفات
حسنة فى النبات ومحمودة فيكون النبات بهذا الوصف وصف الكرم جامع لكل
انواع الخير والشرف والفضائل بما فيه من السخاء والعطاء والجمال
والمنافع ، وقد جاء فى مدح الشجر والنبات بهذا الوصف وهو الكريم . قول
الدكتور محمد السعيد امام : ولايسعنى الا ان أوجز القول بان كل مساحة
تزرع فيها شجرة ستكون سببا فى خلو سرب فى مستشفى ، ان الشجرة فى
الارض مصدر الصحة والجمال ، وحينما وجدت الشجرة وجدت الحياة وحيثما
انعدمت تحولت الارض الى صحراء مقفرة لا ظل فيها ولاخير ولاجمال وليــــس
مايوكد قيمة الشجرة فى حياتنا مثل ان نعرف فوائدها ، فهى تحفظ
التربة من الانجراف وتحمى الارض من التآكل وتحفظ ينباع الميــــاه
وتساعد على تنظيم هطول الامطار وتؤمن للانسان المادة الخشبية التي
يفتقر اليها ، وتمد الانسان بالوقود والزيوت والعلف ، وتساعد على
تنقية الهواء (٣) .

فسبحان من وصف النبات بهذا الوصف وهو (الكريم) وكان فى وصفه
بهذا الوصف فى معرض رده على منكرين البعث والمكذابين به فقال تعالى
(وما يأتىيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ، فقد كذبوا

(١) الصحاح / الجوهري (٢٠١٩/٥) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور (٢٤٧/٣) .

(٣) حديث الاسلام عن الاشجار : د. محمد السعيد امام (٥٠-٤٩) .

فسيأتيهم أبناؤا ماكانوا به يستهزءون (١).

فكان الرد عليهم من الله عز وجل على هذا الانكار ، ألم يروا ما في الارض من الايات الدالة على كمال قدرة الله عز وجل وتصرفه في خلقه ، ومن تلك الايات الدالة على قدرته هي وصف النبات بالكريم . فقــــــــال تعالى : (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كلزوج كريم) (٢) .

ولسوقفة مع هذه الآية في المقصود منها في قوله تعالى (زوج كريم) هل هي لكل المخلوقات أم للنبات فقط ؟

وصف الكريم الذي تضمنه الآية اختلف فيه على رأيين:

١ - رأى قال أن الوصف المقصود به في الآية هو الانسان والحيوان والنبات لان الآية لم تحدد النبات فيه فقط والانسان والحيوان من نبات الارض كما قال تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) (٣) .

وهذا رأى الشعبي وأيده في ذلك ابن كثير والالوسي والمالكي حيث روى عنه ، أنه قال : الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فهو لثيم (٤) .

٢ - الرأى الثانى : أنه مقصود به النبات وهذا رأى ابن عباس ومجاهد حيث روى عن مجاهد انه قال عند قوله تعالى (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٥) .

قال من نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام (٦) .

(١) سورة الشعراء : آية (٦٥) .

(٢) سورة الشعراء : آية (٧) .

(٣) سورة نوح : آية (١٧) .

(٤) انظر : التفسير بالمأثور / الدر المنثور : السيوطى (٨٣/٥) روح المعانى : الالوسى (١٩-٦٢) الانتصاف/ المالكي (١٠٥/٣) على هامش الكشاف .

(٥) سورة الشعراء : آية (٧) .

(٦) الدر المنثور / السيوطى (٨٣/٥) .

تفسير الطبرى (١٩/٦٣) .

وأيده فى ذلك الطبرى والرازى والالوسى وابوالسعود والبيضاوى
والكشاف (١) .

والرأى الراجح هو المقصود به نبات الارض أولا ان هذه الآية فى
معرض ذكر النعم ، حيث يوضحه ويبيّنه قوله تعالى فى سورة لقمان (خلق
السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها
من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) (٢) ،
حيث انه فى هذه الآية بعد أن ذكر سبحانه وتعالى خلق السموات والارض والجبال
والدواب ذكر بعدها انزال الماء من السماء وانبات النبات فى الارض من
كل زوج كريم ، ونلاحظ هنا فى الآية انه لم يذكر الدواب بعد انزال الماء
ولم يذكر النبات مع الدواب ، وانما فرق بينهما لانه المعتاد والمعروف ،
والملاحظ من سنن الله فى كونه أن انزال الماء من السماء وهو سبب من
أسباب حدوث النبات وليس حدوث الدواب من الانسان والحيوان وكل ما يدب
على الارض والدابة فى اللغة اسم لما دب من الحيوان مميزة وغيــــــــــــــــر
مميزة (٣) .

صحيح ان النبات يدخل تحت لفظ دابة لانه يدب على الارض ويتحــــــــــــــــرك
وخلق الانسان والحيوان كذلك من ماء ، لكن الفرق بينهما فى الكيفية ،
فالماء الذى ينبت منه النبات هو الماء النازل من السماء المعهود
والمعروف بالطريقة المعروفة فهو يختلف عن الماء المخلوق منه الانسان
والحيوان فى هيئته وكيفيته ، ففصل بينهما وقياس على هذه الآية فى اخراج
الزوج الكريم من النبات بسبب انزال الماء من السماء ، وتفيد الكريم هنا

-
- (١) انظر : تفسر الطبرى (٦٣/١٩) تفسير أبى السعود (٢٧١/٧)
تفسير الفخرالرازى (٣٦٢/٦) روح المعانى (٦٢/١٩) .
تفسر البيضاوى (٤٨٥) ، تفسير النفس (٣٥٨/٣) على هامش
الخان ، تفسير الخازن (٣٥٨/٣) ، الكشاف للزمخشــــــــــــــــرى
٠ (١٠٥/٣)
(٢) سورك لقمان: آية (١٠) .
(٣) انظر لسان العرب (٩٣٨/١) .

بالنبات يكون ذكره أيضا فى آية الشعراء المقصود به النبات ، وليس الكريم من الانسان والحيوان فعلى هذا يكون المقصود من قوله تعالى (كم أنبتنا) اى يدل على كثرة هذا النبات من الارض بصورة فائضة .

وقوله تعالى (كلزوج كريم) أى دليل على الاحاطة بأزواج النباتات على سبيل التفصيل فى شموله لكل أنواع النبات وأصنافها فجمع بيــــن كم وكل يدل على كمال قدرته وعلمه تعالى فى الكثرة والشمول ، قدرته فى وجود النباتات بكثرة ومتنوعة الاجناس والاصناف والانواع وعلمه بذلك كله وكثرته الفائضة فى كل زمان ومكان ، بحيث لا يعلم هذه الكثرة المفرطة الا عالم الغيب فمن هنا تكون مقيدة بالنبات لتدل على قدرة الله عز وجل مبينة ومنبهة لهؤلاء الكفرة على انه ما من نبت الا وله فائدة عظيمة ، اما وحده أو مع غيره وهذا من بالغ حكمته عز وجل .

أما قوله تعالى "زوج كريم " ذكر المفسرون فى معناها على أن معنى "زوج) صنف فيكون المعنى كل صنف من النباتات محمود وكثير المنفعة .

أقول: هذا معنى ، ولكن هناك معنى آخر (للزوج) يكمن فى المقصود من اظهار كمال قدرة الله عز وجل و اعجازه فى خلق النبات وهى عملية التزاوج بين اثنين من ذكر و أنثى كما قال تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) (١) .

وقال الراغب الأصفهاني فى ذلك : الزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفى غيرها زوج ، كالحف والنعل ، ولكل ما يقترب بآخر مماثلا له أو مضاد زوج (٢) .

(١) سورة يس : آية (٣٦) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن (٢١٥-٢١٦) .

فيكون المعنى المقصود من الآية ان التكاثر في النبات بهذه الصورة ويكون ناتجا عن العملية الزوجية من ذكور النبات واناثها كما قال تعالى في ذلك : (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) (١) .

وقالتعالى (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) (٢) .

فهى موجودة فى النبات بصورة وطريقة تختفى عليكم كما هى طريقة نسلكم وتكاثركم عن طريق الزوجية بالذكر والانثى فيكون كل صنف من النباتات وكل نوع منها يتكاثر ويتم عن طريق الزوجية ففى بعض النباتات تتكون أعضاء الذكورة والانوثة فىزهرة واحدة مثل الشعير والقمح والذرة ، وغيرها (٣) . وبعضها تكون الأ زهار الحاملة للذكورة فى شجرة منفصلة عن الشجرة الحاملة لآ زهار الانوثة وذلك مثل النخيل للتمور ، فلها نخيل ذكر ونخيل اناث ويتم تلقيح وتأبير الاناث بوضع ازهاروشماريخ الذكر بيــــن أزهار واغريض الاناث ليتم التلقيح وتتكون الثمار (٤) .

وبهذا التكاثر يكون العطاء وبهذا العطاء يكون الكرم والجمال فى النباتات . والله أعلم بمراده .

٥ - وصف النبات بالهضم :

قال تعالى (أتتركون فى ما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضم) (٥)

والهضم فى اللغة : هو اللطيف والنضيج .

(١) سورة الرعد: آية (٣) .

(٢) سورة طه : آية (٥٣) .

(٣) انظر الشعير ص (١٢) .

(٤) انظر : ١- مناطق انتشار اصناف النخيل (١٩)

٢- المجلة الزراعية (٣٥) العدد الاول ١٤٠٦هـ

٣- المجلة الزراعية (٣٧) العدد الاول ١٤٠٣هـ

٤- مجلة الخفجى (٥) العدد الاول (١٢) .

(٥) سورة الشغراء : آية (١٤٦ - ١٤٨) .

قال فى لسان العرب : هضيم ، أى منهضم منظم فى جوف الجف • والهضيم : اللين ، وقيل : ناعم ، وقيل هضيم منهضم مدرك • وقال الزجاج : الهضيم ، الداخلى بعضه فى بعض • ويقال للطلع هضيم : مالم يخرج من كفراه لدخول بعضه فى بعض (١) .

وقد ذكر أهل التأويل من المفسرين فى معناه اثنى عشر قولاً :

- ١- أنه الرطب اللين : قاله عكرمة .
- ٢- هو المذنب من الرطب ، قاله سعيد بن جبير ، أى الذى بدأ فيه الارطاب
- ٣- أنه الذى ليس فيه نوى : قاله الحسن .
- ٤- أنه المتهشم المتفتت اذا مس وتفتت ، قاله مجاهد .
- ٥- هو الذى ضمركوب بعضه بعضاً ، قاله الضحاك ومقاتل .
- ٦- انه المتلاصق بعضه ببعض ، قاله ابو صخر .
- ٧- انه الطلع حين يتفرق ويخصر ، قاله الضحاك .
- ٨- أنه اليانع النضيج اللطيف اللين الدقيق ، قاله ابن عباس .
- ٩- أنه المكتنز قبل أن ينشق عنه القشرة ، حكاه ابن شجرة .
- ١٠- أنه الرخو ، قاله الحسن .
- ١١- انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع النضيد ، قاله الهروى .
- ١٢- أنه البرنى ، قاله ابن الاعرابى (٢) .

وعند النظر فى هذه الاقوال نجد ان معظمها تتفق على معنى واحد وهو ما يدل على الرطوبة والليونة والنضج فى الثمرة وهذا هو الاقرب الى الصواب والصحة لسببين :

(١) لسان العرب / ابن منظور (٣/٨١٠-٨١١) .
(٢) نقلاً مختصراً من تفسير القرطبي عن الماوردي وغيره (٦/٤٨٤٤) .

وانظر فى ذلك أيضاً :

- ١- الدر المنثور للسيوطى (٥/٩٢) .
- ٢- تفسير الطبرى (١٩/٩٩-١٠٠) .

١- أن الثمرة اللينة الرطبة تتكسر وتهشم ، فبذلك تنقص ، لأن الهضم أصلا فى اللغة : النقص وذلك من قولهم فلان هضم حق فلان هضمًا إذا انتقصه . (١)

فكذلك يكون الهضم فى طلع النخل هو نقصه بتكسره وتهشمه لليوننته ورطوبته بمسه بالأيدي ، او عند ركوب بعضه بعضا ، فتكون هنا عملية ركوبه ودخوله بعضه بعضا تؤدى الى نقصانه من شدة ليوننته ونضجه .

٢- السبب الثانى : الهضم أى المهضوم عند أكله بمعنى أنه سريع الهضم عند أكله ، لئنه ورطوبته وخفته ولطفه ونضجه ويكون سريع الهضم ، كما جاء فى اللغة/ هذا طعام سريع الانهضام وهضم الطعام خفته ، وأصل الهضم الكسر وهضم له من ماله يهضم هضما : كسر وأعطى .
والهاضم : الشاخص لما فيه رخاوة أولين . قال ابن سيدة : الهاضم مافيه رخاوة أولين ، صفة غالبية (٢) .

فيصبح على هذا المعنى أن الثمر من شدة لينه ولطفه ورخاوته يكون خفيفا فى المعدة بعد أكله فينكسر بسرعة لخفته ويهضم سريعا .

وهذا كله صفة مدح للثمر وهو المناسب فى الآية لأن الآية أتت فى معرض مدح نعم الله سبحانه وتعالى على قوم صالح عندما عصوه وكذبوه وعصوا الله عز وجل كما قال تعالى (كذبت ثمود المرسلين ، اذا قال لهم أخوه صالح ألا تتقون ، انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسئلكم عليه من اجر ان أجرى الا على الله رب العالمين) (٣) .

(١) انظر لسان العرب (٣ / ٨١٠) .

(٢) انظر لسان العرب (٣ / ٨١٠ - ٨١١) .

(٣) سورة الشعراء : آية (١٤١ - ١٤٥) .

في هذه الفترة كانوا في نعمة من الله عز وجل يترفهون ويتنعمون فقال لهم صالح عليه السلام: هل بعد هذا العصيان والكفر والجحود؟ سوف يترككم الله سبحانه وتعالى تعيشون في هذا النعيم من الأمن والاستقرار والجنات والبساتين والحدائق والمياه الجارية من العيون، والثمر اليانع الناضج، والبيوت التي تتخذوها من الجبال ثم بعد ذلك حذرهم من عذاب الله وعقابه على هذا النكران والجحود والكفر فكان ذكر النبات في معرض المدح والجمال والنعمة .

(والطلع) : هو ما يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ .
القنو: والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه (١) .
والطلع في أصل اللغة : هو اسم مشتق من الطلع وهو الطلوع والظهور ومنه طلوع الشمس وظهورها وطلوع القمر وظهوره وطلوع النبات (٢) .
والطلع من النخل كما مشاهد ومعروف أن الطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان بينهما منضود ، وهو ما يبدو من ثمرة النخل فـي أول ظهورها (٣) .

وجاء في لسان العرب: وطلع النخل طلوعا وأطلع وطلع : أخرج طلعه وطلعه كفراه قبل أن ينشق عن الغريض ، والطلع هو الغريض الذي ينشق عنه الكافور وهو أول ما يرى من عذق النخلة (٤) .

فيكون على المعنى اللغوي ان الهضيم وصف للثمرة وليس للطلع ذاته ، وهو وعاء الثمرة الذي تكون في داخله الثمرة ثم تنشق عنه الجف وهي القشرة ،

-
- (١) انظر الكشاف: الزمخشري (١٢٣/٣) تفسير البيضاوي (٤٩٤) .
تفسير الفخر الرازي (٣٨٦/٦) تفسير ابي السعود (٢٩٢/٧) هامش الرازي ،
تفسير القرطبي (٤٨٤٤/٦) .
 - (٢) لسان العرب (٦٠٤/٢) .
 - (٣) انظر تفسير التحرير والتنوير (١٧٥/١٩) .
 - (٤) لسان العرب (٦٠٥/٢) المخصص في اللغة ابن سيد (١٢٠/١١) .

والطلع هو الكافور والكافور هو الطلع ، وهو وعاء للثمر ، فعند انشقاق القشرة الخارجة شدخ الطلع او الكافور ، تظهر الثمرة ، وتكون فـي تلك الحالة في أول بدوها وظهورها ، ففي هذه الحالة تسمى بالطلع ، كما جاء في تفسير ابن كثير قوله : وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين ينشق عنه . الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضم (١) .

لذلك فسر بعض المفسرين الطلع بأنه الثمر ومنهم الألوسى الخـازن ابن عباس (٢) . اذا الطلع يطلق على الكفرى والجف ويطلق على ما بداخله من القنو والعرجون والشمايخ على اعتبار ظهورها عند انشقاق الكفرى أو الكم .

ونجد في الآية أن الله سبحانه وتعالى ذكر الجنة أولا ثم ذكر بعد ذلك الزروع والنخل وهذا من التفصيل بعد الاجمال ، حيث أجمل بذكر الجنة ، فالجنة يوجد فيها كل أنواع النباتات النخل والشجر العظام القائمة على ساق قوية والقائمة على ساق رقيقة وهي ما دق من الاشجار والنباتات الزاحفة وهي ما لم تقم على ساق .

والجنة في اللغة هي الستر ، وسميت جنة من مصدر جنة جنا اذا ستره فكانها سترة واحدة لشدة التفافها واطلالها .

والجنة : هي البستان ، والجنة هي الحديقة ذات الشجر والنخل : وجمعها : جنان ، والجنة هي الدار الآخرة دار النعيم من الاجتنان وهو الستر لتكاشف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها (٣) وقد تقدم ذلك عنها .

فيكون ذكر الجنة أولا اجمالا لبيان ما يتنعمون به قوم صالح من المطعومات النباتية الموجودة فيها التي فصلها بعد ذلك بقوله (وزروع ونخل طلعتها هضم) ، فشم كل أنواع النباتات من أشجار وغيرها

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (١٩/١٧٥)

(٢) انظر: تنوير المقباس تفسير ابن عباس (٤/٩٢) هامش السيوطي ، روح المعاني : الألوسى (١٩/١١٣) . تفسير الخازن (٣/٣٦٧) التحرير والتنوير (١٩/١٧٥) .

(٣) انظر لسان العرب (١/٥١٨) .

تحت قوله (زروع) وجميع النباتات تعرف وتذكر بشمرتها من أشجار
وغيرها ، لكن شجرة النخل تعرف باسمها المميز وهو النخلة ، فلا نقول
شجرة الرطب ، وانما نخل البلح ، وحيث انها تذكر باسمها المميز ذكرها
بعد الزروع فلو ذكر الزروع بعد الجنة فقط لتبادر الى ذهن القارىء
أن الجنة لا يوجد فيها نخل ، وهذا مخالف لما عهدته العرب من ان الجنة
فيها النخل بل وتعتبر النخل جنة فناسب ان يذكر النخل بعد الزروع على
عهد العرب وللمفسرين فى ذلك رأيين :

أولاً : افراد ذكر النخل مع دخوله فى الجنات لفضله على سائر الشجر .
ثانياً : أن المراد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم
يعطف عليها النخل ، وهذا أقرب الى مفهوم الآية فى أنه اراد بالزروع والنخل
غير الذى فى الجنات فهو يكون خارجها ، اما قولهم افراد ذكر النخل
فهو لم يفرد فى الايات ذكر النخل بعد الجنات ، وانما ذكر مع النخل بعد
الجنات الزروع والزروع تشمل الجنات وغيرها . والله أعلم .

٦ - وصف النبات بالبهيج :

قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج) (١) .

أتت هذه الآية فى سورة (ق) عند ذكر نعم الله عز وجل وبيان قدرته
لمن أنكر الحق والرسول والبعث ، ومن هذه النعم التى تظهر فيها قدرة الله
عز وجل هى النبات البهيج ، وقد ورد وصف النبات بالبهيج فى ثلاث مواضع
من القرآن الكريم فى سورة الحج آية (٥) والنحل آية (٦٠) وفى سورة (ق)
الآية التى بصددها . وقد أتى الوصف فى هذه الآية بأسلوب خبرى مؤكد أمام

(١) سورة ق : آية (٧) .

منكريه ، فبين الله سبحانه وتعالى بهذا الخبر ان انكارهم للبعث أمرا عبثا لاداعى للانكار له فهو موجود فى النبات باخراجه من الارض ، ففى النبات الذى تتنعموا به بالسرور والسعادة فهو حى مشاهد .

والبيهيج فى اللغة : هو الحسن فى كل شىء جاء فى لسان العرب :
بيهج : البهجة الحسن ، والبهجة : حسن لون الشىء ونضارته وهو فى النبات النضارة ، يقال : بيهج النبات : حسن ناضر (١) .

واللون الحسن الناضر فى النبات يبهج الانسان ، وبهجة الانسان هى سروره ، وسعادته .

قال فى لسان العرب : والابتهاج : السرور ، وبهجنى الشىء أبهجنى سرنى ورجل بيهج مبتهج ، مسرور (٢) .

اذ اخبر الله سبحانه وتعالى عن سبب من أسباب خلقته للنباتات ، وجعله على وجه البسيطة فهو لسرور الانسان وسعادته وبهجته بما يشاهده فى أنواع النباتات وأصنافها ، فى الأزهار والأشجار والأشكال والألوان والروائح فكل هذه الاختلافات والتنويع فى النباتات للزينة وابران الجمال الطبيعى فى الخلقة ومشاهدة هذا الجمال الطبيعى فى النباتات بخلقه الله سبحانه وتعالى لها على أنواع وأشكال وأصناف وألوان زاهية خلاصة تسر الناظر لها ، يدخل فى نفس الانسان السعادة والحبور والشعور بالارتياح فى النظر اليها واستنشاق عبيرها حتى وان كان منه ما هو نافع فى أكله او ضار ، الا أن نفع النظر والمتعة النفسية الجمالية فى النبات أعم وأشمل فى تأثيره على الانسان من الطعام ، فالجمال الشكلى يشمل النافع والضار وقد قال الله تعالى فى ذلك : (أمن خلق السموات والارض) وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون (٣) .

(١) لسان العرب (٢٧٤/١) .

(٢) لسان العرب (٢٧٤/١) .

(٣) سورة النمل : آية (٦٠) .

وقد جاء مدح النبات في حسنه وبهجته في كثير من أشعار العرب ،
فمنه الحدائق ومنه البساتين ومنه الجنان والروضات ، أما قوله تعالى
(زوج) فقد سبق الكلام عنه والمراد منه النبات ، ويؤيد ان المقصود
منه النبات قوله تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزت ويرت وأنبتت من كل زوج بهيج) (١) . و (كل) تفيد العموم والشمول
لأصناف النباتات وأنواعها في المتعة والجمال .

٧ - وصف النبات بالحميد :

قال تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات
وحب الحميد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به
بلدة ميتا كذلك الخروج) (٢) .

ان من فطرة الانسان وطبيعته في حياته المعيشية ، حب الادخار لما ينتفع
به مع مستقبل الايام في الطعام وغيره ، وهذا أمر لم يذمه الاسلام ، عرفته
البشرية وتعاهدت عليه منذ القدم ، بان تدخر ما فضل من طعامها من
المطعومات التي يمكن تجفيفها والاحتفاظ بها بعد ذلك ، وهذا ما ورد
في شأن نبي الله عيسى عليه السلام فقال تعالى (وأنبتكم بما تأكلون
وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٣) .

وأصل الحميد في اللغة : قطع الزرع . قال ابن منظور : حميد الحميد : جزك البر
ونحوه من النبات ، والحميد : اسفل الزرع التي تبقى لا يتمكن منها
المنجل ، والحميد المزرعة لانها تحصد ، والحميد : الذي حصده الايدي .

(١) سورة الحج : آية (٥) .

(٢) سورة (ق) : آية (٩-١٠-١١) .

(٣) سورة آل عمران : آية (٤٩) .

والمحصد الذى جف وهو قائم ، والحصد ما أحصد من النبات وجف (١) .
واتفق المفسرون فى معنى الحصيد : أنه كل حب يحصد ويدخر مما يقتات به
الناس من القمح والشعير والعدس وغيرها من الحبوب مثل القرطبى والطبرى والألوسى
وغيرهم .
وهو موافق للمعانى اللغوية وذلك أن حصد النباتات يبدأ بالأتى :

- ١ - قطع الثمار وقطفها من اصول اشجارها .
- ٢ - وقطف الثمار منه ما يقطف ويحصد بالأيدي ومنه ما يحصد بالآلة .
- ٣ - حصد الثمار منه ما يؤخذ مباشرة من شجره لأكله ومنه ما يبقى فى
أصوله الى أن يجف وهو ما يراد ادخاره ومن ذلك كل انواع الحبوب
وهذا ماورد فى تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا الملك بقولـه
(قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا
مما تاكلون) (٢) .

وذلك حتى لا يفسد ولا يأكله السوس ، لان بقاء الحبوب فى سنبلهـا
يبقيها على صلاحها وفى ذلك احرا را واحصانا للحبوب عند ادخارها
وهذا هو الحاصل فى حصاد الحبوب من القمح او الشعير ، وهو انه
عند حصادها لابد وان تتحول السنابل الى اللون الاصفر الذهبى ويـزول
منها كل أثر للمادة الخضراء ، ذلك لان حصاد الحبوب قبل جفاف
الحبوب يسبب لها اثناء الحصاد تلفا كما ان التاخير يسبب انفراطها
وانفراط الحبوب منها وفقد السنابل لشدة جفافها ، وتحصد عادة
اذا انخفضت نسبة الرطوبة فى الحبوب الى ١٤-١٥٪ ثم لاتخزن الا عندما
تصل الرطوبة فيها الى ١٢٪ او اقل وذلك بعد حصدها بجمع المحصول
على مبسطة نظيفة وبعد جفافه تماما يدرس بالآلة ويخزن (٣) .

(١) لسان العرب (١/٦٤٩) .

(٢) سورة يوسف : آية (٤٧) .

(٣) انظر: ١- انتاج الشعير / د. سعدى احمد التميمى / على صالح الرصيص (٤٩) .
٢- زراعة القمح تحت الرى المحورى ، وزارة الزراعة (١١) .
٣- نشرة الارشاد الزراعى عند زراعة القمح / وزارة الزراعة (٣-٤) .

- بعد ذلك لى وقفة مع الآية وهى :

ان كلمة حصيد فى القرآن الخاصة بالنبات لم تأتى الا مع الحبوب ، فلماذا
خص الله سبحانه وتعالى الحصيد بالحبوب والسنايل والجنى بالثمرات
عند ذكر الرطب كما مر معنا سابقا . . ؟ والذى يظهر لى - والله أعلم
- مايلى :

١ - أن أنواع الحبوب هى التى تحصد بقطعها من أسافل ساق سنبلها ويبقى
منها بعد ذلك أسافلها من الاصول التى لاتستطيع أن تصل اليه الا لى
القاطعة . والحكمة من ذلك هى أن الحبوب لاتتجمع بالقطف بالحبة مثل
ثمار الفاكهة وغيرها لانها صغيرة ودقيقة وكثيرة فى السنبل لىست
واحدة كما قال تعالى (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبل لى
مائة حبة) (١) .

وهذا لايمكن منه الحاصد لانه يودى الى ضياع المحصول وينشره
وتفرقه وتبعثره عند حصاده فبذلك يصعب جمعه .

٢ - أن غالب مايدخر من المطعومات هى الحبوب لفترة زمنية طويلة ، أما
غالب النباتات من الخضار والفواكه فهى غالباً ماتوكل لوقتها
طازجة وان حفظت بطرق مختلفة عن الحبوب ولاتحفظ لمدة زمنية
طويلة وطول حفظها وادخارها يودى الى افسادها ، أو على الاقل نقص
قيمتها الغذائية .

كما يقرر ذلك علماء الطب والغذاء فجاء فى كتاب تغذية الانسان :
(ان الفواكه والحضرات هذه الاغذية مهمة نظراً لانها مصدر مهم
للفيتامينات والاملاح لذا يجب الاعتناء والمحافظة على هذه العناصر
بدون خسارة كبيرة وعادة تحفظ معظم الفواكه والخضار بالتبريد
لحين تصنيعها أو استهلاكها ويكون الفقد فى الفيتامينات أقل فى

التبريد منه بدون تبريد ، ولكن لوحظ بأن الفواكه والخضار تفقد كميات من فيتامين (C) حتى ولو خزنت في التبريد وتزداد الخسارة في هذا الفيتامين وكذلك (الثيامين والايبو فلافين) كلما زادت مدة التخزين ، وتختلف الفواكه والخضار بمدى تأثرها بفقد الفيتامينات أثناء التخزين (١) .

وبعد هذا أستنتج مايلي :

١ - أن بعض النباتات تحصد وتجمع جماعية وذلك بطريق القطع بالآلة مثل سنابل الحبوب والبرسيم والحشيش ، فلا يقال قطف السنبل لأنها تزرع مرة أخرى في وقت موسمها لذهاب أصلها بالقطع .

٢ - أن بعض النباتات تحصد وتجمع بطريق الاخذ بالأيدي أو الآلة وذلك بقطف الثمرة فقط لبقاء الأصل ، وهذا في حق ثمار الفاكهة وغيرها او كل ثمر شجر ناضج صالح للاكل مباشرة فيؤخذ من شجره مباشرة بالقطف ويؤكل مثل الفاكهة لان الثمر في الشجر يكون متفرقا على فروع الشجرة كلها حبة حبة فجمعها بقطع الفرع يؤدي الى هلاك الشجر ، لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قال في حقها (جنيا) في قصة السيدة مريم ووصف الرطب بأنه جني ، وقدم معنا ، وفي حق ثمار الفاكهة أيضا قال تعالى (جنى الجنتين دان) (٢) ، ومما يؤكد أن الجني في ثمار الفاكهة هو القطف قوله تعالى (قطفها) (٣) دانية) وفي غير ثمار الفاكهة كذلك بعض الخضار غير الورقية مثل القرع والخيار والجزر والبطاطس والطماطم والبادنجان ، فهذه الأنواع كلها تقطع وتؤخذ وتجمع بالقطف حبة حبة بالأيدي سواء ما كان

(١) تغذية الانسان : د. فاروق النورى - السيدة لامعة جمال (٤١٦) .

(٢) سورة الرحمن : آية (٥٤) .

(٣) سورة الحاقة : آية (٢٣) .

منها على سطح الأرض أو باطنها لذلك قيل فحقها جنيا لبقاء أصلها .
والله أعلم .
ثم قال تعالى فى نفس الآية (والنخل باسقات لها طلع نضيد)
(والنخل باسقات) البسوق فى اللغة هو الطول .
قال ابن سيده : الباسقة الطويلة (١)

وجاء فى تفسير القرطبي قوله : والباسقات : الطوال ، قاله مجاهد
وعكرمه وقتادة . وقال عبدالله بن شداد بسوقها استقامتها فى الطول
وقال سعيد بن جبير مستويات ، وقال الحسن وعكرمة أيضا والفراة (٢) مواقيير
حوامل ، يقال للشاة بسقت اذا ولدت .
قال الشاعر :

فلما تركنا الدار ظلت منيفة بقران فيه الباسقات المواقر

والاول فى اللغة اكثر واشهر (يقال) بسق النخل بسوقا اذا طال .
قال :

لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات
كرام فى السماء ذهبن طولاً وفات شمارها أيدي الجناة (٣)

وجاء فى تفسير أبى السعود قوله (باسقات) أى طوال وحوامل من أبسقت
الشاة اذا حملت وذكر أيضا فى تفسير روح المعانى للالوسى (٤) .
وعلى هذا يكون هناك ثلاثة آراء فى تفسير (باسقات)

- ١ - الرأى الأول : أنها الطوال فقط .
- ٢ - الرأى الثانى : أنها حوامل .
- ٣ - الرأى الثالث : أنها طوال حوامل .

(١) المخصص (١١٢/١١) وانظر القاموس المحيط (٣/٢٢٠) .
(٢) لم أجد فى تفسير الفراة هذا المعنى انظر (٣/٧٦) .
(٣) تفسير القرطبي (٧/٦١٧٧) .
(٤) تفسير أبى السعود (٧/٧٦٠) روح المعانى للالوسى (٢٦/١٧٦) .

والذى أرجحه الرأى الثالث فهو الأقرب للصواب بالجمع بين المعنيين وذلك للأسباب الآتية :

١ - جاء فى المخصص قول ابن سيده : ابوحنيفه ، ويقال نخله موقــــرة
فهى شميرة فى نخيل تمر (١) .

وفى لسان العرب : الوقر فى اللغة الحمل واوقرت النخلة : أى كثر
حملها (٢) .

والحمل: هو ثمر الشجر كما ذكر فى لسان العرب (٣) .

والثمر حمل الشجر كما مر معنا سابقا .

والطلع : هو حمل النخل وثمره وقد ذكر فى الآية بعد ذكرها بالباسقات
فيكون هنا ذكرها بأنها نخل طوال حوامل بالطلع النضيد .

٢ - جاء فى الدر المنثور للسيوطى : قوله أخرج عبد بن حميد وابن المنذر
عن عبد الله بن عثمان بن خيثم قال : سألت عكرمة عن النخل باسقات
فقلت : ما بسوقها ؟ قال بسوقها طلعتها ألم تر أنه يقال للشاة
إذا حان ولادها بسقت (٤) .

٣ - أن الجمع فى وصف حال النخلة بالطول والارتفاع والحمل يكون أعــــم
واجمل وهى صفات مدح للنبات والنخل وليس صفات ذم ثم ان وصف النخل
بالحمل اعم ، من الطول ، لان حمل النخل يعم الطويلة منها والقصيرة
رهذا الحاصل ، اما الطوال فهو يخص البعض منها وهى المرتفعة العالية
الطويلة اذا فيها ناحية جمالية واما القصيرة فما هو حالها؟ تكون
فى موضع ذم .

(١) المخصص فى اللغة : ابن سيده (١١٧/١١) .

(٢) لسان العرب (٩٦٣/٣) .

(٣) لسان العرب (٧٢٢/١) .

(٤) الدر المنثور (١٠٢/٦) .

٤ - مع ترجيحي للرأى الذى ذكرته وأسبابه ، الا أننى لم أقف فى كتب اللغة التى بحثت فيها مثل المخصص ولسان العرب والقاموس والمصباح

والمصباح وتاج العروس .

معنى بسق حمل ، وانما المقصود به هو الطوال والرفعة، والعلو

وانما كان فيها معنى الحمل فى كلمة وسق .

فقولهم: والوسق : وقر النخل وأوسقت النخلة كثر حملها أما قولهم

أبسقت الشاة حملت فقد جاء فى تاج العروس قوله : وابسقت الناقسة :

إذا وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج .

وفى التهذيب أبسقت الناقاة إذا أنزلت اللبن قبل الولادة بشهر .

وقال اليزيدى : أبسقت الناقاة وأبزقت إذا أنزلت اللبن .

وقال الاصمعى : إذا اشرف ضرع الناقاة ووقع فيه اللبن فهى مضرع فاذا

وقع فيه اللبأ قبل النتاج فهى مبسقة .

وقال أبوحنيفة بواسق السحاب أوائله ، والتبسق التطول والثقل (١) .

أقول ومن هذا الاشتقاق فى المعنى اللغوى (البسق) من نزول اللبن

أو اللبأ فى ضرع الناقاة ، يكون فيه معنى حمل ضرع الناقاة للبن حمل

الناقاة لبأ فى ضرعها اثناء حملها عند قرب ولادتها وهذا ثقل ، كما ذكر

التبسق التطول والثقل وحمل النخل للثمر إذا كثر فانه يثقل فيتدلى

الثمر وذلك بانحناء العرجون من ثقل الثمر الذى عليه .

من جملة ماتقدم نستفيد أن اللفظ القرآنى فى (باسقات) يعطينا معنى

جامعا شاملا ذا أبعاداً كثيرة، فهو يفيد البعد الرأسى وهو الطول والارتفاع

والعلو كما يفيد البعد الأفقى الممتد المبسوط المتجدد فى كثرة الثمار

ونتاج بعضها من بعض وهكذا دواليك .

وهذا على حد قوله تعالى (وجعلت له مالا ممدودا) (٢) .

(١) تاج العروس / اليزيدى (٢٩٥/٦) .

(٢) سورة المدثر : آية (١٢) .

٨ - وصف النبات بالنضيد :

قال تعالى (والنخل باسقات لها طلع نضيد) (١) .
هذا الوصف لطلع النخل ذكر في الآية السابقة ضمن وصف النبات بالحصيد
وقد تكلمت عنه وعن وصف النخل بالبسوق ، أما قوله (لها طلع) فقد سبق
الكلام عن الطلع وبيانه وأما قوله (نضيد) .
النضيد في اللغة : قال في الصحاح : نضد متاعه ينضده بالكسـ
نضدا ، أى وضع بعضه على بعض ، والتنضيد مثله شدد للمبالغة في وصفه
متراففا (٢) .

وفي لسان العرب : ونضد الشيء ، جعل بعضه على بعضه تسقا وفي
التهذيب ضمت بعضه الى بعض وانضاد الجبال متراففا من حجارتها بعضها
فوق بعض (٣) .

وفي مختار الصحاح : ونضد المتاع ضم بعضه الى بعض متسقا أو مركوما (٤) .
وأجمع أهل الرأى من المفسرين أن المقصود من قوله تعالى
(لها طلع نضيد) أى منضود متراكب بعضه فوق بعض . قال الفراء : يعني
الكفرى ما كان فى أكمامه وهو نضيد أى منضود بعضه فوق بعض ، فاذا خرج
من أكمامه فليس بنضيد (٥) . وقال ابن عاشور : ان المصنف بعضه فوق بعض
مادام فى الكفرى فاذا انشق عنه الكفرى فليس بنضيد (٦) .

وقال البيضاوى وأبو السعود : المراد به تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من
الثمر (٧) .

-
- (١) سورة (ق) : آية (١٠) .
 - (٢) الصحاح : الجوهري (٥٤٤/٢) .
 - (٣) لسان العرب (٦٥٦/٣) .
 - (٤) مختار الصحاح (٦٦٤) .
 - (٥) معانى القرآن : الفراء (٧٦/٣) .
 - (٦) التحرير والتنوير : ابن عاشور (٢٩٣/٢٦) .
 - (٧) تفسير البيضاوى (٦٨٦) تفسير أبى السعود (٧٦٠/٧) .

معنى هذا أنه إذا كان المقصود الطلع : هو الكفرى او الجف أو وعاء
الثمر يكون هنا كثرة الطلع فى النخل وهى مترابطة بعضها فوق بعض على جذع
النخلة ، أما إذا كان المقصود بالطلع ثمر النخل أى مابداخل الغلاف
من القنو وهو العرجون والشماريخ وما عليها من زهر أبيض تكون منضمة بعضها
على بعض ومترابطة بعضها الى بعض فى تناسق ، سواء كانت الشماريخ أو الزهور
أو الثمر بعد ذلك ، فهو يكون مترابك بعضه فوق بعض ولكن ليس بطريقة
عشوائية ، وإنما بصورة منظمة منسقة مترابطة بعضها فوق بعض فى صفوف
وهذا كله على عرجون واحد على جذع النخلة ،
وقد سبق الكلام فى مثل هذا المعنى فى قوله تعالى : (وزرع ونخل طلعها
هضيم) والهضيم المترابك بعضه فوق بعض والمتداخل .

فهل معنى هذا (هضيم نضيد) لفظان بمعنى واحد ؟ اقول: من خلال
البسط فى الكلام عن الهضيم وبيان معنى نضيد يتبين ان هناك فروقا بين اللفظين
منها :

١- أن الطلع المقصود به فى الايتين هو مابداخل الكفرى^(١) والجف من القنو
والشماريخ والازهار ثم بعد ذلك الثمار .

٢ - وصف الطلع بالهضيم بعد ان ينشق عنه الكفرى وتظهر شماريخه وأزهاره
وهى منضمة ومتلاصقة ومتراكبة بعضها على بعض ، ثم بعد ذلك تبدأ فى
التفكك .

٣ - أما النضيد فهو وصف الكفرى قبل انشقاقه من بدء ظهوره الى أن ينشق
عن مبادخله من القنو والشماريخ والازهار ، ثم ان القنو والشماريخ
والازهار طالما هى بداخل الغلاف قبل الانشقاق تكون فى هذه الحالة
فى انضمام بعضها لبعض وتراكم وذلك بانضمام الشماريخ التى تحمى
الازهار بعضها لبعض على العرجون ، وتراكم الازهار بعضها على بعض على
الشماريخ وذلك لانفلاق الغلاف ، فاذا ما انشق الغلاف عنها بدأت الشماريخ

(١) الكفرى معناه : الطلع . انظر مختار الصحاح (٥٧٤) .

بالتفرق بعضها عن بعض وتفقد صفة الانضمام والتراكم .

ومن خلال آية سورت (ق) قوله تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالهامن فروج ، والأرض مددناها والقينسما فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل ليل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (١) .

الملاحظ من الآيات أن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد عرض آيات خلقه في الكون (تبصرة وذكرى) وبعد عرض الثمار (رزقا) وقد تكلم في هذا الفخر الرازي بالتفصيل فقال : قال فيخلق السماء والأرض تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا ، والثمار أيضا فيها تبصرة وفي السماء الأرض أيضا منفعة غير التبصرة ، والتذكرة فما الحكمة في اختيار الامرين ؟

نقول فيه وجوه :

أحدها : نقول أن الاستدلال وقع لوجود أمرين أحدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة ، فان النبي صلي الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم ، وأنكروا ذلك فاما الاول فالله القادر على خلق السموات والأرض قادر على خلق الخلق بعد الفناء ، واما الثاني فلان البقاء في الدنيا بالرزق ، والقادر على اخراج الأرزاق من النجم والشجر قادر على ان يرزق العبد في الجنة ويبقى ، فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء بالرزق ، ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بعد الايتين ثم بدأ يذكر الماء وانزاله وانباته النبات .

(١) سورة ق : آية (٦-١١) .

الثانى : أن منفعة الثما الظاهرة هى الرزق فذكرها ، ومنفعة السماء الظاهرة ليست أمرا عائدا الى انتفاع العباد لبعدها عن ذهنهم حتى أنهم لو توهموا عدم الزرع والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك ، مع أن الامر بالعكس أولى لان السماء سبب الارزاق بتقدير الله ، وفيها غير ذلك من المنافع والثمار ان لم تكن مكان العيش كما أنزل الله على قوم المن والسلوى وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس فى هذا الموضع .

ثالثها: قوله (رزقا) اشارة الى كونه منها لكون تكذيبهم فى غاية القبح فانه يكون اشارة بالمنعم وهو اقبح ما يكون (١) .

وأضيف الى ذلك وأقول :

١ - ان خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما ووجود النبات أصلا هو من خلق الله عز وجل وفعله شيئا لا يقدر عليه البشر لا باسباب ولا مسببات لذلك قال فى حقها تبصرة أى بالتفكر والتدبر فخلق هذا الكون العظيم لمعرفة قدرة الخالق عز وجل وتعمق الايمان فى النفوس (وذكرى) لهم بما يحدث فى هذا الكون من سنن ربانية جارية مستمرة يعهدها الانسان فحدوثها باستمرار تذكرة للانسان بربه وخالقه واحداث متجددة مثلما يحدث للنبات فى وجودها وعدمها ذكرى للانسان بربه وخالقه ، وفى هذا التفكر وهذا التدبر وهذا التذكر بالاله الخالق المدبر المقدر، وقدرته موجودة لا يكون الا من المؤمن المنيب المخلص لله عز وجل لذلك قال فى مقام التبصرة والتذكرة (عبدا منيب) خص بذلك عباده المخلصين المتقنين .

٢ - اما عند ذكر الثمار قال فى شأنها (رزقا) وذلك لان وجود الثمار فيها من مجهود البشر بما جعل الله سبحانه وتعالى فى ذلك من الاسباب والمسببات التى يتخذونها فى حدود قدرتهم البشرية المسخرة بقدرة الله

(١) التفسير الكبير : الفخر الرازى (٥٩٧/٧ - ٥٩٨) .

عز وجل أصلا فى ذلك وفى هذا بيان فضل الله عزوجل لهم وكرمه لجميع عباده فى الدنيا الموء من الكافر يشملهم جميعا بدليل قوله (للعباد) فهو لم يخص هنا وإنما اطلق اللفظ على عمومه جميع عباده ، وبيان أن هذا الرزق الذى أكرم الله سبحانه وتعالى به عباده من الثمرات لابد فيه من مجهود البشر بالبذر والحرا والغرس والرى والرعاية الحصاد الثمرة ، ثم بين ان هذه الثمار انواع وأصناف من النباتات التى أجملها فى الآية الأولى ففصلها فى الآية الثانية وبينها بذكر اصنافها وأنواعها ، فمنها ما يقطف ثمرة سنويا ويبقى أصله الى العام المقبل ومنها المزروعات التى تحصد اصولها كل سنة ، ويزرع فى كل عام او عامين ، أما النخلة فذكرت بين الاثنين ، وذلك أنها تقطف ثمرتها ويبقى أصلها الا أن ثمرتها لاتطلع ، او لاتثمر الا بعد التأبير فكانها جمعت بين الاثنين بقاء الاصل مثل الاشجار التى يبقى أصلها ولاتحتاج الى زراعة ، وتأبير مثل ما يحتاج من النباتات الى زراعة كل عام ، ثم ان من الثمار ما هى قوت وفاكهة ومنها ما هى قوت فقط ومنها ما هى فاكهة وهكذا يظهر فضل الله عز وجل لعباده فى الرزق من النباتات بكل ما يستفيد منه الانسان منها بصيغة العموم فى التنكير لكلمة (رزقا) فالنكرة تفيد العموم ، فالانسان لا يستفيد من النباتات ثمارا فقط ، وإنما يستفيد من اخشابها وأليافها وأزهارها وزيوتها وأوراقها ، وفى ذكر أنواعها وأصنافها وبيان ذلك وتفصيله ، بيان اباحة هذه النباتات ، وجعل للانسان مطلق الحرية فى اختيار الاصناف والانواع التى يرغبها ، هذا من فضله على عباده حيث انه لم يجعل النباتات فى نوع واحد أو صنف واحد ولم يقيد الانسان بنوع واحد او صنف واحد . والله أعلم .

٩ - وصف النبات بالأكمام :

قال تعالى (والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات
الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان) (١) .

هذه الآية الكريمة من سورة الرحمن جاءت بعد قوله تعالى (والسماء
رفعها ووضع الميزان ، ألا تطفوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان) (٢)

وهي في سياقها تدل على ما يأتي :

١ - تعدد نعم الله على الإنسان من العلم ، وخلق السماء والأرض والشمس
والقمر .

٢ - أن من هذه النعم ما هو أشد اختصاصا بالإنسان وهو العلم ، العلم
بكتاب الله عز وجل (القرآن) .

٣ - أن في القرآن كتاب الله عز وجل دلائل واضحة على وجود الله
عز وجل وألوهيته وربوبيته للمؤمن المدبر الواعي .

٤ - لما كان البشر على نفوس متفاوتة من الناحية الإيمانية فمنها نفوس
غير زكية لاتستغنى بالدلائل التي في القرآن ، كان هناك ذكر بعض
الدلائل الآفاقية الكونية ، فذكر القرآن السماء والشمس والقمر
والأرض والنجم والشجر ليبدل بذلك على أن هناك نفوس غير مؤمنة
بما في كتاب الله عز وجل فجعل لها من الدلائل العقلية المؤكدة
لما في القرآن من الدلائل السمعية والمرآيه بالنظر والتأمل والعلم .

٥ - أن من نعمة الله على الإنسان بما جعل فيها من دلائل على وحدانيته
وقدرته في صفحة الكون هي النبات ، ومن النباتات التي ذكرت الآيات الفاكهة
والنخل ذات الأكمام والعصف والريحان .

٦ - بيان الحكمة في تقديم الفاكهة على القوت ، قال الرازي : نقول من باب

(١) سورة الرحمن: آية (١٠-١٢) .

(٢) سورة الرحمن: آية (٧-٩) .

الابتداء بالادنى والارتقاء الى الاعلى والفاكهة فى النفع ، وممن النخل الذى يمنه القوت والتفكه وهو دون الحب الذى عليه المدار فى سائر المواضع وبه يتغذى الانسان فى جميع البلاد ، فبدأ بالفاكهة ثم ذكر النخل ثم ذكر الحب الذى هو أتم نعمة لموافقته مزاج الانسان، ولهذا خلقه الله فى سائر البلدان وخص النخل بالبلاد الحارة (١)

٧ - الحكمة فى تنكير الفاكهة وتعريف النخل والحب :

أ - أن القوت والغذاء موجود فى كل زمان ومكان معروف لمدى الناس من النخل والحب ، وهو معروف باسم غرسه وشجره ومحدود فى جنس واحد وشكل واحد . اما الفاكهة فهى كثيرة ومتنوعة مختلفة الثمرة وغير موجودة فى كل زمان ومكان وعند كل انسان .

ب - ان القوت محتاج اليه الانسان فى كل وقت ، اما الفاكهة فلا يحتاج اليها الانسان كلها فى وقت واحد .

ج - قال الرازى : والنخل وحدها نعمة عظيمة تعلقت بها منافع كثيرة واما الفاكهة فنوع منها كالخوخ والاجاض مثلا ليس فيه عظيم النعمة كما فى النخل ، فقال فاكهة بالتنكير ليدل على الكثرة وقد صرح بالكثرة فى مواضع أخرى فقال تعالى (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) (٢) وقال (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) (٣) ، فالفاكهة ذكرها الله تعالى ووصفها بالكثرة صريحا ، وذكرها منكرا لتحمل على أنها موصوفة بالكثرة اللائقة بالنعمة فى النوع الواحد منها بخلاف النخل .

٨ - وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية الفاكهة باسمها لا باسم أشجارها وذكر النخل باسمها لا باسم ثمرها ، وذلك ان شجرة العنكب بالنسبة الى ثمرتها صغيرة وشجرة النخل بالنسبة لثمرتها عظيمة

(١) الفخر الرازى : (٩/٨) .

(٢) سورة المؤمنون : آية (١٩) .

(٣) سورة الواقعة : آية (٣٣) .

وفيهما من الفوائد الكثيرة على ما عرف منها والانتفاع بجمارها
وظلعها وبسرها ورطبها وغير ذلك فثمرتها فى أوقات مختلفة كأنها
ثمرات مختلفة فهى أتم نعمة بالنسبة الى الغير من الأشجار
فذكر النخل باسمه وذكر الفاكهة دون اشجارها ، فان فوائد
أشجارها فى عين ثمارها (١) .

٩- (والنخل ذات الأكمام):

١- الأكمام : جمع كم بكسوف الكاف وهو وعاء الطلع وغطاء النور (٢) .

قال الرازى : الأكمام كل ما يغطى جمع كم بضم الكاف ويدخل فيه
لحاؤها وليفها ونواها ولكل منتفع به كما ان النخل منتفع
بها واغصانها وقلبيها .

٢- الأكمام : جمع كم بكسر الكاف : وهو وعاء الطلع ، فانه يكون
اولا فروعاً فينشق ويخرج منه الطلع (٣) .

وعلى القول الاول كان تفسير الحسن حيث قال : اى ذات الليف فان
النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها الذى فى أعناقها . وقال
ابن زيد ذات الطلع قبل أن يتفتق .
وقال عكرمة : ذات الاحمال (٤) .

الترجيح :

والراجع مما سبق المعنى الأشمل والاعم (للكم) حيث ان الوصف فى
الاية أتى مباشرة للنخل فيشمل كل ما يغطى فى النخلة من اللحاء
والليف وكذلك الطلع ، حيث أن الكم هو وعاء الثمر وغطاءه وهو
الكفرى أو الجف ويطلق عليه أيضا الطلع كما بينته سابقا . وحيث ان
النخلة تغطى الانسان بكل ما فيها من الفوائد وصفها الله عز وجل بذات
الاكمام والله أعلم .

(١) تفسير الرازى (٩/٨ - ١٠) .

(٢) المصباح المنير : الفيومى (٥٤١/٢) .

(٣) تفسر الفخرا الرازى (١٠/٨) .

(٤) تفسير القرطبي (٦٣٢٦/٧) .

اسلوب الخبر بالنبات فى القرآن والسنة النبوية المطهرة

عن أحداث تتعلق بالأشجار

ان الله سبحانه وتعالى لم يترك شيئا الا أخبرنا عنه فى كتابه العزيز وبخاصة ما يتعلق بأحداث وقصص السابقين من عهد آدم عليه السلام الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك كثير من الآيات المتعلقة بالأحداث التاريخية ولها صلة وثيقة بالنبات فى بيان هذه الأحداث ووقائعها ومن تلك الأحداث ما يلى :

أولا: شجرة آدم عليه السلام :

لقد ذكرت الآيات قصة آدم عليه السلام فى اسكانه الجنة هو وزوجه والأكل منها ، وفى القصة عدة تساؤلات تطرح نفسها لقارىء الآيات ، ولأمانع أن أبينها سوا ما يتعلق بالنبات أو غيره فى صورة مجملة ، وما كان متعلق بالنبات والشجرة ، وسوف أتكلم فيه بالتفصيل ومنها ما يلى :

- قال تعالى فى قصة آدم عليه السلام وعلاقة ذلك بالنبات :

- ١- (وقلنا يا آدم اكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (١)
- ٢- (ويا آدم اكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٢) .
- ٣- (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سواتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا ممن الخالدين) (٣) .

(١) سورة البقرة : آية (٣٥) .
(٢) سورة الاعراف : آية (١٩) .
(٣) سورة الاعراف: آية (٢٠) .

٤ - (فدلهما بغيرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقوا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهاكما عمن
تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (١) .

٥ - (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك
لايبلى) (٢) .

لقد ذكرت شجرة آدم في الآيات كما بينها الله سبحانه وتعالى ومنها
نعرض ما يلي :

أولاً: تاريخ النبات :

ان الله سبحانه وتعالى بعد أن أخبرنا بانه خلق السموات والارض ،
وسواهن سبع سموات وجعلها على استعداد لاستقبال الخليفة فيها ، وبعد
خلق الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام . وعلمه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له ، أسكنه
الله عز وجل الجنة ، وأمره بالاكل من كل ما فيها من المطعومات ، ولكن
نهاه أن يقرب من شجرة معينة وهذا واضح من قوله تعالى (وقلنا يا آدم
اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين) (٣) . فهذا دليل على أن النبات أول كائنات
حي خلقه الله سبحانه وتعالى فبمجرد أمر الله سبحانه وتعالى لآدم وزوجه
بعد خلقه بالسكن في الجنة ثم أمره بالاكل مما فيها من المأكولات ونهيته
عن شجرة معينة ، يفيد ويوحى على أن النبات خلقه الله سبحانه وتعالى قبل
آدم وأوجده ليأكل منه آدم وزوجه في الجنة ، وهذا يدل على أن النباتات
أساس غذاء الانسان ، وعندما أهبطه الله سبحانه وتعالى الى الارض أهبط
معه من نبات الجنة كما تشير الروايات الى ذلك :

(١) سورة الاعراف : آية (٢٢) .

(٢) سورة طه : آية (١٢٠) .

(٣) سورة البقرة : آية (٣٥) .

ففى تفسير الدر المنثور: أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال
أهبط آدم بثلاثين صنفا من فاكهة الجنة منها يؤكل داخله وخارجه ومنها ما
يؤكل داخله وي طرح خارجه ومنها ما يؤكل خارجه وي طرح داخله . (١)

وفرواية أخرى ، أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب البكاء عن على بن
أبى طلحة قال : أول شيء أكله آدم حين أهبط الى الأرض الكثرى ، وأنه
لما أراد أن يتغوط أخذه من ذلك ما يأخذ المرأة عند الولادة فذهب
شرقا وغربا لا يدري كيف يصنع حتى نزل اليه جبريل فألقى له فألقى
آدم فخرج ذلك منه ، فلما وجد ريحه مكث يبكى سبعين سنة (٢)

وأول من استفاد من النبات أيضا آدم عليه السلام بحيث أخذ من ورق
الشجر الموجود فى الجنة - هو وزوجه - لباسا لهما كما بين ذلك سبحانه
وتعالى فقال تعالى (فدلها بغيرها فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما
وظفقا يخصمان عليها من ورق الجنة وناداها ربهما ألم أنهما عما تكلما
الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (٣) .

(١) أخرج الحاكم رواية بنفس المعنى دون اللفظ وقال فيها صحيح الإسناد
ولم يخرجاه . الدر المنثور / السيوطى (٥٦/١) .
ووافق الذهبى فى التلخيص وقال صحيح .
والرواية : عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعري قال : ان الله لما أخرج
آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء فثماركم
هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تغير وتلك لا تغير) .
المستدرک على الصحيح : الحاكم (٥٤٣/٢) التاريخ .
التلخيص : الذهبى (٥٤٣/٢) هامش المستدرک .
ذكر الهيثمى روايه هذا المعنى ولفظ مختلف عن ابى موسى مرفوعا
وقال رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات : انظر مجمع الزوائد
(٢٠٠/٨) .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : السيوطى (٥٦/١) .

(٣) سورة الأعراف : آية (٢٢) .

وفى آية أخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) (١) .

ثانياً: أمر الله سبحانه وتعالى لآدم بالسكن فى الجنة هل هو أمر ~~وجوب~~

أو أمر اباحة؟

لقد اختلف فيه أهل التأويل والمفسرون فمنهم من قال ان الأمر للوجوب ومنهم من قال ان الأمر للاباحة ، وقد ذكر هذا الموضوع الفخر الرازى ولكنه لم يقف فى الموضوع برأيه فى السكن بالذات ، وكذلك ابن جرير حبان فى البحر المحيط .

والأرجح لى هو أن الأمر للوجوب وليس للاباحة فى دخول الجنة بالذات فقله تعالى هنا (اسكن) أى ادخل الجنة ولازم فيها وداوم على سناها بدليل ما أتى فى سورة الأعراف قوله تعالى (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لاتظمئوا فيها ولا تضقى) (٢) .

فيكون المراد من الكسنى هنا (اسكن) السكن المكانى وهو الجنة فالأمر بالاقامة فيها والملازمة لها مسكناً ، بمعنى أن يتخذها منزلاً ومأوى له بالدخول فيها ، كما قال شيخ الإسلام فى متشابهات القرآن (أن الأمر بالسكن المراد به الدخول لان قصة السجود كانت قبل دخوله الجنة ثم لما فرغ منها أمره الحق بدخول الجنة) (٣) .

وهذا أمر تكليفى لانه بعد ذلك نهاه عن مطاوعة الشيطان وأتباعه حتى لا يكون سبب فى خروجه من الجنة ، وفى هذا يكون عصيانه لله فى الأمر بالسكن فيها ، وقد قال الله عز وجل (اسكن) أى اتخذها مأوى

(١) سورة طه : آية (١٢٠-١٢١) .

(٢) سورة طه : آية (١١٧-١١٩) .

(٣) الفتوحات الالهية : سليمان الجمل (٤٢/١) .

الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ، وليس استقرارا دائما وإنما أمر بالاسكن لمدة معينة يريد لها الله عز وجل ، لذلك لم يقل أسكنتك وإنما قال (اسكن) لان الاصل فى خلقه آدم عليه السلام هو سكنى الارض ولعمارتها والخلافة فيها كما قال الله تعالى فى ذلك للملائكة (واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون) (١) .

وعن قتادة انه قال: ان الله تعالى ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود ، وذلك لانه كلفه بأن يكون فى الجنة يأكل منها حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة أن يأكل منها فمزالته به البلىا حتى وقع فيما نهى عنه فبذت سواته عند ذلك وأهبط من الجنة واسكن موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع أن منعه من تناوله من أشد التكليف (٢) .

فعلى هذا يكون الأمر بالدخول الى الجنة والتواجد فيها أمر **واجب** أما المقصود الآخر من مفهوم (السكن) فهو سكن النفس والامن والاستقرار النفس والوجدانى ، بما هيا له من المتاع والعيش الرغد بدليل قوله تعالى : (فتشقى) فيكون هنا الأمر للاباحة كما انه سبحانه وتعالى أباح له الجلوس والتواجد فى أى مكان فى الجنة بدون تعيين او تخصيص بدليل قوله تعالى (وكلامنها حيث شئتما) فهذا دليل على ان وجودهما يكون فى الجنة بالذات أمرعين ، اما فى أى مكان فهو مباح مطلق ، وهنا يكون امتنان من الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام واكراما له بالعيش الرغد الهنى والتمكين فى الجنة والتحويل له بالتواجد فيها فى أى مكان والأكل من أى شىء . والله أعلم .

(١) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٢) الفخر الرازى : (٢٩٨/١) .

ثالثا : قال تعالى (أنت وزوجك) ما المراد بالزوجة ؟

لقد آبهم الله سبحانه وتعالى فى الآيات اسم الزوجة التى أسكنها مع آدم عليه السلام فى الجنة ، وهنا تساؤلات ، هل هى حواء أو غيرها ؟ .

لم يرد فى القرآن الكريم اسم زوج آدم عليهما السلام على أنها حواء واسمها عند العرب حواء . وورد ذكر اسمها فى حديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها) (١) .

وفى رواية ابن سعد فى طبقاته عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الناس لآدم وحواء كطف الصاع لن يملؤوه) (٢) .

وقد أجمع العلماء على أن المراد بها حواء وانها مخلوقة منه بدليل قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (٣) . وفى سورة الاعراف (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) (٤) .

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان المرأة كالضلع ، اذا ذهب تقيمها كسرتها وان تركتها استمتعت بها وفيها اعوجاج) (٥) .

وجاء فى الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والبيهقى فى الاسماء والصفات من طريق السدى عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس

-
- (١) صحيح مسلم (١٠٩٢/٢) النكاح باب لولا حواء ، وصحيح البخارى (١٦١/٤) باب خلق آدم ، كتاب بدء الخلق .
- (٢) التحرير والتنوير ابن عاشور (٤٢٩/١) الطبقات الكبرى : ابن سعد (٣٤/١) . قلت فى سنده ابن لهيعة / وقد سبق الكلام عنه . (طف الصاع - بفتح الطاء وكسرهما - ما قرب من ملئه) . انظر مختار الصحاح (٣٩٤) .
- (٣) سورة النساء : آية (١) .
- (٤) سورة الاعراف : آية (١٨٩) .
- (٥) صحيح مسلم (١٠٩٠/٢) كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء صحيح البخارى (١٦١/٤) كتاب بدء الخلق ، باب قول الله تعالى : (واذا قال ربك للملائكة ...) واللفظ لمسلم .

وعن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: لما سكن آدم الجنة كان يمشي فيها وحشا ، وليس له زوج يسكن اليها ، فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله تعالى من ضلعه فسألها من أنت . قالت امرأة . قال ولم خلقت ؟ قالت لتسكن الي . قالت له الملائكة ينظرون ما يبلغ علمه ما اسمها يا آدم . قال : حواء . قالوا لم سميت حواء . قال : لانها خلقت من حي فقال الله : يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة (وفي رواية أخرى أخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال انما سميت حواء لأنها أم كل حي (١) .

وان كان ظاهر الآية مخالف لما أخرجه السدي من أن خلق حواء قبل الدخول ، والرواية تحدد الدخول قبل خلق حواء ، فعلى هذا يكون توجه الامر الى المعدوم وهو في علم الله معلوم وموجود ، وهذا يدل على ان سكني آدم عليه السلام حسيا في الجنة ومعنويا لحواء بانها سكنت القلب اي الاستقرار في النفس والمودة .

ورواية السدي هنا مخالفة لما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: (بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوهما الجنة) (٢) .
فهذا يدل على خلقها قبل دخول الجنة وهو موافق لظاهر الآية الكريمة وهو الأصح . والله أعلم .

(١) الدر المنثور : السيوطي (٥٢/١) .

تنوير المقباس في تفسير ابن عباس (١٩/١) هامش الدر المنثور

تفسير الطبري (٢٢٩/١) .

تفسير ابي السعود (٢٢١/١) هامش الرازي .

الطبقات الكبرى : ابن سعد (٣٩/١) .

(٢) روح المعاني (٢٣٤/١) .

تفسير أبي السعرد (٢٢١/١) هامش الرازي .

رابعاً : الجنة :

ماهى الجنة التى أمر الله عز وجل آدم السكنى فيها ، لقد كثرت الأقوال والاختلافات ، وحاصل الاختلاف فيها بانها جنة الخلد او جنة عدن فى الارض ، أو جنة فى السماء جعلها الله لآدم ومنهم من توقف فى تعيينها ومنهم الفخر الرازى (١) ، ولا اعتبار لكل الأقوال التى ذكرت فيها الا ما كان عليه جمهور العلماء من أهل السنة فى تعيين الجنة وهو أن الجنة التى أسكنها الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام هي جنة الخلد بالأدلة الآتية :

- ١ - أن الله سبحانه وتعالى قد عرف الجنة فقال : (اسكن أنت وزوجك الجنة) (٢) وآل التعريف للمعهود فى الذهن وهي جنة الخلد .
- ٢ - امره تعالى بالهبوط لادم وزوجه عليهما السلام يدل على أنها فى السماء لأن الهبوط يدل على العلو والارتفاع (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) (٣)
- ٣ - وصف الجنة بأوصاف تدل على أنها جنة الخلد (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) (٤) .
- ٤ - ماورد فى حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فى صحب مسلم عن ابى هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله تبارك وتعالى الناس فىقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة - فيقول : وهل اخرجكم

(١) انظر قصص الانبياء : النجار (٩) ، الفخر الرازى (٢٩٩/١) .

القصص لقرآنى / عبدالكريم الخطيب (٣٩٩-٣٩٥) .

(٢) سورة البقرة : آية (٣٥) .

(٣) سورة البقرة : آية (٣٦) .

(٤) سورة طه : آية (١١٨-١١٩) .

من الجنة الا خبيثة أبيكم آدم) (١) .

أقول اضافة لما ذكر من الأدلة على أن الجنة جنة الخلد :

١ - أن الله سبحانه وتعالى ذكر في مقابل الهبوط من الجنة الاستقرار في الارض فقال تعالى (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) (٢) .

٢ - في آيات سورة الاعراف ذكر الله سبحانه وتعالى في حق ابليس اللعين الخروج والهبوط كذلك عندما عصى أمر الله ولم يسجد لادم فقال تعالى (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين) (٣) .

٣ - وفي آية أخرى ذكر الله سبحانه وتعالى مقابل خروجه منها جهنم ، حتى وأن لم يصرح بذكر الجنة في الآيتين الا أن السياق يدل على أنها الجنة ، بدليل ما ذكر بعد الآية من اسكان آدم عليه السلام فيهما فقال تعالى (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأم لأن جهنم منكم أجمعين) (٤) .

ففي الآية هنا لم يصرح بذكر الجنة ، ولكن في الآية التي بعدهما يكون السياق دال على أنها الجنة حيث قال تعالى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٥) .

(١) صحيح مسلم (١٨٧/١) كتاب الايمان رواية مطوله ، باب أدنى أهل الجنة :

تزلف : تقرب . انظر الهامش .

قصص الانبياء : النجار (٨) تفسير القرطبي (٢٥٨/١) . البحر المحيظ :

ابن حبان (١٥٦/١ - ١٥٧) . وانظر مفتاح دار السعادة / ابن القيم

(١٤/١ - ١٥) النبوة والانبياء / الصابوني (١٢١ - ١٢٢) حصادي

الأرواح الى بلاد الأفراح / ابن القيم (٢٧ - ٣٠) .

(٢) سورة الاعراف آية (٢٤) .

(٣) سورة الاعراف آية (١٣) .

(٤) سورة الاعراف : آية (١٨) .

(٥) سورة الاعراف : آية (١٩) .

فالعطف بالواو فى الآية الثانية (ويا آدم اسكن) على قوله (اخرج)
فالعطف بالواو بمعنى (الفا) يفيد الترتيب والتعقيب ، خروج ابليس
منها واسكان آدم فيها عليه السلام فهذا دليل على انها جنة الخلد .
والله أعلم .

خامسا : قال تعالى فى سورة البقرة (وكلا منها رغدا) بالواو فى
سورة الاعراف (فكلا من حيث شئتما) بالفاء وهذا لحكمة أرادها الله
سبحانه وتعالى جاء فى حاشية الصاوى قوله : واستشكل شيخ الاسلام (١) هذه
الاية بأنه أتى فى هذه الاية (بالواو) فى قوله (وكلا) وفى آية الاعراف
(بالفاء) (فكلا) وذلك لحكمة وهي بأن الامر هنا فى هذه الاية (وكلا)
كان داخل الجنة فلا ترتيب بين السكنى والاكل ، وفى آية الاعراف (فكلا)
كان خارجها فحسن الترتيب بين الاكل والسكنى (٢) .

وقال الشيخ الصاوى : والحق أن يقال ان ذلك ظاهر ان دل دليـــــــــل
على اختلاف القصة ولم يوجد ، فالقصة واحدة والامر فى الموضوعين يحتمل أن
يكون داخل الجنة او خارجها فعلى الاول معنى اسكن دل على السكنى
والفاء فى آية الاعراف بمعنى الواو ، وعلى الثانى معناه داخل على سبيل
السكنى فتكون الواو بمعنى الفاء (٣) وهذا ما أرجحه حيث لم يقم دليل
على أن آية البقرة بعد الدخول ، وآية الاعراف على انها قبل الدخول
فمعنى الآية واحد والسياق واحد ، وآية الاعراف الأمر قبل الدخول أكد
ولكن آية سورة البقرة لم يرد فى السياق ما يدل على ان الامر بعـــــــــد
الدخول .

(١) حاشية الصاوى / احمد الصاوى (٢٣/١) .

(٢) الفخر الرازى (٣٠٠/١) وتفسير القاسمى (١٠٧/٢) .

(٣) حاشية الصاوى / أحمد الصاوى (٢٣/١) .

أقول: ربما يكون هذا الاختلاف في حرف العطف من باب التفنن في العبارة والألفاظ والحروف والأساليب القرآنية وهذا من بلاغة القرآن وليس شرطا كما قيل في قبل الدخول بعده ، وفي هذا رد على من قال ان في القرآن متناقضات في حروفه وأسلوبه .

فإن القرآن كلام الله عز وجل ويستحيل على الانسان العاقل أن يقول شيئا في كتاب الله فهو أعلم وأعرف بكلامه عز وجل كيف يصوغه فيضع كل حرف في موضعه بحيث تكون له دلالة في المعنى أولا

سادسا : قوله تعالى : (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) : (١)

عند النظر والتأمل في هذه الآية نظرح تساؤلا حولها عن مايلي :
أولا: لماذا قال: " وولاتقربا " ولم يقل " لاتأكلا " ؟

ان النهي عن قرب هذه الشجرة هو النهي المقصود به عن الاكل منها وتعبيره بعدم القرب كناية عن الاكل بدليل ما اتى بعد ذلك في سورة الاعراف (فذلاهما بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (٢)

وآية طه (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) (٣)

والاباحة من غيرها قد وقعت بلفظ الاكل فكان مقابلها الحظر عن الأكل أيضا ، والنهي عن القرب فيه مبالغة عن الاكل حيث أطلق معنى اللفظ فهو يعم كل ما ينتفع منها ، لان النهي عن قربان الشيء أكد في النهي عن الشيء نفسه كما قال تعالى (وولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٤) .

-
- (١) سورة الاعراف ، آية (١٩) .
 - (٢) سورة الاعراف : آية (٢٢) .
 - (٣) سورة طه : آية (١٢١) .
 - (٤) سورة الاسراء : آية (٣٢) .

أى كل ما يدعو الى الزنى منهي عنه .

وقد جاء فى القرطبى قوله : قال ابن العربى (١) سمعت ابا بكر الشاشي فى مجلس النظر يقول : اذا قيل لاتقرب بفتح الراء معناه لاتلبس بالفعل واذ كان بضم الراء : فمعناه لاتدن منه ، وفى الصحاح : قرب الشئ يقرب قربا أى دنا ، وقربته بالكسر اقربه قربانا أى دنوت منه وقال الاصمعي قلت لاعرابى ما القرب ؟ فقال يسير الليل لورود الغد .

وقال ابن عطية : قال بعض الحذاق ان الله تعالى لما اراد النهى عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضى الاكل وما يدعو اليه وهو القرب . قال ابن عطية وهذا مثال بين فى سد الذرائع .

وقال بعض أرباب المعانى قوله : " ولاتقربا " اشعار بالوقوع فى الخطيئة والخروج من الجنة ، وأن سكناه فيها لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى ، والدليل قوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) (٢) .

...

(١) أحكام القرآن : ابن العربى (٤٣٣/١) .

(٢) تفسير القرطبى (٢٥٩/١) وانظر :

- تفسير القاموس المحيط وتفسير النهر الماد من البحر / ابى حيان (١٥٧/١) .

الفخر الرازى (٣٠٠/١)

سورة البقرة آية (٣٠) .

ثانياً: ماهى حقيقة الشجرة التى أكل منها آدم ؟

ان الله سبحانه وتعالى عين لآدم عليه السلام شجرة بعينها بعدم الاكل منها فقال تعالى (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) ولكن لــــم يعين اسمها اى شجرة فى الجنة ، شجرة التين أو الرمان او نخل أو سنبلــــة ومع ذلك فقد اختلفت الروايات فى بيانها وتفسيرها فى تعيين الشجرة فقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وجعدة بن هبيرة : هى الكــــرم ولذلك حرمت علينا الخمر ، وقال ابن عباس وابومالك وقتادة هى السنبلــــة ، والحبــــة منها كلى البقر احدى من العسل وألين من الزبد ، وقال وهب بن منبه : ولما تاب الله على آدم جعلها غذاء لبنيه ، وعن قتادة قال : هى التيــــن ولذلك تعبر فى الرؤيا بالندامة لاكلها من اجل ندم آدم عليه الســــلام وعن أبى مالك قال هى النخلة ، وعن يزيد بن عبدالله قال هى الاترج (١) وروى أن ابابكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال : هى الشجرة المباركة السنبلــــة (٢) .

وعلى اختلاف الروايات فى تعيين الشجرة اتفق المفسرون ومنهم الرازى والطبرى والقرطبي ، والبيضاوى ، والالوسى محمد رشيد رضا على عدم ضرورة تعيينها وعدم البحث فى ذلك لانه لاينفع فى شىء ولايضر ، ولوكان الامر يتعلق به نفع أو ضرر لذكره الله سبحانه وتعالى لعباده وعين اسم الشجرة ، ومنهم قــــول الطبرى ، قال أبو جعفر الطبرى : والقول فى ذلك عندنا أن الله جــــل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه عليهما السلام أكلا من الشجرة التى نهاهما ربهما عن الأكل منها فأتيا الخطيئة التى نهاهما عن اتيانها باكلهما منها فأكلا منها بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التى نهاهما عن الأكل منها أو أشار لهما اليها بقوله (ولا تقربا هذه الشجرة) ولم يضع الله جل ثناؤه

(١) تفسير القرطبي (٢٦٠/١) ، الدر المنثور / السيوطى (٥٣/١)

تفسير الطبرى (٢٣١-٢٣٢) .

(٢) تفسير الفخر الرازى (٣٠١/١) لم أقف عليها .

لعباده المخاطبين فى القرآن دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه لآدم عليه السلام ان يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها، ولو كان الله فى العلم بذلك رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون به الى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها كما فعل ذلك فى كل ما بالعلم به له رضا .

فالصواب فى ذلك أن يقال: ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عليهما السلام عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر اشجارها ، مخالفًا الى مانهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به ولا علم عندنا اى شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ، فأنى ياتى ذلك من أتى ؟

وقد قيل: كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل كانت شجرة التين . وجائز أن تكون واحدة منها وذلك ان علمه عالم لم ينفذ العالم به علمه ، وان جهله جاهل لم يضره جهله به (١) .

وهذا هو الراجح لعدم ثبوت ذلك بدليل قطعى من القرآن أو من السنة الصحيحة ، لان هذا من الامور الغيبية الماضية التى لا يعلم بها الا الله عزوجل ولا يجوز الكلام فيها بدون دليل ثابت صحيح .

ثالثا : جعل الله سبحانه وتعالى الشجرة مادة اختبار لآدم :

عندما أسكن الله سبحانه وتعالى آدم نهاه أن يأكل من شجرة معينة بقوله تعالى (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) والظاهر من نص الآية النهى عن القرب منها ولكن المقصود هو النهى عن الاكل منها ،

(١) تفسير الطبرى (٢٣٣/١) وانظر القصص القرآنى فى مفهومه ومنظومه
عبدالكريم الخطيب (٣٨٦-٣٨٧) .

كما فى قوله تعالى (فدلها بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما —————
سوءاتهما) (١) . وفى آية أخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل
أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) (٢) .

إذا فىكون النهى عن الأكل من الشجرة المعينة ، والاسلوب فى
الآيات اسلوب امر ونهى ، أمر بالأكل من جميع ما هو موجود فى الجنة ونهى عن
شجرة بعينها ، فهنا سؤال يطرح نفسه لماذا أمر الله سبحانه وتعالى
آدم بالأكل من جميع ما فى الجنة ونهاه عن الأكل من شجرة بعينها ؟ وهل الأمر
للإباحة أم الوجوب ؟ والنهى للكراهة أم التحريم ؟

والجواب على هذه الأسئلة فىحتاج إلى تفصيل اختصره فى نقاط :

١- الأمر فى الأكل من الجنة أمر إباحة وذلك للتمتع بما فى الجنة من
نعيم ، لقوله تعالى (كلا منها رغدا حيث شئتما) فهو هنا أطلق لهم
التنعم من (حيث شئتما) أكلا رغدا هنيئا واسعا من أى مكان منها
إلا ما حظر عليهما ، وهذا ما اتفق عليه المفسرون بقولهم (وإباح
لهما الأكل كذلك إزاحة للعذر فى تناول مما حظر) (٣)

٢- النهى فى الأكل من الشجرة للتحريم بدليل السياق القرآنى الذى أتى
بعد النهى وهو قرائن تدل على أن النهى للتحريم وهو :

أولا : قوله تعالى (فتكونا من الظالمين) الظلم فى أصل معناه :
وضع الشئ فى غير موضعه ، والظلم هنا هو ظلم النفس
بالخروج عن طاعة الله وعصيانه كما قال تعالى (وما ظلمناهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٤) . وقد عصاه آدم عليه السلام

كما قالتعالى (وعصى آدم ربه فغوى) (٥) بعد ذكر الأكل من الشجرة
وظهور سوءاتهما هذا أولا :

(١) سورة الاعراف : آية (٢٢) .

(٢) سورة طه : آية (١٢٠-١٢١) .

(٣) انظر تفسير روح المعانى والقرطبى والبيضاوى والرازى والكشاف فى تفسير

سورة (البقرة) وتفسير التحريم رواالتنوير/ وانظر قصص الانبياء /

عبد الوهاب النجار (٦) ط ٣ احياء التراث العربى .

(٤) سورة النحل (١١٨) .

(٥) سورة طه : آية (١٢١) .

الرغد: هو الواسع الهنيئ من العيش الذى لاكد فيه ولا تعب . انظر تفسير الطبرى

ثانيا : أن آدم عليه السلام بعد أن أكل من الشجرة وعصى الله سبحانه وتعالى ، وعاتبه الله سبحانه وتعالى علي عصيان أمره فسي النهى عن الأكل من الشجرة ، فقال لهما (وناداها ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكمما عدو مبين) (١) . فتنبه آدم عليه السلام من معصيته ومخالفته لأمر الله ونهيه ، فتاب ودعا الله عز وجل هو وزوجته وسألاه المغفرة فقالا (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٢) والخسران لا يكون الا فيما هو محرم ويكون معصية والعقوبة لا تكون الا من محرم فتاب الله عليه وقبل توبته فقال تعالى (ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى) (٣) .

ثالثا : ان أكل آدم عليه السلام من الشجرة كان سبب لهبوطه الي الارض هو وزوجه ولو كان النهى للكراهة لما استحق آدم وزوجه عليهما السلام بفعلهما الخروج من الجنة والهبوط الي الأرض (٤)

٣ - أما لماذا أمر الله سبحانه وتعالى آدم بالأكل من جميع ما في الجنة

ونهاه عن الشجرة بعينها ؟ الاجابة تحتتم لعدة نقاط منها :

(١) أن الله سبحانه وتعالى عندما أمر آدم بالاكل مما في الجنة

لم يعين ما فيها وفي النهي عين الشجرة وذلك ليدل ان الموجود

في الجنة كان هو من جنس ما نهى عنه وهو الشجرة ، والا لما

احتاج الي ان في النهي عين الشجرة بعينها .

(٢) لعل النهى عن الشجرة خاصة من بين جميع المأكولات لينبه علي

أن في الاشجار مادة غذاء الانسان أساسا .

(١) سورة الاعراف: آية (٢٢) .

(٢) سورة الاعراف : آية (٢٣) .

(٣) سورة طه : آية (١٢٢) .

(٤) انظر في ذلك : (١) تفسير الفخر الرازي (٣٠٠/١ - ٣٠١) (٤/١٩٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٤٣/٨ - ١٤٤) (١/٢٣٤) .

(٣) روح المعاني/ الآلوسى (١٠١/٨) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن/ عبدالرحمن السعدي (٣٤/١) .

- (٣) أن فى اطلاق اباحة الاكل من جميع المأكولات فى الجنة من النباتات الا شجرة واحدة ليعرفنا على ان أول عمل قام به الانسان بعد خلقه هو الأكل من الشجرة . وأول علم علمه الانسان هو الزراعة والحصاد ، ولان النبات والاشجار والشمار اساس غذاء الانسان فجميع الأغذية سواء منها ماكان نباتيا أو حيوانيا ، وماكان منها بروتينيا أو نشويا أو سكريات اصل الجميع من النبات .
- (٤) لعل النهى عن الأكل من الشجرة لما فيها من خاصية سبب خروجهم وتبدل حالهما من حال الى حال وربما كان فى الاكل منها ضرر .
- (٥) إن فى الأمر والنهى ليبين لنا الله سبحانه وتعالى أن فى النباتات ما هو حلال وما هو حرام ، رغم أنه مادة غذاء الانسان الاساسية فقد أحل الله سبحانه وتعالى أن يأكل من الشجر فى الجنة وذلك ليعرف ويعلم أشكاله وأنواعه واصنافه والأكل منها وعرف فوائدها وحرم عليه أن يأكل من شجرة بينها له ، وأوضح ضررها وما يصير من أمره لو أكل منها ، وذلك استعداد له لما سوف يعمل فى الأرض من الزراعة والفلاحة واختيار الصالح وترك الضار ، وكأن المرحلة هنا والله أعلم مرحلة تعليم لآدم عليه السلام وبيان عمله الذى يقوم به على الأرض بعد هبوطه الزراعة والفلاحة (١) ، بدليل ما جاء فى الدر المنثور قوله : أخرج البزار وابن أبى حاتم والطبرانى عن أبى موسى الأشعري عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شئ فشماركم من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير (٢) . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال لما أهبط الله آدم وأهبطه

(١) الكامل فى التاريخ / الطبرى (٦٥/١) .

(٢) الدر المنثور / السيوطى (٥٦/١) .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات قلت وأخرجه الحاكم فى المستدرک (٥٤٣/٢) كتاب التاريخ ، باب ذكر آدم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى التلخيص وقال : صحيح (٥٤٣/٢) هامش المستدرک .

ببساطة فيها بذور وتعريشه عنبه وريحانة والباسنة قيل أنها آلات الصناعات وقيل هي سكة الحرث وليس بعرب محض (١) وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال كان آدم عليه السلام حراشا ٠٠٠٠ (٢) وجاء في الدر المنثور عن ابن عباس قال : ٠٠٠٠ فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله (٣) . وقال السدي : نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الاسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك (٤) .

٦ - ربما - والله أعلم - أن هذه الشجرة من شجر الدنيا وليس من شجر الجنة ، لأن الله سبحانه وتعالى قال لسيدنا آدم عليه السلام (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنتك لاتظموا فيها ولا تضحى) (٥) . وعندما أكل من تلك الشجرة هو وزوجه بدت لهما سواتهما واحتاجا الى الحدث والحدث يؤدي بالانسان الى الجوع كما ذكر عن أبي العالية قال كانت الشجرة من أكل منها احدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث (٦) .

والحدث لاهل الأرض ، وطعام أهل الارض من نبات وغيره يولد الحدث في الانسان بعد أكله وهذا هو الفرق بين ثمار وأشجار الدنيا وثمار الجنة وأشجارها ، فثمار وأشجار الدنيا تتغير ومن تغيرها بما جعل الله عز وجل في خاصيتها هو احداث الحدث عند أكلها وكما

-
- (١) الدر المنثور / السيوطي (٥٧/١) .
 - (٢) الدر المنثور ، السيوطي (٥٧/١) . قال أخرجه ابن عساكر .
 - (٣) الدر المنثور ، السيوطي (٥٣/١) رواية مطولة أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، والطبرى في التاريخ (٦٤/١) .
 - (٤) البداية والنهاية ، ابن كثير (٨٠/١) وانظر في ذلك مروج الذهب للمسعودي (٣٤/١) والكامل في التاريخ لابن الاثير (٣٩/١) ففيه ما يفيد أن آدم عليه السلام عمل حراشا . والله أعلم .
 - (٥) سورة طه : آية (١١٧ - ١١٩) .
 - (٦) الدر المنثور ، السيوطي (٥٣/١) .

مر هضلاً في الفقرة السابقة أن ثمار الدنيا هذه من ثمار الجنة التي انزل بها آدم عليه السلام من الجنة غير أن ثمار الدنيا تتغير فكانت هذه الشجرة من شجر الدنيا الذي أنزل بها آدم عليه السلام وقد جعل الله فيها هلاً والتغير وهي في الجنة فهي آدم عليه السلام عن الأكل منها حتى لا يحدث لأنه لا ينبغي أن يكون حدثاً في الجنة ، أما بقية أشجار الدنيا وثمارها التي في الجنة وزود آدم بها لم يجعل الله فيها هذا التغير إلا في الدنيا وجعل فيها صفة وخاصة أشجار وثمار الجنة لأن نبات الجنة لا يكون فيه هذه الخاصية وهذه الصفة لذلك لم ينهي عنها آدم عليه السلام ، وأهل الجنة كذلك لا يوصفون بالتغوط والحدث ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخضون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورحمهم المسك ، ومجامرهم الألوة (١) ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء " (٢) .

(٧) ربما أراد الله سبحانه وتعالى بها بيان المحذور الذي لا بد منه في الحياة البشرية ، وهو الذي تتعلق به رسالات الرسل بعد ذلك ، ويكون هناك فرقا بين قوة الإرادة ومن يستعلى بنفسه وإيمانه إلى الله عز وجل ، وضعف الإرادة والإيمان ومن يستمتع ويهوى في السذل والهوان .

-
- (١) الألوة : هو العود الهندي الذي يتبخر به . انظر هامش صحيح مسلم (٢١٧٩/٤) .
- (٢) صحيح مسلم (٢١٧٩/٤) كتاب الجنة ، باب أول زمرة .
- صحيح البخاري (١٤٣/٤) كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة .

(٨) كان النهي - والله أعلم - ابتلاءً و امتحاناً لادم عليه السلام من الله عز وجل ، وذلك ليظهر به مافى النفوس البشرية من استعدادات فى الميل الى اختبار الاشياء ومعرفتها ، والتأكد منها ، وان كان فيها معصية يترتب عليها ضرر ، كما أشر ذلك عن قتادة فى قوله (ولاتقربا هذه الشجرة) قال: ابتلى الله آدم كما ابتلى الملائكة قبله ، وكل شئ خلق مبتلى ، ولم يدع الله شيئاً من خلقه الا ابتلاه بالطاعة فما زال البلاء بآدم حتى وقع فيما نهى عنه (١) .

(٩) أن كل مامر معنا من أحداث قصة آدم عليه السلام - أقول والله أعلم: - لايتعلق بالنبوة والرسالة أو عصمة وغيرها مما دخل فيه القدماء من اختلافات فى ذلك لان هذا كله لايتعلق بحكم شرعى او بقضية ايمانية فعلى المسلم أن يسلم بقول الله عز وجل دون جدال أو بحث او تحرى فى ذلك ، وانما عليه الايمان بكل ما أخبر الله به عز وجل دون البحث فى أسبابه وحكمته ، خاصة اذا لم يتعلق بحكم شرعى أو قضية ايمانية ، وانما المقصود من ذكر احداث القصة بهذه الصورة المبسطة المختصرة ليخبرنا سبحانه وتعالى عن بدء الانسان و بدء الحياة البشرية على وجه الأرض ، وما سوف يكون فيها ويتعلق بها وكيفية تلقى الأوامر من الله عز وجل ، والنواهي ، وعلى أى صورة سوف تكون التكاليف الشرعية من الله عز وجل لعباده بعد آدم عليه السلام ، ومن هو عدوهم ليحذروه واعظم صورة صورها الله سبحانه وتعالى واطغى لابلوس فى خبثه ووسوسته وعداوته للانسان و خداعه ومكره له هى صورته مع آدم عليه السلام وطريقة وسوسته له وذلك لينبه البشرية منه . والله أعلم .

(١٠) أقول ربما يكون المراد منها بيان منهج الله عز وجل لذرية آدم من بعده عليه السلام ووجوب اتباعه ، وبيان أن الأصل فى الأشياء الاباحة (٢) الا ما قام عليها دليل

(١) الدر المنثور : السيوطى (٥٣/١) وانظر الكامل فى التاريخ ابن الاثير:

(٢٣/١) تفسير الطبرى (٢٣١/١ - ٢٣٣) .

(٢) انظر : رفع الحرج فى الشريعة الاسلاميه / د. صالح بن حميد (١٠٨) الهامش (١) .

ونص شرعى يوجب حرمتها ، مثل حرمة الأكل من الشجرة التى حرم الله سبحانه على آدم الأكل منها بأمر الله عز وجل . والله أعلم .

ولم ينتهى الى هنا الكلام ، ولكن هناك قضية أخرى فى هذه القصة تطرح نفسها للبحث عنها وهى : لماذا اختار الله سبحانه وتعالى النهى عن الأكل من الشجرة دون غيرها من سائر المأكولات من الطيور وغيرها ؟

والجواب مايلى :

(١) أقول : - والله أعلم - ، أن الله سبحانه وتعالى عند النهى حدد الشجرة بعينها فى عدم الأكل منها ، وذلك ليدلنا على أن هذه الجنة لا يوجد فيها الا النبات غالبا لأنه لو كان فيها غير النباتات والاشجار للأكل لما أطلق الأكل من كل ما فيها ، وقيد وخص الشجرة المحظورة بعينها وذلك حتى لا يلتبس النهى على آدم عليه السلام فى جنس الشجر أيهما محظور ، وربما كان فيها من الحيوانات والطيور ولكنهم جعلهم الله عز وجل للمتعة النفسية وليس للأكل .

(٢) عند الأمر بالأكل لم يخص الله سبحانه وتعالى شيئا معيناً من أصناف المطاعم وانما أعمها وأطلقها فى لفظ (الجنة) .
والجنة فى اللغة :هى الحديقة ذات الشجر والنخل ، وجمعها جنان وهو الستر لتكاشف أشجارها وتظليلها بانتفاف أغصانها وسميت جنة وهى المرة الواحدة من مصدر جنة جناً اذا ستره (١) ، فعلى هذا المعنى اللغوى من الجنة بأنها هى القطعة من الأرض التى فيها أنواع الأشجار وأصنافها المثمرة ، وهى أفضل مكان للانسان وأحسن مقر له من لفح الشمس وحرارتها ، وفيها يستمتع الانسان حسيًا ونفسيًا لما فيها من متعة النظر الى النبات والاختصار ، فعلى هذا المعنى يكون مفهوم الآية أن الجنة المقصود بها البستان والحديقة التى تجمع النباتات غالبا بكل أنواعها الا ما ندر يوجد شئ آخر من غير جنس النبات ، فلذلك لم ينهى الله عز وجل سيدنا آدم عليه السلام عن الأكل من غير الشجرة (٢)

- (١) لسان العرب / ابن منظور (٥١٨/١) .
(٢) انظر فى ذلك الكامل فى التاريخ / ابن الأثير (٣٣/١) - تفسير الطبرى (٣٣/١) تفسير التحرير والتنوير (٥٤/٦ - ٥٥) (٤٣٠/١ - ٤٣١) .
(٣) ان الآيات التى تناولت قصة آدم عليه السلام لم تتعرض الى شئ من غير النبات بالأمر والنهى وكذلك ما ذكر فى بعض الروايات التى ذكرت فى بعض كتب التفسير وغيرها سواها كانت صحيحة أو ضعيفة لم تذكر الا النباتات مع آدم عليه السلام سواها كان فى الجنة عند الأكل منها وعند ظهور سوءته والاستتار بها والشجرة التى تاب عندها وعند هبوطه كذلك من الجنة الى الأرض هبط بثمار الجنة وقد عدت أسماءها بعض الروايات وان ثمار الدنيا من ثمار الجنة وقد هبط آدم عليه السلام على الأرض ومعها النباتات ، وهذا لا يعنى عدم وجود غير النبات فى الجنة ولكن ما ذكر فى مقام الأكل والأمر والنهى هو النبات والله أعلم بالحق والصواب . انظر تفسير الطبرى (٢٣٣/١) ، ابن كثير (٧٩/١ - ٨٠) .

٣ - ربما كما قلت سابقا أن النهى عن الأكل من الشجر ليبين لنا الله سبحانه وتعالى أن أساس غذاء الإنسان والحيوان هو النبات ، فلذلك كان أساس أكل سيدنا آدم عليه السلام في الجنة وهذا قد ذكر سابقا ، وفيه أيضا بيان أفضلية النبات على الحيوان في الغذاء ، فإن الإنسان يستطيع ان يعتمد في غذائه على النبات دون الحيوان .

٧ - قال تعالى : (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) (١) .
أي استذلهما الشيطان بمعنى أن صرفهما من الطاعة إلى المعصية ، ففي صرفهم من الطاعة إلى المعصية زلة وازلال لهم ومهانة ، وهو خروجهما من الجنة ومما كانا فيه من رغد العيش والنعيم ، وهبوطهما إلى الأرض بدليل قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) ولكن كيف أزلهما ؟ ..

ذهب الجمهور: في الكيفية التي أزلبها الشيطان آدم عليهما السلام وزوجه هي المشافهة منه لهما أي انه باشر خطابهما بنفسه ، فأغواهما واغراهما مشافهة ، اما ظاهرا لآعينهما وامامتجنا في غيره ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) (٢) .
والمقاسمة : ظاهرها المشافهة (٣) .

٨ - عصمة آدم عليه السلام :

قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) (٤) عناه بالاكل من الشجرة التي نهى عن الاكل منها ، ولها وقفه كيف يعصى آدم عليه السلام ربه عز وجل وهو نبي

(١) سورة البقرة : آية (٣٦) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٢١-٢٢) .
(٣) انظر : ١- فتح القدير : الشوكاني (٦٨/١) .
٢- تفسير الطبري : (٢٣٨/١) .
٣- تفسير القاسمي (١٠٥/٢ - ١١٢) .
(٤) سورة طه : آية (١٢١) .

والأنبياء معصومون من الخطأ ؟

لقد اختلفت الآراء والأقوال في معصية آدم عليه السلام وهل ما وقع هذا منه في وقت النبوة أم قبلها؟ وإذا كان في وقت النبوة فكيف يقع فيه وهو معصوم ؟ .

وقد تكلم العلماء في عصمة الأنبياء بما يأتي :

١- اتفق العلماء أن الأنبياء معصومون عن الكبائر وعن كل رذيلة فيها عيب ونقص اجماعاً .

٢- اختلفوا في الصفات ، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم ، وصار بعضهم التي جويها (١) .

٣- أنه لا تقع منهم الصفات الا على جهة السهو والخطأ ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة ، وان كان ذلك موضوعاً عن أمتهم ، وذلك لأن معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر ، وأنهم يقدرون على التحفظ لما لا يقدر عليه غيرهم وهذا على رأى من جوز عليهم الصفات .

٤- أنه لا يجوز أن يقع منهم شيء وقت النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة (٢) على رأى من لا يجوز عليهم الصفات فعلى هذا يكون ما وقع من آدم عليه السلام هل هو قبل النبوة أو بعدها ؟

جاء في كتاب النبوة والأنبياء ، والصحيح الذى عليه المعول من أقوال العلماء هو : أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن المعاصى (الصفات والكبائر) بعد النبوة باتفاق ، وأما قبل النبوة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة التى لا تخل بالمروءة ولا تنقح بالكرامة والشرف (٣) .

(١) القرطبي (٢٦٢/١) وانظر الانصاف فيما يتضمنه الكشاف من الاعتزال للامام

ناصر الدين المالكي (٢٧٥/١) هامش الكشاف / الفخر الرازي (٣٠١/١-٣٠٢) .

(٢) الفخر الرازي (٣٠٢/١-٣٠٧) والقرطبي (٢٦٣/١-٢٦٤) .

(٣) النبوة والأنبياء : الصابوني (٥٤) .

فعلى ذلك تكون معصيته قبل النبوة من قبيل النسيان ، كما قال تعالى:
(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فتنسى) (١) وقال فى ذلك ابن العربي:
أن البارى سبحانه وتعالى بحكمه النافذ وقضائه السابق ، أسلم آدم الـمـي
المخالفة ، فوقع فيها متعمدا ناسيا فقيلا فى تعمده : " وعصى آدم ربه "
وقيل فى بيان عذره : " ولقد عهدنا الى آدم فتنسى " (٢) ووافق فى ذلك الشيخ
عبدالرحمن الجزيرى فى كتابه توضيح العقائد فقال : وقد أجابوا : بأن ذلك
معصية صورية لان آدم انما فعل ما يريد الله تعالى من ترتيب خلقه على
هذا النظام الذى لا يختلف ، ولا يتخلف ، فكان عمله لازما لادمنه ، وعلته النهى فى الظاهر
هى الاشارة الى أن النوع الانسانى سيكون على هذا المنوال من عصيان ربه
تارة والرجوع اليه تارة أخرى ، وأنه سبحانه يقبل من يرجع اليه ويجتبييه
ويغفر له عصيانه (٣) . أقول ويشهد لذلك قوله تعالى (واذا قال ربك
للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون) (٤)

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : (حاج موسى آدم فقال له انت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك
وأشقيتهم ، قال : قال آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه
أتلومنى على أمر كتبه الله على ، قبل أن يخلقنى ، أو قدره على قبل أن يخلقنى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى) (٥) .

(١) سورة طه : آية (١١٥) .

(٢) احكام القرآن / ابن العربي (١٢٦١/٢) .

(٣) توضيح العقائد فى علم التوحيد : عبدالرحمن الجزيرى (٢٠١) مطبعة
الحضارة .

(٤) سورة البقرة : آية (٣٠) .

(٥) صحيح البخارى (١٢١/٦) التفسير ، سورة طه .
صحيح مسلم (٢٠٤٢/٤ - ٢٠٤٣) القدر . باب حاج آدم موسى .

وجاء فى تفسير المنار : وأما مسألة عصمة آدم فالجـرى على طريقة السلف يذهب بنا الى أن العصيان والتوبة من المتشابه ، كسائر ماورد فى القصة مما لايركن العقل الى ظاهره ، ولنا أن نقول ان تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عز النبوة كما قال جل شأنه فيه : (فـنسى ولم نجد له عـزماً) والاتفاق انما هو العصمة عن مخالفة الاوامر بعد النبوة ، وقد يكون الذى وقع من آدم نسياناً فسمى تفخيماً لامره عصياناً ، والنسيان والسهو مما لاينافى العصمة (١) .

على هذا اتفق معظم المفسرون على أن الاكل من آدم عليه السلام ناسياً وارجح مقاله ابن العربى والجزيرى فهو الأقرب الى الصواب فى المفهوم من القصة والله أعلم بالحقائق .

ومن كلام العلماء عن عصمة الأنبياء سابقاً نفهم :

- ١- أن عصمتهم عن الكبائر والمفاسد بعد النبوة .
- ٢- ان عصمتهم من الكبائر قبل النبوة .
- ٣- جواز وقوع المفاسد منهم قبل النبوة .
- ٤- جواز الخطأ عليهم بعد النبوة فى الاجتهادات الشخصية والمسائل الدنيوية التى لاتتعلق بالأحكام والوحى والشرع ، كما كان من قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم فى تأبير النخل والله أعلم .

وبعد عرض قصة آدم عليه السلام استخلص منها مايلى :

- ١- تكريم الله سبحانه وتعالى لآدم وذريته من خلقه بيده ونفخ فيه من روحه .
- ٢- قدرة الله سبحانه وتعالى من أن يجعل الامر الحقيق عظيمًا وهادفًا وذلك حين خلق آدم عليه السلام من التراب ثم جعله بشراً سوياً ، وجعله أهلاً للخلافة بما أفاض عليه من أسرار علمه وحكمته ومعرفته .

(١) تفسر المنار : محمد رشيد رضا (١/٢٣٢-٢٣٣) سورة طه ، آية (١١٥) .

- ٣ - بيان ضعف الانسان وانه مجبول ومفطور على النسيان ، مهما بلغ من العزة والكرامة فهو ضعيف ، عرضه للنسيان ووسوس الشيطان وخبثه .
- ٤ - على الانسان أن لا يقنط ويياس من رحمة الله كذلك لا يامن من مكر الله عز وجل ، فعليه الاستقامة على شرعه والتوبة عند وقوع المعصية منه فان الله غفور رحيم .
- ٥ - بيان مكانة المرأة المسلمة وأنها تحمل المسئولية مثل الرجل تماما في كل الاحكام والتكليفات وهي مخاطبة مثله في كل ذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (انما النساء شقائق الرجال) (١) وذلك كله متمثل في زوج آدم عليهما السلام حيث انه توجه اليها الامر والنهي في كل ماورد في القصة من تكليفات وأوامر ونواهي مثل آدم عليه السلام فقد شاركته في كل ذلك العقاب والخروج من الجنة والهبوط الى الأرض فقال تعالى (فكلا) (اسكن يا آدم أنت وزوجك) (ولاتقربا هذه الشجرة) (فدلاهما بغيرور) (فلما ذاقا الشجرة) (الم أنهلكما عن تلكما الشجرة) (واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) .
- ٦ - بيان مكانة الشجرة والنبات في حياة آدم عليه السلام من بداية حياته وذريته من بعده وانه أساس غذاءهم وقوتهم ، وبيان وجوب الاهتمام بالنبات ورعايته وحفظه للانتفاع به والاخذ من حلاله وجيده وتبرك حرامه ورديته . والله أعلم .

...

(١) سنن ابي داود (٥٤/١) الطهارة . باب في الرجل يجد البلة .
سنن الترمذى (٧٥/١) الطهارة / الحديث صحيح له شواهد في موضوعه بدون لفظ (والنساء شقائق الرجال) في الصحيحين . باب فيمن يستيقظ .
صحيح البخارى (٧٩/١) الغسل . باب اذا احتلمت المرأة .
صحيح مسلم (٣٥٠/١-٣٥١) كتاب الحيض . باب وجوب الغسل على المرأة .

ثانيا : شجرة موسى عليه السلام :

قال تعالى فى شأن موسى عليه السلام وعلاقة قصته واحداً شهراً
بالنبات فقال تعالى : (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله وأهله من جانب
الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبىر
أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاه نودى من شاطىء الوادى
الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا اللـــــــــــــــــه رب
العالمين) (١)

قصة شجرة موسى عليه السلام ورد ذكرها فى القرآن مرة واحدة ، وتبدأ
قصة هذه الشجرة مع رسول الله موسى عليه السلام بعد أن قضى المدة المتفق
عليها بينه وبين صهره ، ترك مدين هو وأهله وسار بهم ليلاً ، وكان ذلك
فى ليلة باردة كما تشير اليه الآيات ، وبينما هو على ذلك الحال وهو سائر
من مدين الى حيث يريد حتى وصل سيناء ، وفى تلك الليلة الباردة رأى موسى
بعيد نارا ، فقال لأهله امكثوا اى اجلسوا فى مكانكم أو استبقوا فى مكانكم ،
حتى أذهب اليها ، عسى أن آتى منها بقبس أو شعلة ، وذلك لانه ضل الطريق
عند سيره كما تشير اليه الآيات ، فتستدفئون بها من البرد وعندما ذهب
موسى الى مكان وجود النار وقرب منها فاذا هو بشجرة فى ذلك المكان
يقال عنها العليق أو العوسج (٢) .

ومن هنا تبدأ قصة موسى عليه السلام مع الشجرة ولى وقفات عندها :

- ١- ما الأجل الذى قضاه موسى عليه السلام ؟
- ٢- من أهله ؟
- ٣- لماذا احتاج موسى عليه السلام الى النار ولم يحتج الى غيرها ؟
وماهى المادة التى استعملها فى اشعال النار .

(١) سورة القصص : آية (٢٩-٣٠) .

(٢) قصص الانبياء / عبد الوهاب النجار (١٧٣) وتفسير ابن كثير (٣/٣٨٧) .

٤ - ماهى الشجرة التى نودى موسى عندها عليه السلام ؟

وعند هذه الوقفات تتضح الرؤية فى قصة موسى عليه السلام مع النار
والبقعة المباركة والشجرة .

أولا : ما الأجل الذى قضاه موسى عليه السلام ؟

ففى قوله تعالى (فلما قضى موسى الاجل ٠٠٠) ماهو الاجل الذى قضاه
موسى عليه السلام مع صهره ؟ المتفق عليه أن الاجل الذى قضاه موسى عليه السلام
مع صهره عشر سنوات من الخدمة اتمها واكملها ، وكان ذلك عندما أراد
أبو المرأتين أن يزوجه احدى ابنتيه على أن يآجره ثمانية (حجج) اى سنون
واجبة بينهما ، وان اتمها الى عشر فهى من عند موسى عليه السلام احسانا
وتكرما وفضلا وليس شرطا كما قال تعالى : (قال انى أريد أن أنكحك احدى
ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد
أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) (١) .

وقضى موسى عليه السلام عشر سنين فأوفاهها واتمها واكملها تكرمنا
وفضلا كما جاء فى الطبرى عن سعيد بن جبير قال: سألتى رجل من أهـل
النصرانية : أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت: لا أعلم وأنا يومئذ لا أعلم ، فلقيت
ابن عباس فذكرت له الذى سألتى عنه النصرانى ، فقال أماكنت تعلم أن ثمانيا
واجبة عليه ، لم يكن نبى الله نقص منها شيئا ، وتعلم ان الله كان قاضيا
عن موسى عدته التوعدة ، فانه قضى عشر سنين (٢) .

اذا هذا صريح فى أنه قضى أو أوفى الأجلين ، واتمها على حسب ماهو
مذكور فى الآية (فان أتممت عشرا فمن عندك) .

(١) سورة القصص : آية (٢٧) .

(٢) الطبرى (٦٨/٢٠) ، الدر المنثور : السيوطى (١٢٧/٥) .

ولكن هناك بعض أهل العلم من يقول : انه زاد على العشر عشرا
أخرى ففي الطبرى : عن ابن نجيج ، عن مجاهد ، قوله (فلما قضى موسى
الأجل) قال عشر ، ثم مكث بعد ذلك عشر أخرى (١) .

قال ابن كثير ، وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم
والطبرى (٢) .

قلت : وقد روى عنه مرة ابن أبي نجيج ، ومرة ابي جريح ، وان صحت
الرواية ربما تكون هذه العشر سنوات غير داخلة فى الخدمة المتفق عليها
والله أعلم .

وظاهر الآية غير ذلك ، فانه يشير الى أن موسى عليه السلام بعد
أن قضى الاجل ، خرج مباشرة من مدين الى مصر وسار بأهله فقال تعالى (فلما
قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) وهذا المتفق عليه
وقد عطف بالواو والعطف بالواو للتساوى فهو يفيد أنه مجرد ان انتهى
من الاجل خرج وسار مباشرة فلم يعقب بعد المدة بمدة اخرى فاذا كان كذلك
لكان العطف بالفاء ولم يكن هناك ترتيبا فى الزمن بأنه انتهى ثم مكث مدة ثم
خرج ، فلو كان كذلك لكان العطف (بثم) . والله أعلم .

ثانياً : من أهله ؟ .

قال تعالى : (وسار بأهله)

الأهل : يطلق ويراد منه الزوجة ، يطلق ويراد منه أهل الرجل ممن
يجمعه واياهم نسب ، وفى الأصل أهل الرجل من يجمعه واياهم مسكن واحد (٣) .

(١) تفسير الطبرى (٦٩/٢٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٧/٣) .

(٣) انظر المفردات فى غريب القرآن (٢٩) .

فعلى هذا يكون أهل موسى عليه السلام من يجمعهم وإياه مسكن واحداً من زوجة وأولاد ، ويدل على الجمع بانهم أكثر من واحد قوله تعالى : (قال لأهله امكثوا) (لعلى آتيكم) (لعلكم تصطلون) فهذا يدل على أن أهله ليس المقصود بها زوجته فقط ، إنما هم جماعة والله أعلم من زوجته وابناء وخادم ، وربما هو عليه السلام وزوجته بصيغة الجمع وذلك على رأى من يقول أقل الجمع اثنين (١) .

ثالثاً : لماذا احتاج موسى عليه السلام الى النار ولم يحتج الى غيرها؟ وماهى المادة التى استعملها فى اشعال النار ؟ .

قال تعالى : (آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها خبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) (٢) .

قوله تعالى : (آنس) وآنس فى اللغة : يراد منه الاحساس والرؤى والابصار والعلم . فجاء فى لسان العرب قوله : آنس الشئ أحسه ، وآنس الشخص واستأنسه : رآه وأبصره ونظر اليه ، وآنست فزعا اذا أحسته ووجدته فى نفسك وآنس الشئ : علمه ، وآنست الصوت: علمته (٣) .

اذا آنس فى اللغة يكون لها معنى حسى يباشر حواس الانسان من البصر والسمع ومعنوى وهو احساس الانسان بالشئ فى نفسه بوجدانه وروحه ، وإيمانه .

فعلى هذا المعنى اللغوى يكون : موسى عليه السلام آنس النار أى رآها وأبصرها بعينه ، وبعد هذه الرؤية حصل عنده شئ من الظمأنينة والانس النفسى بوجود النار ، على حسب ما يشير اليه ظاهر الآية الكريمة من أن موسى عليه السلام كان مستوحشا للطريق وخائفاً أو تائهاً فيه ، بمعنى أنه ضل الطريق عند خروجه وسيره فى الطريق الى حيث يريد ، فى تلك اللحظات الحرجة ، وفى تلك اللحظات القاسية ، والموحشة ، رأى موسى عليه السلام وأبصر نارا كما

(١) حاشية الصاوى : (٢١٥/٣) .

(٢) سورة القصص ، آية (٢٩) .

(٣) انظر : لسان العرب (١/١١٤) ، المصباح المنير (الشناوى ٢٥) .

قال تعالى : (وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا
انى آنست نارا) (١) . وتوحى الآية بأن موسى عليه السلام فى تلك اللحظة
كان محتاجا الى النار احتياجا شديدا لأسباب :

١ - أنه كان يسير ليلا وفى حاجة الانسان الى النار ليلا أكثر من حاجته لها
نهارا من حيث الضوء والنور ، يدل عليه قوله تعالى : (لعللى
آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) (٢) .
فربما على نور النار وضوءها عند اشتعالها تنير لنا الطريق فنعرفه
ونسير .

٢ - أن موسى عليه السلام كان يسير فى طريق برى موحش بعدم وجود الناس فيه
بدليل انه قال : (لعللى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) .
وفى الآيات التسي بصددها : (لعللى آتيكم منها بخبر أو جذوة من
النار لعلكم تصطلون) (٣) . فقوله (بخبر) (أو أجد على النار
هدى) معناه لعللى أجد ناسا عند تلك النار فاستخبر منهم عن الطريق ،
أو أستدل بها على الطريق الصحيح ، فمجرد رؤيته للنار تمنى وترجى
لو أنه يجد ناس يسألهم ويأتى منهم بالخبر .

٣ - أن موسى عليه السلام ضل الطريق اما عدم معرفته به او من حدوث الليل
وارخاء الظلام ستوره على معالمة فأصبح موسى عليه السلام تائها خائفا
وليس معه نارا أو ضوءا يسير به فى الطريق عند حدوث الظلام ليتبين
معالمة الطريق ، فاحتاج الى النار ، كما أشارت الآية الى ذلك (لعللى
آتيكم بخبر) وفى آية أخرى (أو أجد على النار هدى) .

(١) سورة طه : آية (٩-١٠) .
(٢) سورة طه : آية (١٠) .
(٣) سورة القصص : آية (٢٩) .

٤ - تدل الآيات الى أن الوقت الذى خرج فيه موسى عليه السلام هو وقت شتاء فكان الجو بارداً والانسان فى الشتاء يحتاج الى الدفء من الملابس والنار ، وهو فى مسكنه ومنزله ، فكيف وهو فى طرق برية موحشة ، وفى الليل تزداد البرودة أكثر ، وليس فى هذا الطريق ما يستدفئ به من نار ، أو متاع ، أو شجر ، أو ظل أو حائط ، فاحتاج موسى عليه السلام الى النار أكثر ليستدفئ بها هو وأهله من شدة البرد ، بدليل قوله تعالى : (لعلى آتاكم منها بقبس) (١) .

٥ - فى آية اخرى : (أو آتاكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) (٢) . وفى آية القصص (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) (٣) أى تستدفئون ، والاصطلاء فى اللغة معناه : الاستدفاء ، لان الانسان يقربها الى جسمه ، أو يقرب جسمه لها ، فى الشتاء ليستدفئ بها . قال ابن منظور: الاصطلاء : افتعال من صلا النار والتسخن بها ، واصطلي بها : استدفأ بها (٤) . والشهاب : أصله خشبة أو عود فيها نار (٥) . والقبس : الشعلة من النار (٦) . الجذوة : الجذء : أصول الشجر العظام العادية التى بلى أعلاها وبقي أسفلها ، والجذوة عود غليظ يكون احد راسيه جمرة والشهاب دونها فى الدقة ، والشعلة ما كان فى سراج او فتيلة (٧) .

(١) سورة طه : آية (١٠)

(٢) سورة النمل: آية (٧) .

(٣) سورة القصص: آية (٢٩) .

(٤) لسان العرب : (٤٧٠/٢ - ٤٧١) .

(٥) لسان العرب (٣٧٣/٢) .

(٦) لسان العرب (٦/٣) .

(٧) لسان العرب : (٤٢٨/٢) .

إذا الشهاب والقبس والجدوة كلها كلمات كما مر معنا فى اللغوة تهدف الى معنى واحد ، الا أن هناك فروقا دقيقة بينهم ، وعلى هذه الفروق الدقيقة بينهم ، نجد أن الله سبحانه وتعالى فرق بينهم فذكر مع لفظ الجدوة النار ، ولم يذكرها مع الشهاب ليبين أن الجدوة ليسعود من الشجر فقط ، على المعنى اللغوى ان الجدوة أصول الشجر ، وانما فيها نار ، فأعقبها بذكر النار او جدوة من النار .

وعندما ذكر الشهاب ، اعقبه بذكر القبس لان الشهاب أصلا الخشب فلو أفرده لم يعط المعنى المقصود من الآية ، فقال (بشهاب قبس) أى يعود نار ، وعندما ذكر قبس ، أفرده ولم يذكر معه لفظ آخر ، لأن أصل القبس الشعلة من النار ، واللفظ بمفرده يعطى أصل معناه ، فلم يحتاج الى لفظ آخر يضاف اليه يبين معناه المقصود ، فذكر منفردا ، وفى افراده شمول وعموم ، فربما يأتى بالنار او الشعلة فىعود خشب ، أو فتيلة ، أو مصباح ، أو غير ذلك مما يقبل الاشتعال والاضاءة .

وعند النظر فى الآيات نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر مع لفظ (الجدوة) و (الشهاب) قوله (تصطلون) ولم يذكر مع (القبس) وذلك ليدل أكثر ان الحاجة كانت للدفع أكثر لأن الجدوة والشهاب هما عود فى رأسهما نار ، فتكون فى البداية الشعلة ، ثم بعد ذلك تنطفىء الشعلة ويبقى بعد اشتعالها الجمره فى الخشب والفحم ، وهذا يعطيهم دفئا أكثر لمدة أطول وفى هذه الحالة الجمره تعطى حرارة ولا تنطفىء لان الجمره نار هادمة لها وهج ، وهذه الجمره لها فوائد أكثر من طهو الطعام وتسخين الماء ، وليس لها ضوء ، وتمكث فترة أطول من الشعلة ، والشعلة تنطفىء بسرعة أكثر من الجمره .

وفى قوله (لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) لم يذكر سبحانه وتعالى مع هذا اللفظ شيئا من حاجاته وانما أطلق اللفظ بقبس ليعم كل المنافع والاحتياجات من هذا القبس وهي الشعلة ، فهو فى حاجة

أولا لأن يجد الشعلة ، وهذه الشعلة ربما أتى بها فى خشب أو فتيلة
أو غير ذلك ، وبعدها يستطيع أن يحقق بها أغراضه ربما أضواء
بها مصباح ، ربما أشعل بها فحما عنده أو خشبا حتى يصبح جمرا ، فيتحقق
بها كل منفعه من ضوء وحرارة ودفء وطفو طعام وتسخين •

وبعد هذا نجد أن النبات لعب دورا كبيرا وهاما فى حياة موسى
عليه السلام ، فى أن يقضى به كل منفعه ، فالجذوة والقبس والشهاب
كلها تستخدم من النباتات سواء كان خشبا أو فحما أو فتيلة
لان أصل مرجع الفتيل فى الصنع من الياف النباتات ، فالنار هنا
أصل اشتعالها من النبات كما قالتعالى (الذى جعل لكم نون الشجر
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) (١) •

٥ - عند الوقوف قليلا مع هذه الآية للنظر والتأمل نجد أن الله سبحانه وتعالى
فى آية النمل والقصص قدم لنا الخبر على حاجة النار للاهل ، وفى آية
طه قدم ذكر (القبس) على قوله (هدى) • وفى هذا تشير الايتين فى
سورة النمل والقصص الى أن موسى عليه السلام كان رجاءه فى أن يجد ناس
عند النار فيخبرونه عن الطريق • وهذا يتحقق له أولا على اعتبار
أول وصوله اليهم ، ووجوده عندهم •

ثم بعد ذلك يأتى لاهله بالنار ، فيقضى منفعه وحواءجه ثم بعد
ذلك يسير الى الطريق الذى أخبر عنه فى الليل ، أو ينتظر الصباح
لتكون المعالم واضحة أكثر ، والأكند من الخبر فى الآية هو حاجة موسى
عليه السلام الى الخبر ومعرفة الطريق لانه سوف يحصل له ذلك بمجرّد
وصوله ، واذا لم يجد ناسا اتى بالنار الى أن يأتى الصباح ، وهذا
يدل على أن موسى عليه السلام ضل الطريق وانه كان فى ظلام •

أما فى آية (طه) فقال تعالى (لعلى آتاكم بقبس أو أجد على
النار هدى) فهو أبلغ وأعم فى اللفظ من خبره •

(١) سورة يس : آية (٨٠) •

وهدى: معناه يجد من يهديه ، واذا لم يجد من يهديه الى الطريق ، فان بوجود الشعلة معه ربما يتبين هو الطريق بنفسه فالاهتداء يحصل له بغيره وب نفسه ، أما الخبر لا يحصل له الا بالغير ، فلذلك كان هو محتاجا الى الشعلة أكثر . فحاجته الى النار أكثر للاهتداء بها قدمها على (هدى) فاذا وجد النار اهتدى بها بنفسه وتبين معالم الطريق ، ثم يرجع بعد ذلك الى أهله بالقبس ليقتضوا منافعهم ، ثم بعد ذلك يتابع السير في الطريق بعد أن عرف معالمه ليلا بالقبس او ينتظر الى الصباح والله أعلم .

٦ - قال تعالى : (فلما أتاها نودى من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) (١) . ماهي الشجرة التى نودى تحتها موسى عليه السلام ؟

بعد أن ذهب موسى عليه السلام الى مكان النار التى رآها وأبصرها ورجى أن يجد عندها ناسا ويأتى بعود فيه نار الى أهله ، وعندما وصل موسى عليه السلام الى مكان النار وجد هناك شجرة ، وكانت هذه الشجرة عن يمينه عند الجانب الأيمن للوادي ، وبذلك الجانب الأيمن للوادي على يمين موسى عليه السلام عند الذهاب ، وفى ذلك الجانب من الوادي فى مكان معين منه فى بقعة توجد شجرة ، هذه الشجرة يقال لها شجرة العوسج أو العليق، وهى من شجرة العضاة .

جاء فى تفسير الجلالين : انها شجرة عناب ، والأصح أنها شجرة العوسج ، أو العليق كما ذكر عنها فى كتب التفسير ، لان شجر العناب لا ينبت فى البرية ولا فى الصحراء ، فهو من الاشجار التى يباشر الانسان أسباب انباتها من حرث و زرع وسقي ورعاية الى أن تظهر الثمرة باذنه تعالى ، وثمرته حمراء داكنة تسمى بالعناب ، حلوة لذيدة الطعم ، وله فصول ومواسم ، وأوقات معينة من السنة يظهر فيها الثمرة ، وليس على مدار

(١) سورة القصص : آية (٣٠) .

(٢) تفسير الجلالين (٣/٢١٥-٢١٦) على متن حاشية الصاوى .

السنة ، أما العوسج والعليق فهو من نباتات البرية الصحراوية التي تنبت فيها بلا أسباب من الانسان يقوم بها ، ونبات العضة : هو كل شجر له شوك .

جاء في المخصص : العضة من الشجر ، وهو كل شجر ذو شوك مما جل أو دق .

وقال أبو حنيفة : العضة أعظم الشجر او كل شجرة ذات شوك (١) ، وذكر من ضمن شجر العضة : شجر العوسج فقال :
والعوسجة : ذات شوك ، وهي قصير ولكنها ربما طالت فعدت من العضة ، واذا طالت فهي غرقدة ، ولها ثمر احمر مدور كانه العقيق يسمى المصع (٢) .

والعليق : نبات شائك معرش من فصيلة الورديات زهوره صغيرة بيضاء او وردية اللون يمكن استعماله سياجاً وله ثمار كثمار التوت تؤكل (٣) .

وعلي هذا البيان والتوضيح لأسماء الشجار التي ذكرها المفسرون بأن تكون هي الشجرة التي أتى عندها موسى عليه السلام ، الراجح والأصح أنها شجرة العوسج للأسباب الآتية :
١ - أن شجرة العناب كما ذكرت وان كانت شائكة الا انها ليست من الأشجار التي تنبت في البراري ، وانما من الأشجار التي يباشر الانسان غرسها .

(١) المخصص في اللغة / ابن سيده (١٨١/١١) .

النبات : أبو سعيد الأصبغى (٢٣) .
(٢) المخصص في اللغة / ابن سيده (١٨٦-١٨١/١١) .
النبات / أبو سعيد الأصبغى (٢٤) .
(٣) انظر لسان العرب (٨٦٤/٢) .

٢ - أن نبات العليق هو نبات يعرش ، وان كان له فروع من الشوك الا أن له ورق وله ثمر يوكل ، اذا هو لا يدخل تحت النباتات التى تقوم على ساق قوية صلبة ، وانما هو من النباتات التى تمتد على الارض لذلك تعرش حفظا على ثمرتها من الوطء فهى صغيرة ولم يذكر أنه من العضاة .

٣ - أما العوسج فهو من الاشجار العظام ذات الشوك التى تقوم على ساق قوية صلبة ، يطلق عليها لفظ الشجر من نباتات البرية وغالب اشجار العضاة تنبت فى البرارى .

٤ - جاء فى الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ذكرت لى الشجرة التى آوى اليها موسى عليه السلام ، فسرت اليها يومين وليلتين حتى صبحتها ، فاذا هى سمرة خضراء ترف فصليست على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأهوى اليها بعيرى وهو جائع فأخذ منها ملء فيه فلاكه فلم يستطع أن يسبغه فلفظه ، فصليست على النبي صلى الله عليه وسلم وسلمت ثم انصرفت (١) .

٥ - كما ذكرت سابقا أن العوسج : اذا طال كثر وكبر يسمى الغر قد كما جاء فى المخصص ، وفى صحيح مسلم أنه شجر اليهود فى آخر الزمان اذا قاتل المسلمون اليهود ، فلا يختفى أحد منهم خلف شجرة الا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودى ورائى تعالى فاقتله ، الا الغر قد فانه من شجر اليهود فلا ينطق .

(١) الدر المنثور/ السيوطى (١٢٨/٥) .

تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٣/٣٨٨) .

تفسير الطبرى (٧١/٢٠)

المستدرک على الصحيحين / الحاكم (٥٧٦-٥٧٧) كتاب التاريخ

قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال

صحيح .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لاتقــوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يامسلم : ياعبدالله هذايهودى خلفى - فتعالى فاقتله - الا الفرقد فانه من شجر اليهود " (١) .

جاء فى الهامش تعليق محمد فؤاد عبدالباقي قوله : الفرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس .

وقال أبوحنيفة الدينورى : اذا عظمتالعوسجة صارت غرقدة (٢) .

ومن عند هذه الشجرة التى لها حدث عظيم مع موسى عليه السلام تبدأ قصة كليم الله موسى عليه السلام ، ورحلته مع النبوة والرسالة مع البركة والاصطفاء ، تبدأ رحلة الجهاد والدعوة الى الله عز وجل ويكون هنا كل الاعزاز والافتخار لموسى عليه السلام بهذه النبوة والرسالة وفى هذا الاصطفاء وهذا الاختيار قصة ورحلة تختلف تماما عن كل قصصه ورحلاته الماضية ، والشجرة هى سيدة الموقف لانها هى التى تحدد المكان الذى كان منه انطلاق موسى عليه السلام من البشرية العادية الي البشرية المحفوفة بالاصطفاء الالهى والتكريم الالهى .

فى هذا المكان كانت البركة وكان الخير كله لموسى عليه السلام فى الدنيا والآخرة (فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة) (٣) والشجرة هى التى تحدد هذه البقعة المباركة بالضبط (من الشجرة) .

ظاهر الاية يشير الى ان من عند الشجرة بالضبط حلت البركة فى تلك البقعة كلها وعلى موسى عليه السلام بالأخص وذلك عندما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) (٤) .

(١) صحيح مسلم (٢٢٣٩/٤) كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة . صحيح البخارى

(٥٣/٤) الجهاد رواية عن عبدالله بن عمرو رواية عن ابى هرير

بدون ذكر لفظ الشجر . باب قتال اليهود .

(٢) صحيح مسلم (٢٢٣٩/٤) كتاب الفتن . الهامش .

(٣) سورة القصص (٣٠) .

(٤) سورة القصص (٣٠) .

وهكذا كان النبات له أثر عظيم فى حياة موسى عليه السلام بمايلى :

أولاً : عندما ذهب من مصر الى مدين ، فأوى الى الظل ، والظل هنا
غالبا ما يكون ظل شجرة حيث قال تعالى : (فسقى لهما ثم تولى
الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الي من خير فقير) (١) .

ثانياً : قصة الشجرة التى فى الوادى والتى تكلمنا عنها فيما لها من
حدث عظيم فى حياة موسى عليه السلام .

ثالثاً : قصة المن الذى أرسله الله سبحانه وتعالى الى قومه وهو مادة
بيضاء حلوة تكون على ورق الشجر ثم بعد ذلك طلبوا من موسى
عليه السلام ان يدع ربه ليخرج لهم مما تنبت الارض من بقلها
وذلك لما الفوه وهم فى مصر من الفراعنة من الزراعة وأكل
هذه المطعومات فقال تعالى : (واذا قلت يا موسى لن نصب
على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من
بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها قال: اتستبدلون
الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتكم) (٢)

فوائد قصة موسى عليه السلام :

- ١- بيان اهتمام الرجل بأهله وقضاء حوائجهم وواجبه نحوهم .
- ٢- على الزوجة اتباع زوجها فى حله وترحاله .
- ٣- بيان أهمية النار فى حياة الانسان .
- ٤- أهمية النبات فى حياة الانسان لانه مادة من مواد الاشتعال والطاقة .
- ٥- الاعتماد والتوكل على الله وعدم اليأس والقنوط عند الشدائد .

...

(١) سورة القصص : الآية (٢٤) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٦١) .

ثالثا : شجرة يونس عليه السلام :

قال تعالى : (وان يونس لمن المرسلين ، اذ ابق الى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسيحين ، للبت في بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه الى الماء بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون ، فأمنوا فمتعناهم الى حين) (١) .

لم ترد قصة يونس عليه السلام هذه مع الشجرة الا مرة واحدة في القرآن ولي وقفات معها لتبين منها ما يلي :

- ١- هل التقام الحوت ليونس عليه السلام وذهابه مغاضبا كان بعد النبوة والرسالة أم قبلها؟
- ٢- ماهو العراء الذي نبذه الله سبحانه وتعالى به ؟
- ٣- ماهي الشجرة التي أنبتها عليه ؟

١- هل التقام الحوت له قبل النبوة أو بعدها ؟

حيث قال تعالى في حقه : (وان يونس لمن المرسلين . اذ ابق الى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا انه كان من المسيحين ، للبت في بطنه الى يوم يبعثون) (٢) .

الظاهر من الآيات والله أعلم أن يونس عليه السلام أرسل الي قوم معينين بعد أن التقمه الحوت ، ولكن المفسرين على اختلاف من ذلك وآراء حـول هذا الموضوع فمنها :

- ١- منهم من قال أنه أرسل عليه السلام بعد أن التقمه الحوت ، ومنهم ابن عباس .

(١) سورة الصافات: آية (١٣٩-١٤٨) .

(٢) سورة الصافات : آية (١٣٩-١٤٤) .

٢ - ومن قال أنه عليه السلام أرسل قبل أن يلتقمه الحوت ، مجاهداً
وقتادة والحسن (١) .

والراجح - والله أعلم - أنه أرسل بعد أن التقمه الحوت لانه أقرب
الى الصحة للأسباب الآتية :

١- قال الفخر الرازى الحاصل أن قوله (لمن المرسلين) لا يدل علي
أنه كان فى ذلك الوقت مرسلان عند الله تعالى ، ويمكن أن يجاب
بأنه سبحانه وتعالى ذكر هذا الوصف فى معرض تعظيمه عليه
السلام عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال: كانت رسالته
يونس عليه السلام بعد ما نبذ الحوت ، وعلى هذا التقدير
يجوز أن يكون أرسل الى قوم آخرين سوى القوم الأولين ، ويجوز
أن يكون أرسل الى الأولين ثانياً بشريعة فآمنوا بها (٢) .

٢- أن الآيات لم تصرح بأن يونس أرسل قبل التقام الحوت له .

٣ - أن قوله تعالى : (ان يونس لمن المرسلين ، اذ أبق الى
الفلك) لا يفيد هذا أن ارسله قبل التقام الحوت له ، وانما
سياق الآيات بالنسبة لما قبلها ، حيث كانت تتحدث عن
الأنبياء الذين قبله وأقوامهم ورسالاتهم وعذابهم فتبعهم
بعد ذلك بيونس فبين أن يونس من المرسلين كذلك مثل الذين
أرسلوا قبله ، ثم يعد ذلك بين الله سبحانه وتعالى قصته
كيف بدأت قبل الرسالة وكيف أرسله بعد ذلك الى قومه الذين
أرسله الله اليهم .

٣ - أن ظاهر سياق الآيات يدل على أن الرسالة كانت بعد التقام الحوت
وذلك حيث بين الله عز وجل أنه بعد أن التقمه الحوت ونبذ
بالعراء من الدهليه وأكرمه بالرسالة بأن أرسله الى قوم مائة
ألف أو أكثر والله أعلم .

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/١٠٤-١٠٥) ،

وانظر تفسير الدر المنثور / اليوطى (٥/٢٩١) .

(٢) تفسير الفخر الرازى (٧/١٥٨-١٦٠) .

ثانيا: قال تعالى: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) ماهو العراء

الذى نبذ اليه ؟

قوله تعالى : (فنبذناه) النبذ : هو القاء الشيء وطرحه (١) .

جاء فى لسان العرب : النبذ طرحتك الشيء من يدك أمامك أو خلفك

ونبذت الشيء أيضا اذا رميته وأبعده (٢) .

(بالعراء) والعراء هو المكان الذى لاسترة فيه .

جاء فى لسان العرب : وأما العراء ممدودا فهو ما اتسع من فضاء

الأرض .

وقال ابن سيده : هو المكان الفضاء لا يستتر فيه شيء ، وقيل : هو

الأرض الواسعة ، قال ابو عبيدة : انما قيل له عراء لانه لاشجر فيه ولا شيء

يغطيه ، وقيل : ان العراء وجه الأرض الخالى .

والعراء : هو الأرض المستوية المصحرة وليس بها شجر ولا جبال

ولا آكام ولا رمال وهي فضاء الأرض (٣) .

ففى هذا التعريف اللغوى يكون المعنى :

ان الله سبحانه وتعالى قال : (فنبذناه) أى أمرنا الحوت بأن

يلقى يونس عليه السلام من بطنه ويطره بعيدا فى العراء ، وهو المكان

الخالى الفضاء الواسع الذى ليس فيه ناس ولا شجر ولا جبل ، مكانا

واسعا خاليا من كل شيء ، فنبذه الحوت من داخله وطرحه بعيدا فى الخلاء

الذى أمره الله بأن يطره فيه . قال الطبرى : أى قذفناه بالفضاء

من الأرض حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ، فعن ابن عباس (العراء)

(١) انظر : المفردات فى غريب القرآن (٤٨٠) .

(٢) لسان العرب (٥٦٦/٣) .

(٣) لسان العرب (٧٦١/٣) .

وانظر : تفسير الرازى (١٥٩/٧) .

أى ألقيناه بالساحل ، وعن قتادة : أى ألقيناه بارض ليس فيها
شئ ولا نبات ، وعن السدى : (بالعراء) أى بالأرض (١) .

وألقي يونس عليه السلام من بطن الحوت فى العراء وهو " سقيم "
والسقم والسقام فى اللغة هو المرض .

وقال الاصفهاني: السقم والسقم المرض المختص بالبدن (٢) .

فمعنى هذا أنه حين ألقاه كان مريضا عليلا بدنيا ، ففسي
هذه الحالة تجمعت المصائب بيونس عليه السلام ، العلة والممرض ،
والمكان الذى ألقى فيه وأسعا فضاء خاليا من كل شئ حتى النباتات
وهو فى حاجة الى ما يقيم صلبه ويشفى عليه ، ولم يتركه الله سبحانه
وتعالى على تلك الحالة وإنما شمله بعطفه ورحمته وكرمه فأثبت عليه
شجرة من يقطين .

الثالث ٣ - قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

رحمة بسيدنا يونس عليه السلام أنبت الله عز وجل عليه شجرة
من يقطين وهذا يدلنا على أن أول ما يحتاج الانسان اليه من أموره
النبات ، فنبى الله يونس عليه السلام ، ألقى فى العراء عليل ومريض
يحتاج الى دواء والى غذاء وكان منقذه من هذا كله هو النبات فأنبت
الله سبحانه وتعالى عليه شجرة من يقطين ، ولفظ (عليه) فى الآية
يدل على أن الشجرة أول ما احتاج اليها سيدنا يونس عليه السلام ،
أن تكون ظلا له من حرارة الشمس ولهيبتها ، ثم بعد ذلك اخذ فى الأكل
منها ليتقوى بدنه ويستعيد صحته ونشاطه . وأما قوله تعالى : (وأنبتنا)
يدل على انه لم تظهر الشجرة فى ذلك المكان الا فى تلك اللحظة
وأنها لم تكن موجودة قبل ذلك بدليل ما جاء فى الآية قبل ذلك
(فنبذناه بالعراء) والعراء قلت انه المكان الذى ليس فيه نبات

(١) تفسير الطبرى (١٠١/٢٣) .

الفخر الرازمي (١٥٩/٧) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن / الاصفهاني (٢٣٥) .

لسان العرب (١٦٦/٢) .

وهذا دليل على قدرة الله عز وجل وإرادته ~~في تصرفه~~ في شئون عباده .

فقال (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) قال وأنبتنا عليه ليدل أن في لحظتها حصل انبات الشجرة عليه عليه السلام ولم يقل وأنبتنا له ولكن قال عليه (ليدل) على أنه سقيم عليل مريض لا يستطيع الحراك ليقى نفسه من أى أذى وخاصة حرارة الشمس ، فكانت الشجرة تقيه بظلمتها فقال (عليه) ولم يقل (له) وهذا يدل على أن لحظة نبذ الحوت له كان في النهار وقت حرارة الشمس في تلك اللحظة كان في حاجة الى ظل يحميه من حرارة الشمس ، فكانت شجرة اليقطين مظلة له تحميه .

وأما قوله (من يقطين) فهذا تعين لنوع الشجرة التي أنبتتها الله سبحانه وتعالى عليه ولكن ما هو اليقطين ؟؟

لقد اختلفت الأقوال فيها ، أنها الدباء ، وأنها الموز ، وأنها التين واليقطين في اللغة : هو كل شجر لا يقوم على ساق نحو الدباء والقرع والبطيخ والحنظل .

وقال في لسان العرب : اليقطينة : القرعة الرطبة ، اليقطيين شجر القرع (١) .

وقد ذكره ابن سيده : في أنه كل نبات ليس له ساق فقال: أجناس اليقطين : كل شجرة لاتقوم على ساق فهي يقطين وذكر من ضمنه الدباء وهي القرع (٢) .

وللمفسرين في اليقطين أقوال :

١- أن اليقطين: هو القرع الدباء بالضم والتشديد والمد .

(١) لسان العرب (١٢٤/٣) .

(٢) المخصص في اللغة ابن سيده : ٥/١٢ .

- ٢ - أن اليقطين : هو كل نوع من أنواع النبات الذى لايقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل .
- ٣ - أن اليقطين كل شيء ينبت ثم يموت من عامه .
- ٤ - وقال سعيد بن جبير : اليقطين شجرة سماها الله يقطينا أظلته وليس القرع (١) .
- ٥ - قال الزجاج : أحسب اشتقاقها من قطن بالمكان اذا أقام به ، وهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض فلذلك قيل له اليقطين .
- ٦ - ورد عن الفراء أنه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع ، فقال : ومن جعل القرع بين الشجر يقطينا ، كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين .
- ٧ - قال الواحدى : الآية تقتضى شيئين لم يذكرهما المفسرون :
- (١) أن هذا اليقطين لم يكن قبل فأنبتته الله تعالى لأجله .
- (٢) أن اليقطين كان معروشا ليحصل له ظل لأنه لو كان منبسطا على الأرض لم يمكن أن يستظل به (٢) .

الترجيح :

الراجع عندى من الأقوال السابقة قول ابن عباس رضى الله عنه

لأسباب :

(١) بعد عرض التعاريف والآراء والأقوال فى اللغة وعند المفسرين لليقطين يظهر ويتبين أن القرع واليقطين بينهما عموم وخصوص فاليقطين أعم من القرع ، فكل قرع يقطين وليس كل يقطين قرع فالقرع نوع من أنواع اليقطين لذلك كان الرأى والقول المناسب لهذا المعنى من اليقطين هو قول ابن عباس " من جعل القرع بين الشجر يقطينا ، كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين " . فمعنى قول ابن عباس أن اليقطين يدخل فيه الشجر والنجم " ويخص أكثر النجم ، وماكان من الشجر عريض الورق متسع كان يفطينا لأن الشجر عند العرب ماكان له أرومة والنجم ما ليس له أرومة تبقى (٣) .

(١) انظر تفسير الطبرى (١٠٢/٢٣ - ١٠٣) .

(٢) انظر تفسير الفخرالرازى (١٦٠/٧) .

(٣) حاشية الشهاب (٢٨٦/٧) .

(٢) ان المفهوم من سياق الآية أن هذه الشجرة كانت ظلا له وسترا

كما قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) .

والقرع لا يظلل أو يستتر الا اذا عرش ، وهو أصلا لا يعرش ولم يعـرف

حتى الآن أنه عرش وانما دائما يمتد على الأرض لشغل ثمرته سواء كان

القرع أو الدباء أو البطيخ أو غيره .

(٣) أقول أن (من) فى الآية تفيد البيان أى بيان جنس اليقطين

وهو شجر وليس النجم ، أو انها تفيد التبويض ، أى من بعض اليقطين ،

وهو الشجر فيكون التقدير (وأنبتنا عليه شجرة من شجر اليقطين)

وإذا كانت للتبويض (وأنبتنا عليه شجرة من بعض شجر اليقطين) فياسا

على قوله تعالى : (يحلون فيها من أساور من ذهب) (من ذهب) للبيان

وتحتمل للتبويض (١) والله أعلم .

بعد هذا كان المناسب فى معنى اليقطين والمقصود منه أنه شجرة

تقوم على ساق أنبتها الله سبحانه وتعالى على نبيه يونس عليه السلام

يتظلل بها ورقها عريض واسع فهى نوع من أنواع اليقطين ولكن ماهى . الله

أعلم بها .

وأما ما ذكر فى فتح البارى قول ابن حجر : " وللنساء " كان يحب

القرع ويقول : " انها شجرة أخى يونس " (٢) أراد الرسول صلى الله عليه

وسلم بذلك أنها شجرة من أنواع اليقطين " فأحبها والله أعلم .

جاء فى حاشية الشهاب : وقوله " انك لتحب القرع " الخ ، اما

حجته للقرع فثابتة للبخارى ولكن هذا الحديث لم تخرجه الحفاظ واطافة

الشجرة له للملابسة المذكورة (٣) .

(٢) فتح البارى ، ابن حجر (٥٢٥/٩) .

(١) انظر فى ذلك : دراسات لاسلوب القرآن الكريم ، عبد الخالق عزيمة

(٣٥٢/٣) القسم الأول .

(٣) حاشية الشهاب (٢٨٦/٧) .

وسواء كان المقصود باليقطين القرع أو غيره فان هذه المسألة
اجتهادية بين المفسرين وغيرهم لايشترط فيها تحديد المعنى من النص
لأنها لاتتعلق بحكم شرعى ولاتخل بايمان المرء ، فسواء كانت القرع أو غيره
فالله عز وجل قدرته مطلقه ومراده نافذ فى كل شىء وللكل شىء والله أعلم
بمراده .

رابعا : شجرة بيعة الرضوان :

قال تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (١) .

هذه الآية الكريمة هى الآية الثامنة عشرة من سورة الفتح " اننا
فتحنا لك فتحا مبينا " وموضوع هذه الآية الكريمة فى بحثى هى أنها
تحدثت عن البيعة المباركة الميمونة المسماة بيعة الرضوان ولقد جرت
هذه المبايعة تحت الشجرة كما نصت الآية ، وهذه من الأحداث العظام التى
تتعلق بالأشجار والنبات .

ويظهر لى عند تناولى لهذه الآية أن أتحدث عن العناصر التالية :

- (١) ماهى البيعة المقصودة فى الآية ؟ .
- (٢) ماهى الشجرة التى تمت تحتها البيعة؟ وأين مكانها ؟ .
- (٣) ماهو الفتح الذى أثابهم الله سبحانه وتعالى به ؟ .

(١) ماهى البيعة المقصودة فى الآية ؟ :

لقد كانت الفتوحات الاسلامية فى عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة وعهد صحابته لها أثرها العظيم على صحابته رضوان الله
عليهم ، وقد تسلطت كل أعضائها على شخصياتهم الغذة العظيمة فأعطوا
المثل الأعظم فى الصبر والجهاد والثبات على الحق ونصرة الله ورسوله ،

(١) سورة الفتح : آية (١٨) .

وقوة العزيمة وصدق الايمان ، فكانوا حقا مؤمنين كما سماهم الله عز وجل فى هذه الآيه وغيرها من الآيات بالمؤمنين ، فحقيقا لهم بهذه التسمية وهنيئا لهم برضوان الله عز وجل فى الدنيا والآخرة كما أشارت الى ذلك الآيه ، وكانوا رضوان الله عليهم من السابقين الأولين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، ولقد سبقت هذه البيعة بيعتان فى التاريخ الاسلامى التى لهما شأنهما البعيد وشهرتهما ، وهما بيعة العقبة الأولى والثانية اللتان كانتا لأهل يثرب فقط كما ذكر ذلك فى السير (١) .

أما البيعة التى فى الآيه التى بصددها فهى تختلف عن ذلك البيعتين اللتين ذكرتهما فى الموعد وفى الموضوع ومن هم أهلها ؟

(١) أما موعدها فقد اتفق أهل السير انها كانت فى السنة السادسة بعد الهجرة فى شهر ذى القعدة ولا خلاف فى ذلك (٢) .

(٢) أما اسم البيعة فهى تسمى بيعة الرضوان أو بيعة الحديبية

-
- (١) انظر الفصول فى اختصار سيرة الرسول / ابن كثير (٩٦) .
انظر مختصر سيرة الرسول / محمد بن عبد الوهاب (٨٥) .
انظر السيرة النبوية ، ابن كثير (١٧٦/٢) .
انظر السيرة النبوية ، ابن هشام (٤٣١/١) .
انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن هشام ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد (٤٠/٢) .
انظر تهذيب سيرة ابن هشام ، عبدالسلام هارون (١٠٢) القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ، محمد الطيب النجار (١٢٨) .
(٢) انظر السيرة النبوية ، لابن هشام (٢٠٨/٢) .
سيرة النبي ، لابن هشام (٣٥٥/٣) .
السيرة النبوية ، لابن كثير (٣١٢/٣) .
مختصر سيرة الرسول ، لمحمد بن عبد الوهاب (١٣١) .
الرحيق المختوم ، للمباركفورى (٣٧٨) .
السيرة النبوية ، للندوى (٢٣٥) .
القول المبين ، للطيب النجار (٢٦٥) .

حيث وقعت فى مكان بين مكة والمدينة يسمى الحديبية (١) .
والأرجح فى تسميتها بيعة الرضوان ، لأن الله سبحانه وتعالى
رضى فيها عن المؤمنين ببيعتهم لله ورسوله ، ورضى الله ببيعتهم
وبارك لهم وبارك فى بيعتهم .

٣ - أما أهلها فكانوا جمعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، وذلك حيث خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو وصحابته معتمرين من المدينة الى مكة ،
قاصدين بيت الله الحرام لأداء نسك العمرة ، وحيل بينهم وبين مكة
فى الطريق اليها ، ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه
فى مكان الحديبية .

وقد روى فى ذلك كما فى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال
تعدون انتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد
الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى صلى الله
عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فزحناها فلم نتـرك
فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم : فأتاهـا
فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ، ثم مضمض ودعا ،
ثم صبه فيها ، فتركناها غير بعيد ثم أنها اصدرتنا ماشئنا

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء وكسر الباء
وتحريك الياء الاخيرة وهو التخفيف على رأى المحدثين وتثقيلها على
رأى الفقهاء (التشديد) فهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر فيها
عند مسجد الشجرة بينها وبين المدينة تسع مراحل . ومرحلة الى مكة
من الناحية الغربية ويسمى الان بالشميسي . انظر : الفصول فى
اختصار سيرة الرسول : ابن كثير (١٦٣) ، عمدة القارى/ العيني
(٢١٢/١٧) ، نوراليقين/ محمد بك (١٨٧) القول المبين/ محمد النجار
(٢٦٦) حكم واحكام من السيرة النبوية / الخياط (١١٥) .
وانظر موقعها بالتفصيل فى معجم المعالم الجغرافية فى السيرة
النبوية ، عاتق بن غيث البلادى (٩٤) (ط ١) ، (١٤٠٢هـ) دار مكة للطباعة
مكة المكرمة .

نحن وركابنا (١) .

٤ - أما موضوعها فكانت بيعة على القتال والحرب وعدم الفرار منها ، وكانت بيعة أيضا على الموت ، وكانت بيعة الرضوان البيعة الخالدة في التاريخ الاسلامي ، وعلى مداه الى أن تقوم الساعة لاتزال تذكر وسوف تذكر ، لأن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) (٢) .

وكانت البيعة المباركة والمرضية ، التي رضي الله فيها عن المؤمنين وبارك فيها وبارك في المؤمنين لحسن نيتهم وقوة عزميتهم وعمق ايمانهم وحبهم لله ولرسوله وتضامنهم واخلاصهم وتضحيتهم في سبيل العزة الاسلامية .

وكان سببها حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل الى ذلك المكان أتته رسل قريش بالامتناع من الدخول ، فأخبرهم أنه لا يريد حربا ، وأراد أن يؤكد لهم قوله ذلك فأرسل اليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليخبرهم ويطمئن المستضعفين من المسلمين في مكة بنصر الله لهم ، وعندما طال مكثه ولم يعد شاع خبر قتله ، فجمع الرسول صلى الله عليه وسلم ، أصحابه ومن كان معه وبايعهم على القتال ، وعدم الفرار حتى الموت .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، الى أن قال: ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعيشه الى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله

(١) صحيح البخارى (١٥٦/٥) المغازى ، باب غزوة الحديبية ، عمدة القارى ، العينى (٢١٤/١٧) ، فتح البارى (ابن حجر (٤٤١/٧) المغازى ، هدى السارى ، القسطلانى (٣٤٦/٦) المغازى .

(٢) سورة الفتح : آية (١٨) .

انى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب
أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتى اياها ، وغلظى عليها
ولكنى أدلك على رجل أعز لها مني عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه الى أبى سفيان وأشـراف
قريش يخبرهم أنه لم يأتى لحرب ، وأنه إنما جاء زائر لهـذا
البيت ومعظما لحرمة (١) .

وقال ابن اسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لانبرح حتـى
نناجز القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة
فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان الناس يقولون: بايعهـم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبدالله يقول:
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا
على أن لا نفر " (٢) .

ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه لتفوته
البيعة الخالدة ، البيعة المباركة التى كان يتسابق الصحابة رضوان
الله عليهم اليها ، ليبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الثبات
والنصر والقتال والجهاد ، وهم فى ثقة وطمأنينة وسكينة ، وانما بايع عنه
صلى الله عليه وسلم بيديه الشريفتين الكريمتين ، بأن وضع يده اليمنى وقال
هذه يد عثمان، ووضعها على يده اليسرى ، وبايع لعثمان مثل بقية أصحابه رضوان
الله عليهم أجمعين ، وهذا يدل على فضل عثمان رض الله عنه ، وعلى كرامته عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاء ذلك فى صحيح البخارى عن عثمان بن
موهـب قال : " جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوما

(١) السيرة النبوية / ابن هشام (٣١٤/٢) .

السيرة النبوية / ابن كثير (٣١٨-٣١٩) ، سيرة النبى / ابن هشام (٣٦٣/٣)

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام (٣١٥/٢) السيرة النبوية / ابن كثير

(٢١٩/٣) سيرة النبى / ابن هشام (٣٦٣/٣) اخرج الرواية مسلم فى

الصحيح (١٤٨٣/٣) الامارة ، باب استحباب مبايعة الامام .

البخارى فى الصحيح (٦١/٤) البيعة ، فى باب فضل الجهاد .

جلوسا ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قال : هؤلاء قريش ، قال : فممن الشيخ فيهم . قالوا : عبدالله بن عمر ، قال يا ابن عمر انى سائلك عن شيء فحدثنى عنه ، : هل تعلم ان عثمان فر يوم أحد ؟ قال نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ؟ ولم يشهد ؟ قال : نعم قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهد ؟ قال : نعم . قال : الله اكبر ، قال ابن عمر تعالى ابين لك . اما فراره يوم أحد فأشهد ان الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لك أجر رجل ممن شهد بدرا ، وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان احد اعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، وكانت بيعة الرضوان ، بعدما ذهب الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى ، هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان فقال ابن عمر اذهب بها الآن معك (١) .

وقد اختلف كما مر سابقا فى أصل البيعة هل هى على الموت أو على عدم الفرار؟ وذلك كما جاء فى رواية ابن اسحاق ان الناس يقولون بايعنا على الموت ، وجابر كان يقول: بايعنا على أن لانفر .

والظاهر من خلال الروايات فى هذا الموضوع أن البيعة كانت على

عدة أمور وهى :

- ١ - البيعة على عدم الفرار فى الرواية السابقة : (رواية ابن اسحاق) (٢)
- ٢ - البيعة على الصبر كما ذكر ذلك فى صحيح البخارى عن نافع قال : قال ابن عمر : رضى الله عنهما : رجعنا من العام المقبل

(١) فتح البارى / ابن حجر (٥٤/٧) فضائل الصحابة ، صحيح البخارى

(١٨/٥) الفضائل . باب مناقب عثمان .

(٢) خرجت الرواية فى صحيح مسلم (١٤٨٥/٣) الامارة . استحباب مبايعة

الامام .

فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله ، فسألت نافعاً على اى شيء بايعهم على الموت ، قال لا : بايعهم على الصبر " (١) .

٣ - البيعة على الموت : كما ذكر فى الصحيحين : عن يزيد بن أبى عبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع : على اى شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال: على الموت " (٢) .

وهذه الأمور كلها تجتمع على معنى واحد وهدف واحد ، فالبيعة على عدم الفرار ، معناها الثبات على القتال ، وان واجه الموت ، والبيعة على الصبر كذلك معناه قوة العزيمة والثبات عند القتال حتى الموت ، والبيعة على الموت معناه مواجهة الموت تحت حاج من الانسان الصبر ، وعدم الفرار عند القتال ، لأن القتال مظنة الموت فكلها أمور لا بد منها للمقاتل تجتمع مع بعضها البعض فى ساحة المعركة ، ولاتنكف عن الانسان ، واذا انفكت عن الانسان كان ذله وخذلانه بعدم الصبر ، وفراره من المعركة خوفاً من الموت .

٤ - ثم ان البيعة لم تتم فى وقت واحد للجميع بعبارة واحدة وانما كان الناس يأتون للرسول صلى الله عليه وسلم يبايعونه أفراداً أفراداً ، وجماعات جماعات ، تأتى واحدة وتذهب أخرى ، ويأتى واحد ويذهب آخر ، فكان هناك اختلاف فى اللفاظ والعبارات فقط ، والهدف فى البيعة واحد ، وهو القتال ، وهكذا الى أن تمت البيعة للجميع ، حتى عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى كان غائباً تمت له البيعة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى صحيح البخارى من بيعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن بيعة سلمة بن الأكوع .

-
- (١) صحيح البخارى (٦١/٤) كتاب البيعة فى الجهاد ، فضل الجهاد .
(٢) صحيح البخارى (٦١/٤) البيعة فى فضل الجهاد ، صحيح مسلم (١٤٨٦/٣) .
الامارة ، باب استحباب مبايعة الامام ، واللفظ لمسلم .

أولاً: بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن نافع قال: " ان الناس يتحدثون ان ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية ارسل عبد الله الذي فرس له عند رجل من الأنصار يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد الله ، ثم ذهب الى الفرس فجاء به الى عمر ، وعمر يستلثم للقتال ، فأخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة قال : فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي التي يتحدث الناس ان ابن عمر أسلم قبل عمر (١) .

ثانياً : بيعة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

في صحيح البخارى عن يزيد بن ابى عبيدة عن سلمة رضي الله عنه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عدلت الى ظل الشجرة فلما خفف الناس قال يا ابن الاكوع ؟ ألا تبايع ، قال قلت : قد بايعت يا رسول الله قال وأيضا : فبايعته الثانية فقلت له يا ابا مسلم على اى شيء كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت (٢) .

وفى هذه البيعة دلالة على فضل الصحابة وعظم شأنهم عند الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعند البشرية كلها وتفضيلهم على سائلا البشر ، ودلالة على فضل جميعهم وعدم تفضيل اى واحد منهم على الآخر وهذا بدليل بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه وهو غائب وليس كما تفعل الشيعة بتفضيل على رضي الله عنه على بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) صحيح البخارى (١٦٣/٥) المغازى . باب غزوة الحديبية .

(٢) صحيح البخارى (٦١/٤) البيعة فى الحرب . فى فضل الجهاد .

ويكفيهم فى ذلك رضى الله سبحانه وتعالى عنهم كما جاء فى الآية التى بصددها : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحـ الشجرة) وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالأفضلية والخيرية على سائر الناس .

فى صحيح البخارى عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية " انتم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة " (١)

وحسبى فى ذلك قول ابن حزم فى رسالته فى المفاضلة بين الصحابة فقال : اننا لانقطع بفضـ أحد من الصحابة على صاحبه المهاجرين ثم أهل العقبة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل المشاهد مشهدا مشهدا وأهل كل مشهد افضل من أهل المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر الى الحديبية من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فانا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ، ماتوا على الايمان والهـدى والبر ، كلهم من أهل الجنة ، لقوله تعالى " والسابقون السابقون اولئك المقربون ، فى جنات التعيم " (٢) .

وقوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحـ الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) (٣) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٥٧ / ٥) ، الغزوات ، باب غزوة الحديبية .
صحيح مسلم (١٤٨٤ / ٣) الامارة ، باب استحباب مبايعة الامام .
(٢) سورة الواقعة (١٠-١٢) .
(٣) سورة الفتح : آية (١٨) .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل النار أحدا بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر) (١) .

ثانيا : ماهى الشجرة التى تمت تحتها البيعة ؟

لقد تكلمت فى النقطة السابقة عن البيعة وماذا حدث فيها ؟
وعلى ماذا كانت . . . ؟ وأين مكانها . . . ؟

قلت : ان مكانها كان فى الحديبية وهو بئر عرف به هذا المكان أو القرية كما فى رواية البخارى سابقا ، وقد كان هذا المكان أو القرية كثير الشجر جاء فى صحيح البخارى : عن ابن عمر رضى الله عنهما أن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر ماشان الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم يبائعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع " (٢) .

(١) رسالة ابن حزم الاندلسى فى المفاضلة بين الصحابة (٢٦٥-٢٦٦) / سعيد الافغانى .

واخرج الرواية الترمذى فى السنن (٣٥٨/٥) فى المناقب مرتين فى موضع واحد عن جابر مرفوعا : مرة بلفظ " لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة) وقال هذا حديث صحيح . ورواية بلفظ " ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر) .
وفى صحيح مسلم عن أم مبشر انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : " لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة ، احد من الذين بايعوا تحت الشجرة " (صحيح مسلم ٤/١٩٤٢) الفضائل ، باب من فضائل أصحاب الشجرة .

(٢) صحيح البخارى (١٦٣/٥) المغازى ، باب غزوة الحديبية .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وهى الشجرة التى تمت تحتها البيعة ، كما جاء فى تفسير الدر المنثور قوله —
أخرج عبد بن حميد ومسلم ، وابن مردويه ، عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : (لقد رأيتنى يوم الشجرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس ، وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ، ونحن اربع عشرة مائة ، ولم نبايعه على الموت ، ولكن بايعناه على أن لا نفر " (١) .

ذكرت هذه الرواية أن الذى كان رافع الغصن هو " معقل بن يسار " وقد ذكر فى الكشاف للزمخشري (٢) أن الذى كان رافعا الغصن هو عبدالله بن المغفل عند البيعة ، مع أن السيوطى ذكرها فى الدر المنثور أن عبدالله ابن المغفل كان رافعا الغصن عند كتابة الهدنة وليس البيعة ، وذكر انها أخرجها الحاكم وصحها ، وابن جرير وابونعيم فى الدلائل .

ويبدو ان الزمخشري وهم فى ذكر الاسم مع ان الفرق واضح بين الاسمين والصحيح ان الذى كان رافعا الغصن عند البيعة كما هو واضح من رواية مسلم انه معقل بن يسار . والذى كان رافعه عند كتابة الهدنة هو عبدالله بن مغفل كما جاء فى المستدرک للحاكم قوله : عن عبدالله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال : " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله تعالى فى القرآن ، وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعته عن ظهره ، وعلى بن أبى طالب وسهيل بن عمرو جالسان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / السيوطى (٧٤/٦) .

صحيح مسلم (٣/١٤٨٥) الامارة . باب استحباب مبايعة الامام .
وانظر: زاد الميعاد فى هدى خير العباد / ابن القيم (٢/٣٠٤) تحقيق:
الفقى ، زاد الميعاد فى هدى خير العباد / ابن القيم (٢/١٢٤) ،

السيرة النبوية / ابن كثير (٣/٣٢٨) .

عمدة القارى/ العينى (١٤/٢٢٥) .

(٢) الكشاف / الزمخشري (٣/٥٤٦) .

لعلى : اكتب " (١) .

وفى فتح البارى قال : أخرج ابوالاسود فى المغازى فى قصة مطولة الى ان قال: ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الى البيعة فجاءه المسلمون وهو نازل تحت الشجرة التى كان يستظل بها ، فبايعوه على أن لا يفرؤا" (٢) .

ومن هذه الروايات تبدأ قصة الشجرة مع الخير والرضوان بمايأتى:

١ - لقد ذكرت الروايات أن الشجرة كانت فى الحديدية اى فى المكان او القرية التى تسمى بالحديبية باسم البئر الذى كان فيها الذى حصل ما حصل فيه من دلائل النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم كما مر سابقا فى الرواية ، وهذه القرية كانت كثيرة الاشجار فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم تحت واحدة منها وتمت تحتها البيعة .

٢ - ماهى هذه الشجرة التى نزل الرسول صلى الله عليه وسلم تحتها ؟
لقد ذكر أن اسمها شجرة السمرة كما جاء فى الدر المنثور قوله :
أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : بينا نحن قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس البيعة البيعة نـزل روح القدس ، فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) (٣) .

(١) المستدرک / الحاكم (٤٦٠/٢-٤٦١) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . وانظر تفسير الطبرى (٩٤/٢٦) ، اسباب النزول للواحدي (٢/٨) ، تفسير الدر المنثور / السيوطى (٧٨/٦) . وقد اخرج مسلم فى صحيحه طرفا منها (١٤١١/٣) الجهاد .

(٢) فتح البارى / ابن حجر (٤٤٩/٧) المغازى .

(٣) الدر المنثور / السيوطى (٧٣/٦) تفسير الطبرى (٨٦/٢٦) .

وفى رواية أخرى : أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضي الله عنه اخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة ، وقال: بايعنا على أن لانفر ولم نبايعه على الموت " (١)

والسمرة : بضم الميم هي شجرة من شجر العضاة ، طوال أو مفرار، وله ورق صغير وشوك قصير ، كما ذكر ذلك فى المخصص فى اللغة . فقال: والسمرة واحدة سمرة بفتح السين وضم الميم ، وبها سمى الرجل وهو طوال مفرار الورق قصار الشوك ، يعمل من لحائه ارشية ، وله برمة صفراء ثم تصير حيلة منعكشة مجتمعة كأنها قرون الطوبيا الا أنها متثنية مجتمعة ، ولها زهرة تنبت فى جوفه (٢) .

وذكر فيه : السمر اسمر الواحدة سمرة ، شجر من شجر العضاة وليس فى العضاة أجود خشبا منه " (٣)

ويبدو أنها شجرة داكنة الخضرة تميل الى السواد لان السمر لون بين البياض والسواد ولذلك سميت باسمها ، كما ذكره الأصفهاني فى المفردات فى غريب القرآن (٤) .

وتسمى شجرة البيعة ، لحصول البيعة تحتها او شجرة الرضوان ، وهو الأوفق لما حصل تحتها من الخير الكثير .

١- نزول الرسول صلى الله عليه وسلم تحتها .

-
- (١) الدر المنثور ، السيوطى (٧٤/٦) ، تفسير الطبرى (٨٧/٢٦) ، تفسير القرطبى (٦٠٩٦/٧) ، صحيح مسلم (١٤٨٣/٣) الامارة سبق بيانه
 - (٢) المخصص فى اللغة / ابن سيده (١٨٤/٣) .
 - (٣) لسان العرب (٢٠٠/٢) ، المصباح المنير ، الشناوى (٢٨٨) .
 - (٤) المفردات فى غريب القرآن : الاصفهاني (٢٤١) .

- ٢- نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو تحتها كما ذكر .
- ٣- نزول السكينة عليهم .
- ٤- رضوان الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحتها وبذلك سميت شجرة الرحمة للمؤمنين — الله عز وجل كما ذكر عنها ذلك في صحيح البخارى عن نافع قال: قال ابن عمر رضي الله عنهما : رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله ، فسألت نافعا على أى شيء بايعهم على الموت ، قال : لا . . . بايعهم على الصبر (١) .
- قال القسطلانى : فى ارشاد السارى : اى ماوافق منا رجلا على هذه الشجرة انها هي الشجرة التي وقعت تحتها المبايعة بل خفى مكانها او اشتبهت عليهم لثلا يحصل بها افتتاحان لما وقع تحتها — الخير (٢) .
- قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون معنى قوله رحمة من الله اى كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عندها (٣) .
- وهذا هو الراجح ، لانه هو المناسب لموضوع الحديث الذى كان يحدث به ابن عمر عن مكان الشجرة ، وما حدث تحتها من البيعة وليست عن خفاءها .
- ٥- كانت البيعة تحتها للمؤمنين جميعا مما حضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة الا واحدا وهو الجد بن قيس الأنصارى (٤) وهو

(١) صحيح البخارى (٦١/٤) بيعة الامام فى الحرب . فى باب فضل الجهاد .

(٢) ارشاد السارى / القسطلانى (١٢٠/٥) - عمدة القارى / العينى (٢٢٣/١٤) البيعة فى الحرب .

(٣) فتح البارى (١١٨/٦) .

(٤) صحيح مسلم (١٤٨٣/٣) الامارة . باب استحباب مبايعة الامام .

صاحب الجمل الأحمر كما ذكر سابقا .

٦ - عقد الهدنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين كفار قريش ،
وكتابة عقد الصلح بينهم ، وكان على بن أبي طالب رضى الله
عنه هو الكاتب للرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

كما ذكر ذلك السيوطى فقال: اخرج النسائى والحاكم وغيره
عن عبدالله بن مغفل قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصل
الشجرة التى قال الله فى القرآن ، وكان يقع غصن من أغصان تلك الشجرة
على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن ابيطالب وسهيل بن
عمرو بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: اكتب
" بسم الله الرحمن الرحيم " فاخذ سهيل بيده قال : ما نعرف الرحمن
ولا الرحيم ، اكتب فى قضيتنا ما نعرف ، قال : اكتب باسمك اللهم ،
وكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله اهل مكة فامسك سهيل بيده
وقال لقد ظلمناك ان كنت رسوله اكتب فى قضيتنا ما نعرف فقال:
اكتب هذا ما صالح محمد بن عبدالله . (٢)

وكان لهذه الهدنة حكم عظيمة ، لا يعلم سرها الا الله عز وجل
الذى رتبها وسبب اسبابها ، وهى كما ذكرها ابن قيم الجوزية فى كتابه
زاد الميعاد فقال : فيها الاشارة الى بعض الحكم التى تضمنتها هذه
الهدنة وهى اكبر وأجل من أن يحيط بها الا الله الذى أحكم أسبابها ،
فوقعت الغاية على الوجه الذى اقتضته حكمته :

١- انها كانت مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذى اعز الله به رسوله
وجنده ودخل الناس به فى دين الله أفواجا .

(١) السيرة النبوية ، ابو الحسن الندوى (٢٣٨) .

(٢) الدر المنثور ، السيوطى (٧٨/٦) ، وانظر: تفسير الطبرى (٩٤-٩٣/٢٦)

أسباب النزول، الواحدى (٢١٨) وقد سبق تخريجها من الحاكم ومسلم .

٢- أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح ، فإن الناس آمن بعضهم بعضا واختلط المسلمون بالكفار ونادوهم بالدعوة واسمعوهم القرآن ، وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين ، وظهر من كان مختفيا بالاسلام ودخل فيه فى مدة الهدنة من شاء أن يدخل ، ولهذذا سماه الله فتحا مبينا ، قال ابن قتيبة : قضيا لك قضاء عظيما ، وقال مجاهد : هو ما قضى الله له بالحديبية .

٣- ما سببه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين من زيادة الايمان والاذعان والانقياد على ما أحبوا وكرهوا وما حصل لهم فى ذلك من الرضا بقضاء الله وتصديق موعوده وانتظار ما وعدوا به .

٤- أنه سبحانه جعل هذا الحكم الذى حكم به لرسوله وللمؤمنين سببا لما ذكره من المغفرة لرسوله ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ولاتمام نعمته عليه (١) .

وبعد أن عرفنا هذه الشجرة شجرة الخير والبركة والرحمة وما حصل تحتها للمسلمين من الخير والبركة ، والشأن العظيم لهم حالا ومآلا ، وكما عرفنا سابقا ، بقى أن نعرف هل هذه الشجرة مازالت الى الآن ؟ أو أنها اختفت ولم يبق لها أثر ، وأزيلت كل معالمها ؟ ومتى حصل ذلك ؟ وماهى الحكمة فى سبب زوالها ؟

جاء فى صحيح البخارى ما يلى :

١- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة " .

٢- عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون ، قلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله

(١) زاد الميعاد فى هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية (٢/٣١٨-٣٢٠) ، تحقيق محمد حامد الفقى . ، زاد الميعاد فى هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية (١٣٠/١ - ١٣١) تصحيح حسن المسعودى .

صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد: ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها ، وطتموها انتم ، فأنتم أعلم " .

٣ - عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان ممن بايع تحت الشجرة فرجعنا اليها العام المقبل فعميت علينا " .

٤ - وعن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد ، فلم أعرفها ، قال محمود ثم أنسيتها بعد) (١) .

٥ - عن نافع قال : قال ابن عمر رضي الله عنهما : رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله ، فسألت نافعا على اى شيء بايعهم على الموت ؟ قال : لا بايعهم على الصبر " (٢) .

بعد عرض الروايات يظهر للمتدبر مايلى :

١ - أن منهم من يقول بمعرفة الشجرة وموضعها ووجودها بعد زمن .

٢ - أنهم من ينكر وجودها بعد عام الحديبية وخفائها .

قال ابن حجر :

- أن انكار سعيد بن المسيب على من زعم انه عرفها معتمدا على قول أبيه أنهم لم يعرفوها فى العام المقبل ، لا يدل على رفع معرفتها أصلا ، فقد وقع عند المصنف من حديث جابر الذى قبل هذا " لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة " فهذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه واذا كان فى آخر عمره

(١) صحيح البخارى (١٥٧/٥ - ١٥٩) المغازى ، غزوة الحديبية ، صحيح مسلم

(١٤٨٤/٣ - ١٤٨٥) ، الامارة ، استحباب مبايعة الامام .

(٢) صحيح البخارى (٦١/٤) البيعة ، فى باب فضل الجهاد .

بعد الزمان الطويل يضبط موضعها ففيه دلالة على أنه كان يعرفها بعينها لان الظاهر أنها حين مقالته تلك كانت هلكت اما بجفاف أو بغيره واستمر هو يعرف موضعها بعينه ، ثم وجدت عند ابن سعد باسناد صحيح ، عن نافع أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (١) .

- وقال في كتاب الجهاد موافقة المسيب بن حزن - والد سعيد - لابن عمر على خفاء الشجرة والى ذلك أشار ابن عمر بقوله " كانت رحمة من الله " أى كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله (٢) .

الترجيح :

بعد عرض الأدلة ورأى ابن حجر والاستقراء فى كتب شروح الحديث

ترجح لدى مايلى :

١ - ليس فى رواية من الروايات السابقة ما يوحى بخفاء الشجرة ذاتها من مكانها وموضعها ، وانما كل ما دل عليها هو خفاء موضعها ومكانها عليهم ، وذلك لان المكان كان كثير الشجر ، فلما قدموا فى العام المقبل لم يستطيعوا تحديدها بذاتها .

٢ - اذا كان نسي موضعها المسيب ، وابن عمر رضي الله عنهما ، فليس شرطا أن ينساها كل من حضر البيعة ، فقد كان يذكر مكانها وموضعها جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ويستطيع تحديدها بذاتها من بين جميع الأشجار ، الا أنه لم يستطع ذلك بسبب فقد بصـره فى الفترة التى كان يحدث فيها .

(١) فتح البارى ، ابن حجر (٤٤٨/٧) ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد ،

(١٠٠/٢) .

(٢) فتح البارى ، ابن حجر (١١٨/٦) .

٣ - أن سعيد بن المسيب لم يحضر البيعة فقد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنهما (١)، وإنما سمع ذلك من أبيه ، وليس في قول أبيه ما يدل على خفاءها أصلا وإنما موضعها من بين الشجر الموجود في ذلك المكان ، وكأنه اشتبه والتبس عليه تحديدها بالضبط من بين الشجر .

٤ - ليس في رواية ابن عمر رضي الله عنهما ما يشير الى أن حديثه وكلامه كان عن اختفاء الشجرة ، أو عن التباس الامر عليهما في تحديدها كما ذكر ابن حجر .

وإنما عن حدوث البيعة وكيف كانت ؟

فقد تذكر الموقف والحادث العظيم عند مروره بذلك المكان بدليل مسائل عنه نافع عن البيعة ، وعلى أي شيء كانت عندما كان يحدث عن ابن عمر .

٥ - إذا بعد هذا ان الشجرة كانت موجودة الى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم بعد ذلك عندما علم عمر رضي الله عنه أن أناسا يأتونها فيصلون عندها ، أمر بقطعها ، فقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد كما ذكر ابن حجر في الفتح بسند صحيح - عن نافع قال : كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت " (٢) . ففي وعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطعها ، وأمره بذلك وقطعها شجرة بعينها وذاتها ، هذا يدل على وجودها في زمن عمر بن الخطاب ، لأنه متحقق لديه أنها هي الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان ، ثم بعد ذلك صار الناس يأتون فيصلون عندها ،

(١) انظر تذكرة الحفاظ / الامام الذهبي (١/٥٤) .

(٢) الطبقات الكبرى / ابن سعد (٢/١٠٠) . فتح الباري ، لابن حجر (٧/٤٤٨) .

فخاف عمر رضي الله عنه ، على عقائد الناس من تعظيمهم ———
لذاتها بما حصل تحتها من الشأن العظيم أمر بقطعها ، فلو تحقق
عمر رضي الله عنه وتأكد من أنها ليست هي الشجرة ، وأنه ———
أزيلت واختفت وانتهت من العام المقبل بعد البيعة ، لما أمر
بقطع الشجرة بعينها وذاتها ، وأمكنه أن يصرف الناس عن الصلاة
عند الشجرة باخبارهم بأنها ليست شجرة الرضوان .

وهذا يدل على أن الناس الذين كانوا يصلون عندها متأكدون من
أنها هي الشجرة ، وعمر رضي الله عنه كذلك متأكد من أنها ———
هي الشجرة التي تمت تحتها البيعة .

٦ - بعد أن أمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة فقطعت وأزيلت
من مكانها ، أحب الناس أن يبقى أثر هذا المكان خالداً في نفوسهم
وأن يحيوا ذكرى هذا الحدث العظيم ويخلدوه في نفوس الناس
وكلما مر الناس بهذا المكان ، تذكروا ما حدث فيه من الخير والبركة
لهم ، فأما في مكانها مسجداً كما ذكر في رواية ط———
ابن عبد الرحمن ذلك ليصلى فيه كل من مر بالمسجد دهاباً وإياباً
ركعتين حمداً وشكراً لله تعالى على ما من به على المسلمين من تعظيم
شأنهم أمام عدوهم ونصرهم عليه ثم يبقى بعد ذلك أثراً لمن
بعدهم من الخلف من الأمة الإسلامية ليتصوروا كل ما مروا بالمكان
كيف كانت الشجرة ، وكيف تمت البيعة ؟ وكيف بايعوا الصحابة
بقوة إيمان وصدق عزيمة ؟ فيجيش في نفوسهم هذا الأثر وهذا
الموقف لو أنهم كانوا موجودين لحظة البيعة ، فيتمكن في نفوسهم
بذلك حب الله ورسوله ، ويزداد إيمانهم بالله وتقواهم لله
عز وجل، والنصرة لله ورسوله وللإسلام والمسلمين . والله أعلم .

ثالثا : قال تعالى : (وآثابهم فتحا قريبا) :

الفتح الذى آثابهم الله سبحانه وتعالى به :

ان من الخير والبركة الذى حصل للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته رضوان الله عليهم أجمعين تحت الشجرة التى بوركت بذلك ، وكان لها اسما مخلدا على التاريخ الاسلامى بما ذكرها الله عز وجل فى كتابه ، أن آثابهم فتحا قريبا ، والفتح القريب الذى آثابهم الله عز وجل به هو فتح خيبر لان غزوة خيبر وفتحها حصل بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .

جاء فى فتح البارى قول ابن حجر: وأما قوله تعالى فى هـ هذه السورة (وآثابهم فتحا قريبا) : فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح لانها هي التى وقعت فيها المغنم الكثيرة للمسلمين . وقد روى الحاكم من حديث مجمع بين حارثة قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس وقرأ عليهم (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الاية فقال رجل: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال : اى والذى نفسى بيده انه لفتح ، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية (١) .

وجاء فى زاد الميعاد قوله : قال موسى بن عقبة " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية ، مكث بها عشرين ليلة ، أو قريبا منها ، ثم خرج غازيا الى خيبر ، وكان الله عز وجل وعده اياها وهو بالحديبية " (٢) .

(١) فتح البارى (٤٤٢/٧) ، سورة الفتح (١) ، المستدرک على الصحيحين

للحاكم (٤٥٩/٢) التفسير ، قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٢) زاد الميعاد ، ابن قليم الجوزيه (٣٢٤) .

وهذا ما اتفق عليه أهل السير والتفسير والحديث من أن المراد (بالفتح القريب فى الآية) هى خيبر لأنه حصل منها غنائم كثيرة للمسلمين التى وعدهم الله سبحانه وتعالى اياها فى الآيات الواردة فى سورة الفتح ، وسورة (الفتح) فيها خير كثير للمسلمين وفتوحات عظيمة ، وقد نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عودته من صلح الحديبية بين مكة والمدينة ، فقد جاء فى أسباب النزول للواحدى : عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : "نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها الـ (١) آخرها" .

وفى رواية عن قتادة ، عن أنس قال : " أنزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا) عند رجوعه من الحديبية ، نزلت وأصحابه مخالطون الحزن ، وقد حيل بينهم وبين نسكهم ونحروا الهدى بالحديبية ، فلما أنزلت هذه الآية قال لأصحابه : لقد أنزلت على آية خير من الدنيا جميعها فلما تلاها النبى صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم : هنيئا مريئا يارسول الله ، قد بيئنا الله مايفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فأنزل الله : (ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات) . (٢)

(١) أخرجها الحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٤٥٩/٢) التفسير قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . أسباب النزول للواحدى (ص ٢١٦ - ٢١٧) .

(٢) أسباب النزول للواحدى (ص ٢١٦ - ٢١٧) ، أخرجها الحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٤٥٩/٢) التفسير وقال هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد أخرجها مسلم فى الصحيح عن أنس من بدايتها الى قوله (لقد أنزلت على آية . . .) (١٤١٣/٣) الجهاد وأخرجها البخارى بلفظ مختلف مختصر (١٦٠/٥) المغازى . سبق بيانها . سورة الفتح (٥) .

ومن الخير الذى كان للمسلمين المؤمنين الذى وعدهم الله سبحانه وتعالى به كما فى سورة الفتح ، هو صلح الحديبية وغفر للرسول ماتقدم وتأخر ، وبيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهور الروم على فارس ، وفرح المسلمون بنصر الله ، وقد قال ابن حجر: وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله : (انا فتحنا لك فتحا مبينا) قال : صلح الحديبية ، وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وتبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله) (١) .

وهكذا جزاء كل من يخلص سريره لله عز وجل ويحسن عمله .

الأحكام التى نستخلصها من الآية :

- ١ - اخلاص النية لله عز وجل .
- ٢ - النصرة لله ورسوله .
- ٣ - الرضى بالقضاء والقدر .
- ٤ - الوثوق بنصر الله وانفاذ وعده ورحمته بالمؤمنين .
- ٥ - رعاية النبات والمحافظه عليه ولان النبات خلق من مخلوقات الله عز وجل له شأنه وعظمته بتعظيم الله سبحانه وتعالى له وذكره بما يتعلق بالأحداث الجليلة .

وبهذا القدر أكتفى بما يتعلق بحدث بيعة الرضوان والنيبسات ، وما ذكرت من بعض النقاط التى ربما تكون خارجة عن موضوع البحث الا أنها لها علاقة بالحدث ذاته ، فلذلك استدعى المقام أن تذكر لمعرفة جوانب الحدث وما يتعلق به بصورة مختصرة ، تعطى القارىء فكرة عامة عن الحدث وصورة مصغرة بدون دخول فى التفاصيل لانها ليست مجال البحث .

(١) فتح البارى (٧/٤٤٢) .

وبانتهاء شجرة بيعة الرضوان يكون الانتهاء من المبحث وهو اسلوب الخبر عن أحداث تتعلق بالثبات ، وهو كما مر معنا سابقا الخبير عن شجرة آدم عليه السلام ، وما يتعلق بها والخبر عن شجرة موسى عليه السلام وما يتعلق بها ، والخبر عن شجرة يونس عليه السلام وما يتعلق بها والخبر عن شجرة الرضوان وما يتعلق بها ، وليست هذه الأشجار فقط تتعلق بأحداث في القرآن الكريم وإنما هناك غيرها من الأشجار والأحداث ومنها شجرة مريم عليها السلام ، والشجرة الملعونة ، إلا أنى اكتفيت بذكر تلك الأربعة لأنها هي التي لها أحداث مشهورة على مدى التاريخ الانساني والاسلامى ، وأحداثها عظيمة ، لها شأن كبير في تاريخ النبوة والانبياء والرسل والرسالات وما يتعلق بهم وبرسالاتهم صلوات الله عليهم وسلامه .

ثم اننى اكتفيت كذلك بذكر هذه الاربعة الأشجار وذلك لاننى جعلت عنوان المبحث " أحداث تتعلق بالأشجار " وهذه الأشجار وردت في الآيات وأحداثها بلفظ (الشجر) فركزت على هذه الاربعة الأشجار فقط ، ليناسب العنوان البحث ، وقد تعرضت لشجرة مريم عليها السلام فى مبحث آخر مناسب لذكرها ، حيث أنها لم تذكر بلفظ الشجر وربما تعرض فى مباحث أخرى الى بقية الأشجار التى لايسمح المقام هنا بالكلام عنها . والله ولى التوفيق ،،،،

المبحث الرابع

أغراض الخبر وأهدافه

ان الغرض من الأخبار القرآنية هو اثبات وقائع وأحداث وحقائق وصفات ، فمن هذا ما هو غيبيا ، وهو ما يتعلق بالوقائع والأحداث التي حصلت في الماضي من أخبار وقصص الأنبياء فهذه امور غيبية اخبرنا عنها القرآن العظيم ، وأعلمنا بها وذلك لإفادة العلم بها ومعرفة ما فيها من عـبـر وعظات وحكم ، وهو مامر معنا في قصة آدم عليه السلام وموسى عليه السلام ويونس عليه السلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والرسل ورحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين وعلينا معهم آمين .

وعرفنا ما يتعلق أخبارهم وقصصهم بالنبات من مواقف واحداث لم تكن نعرفها لو ما اخبرنا القرآن العظيم بها ، وجاءت هذه كلها مؤكدة توكيدا جازما لكل قصة على حسب ما يناسب الموقف من قبول الخبر او عدم قبوله ، وفي هذا كله ردا وتبكيئا لمن ينكر ذلك أو يجحده ، ثم جاء في الاختيار عن اوصاف بعض النباتات ، وأسمائها وأنواعها من المدح لبعضها كالبسوق والاخضرار ، والتحقير والتصغير لبعضها كالحصيد والهضم ، والاستحسان على الاستفادة بما فيه من فوائد غذائية ودوائية ، والامتنان من الله سبحانه وتعالى على عبادته بهذه النعم للاستشعار بها ونسبتها الى خالقها وموجدها ومسببها ، وحمده وشكره عليها جلت عزته وتمني بقاءها ودوامها .

المبحث الخامس

آثر الخبر بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه

مما مر معنا من آيات الخبر المتعلقة بالنبات لم يكن منها الفرض مجرد افادة العلم فقط ، ولكن المراد منها مدى تأثير الخبر على السامع ووقعه فى نفسه من ذكر النباتات وأسماءها ووصفها وانواعها وما يتعلق بها من احداث ، ولو اراد القرآن مجرد العلم بها لما تعرض لها ، لانها تتكرر مع الانسان دائما فهو يعلمها ، وانما اراد من ذلك لفت نظر الانسان الى أن النبات خلق من خلق الله عز وجل ودليل على وجوده ووحدانيته وقدرته وبديع صنعه فيتعلم الايمان فى النفس البشرية والتي لم تؤمن يستدعيها النظر فى هذا المخلوق العجيب بالتأمل والتفكير والبحث عن واجده وصانعه فتهدى اليه وتؤمن به ، فان النظر الى الورد الحمراء او الى الورد بأنواعه وآلوانه يشير فى النفس تساؤلات وتساؤلات عن هذه الوردة ، حسن منظرها ، لونها ، شكلها ، رائحتها ، نعومتها ، رقتها ، كيف يكون ذلك.....؟

فلا يجد جوابا الا أن يقول سبحان الخالق • والله أعلم •

•••

هذه نسخة من مؤلفه المناقشة ولم يطبع في الخرطوم وقد ماتت
الطابع بإمرار القضيبيات لهذا يريد أنشاء طبعنا
د/عبدالمجيد عبد القادر

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الشرعية
المشرف

د/عبدالمجيد عبد القادر
بيلح

عضو المناقشة

عضو المناقشة

١٤١٥/١/١٣ هـ

د/عبدالمجيد عبد القادر
عضو المناقشة

الناسخ

في ضوء

الكتاب

بمخت مقدم لنيل درجة الدكتوراه

لعماد والطالبة :

جواهير محمد سعيد وسعد باسليم

تخصص : كتاب و سنت

استاذ الدكتور

محمد إبراهيم الشافعي

لغاية ١٤٠١ هـ

”الجزء الثالث“



الفصل الرابع

« أساليب الاستفهام بالنبات والزهرة في النفس »

وتتكون من قسمين وسباحت :-

- ١- التمهيد : انواع الكلام .
- ٢- لبحث الاول : معنى الاستفهام :
- ٣- لبحث ثانوي : اقسام ادوات الاستفهام واستخداماتها .
- ٤- لبحث ثالث : اقسام الاستفهام وانواعه .
- ٥- لبحث رابع : اسباب الاستفهام بالنبات في لقرآن الكريم
والسنة النبوية لظهرة وازدهار في النفس .
- ٦- لبحث خامس : اغراض الاستفهام واهدافه .
- ٧- لبحث سادس : اثر الاستفهام بالنبات في نفس البشرية
وايجابه .

الفصل الرابع

اسلوب الاستفهام بالنبات وآثره فى النظم

تمهيد: أنواع الكلام :

كنت قد تكلمت فى بداية أسلوب الخبر عن علم المعانى ، والكلام
وذكرت أن الكلام نوعان ومن أنواعه الخبر ، وقد تكلمت عن الخبر
وأقسامه وأغراضه .

والنوع الثانى من أنواع الكلام هو الانشاء ، والانشاء هو الكلام
الذى لا يصلح أن يقال لقائله صادق أو كاذب ، لانقائه لا يخبر عن شىء
وقع حصوله أو عدم حصوله فهو لا يقرر واقعا ، بحيث أنه يريد أن محتوى
كلامه يطابق نسبة حدوثه فى الواقع اي خارج عبارته وانما يريد به
انشاء كلاما فى وقت التكلم به بحيث لا يكون له حدث سابق وعلى هذا
ينقسم الانشاء الى قسمين اساسيين :

١- انشاء طلبى .

٢- انشاء غير طلبى

والانشاء غير الطلبى ينقسم الى عدة اقسام : منها : الامر ، والنهى

والتمنى ، النداء ، الاستفهام .

والذى يعنينى فى بحثى هو الاستفهام ، حيث موضوع البحث فى هذا

الفصل من باب أساليب القرآن فى النبات الاستفهام .

المبحث الأول— الاستفهام :

ان الاستفهام نوع من أنواع علم المعاني وهذا يدخل تحت أساليب الكلام ، وقبل أن أتكلم عن آيات القرآن الاستفهامية أبدأ أولاً بتعريفه ثم أقسامه وأدواته :

— معنى الاستفهام :

- ١- قال السيوطي : هو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار ، وقيل : الاستخبار عما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم ، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهماً (١) .
- ٢- وقال الزركشى : هو طلب ما فى الخارج أو تحصيله فى الذهن — لذلك لزم ألا يكون حقيقة الا اذا صدر من شاك مصدق بامكان الاعلام (٢) .
- ٣- وجاء فى دلالات التراكيب : الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب فى هذه الكلمة ، والمطلوب هو الفهم يعنى حصول صورة المراد فهمة فى النفس واقامة هيأته فى العقل ، وهذا هو الذى قاله البلاغيون فى تعريف الاستفهام فهو طلب حصول صورة الشئ فى الذهن (٣)

-
- (١) الاتقان فى علوم القرآن ، السيوطي (٧٩/٢) .
 - (٢) انظر : البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى (٣٢٦-٣٢٧) .
 - (٣) دلالات التراكيب ، د . محمد ابو موسى (٢١٣) .
وانظر جواهر البلاغة ، الهاشمي (٨٥) .
وانظر علوم البلاغة ، المراغي (٦٧) .

الخلاصة :

من التعاريف السابقة يتضح أن الاستفهام هو : طلب العلم
بشيء مجهول لم يكن معلوما قبل السؤال عنه ، وقد يخرج الاستفهام
عن معانيه الأصلية الى معان أخرى مجازية تستفاد من السياق
وتعرف بالقرائن .

المبحث الثاني

أدوات الاستفهام واستعمالاتها

وللإستفهام أدوات وهى : الهمزة ، هل - ومتى - وأيان - وكيف -
- وأين ، وأنى - وكم - وأى - من - ما .

أقسامها واستعمالاتها :

أ - أقسامها :

- ١ - ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو (الهمز) .
- ٢ - ما يطلب به التصديق فقط ، وهو : (هل) قال تعالى (فهل أنتم مسلمون) (١) .
- ٣ - ما يطلب به التصور فقط وهو بقية الفاظ الإستفهام .

ب - استعمالاتها :

- ١- همزة الإستفهام - والمقصود: هو ما يطلب به عين المفرد (أى طلب تعيين المفرد) والمقصود به ادراك المفرد ، مثال قوله تعالى (ليلبنى أشكر أم أكفر) (٢) .
- أما التصديق : فهو ادراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه ، أو عدم وقوعها بحيث يكون المتكلم خال الذهن مما استفهم عنه فى جملته مصدقا للجواب - اثباتا " بنعم " أو نفيًا " بلا " (٣) .

(١) سورة الانبياء : آية (١٠٨) .

(٢) سورة النمل: آية (٤٠) .

(٣) جواهر البلاغة ، احمد الهاشمى (٨٥-٨٦) ، علوم البلاغة ، المراغى

(٦٧) ، فن البلاغة ، د. عبدالقادر حسين (١٢٢) ، المعانى فى ضوء

أساليب القرآن ، د. عبدالفتاح لاشين (١٨٢) ، دلائل الاعجاز

الجرجاني ، تحقيق محمد خفاجى (١٤٦) .

فقال: (أَأَتْرَكَ - إِنْ قُلْتَ دَرَاهِمَ خَالِدٍ - زِيَارَتَهُ ؟ إِنْى إِذَا لَلْعَلِيمِ)^(١)

استعمالات بقية أدوات الاستفهام :

- ١ - من : يطلب بها تعيين العقلاء مثال : (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير)^(٢) .
- ٢ - ما : يطلب بها تعيين شرح الاسم او حقيقة المسمى لغير العقلاء مثال : (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، في أى صورة ماشاء ركبك)^(٣) .
- ٣ - متى : تعين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا . قال تعالى : (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)^(٤) .
- ٤ - أيان : تعين الزمان المستقبل خاصة وتكون فى موضع التهويل (يسأل ايان يوم القيامة)^(٥) .
- ٥ - كيف : ويطلب بها تعيين الحال . (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)^(٦) .
- ٦ - أين : ويطلب بها تعيين المكان (يقول الانسان يومئذ أين المفر)^(٧) .
- ٧ - أنى : وتأتى لمعان عدة ، فتكون بمعنى كيف ، وبمعنى من أين ، وبمعنى متى ، ومعنى متى (فأتوا حرثكم أنى شئتم)^(٨) والمعنى الثانى من أين (قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء)^(٩) ، أما كيف (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنسى

(١) المعانى فى أساليب القرآن د . عبدالفتاح لاشين (١٧٥) .

(٢) سورة التحريم : آية (٣) .

(٣) سورة الانفطار : آية (٦-٨) .

(٤) سورة يس : آية (٤٨) .

(٥) سورة القيامة : آية (٦) .

(٦) سورة الغاشية : آية (١٧) .

(٧) سورة القيامة : آية (١٠) .

(٨) سورة البقرة : آية (٢٢٣) .

(٩) سورة آل عمران : آية (٣٧) .

الكبير (١) .

٩ - كم : ويطلب بها تعيين العدد مثال : (قال قائل منه —————
كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم) (٢) .

١٠- اى : ويطلب بها تعيين أحد المشاركين فى أمر يعمهما (أى
الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) (٣) .

ويسأل بها عن الزمان ، والحال ، والعدد ، والعامل وغير العاقل
على حسب ما تضاف اليه (٤) .

♦♦♦

-
- (١) سورة آل عمران : آية (٤٠) .
 - (٢) سورة الكهف : آية (١٩) .
 - (٣) سورة مريم : آية (٧٣) .
 - (٤) انظر علوم البلاغة - المراغي (٧١-٧٢) .

المبحث الثالث

أقسام الاستفهام وأنواعه

قال السيوطى فى الاتقان : وقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازاً وقال ابن الصائغ : قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقة —————
لمعان ، أو أشربته تلك المعانى اذكر بعضها منها للاختصار :

- ١- الإنكارى : والمعنى فيه على النفى وما بعده منفى ولذلك تصحبه —————
(الا) مثال : (وهل نجازى الا الكفور) (١) (أفصفاكم ربكم
بالبنيين) (٢) .
- ٢- استفهام توبيخ مثال : (أتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين) (٣) .
- ٣- استفهام تقريرى مثال : (ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً
فهدى) (٤) .
- ٤- استفهام تعجب مثال (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) (٥) .
- ٥- العتاب : مثال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله) (٦) .
- ٦- التذكير : مثال (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) (٧) .
- ٧- الافتخار : مثال : (أليس لى ملك مصر) (٨) .
- ٨- التفخيم : مثال (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا أحصاها) (٩) .

x

- (١) سورة سبأ : آية (١٧) .
- (٢) سورة الاسراء : آية (٤٠) .
- (٣) سورة الصافات : آية (١٢٥) .
- (٤) سورة الضحى : آية (٦-٧) .
- (٥) سورة البقرة : آية (٤٤) .
- (٦) سورة الحديد : آية (١٦) .
- (٧) سورة يوسف : آية (٨٩) .
- (٨) سورة الزخرف : آية (٥١) .
- (٩) سورة الكهف : آية (٤٩) .

- ٩ - التهويل والتخويف : (القارعة ما القارعة) (١) (الحاققة)
 ما الحاققة (٢) .
- ١٠ - التهديد والوعيد : مثال : (ألم نهلك الأولين) (٣) .
- ١١ - الترغيب والتشويق مثال : (قل آونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا
 عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) (٤) .
- ١٢ - النهى : مثال : (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) (٥) .
- ١٣ - التمنى : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) (٦) .
- ١٤ - التعظيم : (من اذ الذى يشفع عنده الا باذنه) (٧) .
- ١٥ - التحقير : (أهذا الذى بعث الله رسولا) (٨) (ماهذه التماثيل
 التى أنتم لها عاكفون) (٩) .
- ١٦ - الاستبعاد : (فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، أعذا متنا وكننا
 ترابا ذلك رجع بعيد) (١٠) .
- ١٧ - التأكيد : (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى
 النار) (١١) .
- ١٨ - التهكم والاستهزاء : (قل آتعلمون الله بدينكم والله يعلم
 ما فى السموات وما فى الأرض) (١٢) .

-
- (١) سورة القارعة : آية (٢) .
 (٢) سورة الحاققة : آية (٢) .
 (٣) سورة المرسلات : آية (١٦) .
 (٤) سورة آل عمران : آية (١٥) .
 (٥) سورة التوبة : آية (١٣) .
 (٦) سورة الاعراف : آية (٥٣) .
 (٧) سورة البقرة : آية (٢٥٥) .
 (٨) سورة الفرقان : آية (٤١) .
 (٩) سورة الانبياء : آية (٥٢) .
 (١٠) سورة ق : آية (٢ - ٣) .
 (١١) سورة الزمر : آية (١٩) .
 (١٢) سورة الحجرات : آية (١٦) .



١٩ - الاخبار : (آفى قلوبهم مرض آم ارتابوا) (١)(٢) .

وقد ورد الاستفهام فى القرآن الكريم على أصل معناه ، وهو طلب الفهم والعلم بالشيء لمعرفة المجهول ، وذلك كما فى قوله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) (٣) .

وقوله تعالى : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للهِ والرسول) (٤) .

وهذا الاستفهام كثير فى القرآن الكريم ، ولكن فى القرآن الكريم أكثر منه الاستفهام الذى يخرج عن أصل وضعه لمعان التى ذكرتها سابقا .

.....

-
- (١) سورة النور اية (٥٠) .
 - (٢) الاتقان فى علوم القرآن ، السيوطى (٢/٧٩-٨٠) . وانظر البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى (٢/٣٢٨-٣٤٤) .
 - (٣) سورة الاسراء : آية (٨٥) .
 - (٤) سورة الأنفال : آية (١) .

المبحث الرابع

اسلوب الاستفهام بالنبات فى القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة وأثره فى النفس

بعد هذا التوضيح لمفهوم الاستفهام وأنواعه ومواقعه فى القرآن الكريم أتبع ذلك ببيان ماهو هدف بحثى وهو :

- أسلوب الاستفهام فى آيات النبات :

فمن استقراى لآيات النبات فى القرآن حصلت على آيات كثيرة ذكر فيها النبات وقد صدرت بالاستفهام سوف أتناولها على النحو التالي:

أولاً: ورود النبات فى أسلوب الاستفهام عن مظاهر قدرة الله

تعالى وبديع خلقه :

١- من ذلك قوله تعالى : (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (١) .

جاءت هذه الآية الكريمة من سورة الشعراء فى سياق تعسداد مظاهر قدرة الله تعالى وآيات عظمته التى من شأنها ان يخضع لها الكافرون المنكرون للوحي والرسالات والمكذبون برسوله صلى الله عليه وسلم .

فبعد ان ذكر الله تعالى الايات العقلية المعنوية اتبعه فى هذه الآية الكريمة بذكر الآيات الحسية المادية وانكار اعراض المشركين عن كل هذه الآيات ، فالهمزة فى قوله : (اولم يروا) للاستفهام التوبيخى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى فعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها

(١) سورة الشعراء: آية (٧) .

ولم ينظروا الى عجائبها (١) .

فنبه سبحانه بذلك على عظمته وقدرته وان هؤلاء المكذبيين المستهزئين لو نظروا حق النظر لعلموا انه سبحانه وحده هو الذى يستحق ان يعبد ، فالنظر الى الارض وما يظهر على ظهرها من نبات وأزهار وزروع وثمار من جميع الأصناف والألوان والأشكال البهيجة الحسنة المنظر ، مما يدل على قدرة الله تعالى وبديع صنعه ودقة تدبيره ، من شأنه ان ينير عقول المنكريين المستهزئين ويدفعهم الى الايمان الصادق بوحداية الله سبحانه وتعالى وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن اين لهم ذلك وقد عميت بصائرهم وأظلمت قلوبهم وانتكست فطرتهم فالمقصود بهذا الاستفهام في الآية الكريمة وما انطوى عليه من آيات النباتات وجماله وحسنه ، هو اقامة الحجة على المكذبين المستهزئين وبيان انهم لا تغنيهم الايات لان المكابرة تصرفهم عن التأمل في الايات فيكون الاستفهام انكار على عدم رؤيتهم ذلك لان دلالة الانبات على الصانع الواحد دلالة بينة لكل من يراه ويشاهده فلما لم ينتفعوا بتلك الرؤية نزلت منزلتهم منزلة العدم فأنكر عليهم ذلك ، والمقصود هو انكار عدم الاستدلال به (٢) .

٢ - ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أهله مع الله بل هم قوم يعدلون) (٣) .

جاءت هذه الآية الكريمة وسياق الايات من سورة النمل التى ينكر الله تعالى فيها على المشركين شركهم وكفرهم وعدم انتفاعهم

-
- (١) انظر فتح القدير ، الشوكانى (٩٤/٤) ارشاد العقل السليم لابي السعود (٢٧/٧) .
- (٢) تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور (١٠١/١٩) .
- (٣) سورة النمل : آية (٦٠) .

بالايات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى واستحقاقه وحده بالعبادة والخضوع (فأم) في قوله : (أم من خلق) منقطعة (وبل) على قراءة " أم من " للاضراب والانتقال من التبيكيت تعريضا الي التصريح به خطايا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد ، وأما على القراءة الثانية (أمن) فلتثنية التبيكيت وتكريم الالزام والهمزة لتقريرهم ، اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لايتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولايقدر على ان لايعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها مايليق به من منافع من أحسن تلك المخلوقات وادناها بل بان لاخير فيه بوجه من الوجوه قطعا ،ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ماسبق فـي الاستفهام (١) .

والمتدبر في هذه الآية الكريمة يرى أن الله عز وجل بعد ان بكت المشركين على مساراتهم من خلق السموات والارض وما فيها من أنواع النعم والخيرات . أتبع ذلك ببيان أنه المنزل للماء من السماء ، وهو الذى أنبت بهذا الماء الحقائق ذات الحسن والنضارة والجمال فهو يذكرهم بأعظم نعمة وأجل مخلوقاته وهى الحقائق ذات البهجة ، وقد نبه سبحانه وتعالى على أن هذا الانبات فى الحقائق لايقدر عليه الا الله تعالى لان احدنا لو قدر عليه لما احتاج الى غرس ومصابرة الى ظهور الثمرة واذا كان تعالى هو المختص بهذا وجب أن يخص بالعبادة (٢) .

وبهذا الأسلوب الاستفهامى نشاهد مدى وقع الكلام على النفس وتقريره فى القلوب وتمكنه من الشعور والوجدان فالأسلوب

(١) انظر ارشاد العقل السليم لابي السعود (٣٢٧/٧-٣٢٨) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٤١٣/٦-٤١٤) .

الاستفهامى يثير فى المخاطب روح التفكير والتأمل والتدبـر
وينبه قلبه وعقله الى ماهو غافل عنه او متناسية فكانه يجعله
حاكماً لنفسه على نفسه وبذلك عالج القرآن الكريم نفوس المعاندين
الجاحدين وجادل المشركين الضالين حتى يهديهم الى السبيل .

٣ - ومن ذلك قوله تعالى : (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجزر
فنخرج به زرعاً تاكل منه انا نعمهم وانفسهم افلا يبصرون) (١) جاءت
هذه الاية الكريمة من سورة السجدة فى سياق بيان قدرة الله
تعالى على اهلاك الكافرين الظالمين حيث قد اهلك من قبلهم
حال كونهم سائرين فى مساكنهم ومن مظاهر قدرته تعالى أنه
يسوق الماء الى الارض التى لانبات فيها فقال تعالى مستفهماً
منكراً عليهم عدم عبرتهم واتعاطهم بما فى الكون من آيات القدرة
ودلائل العظمة .

فقال : (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجزر . . . الاية)
فالهمة للاستفهام والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام ويناسب
المعطوف ، والمعنى : اعموا ولم يشاهدوا انا نسوق السحاب
الحامل له وقيل : نسوق نفس الماء بالسيول وقيل باجرائه
فى الانهار وفى العيون الى الارض اليابسة الجزر اى لانبات فيها
فيخرج الله سبحانه وتعالى بذلك الماء زرعاً متنوعاً واصنافاً منه
ماتأكله الأنعام ومنه ماأكله الانسان .

(١) سورة السجدة : آية (٢٧) .

يقول الرازي : (وقدّم الانعام على الأنفس فى الأكل لوجوه :

- ١ - أن الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للإنسان .
 - ٢ - أن الزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه وأما غذاء الإنسان فـ..... يحصل من الحيوان فكأن الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل..... الحيوان .
 - ٣ - إشارة الى أن الأكل من ذوات الدواب ، والإنسان يأكل بحيوانيته او بما فيه من القوة العقلية فكماله بالعبادة (١) . ثم يختم الله عز وجل ذلك لقوله : (افلا يبصرون) وهو استفهام آخر داخل ضمن الاستفهام الاول ، لتثبيت الإنكار عليهم والتوبيخ لهم حيث لم يتعظوا بهذه النعم ويعتبروا بها فيشكرونها ويحمدوها وخالفوها وهو الله سبحانه وتعالى وبهذا التعريف البيانى وهذا الأسلوب القرآنى يتقرر ما يهدف اليه القرآن الكريم من الاستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده وقدرته وسلطانه مما هو واقع من حوادث الخلق وتنظيم الكون وجمال التكوين .
 - ٤ - ومن ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد (٢) بيض وحممر مختلفا ألوانها وجرابيب سود) (٣) .
- سيقت هذه الآية فى سياق الأدلة على قدرة الله تعالى على تعذيب من كذب الرسل وانكر الحق ، فهى بيان لنوع من انواع قدرة الله سبحانه الباهرة وخلقاً من مخلوقاته البديعة ، فقـال " ألم تر " والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يصلح له الخطاب والرؤية هى الرؤية القلبية أى ألم تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بهذا الماء والنكتة

(١) التفسير الكبير ، الفخر الرازى (٥٦٦/٦) .

(٢) جدد : طريقة ظاهرة من قولهم طريق مجدود أى مسلك ومقطوع . انظر

المفردات فى غريب القرآن / الأمهاتى (٨٩) .

(٣) سورة فاطر : آية (٢٧) .

فى هذا الالتفات اظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع
البديع وانتصاب (مختلفا الوانه) على الوصف للثمرات والمراد
بالألوان الاجناس والاصناف أى بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها
أصفر وبعضها أخضر وبعضها أسود ومن كل ذلك تظهر حكمـة
الخالق العظيم وتتجلى آيات قدرته سبحانه وتعالى .

٥ - ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (أفرايتم ماتحـرثون ، أءنتـم
تزرعونـه ام نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتـم
تفكهنون) (١) . جاءت هذه الآية الكريمة فى سياق تبيـن
الكفرة والزامهن بالحجة على وقوع البعث والجزاء فى الآخرة
ومعناها : أخبرونى ماتحـرثون من أرضكم فتطرحون فيه البـذر
أنتبتونه وتجعلونه زرا ، فىكون فيه السنبـل والحب أم نحن
المنبتون الجاعلون له زرا لا أنتم . . . فاذا أقرتم بهـذا
فكيف تنكرون البعث ، لو نشاء لجعلنا ماتحـرثونه حطاما متحطما
متكسرا لا يحصل منه حب ولا شء مما يطلب من الحرث والزرع ، فصرتـم
تعجبون فيما نزل بكم فى زرعكم ، وتقولون انا لمغرـمـون
أى ملزمون غرسا بماهلك من زرعنا أو انا لمعذبون " بل نحن
محرومون " اى حرمانا رزقنا بهلاك زرعنا والمحروم الممنوع
من الرزق الذى لاحظ له فيه .

وفى ذلك تذكير للانسان بقدرة الله تعالى وعظيم تدبيره فى خلقه
وأن كل المخلوقات انما تكون بقوته تعالى واراـدته ، ومجـىء
هذا الاستفهام التقريرى مما يزيد وقع هذا فى النفس والعقل
والشعور ، ويشير تفكير العقلاء الى آيات قدرة الله تعالى
وعظيم سلطانه ، ويقوى وضوح الحجة والبرهان لتثبيت ما هدفت اليه
الآيات ، يقول القرطبى : (وتتضمن هذه آلاية أمرين :

(١) سورة الواقعة : آية (٦٣-٦٥) .

- ١- أحدهما : الامتنان عليهم بأن أثبت زرعهم حتى عاشوا
ليشكروه على نعمته عليهم .
- ٢- البرهان الموجب للاعتبار لانه لما أنبت زرعهم بعد تلاشى بذر
وانتقاله الى استواء حاله من الغض حتى صار زرا أخضر
ثم جعله قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه فهو باعادة من أمات
أخف عليه وأقدر ، وفي هذا البرهان ما يقنع ذوى الفطنة
السليمة (١) .

ثانيا : ورود أسلوب الاستفهام فى آيات النبات للترغيب فى الآخرة

والتنفير من الدنيا :

ومن ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرا مختلفا ألوانه ثم يهيىج
فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب) (٢) .

جاءت هذه الآية الكريمة فى سياق الترغيب فى الآخرة والتنفير
من الدنيا ، يقول الامام الفخر أثناء شرحه لهذه الآية الكريمة
(والحاصل انه تعالى فى الآيات المتقدمة ذكر ما يقوى الرغبة فى الآخرة
وذكر فى هذه الآيات ما يقوى النفرة من الدنيا فشرح صفات القيامة يقوى
الرغبة فى طاعة الله ، وشرح صفات الدنيا يقوى النفرة عن الدنيا ،
وانما قدم الترغيب فى الآخرة على التنفير عن الدنيا ، لأن الترغيب فى
الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات
مقدم على المقصود بالعرض) (٣) .

(١) الجامع لأحكام القرآن : (٤٣٨٨/٧) .

(٢) سورة الزمر : آية (٢١) .

(٣) التفسير الكبير للرازى (٢٤٠/٧-٢٤١) .

ولاشك أن مجيء هذه المشاهد والآيات التي تضمنتها الآية الكريمة مصدره بالاستفهام ، يبعث على التأمل وشدة التبصر في أحوال الدنيا وأطوارها التي مثلها الله سبحانه بالزرع في أطواره المختلفة مع ما في ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته تعالى بالباهرة وصنعه البديع يقول الألوسي : (استئناف وارد أما على تمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا من الاغترار بزهرتها .

أو للاستشهاد على تحقق الموعد من الأنهار الجارية من تحسنت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته سبحانه وأحكام حكمته ورحمته (١) .

والمتدبر يرى مدى التأثير النفسى من مجيء هذه الأطوار التى يمر بها الزرع من حين خروجه على ظهر الأرض ثم ترعرعه ثم ظهور ثمثاره ، ثم حصول تمام نضجه ثم انحداره الى أن يصير حطاما متكسرا . وهكذا الدنيا .

يوئى كل ذلك فى ضمن أسلوب الاستفهام ، مما يثير العقل ويشهد الانتباه وينبه النفس والشعور الى آثار قدرة الله تعالى وبديع صنعه ، وقوة تصوير أحوال الدنيا فى ظهورها ثم اضمحلالها ولكن لا يفقه ذلك الا الألباب أصحاب العقول السليمة المستقيمة المستنيرة بهدى الله تعالى ، ومن ثم فقد ذيل الله تعالى الآية الكريمة بقوله : (ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) أى فيما تقدم ذكره تذكير لاهل العقول الصحيحة فانهم الذين يتفكرون الاشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع فى سرعة التقدم وقرب التقضى ، ونهاى بهجتها وزوال رونقها ونضارتها ، فاذا أنتج لهم التفكير والاعتبار

(١) روح المعانى للألوسى (٢٥٥/٢٣) .

العلم بذلك ، لم يحصل منهم الاغترار بها والميل اليها وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة ولم يبتسق معهم شك فى أن الله قادر على البعث والحشر لأن من قدر على هذا قدر على ذلك (١) .

ثالثا : ورود أسلوب الاستفهام فى آيات النيات فى الحث على

الصدقة :

من ذلك قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (٢) .

هذه الآية الكريمة من سورة البقرة تقع فى سياق الآيات الكريمة التى تحث على الصدقة الخالصة لوجه الله عز وجل فبعد أن أثنى على المنفقين باخلاص فى الآية السابقة وهى قوله تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فظل والله بما تعملون بصير) (٣) .

فهى استئناف بياني أشاره ضرب المثل العجيب للمنفق فى سبيل الله بمثل حبة أنبتت سبع سنابل ومثل جنة بربوة الى آخر ما وصف من المثاليين ولما اتبع بما يفيد أن ذلك إنما هو للمنفقين فى سبيل الله الذين لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، ثم أتبع بالنهى عن أن يتبعوا

(١) فتح القدير ، (٤/٤٥٨) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٦٦) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢٦٥) .

صدقاتهم باليمن والأذى ، استشرفت نفس السامع لتلقى مثل لهم يوضح حالهم الذميمة كما ضرب المثل لمن كانوا يصد حالهم فى حالة محمودة . فضرب الله هذا مثلاً لمقابل مثل النفقة لمرضاة الله والتعديق ، وهو نفقة الرياء ووجه الشبه هو حصول خيبة ويأس فى وقت تمام الرجاء واشراف الانتاج .

فهذا يقابل قوله : (مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ... الآية) (١)

وقد صدرت الآية بقوله : (أيود أحدكم) وهو استفهام انكارى وتحذير من شأنه أن يشير انتباه الذين يعملون الخيرات والصالحات وينفقون النفقات الكثيرة ثم يضمون الى ذلك أعمالاً طالحة سيئة من شأنها أن تحبط تلك الأعمال الحسنة الطيبة ثم اذا جاء يوم القيامة وكانوا فى أشد الحاجة الى أعمالهم الصالحة لم يجدوا شيئاً .

يقول الرازى : (الهمزة فى أيود استفهام لأجل الانكار ، وانما قال : أيود ولم يقل أيريد لأن المودة هى المحبة التامة ، ومعلوم أن محبة كل أحد لعدم هذه الحالة محبة كاملة تامة ، فلما كان الحاصل هو مودة عدم هذه الحال ذكر اللفظ فى جانب الثبوت فقال : (أيود أحدكم) حصول مثل هذه الحالة تنبيهها على الانكار التام والنفرة البالغة الى الحد الذى لامرتبة فوقه) (٢)

ولقد صور الله عز وجل حالتهم تلك بمن يملك جنة كثيرة الأشجار متنوعة الثمار فيها النخيل وفيها الأعناب ، تجرى تحت أشجارها الأنهار ثم وصل الى حالة الكبر والعجز عن تعاطى الأسباب وله مع ذلك ذرية ضعفاء ومن جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة فى غاية الشدة ان أصاب هذه الجنة شيء أهلكتها .

وهو مع شدة حاجته الى جنته تلك المترعرة الجميلة الغناء الثرية فجأة أصابها ريح شديدة قلعت أشجارها ونباتاتها وصارت أعوادها يابسة جافة ومن ثم فاجأته الخيبة فى حين رجاء المنفعة ، هذا التصوير البارع

(١) تفسير التحرير والتنوير (٥٤/٣) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٣٣٧/٢) .

وهذا التمثيل الكامل البديع المصدر بذلك الاستفهام الذى يملأ الحس والشعور والعقل ، يكون أشد وقعاً وأقوى تأثيراً على النفس الانسانية مما لو جاء بأسلوب الخبر ، فله در كلامه الحكيم وقرآنه العظيم المختص بتصريف البيان ، وسوق العظة والعبرة بما هو أوقع فى النفس وأرضى للعقل وأشبع للقلب ، ويجعل الانسان يفكر ويتدبر امره وعمله ، ومن هنا جاء ختم الآية الكريمة بقوله : (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أى كهذا البيان الذى فيه تقريب المعقول بالمحسوس بين الله نصحا لكم رجاء تفكيركم فى العواقب حتى لا تكونوا على غفلة (١) .

ومما يقرب مفهوم الآية الكريمة ويبين وجه الشبه الذى تهدف اليه الآية الكريمة ما رواه الامام البخارى عن ابن عباس : أن عمر بن الخطاب سأل يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت : (أيسود أحدكم أن تكون له جنة) الآية . فقال بعضهم (الله أعلم) فغضب عمر وقال : (قولوا نعلم أو لانعلم) فقال ابن عباس : (فى نفس منها شيء يا أمير المؤمنين) قال عمر : يا ابن أختي قلولا تحقر نفسك) قال ابن عباس : " ضربت مثلاً لعمل " قال عمر : " أى عمل " قال ابن عباس لعمل " قال عمر : لرجل غنى يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله عز وجل له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق عمله (٢) .

...

(١) تفسير التحرير والتنوير (٥٥/٣) .

(٢) صحيح البخارى (٣٩/٦) كتاب التفسير ، باب قوله أيسود أحدكم ...

رابعاً: أسلوب الاستفهام فى آيات النبات فى بيان سجود النبات لله عز وجل وموقف النبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته معه صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبـال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) (١) .

ابتداً الله سبحانه وتعالى الآية بالاستفهام الانكارى على المخاطبين فى عدم علمهم بسجود المخلوقات لله عز وجل وفى هذا دلالة وحدانيته وتفردة بالالوهية والعبادة والربوبية بدلالة احوال المخلوقات الخاضعة لقدرة الله عز وجل وتدبيره ، وفى هذا الاستفهام الانكارى تقريرهم بوجود الله عز وجل وعبادته . قال الرازى : الرؤى هنا العلم : أى ألم تعلم ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض وانما عرف ذلك بخبر الله لا أنه رآه (٢) .
أقوال المفسرين :

١- المقصود من السجود فى الآية بالنسبة لكل المخلوقات ماءً اذا الانسان ليس على حقيقته وانما مجازى كما قال فى ذلك الطاهر بن عاشور: ومعنى سجود غير الانسان لله عز وجل أن الله عز وجل جعل فى تفكيرها الالهامى التذاذها بوجودها وبما هي فيه من المرح والاكل والشرب وتطلب الدفع عن نفسها من المتغلب ومن العوارض بالمدافعة او بالتوقى ونحو ذلك من الملائمات لها وانما تيسيرها لها ممن فطرها، وقد تصحىب احوال تنعمها حركات تشبه ايماء الشاكر المقارب للسجود ولعل من حركاتها ما لا يشعر به الناس لخفائه وجهلهم بأوقاته واطلاق السجود على هذا مجاز (٣) .

(١) سورة الحج: آية (١٨) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٥١/٦) .

(٣) التحرير والتنوير - ابن عاشور (١٧٠/١٤) .

٢- وقال الرازي : وفي السجود في الآية وجوه :

- ١- أحدها : قال الزجاج أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى وهو كقوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا : أتينا طائعين) (١) .
والمعنى : أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراف التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود .
- ٢- ثانيها : ان هذه المخلوقات ساجدة لله تعالى : أي خاضعة متذلة معترقة بالفاقة اليه والحاجة الى تخليقه وتكوينه ، وعلى هذا تأولوا قوله (وان من شيء الا يسبح بحمده) (٢) .
- ٣- ثالثها : ان سجود هذه الاشياء سجود ظلها كقوله تعالى (يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم دآخرون) (٣) (٤) .

والسجود هو الهوى الى الأرض بقصد الخضوع فقد اختص الله به على الاطلاق ، وقد أطلق في الآية ليستعمل في حقيقته لكل المخلوقات فالسجود المثبت في الآية لكثير من الناس هو السجود الحقيقي وذلك لانه لا يتأتى الا من المؤمنين فهم الذين يسجدون لله عز وجل فاشبتت في الآية لكثيرهم لا لكلهم .

أما الموجودات غير الانسانية فهي كلها تسجد لله عز وجل طوعا وخضوعا لا يتأخر منها شيئا ولا يابى منها شيئا ، كما ورد في صحيح مسلم عن سجود الشمس رواية مطولة عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ،

(١) سورة فصلت : آية (١١) .
(٢) سورة الاسراء : آية (٤٤) .
(٣) سورة النحل : آية (٤٨) .
(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٥٢/٦) .

ولاتزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعى (١) لذلك لا أوافق من قال أن سجود غير الانسان لله عز وجل مجازى ، وانما هو حقيقى لكل المخلوقات .

لذلك لم يخص الله منها شىء ويترك آخر فقد شملها الله سبحانه وتعالى كلها فى الآيه من فى السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والدواب والشجر ، وسجود الانسان عبودية لله عز وجل وطاعة له وتنفيذ شرعه وخضوعا لأمره ، ولما فى ذلك اعراض من كثير من الناس عن السجود لله تعالى عبودية ، والابتعاد عن عبادته لعبادة غيره وسجودهم لهم قال تعالى : (وكثير حق عليه العذاب) وفى هذه الآيه دلالة على خضوع النباتات وطاعته لله عز وجل ، ولم ترد آيه فى القرآن فيها تصريح بسجود النباتات لله عز وجل غير هذه الآيه وآيه سورة الرحمن قوله تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) (٢) وبقيّة الآيات أتى سجود النبات لله عز وجل فيها ضمنا ، ومنه أيضا تسبيحه لله عز وجل بدليل قوله تعالى : (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) (٣) وسجود النبات وتسبيحه كله يتم بطريقة وكيفية جعلها الله سبحانه وتعالى فيه وخلقها بحيث تخفى على البشر ، ولا يفهمها البشر لذلك قال : (لاتفقهون تسبيحهم) وعلى هذا يكون سجود المخلوقات لله عز وجل كلها وهيهنا النبات سجود حقيقى ولكن بطريقة وكيفية لا يعلمها الا الله عز وجل وليس الانسان .

ومما يدل على تسبيح النبات وذكره لله وسجوده له عز وجل ، صياح النخلة أو الشجرة وبكائها التى كان يخطب الرسول صلى الله عليه وسلم عندها ، عندما تحول الى المنبر ، وذلك مما كانت تسمعه من الذكر والدعاء وهذا ما رواه البخارى فى الصحيح ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال : ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبى صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح مسلم (١٣٨/١) كتاب الايمان ، باب بيان الزمن ، صحيح

البخارى (١٥٣/٩) التوحيد ، باب وكان عرشه .

(٢) سورة الرحمن : آية (٦) .

(٣) سورة الاسراء : آية (٤٤) .

فضمها اليه تثن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع
من الذكر عندها (١) (٠٠٠٠) .

وفى مسند الحميدى : عن أبي عبيدة قال : قال لى مسروق : أخبرنى
أبوك أن شجرة أنذرت النبى صلى الله عليه وسلم بالجن (٢) .

وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم مع النبات والشجر وموقف النبات
معه صلى الله عليه وسلم ومنها ماورد فى هذا المقام ، جاء فى صحيح مسلم عن
جابر بن عبدالله قال : (سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا
واديأ أفيح (٣) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته
بأداوة من ماء ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتسر
به ، فاذا شجرتان بشاطيء الوادى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
احدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : (انقادى على باذن الله) فانقادت
معه كالبعير المخشوش (٤) ، الذى يمانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى . فأخذ
بغصن من أغصانها فقال : (انقادى على باذن الله) فانقادت معه كذلك حتى
إذا كان بالمنصف (٥) مما بينهما لأم بينهما (يعنى جمعهما) فقال (التعما
على باذن الله) فالتأمتا . قال جابر : فخرجت أحضر (٦) مخافة أن يحس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقربى فيبتعد فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة (٧)
فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا وإذا الشجرتان قد افتترقتا ،
فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
وقفة (٨) .

-
- (١) صحيح البخارى (٢٣٧/٤) بدء الخلق ، باب علامات النبوة .
 - (٢) مسند الحميدى (٦٧/١) . أخرجه البخارى من طريق هعن بن عبدالرحمن
عن أبيه عن مسروق . انظر الهامش ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى .
 - (٣) افيح : واسعا .
 - (٤) المخشوش : هو الذى يجعل فى انفه خشاش وهو عود يجعل فى انف البعير
إذا كان معبا ويشتد فيه حبل ليذل وينقاد .
 - (٥) المنصف : نصف المسافة .
 - (٦) احضر : اغدو واسعى سعيا شديدا .
 - (٧) لفتة : أى نظرة الى جنب . انظر فى المعانى هامش صحيح مسلم
(٢٣٠٦ - ٢٣٠٧) .
 - (٨) صحيح مسلم (٢٣٠٦/٤) كتاب الزهد ، باب حديث جابر الطويل .

ومن معجزاته ايضا صلى الله عليه وسلم مع النبات تسليم الشجر عليه
 جاء فى سنن الترمذى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : (كنت مع
 النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبلنا
 جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله) (١) ومنه شهادة الشجر
 على نبوته صلى الله عليه وسلم : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاقبل اعرابى فلما دنا قال له النبى
 صلى الله عليه وسلم اين تريد قال: الى أهلى قال: هل لك فى خير ؟ قال وما هو؟
 قال: تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله)
 قال: من شاهد على مات قول . . ؟ قال: (هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهى بشاطيء الوادى (٢) فأقبلت تخد الارض خذا (٣) حتى جاءت
 بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال: ثم رجعت الى منبتها ورجع
 الأعرابى الى قومه وقال يا رسول الله ان يتبعونني آتيك بهم والارجع
 اليك فكنت معك (٤) .

والى هنا يكون نهاية المطاف مع النبات والاستفهام وآيات الله عز وجل

وآحادىث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) سنن الترمذى (٢٥٣/٥) المناقب قال هذا حديث حسن غريب . قال الهيثمى
 فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى فى الاوسط والتابعى أبوعمارة الجوانى
 لم اعرفه وبقيّة رجاله ثقات (٢٦٢-٢٦٣) .
- (٢) شاطيء : جانب وطرف . انظر المصباح المنير (٣١٣) .
- (٣) خدا : اى تضرب الارض ضربا فتشقها . انظر لسان العرب (٧٩٦/١) .
- (٤) مجمع الزوائد/ الهيثمى (٢٩٥/٨) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال
 الصحيح ، ورواه ابويعلى ايضا والبزار .
- قلت: واخرجها الترمذى فى السنن (٢٥٤/٥) عن ابن عباس بلفظ (هذا العذق
 من هذه النخلة) وقال حديث حسن غريب صحيح . كتاب المناقب ، باب
 ما جاء فى آيات النبوه .

المبحث الخامسأغراض الاستفهام وأهدافه

ان الغرض من الاستفهام كما مر معنا سابقا فى الآيات ليس طلب الفهم والاستخبار عن أشياء لم تكن موجودة فى الأنهان أو فى الوجود ، لان السائل هو الله عز وجل والله عز وجل لا يستفهم عباده عن شىء فهو الخالق لهم ولهذا الوجود ، وانما اراد عز وجل من هذا الاستفهام لعباده هو تقريرهم على أمور موجودة وهم ينكرونها والاعتراف منهم بها ، وهى وحدانيته عز وجل ، وقدرته وعظمته وفيه توبيخا لهم على أفعالهم وتصرفاتهم وانحرافاتهم وانكارا لأقوالهم واعراضهم عن شرع الله وتبكيها وتحقيرا لهم وفى هذا كله بيان لمظاهر قدرة الله عز وجل .

المبحث السادس

آثر الاستفهام بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه

من جميع النماذج التى قدمتها لمجىء النبات فى سياق الاستفهام فى نصوص القرآن الكريم نستفيد ما يأتى :

- ١- أن الاستفهام يكون أوقع فى النفس وأشد تنبيها للعقل الساهى والغافل ، وإيقاظا للنفس الخبيثة ، وإشارة للمشاعر والاحاسيس المتبلدة واحياء للقلوب الميتة .
 - ٢- أن النبات صور الله تعالى به كثيرا من القضايا الهامة الأساسية كقضية قدرة الله تعالى ووحدانيته وواسع علمه وكقضية الترغيب فى الآخرة والتنفير من الانغماس فى الدنيا وكقضية الترغيب فى الاخلاص والبعد عن الرياء فى الصدقة ، وعدم اتباعها بشيء من السيئات مما يحبط ثوابها .
 - ٣ - أن النبات جاء فى آيات القرآن الكريم فى سياق الاستفهام ولم يتوجه الاستفهام الى نوع من النبات مباشرة وكذلك الأحاديث .
- وجاء فى البرهان للزركشى قوله : قال بعض الأئمة ما جاء على لفظ الاستفهام فى القرآن فانما يقع فى خطاب الله تعالى على معنى ان المخاطب عنده علم ذلك الاثبات أو النفي حاصل ، فيستفهم عنه ، نفسه تخيره به ، اذ قد وضعه الله عندها فالاثبات كقوله تعالى : (ومن أصدق من الله حديثا) (١) والنفي كقوله تعالى : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٢) (فهل أنتم مسلمون) (٣) .

(١) سورة النساء : آية (٨٧) .
 (٢) سورة الدهر : آية (١) .
 (٣) سورة هود : آية (١٤) .

ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهتكم
أنفسكم عنه ، فان الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وانما يستفهمهم
ليقررهم ويذكرهم انهم قد علموا حق ذلك الشيء فهذا أسلوب يديع انفراد به
خطاب القرآن وهو فى كلام البشر مختلف (١) .

...

(١) البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى (٢/٣٢٧) .

الفصل الخامس

”أسلوب القسم بالنبات - وأثره في النفس“

ويتأبون من تمهيد ومباحث :-

١. تمهيد : استعمال لعرب للقسم .
٢. البحث الثاني : أقسام القسم وأنواعه .
٣. البحث الثالث : أركان القسم .
٤. البحث الرابع : أسلوب قسم بالنبات في القرآن الكريم وأثره في النفس .
٥. البحث الخامس : أغراض القسم وأهدافه .
٦. البحث السادس : أثر القسم بالنبات في النفس البشرية وأسبابه .

تمهيد : استعمال العرب للقسم :

ان القرآن الكريم نزل بلغة العرب موافقا لأساليبهم فى الكلام حيث كانوا موصوفين بالبلاغة ، وذلك ليعجزهم بلفظ القرآن ويتأثرون به حتى يؤمنوا بمنزل هذا الاعجاز العظيم ، وكان من تلك الأساليب القسم الذى كان يستعمله العرب فى توكيد أخبارهم وأقوالهم وتَعْظِيمَ لشيء وتفخيما له أو لفت انتباه الغافلين الى موضوع معين ، وقد عرف العرب أحوال القسم واغراضه ومراميه فاستعملوه لاثبات الحقوق وقد نهج القرآن العظيم هذا النهج العربى فى الكلمة واللفظ ، فلجأ الى القسم فى توكيد الأخبار والأحكام وقيل أن أعرف آيات القسم فى القرآن الكريم بالنبات أعرف القسم أولا وأذكر أقسامه .

المبحث الأول

معنى القسم

القسم فى اللغة : هو اليمين والحلف .

قال فى لسان العرب : والقسم بالتحريك : اليمين ، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه : حلف له ، وتقاسم القوم : تحالفوا ، وأقسمت حلفت واليمين الحلف والقسم (١) .

وقال فى المصباح المنير : والقسم : بفتحيتين اسم من (أقسم) بالله (أقساما) اذا حلفو (القسامة) بالفتح الايمان ، ويمين الحلف (٢) ، وعلى هذا فالقسم فى اللغة واليمين والحلف بمعنى واحد ، وقد أتى القسم بهذه المعانى المترادفة فى القرآن :

- ١- أتى القسم فى القرآن بلفظ القسم فقال تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (٣) .
- ٢- وأتى القسم بلفظ الحلف فى القرآن فقال تعالى : (يحلفون بالله) (٤) ، (ويحلفون بالله انهم لمنكم) (٥) ، (فيحلفون له كما يحلفون لكم) (٦) .
- ٣- أتى القسم بلفظ اليمين ومنه قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) (٧) .

والظاهر من الآيات أن القسم واليمين والحلف بمعنى كما فى اللغة الا أن هناك فروق بسيطة بين ذلك فرق بينهم القرآن بطريق دقيق خفى ، وهى أنه سبحانه وتعالى لم يسند حلف أو يمين الى ذاته او الى اسم من أسماءه

-
- (١) لسان العرب - ابن منظور (١٠١٨-٨٨/٣) .
 - (٢) المصباح المنير / الفيومى (٦٨٢-٥٠٣) ملخثار الصحاح مادة " قسم " .
 - (٣) سورة الواقعة : آية (٧٥ - ٧٦) .
 - (٤) سورة التوبة : آية (٦٢) .
 - (٥) سورة التوبة : آية (٥٦) .
 - (٦) سورة المجادلة : آية (١٨) .
 - (٧) سورة النحل: آية (٣٨) ، سورة الأنعام: آية (١٠٩) .

- أو مخلوق من مخلوقاته ، وانما أسند ذلك الى الخلق بينما أسند القسم الى ذاته عز وجل والى خلقه .
- ١ - فمن ذلك قوله فى اسناد الحلف الى البشر (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) (١) .
- وقال تعالى : (ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احساننا وتوفيقا) (٢) .
- ٢ - اسناد اليمين الى البشر فقال تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة) (٣) .
- وقال تعالى : (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا وتتقوا) (٤) .
- ٣ - اسناد القسم الى الله عز وجل قوله تعالى : (فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون) (٥) وقال تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة) (٦) .
- ٤ - اسناد القسم الى البشر قال تعالى : (فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشترى به ثمنا) (٧) .
- والمقصود من المفهوم اللغوى فى ترادف المعنى من القسم واليمين والحلف هو تأكيد الكلام أو القول بذكر الله عز وجل وهو المقسوم به فالقسم يكون بالله والحلف بالله واليمين بالله وهذا معروف بقولنا: حلف بالله وأقسمت بالله ، ويمين الله لأفعل ، وانما كانت اليمين بمعنى القسم،

-
- (١) سورة التوبة : آية (٦٢) .
(٢) سورة النساء : آية (٦٢) .
(٣) سورة آل عمران : آية (٧٧) .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٢٤) .
(٥) سورة المعارج : آية (٤٠) .
(٦) سورة القيامة : آية (٢-١) .
(٧) سورة المائدة : آية (١٠٦) .

وذلك لأن الأصل فيها انهم كانوا اذا تحالفوا ضرب كل امرئ يمينه على يمين صاحبه ، وعلى هذا كانت دلالة (اليمين) على الحلف والقسم ومنه الأثر (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) أى يجب عليك أن تحلف له على ما يصدقك به اذا حلفت له (١) فهذا ترادف المعني في اللغة .

أما تفرقة القرآن فقد أتت على أساس قائل القسم أو اليمين أو الحلف ، فقد أتى ذلك في القرآن كما ذكرت أن الحلف أو اليمين أتى من البشر فقط ، وذلك لأن الحلف واليمين يكون معه النكث والنقض والحنث والرجوع فيه لما يدخله من العهد والميثاق ، فتنقض وهذا لا يكون الا من جانب البشر ، كما قال تعالى : (ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) (٢) وقال تعالى : (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) (٣) من أجل هذا أسند الحلف واليمين الى البشر والحلف واليمين يأتى من الانسان على المهم والتافه واندرج عليه لسانه وقد قال تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) (٤) . وقال تعالى (ولاتجعلوا الله عرضة لايمنكم) (٥) كذلك أمرنا القرآن بحفظها (واحفظوا أيمانكم) (٦) ثم من أراد أن يحنث في يمينه جعل له كفارة ليخرج من الاثم في الحنث (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم) (٧) . وربما أقسم انسان وهو كاذب كما قال تعالى (ولاتطع كل حلاف مهين) (٨) .

-
- (١) انظر : من أساليب القرآن / د. ابراهيم السامرائى (٤٧-٤٨) ط (١) ١٤٠٣ هـ
(٢) سورة النحل: آية (٩١) .
(٣) سورة التوبة: آية (١٢) .
(٤) سورة المائدة: آية (٨٩) .
(٥) سورة البقرة آية (٢٢٤) .
(٦) سورة المائدة آية (٨٩) .
(٧) سورة المائدة: آية (٨٩) .
(٨) سورة القلم: آية (١٠) .

أما القسم فيكون فيه من القوة والوضوح والتأكيد للخبر أكثر وصدقه يكون أعظم وأبلغ من الحلف واليمين : كما قال تعالى (وانه لقسم لـو تعلمون عظيم) (١) ويكون في أمور عظيمة (فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون) (٢) . فعلى هذا يكون القسم كما ذكره النحويون يقصد به توكيد الخبر (٣) وتحقيقه وصدقه يكون قسما بالله عز وجل من الانسان ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان حالفا فلا يحلف الا بالله) (٤) وفي رواية أخرى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك) (٥) .

وقال في ذلك أبو القاسم القشيري : ان الله ذكر القسم لكمـال الحجة وتأكيدا ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين ، اما بالشهادة ، واما بالقسم فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة (٦) .

...

-
- (١) سورة الواقعة : آية (٧٦) .
(٢) سورة الحاقة : آية (٣٨ - ٣٩) .
(٣) انظر : - المساعد على تسهيل الفوائد / ابن عقيل (٣٠٢/٢) تحقيقــــــــــــــــق
د . محمد بركات (ط ١) ١٤٠٢ هـ .
- البرهان في علوم القرآن (٤٠/٣) ،
- الاتقان / السيوطي (١٣٣/٢) .
(٤) صحيح مسلم (١٢٦٧/٣) الايمان . باب النهي عن الحلف .
(٥) صحيح مسلم (١٢٧٤/٣) الايمان . باب يمين الحالف .
(٦) البرهان في علوم القرآن (٤١/٣) ، الاتقان / السيوطي (١٣٣/٢) .

المبحث الثاني

أقسام القسم وأنواعه

قال ابن القيم في القسم: وهو سبحانه لا يقسم بأمر على أمور وانما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته ، وآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، واقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته (١) .

ومن كلام ابن القيم يتضح لنا أنواع وأقسام القسم وهي على نوعين:

القسم بالله ، والقسم بغير الله .

النوع الأول : القسم بالله : ومنه :

١- القسم بذات الله عز وجل ومنها قوله تعالى (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من سهادتهما) (٢) .

٢- القسم باسم من أسماء الله وصفاته (فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون) (٣) .

النوع الثاني : القسم بغير الله عز وجل :

وهذا لا يكون من جانب الخلق أبدا لما فيه من الكفر والشرك بالله عز وجل وانما هو من جانب الله عز وجل ولله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وليس للمخلوقات أن تقسم بغير الله .

أما الأمور التي أقسم بها الله عز وجل فهي على نوعين :

أولا : آيات الله عز وجل المستلزمة لذاته وصفاته :

١- القسم بآيات الله الدالة على صفاته فقال تعالى (وفي السماء رزقكم وماتعدون . ف ورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٤)

(١) التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم (١/٤٥) تحقيق محمد النجار،

مؤسسة السعدييه / الرياض . ، التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم تحقيق محمد الفقى ، ١٤٠٢ هـ ، دار المعرفة ، لبنان .

(٢) سورة المائدة : آية (١٠٧) .

(٣) سورة المعارج: آية (٤٠) .

(٤) سورة الذاريات: آية (٢٢-٢٣) .

٢ - القسم بآيات الله الدالة على ذاته قال تعالى : (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) (١) (قل أى ربى إنه لحق) (٢) .

ثانياً : أقسم الله سبحانه وتعالى بآياته الكونية ومخلوقاته فقال تعالى : (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) (٣) وقال تعالى : (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق) (٤) .

ثالثاً : أقسم الله سبحانه وتعالى فى آية واحدة برسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لبيان عظمته عند الله عز وجل ومكانته وهى قوله تعالى : (لعمر ك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) (٥) (٦) .

...

-
- (١) سورة التغابن : آية (٧) .
 - (٢) سورة يونس : آية (٥٢) .
 - (٣) سورة التكويد : آية (١٥ - ١٦) .
 - (٤) سورة الانشقاق : آية (١٦ - ١٧) .
 - (٥) سورة الحجر : آية (٧٢) .
 - (٦) انظر اعراب القرآن ، للزجاج/ تحقيق ابراهيم الابيارى (٩٥٩/٣) .

المبحث الثالث

أركان القسم

للقسم أركان يتم بها أسلوب القسم وهي :

- ١ - المقسم (أي المتكلم بالقسم) .
- ٢ - المقسم به .
- ٣ - المقسم عليه .
- ٤ - أداة القسم .

أولاً: المقسم : أي المتكلم بالقسم هو الله سبحانه وتعالى وعباده وهو بأن يقسم المتكلم على نفسه بأحسن قسم وواضحه والزمه للذمة والعهد ويعلق وقوعه بشرط مشروط من أفعاله واهتمامه ودعواه (١) .

ثانياً: المقسم به : هو ذات الله سبحانه وتعالى أو اسم من أسمائه أوصفة من صفاته ، فالخلق ليس لهم الا القسم بالله عز وجل دون غيره كما ذكرت سابقا ، أما الله عز وجل فله القسم بما شاء بذاته أو صفاته أو أفعاله أو مخلوقاته .

- ١- وقد أقسم الله عز وجل بذاته فقال تعالى : (وتالله لاكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) (٢) .
- ٢- وأقسم بصفاته وأسمائه فقال تعالى (فو رب السماء والارض) (٣) (فوربك لنسألنهم أجمعين) (٤) .
- ٣ - وأقسم بفعله : (والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها) (٥) .

(١) شرح الكافية البديعية ، صفي الدين الحلبي (١٢٤) .

(٢) سورة الانبياء : آية (٥٧) .

(٣) سورة الذاريات : آية (٢٣) .

(٤) سورة الحجر: آية (٩٢) .

(٥) سورة الشمس : آية (٥-٧) .

٤ - وأقسم بمفعوله نحو : (والنجم اذا هوى) (١) (والطور وكتـاب مسطور) (٢) .

والقسم بالله عز وجل لتعظيمه وتقديسه ، أما القسم بمخلوقاته التى أقسم بها سبحانه وتعالى . فالمراد بالقسم بها هو بيان أهميتها مثل القسم بالقرآن (يس والقرآن الحكيم) (٣) .

أو بيان دورها والهدف منها مثال (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) (٤) .

أو بيان آثارها ومنفعتها وفضيلتها نحو (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) (٥) .

وقد قال أبو القاسم القشيري فى (كنز اليواقيت) : والقسم بالشئ لا يخرج عن وجهين : اما لفضيلة أو لمنفعة ، فالفضيلة كقوله تعالى : (وطور سنين وهذا البلد الأمين) والمنفعة نحو : (والتين والزيتون) (٦) .

ثالثا : أما المقسم عليه : فهو الأمر الذى يقسم عليه المقسم ليثبته ويؤكدده ويحققه . وقد قال فيه ابن القيم :

(فالقسم ، اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى : (فوب السماء والأرض انه لحق) (٧) واما على جملة طلبية : (فوبك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (٨) .

-
- (١) سورة النجم : آية (١) .
 (٢) سورة الطور : آية (١ - ٢) .
 (٣) سورة يس : آية (١-٢) .
 (٤) سورة الشمس : آية (١-٤) .
 (٥) سورة التين : آية (١-٣) .
 (٦) انظر البرهان فى علوم القرآن ، الزركشي (٣/٤٢) .
 - الاتقان فى علوم القرآن ، السيوطى (٢/١٣٤) .
 (٧) الذاريات : آية (٢٣) .
 (٨) سورة الحجر : آية (٩٢ - ٩٣) .

والمقسم عليه يراد بالقسم ،توكيده ،وتحقيقه ،فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية ، اذا أقسم على ثبوتها ،فأما الأمور الظاهرة المشهورة ،كالشمس والقمر ،والليل والنهار ،والسماء والأرض ،فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها ،والله سبحانه وتعالى أقسم فى آياته على أصول الايمان التى يجب على الخلق معرفتها ،فتارة يقسم على التوحيد ،وتارة يقسم على أن القرآن حق ،وتارة على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ،وتارة على حال الانسان .

رابعا : أما حروف القسم واداة القسم فهى :

- ١ - منها الواو مثل قوله تعالى : (والمرسلات عرفا ،فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا ،فالفارقات فرقا ،فالملقىات ذكرا) (١) .
وقال الزركشى : أكثر الاقسام المحذوفة الفعل فى القرآن لاتكون الا بالواو ، فاذا أتت الباء أتى بالفعل ،كقوله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم) (٢) (ويحلفون بالله) (٣) ولاتجىء الباء والفعل محذوف الا قليلا (٤) .
 - ٢ - ومنها (اللام) مثل قوله تعالى : (لأقطعن أيديكم) (٥) (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (٦) (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم) (٧) (والتقدير : (الله لأقطعن) (والله لقد كان) (والله لنبلونكم)
 - ٣ - منها وجود التوكيد فى الفعل ومنها قوله تعالى : (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) (٨) .
- وهذه الحروف تكون أحيانا مع حذف الفعل ، وأحيانا تجمع فى الكلمة مثال قوله تعالى : (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) (٩) .

-
- (١) سورة المرسلات : آية (١ - ٥) .
 - (٢) سورة النور : آية (٥٣) .
 - (٣) سورة التوبة : آية (٥٦) .
 - (٤) البرهان فى علوم القرآن (٤٣/٣) . وانظر الاتقان فى علوم القرآن (١٣٤/٢) ، مغنى اللبيب ، ابن هشام (٨٤٦/٢) .
 - (٥) سورة الشعراء : آية (٤٩) .
 - (٦) سورة الاحزاب : آية (٢١) .
 - (٧) سورة محمد : آية (٣١) .
 - (٨) سورة النحل : آية (٤١) .
 - (٩) سورة طه : آية (٧١) .

وأحيانا تكون مفردة مثال قوله تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة) (١)
لذلك يقدر فيها القسم كما ذهب الى ذلك النحويون والمفسرون فى تقدير
فعل (قسم) ، اذا كان فى الكلام ما يشير الى لوازم القسم من الواو والسلام
ووجود التوكيد فى الفعل ، أو (لئن) التى تسمى باللام (الموطئه)
للقسم .

وقد يجتمع القسم بالموكيدات فى الجملة ومنه قوله تعالى:—
(تالله لتسألن عما كنتم تفترون) (٢) .

(قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله) (٣) (ويحلفون بالله انهم
لمنكم) (٤) .

وقال فى ذلك الدكتور السامرائى : وكان النحويون على حق حين
قرنوا القسم بالتوكيد ، وذلك لان القسم يقتضى أن يكون فى الكلام نمط
من القوة يئودى بالتوكيد فى أساليبه المختلفة ، كأن يلحق القسم جملة
مصدرة ب (أن) مثلا كقوله تعالى : (قالوا تالله انك لفى ضلالك
القديم) (٥) (٦) .

وبعد هذا العرض المختصر الشامل للقسم نجد أن القسم يكون على
قسمين أساسيين وهما :

١ - مظهر .

٢ - مضمَر .

١- القسم المظهر وقد أشبعت الكلام عنه وهو ما صرح فيه بلفظ القسم
ومنه قوله تعالى : (فلأوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (٧)

(١) سورة القيامة : آية (١) .

(٢) سورة النحل: آية (٥٦) .

(٣) سورة النمل : آية (٤٩) .

(٤) سورة التوبة : آية (٥٦) .

(٥) سورة يوسف: آية (٩٥) .

(٦) من أساليب القرآن : د. ابراهيم السامرائى (٥٦) وانظر معنى اللبيب

ابن هشام (٨٤٦/٢) .

(٧) سورة النساء: آية (٦٥) .

وقوله تعالى : (قال تالله ان كدت لتردين) (١) .
وقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن
بها) (٢) .

٢ - القسم المضمّر : وهو على قسمين :

أ - مادلت عليه لوازم القسم مثل اللام (لتبلون فى أموالكم
وأنفسكم) (٣) .

ب - مادل عليه المعنى مثل قوله تعالى : (وان منكم الا واردها)
(٤) (٥)

وبعد استعراض القسم وأنواعه اتجه بالقسم الى أقسام اللـ

سبحانه وتعالى بالنبات فى القرآن الكريم .

...

-
- (١) سورة الصافات : آية (٥٦) .
 - (٢) سورة الأنعام : آية (١٠٩) .
 - (٣) سورة آل عمران : آية (١٨٦) .
 - (٤) سورة مريم : آية (٧١) .
 - (٥) انظر المساعد على تسهيل الفوائد / ابن عقيل (٢٠٢/٢) تحقيق د. محمد
بركات ط ١ (١٤٠٢هـ) .

المبحث الرابع

أسلوب القسم بالنبات في القرآن الكريم وأثره في النفس

وبعد التقصي لآيات النبات في القرآن تبين لى أن الله عز وجل قد أقسم بالنبات ، ولكن وجدت أن القسم بالنبات بايذاء الأشياء الأخرى التي أقسم الله بها قليلة ، وبعد الاستقراء المتأنى لآيات القسم في القرآن الكريم لم أجد القسم بالنبات الا في موضعين : (١)

الاول: القسم الصريح في قوله تعالى (والتين والزيتون ٥٠) والموضع الثاني جاء النبات في أسلوب القسم كقسم عليه ، وسوف أتناول هذين الموضوعين بالدراسة والتوضيح .

أولا : قال تعالى : (والتين والزيتون) :

لم يجتمع في القرآن التين والزيتون معا في موضع واحد وآية واحدة الا في هذا الموضع من القرآن ، ولم يأت القسم بهما الا في هذا الموضع من القرآن ، والتين والزيتون ، اللذين أقسم بهما الله في هذا الموضع هما الفاكهتين المعروفتين لدى الناس ، وهو ظاهر الآية ، أن القسم بهما ، ولكن هناك اختلاف وأقوال على انهما غير التين والزيتون وانما هما المقصود بهما هو اقسام ببقاع شريفة مباركة وذلك لما عطف بعدهما من الاماكن وهي (وطور سنين ، وهذا البلد الأمين) . فالطور هو الجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام فمن الاقوال في ذلك ماجاء في تفسير الرازي :

- ١- قال ابن عباس : هما جبلان من الارض المقدسة يقال بالسريانييـا طورزيتنا ، وطور زيتا ، لانهما منبتا التين والزيتون .
- ٢- المراد بالتين والزيتون مسجدان ثم قال: ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس ، وعن ابن عباس التين مسجد نوح المبني

(١) سورة التين (١) .

(٢) سورة التين (٢ - ٣) .

(١)
على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس .

٣ - المراد من التين والزيتون بلدان ، فقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس (٢) .

٤ - ان المراد من التين والزيتون هما الثمرتان المعروفتان ----- ابن عباس قال : أقسم الله بالتين تينكم هذا والزيتون زيتونكم هذا (٢) ، وفسرها بذلك أيضا مجاهد والحسن وعكرمة والنخعي وعطاء وجابر ومقاتل والكلبي (٤) .

مذاهب القائلين بهذه الاقوال فى القسم كما ذكره الفخر الرازى :

١- من قال انها جبلان بالسريانية ، لانهما منبتا الزيتون والتين فكانه تعالى أقسم بمنابت الانبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام ، والزيتون الشام مبعث أكثر انبياء بنى اسرائيل والطور مبعث موسى عليه السلام والبلد الامين مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون المراد من القسم فى الحقيقة تعظيم الأنبياء واعلاء درجاتهم .

٢ - رأى القائل أنهما مسجدان ذهبوا اليه لأن القسم بالمسجد أحسن لأنه موضع العبادة والطاعة ، فلما كانت هذه المساجد فى هذه المواضع التى يكثر فيها التين والزيتون لاجرم اكتفى بذكر التين والزيتون،

٣ - رأى القائل بأنهما البلدان ، ذهبوا اليه لان اليهود والنصارى والمسلمين ومشركي قريش كل واحد منهم يعظم بلده من هذه البلاد، فالله تعالى أقسم بهذه البلاد بأسرها أو يقال ان دمشق وبيت المقدس فيهما نعم الدنيا ، والطور ومكة فيهما نعم الدين (٥) .

(١) الجودى : هو اسم جبل بين الموصل والجزيرة العربية وهى (آمد) ، وقيل بالجزيرة العربية وهو فى نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة ، وهو يتصل بجبال أرمينية .

انظر فى ذلك :

- (١) لسان العرب (٥٣٠/١) .
(٢) قصص الأنبياء / النجار (٣٧) .
(٣) المفردات فى غريب القرآن / الاصفهاني (١٠٢) .
(٢) تفسير الفخر الرازى (٤٣٢/٨) .
(٣) تنوير المقياس فى تفسير ابن عباس (٢٢٢/٨) .
(٤) انظر تفسير القرطبي (٧٢٠٠/٨) والدر المنثور/السيوطى (٣٦٦/٨) .
(٥) تفسير الفخر الرازى (٤٣٢/٨) .

وقد اتفق بعض المفسرون على أنهما الشجرتين المعروفتين منهما —
القرطبي والزمخشري وغيرهم ومنهم من يرى أنهما مكانهما وهما الطبرى
والفراء والألوس وغيرهم .

والراجع من هذا هو ظاهر نص الآية وهو القسم بالتين والزيتون
أولاً: لأنه الحقيقة فلا يعدل عن الحقيقة الى التأويل .
أما ثانياً : أراد الله سبحانه وتعالى بالقسم الشجرتين ومكانهما وما جرى
فيهما من أحداث لبيان فضل الأنبياء وتعظيمهما وما حصل فى هذه الأماكن
بسببهما من البركة والخير والمنفعة للناس فى الدين والدنيا . ففى
الدين بأن جعلت أماكن مقدسة فيها أماكن العبادة والطاعة وذلك ليناسب
السياق من العطف وما بعده من الأماكن وهى طور سين والبلد الأمين
وما حصل فيهما من بركة وخير ونعيم الدنيا بما فيها من تلك الأشجار
وهى التين والزيتون .

وأظهار فضل الله سبحانه وتعالى لعباده لما جعله فى تلك
الشجرتين من الخير والبركة بوجودها فى تلك الأماكن لما فيهما من
المنافع والفوائد ، وهكذا اكتسبت هاتين الشجرتين دون سائر الأشجار
الشرف بالقسم بوجودهما فى تلك الأماكن واكتسبتا الخير والبركة عن
غيرهما من الأشجار .

ولابن القيم قول فى هذا الموقف أقرب للصواب فقال :

ولابن القيم قول فى هذا الموقف أقرب للصواب فقال :
ولا ينافى أن يكون منبتهما مراد فان منبت هاتين الشجرتين ، حقيق
بأن يكون من جملة بقاع الأرض الفاضلة الشريفة ، فيكون الاقسام قد تناول
الشجرتين ، ومنبتهما ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن
مريم عليهما السلام ، كما أن طور سينين ، مظهر عبده ورسوله وكليمه
موسى عليه السلام ، فانه الجبل الذى كلمه عليه وناجاه وأرسله الى فرعون
وقومه ، ثم أقسم بالبلد الأمين ، وهو " مكة " فظهر خاتم الأنبياء
والرسل ، سيد ولد آدم ، وترقى فى هذا القسم ، من الفاضل الى الأفضل

فبدأ بموضع مظهر المسيح ، ثم ثني بموضع مظهر الكليم ، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه . ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على كليمه موسى عليه السلام (جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران) فمجئ من طور سيناء بعثته لموسى بن عمران على حكم الترتيب الواقع ثم ثن بنبوة المسيح ، ثم ختمه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعل نبوة موسى بمنزلة مجيء الصبح ، ونبوة المسيح بعده ، بمنزلة طلوع الشمس واشراقها ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهما وبعدهما بمنزلة استعلانها وظهورها للعالم ، ولما كان الغالب على بنى إسرائيل حكم الحس ذكر ذلك مطابقا للواقع . ولما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل ، ذكرها على الترتيب العقلي (١) .

قال تعالى : (والتين والزيتون) .

لأن النباتات أنواع فمنها ماهو فاكهة ومنها ماهو غذاء ومنها ماهو دواء ، ومن النباتات ما يجمع في خاصيته ، الغذاء والدواء والفاكهة ومن ذلك التين والزيتون اللذين أقسم الله سبحانه بهما في كتابه العزيز في سورة التين فقال تعالى (والتين والزيتون) ولقد تكلم العلماء والحكماء عن تلكما الشجرتين وأبأنوا فضلها وما فيهما من المنافع والفوائد .

— نوع القسم :

القسم يالتين والزيتون وهو من المخلوقات ، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بهما ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، والقسم صريح في هذه الآية ، حيث أن الواو للقسم والمقسم به هو التين والزيتون ،

(١) التبيان في أقسام القرآن : ابن القيم الجوزية (١١٢/١-١١٣) تحقيق محمد النجار ، التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم الجوزية (٤٥٤٤) تحقيق محمد الفقى .

وأما المقسم عليه فى هذه السورة هو حال الانسان وبداية حياته ونهايتها فى قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (١) وهذه الآية وما بعدها من العطف جواب القسم ، وبعد هذا التعريف والبيان عن أركان القسم فى الآية لي وقفة مع مايلى :

١- المقسم به وخواصه .

٢- المقسم عليه وخواصه وعلاقته بالمقسم به .

أولا : المقسم به :

المقسم به التين والزيتون : فالمقسم هنا باثنين من أنواع النباتات لذلك أتناول كل واحدة منهما بالتفصيل فى وصفها وخصائصها ومواقعها فى القرآن ، وفوائدها وعلاقتها بالقسم .

أولا : ١- التين : موقعها فى القرآن :

ذكرت فاكهة التين مرة واحدة فى كتاب الله عز وجل فى هذا المقام وفى هذه السورة (والتين والزيتون) ولم تذكر فى موضع آخر .
ثانيا : ٢- وصفها وخصائصها :

التين واحدتها تينة وهو : الشجرة المعروفة لدى الناس باسمها (التين) وهى تشبه الكمثرى فى شكلها الا انها اصغر وتميل الى الاستدارة اكثر ولها قشرة رقيقة جدا ، يؤكل بها ، لونها أزرق يميل الى السواد أكثر ولكن منه الابيض والاسود اغلب وأكثر . قال النابلسي : والتين الاسود فى وقته خير والتين الأبيض خير من الاسود (٢) . وهذا يدل على أن ثمرة التين على ألوان ، الأبيض والأحمر والأسود ، والأجود منه كما ذكر الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود (٣) ويحتوى قشرها من الداخل على لبها وهو مثل

(١) سورة التين : آية (٤) .

(٢) تعطير الانام / النابلسي (١١٣/١) .

(٣) انظر :- الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٢٥) .

- القانون فى الطب ، ابن سينا (٤٤٦/١) .

- تذكرة أولى الالباب ، داود الانطاكي (٩٩/١) .

العسل مخلوط ببذور دقيقة صغيرة أصغر من السمسم لا يمكن فصله عنها ولا فصل قشرها عنها وإنما تؤكل به ولبها ، وهي حلوة المذاق لذيدة الطعم سهلة الأكل ، لينة المضع ، لا تكلف فى أكلها تقشيراً ولا طبخاً وليس لها عجم بداخلها يضايق أكلها ، حجمها قدر اللقمة تماماً توضع فى الفم .

وجاء وصفها فى الموسوعة : هي شجرة من فصيلة التوتيات أصلها من الشرق الأوسط تزرع اليوم فى جميع بلدان المتوسط وهي لا تحتل الصقيع وتحتوى الثمرة على كمية كبرى من البذر الدقيق يؤكل ثمرها أخضر ويابساً والتين البنغال نوع من أنواع التين ^{فى} الهند يشتهر بكون اغصانه تتدلى الى الأرض ، حيث يحصل منها اشجار جديدة تتجمع كلها حول شجرة الأم (١) .

وقال ابن منظور : قال أبو حنيفة : أجناسه كثيرة برية وريفية وسهلية وجبلية ، وهو كثير بأرض العرب ، قال : وأخبرنى رجل من السراة (٢) وهم أهل تين ، قال : التين بالسراة كثير جداً مباح ، قال : وتأكله رطباً وتزببه فتدخره (٣) .

— خصائص ثمرة التين :

أنها لاتنبت فى الأماكن الحارة التى ينبت فيها النخل وإنما فى الأماكن الباردة ، فهي لاتنبت فى الحجاز ولا فى المدينة قال عنه داود الأنطاكى : هو ثمر شجر معروف ينمو كثيراً بالبلاد الباردة ويدرك حادى عشر شهر تموز يدوم الى كانون ، ومنه ذكر يحمل ثمرا كباراً تعلق فى خيوط وتوضع فى انائه فيخرج منها طيور كالبعوض تلبس الانثى فينبت ثمرها وتصح على نحو لقاح النخل ، ولانفع لهذا الثمر سوى ما ذكر ومنه أنثى ،

(١) الموسوعة العربية الميسره (٥٧٤/١) .

(٢) السراة : هي جبال السراوة التى تمتد بمحاذاة السهل الساحلى للبحر الاحمر بطول ١٧٠٠ كم من الحدود مع الاردن شمالاً حتى الحدود مع اليمن جنوباً . انظر فى ذلك جغرافية المملكة العربية السعودية د. عبدالرحمن

الشريف (٤٨/١) ، ط ١٤٠٥ هـ - الرياض .

(٣) لسان العرب ، ابن منظور (٣٤٢/١) ، المصباح المنير (٢٧٦) .

وهو المطلوب ، وكل من النوعين اما برى واما بستانى ، وليس البرى منه
الجميز كما زعم بل الجميز غيره ، وأجود التين الكبار اللحيم النضيج
المكعب الذى لا ينفث بالغا وفى فمه قطع كالعسل الجامد ، وهو معتدل
الحرارة رطب فى الثانية أو هو حار فى الأول ، فاذا جف كان حارا فى
الثانية رطبا فى الأولى (١) .

ثالثا : ٣ - : فوائدها :

ان للتين فوائد عظيمة ، لانتوقف على جانب واحد كونه فاكهة ،
وانما هو غذاء وفاكهة ودواء ، أما كونه فاكهة ، فهى فاكهة طيبة ،
مما يتفكه بها الانسان دون تعب ومعالجة لها ، وفى الوقت نفسه
غذاء للبدن ، لطيف سريع الانهضام ، بل قيل فيه : انه من اصح الفواكه
غذاء اذا أكل على الخلاء ولم يتبع بشيء ، وقد روى عنه فى ذلك عن
أبي ذر : أنه اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه
وقال لاصحابه : كلوا فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه ، لان فاكهة
الجنة بلا عجم ، فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس (٢) . اما كونه
دواء فلقد اشيعت كتب الطب الكلام فى هذا الموضوع وماهى الامراض
التي تنتفع به . فمن ذلك ما ذكره ابن سينا فقال فى ذلك مفصلا :

١- الامراض الجلدية : الفج (٣) منه يطلى به ويضمد على الخيلان والشآليل .

(١) انظر : تذكرة داود الانطاكى (١/٩٩) .

القانون فى الطب / ابن سينا (١/٤٤٦) .

الطب النبوى / ابن قيم الجوزية (٢٢٥) .

(٢) روح المعانى : الالوسى (٣٠/١٧٤) قال : ولم اقف للمحدثين على شيء فى

هذا الحديث لكن قال داود الطيب : بعد سرد نبذة من خواص التين

وفى نفعه من البواسير حديث حسن وذكر ان نفعه من النقرس اذا دق مع

دقيق الشعير أو القمح أو الحلبة وانه حينئذ ينفع من الاورام الغليظة

واوجاع المفاصل وله مفردا أو مركبا خواص اخرى كثيرة . وجاء فى

الطب النبوى أن الرواية عن ابي الدرداء قال فى ذلك : وفى ثبوته

نظر (٢٢٥-٢٢٦) قلت : ولم اقف عليها فى كتب الحديث .

(٣) الفج : وهو ما لم ينضج . انظر مختار الصحاح (٤٩١) .

- وأصنافها والبنهق وكذلك ورقه وتناوله يملح اللون الفاسد
بسبب الأمراض والأورام الحارة وينضج الدماميل .
- ٢ - الأورام والبثور : يضمده بالأورام الصلبة ، وينفع طبيخه
لأورام الحلق والأذنين .
- ٣ - الجراح والقروح : يطلى بطبيخه مع رغوّة الخردل على الحكّة . وورقه
ينفع مع القوباء . وان استعمل مع قشور الرمان ابراً الداخس .
- ٤ - أمراض الرأس : ينفع رطبه ويابسه من الصرع ، ويقطر طبيخه مع
رغوّة الخردل في الأذن التي بها طنين .
- ٥ - أمراض العينين : لينه مع العسل ينفع في الغشاوة ، ويدلك بورقه
خشونة الاجفان وجروحها .
- ٦ - امراض الصدر : ينفع الرطب والينابس منه من خشونة الحلق ويوافق
الصدر وقصبة الرئة وشراب التين ويدر اللبن وينفع من السعال
واوجاع الصدر .
- ٧ - امراض الجهاز الهضمي : يفتح سدد الكبد والطحال وشرابه نافع للمعدة ،
ويابسه ينفع من الاستسقاء ولاستعماله على الريق منفعة عجيبة
في تفتيح مجارى الغذاء وخصوصا مع اللوز والجوز وينفع الكليبي
والفثانة ورطبه ملين مسهل ويخرج الرمل من الكلية وخصوصا لبنه
والتين سريع الانحدار من البطن سريع النفوذ .
- ٨ - السموم : لينه ينفع من لسعة العقرب مروخا والورق الطرى منه ينفع
من عضة الكلب .
- وروى عن على بن موسى الكاظم : التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر
وهو آمان من الفالج (١) .

(١) تفسر الفخر الرازى ٤٣١/٨ .
روح المعانى / الالوسى (١٧٤/٣٠) .

ومع أن للتين فوائد إلا أن له مضر : إذا أكل على شبع أو أكل على دسم يضر ، وإذا أكل منه بكثرة يولد القمل واليابس منه يضر مع وجود بعض الأمراض وكذلك الرطب (١) .

وبعد بيان بعض الفوائد المجنية من ثمرة التين وجدت أن الفوائد لم تكن مقتصره فقط على الثمرة وإنما أيضا لورقه وعصارته فوائد فصدق من حيث على أكلها وبين ما فيها من الفوائد وهى الشجرة التى تؤثر على نفسها مثل الكريم الذى يعطى ولا يأخذ ويفعل ولا يقول ويؤثر على نفسه ، وفى ثمرة التين وشجرتها وبين كرمها وخواصها قال الفخر الرازى : واعلم أن لها خواص :

- ١- أحدها : أن ظاهرها كباطنها ليست كالجوزة ظاهره قشر ولا كالتمر باطنه نوى بل نقول أن من الثمار ما يخبث ظاهره ويطبب باطنه كالجوز والبطيخ ومنه ما يطيب ظاهره دون باطنه كالتمر والاجاص . أما التين فإنه طيب الظاهر والباطن .
- ٢- ثانيها : إن الأشجار ثلاثة : شجرة تعد وتخلف وهى شجرة الخلاف وثانية تعد وتفى وهى التى تاتى بالنور اولاً وبعده بالثمرة كالتفاح وغيره وشجرة تبذل قبل الوعد وهى التين لأنها تخرج الثمرة قبل أن تعد بالوردة بل لو غيرت العبارة لقلت هى شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى بل لك أن تقول إنها شجرة تخرج الثمرة قبل أن تلبس نفسها بورق والتفاح والمشمش وغيرها تبدأ بنفسها ثم بغيرها أما شجرة التين فإنها تهتم بغيرها قبل اهتمامها بنفسها فسائر الأشجار كارباب المعاملية فى قوله عليه السلام (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) (٢) وشجرة

(١) انظر: القانون فى الطب / ابن سينا (٤٤٩/١) باختصار .

الطب النبوى / ابن القيم الجوزية (٢٢٥) ، تذكرة دود الانطاكى (٩٩/١) .

(٢) أخرجت الرواية فى الصحيحين عن حكيم بن حزام بلفظ (وابدأ بمن تعول) (١٣٩/٢) صحيح البخارى (٧١٧/٢) الزكاة .

وفى رواية لمسلم عن جابر بلفظ (وابدأ بنفسك وتمصدق عليها فـان

فضل شىء فـأهلك) صحيح مسلم (٦٩٣/٢) الزكاة وكذلك فى السنن ولم أقف

على رواية بهذا اللفظ . صحيح البخارى فى باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى

والرواية الأولى لمسلم فى باب أن اليد العليا خير . والثانية فى باب

الابتداء فى النفقة .

التين كالمصطفى عليه السلام كان يبدأ بغيره فان فضل صرفه الى نفسه بل من الذين اثنى عليهم في قوله (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١) .

٣ - ثالثها: ان من خواص هذه الشجرة ان سائر الاشجار اذا سقطت الثمر من موضعها لم تعد في تلك السنة الا التين فانه يعيد البدو وربما سقط ثم يعود مرة أخرى .

٤ - رابعا: ان التين في المنام رجل خير يغني فمن نالها في المنام نال سعة ومالا ومن اكلها رزقه الله اولادا (٢) .

رابعا: علاقة التين بالقسم :

ان التين اتى في بداية السورة مقسما به وذلك ليظهر الله سبحانه وتعالى فضله على عباده بما جعل في هذه الثمرة والشجرة من الفوائد الجليلة وفي هذه الشجرة والثمرة وما فيها من الفوائد العظيمة دلالة على صفة من صفات الله عز وجل وهي كمال القدرة المطلقة له عز وجل في خلق هذه التينة الثمرة العظيمة في منبتها ومنبتها .

ثانيا: الزيتون :

اولا: موقع الزيتون في القرآن: لقد ورد لفظ الزيتون في ست مواضع في القرآن ، موضعين في سورة الأنعام ، وموضع في سورة (النحل) وموضع في سورة (النور) وموضع في سورة (عبس) وآخر في سورة (التين) الآية التي بصدها ، وأما زيتها فقد ورد في موضعين في القرآن ، واحدا في سورة (النور) بلفظ الزيت والآخر في سورة المؤمنون بلفظ الدهن .

(١) سورة الحشر: آية (٩) .

(٢) تفسير الفخر الرازي (٨/٤٣١-٤٣٢) .

ثانيا : وصفها وخصائصها :

ان الزيتون هو الشمرة المشهورة ، صغيرة الحجم ، أصغر من التين مستديرة الشكل ليس لها قشر داخلها نواة ليست بالصغيرة لها لونين فمنها الزيتون الأسود . والزيتون الأخضر ، يستخرج منها زيت الزيتون المعـروف الذى يتخذه الناس طعاما لهم ويتخذ أيضا لاصـاءة المصابيح وتؤكل ثمرة الزيتون خضراء أو حمراء أو سوداء .

وقد ورد في وصف شجرها :

زيتونة : شجر مثمر زيتى طويل البقاء فى الارض من فصيلة الزيتونيات زراعته المعروفة منذ أبعد العصور مقتصرة على بلدان المتوسط أو على مناطق ذات مناخ مماثل فى أمريكا او استراليا يرمز ورقه منذ القدم الى السلام ويقال لدهنه الزيت ولثمره الزيتون أيضا . السبب فى أن ورقه يرمز الى السلام . جاء فى الموسوعة العربية الميسرة . ترجع زراعته الى فجر التاريخ واتخذ غصن الزيتون رمزا للسلام من قبل العهد المسيحى ويقال : ان أول ماشاهده نوح من النبات هو غصن الزيتون الذى عادت به الحمامة التى أطلقها من فلكه .

وشجرة الزيتون كبيرة معمرة مستديمة الخضرة تعيش قرابة ألف سنة اوراقها محببة ، سطوحها السفلية فضية اللون (١) .

وقد قال فيه الانطاكى : الزيتون من الاشجار الجليلة القدر العظيمة النفع يغرس قضيانا من تشرين الى كانون فيبقى أربع سنين ثم يثمر فيـدوم طويلا وهو برى وبستانى وكل منهما ذكر وأنثى (٣) .

وقال ابن سينا : زيتون شجرة عظيمة توجد فى بعض البلاد وجميع أنواعه مطلوبة . وقد بين القرآن العظيم مكان منبتها فقال تعالى / (وشجرة تخرج

(١) انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٩٣٧/١) وانظر البداية والنهاية/

ابن كثير (١١٧/١) .

(٣) تذكرة داود الانطاكى (١٨٢/١) .

(١) من طور سيناء تنبت بالذهن وصيغ للاكلين (٢) .

وقد يعتصر من الزيتون الفج الزيت ، ويعتصر من الزيتون المدرك (٣) .

وهو كما ذكرت سابقا من أن ثمرة الزيتون تؤكل خضراء وحمراء ثم

سوداء .

ثالثا : فوائده ومنافعه :

ان للزيتون منافع عظيمة وفوائد كثيرة جمة لا تتوقف على جانب واحد كونه دهنا فقط ، وانما هو صيغ للاكلين وفاكهة ايضا ويكفى في وصفه وخيره وبركته ما وصفها الله سبحانه وتعالى به من الخير والبركة حيث قال تعالى (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء لو لم تمسه نار) (٤) .

أى أن المصباح او السراج تكون مادة ضوءه من زيت شجرة كثيرة البركة والنفع وقد باركها الله سبحانه وتعالى كما ذكر على أنها اول شجر ينبت بعد الطوفان وانها تنبت أيضا في مكان مبارك قد بارك فيها سبعون نبيا منهم الخليل ابراهيم عليه السلام (٥) . أما وصف الشجرة بأنها لاشرقية ولا غربية أى أنها الشجرة التى تبرز على جبل عال أو صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها على حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رض الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة واختاره الفراء والزجاج ، قالا : ومعناه لاشرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية ،

(١) طور سيناء : اسم للجبل مركب وقيل هو جبل فلسطين وقيل هو جبل بين

ايلة ومصر ومنه كلم الله موسى عليه السلام . انظر فتح القدير (٩٤/٥) ، شوكانى

تفسير الخازن (٣٠٣/٣) التحرير والتنوير (٣٤/١٨) القرطبي (٤٥٠٦/٥)

الفخر الرازى (١٩١/٦) .

(٢) المؤمنون ، آية (٢٠) .

(٣) القانون فى الطب / ابن سيناء (٣٠٩/١ - ٣١٠) .

(٤) سورة النور ، آية (٣٥) .

(٥) تفسير الفخر الرازى (٢٨٤/٦)

قال الرازى : وهذا هو المختار لان الشجرة متى كانت كذلك كان زيتها في نهاية الصفاء لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم روي من بعيد كان له شعاعا فاذا مسه النار ازداد ضوءه على ضوء وهذا المراد من قوله تعالى : (يكاد زيتها يضيء لو لم تمسه نار) (١) .

وقال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين) (٢) في هذه الآية يخبرنا الله سبحانه وتعالى بالموطن الاصلي لانبات هذه الشجرة ، وهو طور سيناء وهو جبل فلسطين على ما ذكرنا سابقا من ان الشجرة تنبت في مكان عال تصل اليها الشمس من شروقها الى غروبها ، وفلسطين وايلة وسوريا ولبنان والعراق كلها تعرف بلاد الشام ، وبلاد الشام ككل معروفة بالزيتون الجيد وفيها الاماكن المقدسة وفيها كانت معظم بعثات الانبياء عليهم السلام من عهد نوح الى عيسى عليهما السلام (٣) .

وهذه الشجرة من فوائدها الدهن الذي يتخذ للأكل ويستعمل في كثير من الاشياء مثل الاضاءة والادهان به .

وقد وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا وبين بعض فوائدها ففي سنن الترمذى من حديث عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة) (٤) .

وفى سنن ابن ماجه أيضا عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ائتمموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة) (٥) .

(١) تفسير الرازى (٢٨٥/٦) سورة النور آية (٣٥) .

(٢) سورة المؤمنون ، آية (٢٠) .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى (١٩١/٦) .

(٤) سنن الترمذى (١٨٦/٣) الاطعمة ، باب ماجاء فى أكل الزيت . قال :

هذا حديث لانعرفه الا من حديث عبدالرزاق وهو يضرب فى رواية هذا

الحديث ، وفى رواية أخرى فى ابن ماجه عن طريق ابى هريرة وقال

البوصرى فى اسناده عبدالله بن سعيد المقبرى وهو متروك (١١٠٣/٢) .

(٥) سنن ابن ماجه (١١٠٣/٢) الاطعمة ، باب الزيت

- فهو اذا غذا٦ وطعام جيد للبدن ومن الناس من يتخذة فاكهــــــــــــــــة
 فى طعامه وهو أيضا مع ذلك دوا٦ وقد وضحت كتب الطب ذلك وبينتــــــــــــــــه
 بالتفصيل وهى كما يلى :
- (١) استعماله للزينة : ورق الزيتون البرى جيد للداحس يحفظ الشعر
 ويغذيه ويمنع سرعة الشيب اذا استعمل كل يوم دهنا بزيتــــــــــــــــة .
- (٢) الاورام والبثور: البرى منه للحمرة والاورام الحارة يحللــــــــــــــــها
 والرطوبة السائلة عن حطبه عند الاشتعال للجرب والقوباء وعكــــــــــــــــر
 الزيت دوا٦ للأورام الحارة فى الغدد خصوصا مع ورقه .
- (٣) الجروح والقروح: زيت الزيتون البرى المعتصر من الفج ينفع القروح
 الرطبة واليابسة والجرب وصمغ الزيتون البرى ينفع من الجــــــــــــــــرب
 المتقرح والقوباب ويستعمل فى مراحم الجراحات .
- (٤) آلام المفاصل : ما٦ الزيتون المملح يحقن به لعرق النسا والزيت
 المغسول يوافق اوجاع العصب وعرق النسا .
- وزيت الزيتون العتيق ينفع للنقرس اذا طلى به .
- (٥) آلام أعضاء الرأس : ورق الزيتون يطبخ بما٦ الحصرم حتى يصيــــــــــــــــر
 كالعسل ويطلق على الاسنان المتأكلة فيقلعها ، زيت الزيتــــــــــــــــون
 البرى ينفع للصداع دهنا به وصمغ الزيتون البرى لوجع الاسنان ،
 ويكتحل بالزيت العتيق لظلمة العين ، وورقه المحرق بدل التوتيا
 للعين وصمغه للغشاوة والبياض وغلظ القرنية ، وعصارة ورقــــــــــــــــه
 للجحوظ والبستانى أوفق للعين من البرى .
- (٦) الجهاز التنفسى : الزيتون الاسود مع نواه من جملة البخورات للربو
 وامراض الرئة .
- (٧) الجهاز الهضمى : الزيتون وزيتــــــــــــــــة جيد للمعدة مقوى لها ملين للطبع
 ويخرج الدود وينفع من السموم ويطلق البطن وان دق وضمدت به السرة
 قطع الاسهال .

(٨) السموم : الزيت يسهوع به مع الماء الحار فيكسر قوة السم .

وأخيرا كما أن للزيتون منافع الا أن له بعض المضار اذا أكثر
الانسان منه وهو انه يضر الرئة ويصلحه أكل الحلوات (١)

وبعد هذا العرض الموجز لفوائد الزيتون وجدت أن الزيتون لا يقتصر
في فوائده على الثمرة فقط وانما لورقه وصمغه وخشبه ونواه وحقيقه
بشجرة هذه منافعها أن يقسم بها ، وأنها كلها بركة كما وصفها الله
سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالبركة . ولقد ازدادت شرفا
وعظمة وبركة بوجودها في مكان الانبياء في مكان مقدس له من الكرامة والشرف
بما حدث فيه من الأحداث العظيمة الجليلة .

رابعاً: علاقة الزيتون بالقسم :

ان الزيتون في الآية مقسما به ، وذلك ليظهر الله سبحانه وتعالى
فضله على عباده بما جعله في هذه الثمرة والشجرة من الفوائد الجليلة
وفى هذه الشجرة والثمره وما فيها من الفوائد العظيمة دلائل على صفه
من صفات الله عز وجل وهي كمال القدرة المطلقة له عز وجل في خلق
هذه الزيتونه الثمرة العظيمة في منبتها ومنفعتها .

...

(١) انظر: القانون في الطب / ابن سينا (٣١٠-٣١١).

تذكرة داود الانطاكي (١٨٢-١٨٣).

الطب البنوي / ابن قيم الجوزية (٢٤٤).

ثانيا : المقسم عليه :

ذكرت سابقا أن المقسم عليه فى السورة هو قوله تعالى: (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (١) وذلك ليبين حال الانسان حيث ان القسم احيانا يكون لبيان حال الانسان ، وحيث ان القسم يكمن أحيانا على جملة خبرية ، وذلك لارادة تحقيقها وتوكيدها لانها من الأمور الخفية الغيبية ، فيقصد من القسم ثبوتها وحيث أن حال الانسان يعتبر من الأخبار الخفية ، فالغرض من القسم هنا عليه لثبوت حاله وبيانها لذلك نجد فى الآية اكدها (بعد) التى تفيد تحقيق التوكيد بالقسم .

وفى هذا بين الله سبحانه وتعالى حال الانسان وانه كونه وأوجده فى أحسن وافضل تقويم اى اكمل واليق القوام المناسب للانسان من العدل والتسوية ومن حسن الصورة والفطرة والعقل والبنية والايمان والمقصود بالقسم هنا على حسن تقويم الانسان من الناحية العقلية والادراكية ، لان العقل هو الذى يستخدم الجسم لطاعة لله وعبادته والعمل بهديه وشرعه وعمسارة الارض فما جعل الجسد الا آلة يستخدمها العقل ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم) (٢) .

وحيث قال تعالى بعد ذلك (ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٣) . أما الذين آمنوا فهؤلاء على الفطرة والذين يخرجون عن الايمان فهذا خروجهم عن الفطرة وهو أمر عارض يعترض فطرة الانسان ، فاذا استمروا عليه ومردوا كان هنا ردهم الى أسفل سافلين اى رددناه الى النار قال على رضى الله عنه : وضع ابواب جهنم

(١) سورة التين : آية (٤) .

(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٨٧) البير والصلة . باب تحريم ظلم المسلم .

(٣) سورة التين : آية (٥ - ٦) .

بعضها أسفل من بعض فيبدأ بالأسفل فيملاً وهو أسفل سافلين الى النار (١)
 أما الذين آمنوا واستقاموا على فطرتهم الايمانية من الطاعة والعبادة
 وعمل الصالحات فهولاء تكتب لهم حسناتهم ويجزون عليها باجر غير مقطوع (٢) .
 فأعقب بعد ذلك الايمان وعمل الصالحات وهذا حتى يناسب الهدف والغرض
 من القسم فى بداية السورة وليس كما اقتصره بعض المفسرون قديماً
 وحديثاً على أنه حسن صورة الانسان وخلقته وهياته . فلم يكن هنا تناسب
 بين المقسم به والمقسم عليه .

ثالثاً: علاقة القسم بالمقسم عليه :

ان للقسم علاقة كبيرة بالمقسم عليه وذلك أن الله سبحانه وتعالى
 عندما أقسم بالتين والزيتون وطورسنين والبلد الامين وذلك لبيان اعظم
 الموارد التشريعية واماكنها ولاصحابها فكان فيه اشارة الى اول الرسل
 نوح عليه السلام وشريعته على تفسير ابن عباس رضي الله عنه انهم
 مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى ، ثم بعد ذلك بشريعة موسى
 عليه السلام ومكانها (وطور سنين) ثم بشريعة محمد صلى الله عليه
 وسلم ومكانها . (وهذا البلد الامين) ولما كانت هذه الشرائع موجهة
 للبشر من الله عز وجل ، وكان منهم من صدق وآمن بالرسل والشرائع
 واماكنها ومنهم من صد ذلك وكذب بالرسل والشرائع واماكنها ، كان المناسب
 من القسم أن يبين الله عز وجل حال الانسان وموقفه من تلك الشرائع
 واماكنها واصحابها فبين أن الانسان خلق ووجد على فطرة سليمة وعقل سليم
 وخلقة سوية مستقيمة ، الا أن الانسان بعقله هذا يثبت على الايمان أو ينحرف
 ويذل بقدمه فى المهالك ، وذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
 (كل انسان تلده أمه على الفطرة وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه) (٣)

(١) تفسير الفخر الرازى (٤٣٣/٨) .

(٢) تفسير القرطبى (٧٢٠٥/٨-٧٢٠٦) .

(٣) صحيح مسلم (٢٠٤٨-٢٠٤٩) كتاب القدر عن أبى هريرة ، باب معنى كل

مولود ، صحيح البخارى (١٥٣/٨) القدر عن أبى هريرة بلفظ مختلف .

باب الله أعلم بما كانوا عاملين .

فالبينة هي التي تؤثر على ايمانيات الانسان وسلوكه اذا لم يحكم عقله ويستسلم للتلقينات الضالة ، والعوائد السيئة والطباع الذميمة والتفكير الضار المنحرف ، فاذا محكم الانسان عقله وحافظ على ايمانه واستقام على الفطرة السليمة نجى من الهلاك فمن هنا كان القسم على بيان حال الانسان ، رغم أن الله سبحانه وتعالى اوجده وخلقه أساساً على الايمان والعقل ، الا أنه ضل الطريق وانحرف امام الرسائل السماوية والرسول والانبياء فمنهم من صدق وآمن واستقام ومنهم من كذب وكفر وانحرف لذلك أعقب الآية بعدها (ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا) فمن ضل وكفر بالشرايع السماوية والانبياء والرسول ، فكفره بنعم الله عز وجل أولى وأكد التي منها ماجعله الله له غذاء لبدنه ويقوى به جسده . ومن ذلك التين والزيتون المقسم به وبمكانهما ، ومن آمن وصدق واتبع الهدى اعترف بنعم الله عز وجل التي سخرها له ، فأخذ به وآمن بما جعل الله فيها من الفوائد والمنافع للانسان لغذائه ومرضه وحاجاته فاستفاد منها وشكر الله عليها ، وآمن بمكان وجوده وما هياه الله في هذا المكان من الأسباب لكي تنبت فيه هذه الاشجار التين والزيتون . والله أعلم .

ولقد ذكرت ذلك باجتهاد مني حيث أنني لم أقف في كتب التفسير التي قرأتها على رأى أو قول للمفسرين لهذه الآية يوضح ذلك ويبينه ويربط بين معانى الآيات بل منهم لم يذكر أن الآية (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) واقعة فى جواب القسم ، بل كثير من كتب التفسير تكتفى بتفسير وتحليل كل آية على حدة . أو كل كلمة على حدة ، دون ربط بين الآيات .

ثانياً: قوله تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) (١) .

- فى هذه الآية الكريمة جاءء النبات فى سياق القسم بالابتلاء على عدة أشياء من ضمنها النبات . ولي مع هذه الايات وقفات :
- ١ - معنى الابتلاء وحكمته .
 - ٢ - الأمور التى أعلمنا الله سبحانه وتعالى بالابتلاء بها .
 - ٣ - الابتلاء بالثمرات وهو موطن البحث . وسوف أشبع الكلام عنه .

أقسم الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية على الابتلاءات للبشرية التى سوف تصيبهم فى حياتهم ، وأتت هذه الآية فى سورة البقرة وهى الموضوع الثانى من مواضع مجيء النبات مع القسم فى القرآن الكريم ومناسبة ذكرها أنها أتت بعد الآيات التى كان فيها الامتحان على عباد الله بالنعمة والامر بالشكر عليها ، وذكر الله عز وجل ذلك لان الذكر والشكر بهما يكون تهيئة النفوس الى عظيم الاعمال لذلك أعقب هذه الآية بآية الامر بالصبر ، ونبه عباده الى انهما عون للنفوس على ما يعترضها من عظيم الأعمال فى المكروهات ، والمصائب وبعد ان هيا الله سبحانه وتعالى تلك النفوس على القوة والصمود امام الشدائد ، ناسب أن يذكر عقبها ، وبين ما هى المصائب والشدائد التى سوف تعترضهم فى حياتهم فذكر انه سوف يصيبهم ويبتليهم فى الدنيا ابتلاء اختبار وامتحان لمن يصبر ، ومن يفزع ويضجر لما اصابه من الخوف والجوع ونقص الاموال والأنفس والثمرات ، وذلك ليعلم الله سبحانه وتعالى عبادة أن تمام النعمة للانسان ومنزلته عند الله عز وجل لا يحول بينهم وبين المصائب الدنيوية المرتبطة بالأسباب ، وانما جعلها الله سبحانه وتعالى ليظهر لهم ثباتهم على الحق والايمان ومحبة الله عز وجل والرضا والتسليم بقضائه وقدره ، ثم ينالون بعد ذلك مرضاة الله عز وجل ويعرفون

(١) سورة البقرة : آية (١٥٥) .

رفعتهم ومكانتهم ، فتبهج نفوسهم للبشرى التى أتتهم من الله عز وجل بعد أن وعدهم بها على صبرهم حيث قال تعالى فى نهايتها الآية (وبشر الصابرين) .

ولماذا أمر الله سبحانه وتعالى فى بداية هذه الآية بالشكر على النعمة وعدم كفرانها ، وشكر النعمة يستلزم زيادتها كما قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) (١) ثم بعد ذلك أردف هذا الامر بالابتلاء .

قال الرازى فى الجواب عن ذلك : والجواب من وجهين :

١ - أنه تعالى أخبر ان كمال الشرائع اتمام التعمة ، فكان ذلك موجبا للشكر ثم أخبر ان القيام بتلك الشرائع لا يمكن الا بتحمل المحن فلا جرم أمر فيها بالصبر .

٢ - أنه تعالى أنعم أولا فامر بالشكر ، ثم ابتلى وأمر بالصبر لينال الانسان درجة الشاكرين والصابرين معا فيكمل ايمانه على ما قال عليه الصلاة والسلام " الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر " (٢) .

والقسم فى الآية قسم ضمنى دل عليه لازم من لوازم القسم ، وهى اللام الواقعة فى جواب القسم والنون فى قوله تعالى : (لنبلونكم) والقسم محذوف مقدر (والله لنبلونكم) ، قال أحمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد فى ذلك (لنبلونكم) هذا جواب قسم محذوف ومتى كان جوابه مضارعا مثبتا مستقبلا وجب قرنه باللام وأحد النونين (٣) .

(١) ابراهيم : اية (٧) .

(٢) الفخر الرازى (٣٧٧/٢-٣٨) قال السيوطى فى الجامع الصغير أخرجه البيهقى فى شعب الايمان (ضعيف) (١٢٤/١) وقال المناوى فى فيض القدير (١٨٩/٣) أخرجه البيهقى عن انس وفيه يزيد الرقاش ، قال الذهبى وغيره متروك ، ورواه القضاعى بهذا اللفظ، وفيه عتبة بن السكن قاله الدارقطنى مسند الشهاب (١٢٧/١) .

(٣) الفتوحات الالهية / سليمان الشهير بالجمل (١٢٤/١) وانظر المساعد على تسهيل الفوائد/ ابن عقيل (٣١٣/٢) .

ولم يقسم الله سبحانه وتعالى في الآية بالبنات ولا عليه وانما أقسم على الابتلاء للإنسان بعدة أشياء فاعمها ثم بعد ذلك خصصها ، كل بلاء على حدة ، ومن ضمنها النباتات ، كما بينه في الآية الخسوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .

١- معنى البلاء :

والبلاء أو الابتلاء : هو الاختيار والامتحان قال القرطبي: والبلاء يكون حسنا ، ويكون سيئا وأصله المحنة ، والمعنى لئمتحنكم لتعلم المجاهد والصابر علم معانيه حتى يقع عليه الجزاء وقيل: انما ابتلوا بهذا ليكون آية لمن بعدهم فيعلموا انهم انما صبروا على هذا حين وضع لهم الحق ، وقيل اعلمهم بهذا ليكونوا على يقين من أنه يصيبهم فيوطنوا انفسهم عليه فيكون بعد لهم من الجزع ، وفيه تعجيل ثواب الله تعالى على العزم وتوطين النفس (١) .

الحكمة من الابتلاء :

والابتلاء المخاطب به في الآية يكون عام لسائر المؤمنين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم اجمعين وما بعدهم من العهود او العصور والازمان وفي كل مكان الى ان تقوم الساعة فيكون الابتلاء للجميع حتى يعلم كل انسان المجاهد منهم والصابرون ومن يفرغ منهم ويضجر وهذا العلم يحصل لهم من خلال موقفهم من هذا الابتلاء اى علم معانيه لهم حتى يختبروا انفسهم ويروضوها على طاعة الله فيكون لهم الجزاء الحسن في الآخرة . وقال الرازي : أما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء وجوه :

(١) تفسير القرطبي (٥٥٤/١) .

- ١ - ليوطنوا أنفسهم على الصبر عليها اذا وردت فيكون ذلك
أبعد لهم عن الجزع وأسهل عليهم بعد الورود .
 - ٢ - ان فى العلم بوصول المحن اليهم شدة الخوف فيكون فيه استعجالا
للبلاء ، وفى استعجال البلاء مزيد من الثواب لما فيه من الصبر .
 - ٣ - فيه اعجاز بالاخبار عن الغيب عند حصوله .
 - ٤ - اظهار المنافقين وأحوالهم .
 - ٥ - اخلاص الانسان لله ورجوعه اليه فى حالة الرخاء والشدة (١) .
لان علمه شامل وكامل علم احاطة بكل شىء قبل وقوعه وبعد وقوعه .
- ٢ - الأمور التى ابتلى الله بها عباده :

قال تعالى بعد ذلك (بشىء) المراد بشىء هنا فى الآية ، قليلا
اى الابتلاء سوف يكون فى قليل بالنسبة مما حفظه عنهم من البلاء فيكون
المعنى قليل من الخوف وقليل من الجوع ، وقليل من نقص الانفس والثمرات .
وقد قال ابن عاشور : وجىء بكلمة (شىء) تهوينا للخبر المفجع
واشارة الى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين
سلطهما الله على بعض الامم عقوبة ، كما فى قوله تعالى (فأذاقهم
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (٢) .
ولذلك جاء هنا بكلمة شىء وجاء هنالك بما يدل على الملابس
والتمكن وهو ان استعار لها اللباس الملازم للباس لان كلمة شىء من
أسماء الاجناس العالية العامة ، فاذا اضيفت الى اسم جنس او بينت
به علم ان المتكلم مازاد كلمة شىء قبل اسم ذلك الجنس الا لقصود
التقليل لان الاقتصار على اسم الجنس الذى ذكره المتكلم بعدها لوشاء

(١) تفسير الرازى (٣٨/٢) .

(٢) سورة النحل : اية (١١٢) .

لاغنى غناها فماذكر كلمة شيء الا والقصد ان يدل على أن تنكير اسم الجنس ليس للتعظيم ، ولا للتنويع فبقى له الدلالة على التحقير (١) .

أ- الابتلاء بالخوف كما ذكر الخوف من العدو والقتال ، والخوف من الله عز وجل كما قاله الشافعي (٢) :

والذى أرى أنه الخوف من كل ما يؤدي الى الخوف وهو كل ما يكرهه الانسان ويبغضه الخوف من العدو ، الخوف من المرض ، الخوف من الفقر ، الخوف من الله ، الخوف من الجبارين والمتسلطين ، وهذا كله مبتلى به الانسان ، حيث انه جيء فى معنى الخوف : هو توقع مكروه يحصل منه ألم فى القلب (٣) فهذا الألم يحدث فى القلب عند الخوف من أتفه الأشياء فكيف بالخوف من الله والخوف من العدو والخوف من المرض ، وغيره مما يفرع الانسان ، وقد قدم الخوف فى الآية على غيرها من الامور الأخرى وذلك لأن الجوع ونقص الأموال والانسف والثمرات ، هذه الأمور كلها تحدث الخوف فى نفس الانسان وتحدث الألم فى قلب الانسان من وقوعها وحدوثها له فمن هذا قدم عليها اشارة الى أن الخوف ملاك هذه الأشياء فـي الابتلاء بها والله أعلم بمراده .

الحكمة فى الابتلاء بالخوف :

أ - ان الحكمة فى الابتلاء بالخوف ليلتزم الانسان بشرع الله فى الدنيا والاخرة ويرتبط بالله فى السراء والضراء ويحفظ نفسه دينا ودنياً ويجتهد فى أعماله الدنيوية والأخرية فبالخوف يسعى الانسان الى مسداج الكمال .

(١) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢/٥٥٤-٥٥٥) .

(٢) تفسير القرطبي (١/٥٥٥) .

(٣) تفسير الخازن (١/٩٨) موعظة المؤمنین / محمد القاسمى (٢/٣٤٠) .

ب - الابتلاء بالجوع فهو ما يصيبهم من المجاعة بقلة المطر والنبات والجذب والقحط وقد يكون بسبب اصابة النباتات بجائحة مرض او جراد ، لان النبات أساس غذاء الانسان والحيوان فاذا قل أو فقد تعرض الانسان للهلاك والحيوان الذى هو المصدر الثانى للغذاء الانسانى ، أو ربما يكون الجوع بسبب مرض يصاب به الانسان لا يستطيع الأكل معه ، وربما يكون بسبب سفر ينقطع معه الزاد .

٣ - الابتلاء بالثمرات :

بعد ذلك قال تعالى : (ونقص من الأموال والانسف والثمرات) وعند هذا المقطع من الآية لى وقفة يسيرة أتساءل فيها لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى بجانب الخوف والجوع شيء وبجانب الاموال والانسف والثمرات النقص ؟

أقول والله أعلم : بما أن الخوف والجوع شيء يتعلق باحساس الانسان ووجدانه ويحدث به الألم فى داخل الانسان ، وهذه الأحاسيس والمشاعر فى الانسان لا تتجزأ ، بمعنى أنها لا توصف بالجزئية فى تكوينها أو الكمية ، وانما توصف بالقوة والضعف بوجودها ككل أو عدمها ككل فى الانسان ، فهى وحدة متكاملة بذاتها فى الانسان ، والمعنى ان الانسان يكون فى حياته ، بين الخوف والطمأنينة والامان ، وحالة الخوف التى يبتلى بها أقل من حالة الامان والطمأنينة وكذلك الجوع أحيانا يبتلى بالجوع وهذا قلة واحيانا يكون فى حالة الشبع وهذه غالب احوال الانسان لذلك عبر بجانبها بالشىء أو أنه عمم أولاً وأطلق الابتلاء فى الخوف والجوع ، لانه يشمل الجميع ثم بعد ذلك فصل وبين بان الشىء المبتلى فيه من الجوع والجوع هو نقص فى الاموال والانسف والثمرات ، وذلك لان الابتلاء بالخوف كما ذكر سابقا يكون خوف من الفقر وملاكه نقص الاموال والثمرات والخوف من الموت وملاكه نقص النفس ، والخوف من الجوع أيضا يشمل نقص الأموال والثمرات ، والجوع يؤدى الى الموت فيكون نقص فى النفس والواقع

يشهد بذلك وهو حال الدول المعرضة للمجاعة فى هلاك كثير من سكانها — أما الأنفس والأموال والثمرات فهى تبعيضية مجزئة ، تتكون من العدد الكم فلابتلاء فيها يكون نقص فى عدد الأنفس ، ونقص فى مقدار الأموال ، ونقص فى عدد الثمرات فذكر بجانبها النقص . والله أعلم .

أما (ابتلاء النقص فى الأنفس والأموال) فهو ما يصيب النفس من الموت أو القتل ، وأما الأموال فان نقصها يكون بالهلاك والخسران أو الانفاق .

ونقص (الثمرات) يكون بالجذب والجوائح التى تصيب الثمار أو بترك العمل فى الاراضى الزراعية ، وهنا لى وقفة أطرح فيها سؤالاً لماذا قدم الله سبحانه وتعالى فى النقص الأموال على الثمرات ، مع أن الثمرات تكون من ضمن الأموال ؟

أقول : من باب ذكر الخاص بعد العام ، وقد خصها هى بالذكر دون سائر الأموال للتأكيد على أهميتها ، وبيان ضرورتها للبشرية حيث غالباً ما يحصل منها الجوع للإنسان والحيوان ، ألا ترى معنى ؟ فى اعتماد الإنسان باكله على الخبز والخبز من النبات ، واذا نقص هذا من طعامه كان اضطراباً لحاله .

ثم انه ذكر الثمرات بعد ذكر الأموال والأنفس وذلك لأن الثمرات هى أساس غذاء الإنسان فيكون نقصها فى الأموال والأنفس بالجوع فالمعنى الحاصل على ذلك أن سبب نقص الأموال والأنفس هو نقص الثمرات فنقص الثمرات يؤدى الى نقص الأموال لأن الثمر هو نوع من أنواع المال ونقص الثمر يؤدى الى الجوع ، والجوع يؤدى الى نقص الأنفس بالمرض أو الموت .

وأعجب وأعرب ما قرأت فى معنى الآية رأى الشافعى رحمه الله فى التفسير لهذه الآية فقال: الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الامراض ومن الثمرات موت الأولاد (١) .

(١) تفسير الفخر الرازى (٣٨/٢) تفسير الخازن (٩٨/١) .

ولم أرى وجها صحيحا للإمام الشافعى فى تفسير الآية .. لعل الامام الشافعى يقصد أنها تشير الى :

- ١- اظهار المنافق من المؤمن لان المؤمن والمنافق يشتركان فى النقص .
- ٢- وربما اراد مايلزم المؤمن من الخوف هو الخوف من الله فـي الأموال والأنفس والشمرات وغيرها . وهذا للمؤمن ابتلاء .
- ٣- ان مايلزم المؤمن من الجوع والصيام والصيام امتحان لذلك ختم الآية بقوله (وبشر الصابرين) وقال بعدها : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) (١) .
- ٤- وان مايلزم المؤمن من نقص الأموال الزكاة والنقص ابتلاء للمؤمن لانه ملازم له لا يستطيع أن يتركه طاعة لله عز وجل وفى هذ يكـون من نعمه .
- ٥- وبعض مايصيب نقص الشمرات للانسان له بالتكفير عن سيئاته وخيرالـه فى الدنيا والآخرة ، أما الكافر والمنافق فيكون له عذابا وانتقاما فى الدنيا والآخرة . والله أعلم .

ولقد رد على قوله وتفسيره الامام ناصرالدين أحمد المالكي المعروف بابن المنير فى كتابه الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال فقال : وفى تفسيره هذا نظر ، لأن هذا الابتلاء موعود به فى المستقبل المذكور قبل وقوعه توطنا عليه عند الوقوع ، ولعله مامن بلية ذكرها الاوقد تقدمت لهم قبل نزول الآية ، اذا الخوف من الله تعالى لم يزل مشحونا فى قلوب المؤمنين ، ويبعد ان يعبر عن الصدقة بالنقص ، وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التى هى النمو ضد النقص وورد (مانقت صدقة من مـال) (٢) ويمكن أن يقال هى نقص حسا وانما سميت زكاة باعتبار مايشول اليه حال القيام بها من النمو فالعوض المرجو من كرم الله خلف ، فلما ذكرها

(١) سورة البقرة : آية (١٥٦) .

(٢) أخرج الرواية مسلم فى الصحيح (٢٠٠١/٤) كتاب البر والملة عن

أبى هريرة . باب استحباب الهفو والتواضع .

الله تعالى فى سياق الابتلاء الموعود به عبر عنها بالزكاة ، تسهيلا
لاخراجها على المكلف ، لانه اذ استشعر العوض من الله تعالى ونمو ماله
بذلك هان عليه بذلها وسمحت نفسه بذلك (١) . وقوله هذا احق وفى قوله
هذا رد على من قيد الآية بأنها خطاب للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
أو أهل مكة وانما الخطاب فى الآية عام مطلق لسائر المؤمنين فى كل
الأزمنة والأمكنة ، ويشهد على ذلك حال البشرية فى كل زمان ومكان ، والوقت
الحاضر بانهم معرضون دائما الى الخوف والجوع ونقص الأموال او الأنفـس
والثمرات وأضيف الى قول الامام أحمد فى رده على الشافعى ما يلى :-

تقيده لكلمة (الثمرات) بأنها موت الأبناء وهذا لا أميل اليه
ولا آراه مناسبا لذلك للأسباب الآتية :

- ١- كنت قد ذكرت أن الثمر يدخل من ضمن الاموال التى ذكرت قبل الثمر،
ثم الثمر بعد ذلك من باب التخصيص بعد العام والتقيد بعد المطلق ،
من باب التأكيد على أهميتها .
- ٢- ان لفظ الثمر عندما يذكر يتبادر الى الذهن مباشرة أنه ثمر
النبات ، وغالبا ما يطلق فى اللغة على حمل الشجر فالثمر حمل الشجر
وقد بينت ذلك فى الباب الأول .
- ٣- اذا كان المقصود به قتل الأبناء ، فقد تقدم ذلك فى قوله نقص
الأنفس ، فهو يدخل فيها كل الآباء والأبناء وغيرهم ، ثم لو كان كذلك
فلماذا يخصص ويقيد من نقص الأنفس الأبناء بالذات أكثر مع أن قتل
الأنفس غالبا ما يقع فى الآباء بسبب كثرة قتلهم فى الجهاد وقد
عرف فى لفظ (الأنفس) بالالف واللام الجنسية المفادة لاستغراق
الأفراد أى يدخل فيها كل نفس - ومنهم الأبناء - وذلك مثل قوله
تعالى (وخلق الانسان ضعيفا)^(٢) (٣) . وجنس الأنفس لايشمله جنس المال
والنبات .

(١) الانتصاف / أحمد المالكي (٣٢٤/١) على هامش الكشاف .

(٢) النساء: آية (٢٨) .

(٣) انظر الكواكب الدرية / محمد الأهدل (٦٥/١) ، شرح ابن عقيل على

ألفية ابن مالك (١٥٤/١) .

٤ - أيضا عرف لفظ (الأموال) بالالف واللام الجنسية التي تفيــــــــــــد استغراق الأفراد فيدخل فيها كل مايقال عنه انه مال ومنه الثمــــــــــــر فيكون الثمر من جنس المال ثم بعد ذلك عرف (الثمرات) بالالف واللام الجنسية لاستغراق خصائص الأفراد ومن خصائص أفراد المــــــــــــــــال الثمرات لأنها كما ذكرت سابقا غالبا مايقع عليها النقص والهــــــــــــــــلاك دون سائر الأموال (١) .

٥ - ان (من) في الآية للتبعيض ، أى أن النقص يكون فى بعض مــــــــــــن الاموال ، وبعض من الأنفس وبعض من الثمرات ، ثم ان هنا العطف بين الالفاظ كان بحرف (الواو) والواو فى العطف لا تفيد الترتيب ولا التعقيب ولا التراخى وانما هى لمطلق الجمع ، وتفيد التساوى لذلك يعطف آخر لفظ فى الجملة على اول لفظ فيها فيكون هنا عطف الثمرات على الأموال من باب عطف الخاص على العام وهو لا يــــــــــــــــكون الا بالواو (٢) .

(٣) ومن باب أن المعطوف ليس مغايرا للمعطوف عليه ، وانما هو أوبعضه ، فيكون الثمر هنا غير مغاير للمال فهو من نوعه وجنسه ، ثم وان لفظ الثمر والثمرات ذكر فى القرآن فى معرض الرزق للانسان حيث قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقــــــــــــــــا لكم فلا تجعلوا لله أندادا) (٤) . وذكر فى القرآن أيضا بأنــــــــــــــــه النبات ونتاج الشجر وحمله . ومنه قوله تعالى : (فأنزلنا بــــــــــــــــه الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) (٥) . وقوله تعالى (ثم كلــــــــى من كل الثمرات) (٦) .

(١) انظر الكواكب الدرية/ محمد الأهدل (٦٥/١) .

شرح شذور الذهب / ابن هشام (١٥٠) ،

(٢) الكواكب الدرية/ محمد الأهدل (٩٢/٢) وانظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (٤٤٥-٤٤٦) .

(٣) اعراب القرآن / للزجاج (٨١٨/٣) .

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٥) سورة الاعراف: آية (٥٧) .

(٦) سورة النحل: الآية (٦٩) .

فلم يرد فى القرآن ما يدل على أن الثمرات المقصود بها الولد ثم ان الله سبحانه وتعالى حكى لنا ما كان فى حق فرعون بابتلاؤه بالسنين ونقص الثمرات ، فقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) (١) . والسنين مقصود بها سنين الجرب والقحط لقلة الأمطار والمياه ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : أما السنون فكانت لبناديتهم وأهل مواشيتهم ، ونقص الثمرات فكان فى أمصارهم . وعن كعب : " يأتى على الناس زمان لا تحمّل النخلة الا ثمرة واحدة " (٢) .

٦ - وقد قال تعالى (الثمرات) ولم يقل الثمر او الثمار ، الثمرات جمع الثمرة ، والثمرة ذكرت فى القرآن بمعنى حمل الشجر فى آية واحدة فى القرآن فى حق متاع أهل الجنة فقال تعالى : (كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذى رزقنا به من قبل واتوا به متشابهها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (٣) . وجاء فى المفردات فى غريب القرآن للاصفهاني فى قوله : الثمر اسم لكل ما ينطعم من اعمال الشجر الواحدة ثمرة والجمع ثمرات (٤) .

وفى لسان العرب : قال الجوهري : الثمرة واحدة الثمر والثمرات (٥) .

ومما يتقدم يتضح لنا ما بصدده أن النبات جاء فى سياق القسم فذكر النبات فى موضعين الاول الأموال ، النبات والنبات اصل لجميعة الأموال ، ثم ذكر مفصلا وهو قوله (الثمرات) وهذا يفيد أن القرآن قد نوه بالنبات أكثر من غيره ، وأن النقص فى الثمرات هو اقوى ما يصيب الانسان فى الابتلاء وفى هذا تنبيه للانسان بالاعتناء بالثمرات والزراعة

(١) سورة الاعراف (١٣٠) .

(٢) انظر الكشاف / الزمخشري (١٠٦/٢) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢٥) .

(٤) المفردات فى غريب القرآن / الاصفهاني (٨١) .

(٥) لسان العرب (٣٧٣/١) .

والنبات وغرس الأشجار وتنميتها والمحافظة على ثمارها ، ولايفوتني
أن أقول مايلي :

- ١ - تحقيق أسبابها من حرث وزرع وسقى وتعهد .
- ٢ - بتقوى الله عز وجل والتوكل عليه والاستنارة بشريعة الحكيم
والرزق كما قرره العلماء لايتوقف على الأسباب المادية فقط
وانما لابد من الأسباب الايمانية .

وتتلخص فى التمسك بأمر الله وطاعته والابتعاد عن معاصيه
ولا أطيل الحديث فى هذا فاننى سوف أقوم بتوضيح ذلك فى البــــــــــــــــاب
الرابع .

...

المبحث الخامس

أغراض القسم وأهدافه

من خلال دراستي البسيطة لأسلوب القسم ، وجدت أن للقسم أغراض فمنها ما هو متعلق بالمقسم به ومنها ما هو متعلق بالمقسم عليه .

أولاً: أغراض القسم بالمقسم به :

- ١ - بيان عظمة المقسم به ، ومن ذلك أقسم بنفسه سبحانه وتعالى ، وأقسم بمخلوقاته لبيان عظمتها وأهميتها ، ومنها أقسام بالرسول صلى الله عليه وسلم (لعمر كانهم لفي سكرتهم يعمهون) (١) .
- ٢ - بيان أهمية المقسم به : وذلك للاعتناء والاهتمام به كما في قوله تعالى : (ص والقرآن ذي الذكر) (٢) .
- ٣ - بيان منفعة المقسم به ودوره : كما في الآيات التي ذكرتها وحللتها ففي الآية الأولى : (والتين والزيتون) بيان دور التين والزيتون للبشرية والمنفعة المجنية من هاتين الشجرتين وثمرتهما .
- ٤ - بيان آثار المقسم به وذلك للفت الأنظار اليه ومنه قوله تعالى (والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين) (٣) بيان آثار الأماكن المقدسة وما فيها من أحداث .

ثانياً: أغراض المقسم عليه :

فكما أن للمقسم به أغراض كذلك للمقسم عليه أغراض تؤدي دورها

في القسم فمنها :

- (١) سورة الحجر : آية (٧٢) .
- (٢) سورة ص : آية (١) .
- (٣) سورة التين : آية (١-٣) .

- ١- تعظيم المقسم عليه : ومنه قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم) (١) وقوله تعالى : (فو رب السماء
والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٢) .
- ٢- ثبوت القسم عليه ، ومنه قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فسي
أحسن تقويم) (٣) اثبات حال الانسان وخلقته ووجوده .
- ٣- اظهار المقسم عليه وتحقيقه وتوضيحه ووجوده من الخفاء السـي
عالم الحس ، ومنه قوله تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخسوف
والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) (٤) .
- وقوله تعالى : (والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس
وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاهها ،
وقد خاب من دساها) (٥) .

— أغراضه الخاصة :

- أقصد بذلك القسم بالنبات صريحا أو ضمنا كما ذكر سابقا من سياق
الآيات فقد كان له تحقيق بعض الأهداف والأغراض :
- ١- أهمية النبات وبيان فوائده ومنافعه .
- ٢- اظهار ما كان خفيا من الآثار .

...

-
- (١) سورة النساء: آية (٦٥) .
- (٢) سورة الذاريات : آية (٢٣) .
- (٣) سورة التين: آية (٤) .
- (٤) سورة البقرة: آية (١٥٥) .
- (٥) سورة الشمس : آية (١٠-٥) .

المبحث السادس

آثر القسم بالنبات فى النفس البشرية وأسبابه

لما كانت النفس البشرية تتأثر جوهرى بما يدور حولها وما يقال، كان للقسم تأثيره العميق فى النفس البشرية بما تسمعه من أخبار وأقوال، وخاصة مع النبات فهو يعمل فيها عمل السحر أولاً بما يؤكد له لديها من الأخبار ثم أنه يبصر الانسان فى أمور تخفى عنه ، ويوقظ مشاعر الانسان لما كان غافلاً عنه ومن ذلك النبات المشاهد الحى ، ويعود الانسان العبير على متاعب الحياة ويشير فى الانسان الاحساس بنعم الله عز وجل التى منها النبات ، وتهيئة النفوس البشرية لادراكها بما سوف يلقي عليها من الاخبار ومدى اهتمامها بهذه الأشياء العظيمة المستحقة للاهتمام ، فتتهيأ لتقبله والأخذ به ، وذلك لما فيه من الترغيب والترهيب ، الترغيب فى طاعة حب الخير وبذل المعروف والنصح ، والترهيب عن معاصى الله والخباث وعمل المنكرات ونشر الفساد فى الأرض والاهتمام بنعم الله والحفاظ عليها وأداء شكر النعمه التى أنعم الله بها عليه والتى منها النبات .

وبانتهاء القسم يكون الانتهاء من الباب الثانى فى الأساليب التى عرضت فيه أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى عرض الآيات بالنبات من التمثيل والتشبيه والخبر والاستفهام والقسم .

الباب الثالث

وَدَلَالَاتُ آيَاتِ الْنبَاتِ عَلَى وُجُودِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَظِيمُ صِفَاتِهِ وَالتَّبَعِثُ

وَيَكُونُ مِنْ تَمْهِيرٍ وَبَيَاحَتٍ :

تمهيد : لقرآن الكريم والأدلة الكونية على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته .

الفصل الأول : دلالة آيات نبات على وجود الله تعالى ووصفاته .

الفصل الثاني : دلالة آيات نبات على صفات الله تعالى الجليلة وقدرته عز وجل على الخلق والابتداع .

الفصل الثالث : دلالة آيات نبات على قدرة الله تعالى على لبعث والنشور في الأرض .

تمهيدالقرآن الكريم والأدلة الكونية على وجود الله
عز وجل وعظيم صفاته

بعد هذه الجولات والجوانب التي تتبعتها بالدراسة والشرح والتوضيح في شأن النبات وما يتعلق به في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أتابع المسيرة في ظلال النبات والأشجار والشمار لتوضيح وجهها آخر وجانبها مهما من جوانبه التي يحسها كل من قرأ القرآن الكريم، وتدبره حقيق تدبره وهو دلالة النبات والأشجار والشمار على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته، وكذلك البعث . وانى لأرى أن هذا المبحث هو الأجدر بالتحقيق والحقيق بالدراسة حيث ان القرآن الكريم في جميع معلوماته ، وكماله قضياه ومختلف أنواع بيانه يتجه أولا وقبل كل شيء الى تقرير وجود الله عز وجل وتشبيت وحدانيته وتأكيد جليل صفاته العلية في نفوس الخلق وقلوب بنى آدم .

ومن ثم فقد تكاثرت الآيات الكونية في القرآن الكريم ، وتعمدت وتنوعت لتدعيم هذه القضية وتأكيد لها لترسيخ عقيدة التوحيد وتقريرها وتشبيت الاعتراف الصادق الجازم بوجود الله تعالى وأنه الخالق المدبر المهيمن القادر المقتدر . ومع أن معرفة الله عز وجل والاعتراف بوجوده غريزة فطرية في الانسان وطبيعة خلقية متأصلة في قلبه ونفسه ووجدانه اذا تركت ونفسها بدون مؤثر اهتدت الى وجود الله سبحانه مع كل هذا يجد المتدبر أن الله عزت قدرته قد أخذ يكرر لفت أنظار الخلق الى آيات وجوده ودلائل وحدانيته في الكون الواسع الفسيح ، كون الله تعالى العظيم ، وذلك لتشبيت العقيدة الصحيحة في قلب الانسان وشعوره ووجدانه وتوضح في نفسه معالمها السامية ، فتجعله مقبلا دائبا على فعل الخيرات وناسيا وجافيا لفعل المنكرات كما تجعله منكرا لكل عقيدة باطلة أو نحلة زائفة فاسدة .

فقد تكررت آيات القرآن الكريم التى تحث وتحض وتدعو الانسان الى التأمل والتدبر فى عظيم خلق الله تعالى وجميل صنعه وبديع تدبيره فى ما يقرب من ثمانمائة آية .

فالقرآن الكريم يوجه الانسان الى النظر والتدبر والتفكر فى نفسه وفيما يحيط به من عوالم موقنا ومؤملا أن هذا النظر والتدبر والتفكر حقيق بأن يرشد الانسان الى الحق ويدفعه الى الخير بما يشاهد ويشعر ويلمس من آيات الله عز وجل فى الأنفس والآفاق .

يقول تعالى : " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون " (١) .

وقوله تعالى : " قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغننى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " (٢) .

وقوله تعالى : " أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى " (٣) .

وقوله تعالى : " أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ " (٤) .

وقوله تعالى : " أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " (٥) .

وقوله تعالى : " وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلاتتبصرون " (٦) .

-
- (١) سورة البقرة (١٦٤) .
 - (٢) سورة يونس (١٠١) .
 - (٣) سورة الروم (٨) .
 - (٤) سورة الأعراف (١٨٥) .
 - (٥) سورة (ق) (٦ - ٨) .
 - (٦) سورة الذاريات (٢٠ - ٢١) .

وغير ذلك من الآيات الكريمة المبثوثة فى جميع القرآن الكريم —
توجه نظر الانسان وعقله الى الكون وما فيه من آيات كبيرة ودلائل عظيمة
على وجود الله تعالى ووحدانيته، وجليل صفاته مما هو منتشر فى هذا
الكون الكبير فى سماواته وأرضه، فى الانسان وشأنه، فى الجماد - ومظاهره
فى النبات وأنواعه وألوانه - فى الحيوان وصنوفه وأشكاله، فى كل
ما فى الكون من الذرة الى المجرة من الخلية الواحدة الى أسى أشكال
الحياة ومما يلفت النظر أن الله عز وجل كثيرا ما يختتم آيات الكون
بقوله : " ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون " أو " لقوم يعقلون " أو " لقوم
يذكرون " .

ففى العقل التفكير والتدبر، وفى التفكير والتدبر فى ملكوت الله
عز وجل وكونه ومخلوقاته يكون الايمان بالله عز وجل ووجوده وقدرته
والتفكير الدائم والتدبر المستمر فى خلق الله وصنعه فيه تذكير دائم
بالله عز وجل وذلك للثبات على منهجه وشرعه وعدم الغفلة عنه .

ونجد القرآن الكريم ينكر على الكافرين تغافلهم عن هذه الآيات
وعدم انتفاعهم بما فى الكون من دلائل وبراهين فيقول تعالى : " وكأين
من آية فى السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون " (١) .

وكثيرا ما يختتم الآيات فى مثل هذا المقام بهذه الفواصل " أفلا
تعقلون " ، " أفلا يسمعون " ، " أفلا يبصرون " . ناعيا عليهم عدم تدبرهم
وتفكرهم ومسفها لأحلامهم وعقولهم ومستهزئا ومستخفا بشأنهم وأفكارهم
التي لم ينتفعوا بها فى سبيل الحق وطريق الرشد والصلاح لأقوم الطرق .

وقد اشتملت السور المكية على وجه الخصوص على اشارات وتصريحات
وعرض شامل للنظر فى الكون والتأمل فى نظامه وابداعه لتحريك السمع
وايقاظ الحواس وتنشيط الأفتدة للتفكر فى ملكوت الخالق العظيم سبحانه
وتعالى، ثم الانتقال من ملكوته الى دلائل عظمتة ومن المخلوق الى

(١) سورة يوسف (١٠٥) .

الخالق ومن الطبيعة الى مكوناتها وخالقها وبارئها، ومن المسبب الى المسبب ومن المصنوع الى الصانع ما يقتضيه العقل ويسوق اليه النظر فى أدق الأمور وأجلها وأمضر الأشياء وأعظمها .

والمأمل فى الآيات الكونية فى القرآن العظيم يلاحظ تنوع أسلوبها فأحيانا تستلقت النظر الى آثار قدرة الله تعالى وأحيانا تعدد نعم الله على الانسان فى هذا الكون البديع ليرتبط به فيتعرف أسرارته وأحواله .

وكان الآيات الكونية فى مجموعها تمثل نداءً جهيراً للناس جميعاً أن افتحوا عيونكم وأيقظوا أفئدتكم وتأملوا ملياً فى خلق الله تعالى لكم .

والمتدبر فى كون الله تعالى وخلقه وجميل ابداعه واتقانه يجد فيه أربعة أدلة رئيسية تهدى الانسان الى ربه وترشده الى خالقه سبحانه وهى الأدلة التى استقرأها العلماء من آيات القرآن الكريم وهى :

(١) دلالة الخلق :

والمراد به الابداع والاحداث أى ابراز الشئ من العدم الى الوجود . ودليل الخلق والابداع يعرضه القرآن الكريم بأساليب مختلفة وطرق متعددة شاملة لجميع المخلوقات كلها ، فهو يشمل خلق السموات وخلق الأرض وخلق الانسان . وغير ذلك من أنواع الخلق المبثوثة فى كون الله العظيم .

(٢) دليل العناية أو التسوية :

والمراد به احسان الخلق واكمال الصنع واتقانه بحيث يكون مهياً لأداء وظيفته وبلوغ كماله المقدر له وامداده بما به صلاحه ويقاؤه وجعله مستويا معتدلاً متناسب الأجزاء بحيث لا يحصل بينها تفاوت يخلل بالمقصود منها .

والمتدبير فى هذا العالم المترابط الأجزاء يجد فيه الدلالة الواضحة على قدرة خالقه وكمال علمه وحكمته وحسن لطفه وعنايته بالعالم كله اذ الرعاية شاملة لكل أفرادہ والعلم محيط بكل جزئياته .
 وصدق الله العظيم فهو يقول : " الذى أحسن كل شئ خلقه " (١) .
 ويقول : " صنع الله الذى أتقن كل شئ " (٢) .
 ويقول : " ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى " (٣) .
 ومعنى اعطائه خلقه اعطاؤه من الخلق والتصوير ما يصلح به لـمـا خلق له .

كما عبر عن هذه التسوية بنفى التفاوت فى خلق الله فى قوله تعالى : " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت " (٤) .
 فاذا تأمل الانسان بفكره وعقله وبصيرته فى أى جزئية من جزئيات هذا العالم المحيط به المسخر لمصلحه والذى عليه استقرار حياته كفاه ذلك دليلا واضحا وحجة بينة على أن هذا العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم قد قدر هذا الكون فأحسن تقديره وأتقنه ونظمه فأحسب اتقانه وتنظيمه .

وهذه التسوية وتلك العناية شاملة لجميع المخلوقات ، السماء والأرض والانسان والنبات والجماد .

(٣) دليل النظام أو التقدير :

والمراد به خلق كل شئ من المخلوقات فى هذا الكون بمقـدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه ، ويحيث يتوافق ويتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه فلا يعطـل

-
- (١) سورة السجدة (٧) .
 - (٢) سورة النمل (٨٨) .
 - (٣) سورة طه (٥٠) .
 - (٤) سورة الملك (٣) .

وظيفتها أو يعوق سيرها لما خلقت له وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ينتظم به سير الوجود كله .

ولقد نبه القرآن الكريم الى هذا التقدير وذلك النظام الكونى والتناسب والتناسق بين جميع المخلوقات فى الكون بقوله تعالى : " وكل شئ عنده بمقدار"^(١) . وقوله تعالى : " وخلق كل شئ فقدره تقديرا"^(٢) . وقوله تعالى : " قد جعل الله لكل شئ قدرا"^(٣) ، وقوله تعالى : " انا كل شئ خلقناه بقدر"^(٤) . وقوله تعالى : " وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم"^(٥) .

ودليل النظام يعتمد على دليل الخلق غير أنه يزيد عليه التوضيح والبيان لما فى ذلك الخلق من ابداع واختراع وتنظيم واتقان . وماتدل عليه هذه المخلوقات من قصد فى ايجادها وحكمة فى تسييرها وتدبيرها .

والمتدبر فى الآيات الكونية فى القرآن الكريم يتضح له بجلاء ووضوح أن القرآن الكريم قد تناول فيها كل طرق الاستدلال . " فذكر الأدلة النظرية المركبة كدليل "الحدوث" ودليل "الوجوب" ودليل العلة التى تقوم على بدهة "قانون العلة" .

ثم اعتمد أكثر ما اعتمد على دليل النظام الذى يركز على ما فى خلق الله من ابداع واختراع وتصميم وتنظيم واحكام واتقان وتقدير وتحديد وترتيب واتزان فأكثر من ذكر شواهدا وكررها وأكدها فى مواطن كثيرة لأنه الدليل الذى يدركه العقل ويرضاه بيسر وسهولة بدون أن يحتاج الى غوص فى لجج الاستدلال ومن غير أن يعتريه وهم أو عجز

-
- (١) سورة الرعد (٨) .
 - (٢) سورة الفرقان (٢) .
 - (٣) سورة الطلاق (٣) .
 - (٤) سورة القمر (٤٩) .
 - (٥) سورة الحجر (٢١) .

(١)
 أو كلال ويستوى فى ادراكه مبدئيا البدوى الساذج ، والعالم الفيلسوف
 لأن علام الغيوب سبحانه علم أن الذين يطيقون الانكباب على التعمق فى
 الأدلة العقلية الفلسفية المركبة العويصة هم القلة من العلماء .
 فقضت حكمته بأن يخاطب الناس كافة بالدليل الأيسر الأسهل الأوضح
 الذى يزداد على مر الأيام وضوحا كلما تقدم العلم وانكشفت للعلماء
 أسرار النواميس الدالة على النظام ليصدق وعده تعالى : " سنريهم
 آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " (٢)
 وقد صدق وعده الحق فأراهم بعد عصور وعصور من آياته فى الآفاق
 وفى تكوين الانسان ما ألفوا فيه المطولات حتى تحقق فيهم قوله سبحانه
 " انما يخشى الله من عباده العلماء " (٣)

(٤) دليل الهداية :

والمراد به أن كل شيء فى الكون قد هدى الى ما خلق لأجله وألهم
 غاية وجوده . ويسر الله تعالى له الطريق ليذكر غاية الكمال الذى
 يناسبه .

(وهذه هى الهداية انها شيء فوق الخلق والتسوية والتقدير انها
 الالهام أو التعليم ، انها الهداية التى يتم بها التقدير ويكتمل
 الخلق والتدبير . هذه الهداية عامة مبثوثة فى كل شيء فى الكون حسى
 أوجامد ، صامت أوناطق ، عاقل أو غير عاقل ، فليست هى هداية خاصة
 بالمكلفين أو العقلاء وليست مقصورة على الكائنات المتحركة
 كالاناس والدواب والطيور والحشرات وهذا ما ذكره القرآن على لسان موسى
 حين سأله فرعون " فمن ربكما ياموسى " وقد كان يدعى أنه الرب الأعلى
 فقال موسى : " ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " (٤)

-
- (١) كلالا : أى أعياء الشدة والتعب . انظر المصباح المنير (٥٣٨) .
 (٢) سورة فصلت (٥٣) .
 (٣) قصة الايمان للشيخ نديم الجسر (ص ٢٨١) ، سورة فاطر (٢٨) .
 (٤) سورة طه (٥٠) .

(١)
 • فما من شيء في الوجود الا أعطى هداه كما أعطى خلقه) .
 ودليل الهداية موجود في كل مخلوق خلقه الله تعالى على ظهر
 الأرض، وفي جنبات الكون موجود في الطيور، في الحشرات، في الانسان، في
 الدواب، في الجبال، في النبات .
 يقول الامام الفخر الرازي ويذكر في بيان فضل النظر والاستدلال على
 وجود الله تعالى خمسة وجوه :
 أحدها : أن شرف العلم بشرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف
 كان العلم الحاصل به أشرف، فلما كان أشرف المعلومات ذات الله تعالى
 وصفاته وجب أن يكون العلم المتعلق به أشرف العلوم .
 وثانيها : أن العلم اما أن يكون دينيا أو غير ديني، ولا شك
 أن العلم الديني أشرف من غير الديني، وأما العلم الديني فاما
 أن يكون هو علم الأصول أو ماعده، أما ماعده فانه تتوقف صحته على علم
 الأصول لأن المفسر انما يبحث عن معاني كلام الله تعالى، وذلك فرع على
 وجود الصانع المختار المتكلم .
 وأما المحدث فانما يبحث عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وذلك فرع على ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم . والفقيه انما
 يبحث عن أحكام الله وذلك فرع على التوحيد والنبوة .
 فثبت أن هذه العلوم مفتقرة الى علم الأصول، والظاهر أن علم
 الأصول غني عنها فوجب أن يكون علم الأصول أشرف العلوم .
 وثالثها : أن شرف الشيء قد يظهر بواسطة خسارة ضده، فكلما كان
 ضده أخس كان هو أشرف و ضد علم الأصول هو الكفر والبدعة وهما من
 أخس الأشياء فوجب أن يكون علم الأصول أشرف الأشياء .
 ورابعها : أن شرف الشيء قد يكون بشرف موضوعه وقد يكون بشدة
 الحاجة اليه . وقد يكون بقوة براهينه وعلم الأصول مشتمل على الكسب

(١) وجود الله للدكتور يوسف القرضاوى (ص ٥٥ - ٩٦) .

(٢) علم العقيدة .

وذلك لأن علم الهيئة أشرف من علم الطب نظرا الى أن موضوع علم الهيئة أشرف من موضوع علم الطب، وان كان الطب أشرف منه نظرا الى أن الحاجة الى الطب أكثر من الحاجة الى الهيئة .

وعلم الحساب أشرف منهما نظرا الى أن براهين علم الحساب أقوى .
 أما علم الأصول فالمطلوب منه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أقسام المعلومات من المعدومات والموجودات ولاشك أن ذلك أشرف الأمور . وأما الحاجة اليه فشديدة لأن الحاجة اما فى الدين أو فى الدنيا .

أما فى الدين فشديدة لأن من عرف هذه الأشياء استوجب الثواب العظيم والتحق بالملائكة، ومن جهلها استوجب العقاب العظيم والتحق بالشياطين .

وأما فى الدنيا فلأن مصالح العالم انما تنتظم عند الايمان بالصابغ والبعث والحشر اذ لو لم يحصل هذا الايمان لوقع الهرج والمرج فى العالم .

وأما قوة البراهين فبراهين هذا العلم يجب أن تكون مركبة من مقدمات يقينية تركيبا يقينيا وهذا هو النهاية فى القوة، فثبت أن هذا العلم مشتمل على جميع جهات الشرف والفضل فوجب أن يكون أشرف العلوم .

وخامسها : أن هذا العلم لا يتطرق اليه النسخ ولا التغيير ولا يختلف باختلاف الأمم والنواحى بخلاف سائر العلوم فوجب أن يكون أشرف العلوم .

وسادسها : ان الآيات المشتملة على مطالب هذا العلم وبراهينها أشرف من الآيات المشتملة على المطالب الفقهية بدليل أنه جاء فى فضيلة "قل هو الله أحد" و "آمن الرسول" وآية الكرسي ما لم يجيء مثله فى فضيلة قوله : " ويسئلونك عن المحيض "، وقوله : " يا أيها الذين

(١) سورة الاخلاص (١) .

(٢) سورة البقرة (٢٨٥) .

(٣) سورة البقرة (٢٥٥) .

(٤) سورة البقرة (٢٢٢) .

(١) آمنوا اذا تداينتم بدين " وذلك يدل على أن هذا العلم أفضل .
وسابعها : أن الآيات الواردة فى الأحكام الشرعية أقل من ستمائة
آية وأما البواقي ففى بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان
وأصناف المشركين . وأما الآيات الواردة فى القصص فالمقصود عنها
معرفة حكمة الله تعالى وقدرته على ما قال " لقد كان فى قصصهم عبرة
لأولى الألباب " (٢) .

فدل ذلك على أن هذا العلم أفضل (٣) .

فمن تتبع هذه الأدلة القرآنية الواضحة الجلية، يظهر له أن القرآن
الكريم ترجمة حقيقية للكون المنظور وأنه ينبه العقول الى مشاهد
الكون وتأمل ما فيه من مخلوقات واستقراء جزئياته ليخرج منها بالاقرار
الجازم بوجود الله تعالى ووحدانيته وعظيم صفاته وجلال نعمه وجميـل
هداياته .

يقول الشيخ نديم الجسر : (ان آيات القرآن تكاد تكون مقسمة بين
دعوة الى الله وارشاد الى دلائل وجوده ووحدانيته وعلمه وقدرته
وارادته وعنايته ورحمته وجميع صفات كماله . ووعده ووعيد للترغيب فى
طاعته والتحذير من معصيته . وتوكيد ليوم البعث والدين . وأحكام فى
العبادات والمعاملات وحكمة عمله فى الحياة . وحض على مكارم الأخلاق
وقصص يمت بسبب الى هذه الأقسام الستة . ولكن أهم هذه الأقسام وأعظمها
عند الله هو القسم الأول . لأن الايمان بالله هو الأصل وهو الأساس لكل
ماعداه .

ولذلك ترى وأنت تتصفح القرآن أن الآيات الدالة على الله لا تكاد
تخلو منها سورة من السور بل يتكرر ذكرها أحيانا فى السورة الواحدة (٤) .
ومن ثم سوف أدخل فى تفصيل وتوضيح دلائل وجود الله تعالى ووحدانيته
وجليل صفاته فى النبات والأشجار والشمار خاصة، حيث أن هذا مجال بحثى
وموضوع رسالتى . والله الموفق والمعين .

(١) سورة البقرة (٢٨٢) .

(٢) سورة يوسف (١١١) .

(٣) تفسير الفخر الرازى (٢/٩٥ - ٩٦) .

(٤) قصة الايمان لنديم الجسر (ص ٢٤٤) .

الفصل الأول

« دلالة آيات - النبات - على وجود الله وحكمه العليم »

وتكون من تمهيد وساجت :-

- ١- التمهيد : أنواع الدلالات .
- ٢- البحث الأول : الدلالة على وجود الله بالماء .
- ٣- البحث الثاني : دلالة على وجود الله بالنبات .

الفصل الأولدلالة آيات النبات على وجود الله تعالى ووحدانيته

تمهيد : أنواع الدلالات :

ان المتأمل فى آيات القرآن الكريم عامة ، وفى الآيات الكونية خاصة يظهر له بوضوح تام دلائل وجود الله عز وجل ، وبراهين وحدانيته تعالى فى خلق الانسان وفى خلق السموات والأرض وفى خلق الجمادات ، وفى خلق البحار والأنهار ، وفى خلق الأنعام ، وفى خلق الماء والسحاب ، وفى خلق النبات والأشجار والثمار ، خلق كل شىء فى الوجود ففى كل شىء لله آية تدل على أنه الموجود والواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

يقول الامام الفخر الرازى ما خلاصته : ان مجموع الطرق الدالة على وجوده سبحانه ستة لامزيد عليها :

أحدها : الاستدلال بإمكان الذوات واليه الإشارة بقوله تعالى :
" والله الغنى وأنتم الفقراء " ^(١)

وبقوله حكاية عن ابراهيم : " فانهم عدو لى الرب العالمين " ^(٢)

وبقوله : " وان الى ربك المنتهى " ^(٣)

وقوله : " قل الله ثم ذرهم " ^(٤)

وقوله : " ففروا الى الله " ^(٥)

وقوله : " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ^(٦)

وثانيها : الاستدلال بإمكان الصفات واليه الإشارة بقوله : " خلق السموات والأرض " ^(٧) .
وبقوله : " الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء " ^(٨)

وثالثها : الاستدلال بحدوث الأجسام ، واليه الإشارة بقول ابراهيم عليه السلام : " لأحب الأفلين " ^(٩)

ورابعها : الاستدلال بحدوث الأعراض ، وهذه الطريقة أقرب الطرق الى أفهام الخلق وذلك محصور فى أمرين :

- (١) سورة محمد (٣٨) .
- (٢) سورة الشعراء (٧٧) .
- (٣) سورة النجم (٤٢) .
- (٤) سورة الأنعام (٩١) .
- (٥) سورة الذاريات (٥٠) .
- (٦) سورة الرعد (٢٨) .
- (٧) سورة الأنعام (٧٣) .
- (٨) سورة البقرة (٢٢) .
- (٩) سورة الأنعام (٧٦) .

– دلائل الأنفس .

– دلائل الآفاق .

أما دلائل الأنفس : فهي أن كل أحد يعلم بالضرورة أنه ما كان موجوداً قبل ذلك وأنه صار الآن موجوداً وأن كل ما وجد بعد العدم فلا بد له من موجد وذلك الموجد ليس هو نفسه ولا الأبوين ولا سائر الناس لأن عجز الخلق عن مثل هذا التركيب معلوم بالضرورة فلا بد من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه إيجاد هذه الأشخاص .

أما دلائل الآفاق : فهي أن كل مخلوق مفتقر إلى المحدث والموجد ويدخل فيها كل ما يوجد من تغييرات أحوال العالم من الرعد والبرق والرياح والسحاب واختلاف الفصول . وحاصلها يرجع إلى أن الأجسام الفلكية والأجسام العنصرية مشتركة في الجسمية .

فاختصاص بعضها ببعض الصفات من المقادير والأشكال والأحياز لا يمكن أن يكون للجسمية وللشئ من لوازمها والواجب اشتراك الكل في تلك الصفات فلا بد وأن يكون الأمر منفصل . وذلك الأمر ان كان جسماً عاد البحث في أنه لم يختص بتلك المؤثرية من بين تلك الأجسام وان لم يكن جسماً فاما أن يكون موجبا أو مختاراً . والأول باطل والا لم يكن اختصاص بعض الأجسام ببعض الصفات أولى من العكس فلا بد وأن يكون قادراً فثبت بهذه الدلالة افتقار جميع الأجسام إلى مؤثر قادر ليس بجسم ولا جسماني ، وعند هذا ظهر أن الاستدلال بحدوث الأعراض على وجود الصانع لا يكفي إلا بعد الاستعانة بإمكان الأعراض والصفات (١) .

أسوق هذا بين يدي بيان الآيات القرآنية في النبات الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته ليتجلى ويظهر للمتدبر أن الآيات الافاقية الأرضية هي أوضح وبالأخص آيات النبات التي تلفت نظر الانسان وتجذب وعيه وتملاً حسه وشعوره وهي أوضح الدلائل وأظهرها .

(١) باختصار من مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٠٧/٢) .

وأولى الآيات التى تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته قولـــــــــــــــــه
تعالى فى سورة البقرة : " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكمـــــــــــــــــم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسمـــــــــــــــــاء
بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلاتجعلـــــــــــــــــوا
لله أندادا وأنتم تعلمون " (١) .

فالله سبحانه وتعالى قد ذكر فى هاتين الآيتين الكريمتين خمسة
دلائل على وجوب وجوده تعالى ووحدانيته ، وهى : خلق المخاطبين ، وخلق
من قبلهم ، وخلق السماء ، وخلق الأرض ، وخلق الثمرات من الماء النـــــــــــــــــازل
من السماء الى الأرض . والمتدبر فى الآيتين يجد أن الله عز وجل قد
قدم ذكر الانسان وذلك لأنه أقرب الأشياء الى الانسان نفسه ، وعلـــــــــــــــــم
الانسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره .

ثم شئ بذكر الآباء ثم ثلث بالأرض لأن الأرض أقرب الى الانسان مــــــــــــــــن
السمــــــــــــــــاء ، والانسان أعرف بحال الأرض منه بأحوال السماء ، وانما قدم ذكر
السمــــــــــــــــاء على نزول الماء من السماء وخروج الثمرات بسببه لأن ذلك
كالمتولد من السماء والأرض والأثر متأخر عن المؤثر ، فلهذا السبب أخــــــــــــــــر
الله ذكره عن ذكر الأرض والسمــــــــــــــــاء .

والذى يعنيننا فى هذا المقام هو الثمرات الخارجة من الأرض عنــــــــــــــــد
نزول الماء عليها ، وهو قوله تعالى فى الآية : " وأنزل من السمــــــــــــــــاء
ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " (٢) .

يقول الفخر الرازى : (واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكــــــــــــــــر
الأرض والسمــــــــــــــــاء بين ما بينهما من شبه عقد النكاح بانزال الماء من السمــــــــــــــــاء
على الأرض والاخراج به من بطنها أشباه النسل الحاصل من الحيوان ومــــــــــــــــن
أنواع الثمار رزقا لبني آدم ليتفكروا فى أنفسهم وفى أحوال ما فوقهم
وماتحتهم ويعرفوا أن شيئا من هذه الأشياء لا يقدر على تكوينها وتخليقها
الامن كان مخالفا لها فى الذات والصفات وذلك هو الصانع الحكــــــــــــــــيم
سبحانه وتعالى) (٣) .

(١) سورة البقرة (٢٢، ٢١) .

(٢) سورة البقرة (٢٢) .

(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٢/١٢٠) .

المبحث الأولالدلالة على وجود الله بالماء

ففى قوله تعالى : " وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ^(١) " دلالتان على وجود الله تعالى ووحدانيته وعظيم قدرته سبحانه وتعالى بإمكان الصفات والأعراض .

الدلالة الأولى :

قوله : " وأنزل من السماء ماء " . انزال الماء من السماء أى من جهة العلو لأن كل ما فوق الانسان يسمى سماء أى من السحاب المتكون من الأبخرة الصاعدة من الأرض فى المحيطات والبحار بفعل الحرارة الشمسية .

وفى انزال هذا الماء بعد تكونه فى السحاب وإشارة الرياح لله لآية وأى آية دالة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعظيم قدرته وواسع علمه وفضله ، ولقد قرر القرآن الكريم أمر انزال الماء من السماء وكيفية تكوينها وتجميعها فى آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : " وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون " ^(٢) .

ويقول تعالى : " والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور " ^(٣) .

ويقول تعالى : " الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون " ^(٤) .

-
- (١) سورة البقرة (٢٢) .
 - (٢) سورة الأعراف (٥٧) .
 - (٣) سورة فاطر (٩) .
 - (٤) سورة الروم (٤٨) .

وقوله تعالى : " وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين " (١) .

وقوله : " ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار " (٢) .

ومفاد كل هذه الآيات الكريمة وغيرها بيان دورة المطر النازل من السماء ليكون سببا في احياء الأرض بالنبات ويتلخص فيما يأتي :

(يثير الاشعاع الحرارى للشمس تبخر الماء فى المحيطات وكلل السطوح الأرضية المغطاة أو المشبعة بالماء يتصاعد منها بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل سحبا عن طريق تكاثفه ، عندئذ تدخل الرياح لتؤدى دورها فى نقل السحب بعد تشكلها الى مسافات متنوعة . وقد تختفى السحب دون أن تعطى مطرا . كما يمكن أن تلتقى كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطى بذلك سحبا ذات كثافة كبرى وقد تتجزأ لتعطى مطرا فى مرحلة من تطورها وسرعان ماتم الدورة بوصول المطر الى البحار التى تشكل ٧٠٪ من سطوح الكرة الأرضية .

أما المطر الذى يصل الى الأرض فقد يمتص جزئيا بواسطة النباتات مساهما بذلك فى نموها وهذه بدورها تقوم من خلال ترشحها باعطاء جزء من الماء الى الجو .

أما الجزء الآخر فانه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثُر الى التربة ليتجه نحو المحيطات عن طريق مجارى الماء . أو قد يتسرب فى التربة ليعود نحو الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الأماكن الأخرى التى يخرج منها الماء الى السطح .

ولنقارن معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التى نجدها فى كثير من الآيات القرآنية المذكورة فى هذه الفقرة سنلاحظ وجود توافق

(١) سورة الحجر (٢٢) .

(٢) سورة النور (٤٣) .

(١)
رائع بين الاثنين .

وفى ذلك تنبيه ولفت نظر الانسان الى أن يفكر فى آيات الله تعالى
المبثوثة فى الكون المحيط به وبالأخص فى الماء الذى تقوم عليه حياة
جميع الأحياء " وجعلنا من الماء كل شئ حى " (٢) .

وهنا يتجلى للانسان أن القرآن الكريم قد اتخذ من مشاهد الماء دلائل
على اثبات وجود الله عز وجل ووحدانيته سبحانه بإمكان الأعراض والصفات .

فهذا الماء النازل من السماء ماهو ؟ وكيف نزل ؟

ان الانسان ليمر على هذه الآية الخارقة بدون أن يلتفت اليها
لكثرة الفه لها وطول تكرار مشاهدتها ولكن اذا نظر وتفكر وتدبّر
واستبصر يظهر له أن خلق الماء فى ذاته أمر خارق وآية جليلة تسترعى
الانتباه فمهما عرفنا أن الماء ينشأ من اتحاد ذرتى أيدروجين بـذرة
أوكسجين تحت ظروف معينة فان هذه المعرفة خليقة بأن توقظ قلوبنا
الى رؤية يد الله عز وجل التى صاغت هذا الكون بحيث يوجد الأيدروجين
ويوجد الأوكسجين وتوجد الظروف التى تسمح باتحادهما ويتكون الماء من
هذا الاتحاد، ومن ثم تنشأ الحياة على ظهر هذه الأرض ولولا الماء ما وجدت
حياة .

انها سلسلة من التدبير حتى تصل الى وجود الماء ووجود الحياة
والله عز وجل من وراء هذا التدبير كله مما صنعت يده .

ثم نزول هذا الماء بعد وجوده هو الآخر خارقة جديدة ناشئة من
قيام الأرض والكون على هذا النظام الذى يسمح بتكوين الماء ونزوله وفق
تدبير الله تعالى (٣) .

قال تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع
فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله
حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب " (٤) .

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة - مورييس بوكساي

(ص ٢٠٣) الترجمة العربية، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٢) سورة الأنبياء (٣٠) .

(٣) انظر : فى ظلال القرآن - سيد قطب (١٣٥/٧) .

(٤) سورة الزمر (٢١) .

فالماء ينزل من السماء فاذا به ينابيع وعيون وأنهار تسير هنا وهناك وتسيل فى مسالكها متنقلة من مكان الى مكان . ثم اذا به—ذا الماء يحيى الأرض بعد همودها وركودها واذا بها تهتز بالنبات الناضر البهيج المختلف الألوان والأصناف والأشكال ثم اذا بهذا الزرع يبلى—غ غايته المقدرة له فى ناموس الوجود وفى نظام الكون وفى مراحل الحياة فينفج للحصاد ثم يتم جفافه فيصفى فيغدو بعد ذلك حطاما كأنه ل—م يكن زينة بالأمس .

تأمل وتدبر تجد أن القرآن الكريم يتخذ من هذه المشاهد الكونية وتنقلها من حال الى حال ومن طور الى طور دليلا حسياً على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير ل—عن تعطيل واهمال .^(١)

فهذه الآيات القرآنية تنبه المشاعر والمدارك والعقول الى ما فى هذا الكون المشاهد المنظور من أدلة متعددة ، ونعم باهرة ، ونظام حكيم يدل على وجود اله قادر قاهر بيده الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير .

وأرى أنه من الجدير أن نختم ذلك بما أشاره الامام الفخ—ر الرازى من أسئلة وأجاب عنها بأجوبة شافية تناسب المقام ويدعو اليها الحال فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : " وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " : (وههنا سوالات :

السؤال الأول : هل تقولون : ان الله تعالى هو الخالق لهذه الثمار عقيب وصول الماء اليها بمجرى العادة ؟

أو تقولون : ان الله تعالى خلق فى الماء طبيعة مؤثرة وفى الأرض طبيعة قابلة ، فاذا اجتمعتا حصل الأثر من تلك القوة التى خلقها الله تعالى ؟

^(٣) والجواب : لاشك أن على كلا القولين لا بد من الصانع الحكيم (٠٠٠) .

(١) راجع تفسير الزمخشري (٣/٣٩٤) ط/الطبي ، القاهرة ١٩٦٦م .

(٢) سورة البقرة (٢٢) .

(٣) مفاتيح الغيب (٢/١٢١) .

حقاً لا بد من صانع حكيم واجب الوجود واحد أحد في ذاته وصفاته
وأفعاله . هذا ماتمليه علينا بدائع الخلق ودقة النظام وروع
الابداع . فمن تدبر في السحاب ومن كونه وأنشأه ؟ والناظر إلى
الرياح من أنشأها وأثارها وسيرها ؟ والمشاهد للأمطار من كونها
وأنزلها ؟ والمتفكر في الكون جميعه من ابدعه ونظم أموره وأجراه على
سنن لا تتبدل ولا تتغير .

المتدبر في كل ذلك وغيره لا يجد مفراً من الاقرار الجازم والاعتراف
الصريح الحازم بوجود الله عز وجل ووحدانيته واتصافه بكل صفات
الجمال والكمال والجلال سبحانه وتعالى ما أعظم ملكه وأعز سلطانه .

المبحث الثانى

الدلالة على وجود الله بالنبات

الدلالة الثانية :

(١) مايفيده قوله تعالى : " فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " .
المخرج هو الله عز وجل القادر المقتدر أخرج بالماء الذى أنزله
من السماء على الأرض ، أخرج بذلك الماء ثمرات . (والمعنى فى الآية
أخرجنا لكم ألوانا من الثمرات وأنواعا من النبات) (٢)
وهنا يبدأ العقل الواعى فى التساؤل من أين تأتى الثمرة ؟
فالجواب من الأشجار . فيأتى السؤال الآخر ؟ من أين تنشأ الأشجار ؟
فالجواب : من الحبوب التى توضع فى الأرض . وعند ذلك يظهر للمتأمل
أن بين بداية الثمرة ونهايتها مشهدا حريا بالتأمل والاستبصار والتفكير
فى الأدوار والأطوار التى يمر بها النبات حتى يؤتى ثماره .
الدور الأول : ان النبات يبدأ حياته فى الغالب بذرة أو نـوـاة
توضع فى الأرض وتسقى بالماء فتنبت أى تنفلق ، فمن الذى يفلقها ويشقها ؟
ويجيبنا القرآن الكريم عن ذلك بقوله : " ان الله فالق الحب والنوى
يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون " (٣)
فما أعجب صنع الله العظيم فهو الذى يشق النواة الميتة بقدرته
فيخرج منها ورقا أخضروكذلك الحبة ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة
وحبة وهذا معنى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . قال ابن
عباس والضحاك : معنى فالق خالق . وقال مجاهد : عنى بالفلق : الشق
(٤)
الذى فى الحب وفى النوى .

-
- (١) سورة البقرة (٢٢) .
(٢) تفسير القرطبي (٢٢٩/١) .
(٣) سورة الأنعام (٩٥) .
(٤) تفسير القرطبي (٤٤/٧) .

وفى صحيح مسلم عن زر قال: قال على رضى الله عنه: "والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأسمى صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يحبنا" (١)
 الامؤمن ولا يبغضنى إلا منافق" .

الدور الثانى : وعندما تشق الحبة أو النواة يخرج منها جذير يمتد الى أسفل وسويق يمتد الى أعلى تنشق عنه الأرض حاملا ورقتين صغيرتين خضراويتين هذا هو الدور الأول من حياة النبات ويصح أن يسمى بـ دور الانبات لاتأخذ فيه الحبة أو النواة من الخارج الا الماء والأكسجين أما ماعدا ذلك من الغذاء اللازم لتكوين الجذير والسويق والورقتين فيستمد مما أودع الله الحب والنوى من مواد عضوية كالنشأ قدرها الله بحيث تكفى لتكوين تلك الأعضاء . وعلى الجذير والورقتين يتوقف تغذى النبات بعد ذلك ، فالجذير يمتص الماء ومافيه من أملاح ذائبة من الأرض والوريقات الخضراء تعمل عملية :

(أ) تمتص الأكسجين من الهواء لاحتراق الغذاء داخل خلايا النبات حرقا بطيئا وتطرد أكثر فضلات التغذى من ثانى أكسيد الكربون ويخسار الماء . هذه العملية عملية تنفسية وتجرى ليلا ونهارا وهى وان كانت غير مقصورة على الورق الا أنها فى الورق أفعل وأكثر .
 (ب) تمتص ثانى أكسيد الكربون من الهواء فيتغير داخلها تغيرا كيميائيا باتحاده مع الماء بواسطة الخضر اتحادا ينشأ عنه من ناحية مواد غذائية للنبات مثل السكريات والنشأ تدور بصورة ما فى العصارة النباتية على الخلايا لتمثلها مع ما يكون فى العصارة من أملاح .

وينشأ عنها من ناحية أخرى أكسجين بقدر ما كان فى ثانى أكسيد الكربون وهذا هو المقصود من قولهم ان النبات فى التمثيل الخضرى يحلل ثانى أكسيد الكربون فيأخذ الكربون ويطرد الأكسجين ، والواقع أنه لا يحلله ابتداء ولكن يركبه مع الماء تركيبا تنتج عنه مواد عضوية

(١) صحيح مسلم (١/٨٦) الايمان ، باب الدليل على أن حب الانصار .

ثراً النسمة : أى خلق الانسان . انظر الهامش .

(١)
 • وأكسجين بقدر ما كان فى ثانى أكسيد الكربون ، وهذا هو التمثيل الخضرى .
 وبالتأمل فى هذا الطور الأول للنبات يتضح أن هناك قدرة عظيمة
 هى المبدعة لكل ذلك وهو الله عز وجل . يقول تعالى : " وهو الذى
 أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج
 منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعشاب
 والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر
 وينعه ان فى ذلكم آيات لقوم يؤمنون " (٢)

تدبر هذه الآية الكريمة يظهر لك منها عظم الدلائل الدالة على كمال
 قدرة الله تعالى وواسع علمه ودقيق حكمته وفائض رحمته وكثرة وجوه
 احسانه الى خلقه ومن ثم الى وجوب وجوده وتفرد به بالالوهية سبحانه
 عز وجل .

فقوله : " وهو الذى أنزل من السماء ماء " أى من السحاب ، وسمى
 السحاب سماء لأن العرب تسمى كل ما علا سماء . فالماء من السحاب يقرر
 ذلك قوله تعالى : " أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من
 المزن أم نحن المنزلون " (٣)

وقوله : " فأخرجنا منه " أى من النبات يعنى أصوله " خضرا " أى
 شيتا غضا أخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبيبة
 وقوله : " نخرج منه " صفة لخضرا وعبر بصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما
 فيها من القرابة أى نخرج من ذلك الخضر " حبا متراكبا " أى متراكما
 بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والأرز .

ولايفوتنا أن ننبه الى ما فى الآية الكريمة من الالتفات من الغيبة
 الى التكلم فى قوله " فأخرجنا به " وذلك اظهارا لكمال العناية بشأن
 ما أنزل الماء لأجله أى فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء " نبات كل شىء "

(١) الاسلام فى عصر العلم للدكتور محمد أحمد الغمراوى (ص ٤١٢) .

(٢) سورة الأنعام (٩٩) .

(٣) سورة الواقعة (٦٨، ٦٩) .

أى صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان والأشكال كما يقول تعالى : " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل (١) ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " .

ثم بين تعالى ماينشأ عن النوى من الشجر اثر بيان ماينشأ من الحب من النبات بقوله سبحانه : " ومن النخل من طلعتها قنوان دانية " فهذه الجملة معطوفة على قوله : " فأخرجنا منه خضرا " .

والمقصود بالاخبار هنا التعجب من خروج القنوان من الطلع لأن الطلع أول مايبدو من ثمر النخيل كالكيزان يكون فيه العذق والقنوان : هو العرجون . فما يظهر من ذلك من البهجة وجمال المنظور هو المقصود بالاخبار بذلك ، وقوله تعالى : " وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابه " معطوف على ماتقدم لزيادة البيان والتفصيل . يقول الامام الفخر الرازى : (اعلم أنه تعالى ذكر ههنا أربعة أنواع من الأشجار : النخل والعنب والزيتون والرمان . وانما قدم الزرع على الشجر لأن الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه ، والغذاء مقدم على الفاكهة وانما قدم النخل على سائر الفواكه لأن التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب ، ولأن الحكماء بينوا أن بينه وبين الحيوان مشابهة فى خواص كثيرة بحيث لاتوجد تلك المشابهة فى سائر أنواع النبات ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " أكرموا عمتكم النخلة فانما خلقت من بقية طينة آدم " (٢) .

وانما ذكر العنب عقب النخل لأن العنب أشرف أنواع الفواكه ، وذلك لأن من أول ما يظهر يصير منتفعا به الى آخر الحال فأول ما يظهر على الشجر يظهر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم ، لذيدة المطعم .

الى أن يقول : (وأما الزيتون فهو أيضا كثير النفع لأنه ممكن

(١) سورة الرعد (٤) .

(٢) الجامع الصغير للسيوطى (٥٥/١) قال : أخرجها أبو يعلى وابن أبى حاتم ، والعقيلي فى الضعفاء ، وابن عدى فى الكامل عن على وكلها ضعيفة .

تناوله كما هو وينفصل أيضا منه دهن كثير عظيم النفع فى الأكل وفى سائر وجوه الاستعمال . وأما الرمان فحاله عجيب جدا وذلك لأنه جسم مركب من أربعة أقسام : قشره وشحمه وعجمه وماؤه (١) .

فهذا كله تفصيل وايضاح لوقائع صنع الله عز وجل وواسع علمه سبحانه ودلائل وجوده ووحدانيته وجليل صفاته فى خلق النبات وأطواره ومن هنا جاء قوله تعالى فى نفس الآيتين : " انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه " فهذه الجملة بيان للجمل التى قبلها والمقصود منها الوصول الى معرفة صنع الله تعالى وعظيم قدرته عز وجل أى انظروا الى ثمر كل واحد من هذه الأنواع اذا أخرج ثمره كيف يكون ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم ينتقل من طور الى طور حتى يصير الى حال "ينعه " ونضجه كيف يعود شيئا جامعاً لمنافع وملاد .

والمراد : انظروا الى ذلك نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبرة وناقلة على وفق الرحمة والحكمة من حال الى حال فان فيه آيات عظيمة دالة على وجود الصانع الخالق المدبر وتفرد بالخلق والانشاء وهو الجدير بالعبادة وحده لاشريك له . يقول الفخر الرازى :

فقوله : " ان فى ذلك آيات لقوم يؤمنون " علة للأمر بالنظر والاشارة فى ذلكم ، الى المذكور كله من قوله : " وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ " الى قوله " وينعه " . قوله : " انظروا الى ثمره اذا أثمر " أمر بالنظر فى حال الثمر فى أول حدوشها .

وقوله : " وينعه " أمر بالنظر فى حالها عند تمامها وكمالها وهذا هو موضع الاستدلال والحجة التى هى تمام المقصود من هذه الآية ذلك لأن هذه الثمار والأزهار تتولد فى أول حدوشها على صفات مخصوصة وعند تمامها وكمالها لاتبقى على حالاتها الأولى بل تنتقل الى أحوال مضادة للأحوال السابقة مثل أنها كانت موصوفة بلون الخضرة فتصير

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١١٥/١٣) ط/أولى دار الفكر .

(٢) سورة الأنعام (٩٩) .

ملونة بلون السواد أو بلون الحمرة وكانت موصوفة بالحموضة فتصير موصوفة بالحلاوة، وربما كانت فى أول الأمر باردة بحسب الطبيعة فتصير فى آخر الأمر حارة بحسب الطبيعة . فحصل هذه التبدلات والتغيرات لابد له سبب وذلك السبب ليس هو تأثير الطبائع والفصول والأنجم والأفلاك، لأن نسبة هذه الأحوال بأسرها الى جميع هذه الأجسام المتباينة متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن أن تكون أسبابا لحدوث الحوادث المختلفــــــــــــــــة ولما بطل اسناد حدوث هذه الحوادث الى الطبائع والأنجم والأفلاك وجبب اسنادها الى القادر المختار الحكيم الرحيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة (١) .

وقوله : " لقوم يؤمنون " (وصف للآيات واللام للتعليل ، والمعــــــــــــــــل هو مافى مدلول الآيات من مضمون معنى الدلالة والنفع . وقد صرح فــــــــــــــــى هذا بأن الآيات انما تنفع المؤمنين تصريحاً بأنهم المقصود فى الآيتين الأخرتين بقوله : " لقوم يعلمون " ، وقوله : " لقوم يفقهون " ، واتمامــــــــــــــــا للتعريف بأن غير العالمين وغير الفاقهين هم غير المؤمنين يعنىــــــــــــــــى (٤) .
المشركين) .

ولعل هذا ما يزيل الغشاوة التى رانت على قلوب الماديين الملحدين الذين ينكرون وجود الله عز وجل أو يزعمون له شريكاً فى خلقه وملكــــــــــــــــه "قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون . آمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حــــــــــــــــدائــــــــــــــــق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها آله مع الله بل هم قــــــــــــــــوم يعدلــــــــــــــــون " (٥) .

-
- (١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١١٧/١٣) ط/أولى دار الفكر .
 (٢) سورة البقرة (٢٣٠) .
 (٣) سورة الأنعام (٩٨) .
 (٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠٤/٧) ط/أولى .
 (٥) سورة النمل (٦٠،٥٩) .

ففى هذا بيان وتفصيل أن الله عز وجل هو الخالق لأصول النعمـ
 وفروعها فكيف يحسن عبادة مالا منفعة منه البتة فبين تعالى أنه الذى
 اختص بأن خلق السموات والأرض وجعل السماء مكانا للماء والأرض للنبات .
 (وذكر أعظم النعم وهى الحدايق ذات البهجة، ونبه تعالى على
 أن هذا الانبات فى الحدايق لا يقدر عليه الا الله تعالى، لأن أحدنا
 لو قدر عليه لما احتاج الى غرس ومصابرة على ظهور الثمرة، واذا كان
 تعالى هو المختص بهذا الانعام وجب أن يختص بالعبادة ثم قال : " بل
 هم قوم يعدلون " وقد اختلفوا فيه فقيل : يعدلون عن هذا الحـ
 الظاهر، وقيل : يعدلون بالله سواه .
 يقول الامام الفخر الرازى : (يقال ما حكمة الالتفات فى قوله :
 "فأنبتنا" ؟

جوابه : أنه لاشبهة للعاقل فى أن خالق السموات والأرض، ومنزل
 الماء من السماء ليس الا الله تعالى .
 وربما عرضت الشبهة فى أن منبت الشجر هو الانسان فان الانسان
 يقول : أنا الذى ألقى البذر فى الأرض الحرة وأسقيها بالماء وأسعى فى
 تشميسها . وفاعل السبب فاعل للمسبب، فاذن أنا المنبت للشجرة، فلمـ
 كان هذا الاحتمال قائما لاجرم أزال هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة
 الى قوله : "فأنبتنا"، وقال : " ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " لأن الانسان
 قد يأتى بالبذر والسقى والكرب والتشميس ثم لايأتى على وفق مراده
 والذى يقع على وفق مراده فانه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته
 فكيف يكون فاعلا لها فلهذه النكتة حسن الالتفات ههنا (١)
 ويقرر ذلك قوله تعالى : " أفرايتم ماتحشون، أنتم تزرعونـ
 أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهنون " (٢)

(١) مفاتيح الغيب (٢٠٦/٢٤) ط/أولى دار الفكر .

(٢) سورة الواقعة (٦٣ - ٦٥) .

وقوله تعالى : " وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ثمره اذا أشمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين " (١) .

يقول القرطبي أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة : (وفى هذه أدلة ثلاثة :

أحدها : ماتقدم من قيام الدليل على أن المتغيرات لابد لها من مغير .

الثانى : على المنة منه سبحانه علينا فلو شاء اذ خلقنا ألايخلق لنا غذاء واذا خلقه الايكون جميل المنظر طيب الطعم ، واذا خلقه كذلك ألايكون سهل الجنى فلم يكن عليه أن يفعل ذلك ابتداءً لأنه لايجب عليه شىء .

الثالث : على القدرة فى أن يكون الماء الذى من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة الى أعاليها حتى اذا انتهى الى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها ، وثمر خارج من صفته الجرم الوافر واللون الزاهر والجنى الجديد والطعم اللذيذ .

فأين الطبائع وأجناسها ؟ وأين الفلاسفة وأناسها ؟ هل فى قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الاتقان أو ترتب هذا الترتيب العجيب ؟ كلا ! لا يتم ذلك فى العقول الالهية عالم قدير مريد فسبحان من له فى كل شىء آية ونهاية (٢) .

ونخلص من جميع ماتقدم بالحقائق الآتية :

الأولى : أن القرآن الكريم يعتنى بعناية كبيرة بالكون المحيط بالانسان ويلفت نظره دائما الى ما فيه من آيات العظة والعبرة والاستبصار

(١) سورة الأنعام (١٤١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٩٩) ط/دار الكتاب العربى .

المؤدى الى الاعتراف الجازم بوجود الله تعالى ووحدانيته وجليل صفاته .
 الثانية : أن القرآن الكريم يدعو الانسان الى دراسة الكون سماءه
 وأرضه ، بره وبحره ، جماده ، ونباته ، وحيوانه ، ودوابه ليتمكن من الانتفاع
 بهذه المخلوقات الكثيرة فى تحقيق دوره على ظهر الأرض ، وعمارته لها
 وليستدل بها على وجود خالقه وبارئه ومصوره وهو الله سبحانه وتعالى
 ليسلك فى الانتفاع بها المسلك الصحيح والمنهج القويم ، وبذلك يصلح
 للخلافة فى الأرض .

ثالثا : أن فى النبات ومايشتمل عليه من جمال المنظر وحسن
 الصورة وبهجة الألوان وطيب الثمار ومايعتوره من أطوار وأدوار يمرر
 بها من حين يكون حبة سوداء تدفن فى أرض سمراء ثم يسقى بالماء الذى
 أن يصير زهرة زاهية وثمره يانعة شهية آيات ودلائل قوية وبراهين
 ساطعة واضحة على وجود الخالق سبحانه وتفرد بالخلق والابداع والعلم
 والتدبير بإمكان الاعراض والصفات .

رابعا : أن أوضح الدلائل وأنعم البراهين وأقوى الحجج على وجود
 الله تعالى ووحدانيته وجليل صفاته العلية هى الأدلة القرآنية وماتضمنه
 القرآن الكريم من آيات فى الأنفس والآفاق المحيطة بالانسان .

وهذا مايدعونى الى نداء العلماء الأجلاء وإشارة اهتمامهم الى
 دراسة القرآن الكريم واظهار مافيه من دلائل عقلية مؤثرة لأطفالنا
 وشبابنا وفتياتنا حتى يفهموا الاسلام فهما صحيحا مستقيما بعيدا عن
 مسالك علماء الكلام الفلاسفة ومناهجهم التى اختلط فيها الغث بالسمين
 والحق بالباطل ، وتوارت الدلائل والحقائق تحت كثرة أدلتهم العقلية
 الكلامية التى استقوها من مفاهيم غير مفاهيم القرآن .

(وما أحسن قول الفخر الرازى فى آخر أمره :

) تتبعت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية فما وجدت لها تروى غليلا

أو تشفى غليلا ووجدت أقرب الطرق القرآن (١) .

ويقول الشيخ حسين والى : (دراسة القرآن أولى من دراسة كتب

(١) انظر الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير / محمد أبوشهبه (١٨٩) .

الكلام الآن وان فى القرآن دلائل عقلية مؤثرة تأثيرا كثيرا فى النفوس
ولاكذلك الدلائل العقلية التى يذكرونها فى كتب الكلام (١) .

خامسا : ان الناس اذا رجعوا فى عقائدهم الى القرآن فقد تمكنوا
من فهم قسم كبير من القرآن هو آيات العقائد وشغلتهم بالتدبر فيه
والاعتبار بما حواه من عظات وعبر وفتحت لهم أبواب متعددة من أبواب
العلوم القرآنية .

فان فى آيات العقائد شطر من آيات الله فى السموات والأرض والأفلاك
والكواكب والحيوان والنبات والجبال والسهول زيادة على ما فيه من آيات
الأنفس وأحوال البشر . فما أحوج المسلمين الى دراسة هذه الآيات فـان
قوة ايمانهم بالله تعالى وأكد ثقتهم به جل شأنه يكون بمقدار علمهم
بذلك الكون وسننه وفى ذلك يقول بعض العلماء : " كلما اتسع نطاق
العلم تضافرت الأدلة على وجود اله قادر حكيم " . وهذا ما يقره قوله
تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود وممن
الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده
العلماء ان الله عزيز غفور " (٢) .

سادسا : ان الاهتمام بالنبات والأشجار ينبغى أن يكون هدف كل مسلم
وكل مسلمة لما فى ذلك من دلائل وعظات وعبر تدفع الانسان الى الاقـرار
الجازم بوجود الله تعالى اضافة الى ما فى ذلك من منافع دنيوية تعود
على الانسان بالخير والبركة والسعادة .

(١) انظر هذا فى كتاب آيات الله فى الآفاق للشيخ محمد أحمد العـدوى

(ص/ط) المقدمة - طبعة المنار بمصر ١٣٥٢هـ .

(٢) سورة فاطر (٢٧، ٢٨) .

الفصل الثاني

« دلائل آيات النبات على صفات الله تعالى
الجليلة وقدرته عز وجل على الخلق والبراهين »
وتكون من تمهيد ومباحث

- ١- التمهيد : وصف الارض .
- ٢- البحث الاول : الاستدلال بوجود الارض على تدرج الصانع وحكمته وعلاقته بالنبات .
- ٣- البحث الثاني : الاستدلال بوجود الجبال على تدرج الصانع وتوحيده وسلطانه وعلاقته بالنبات .
- ٤- البحث الثالث : الاستدلال بوجود النهار على تدرج الصانع وتبديده وعلاقته بالنبات .
- ٥- البحث الرابع : دلالة غلجه لثماره وجعلها اخصافاً على تدرج الصانع وابداعه .
- ٦- البحث الخامس : دلالة احوال الليل والنهار على تدرج الصانع وعظمته وعلاقته بالنبات .
- ٧- البحث السادس : دلالة اختلاف الثمار مع وحدة التربة والماء ليزيح بسقي به على تدرج الصانع وعلمه شامل .

الفصل الثانى

دلالة النبات على صفات الله تعالى
وقدرته على الخلق والابداع

تمهيد : فى وصف الأرض .

ان المتدبر فيما سقته من الآيات الكريمة لتوضيح دلالات النباتات والأشجار والثمار على وجود الله تعالى وتفرد بالالوهية والوحدانية يرى أن جميع هذه الآيات مع دلالتها على ماتقدم فهى تدل أيضا على جليل صفات الله تعالى وعظيم قدرته على الخلق والابداع والانشاء

وهذا ماجعلنى أشعر بتحرج عندما بدأت أبحث ذلك فى فصل خاص . ومع ذلك فقد استعنت بالله تعالى وواصلت الحديث قاصدة التركيز على الآيات القرآنية التى تتناول النبات والثمار والأشجار لاطهار ماتنطوى عليه من دلالات بينات وحجج ساطعات على سعة علم الله تعالى ودقة تدبيره وجليل قدرته وكونه سبحانه متصفا بكل جمال وكمال منزها عن كل نقص وعيب .

أذكر من هذه الآيات الكريمة ماياتى :

(١) قوله تعالى فى سورة الرعد : " وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " (١)

(١) سورة الرعد (٤،٣) .

تأتى هاتان الآيتان فى سياق الآيات التى ذكرها الله عز وجل فى أول سورة الرعد للدلالة على كمال قدرته تعالى فبعد أن ذكر تعالى العوالم العلوية وأحوالها ، بقوله : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون " (١) .

أتبع ذلك بذكر مظاهر قدرته وبراهين ابداعه وعظيم صنعته سبحانه فى العوالم الأرضية فقال : " وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الشمرات ان فى ذلك آيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون " (٢) .

يسوق الله عز وجل كل ذلك للدلالة على الأمور الآتية :

- (١) الدلالة على صدق وحبه سبحانه الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .
- (٢) الدلالة على أن القرآن الكريم حق وصدق .
- (٣) الدلالة على تفرد سبحانه وتعالى بالخلق والتدبير .
- (٤) الدلالة على البعث ووقوعه وقدرته سبحانه على حساب خلقه وتوقييع الجزاء المناسب عليهم ثوابا أو عقابا .

ولأجل تقرير هذه القضايا وتوكيدها ساق من دلائل القدرة ومظاهر العظمة ما يحرك وجدان الانسان ويشير مشاعره فيجعله يقف أمام هذه المشاهد الكونية الهائلة متأملا متدبرا فيدرك مدى قدرة الله تعالى ، وسعة علمه سبحانه وعظيم حكمته جل شأنه بل انه الواحد الأحد القادر المقتدر ، وفى الآيتين الكريمتين من سورة الرعد والتى سقتها فى أول البحث يذكر الله تعالى من مظاهر قدرته وعظيم ابداعه ما يأتى :

- (١) مد الأرض " وهو الذى مد الأرض " أى بسطها أمام البصر وجعلها

(١) سورة الرعد (٢) .

(٢) سورة الرعد (٣ - ٤) .

• صالحه للحياة .

يقول الفخر الرازي : (واعلم أن الاستدلال بخلقه الأرض وأحوالها من وجوه :

الأول : أن الشيء إذا تزايد حجمه ومقداره صار كأن ذلك الحجم وذلك المقدار يمتد فقوله : " وهو الذى مد الأرض " . إشارة إلى أن الله سبحانه هو الذى جعل الأرض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا يزيد ولا ينقص والدليل عليه أن كون الأرض أزيد مقداراً مما هو الآن وأنقص منه أمر جائز ممكن فى نفسه فاخصاه بذلك المقدار المعين لا بد أن يكون بتخصيص وتقدير مقدر .

الثانى : قال أبو بكر الأصم : المد : هو البسط الى مالايستدرك منتهاه فقوله : " وهو الذى مد الأرض " يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجماً عظيماً لا يقع البصر على على منتهاه لأن الأرض لو كانت أصغر حجماً مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به (١) .

٢- فالأرض التى عليها يحيى الانسان ويقوم بدوره قد خلقها الله تعالى ممدودة متسعة للسير والزرع لأنه لو خلقها أسنمة (٢) من حجر أو جبالاً شاهقة متلاصقة لما تيسر للأحياء التى عليها الانتفاع بها والسير من مكان الى آخر فى طلب الرزق وغيره ففى هذا دلالة على القدرة الباهرة والعظمة السامية كما فيه دلالة على جليل نعمته على عباده ودقيق لطفه سبحانه .

ويستفاد من الآيات القرآنية المتكررة عن الأرض المباحث الآتية :

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣/١٩) ط/أولى ، دار الفكر - لبنان .

(٢) أسنمة : هو كل ما علا عن غيره . انظر المصباح المنير (٢٩١) .

المبحث الأول

الاستدلال بمد الأرض على قدرة الصانع وحكمته وعلاقتها بالنبات

- (١) أن قشرة الأرض هي الجزء الرقيق منها الذي مهده الخالق الأعظم ليكون صالحا للحياة الحيوانية والنباتية تمهيدا لاستقبال الانسان .
وأن هذه القشرة منقوشة بعوامل التعرية ومحفورة بالأودية والمسالك والأنهار . كما يقول تعالى : " الذي جعل لكم الأرض مهجداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون " ^(١) . ويقول عز وجل : " أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً " ^(٢) .
- (٢) قشرة الأرض مكونة من مواد بنسب مختلفة ولذلك نجد منها الرخوة والصلبة والرملية والسبخة والحرّة وبقاع الأرض التي تشكل قشرتها منها الأحمر والأبيض والأسود " وفي الأرض قطع متجاورات " ^(٣) " وممن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود " ^(٤) .
- (٣) قشرة الأرض سخية كريمة تجود بمختلف الثمار والنباتات . يقول تعالى : " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه ياكلون " ^(٥) .
- (٤) قشرة الأرض مثبتة بجبال راسخة شامخة صلبة ولكن الخالق العظيم جعل فيها مسالك وأودية وأنهاراً " وجعل فيها رواسي " ^(٦) . كما يتبين من الدلالة الآتية وغير ذلك من الحقائق .

- (١) سورة الزخرف (١٠) .
(٢) سورة النمل (٦١) .
(٣) سورة فاطر (٢٧) .
(٤) سورة يس (٣٣) .
(٥) سورة فصلت (١٠) .
(٦) انظر بتوسع هذه الحقائق في كتاب المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم - عبدالعليم خضر (ص ٣٧٧ - ٣٧٨) .

المبحث الثاني

الاستدلال بوجود الجبال على قدرة الصانع وقوة سلطانه وعلاقتها بالنباتات

جعل الله الجبال أوتادا لحفظ توازن الأرض، بقوله تعالى : " وجعل
فيها رواسي " (أى جبالا ثوابت واحدها راسية لأن الأرض ترسو بهـ
أى تثبت والارساء الثبوت) ^(١) وفى حفظ توازنها حياة للإنسان والنبات والحيوان .
والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم سبحانه
وتعالى من وجوه :

الأول : أن طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبال فى بعض جوانبها
دون البعض لابد وأن يكون بقدرة القادر الحكيم .

والوجه الثانى من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع
ذى الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواقع الجواهر
النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح وقد يحصل فيها معادن
النفط والقيير والكبريت فكون الأرض واحدة فى الطبيعة وكون الجبل واحدا
بالطبع وكون تأثير الشمس واحدا فى الكل يدل دليلا ظاهرا على
أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات .

والوجه الثالث من الاستدلال بأحوال الجبال أن بسببها تتولد
الأنهار على وجه الأرض وذلك أن الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الأبخرة
من مقر الأرض ووصلت الى الجبل احتبست هناك فلاتزال تتكامل فيحصل تحت
الجبل مياه عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تشق وتخرج وتسيل على وجه

الأرض فمنفعة الجبال فى تولد الأنهار هو من هذا الوجه . والأنهار تروى الزرع والشمار .
ولهذا السبب فى أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها ذكر

الأنهار مثل ما فى هذه الآية ومثل قوله : " وجعلنا فيها رواسي شامخات
^(٢) ^(٣)
وأسقيناكم ماء فراتا " .

(١) تفسير القرطبي (٢٨٠/٩)

(٢) سورة المرسلات (٢٧)

(٣) التفسير الكبير للرازي باختصار وتصرف (٥٠٤/١٩)

المبحث الثالث

الاستدلال بوجود الأنهار على قدرة الصانع وتدبيره

دلالة جعل الأنهار جارية في الأرض فيها منافع الخلق بقوله : " وجعل فيها رواسي وأنهاراً " (١) . أي جعل فيها أنهاراً منبعاً ومتفجرة من الجبال كما سبق بيانه في كلام الفخر الرازي .

والماء لا بد منه لقيام الحياة على ظهر الأرض فالماء شرط أساسى لقيام الحياة واستمرارها كما يقول تعالى : " وجعلنا من الماء كل شئ حى " (٢) .

ووجود الماء في الأرض يكون سبباً في توفر عنصرى الأكسجين والهيدروجين وشانى أكسيد الكربون والواقف على ما وصل اليه العلماء والباحثون فى العصر الحديث فى مقدار الماء يظهر له بوضوح تام مدى قدرة الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه بعباده . يقول العالم "هاليفاس" فى عام ١٩٢٨ م : ان حجم الكلى للمياه الداخلىة أى ما يوجد منها فى البحيرات والأنهار والمياه الأرضية أو الجوفية بشكل عام يقدر على وجه التقريب بحوالى ٣٥٠ ألف كيلو متر مكعب .

هذا بينما هو قدر حجم الثلوج بأضعاف ذلك العدد اذ قدر أن ما يصل الى نحو ١٠٪ من كل مساحة اليابسة انما هو مغطى اليوم تماما بالثلوج والجليد ولارتفاعات كبيرة وأن المساحة لكل هاتيك الحقول الجليديّة عند القطبين وبالقرب منها قد قدرت بحوالى (١٥١٠٠٠٣٥) كيلو متراً مربعاً بحجم يصل الى نحو (٩٥٢٨٢٤٩) كيلو متراً مكعباً . أما حجم بخار الماء فى الغلاف الجوى المعاصر فهو يعادل حوالى ثلاثة عشر ألفاً من الكيلومترات المكعبة يصل وزنها الى نحو ١٣ x ١٨١٠ جرام (٣) .

(١) سورة الرعد (٣) .

(٢) سورة الأنبياء (٣٠) .

(٣) الماء - للدكتور محمد فتحى عوض الله (ص ٨٨) ط/الهيئة المصرية للكتاب .

ولما كان الماء أصل جميع الأحياء على ظهر الأرض . نجد أن الله عزت قدرته وعظمته وعظمت حكمته قد وفره بنسبة متوازنة متوافقة لاستمرار الحياة ونموها ويوجد الماء في البحيرات العذبة وفي البحيرات المالحة والجداول والأنهار وفي جوف الأرض وعلى شكل جليد عند القطبين ، وجل شأنه سبحانه حين يقول : " وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فــــى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيــــل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون " (١) . فالله عز وجل قــــد أنزل الماء بقدر أى بحكمة وتدبير وتقدير معلوم يسلمون معه من المضرة ويمتلون الى المنفعة فى الزرع والغرس والشرب وبمقدار حاجاتهم ومما لهم فلم ينزله الله سبحانه كثيرا فيفرق ويفسد ولا قليلا فيكــــون الجذب والتصحح ولا فى غير أوانه فيذهب بددا بلا فائدة بل نزله بتقديــــر وحكمة فينتفع الناس ببعضه ويذهب البعض الآخر الى الآبار والعيــــون والأنهار فينتفع به عند الحاجة . قال تعالى : " فأسكناه فــــى الأرض " أى جعلناه قارا فيها وثابتا . (أما قوله : " وانا على ذهاب بــــه لقادرون " أى كما قدرنا على انزاله فكذلك نقدر على رفعه وازالتــــه قال صاحب الكشاف : وقوله : " على ذهاب به " من أوقع النكرات وآخرها للفصل . والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيهــــه ايدان بكمال اقتدار المذهب وأنه لا يعسر عليه شىء (٢) .

وقد حصر العلماء كيفية تواجد الماء على النحو التالي :

- (١) يوجد الماء فى الغلاف الجوى نتيجة لفعل الشمس على السطــــوح المكشوفة للمساحات المائية الكبيرة أو لعوامل النتح والنفخ فى نبات وحيوان متمثلا فى احدى حلقات الدورة المائية (بخار الماء) .

(١) سورة المؤمنون (١٩،١٨) .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى (٩٠،٨٩/٢٣) .

- (٢) يتساقط الأمطار بعد تكثف بخار الماء ذاك تجرى المياه فى بحار
تخطها أودية قد خطت من قبل الى حيث القيعان والمنخفضات
(جداول وأنهار ومحيطات وبحار) .
- (٣) فى جريانها قد تتسرب المياه الى طبقات القشرة الأرضية هنا أو هناك
لتدور بعض دورتها قبل أن تعود الى السطح على نحو من الأنحاء
(ينابيع وعيون عن مياه أرضية) .
- (٤) وحالة أخرى توجد عليها المياه يسمونها بالحالة الصلبة (ثلج
وجليد) .

(١)

تلك حالات أربع لكيفية تواجد الماء على سطح البسيطة .

ومن ذلك نستفيد أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية
الآتية من المطر وأنها تتسرب الى باطن الأرض فتحفظ هناك . وهـذا
ما وصل اليه العلم الحديث وكان المعروف الى وقت قريب أنه لاعلاقة
بين المياه الجوفية والمياه السطحية ولكن هاهو القرآن الكريم يقرر
هذه الحقيقة منذ خمسة عشر قرنا من الزمان .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن أذكر استفادة أحد العلماء
من كون المياه أصل جميع الأحياء بهدم نظرية النشوء الذاتى أو التلقائى
يقول : (اذا نوقشت امكانية الحياة على كوكب ما ، فان أول سؤال يطرح
هو : أياحتوى هذا الكوكب على كمية كافية للحياة من الماء ؟^(٢)

وجاء فى تفسير المراغى: (أن الماء أصل جميع الأحياء وهو الذى
ينزل اليه أمر التدبير والتكوين)^(٣) .

وقد أخرج الحاكم عن أبى هريرة قال : قلت : يارسول الله انسى
اذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى فأنبئنى عن كل شىء ، قال : " كل

-
- (١) راجع الماء للدكتور محمد فتحى عوض الله (ص ٩١) ط/الهيئة المصرية .
(٢) الانسان فى الكون بين القرآن والعلم - د . عبد العليم خضر (ص ٢١) .
(٣) تفسير المراغى (٦/١٢) .

شئ خلق من ماء" (١) .

وتسمع المعطيات الحديثة بالاعتقاد بأن أقدم الكائنات الحية من طحالب أو حيوانات وحيدة الخلية ترجع الى ما قبل الكمبرى (٢) وأنه نشأت في المحيطات القديمة وهذا الرأي الذى يستند الى أساس سليم لأنه من القرآن الكريم يهدم نظرية النشوء الذاتى أو التلقائى ، والتي تقول بأن الحياة تنشأ تلقائيا من مواد غير حية (٠٠٠) الى أن يقول : ولا شك أن جميع الكائنات الحية تتكون من مادة كانت موجودة قبلا كالتراب والماء ولكنها لاتتمثل حية الا اذا نفخ فيها الله سبحانه وتعالى من روحه (٣) .

فكم من آيات القدرة وأمارات العظمة ودلائل التدبير والعلم الواسع المحيط والحكمة الباهرة تظهر للمتدبر فى خلق الماء وانزاله ومافيه من منافع . سبحان الخالق جلت قدرته . وصدق الله العظيم القائل : "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين" (٤) .

كل ذلك بيان لدلائل القدرة وأسرار العظمة وجمال التدبير فسبحان من أبدع نظام الكون وجعل كل شئ موزونا وبمقدار معلوم ليتدبر الانسان نظام الحياة التى أنشأها الخالق جل جلاله ويعرف قدرة المنشئ الذى لم يخلق شيئا جزافا بل أبدع ودبر وخلق كل شئ فقدره تقديرا

-
- (١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١٦٠/٤) كتاب البر والصلوة (مختصرة) . قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقهم الذهبى فى التلخيص وقال : صحيح (١٦٠/٤) .
- (٢) الكمبرى : هو العصر الذى ابتدأت فيه الحياة على وجه الأرض ، وهى كلمة ترجع الى جبال كمبريا فى ويلز بانجلترا .
- (٣) انظر : الانسان فى الكون بين القرآن والعلم للدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر (ص ٢٤، ٢١) .
- (٤) سورة الحجر (١٩ - ٢٢) .

(ان يد القدرة المبدعة التي زينت السماء وحفظتها قد بسطت الأرض وحفظت
توازنها بالجبال الراسيات الشوابت وأرسلت الماء الى الأرض فنمت حياة
الأرض بالنبات الموزون بميزان الحكمة بلا زيادة ولا نقصان)^(١)

(١) انظر تفسير الآيات الكونية للدكتور عبدالله شحاتة (ص ١٣١) ط / دار
الاعتصام .

المبحث الرابع

دلالة خلق الثمرات وجعلها أصنافاً على قدرة الصانع وابداعه

يقول تعالى : " ... ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ... " (١) .
فالله عز وجل يشير بذلك الى عجائب خلق النبات ، والمتأمل في خلق النبات وأطوار نموه وتدرج ترعرعه من كونه في مبدأ أمره حبة سوداء ثم مروره في أطواره المختلفة حتى يعطى ثماره الجنية ، يشاهد من آيات القدرة ومن فنون الابداع وكمال العظمة ما يملأ القلب رهبة ورغبة ويزيده تعظيماً واجلالاً للمولى الواحد القادر سبحانه وتعالى .
فقوله : " ومن كل الثمرات " معطوف على "أنهاراً" فهو معموم ليجعل فيها رواسي ودخول "من" على "كل" جرى على الاستعمال العربي في ذكر أجناس غير العاقل كقوله : " وبث فيها من كل دابة " (٢) و " من " هذه تحمل على التبعية لأن حقائق الأجناس لا تنحصر والموجود منها ما هو الأبعد جزئيات الماهية لأن منها جزئيات انقضت ومنها جزئيات ستوجد والمراد بالثمرات هي أشجارها وإنما ذكر الثمرات لأنها موقع منه مع العبرة كقوله : " فأخرجنا به من كل الثمرات " فينبغي الوقف على "ومن كل الثمرات" وبذلك انتهى تعداد المخلوقات المتصلة بالأرض وهذا أحسن تفسيراً ويعضده نظيره في قوله تعالى : " ينبت لكم به الزيتون والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون " (٣)، (٤)

ويرى المتدبر في بداية الثمر ونهايته مشهداً جديراً بالتأمل والاستبصار فهذا التباين الواضح في البداية الضعيفة الخاملة، والنهاية

-
- (١) سورة الرعد (٣) .
(٢) سورة لقمان آية (١٠) .
(٣) سورة النحل ، آية (١١) .
(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير (١٣/٨٣) للشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

القوية الزاهرة في حياة الثمر انما هو دليل حي وبرهان قوى وحجوة ساطعة للمؤمنين الذين يتجاوزون المحسوس الى المعقول وينتقلون من المعيون الى الوجدان فيتأملون بالفكر وينظروا بعين البصيرة قبل أن يتأملوا بعين البصر (" اذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال بينه ونضجه كيف يعود شيئا جامعاً لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة (١) وناقلة من حال الى حال) .

وهذا ما ينبىء عنه قوله تعالى : " وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون " (٢) .

يقول الفخر الرازى : (ان الحبة اذا وضعت فى الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة فى الهواء ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة فى أسفل الأرض وهذا من العجائب لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء من الجانب الأسفل منه جرم غائص الى الأرض ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان .

فعلمنا أن ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم والمقدر القدير لاسبب الطبع والخاصية ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورا . ثم ان تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع فالجوز له أربعة أنواع من القشور، فالقشر الأعلى

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (٤٠/٢) .

(٢) سورة الأنعام (٩٩) .

وتحتة القشرة الخشبية وتحتها القشرة المحيطة باللينة وتحت تلك القشرة قشرة أخرى فى غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز رطبا .
 وأيضا فقد يحصل فى الثمرة الواحدة الطباع المختلفة فالأترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وبذره حار يابس ونوره حار يابس .

وكذلك فان العنب قشره وعجمه باردان يابسان ، ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطباع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوى تأثيرات الطباع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لابد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القادر القديم (١) .

وهكذا يجد المتفكر فى الثمرات من بدو نشأتها الى أن تصير فى غاية نضجها آفاقا واسعة وأطوارا متعددة وألوانا وأصنافا تدل دلالة قاطعة على أن الخالق لها والمكون لها هو الله العظيم القادر العليم المدبر الحكيم المتصف بكل جلال وكمال وجمال سبحانه جل شأنه وعظمته حكيمته .

وقوله تعالى : " جعل فيها زوجين اثنين " يفيد أن الله عز وجل جعل الثمرات صنفين أو نوعين كالحلو والحامض ، والرطب واليابس ، والأبيض والأسود والصغير والكبير فالاختلاف بين الثمار اما من حيث الطعم ، أو من حيث الطبيعة ، أو من حيث اللون ، وهذا ما اتجه اليه القرطبي والفخر الرازي (٢) .

ويظهر لى أن مقاله الفراء : يعنى أن المراد بالزوجين هـنـا الذكر والأنثى هو الأرحح وهو مايتعلق بجميع المخلوقات من أشجار وحيوان .
 ولادليل على قصره على النبات كما أنه لادليل على قصره على الحيوان .

-
- (١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥/١٩) ط/أولى مدار الفكر .
 (٢) تفسير القرطبي (٢٨١/٩) ، التفسير الكبير للفخر الرازي (٦/١٩) .
 (٣) انظر تفسير القرطبي (٢٨١/٩) .

فالظاهر أن جملة "جعل فيها زوجين اثنين" مستأنفة للاهتمام
بأن كل المخلوقات متحقق فيها الزوجية، كما يقول تعالى: "ومن كل
شء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون"^(١).

وهذا أمر محقق في الثمار والحيوان وكل المخلوقات (والمعروف
أن الثمرة هي نتاج عملية تناسل النباتات العليا التي تمتلك نظاما
مركبا، والمرحلة التي تسبق الثمرة هي مرحلة الزهرة بأعضائها الذكرية
(الابري) وأعضائها الأنثوية (البويضات) وبعد نقل اللقاح تعطى هذه الأخيرة
الثمار التي تعطى هذه الحبوب بعد النضج، ان كل ثمرة تتضمن بالضرورة
وجود أعضاء ذكورة وأعضاء أنوثة^(٢) . وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة .

ولا يفوتني هنا أن أذكر فائدة ذكر لفظ "اثنين" في قوله تعالى:
" جعل فيها زوجين اثنين " فقد جاء للتأكيد تحقيقا للامتنان، ويعطينا
الامام الفخر الرازي فائدة أوسع حيث يقول: (فان قيل: الزوجان لا بد
وأن يكون اثنين، فما الفائدة في قوله: "زوجين اثنين"؟ قلنا: قيل
انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار، وخلق من كل نوع من
الأنواع اثنين فقط، فلو قال: خلق زوجين، لم يعلم أن المراد النوع
أو الشخص، أما لما قال اثنين علمنا أن الله تعالى أول ما خلق من كل
زوجين اثنين لأقل ولأزيد، والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة، إلا أنهم
لما ابتدأوا من زوجين اثنين بالشخص هما آدم وحواء، فكذلك القول في
جميع الأشجار والزرع والله أعلم)^(٣).

آيات بينات، ودلائل واضحات، وبراهين ساطعة تدل على الخالق
العظيم القادر المقتدر، العليم المدبر الحكيم، فقد شاءت إرادة الله
عز وجل المدبرة وحكمته الدقيقة المحكمة في بناء هذا الكون أن تكون
بنيته كلها أزواجا في كل شيء حتى في الجماد، يقول تعالى: " سبحان

(١) سورة الذاريات (٤٩) .

(٢) تفسير الآيات الكونية للدكتور عبدالله شحاتة (ص ١١٣) ط ١/ دار
الاعتصام .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦/١٩) .

(١) الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون .

(وقد كشف العلم الحديث عن جوانب مما كان مجهولا فى بنية الكون وما يزال أمامه أن يكشف الكثير ، " ومما لا يعلمون " وكان من بين ما كشف عنه أن بنية الذرة مكونة من كهارب موجبة والكترونات سالبة أى أزواج متقابلة فى الحلقة ، وأن التفاعلات الكيماوية فى الكون فى صورة أزواج ، وفى ذرة كل عنصر نواة موجبة وحلقات متوالية من الكهـارب السالبة ، كل حلقة منها مكتملة الا الحلقة الأخيرة فهى ناقصة ، ولا تتفاعل العناصر الا مع عناصر أخرى ينتج عن امتزاجها معها أن تكتمل الحلقة الأخيرة من الالكترونات ، أى أنه يتم نوع من التزاوج فى التفاعلات الكيماوية فى المادة بنسبة ما يحدث فى عالم النبات والحيوان . (٢)

هذا وقد تواردت الآيات الكريمة التى تثبت هذه الحقيقة الكونية المتناسقة لتصل منها بعد ذلك الى وحدة الخالق سبحانه ، قال تعالى : " ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " (٣) ، " وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى " (٤) ، " فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين " (٥) " ومن الأنعام أزواجا (٦) .

وهذا يدل على أن ذرات الوجود كلها تقوم على الزوجية ، كهـرباء سالبة وكهـرباء موجبة .

فاذا ارتقيننا الى النبات وجدنا عناصر الزوجية متمثلة فىهـ ومتحققة بكل أبعادها .

وهذا كله يدل على سعة علم الله تعالى وسمو حكمته وجمال صنعتهـ وعظيم قدرتهـ وكمال تدبيرهـ سبحانه ، شأنه ، ما أعظم شأنه .

-
- (١) سورة يس (٣٦) .
- (٢) انظر: (١) الطبيعيات والاعجاز العلمى / د. عبدالعليم خضر (١٦٢ - ٤٢٧ — ٤٣٧ - ٤٤٢) .
- (٢) الظواهر الجغرافيه / د. عبدالعليم خضر (١١٥ - ١١٦) .
- (٣) قدرة الله / جمال الدين عياد (٥٨ - ٥٩) .
- (٤) روح الدين الاسلامى / تحقيق طباره (٥٥ - ٨٨ - ٨٩) .
- (٣) سورة الذاريات (٤٩) .
- (٤) سورة النجم (٤٥) .
- (٥) سورة المؤمنون (٢٧) .
- (٦) سورة الشورى (١١) .

المبحث الخامس

دلالة أحوال الليل والنهار
على قدرة الصانع وعظمته

ان دلالة أحوال الليل والنهار المشار اليه بقوله تعالى : " يغشى الليل النهار" ^(١) وهذه الجملة حال من ضمير جعل وجاء فيه بالمضارع لما يدل عليه من التجدد لأن جعل الأشياء المتقدم ذكرها جعل ثابت مستمر، وأما اغشاء الليل والنهار فهو أمر متجدد في كل يوم وليلة ^(٢) .
ومعنى " يغشى الليل النهار" أى جعل كلامهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً . فاذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا أنقص هذا جاء الآخر، فيتابع الله بين الليل والنهار فى انتظام عجيب ونظام دقيق، يبعث على التأمل فى ناموس هذا الكون، والتفكير فى القدرة المبدعة التى تدبره وترعاه .
وهذا استدلال بأعراض أحوال الأرض وذكره مع آيات العالم السفلى فى غاية الدقة العلمية، لأن الليل والنهار من أعراض الكرة الأرضية بحسب اتجاهها الى الشمس وليس من أحوال السماوات . اذ الشمس والكواكب لا يتغير حالها بضياء وظلمة ^(٣) .

ثم يختم الله عز وجل كل هذه الدلائل بقوله :
" ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " ^(٤) . وذلك للدلالة على أن مجال الفكر والتأمل ينبغى أن يكون فى هذه الآيات الدالة على الخالق العظيم، وصفاته الحميدة، وهذا لا يظهره الا النظر الصحيح والتفكير المجرد عن الهوى والأوهام . (وفى هذا ايماء الى أن الذين نسبوا

(١) سورة الرعد (٣) .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (١٣/٨٤١) .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) سورة الرعد (٣) .

أنفسهم الى التفكير من الطبائعيين فعللوا صدور الموجودات عن المادة ونفوا الفاعل المختار ، مافكروا الا تفكيراً قاصراً مخلوطاً بالأوهام ليس ماتقتضيه جبلة العقل اذا اشتبهت عليهم العلل ، والموالييد بأصل الخلق والايجاد ، وجيء فى التفكير بالميغفة الدالة على التكلف ، وبميغفة المضارع للإشارة الى تفكير شديد ومكرر (١) .

وان لليل والنهار علاقة وثيقة بالنبات كما بينته سابقاً فى الباب الأول بعدى ارتباط النبات بالضوء والنور والظلام ، والحرارة والشمس وهذه الأمور هى التى تمثل الليل والنهار ونجد القرآن كيف ربط بين علاقة الارض والجبال والانهار والليل والنهار بالنبات فى آية واحدة علاقات وارتباطات بينهما لاينفك عن بعضها فالنبات محتاج الى مجموعهما ، والكل يخدم النبات وهذا من دلالة قدرة الله عز وجل وعظمته فى منعه لذلك ناسب أن أذكره فى هذا الفصل .

(١) انظر المرجع السابق .

المبحث السادس

دلالة اختلاف الثمار مع وحدة التربة والماء
الذى تسقى به على قدرة الصانع وعلمه الشامل

وهذا ما يفيدده قوله تعالى : " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من
أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض فى الأكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون " (١) .

هذه الآية الكريمة معطوفة على الأشياء المتقدمة التى أسند الله
تعالى جعلها اليه عز وجل ، وأعاد اسم الأرض الظاهر دون ضميرها الذى
هو المقتضى ليستقل الكلام ويتجدد الأسلوب .

(وأصل انتظام الكلام أن يقال : جعل فيها زوجين اثنين وفيه
قطع متجاورات فعدل الى هذا توضيحا وإيجازا) (٢) .

وفى قوله : " وفى الأرض قطع متجاورات " حذف والمعنى وفى الأرض قطع
متجاورات وغير متجاورات كما قال تعالى : " سراويل تقيكم الحرر " (٣)
والمعنى وتقيكم البرد ثم حذف قوله وتقيكم البرد لعلم السامع . (٤)

والمتجاورات : المدن وماكان عامرا وغير متجاورات الصحارى وماكان
غير عامر .

وقوله : " وفى الأرض قطع متجاورات " أى قرى متدانيات أرض قريبة
من أرض ترابها واحد وأرض قريبة من أرض مع اختلاف طبيعتها فواحدة
طيبة التربة وأخرى سيخة وثالثة مرة ورابعة رملية وخامسة تكون حصاء
وسادسة تكون حمراء وسابعة تكون سوداء .

(١) سورة الرعد (٤) .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور (٨٦/١٣) .

(٣) سورة النحل (٨١) .

(٤) انظر تفسير القرطبي (٢٨١/٩) .

ومع اتحاد طبيعة الأرض واختلافها يروى ما يغرس فيها من زروع بماء واحد ثم تأتي الشمار والأشجار مختلفة في لونها وطعمها ومذاقها .
 (والقطع جمع قطعة بكسر القاف ، وهي الجزء من الشيء ، تشبيهها لها بما يقتطع . وليس وصف بمتجاورات مقصودا بالذات في هذا المقام اذ ليس هو العبرة بالآيات ، بل المقصود وصف محذوف دل عليه السياق تقديره : مختلفات الألوان والمنابت كما دل عليه قوله : " ونفضل بعضها على بعض في الأكل " .

وانما وصفت بمتجاورات لأن اختلاف الألوان والمنابت مع المتجاور أشد دلالة على القدرة العظيمة وهذا كقوله تعالى : " ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود " (١) (٢) .

ومع الاختلاف في طبيعة الأرض أو مع وحدة ترابها وطبيعتها تتفاوت شمارها فبعضها يكون حلوا وبعضها حامضا ، بل ان الغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم ، وان انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد .

(وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته والارشاد لمن ضل عن معرفته ، فانه نبه سبحانه بقوله : " تسقى بماء واحد " على أن ذلك كله ليس الا بمشيئته واراادته ، وأنه مقدر بقدرته وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع ، اذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف .

وقيل : وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عذبة ومن تربة سبخة مع تجاورهما وهذا أيضا من دلالات كمال قدرته عز وجل تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا) (٣) .

(١) سورة فاطر (٢٧) .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير (١٣/٨٦) .

(٣) انظر تفسير القرطبي (٩/٢٨١) .

وكما يكون الاختلاف فى أشكال الثمار وألوانها يكون الاختلاف أيضا فى أجناسها، فتخرج من الأرض الواحدة والتي تسقى بماء واحد الجنات من الأعناب والبساتين التي يحصل فيها العنب والزرع وتحفه أشجار النخيل وهذا ما يفيد قوله تعالى : " وجنات من أعناب وزرع ونخيل " ويفسر ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام : " وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمره وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون " (١) .

فجميع أنواع الزروع والثمار والنباتات تخرج من الأرض الواحدة أو الأراضى المختلفة التربة بقدرة الله تعالى وعظيم تدبيره .
ثم يقول تعالى : " صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد " . فهذه الجملة صفة للنخيل والصنوان جمع صنو وهى النخلات أو النخلتان يجمعهن أصل واحد، وتتشعب منه رؤوس فتصير نخيلا ، نظيرها فى آية سورة الأنعام "قنوان" واحدها قنو، ولقد خص عز وجل النخل بذكر صفة صنوان لأن العبرة بها أقوى ووجه زيادة " وغير صنوان " تجديد العبرة باختلاف الأحوال . (٢)
يقول الفخر الرازى : (والصنوان جمع صنو مثل قنوان وقنو، ويجمع على أصناء ، مثل اسم وأسماء ، فاذا كثرت فهو الصنى ، والصنى بكسر الصاد وفتحها، والصنوان يكون الأصل واحد وتنبت فيه النخلتان والثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو، وذكر ثعلب عن ابن الأعرابى : الصنو المثل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " أن عم الرجل صنو أبيه " أى مثله . (٣)
إذا عرفت هذا فنقول : إذا فسرنا الصنونا بالتفسير الأول كان المعنى : أن النخيل منها

(١) سورة الأنعام (٩٩) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٨٧/١٣) .

(٣) صحيح مسلم (٦٧٦/٢ - ٦٧٧) الزكاة عن أبى هريرة . باب فى تقديم الزكاة .

ما ينبت من أصل واحد شجرتان وأكثر، ومنها ما لا يكون كذلك، وإذا فسرنا
 بالتفسير الثاني كان المعنى : أن أشجار النخيل قد تكون متماثلة
 (١)
 متشابهة وقد لا تكون كذلك) .

في كل ذلك آيات وعبر ودلائل لمن نظر وتدبر باستبصار واعتبار
 " ان في ذلك آيات لقوم يعقلون " فقد جاءت هذه الجملة تذييل لم
 تقدم وأشار قوله : " ذلك " الى جميع المذكور من قوله : " وهو الذي
 مد الأرض " وقد جعل جميع المذكور بمنزلة الظرف للآيات، وجعلت دلالة
 على انفراده تعالى بالالهية، دلالات كثيرة اذ في كل شيء منها آية
 وعلامة تدل على أنه سبحانه متصف بالوحدانية، وبالقدرة العظيمة
 وبالعلم الشامل المحيط، وبالتدبير المحكم وبجميع صفات الكمالات
 والجمال والجلال، ولا ينتفع بكل ذلك الا العقلاء، ومن لم ينتفع بذلك فهو
 منزل منزلة من لا يعقل، وهذا ما استفاد من وصف الآيات بأنها من
 اختصاص الذين يعقلون .

وبذلك نجد القرآن الكريم يلفت الأنظار وينبه العقول الى عظمة
 الخالق جل وعز وجليل صفاته، ويحدد أحاسيس البشر بما يلفتهم اليه
 من مناظر ومشاهد في الكون المحيط بالانسان والمملوء بآيات الجلال
 والعظمة التي تدل على نهاية قول الخالق وبديع صنعته واتقانه
 وأن وراء هذا الكون مدبر حكيم عليم .

يقول صاحب تفسير الميزان : (ومعنى الآية أن من الدليل على
 أن هذا النظام الجاري قام بتدبير مدبر وراءه، يخضع له الأشياء بطوائفها
 ويجريها على ما يشاء وكيف يشاء، أن في الأرض قطعاً متجاورات متقاربة
 بعضها من بعض، متشابهة في طبع ترابها وفيها جنات من أعناب، والعنب من
 الثمرات التي تختلف اختلافاً عظيماً في الشكل واللون والطعم والمقدار
 واللطافة والجودة وغير ذلك، وفيها زرع مختلف في جنسه وصفه من

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٩٠٨/١٩) .

القمح والشعير وغير ذلك وفيها نخيل صنوان أى أمثال ثابتة على أصل مشترك فيه ، وغير صنوان أى متفرقة ، تسقى الجميع من ماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض بما فيه من المزية المطلوبة فى شىء من صفاته (١) .

وكم تخرج الأرض من أنواع النباتات والأشجار والثمار المختلفة الأجناس والأشكال والطعوم والفوائد ، فمنه للتغذية ، ومنه للملبس ، ومنه للدواء ، ومنه للتفكه والاستمتاع ، ومنه طعام الأنعام ، ومنه طعام الإنسان ومنه للاستضاءة ، ومنه لبناء المساكن والفرش ، ومنه للنزهة والاستجمام ومنه لبناء السفن ، ومنه للصناعات الكيماوية وغيرها مما توجد به الأرض المباركة التى خلقها وأبدعها الخالق العظيم الأعظم ، وتظهر قدرة الخالق سبحانه وتعالى وكمال تدبيره فى اشتراك جميع النباتات فى الرى والسقى بماء واحد (فيخرج من الأرض التفاح الحلو والحنظل المر والقطن الناعم والصابر الشائك ، والقمح والشعير والبرتقال والليمون بل اننا نجد من أصناف الفواكه : فواكه حمضية كالبرتقال والتمر هندية والأناناس والرمان . وفواكه مزرة كالتوت والتين الشوكى (الفرامبوزا) والخوخ .

وفواكه سكرية كالقراصيا والتين والبرقوق والعنب والتمر .

وفواكه زيتية : وهى التى تكثر فيها مواد دهنية كالزيتون والجوز

واللوز .

وفواكه مائية كالشمام والبطيخ .

وفواكه عطرية كالمانجو والخوخ والجوافة .

وفواكه نشوية مثل السفرجل والزعرور والعبيراء ، فهى نشوية وقابضة

هذه أنواع من فواكه الأرض ، وماخفى عنا منها كثير ، كلها تنبت فى أرض واحدة وتسقى بماء واحد . (٢)

(١) الميزان فى تفسير القرآن للعلامة السيد بن حسين الطباطبائى

مجلد ١١ جزء ١٣ ص ٣٢٢ ، ط/مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت .

(٢) انظر المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن - د. عبد العليم

خضر (ص ٤٢٥ - ٤٢٦) .

هذا غير الخضروات كالكرنب والسبانخ والبصل والكرفس والباميا
والطماطم والبسلة والعدس والخس والفجل والخيار والقرنبيط والجوز
وغيرها وغيرها من أنواع النباتات المتعددة التي لا يحصيها عد ، ولا يحيط
بها حد ، ولا يعلم مقاديرها وأعدادها الا الخالق الأعظم سبحانه وتعالى .

ومن أعجب ما قرأت عن أنواع الأشجار التي أوجدها الخالق القادر
سبحانه على ظهر هذه الأرض لينتفع بها الانسان ماعشر عليه المستعمر
الأوروبي في جزيرة مدغشقر (مالاجاشي) على شجرة تسمى شجرة المسافريين
تحمل حوالى ٢٤ ورقة وطولها يختلف ما بين المتر، ٨٠ سم وقد يكون مترين
وخمسين سم ، وعرضها من متر الى متر و ٨ سم ، وهى أشبه بالمظلات ، وتحت
كل ورقة منها ما يشبه القارورة وكل منها مملوء بحوالى لتر من الماء
الصافى ، والعجيب أن هذا الشجر ينبت فى المناطق الصحراوية من
مالاجاشي ، وفى الأيام الشديدة الحرارة حيث يصبح الحصول على الماء شيئاً
ضرورياً ، يقوم المسافرون بشق تلك القارورة فيسكب منها الماء العذب
الصافى فيشرب العطشان ويتركها ، فتلتحم مرة أخرى من جديد كأن لم تشق
من قبل ، وتعبأ بالماء من جديد ، فتبارك الله أحسن الخالقين .^(١)

القاتل : " أو لم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم
ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين " .^(٢)

والقاتل : " الذى جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا
وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى " .^(٣)

والقاتل : " أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء
فأنبتنا به حقائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " .^(٤)

فسبحانه الخالق العظيم القادر على كل شئ ، العليم المحيط علمه
بكل شئ ، المدبر أمر كل شئ ، المبدع لكل ما نراه ونحسه وما لانراه ولانحسه

(١) انظر المنهج الايماني للدراسات الكونية فى القرآن - د. عبد العليم

خضر (ص ٤٢٧) .

(٢) سورة الشعراء (٨٠٧) .

(٣) سورة طه (٥٣) .

(٤) سورة النمل (٦٠) .

مما هو مبثوث فى جنبات الكون المحيط بنا .

ومن كل ماتقدم يستطيع المتدبر أن يخرج بالحقائق الآتية :

(١) أن من أعظم الدلائل وأقواها على قدرة الله تعالى وجميل صنعته

وكمال ابداعه النباتات والأشجار والثمار، لأن ماتحملة من بهجة

المنظر وروعة المشاهد مايشد نظر الانسان ويحفز تأمله، ويشير

دهشته ويملاً عقله وشعوره بعظم الآيات والعبر الجليلة الداللة

على قوة الخالق جل جلاله، وجميل ابداعه وصفاته الكاملة العظيمة .

(٢) أنه ينبغى على الانسان المسلم أن يجعل جل اهتمامه بدراسة

النباتات وأشجارها وثمارها، لما فى ذلك من المنافع العظيمة

والفوائد الكثيرة التى تعود عليه فى حياته بالخير الكثير والبركة

الزائدة الأكيدة، ففى النباتات الجمال والحياة والبهجة والسرور

اضافة الى مايجنى منها من الحبوب والثمار والأزهار التى تشبع

جميع حاجات النفس والعقل والقلب .

(٣) أنه ينبغى على الانسان عامة وعلى المسلمين خاصة ، البحث والكشف

عن النباتات والأشجار التى أوجدها الله تعالى على ظهر هـذـه

الأرض، والكشف عما تحويه من منافع كالدواء والغذاء والرئى، وبذلك

يحقق الانسان صلاحيته للخلافة فى الأرض، حيث يقوم بتعميرها

بالبحث عن كنوزها واستخراج كوامنها .

مع مافى النبات من أدوية قد تكون أنفع وأصلح وأشفى للأمراض من

الأدوية التى ابتدعها الانسان وكونها من الكيماويات التى يكون

لها أضراراً جانبية متعددة .

(٤) أنه لامانع من الاحتفال المستحدث الذى يسمى أسبوع الشجرة، حيث

فى هذا وقفة للانسان ليتأمل فى ابداع خلق الله عز وجل وجميل

صنعتة، ومن ثم يقوى ايمانه وتصفو عقيدته، ويتأكد توجهه للـ

سبحانه وتعالى خالقه ورازقه والمنعم عليه بكل خير وبركة ونفع .

ولكن يجدر بنا ابان احتفالنا فى أسبوع الشجرة أن ننتهز ذلك فرصة
 لاذاعة واشاعة آيات القرآن الكريم عن النبات والأشجار والشمس
 ونهتم بنشر الوعى بالأحاديث والمحاضرات عما تنطوى عليه هـ
 الآيات الكريمة من عبر وعظات وآيات وبراهين دالة على اللـ
 الخالق المبدع العظيم المتصف بكل جمال وكمال، والمنزه عن كل
 نقص وكيمية، سبحانه جل جلاله وعظم سلطانه .

(هـ) أنه ينبغى ربط مناهج التعليم فى جميع مراحلها وفى جميع موادها
 وبالأخص فى العلوم والكيمياء وغيرها بآيات القرآن الكريم
 وتوضيح معناها بعبارات سهلة ميسرة يفهمها الطلاب والتلاميذ
 وتقرير ماتضمنه آيات القرآن الكريم من صفات الله عز وجل من
 علم وقدرة، وإرادة وخلق وإبداع وتصوير .
 والعمل على ربط الحقائق العلمية التى وصل اليها العلماء فى
 العصر الحديث، بالآيات القرآنية التى تشير الى تلك الحقائق
 وترمز اليها لما فى ذلك من اظهار وجه الاعجاز العلمى للقرآن
 العظيم، الأمر الذى يشد انتباه الناشئين وطلاب العلم، ويعمق
 فيهم الايمان القوى بالخالق العظيم سبحانه وتعالى .

الفصل الثالث

و دلالة آيات النبأ على قدرة الله تعالى
على البعز والنسور في الآخرة .»

ويتأون من عهد ومباحث :-

١- التمهيد : منهج لقرآن الكريم في آيات البعث والجزاء .

٢- لبحث لأول : دلالات آيات النبأ على وقوع البعث بإيراد

لشبهة ثم الرد عليها .
٣- لبحث لثاني : دلالات آيات النبأ في آيات البعث في تقديم

الدليل ثم إيراد القضية بعد استقامته ورضوحه .
٤- لبحث لثالث : لإخبار بوقوع البعث مع طس الدليل لو ضوحه .

الفصل الثالث

دلالة آيات النيات على قدرة الله تعالى
على البعث والنشور فى الآخرة

تمهيد

منهج القرآن الكريم فى اثبات البعث

من المعلوم أن عناصر السعادة والفلاح دنيا ودينا التي بعث بها جميع رسله صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين والتي تضمنتها جميع الكتب المنزلة ثلاثة هي :

(١) العنصر الأول : الايمان بالله تعالى :

وهو الركن الأول الأعظم والأهم فى كل دين من الأديان التي أرسل الله تعالى بها رسله الى خلقه ، من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا الركن قد ضل فيه كثير من خلق الله عز وجل ومن ثم توالت الرسائل السماوية على تقريره وتأكيده وتوضيحه وتنزيهه عن كل شائبة تتعلق به ، ولقد جاء الاسلام فى وقت تراكمت فيه العقائد الفاسدة واختلطت التصورات الناقصة مما دخل على هذا الأصل الأصيل من فلسفات وأساطير وأوهام أو شعائر ما أنزل الله بها من سلطان .

فجاء الاسلام ليزيل ماران على هذا الأصل ، وهو الايمان بالله عز وجل والعقيدة بوجوده ووحدانيته ، وتنزيهه من أوهام وخرافات .

فوجه الاسلام عنايته الكبرى لتحرير أمر العقيدة وتصحيح التصورات والمفاهيم الخاطئة ، وتبصير الناس بالههم الواحد الأحد الفرد الصمد وردهم الى مبادئه تعالى وحده .

وقد اتخذ القرآن من مشاهد الكون المنظور دلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته ، وبيان قدرته وتدبيره ورحمته وعلمه ، وغير ذلك مما

أبينت عنه وأوضحته فى الفصول السابقة .

(٢) العنصر الثانى : هو الايمان بالبعث والجزاء .

وقد بعث الله تعالى به جميع رسله صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وبه يكمل الايمان بالله تعالى وتترسخ عقيدة التوحيد، وهـ الباعث على العمل الصالح والتمسك بالأخلاق الفاضلة، وترك الفواحش والمنكرات مظهر منها وما بطن، وقد ضل فى عقيدة البعث والجزاء كثير من الأمم والجماعات بل أصحاب الأديان السابقة لدين الاسلام .

وجاء الاسلام الحكم بنصوصه المتواترة فأعاد لهذا الركن أصالته وأبان عن حقيقته الثابتة الأكيدة، وأوضح حكمته وأهدافه بل قد نـ القرآن الحكيم على أن هذا الأصل هو أصل جميع الأديان، حيث يقول تعالى : " أعنده علم الغيب فهو يرى، أم لم ينبأ بما فى صحف موسى، وإبراهيم الذى وفى، ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للانسان الا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى " (١) .

وقد جعل القرآن الكريم أن الكفر بهذا الركن يستلزم الكفر بحكمة الله تعالى، وعدله فى خلقه، فيقول تعالى : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لاترجعون " (٢) .

ويقول : " أيحسب الانسان أن يترك سدى " (٣) .

وقوله تعالى : " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " (٤) .

وقد سلك القرآن الكريم فى اثبات عقيدة البعث منهاجاً حكيماً، من شأنه أن يشبع فطرة الانسان، ويقوى ايمانه، ويزيل وساوسه وأوهامه مما يتضح من بيان ذلك عن قريب بعون الله تعالى وتوفيقه .

(١) سورة النجم (٣٥ - ٤١) .

(٢) سورة المؤمنون (١١٥) .

(٣) سورة القيامة (٣٦) .

(٤) سورة ص (٢٧) .

(٣) العنصر الثالث للدين هو العمل الصالح :

وهو الأثر اللازم للإيمان بالله تعالى، وبالبعث والجزاء في الآخرة وثمرته له وهو يمدده ويستمد منه، فكل من الإيمان والعمل يغذى الآخر ويقويه ويتوقف كمال كل منهما على الآخر، فمن فسد إيمانه فسد عمله وكان رياءً ونفاقاً أو تقليداً صورياً . فلا يكون العمل صالحاً مصلحاً لعاملاًه إلا يجعله على الوجه الذى شرعه الله لأجله، وهذا مكرر فى القرآن فى سور كثيرة لاصلاح ما أفسده البشر فيه، يجعله تقليدياً غير مزل للنفس (١) ولامصلح لشئون الاجتماع .

والآيات الواردة فى الأعمال الصالحة فى العبادات والمعاملات والسلوك كثيرة متنوعة مبثوثة فى كل سور القرآن الكريم لاتخلو منها سورة من سوره .

ويجمع كل هذه الأصول الثلاثة لدين الله عز وجل قوله تعالى :
" ان الذين آمنوا والذين هادوا والانسارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون " (٢) .

يقول صاحب فتح البيان : (كأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الأمة الاسلامية، وحال من قبلها من سائر الملل، يرجع الى شىء واحد، وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً استحق ما ذكره الله من الأجر، ومن فاته ذلك فاته الخير كله والأجر دقه وطله) (٣) .
هذا وان موضوع بحثى هنا هو الركن الثانى وهو البعث والجزاء وبالأخص دلالات النبات عليه .

ولكننى بين يدي هذا الفصل أمهد له بالتمهيد الآتى :

-
- (١) انظر الوحي المحمدى للشيخ محمد رشيد رضا (ص ١٣٧) ط/١ مكتبة القاهرة .
(٢) سورة البقرة (٦٢) .
(٣) انظر فتح البيان فى مقاصد القرآن - أبى الطيب صديق خان الحسينى عند تفسيره لآية (٦٢) من سورة البقرة، وانظر غاية البيان فى تفسير القرآن الكريم - تأليف مجموعة من العلماء (١/٥٥ - ٥٦) .

وهو : منهج القرآن الكريم فى اثبات البعث والجزاء .

أولا : تعريف البعث :

البعث لغة : البعث والارسال يتقاربان ، تقول : بعثت رسولا وأرسلت رسولا . ويقال البعث ويراد به الاحياء ، ويقال ويراد به الاشارة ، يقال : بعثت الناقة اذا أشرتها .^(١)

يقول صاحب الصحاح : (بعثه وابتعثه بمعنى أرسله فانبعث ، وقولهم كنت فى بعث فلان أى فى جيشه الذى بعثنى معه والبعوث الجيوش وبعثت الناقة : أشرتها وبعثه من منامه أى أهبه وبعث الموتى : نشرهم ليلوم البعث وانبعث فى السير أى أسرع)^(٢) .

البعث فى القرآن الكريم :

يقول صاحب البصائر فى "بصيرة فى البعث" :

(وقد ورد فى القرآن الكريم على ثمانية معان :

الأول : بمعنى الالهام : " فبعث الله غربا يبحث " أى ألهم^(٣) .

الثانى : بمعنى احياء الموتى فى الدنيا : " ثم بعثناكم من بعد موتكم " . "فأماته الله مائة عام ثم بعثه"^(٤) .

" وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم " أى أحييناهم^(٥) .

الثالث : بمعنى الاستيقاظ من النوم : " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم " أى من النوم^(٦) .

(١) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى (ص ٢٠٤) ،

تحقيق محمد عبدالكريم الراضى ط/الرسالة .

(٢) الصحاح للجوهري (٢٧٣/١) .

(٣) سورة المائدة (٣١) .

(٤) سورة البقرة (٥٦) .

(٥) سورة البقرة (٢٥٩) .

(٦) سورة الكهف (١٩) .

(٧) سورة الأنعام (٦٠) .

- " ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى " (١) .
- الرابع : بمعنى التسلط : " بعثنا عليكم عبادا " (٢) .
- الخامس : بمعنى نصب القيم والحاكم : " فابعثوا حكما من أهلهم
وحكما من أهلها " (٣) .
- السادس : بمعنى اليقين : " ابعث لنا ملكا " أى عين وبين (٤) .
- " قد بعث لكم طالوت ملكا " (٥) . أى قد عين وبين .
- السابع : بمعنى الاخراج من القبور : " وأن الله يبعث من فى
القبور " (٦) .
- الثامن : بمعنى الارسال : " فابعثوا أحدكم بورقكم " (٧) .
- " وهو الذى بعث فى الأميين رسولا " (٨) . أى أرسل .
- وبعد أن ذكر الفيروز آبادى هذه الوجوه الثمانية وزاد على
ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه "نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه
والنظائر" فابن الجوزى لم يذكر الاستة وجوه للبعث فى القرآن فقط . (٩)
- يقول الفيروز آبادى : (وأصل البعث اشارة الشئ وتوجيهه
يقال بعثته فانبعث ويختلف البعث بحسب اختلاف ماعلق به ، فالبعث
ضربان : بشرى : كبعث البعير ويعنى الانسان فى حاجة ، والهى : وذلك ضربان
أحدهما : ايجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس شئ وذلك يختص
به البارى تعالى ولم يقدر عليه أحد من خلقه .
والثانى : احياء الموتى وقد خص به بعض أوليائه كعيسى وغيره

-
- (١) سورة الكهف (١٢) .
- (٢) سورة الاسراء (٥) .
- (٣) سورة النساء (٣٥) .
- (٤) سورة البقرة (٢٤٦) .
- (٥) سورة البقرة (٢٤٧) .
- (٦) سورة الحج (٧) .
- (٧) سورة الكهف (١٩) .
- (٨) سورة الجمعة (٢) .
- (٩) نزهة الأعين - ابن الجوزى (ص ٢٠٤) .

ومنه " فهذا يوم البعث " نحو يوم الحشر .^(١)
 وقوله : " ولكن كره الله انبعاثهم " ^(٢) أى توجههم ومضيهم ^(٣) .
 والمراد بالبعث الذى نحن بصدده هو : احياء الله الناس بعد الموت
 للحساب والجزاء يوم القيامة .

ثانيا : منهج القرآن الكريم فى الاستدلال على امكان البعث وتحقق وقوعه :

لقد سلك القرآن الكريم منهاجا حكيما فى الاستدلال على امكان البعث
 وتحقق وقوعه، يتوافق مع ما فطرت عليه النفوس من التصديق بما تحسه
 وتشاهده من واقع الحياة، ومع ما تقرره العقول السليمة والأفهام المستقيمة
 وهو سبيل تميز به القرآن الكريم، ولم يصل اليه منطق فيلسوف ولا تفكير
 أحد من البشر، لأنه منهج الله عز وجل العليم الخبير بنفوس عباده
 وذوات صدورهم " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ^(٤) .
 ويتلخص هذا المنهج فيما يأتى :

(١) يذكر الشبهة ثم يرد عليها مثل استبعاد اعادة الأجساد بعــــد
 تمزقها وتفتتها .

كما فى قوله تعالى : " وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجــــل
 ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد، أفترى على الله كذبا
 أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد، أفلم
 يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم
 الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب " ^(٥) .

وكما فى قوله تعالى : " ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم
 منذر منهم فقال الكافرون هذا شء عجيب ، اذا متنا وكنا ترابا

(١) سورة الروم (٥٦) .

(٢) سورة التوبة (٤٦) .

(٣) بصائر ذوى التمييز - الفيروز آبادى (٢/٢١٤ - ٢١٥) .

(٤) سورة الملك (١٤) .

(٥) سورة سبأ (٧ - ٩) .

ذلك رجع بعيد^(١) .

(٢) أو يذكر الدليل أولا وبعد استقامته بورد القضية .

كما فى قوله تعالى : " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفه علقه ، فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميئون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون^(٢) " .

(٣) أو يخبر الله عز وجل عن وقوع البعث والحساب خبرا قاطعا من غير أن يذكر الدليل على ذلك لوضوحه .

كما فى قوله تعالى : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بل وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون^(٣) " .

وقوله تعالى : " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير^(٤) " .

فهذه مسالك ثلاثة يسلكها القرآن الحكيم فى اثبات البعث وامكان وقوعه تظهر للمستقرىء آيات القرآن الكريم ذكرتها بدون أن أستطرد بشرحها وتوضيحها ، وتصنيف آيات البعث فى القرآن الكريم حسب انتظامها فى تلك المسالك خشية الاطالة ، ورغبة فى الوصول الحثيث الى الآيات التى تحدثت عن النبات ودلالاته على امكان البعث ووقوعه ، وهو موضوع بحثى فى هذا الفصل .

(١) سورة ق (١ - ٣) .

(٢) سورة المؤمنون (١٢ - ١٦) .

(٣) سورة النحل (٣٨ - ٤٠) .

(٤) سورة التغابن (٧) .

المبحث الأول

دلالات آيات النبات على وقوع البعث
بإيراد الشبهة ثم الرد عليها

ان المستقرىء لآيات البعث والجزاء فى القرآن الكريم ، يتبين أن النبات قد ذكر فى بعض أنواع الأدلة التى ساقها القرآن الكريم فى اثبات البعث وامكان وقوعه ، ولعل فى هذا مايفيد أن المناظر المشاهدة أوقع فى الحس وأصدق فى البرهان ، فى اثبات القضايا الايمانية والنباتات والأشجار والثمار من المشاهد البديعة ، والصور الرائعة التى تلفت دائماً نظر الانسان وتشير فكره ، وتملاً مشاعره واحساسه بالجمال الذى يعمق قوة التدبر والاعتبار فى مخيلة الانسان وعقله وقلبه ، وسوف أتناول آيات النبات الدالة على البعث بالشرح والتوضيح .

يقول تعالى : " ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعييد قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج " (١) .

يحكى الله عز وجل عن المشركين استبعادهم وقوع البعث بعد الموت وعدم امكانه ، وتعجبهم من شأنه وشأن القائل به ، ويقسم عز وجل بالقرآن المجيد الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزىل من حكيم حميد ، وجواب القسم هو مضمون الكلام الآتى بعد القسم ويتضمن ماياتى :

(١) سورة ق (١ - ١١) .

(١) اثبات النبوة .

(٢) اثبات المعاد وتقديره وتحقيقه .

ثم يحكى تعجب المشركين من أن يأتيهم منذر منهم ، أى بشر من جنسهم ثم يتبع ذلك بما هو أعجب عندهم من دعوى النبوة ، وهو اخبار الرسول لهم بأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى ، وهى بعثهم من قبورهم — أحياء مرة ثانية للحساب والجزاء على الأعمال التى اترفوها واكتسبوها فى حياتهم الدنيا ، والمشركون فى انكارهم للبعث يستبعدون وقوع الحساب واحياء الموتى بعدما تمزقت الأجسام وتفتت وتفرقت ، بحيث أصبحت تراباً — " أ اذا متنا وكنا تراباً ذلك رجح بعيد" ^(١) أى ذلك رجح بعيد عن الأوهام أو العادة أو الامكان ، بعد ذكره تعالى لاستبعادهم ، ساق الأدلة التى تقرر قدرته عز وجل على اعادتهم وبعثهم وحسابهم فبين :

(١) علمه تعالى المحيط بما تأكله الأرض من أجسامهم بعد مماتهم —

"قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ" ^(٢) .

(٢) أن قولهم ذلك صدر منهم من تأمل أو تفكر فكذبوا بالقرآن الكريم

من غير تدبر بعد التعجب فهم لذلك فى أمر مضطرب .

" بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج" ^(٣) .

قال الزمخشري : (اضراب أتبع الاضراب الأول ، للدلالة على أنهم —

جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم ، وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة

الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولاتدبر ، وكونه أفظع

للتصريح بالتكذيب من غير تدبر بعد التعجب منه) ^(٤) .

(٣) الاستدلال بخلق السماء وما فيها من عجائب الصنع ودقة الاحكام على

قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت ، " أفلم ينظروا الى السماء

(١) سورة ق (٣) .

(٢) سورة ق (٤) .

(٣) سورة ق (٥) .

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري (٤/٤) .

(١)

فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج " .

يقول الفخر الرازي : (وقوله تعالى : " كيف بنيناها وزيناها—
ومالها من فروج " ^(١) . اشارة الى وجه الدلالة وألوية الوقوع وهي للرجع .

أما وجه الدلالة : فان الانسان له أساس هي العظام التي هي كالدعامة وقوى وأنوار كالسمع والبصر، فبناء السماء أرفع من أساس البدن ، وزينة السماء أكمل من زينة الانسان بلحم وشحم ، وأما الأولوية : فان السماء مالها من فروج فتأليفها أشد، ولانسان فروج ومسام ولاشك أن التأليف الأشد كالنسيج الأصفق ^(٢) والتأليف الأضعف كالنسيج الأخف .

والأول أصعب عند الناس وأعجب .

(٣)

ككيف يستبعدون الأدون مع علمهم بوجود الأعلى من الله تعالى ؟) .

(٤) الاستدلال بالأرض وبسطها، وجعل الجبال الشوابت فيها، وانبات النباتات

أصنافا حسنة المنظر عليها .

"والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج " ^(٤) .

وهذا من الأدلة الحسية المشاهدة الدالة على قدرة الله تعالى وعظيم تدبيره وعلمه الواسع المحيط .

أفمن خلق هذا وقدر على هذا لا يستطيع إعادة الانسان بعد موتـــــــــــــــــه

وتفتته ؟

لاينكر ذلك الا بليد التفكير ناقص العقل ..

يقول الفخر الرازي : (اشارة الى دليل آخر ووجه دلالة الأرض هو أنهم قالوا : الانسان اذا مات وفارقتة القوة الغازية والنامية لاتعود اليه تلك القوة .

(١) سورة ق (٦) .

(٢) الأصفق : كثيف نسجه . انظر لسان العرب (٤٥٣/٢) .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي مجلد ١٤ (١٥٥/٢٨) .

(٤) سورة ق (٧) .

فنقول : الأرض أشد جمودا و أكثر خمودا، والله تعالى ينبت فيها
أنواع النبات وينمو ويزيد، فكذلك الانسان تعود اليه الحياة .
وذكر في الأرض ثلاثة أمور كما ذكر في السماء ثلاثة أمور :
في الأرض : المد، والقاء الرواسي ، والانبات فيها .
وفي السماء : البناء، والتزيين ، وسد الفروج .
وكل واحد في مقابلة واحد : فالمد في مقابلة البناء، لأن المد وضع
والبناء رفع . والرواسي في الأرض ثابتة، والكواكب في السماء مركبوزة
مزينة لها . والانبات في الأرض شقيها، كما قال تعالى : " انا صببنا
الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا ^(١) " .
وهو على خلاف في سد الفروج واعدامها .
وإذا علمت هذا ففي الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة، وأشياء
ثابتة كالأنف والأذن، وأشياء متحركة كالمقلة واللسان، وأشياء مسدودة
الفروج كدور الرأس والأغشية المنسوجة نسجا ضعيفا كالصفاق، وأشياء ^(٢)
لها فروج وشقوق كالمناخر والصماخ والغم وغيرها، فالقادر على الأضداد ^(٣)
في هذا المهاد وفي السبع الشدائد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه
الأجساد ^(٤) .

ثم يعلل الله عز وجل ماتتقدم من آيات قدرته، ودقة صنعه، وابداع
خلقه بقوله : " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " أي جعلناه لغرض أن نبصر
به ونذكر لكل عبد منيب .

والتبصرة : مصدر بصره من التبصير وهو جعل المرء مبصرا، وهو هنا
مجاز في ادراك النفس ادراكا ظاهرا للأمر الذي كان خفيا عنها، فكأنها

(١) سورة عبس (٢٥ - ٢٦) .

(٢) الصفاق : بكسر الصاد وفتح الفاء هو الجلد الأسفل الذي يمسك البطن

لسان العرب (٤٥٢/٢) .

(٣) الصماخ : بالكسر : الأذن، وبالضم : البثر القليلة الماء . لسان

العرب (٤٧٣/٢) .

(٤) التفسير الكبير للخرالرازي، مجلد ١٤ (١٥٦/٢٨) .

لم تبصره ثم أبصرته .

والذكر اسم مصدر ذكر اذا جعله يذكر مانسيه، وأطلقت هنا على مراجعة النفس ما عملته ثم غفلت عنه " (١) .

والتبصرة والذكرى، اما عائدان الى السماء والأرض على أن خلُق السماء تبصرة وخلق الأرض ذكرى، ويدل عليه أن السماء زينتها مستمرة غير مستجدة فى كل عام فهى كالشئ المرئى على مرور الزمان .
وأما الأرض فهى كل سنة تأخذ زخرفها . فذكر السماء تبصرة والأرض تذكرة، ويحتمل أن يكون كل واحد من الأمرين موجودا فى كل واحد من الأمرين، فالسماء تبصرة والأرض كذلك، والفرق بين التبصرة والتذكرة هو أن فيها آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر، وآيات متجددة مذكورة عند التناسى .

وقوله : " لكل عبد منيب " أى راجع الى التفكير والتذكر والنظر فى الدلائل (٢) .

وخى العبد المنيب بالتبصرة والذكرى وان كان فيما ذكر من أحوال الأرض، افادة التبصرة والذكرى لكل أحد، لأن العبد المنيب هو الذى ينتفع بذلك فكأنه هو المقصود من حكمة تلك الأفعال .

وهذا تشريف للمؤمنين وتعريض باهمال الكافرين التبصر والتذكر .

(٥) الاستدلال بانزال الماء من السماء واخراج النبات من الأرض :

بعد لفت الأنظار الى التبصر والتذكر فى صنع السماوات، وصنع الأرض، وانبات النبات الحسن الجميل فيها، نقل الكلام الى التذكر بايجاد آثار من آثار تلك المصنوعات، تتجدد على مرور الدهر حية ثم تموت ثم تحيا دأبا مستمرا، وقد غير أسلوب الكلام لهذا الانتقال من أسلوب الاستفهام فى قوله : " أفلم ينظروا الى السماء " الى أسلوب الاخبار بقوله : " ونزلنا من السماء ماء مباركا " ايذانا بتبديل المراد ليكون منه تخلص الى الدلالة على امكان البعث فى قوله : " كذلك الخروج " فجملة

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير (٢٦ / ٢٩٠) .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير (٢٦ / ٢٩٠) .

"ونزلنا" عطف على جملة "والأرض مددناها" .

وقد ذكرت آثارا من آثار السماء وآثار الأرض على طريقة النشـر
(١)
المرتب على وفق اللف () .

ففى هذه الآية الكريمة قصد سبحانه وتعالى الى الاستدلال بنفسـ
النبات والأشجار التى تنمو وتزيد، ليدل على كمال قدرته سبحانه وتعالى
وواسع علمه وعظيم شأنه، مما يؤكد ويقرر قدرته تعالى على بعث الانسان
واعادته بعد موته، فمن مظاهر قدرته عز وجل فى هذه الآية الكريمة :

(أ) انزال الماء المبارك الكثير المنافع من السماء .

(ب) جعل هذا الماء سببا فى انبات الجنات الكثيرة الأشجار وذوات الثمار
والحب المحصود من البر والشعير وسائر أنواع الحبوب . (أى أنشأنا
جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعا يحصد كل سنة ويزرع فى
كل عام أو عامين) (٢) .

(ج) انبات النخل الباسقات الطوال بهذا الماء النازل من السماء، وقد
أفراد النخل بالذكر مع دخولها فى جنات لبيان فضلها بكثرة
منافعها، وتوسط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن بقية
الأشجار .

ويقول الفخر الرازى : (قوله : " والنخل باسقات" اشارة الى
المختلطين من جنسين ، لأن الجنات تقطف ثمارها وتثمر من غير زراعة فى
كل سنة، لكن النخل يؤبر ولولا التأبير لم يثمر، فهو جنس مختلط من الزرع
والشجر، فكأنه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع، وخلق ما لا يزرع كل سنة
ويقطف مع بقاء أصلها، وخلق المركب من جنسين فى الاثمار لأن بعض الثمار
فاكهة ولا قوت فيه ، وأكثر الزرع قوت ، والشمر فاكهة وقوت ، والباسقات
الطوال من النخيل . وقوله تعالى " باسقات " يؤكد كمال القدرة والاختيار) (٣)
وقوله " لها طلع نضيد " أى متراكم بعضه فوق بعض فى أكمامها كما

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير (٢٦ / ٢٩١) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٨ / ١٥٧) .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٨ / ١٥٧) .

فى سنبله الزرع .

"رزقا للعباد" أى لرزقهم وهو علة لقوله تعالى : " فأنبتنا " وفى تعليه بذلك بعد تعليل أنبتنا الأولى بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار (١) أهم من تمتعه به من حيث الرزق .

وقيل رزقا مصدر من معنى " أنبتنا " لأن الانبات رزق .

وقوله : " وأحيينا به بلدة ميتا " عطف على أنبتنا به فبعضد أن استدل سبحانه على إمكان البقاء بانبات الزرع وانزال الماء، أشار سبحانه الى دليل قدرته على الاعادة والبقاء معا فقال : " وأحيينا به بلدة ميتا " .

وقوله تعالى : " كذلك الخروج " .

بعد وضوح الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى على إمكان البعث والاحياء بعد الموت ، حيث خلق تلك المخلوقات السابقة من العدم ، مما يدل على قدرته تعالى على اعادة الموجودات بعد فناؤها، بل هذا أمكن وأهون جاء بما يفيد تقريب البعث بقوله : " كذلك الخروج " .

(فهذه الجملة مذلة للاستدلال على إمكان البعث الذى تضمنته الجملة السابقة فوجب انفصال هذه الجملة ، فتكون استئنافا أو اعتراضا فى أواخر الكلام ، على رأى من يجيزه وهو الأصح) (٢)

فقد شبه سبحانه بعث الأموات ونشرهم بقدرته تعالى باخراج النباتات من الأرض بعد وقوع المطر عليها .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يواجه شبهات المنكرين للبعث والجزاء فيبطلها، ويسوق الأدلة والحجج التى تفندوها وتزهقها فقد ساق سبحانه وتعالى فى آيات سورة (ق) المتقدمة ما يأتى :

(١) انظر تفسير أبى السعود (٧/٧٦٠) على هامش الفخر الرازى .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير (٢٦/٢٩٤) .

أولا : الأدلة العقلية المنبئة عن علم الله تعالى المحيط بالأجزاء المتفرقة، وقدرته تعالى على إعادة تلك الأجزاء .

ثانيا : الأدلة الحسية المشاهدة الدالة على كمال قدرته تعالى من خلق السماء والأرض وما فيهما من آيات القدرة العظيمة على الإبداع ودقة الصنع، وضرب للمنكرين المثل بأحياء الأرض بعد موتها بانبثاق النباتات والأشجار، ثم عقب كل ذلك بقوله : " كذلك الخروج " أى مثل ذلك الخروج للنبات من الأرض، يحيى الله عز وجل الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والشواب والعقاب .

ثالثا : يلاحظ المتدبر للآيات المتقدمة ، أن النبات قد تكرر ذكره فى سناء اثبات البعث وامكان وقوعه، مما يدل على أن النبات له وقوع خاص فى تأكيد ذلك وتقريره .

ومن ثم تكررت الآيات القرآنية فى مواضع مختلفة من القرآن العظيم فى بيان ذلك وتوضيحه وتقريره، كما فى قوله تعالى " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحيها لـمحيى الموتى انه على كل شىء قدير " (١) .

وقوله تعالى : " وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون " (٢) .

وقوله تعالى : " والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور " (٣) .

فمجموع هذه الآيات وما يشابهها تتضمن الاستدلال على امكان البعث ووقوعه، بامكان احياء الأرض الميتة بالماء النازل من السماء، واخراج

(١) سورة فصلت (٣٩) .

(٢) سورة الأعراف (٥٧) .

(٣) سورة فاطر (٩) .

النبات والأشجار والشمار منها، فالقرآن الكريم يستدل بأحوال النبات على البعث والنشور، لأن النبات له دورات متعاقبة من الحياة يظهر وينمو، ثم يذبل ويضمحل حتى يصبح ذرات متفرقة تختلط بالتراب وتتلاشى، ثم يكـون موسم يظهر فيه النبات كرة أخرى، وفى كل ذلك اثبات لقدرة الله تعالى الباهرة .

وقد وصف القرآن الكريم هذه العملية عملية اخراج النبات من الأرض بالماء بأنه آية حيث قال : " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة الآية .
ليشير بذلك الى امكان البعث والنشور، والى هذه القدرة الحكيمـة المتصرفـة فى الكون جميعه، لايعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

ثانيا : قوله تعالى : " أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون " (١) .

فهذه الآيات الكريمة تبين استبعاد المشركين واعتراضهم على قضية بعث الأموات واحيائهم بعد موتهم للبعث والجزاء، فيحكى الله تعالى عن منكرى البعث ويذكر شبهتهم بقوله : " وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم " .

وما ذكر من سبب لنزول هذه الآيات يوضح لنا ذلك، ويظهر لنا مدى استبعاد المشركين لقضية البعث والجزاء فى الآخرة .

فقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم فى معجمه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث، والضياء فى المختار، عن ابن عباس قال : جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١)
 بعظم حائل ففته بيده فقال : يا محمد أيحيى الله هذا بعد ما أرى ؟ قال :
 " نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم " فنزلت
 الآيات من آخر يس (" أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة " الى آخر
 (٢)
 السورة .

ومع أن السبب خاص فالآيات عامة شاملة لكل منكر للبعث ، لما هو
 مقرر في علم الأصول من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والمراد
 بالانسان الجنس فيعم كل منكر للبعث والجزاء .

فقوله تعالى : " أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة . . . الآية " .
 مستأنفة مسوقة لبيان اقامة الحجة على من أنكر البعث ، وللتعجب
 من جهله ، فان مشاهدة خلقهم في أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى
 النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك ممن
 بعث الأجسام وردها كما كانت .

وجملة " فاذا هو خصيم مبين " معطوفة على الجملة المنفية قبلها
 داخلة معها في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام واذا هي الفجائية .
 والخصيم الشديد الخصومة الكثير الجدل ، والمبين المظهر لما يقوله
 الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه .

والمعنى : أو لم ير الانسان ويعلم أنا خلقناه من أضعف الأشياء
 (٣)
 ففجأ خصومتنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه .
 (٤)
 وقوله : " وضرب لنا مثلا ونسى خلقه " معطوف على الجملة المنفية
 داخلة في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام ، فهي تكميل للتعجب من حال
 الانسان وبيان جهله بالحقائق واهماله للتفكر في نفسه ، فضلا عن التفكير

-
- (١) حائل : أى عمره حول ، بمعنى أنه قديم بالى . لسان العرب (٧٥٩/١ - ٧٦٠) .
 (٢) انظر فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في التفسير
 للشوكانى (٣٨٤/٤) ، وانظر المستدرک على الصحيحين للحاكم (٤٢٩/٢) ،
 التفسير ، قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
 (٣) فجأ : هجم على عداوتنا . لسان العرب (١٠٥٢/٢) .
 (٤) فتح القدير للشوكانى (٣٨٣/٤) .

فى سائر مخلوقات الله تعالى .

وقوله : " قال من يحيى العظام وهى رميم " استئناف جواب لسؤال مقدر كأنه قيل : ما هذا المثل الذى ضربه ؟

فقيل له : من يحيى العظام وهى رميم ؟ وهذا الاستفهام للانكار لأنه قاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيى العظام البالية بعدما رمت وبليت وتفتت، حيث لم يكن ذلك فى مقدور البشر .

يقول الفخر الرازى : (المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة، واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة، وهم الأكثرون، ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم فى كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد، كما قال :
 "وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد" (١) .
 "أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون" (٢) .
 "أئنا لمن المصدقين، أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون" (٣) .
 الى غير ذلك فكذلك ههنا قال : " قال من يحيى العظام وهى رميم "

على طريق الاستبعاد .

فبدأ أولا : بابطال استبعادهم بقوله : " ونسى خلقه " أى نسى أنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء، ثم جعلنا لهم من النواصي الى الأقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام، وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام، وهو النطق والعقل اللذان بهما استحقوا الاكرام، فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد، فلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قدرة لم تكن محل الحياة أصلا، ويستبعدون اعسادة النطق والعقل الى محل كانا فيه، ثم ان استبعادهم كان من جهة ما فى المعاد من التفتت والتفرق، حيث قالوا : " من يحيى العظام وهى رميم " اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه، ووصفوه

(١) سورة السجدة (١٠) .

(٢) سورة المؤمنون (٨٢) .

(٣) سورة الصافات (٥٢ - ٥٣) .

بما يقوى جانب الاستبعاد من البلى والتفتت ، والله تعالى دفع استبعادهم من جهة مافى المعيد من القدرة والعلم فقال : " وضرب لنا مثلا " أى جعل قدرتنا كقدرتهم ، ونسى خلقه العجيب وبدأه الغريب) (١) .
ومنهم من ذكر شبهة وان كانت فى آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهى على وجهين :

أحدها : أنه بعد العدم لم يبق شيئا ، فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود .

وأجاب عن هذه الشبهة قوله تعالى : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة " . يعنى كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا ، كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا .

وثانيها : أن من تفرقت أجزاءه فى مشارق العالم ومغاربه ، وصار بعضه فى أبدان السباع وبعضه فى جدران الرباع كيف يجمع ؟

فتعنين لنا أن قوله تعالى : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة " (٢) جواب لضارب هذا المثل المستبعد لقدرة الله تعالى على ذلك ، فرد الله تعالى عليه وأبطل شبهته بهذه الجملة الوجيزة الوافية ومفادهما أن الله عز وجل العظيم القدرة ، الذى ابتداء خلق الانسان أول مرة من العدم من غير شيء ، قادر بل أقدر على اعادته من شيء فمن قدر على النشأة الأولى قادر على النشأة الثانية . يوضح ذلك قوله تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " (٣) .

(أى فى نظركم الاعادة أهون من الابداء لأن من يفعل فعلا أولا يصعب عليه ثم اذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون) (٤) .

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٠٩/٢٦) ط/أولى - دار الفكر

(٢) سورة يس ، آية (٧٩) .

(٣) سورة الروم (٢٧) .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى (١١٨/٢٥) .

وهذا هو الرأى الراجح فى تأويل الآيه ، فهين وأهون بالنسبة لعقول الخلق أما بالنسبة لله عز وجل فليس شيء أصعب من شيء ، ولا شيء أسهل من شيء ، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

يقول أبو عبيد : (" وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده " مجازة أنه خلقه ولم يكن من البدء شيئاً ثم يحييه بعد موته ، " وهو أهون عليه " فجاز مجازة : وذلك هين عليه لأن " أفعل " يوضع موضع الفاعل ، قال :

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل . . . على أيننا تعدو المنية أول
أى وانى لو اجل أى لو جل .

وقال : فتلك سبيل لست فيها بأوحد أى بواحد . وفى الأذان : الله أكبر أى الله كبير .

وقال الشاعر :

أصبحت أمنحك الصدود واننى . . . قسما ليك مع الصدود لأميـل
وقال الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا . . . بيتا دعائمه أعز وأطول
أى عزيزة طويلة .

فان احتج محتج فقال : ان الله لا يوصف بهذا ، وانما يوصف به الخلق فزعم أنه وهو أهون على الخلق ، وان الحجة عليه قول الله : " وكان ذلك على الله يسيرا " وفى آية أخرى : " ولا يؤده حفظهما " .^(١)^(٢)^(٣)

وجميع ذلك تقرير وتأكيد لعظمة قدرة الله تعالى على إعادة الناس بعد موتهم ، واحيائهم للحشر والحساب ، والقادر على النشأة الأولى قادر على النشأة الثانية ، كما قال تعالى : " ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون " .^(٤)

-
- (١) سورة النساء (٣٠) .
(٢) سورة البقرة (٢٥٥) .
(٣) صجاز القرآن لأبى عبيدة (١٢١/٢ - ١٢٢) ط مؤسسة الرسالة تحقيق فؤاد سزكين .
(٤) سورة الواقعة (٦٢) .

ثم ذيل الله عز وجل هذا الاستدلال بقوله : " وهو بكل شيء عليم " .
ومعناه : أن الله عز وجل واسع العلم ، محيط بكل وسائل الخلق التي
لا يعلمها أحد من خلقه سبحانه ، كالخلق من نطفة والخلق من ذرة ، والخلق
من أجزاء النبات المغلقة ، كسوس الفول وسوس الخشب ، فتلك أعجب من
تكوين الانسان من عظامه . فعلم الله تعالى واسع شامل بجميع تفاصيل
كيفية الخلق والايجاد انشاء واعادة ، محيط علمه بجميع الأجزاء المتفتحة
المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها ، يقرر ذلك قوله تعالى :
" قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ " ^(١) ، فالله عز وجل
قادر على اعادة الأجسام المبعثرة المتناثرة ، وجمع أجزائها ، وتكوين
عظامها التي رمت وتفتتت على نفس النمط السابق ، الذي كانت عليه لا يستحيل
في قدرته سبحانه شيء كما يقول تعالى : " بلى قادرين على أن نسوي
بنانه " ^(٢) .

والبنان أدق شيء وأصغر في الانسان ، فنيه سبحانه بالبنان وهي
الأصابع على بقية الأعضاء ، وأن الاقتدار على بعثها وارجاعها كما كانت
أولى في القدرة من ارجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل
والأظافر والعروق اللطاف ، والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيص البنان
بالذكر ^(٣) .

كل ذلك يسوقه عز وجل لابطال شبهة من استبعد واستنكر اعادة
الأجسام واحياء العظام بعد فنائها واندثارها .
وبعد ذلك ساق عز وجل الأدلة المحسوسة المشاهدة الدالة على كمال
قدرة الله عز وجل وجليل عظمته سبحانه .
فأتبع ماتقدم بتقرير دفع استنكار المشركين للبعث ، وابطال
انكارهم وعنادهم بما يقع تحت نظرهم ومشاهدتهم من الآيات الكونية

(١) سورة ق (٤) .

(٢) سورة القيامة (٤) .

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣٣٦/٥) .

الدالة على أن الخالق سبحانه لا يعجزه شيء .

فقال تعالى : " الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون " (١) .

وهذه الآية بدل من قوله : " الذى أنشأها " بدلا مطابقا .

وانما لم تعطف الصلة على الصلة ، فيكتفى بالعطف على إعادة اسم الموصول ، لأن فى إعادة الموصول تأكيد للأول ، واهتماما بالثانى ، حتى تستشرف نفس السامع لتلقى ما يرد بعده ، فيفطن بما فى هذا الخلق من الغرابة ، إذ هو إيجاد الضد وهو نهاية الحرارة من ضده وهو الرطوبة وهذا هو وجه وصف الشجر بالأخضر ، إذ ليس المراد من الأخضر اللون ، وانما المراد لازمه وهو الرطوبة ، لأن الشجر أخضر اللون مادام حيا ، فاذا جف وزالت الحياة استحال لونه الى الغبرة ، فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبت وحياته (٢) .

فهذه آية عظيمة دالة على كمال القدرة الالهية ، التى توجد الضد من ضده ، فهذا الشجر الغض الذى يقطر ماء ، أحدث منه الخالق القسار المقتدر هذه النار المضادة له ، وهذا أمر أعجب وأغرب من إعادة الغضاة الى ماكان غضا ، فطرات عليه اليبوسة والبلى .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : ما المراد بالشجر المذكور فى هذه الآية هل هو شجر مخصوص معهود ، أم أن جميع الأشجار تكمن فيها النار ؟

أكثر المفسرين على أن المراد بالشجر هنا شجر المرخ بفتح الميم وسكون الراء وشجر العفار - بفتح العين المهملة وفتح الفاء ، فهما شجرتان يقتدح بأغصانهما ، يؤخذ غصن من هذا وغصن من الآخر بمقدار السواك وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتندح النار .

(١) سورة يس (٨٠) .

(٢) انظر التحرير والتنوير (٧٦/٢٣ - ٧٧) .

(٣) الغضاة : الطراوة والنعومة فى النبات ، والليوننة . لسان العرب

قيل : يجعل العفار أعلى والمرخ أسفل ، وقيل : العكس .
المهم أنه اذا ضرب أحدهما على الآخر انقذحت منهما النار وهما
أخضران ، وقال بعض العلماء : ان المراد بالشجر جميع الأشجار ، حيث ان
النار كامنة فى الشجر الأخضر كمونا بالقوة ، نستخرجها عند الحاجة
وفى ذلك يقول الشيخ نديم الجسر : أما العلم فيقول : ان النار هى
عبارة عن ظاهرة لتزايد الحرارة الناتجة عن احتراق بعض الأجسام
وأن الاحتراق بمعناه العام هو عبارة عن ظواهر كيميائية تحصل عند
اتحاد جسم من الأجسام مع الأكسجين ، ولكن الاحتراق الذى يولد الحرارة
انما يحصل من اتحاد الأكسجين مع الكربون ، وهذا الكربون موجود فى
الطبيعة فى أجسام مختلفة من الجمادات والأحياء ، ولكن أعظم وجوده وأيسره
فى النباتات ، فأنسجة النبات كما تعلم كلها من الكربون بل يكاد يكون
الكربون العنصر الوحيد فى تركيب جسم النبات وغذائه وثماره ...
فانظر كيف أعد الخالق لها نوااميسها وعناصرها ، وجعلها كامنة
فى الشجر الأخضر كمونا بالقوة ، وسلطنا على توريثها عند الحاجة ويقدر
اللزوم ، وجعلها لنا متاعاً وتذكراً ، نتذكر بها حينما نستخرجها من
مكمنها فى الشجر الأخضر الطرى المائى ، الذى لانتوقع كمون النار فيه .
تلك القدرة العظيمة والحكمة الباهرة ، التى أنشأت لنا شجرة النار
فان هذا التذكير مما ينير عجب البدوى الساذج ، ويدله على قدرة الخالق
كما يثير عجب العالم ، فيدرك ما وراءه من أسرار القدرة والحكمة
والنظام والقصد والتصميم (١)
والراجع فى نظرى أن المراد بالشجر الأخضر فى الآية الكريمة
جميع أنواع الشجر ، ويدخل فيه المرخ والعفار دخولا أولياً ، حيث تكمن فيهما
القوة النارية أكثر من غيرها ، يقول الزمخشري فى تفسير هذه الآيات : (ثم
ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر ، مع مضادة النار

(١) قصة الايمان للشيخ نديم الجسر (ص ٣٦٠) .

الماء وانطفائها به، وهى الزناد التى تورى به الأعراب وأكثرها من المرخ
والعفار .

وفى أمثالهم : فى كل شجر نار واستمجد (١) المرخ والعفار ، يقطع
الرجل منهما غصنين مثل السواك ، وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فيستحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى ، فتنقدح باذن الله (٢)
والعلماء فى العصر الحديث قد أثبتوا أن طاقة الشمس تنتقل إلى
جسم النبات بعملية التمثيل الضوئى ، اذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة
الخضراء فى النبات (الكلوروفيل) ثانى أكسيد الكربون من الجو، ويتفاعل
هذا الغاز مع الماء الذى يمتصه النبات ، تنتج المواد (الكربوهيدراتية)
بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس ، ومن ثم يتكون الخشب الذى
يتركب أساسيا من مركبات كيميائية محتوية على (الكربون والهيدروجين
والأكسجين) ومن هذا الخشب يتكون الفحم النباتى المستعمل فى الوقود
اذ باحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه ، وينتفع فيها فى
الطهى والتدفئة والانارة وتسخين الماء وفى كثير من الأغراض ، وما الفحم
الحجرى الخشبى الانباتات وأشجار نشأت ونمت على النحو السابق ، وكبرت
بفعل عملية التمثيل الضوئى أو الكلوروفيل ثم دفنت بطريقة ما ، وتحولت
بالتحليل الجزئى بعد ماضى ملايين السنين إلى الفحم المذكور ، تحت تأثير
العوامل الجيولوجية كالحرارة أو الضغط وغيرها ، ويجب أن يلاحظ أن لفظ
الاحضرار فى الآية ووصف الشجر بهذا اللون ، لم يكن عفوا وانما هو إشارة
إلى مادة الكلوروفيل الأخضر اللازمة لتمثيل غاز ثانى أكسيد الكربون (٣) .

فهذه العملية المستفاد من الآية بكل جوانبها وملابساتها دلالة
أكيدة وقوية على عظم قدرة الله عز وجل والقادر على ذلك قادر على
احياء الأموات وبعثهم ونشورهم وحسابهم كما يقول تعالى : " أفرايتم
النار التى تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها

(١) استمجد : استكثر منهما . لسان العرب (٤٤٠/٣) .

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٣٢/٣) .

(٣) انظر المنتخب فى تفسير القرآن الكريم (ص ٦٥٩) المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية .

تذكرة ومتاعا للمقوين ،فسبح باسم ربك العظيم " (١) .

وفى بيان وجه دلالة قوله تعالى : " الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم توقدون" على البعث والجزاء حسب ما قاله العلماء فى العصر الحديث . يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : (فمفتاح معناها وصف الشجر بالأخضر، وترتيب النار على خضرة الشجر، ومن يعرف أثر الخضرة فى نمو الشجر، وفى بناء كيانه الخشبى على الأخضر، وفى اختزانها ما فى ذلك الكيان من طاقة تبدو نارا عند الاستيقاد ، لا يجد صعوبة فى ادراك سر ترتيب النار على الخضرة، أو فى تبين عظمة الآية وبلاغتها واعجازها، ومن لم يعرف هذا تحير أمام هذا الترتيب الغريب ، وراح يتلمس للآية توجيهها يذهب بها فى غير وجهها، كما فعل من تلمس تفسير الآية فى سهولة انقذاج المرخ والعفرار، على أن هناك قرينة قرآنية قوية ، تبين أن تفهم الآية الكريمة على هذا الوجه الذى ذكرناه ، ألا وهى قرينة السياق .

ان تلك الآية الكريمة انما سيقنت ردا على منكرى البعث ، بعض الانسان بعد أن يصير عظما رميما ، فلا بد أن يكون هناك صلة بين معناها وبين مسألة البعث ، كما لا بد أن يكون هناك حجة فيها على منكرى البعث . أما الصلة فظاهرة من أن الآية متصل موضوعها اتصالا وثيقا بحياة النبات ، وانشائه حيا ناميا قويا ، بعد أن كان بذرة أو نواة لانماء فيها ولا حياة ، وتزداد الصلة بأمر البعث وضوحا باتضاح الحجة التى فى الآية على منكرى البعث ، والتى تقوم على أن جميع نماء الشجر ومادته وطاقته بعد خروج أول وريقتين خضراوتين من البذرة أو النواة ، انما هو آت من مواد أولية . هى نواتج تعفن الشجر بعد موته أو احتراقه أى من مواد تشبه من كل الوجوه ذلك العظم الرميم ، الذى استبعد المنكر الجاحد أن يحييه الله مرة أخرى ، بل ان ذلك المنكر لم يشر الا الى

(١) سورة الواقعة (٧١ - ٧٤) .

جزء من نواتج التعفن، تعفن الانسان أو الحيوان ألا وهو العظم الرميم
 فى حين أن هناك كما عرفت نواتج أخرى للتعفن غير العظم، مثل ثانى
 أكسيد الكربون، وبخار الماء، جهلها ذلك المنكر فلم تخطر له على بال .
 هذا وقد أشارت الآية الكريمة اشارة واضحة يفهمها العالمون، الى
 ظاهرة تشبه ظاهرة البعث تمام الشبه، لأنها بالفعل ظاهرة بعث للنبيات
 بعد أن صار بالتعفن أو الاحتراق بخار ماء وثانى أكسيد الكربون
 ورمادا أو أملاحا، وهى فى الحقيقة التى تقابل العظم الرميم الذى ذكره
 الجاحد .

فكان الآية تقول لذلك المنكر : ان الذى يبعث الشجرة بعد أن
 فنيت ويخلقها مرة أخرى بواسطة المادة الخضراء، من نواتج تعفنها
 أو احتراقها، قادر على أن يبعث الانسان بعد موته ويخلقه مرة أخرى من
 نواتج تعفنه وتحوله الى عظم رميم وغير عظم رميم .
 الا أنه لما لم يكن مأمونا على العقل حين نزلت الآية، التصريح بهذه
 المعانى، اكتفى فى الآية بايداعها مفاتيح الى هذه المعانى، لينتفع بها
 الانسان اذا اتسع علمه، ألا وهى وصف الشجرة بالخضرة عند جعله أملا للنار
 مع السياق (١) .

ونخلص من كل ماتقدم بالنتائج الآتية :

- (١) أن الله عز وجل ساق شبهة المنكرين للبعث، ثم قرأ عليها بالرد
 والابطال والتفنيد .
- (٢) أن الله عز وجل جعل الآيات الكونية فى الأنفس والآفاق أقرب دليل
 وأقوى حجة على الانسان، حتى يقرر ويوقن بقدرته الله تعالى وكمال
 علمه وسعة حكيمته .

(١) الاسلام فى عصر العلم للأستاذ الدكتور / محمد أحمد الغمراوي
 (ص ٤١٨ - ٤١٩) ط/١ دار الكتب الحديثة .
 وانظر : الله يتجلى فى عصر العلم - مجموعة من العلماء - ترجمة
 د. الدمرداش (ص ٦٥ - ٧٣) .

- وليس أدل على هذا من آيات القدرة التي يشاهدها ويتأملها الانسان
فى نفسه وفى الكون المحيط به .
- (٣) أن الله سبحانه وتعالى استدل بقدرته على نشأة الانسان ، والوجود
كله من العدم ، على قدرته على النشأة الثانية للبعث والحساب
لفتا لنظر العقل وتبصرة لذوى الألباب والعقول السليمة .
- (٤) أن الله عز وجل قرر احاطة علمه الواسع ، الشامل بكل أجزا
الكائنات التى تموت وتفنى ، ومن ثم فهو قادر على جمعها
واعادتها .
- (٥) قرر سبحانه وتعالى قدرته العظمى على ايجاد الضد من الضد ، حيث
يخرج من الشجر الأخضر النار المحرقة . وفى هذا رد وابطـال
لشبهة المستبعدين للبعث ، ولفت للانسان أن يتأمل فى دورة النبات
وتكويناته وعناصره ، ليخرج من ذلك بالاقرار بوجود الخالق العظيم
ووحدانيته سبحانه ، وقدرته عز وجل على البعث والاحياء بعد الموت
كما هو مشاهد فى مظاهر الكون وآياته الكثيرة المتعددة .

المبحث الثانى

دلالات آيات النبات فى اثبات البعث فى تقديم الدليل
ثم ايراد القضية بعد استقامته ووضوحه

قد تبين فى المبحث السابق المسلك الذى سلكه القرآن الكريم فى اثبات قضية البعث، حيث يذكر شبهة المنكرين ثم يعقبها بالرد والانكار والابطال، باظهار شمول علم الله عز وجل، وسعة تدبيره وكمال قدرته عز وجل، وسوف أتبع ذلك ببيان مسلكا آخر من مسالك القرآن الكريم ومناهجه فى اثبات قضية البعث، وهو أنه يقدم الدليل وبعد وضوحه واستقامته يورد القضية، وفى هذا المسلك قد ذكر القرآن الكريم آيات كثيرة متعددة فى مواضع مختلفة من سورة الكريمة، ولكن ما يهمنى الآن هو ذكر ما يتعلق بذلك فى آيات النبات فى القرآن الكريم، ومن ذلك :

أولا : قوله تعالى فى سورة الرعد : " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " .
وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ^(١) .

هاتان الآيتان من سورة الرعد الآية الرابعة والخامسة، جاءت فى سياق استعراض آيات القدرة وسعة العلم واحاطته، المستفادة من عجائب الكون الدالة على قدرة الله تعالى الخالق المدبر سبحانه وتعالى .
وهذه الآيات جميعها ناطقة ومظهرة أن من مقتضيات الحكمة الالهية

(١) سورة الرعد (٤ - ٥) .

أن يكون هناك وحى لتبصير الناس .

وأن يكون هناك بعث لحساب الناس ، وأن من مقتضيات هذه القدرة أن تكون مستطبعة بعث الناس وعودتهم الى خالقهم ، الذى بدأهم وأنشأهم من العدم ، وهو الذى أنشأ الكون كله قبلهم وسخره لهم ليبلوهم فيما آتاهم .

والآيات الكريمة من أول السورة تبدأ بتقرير قضية الوحي وهو القرآن الكريم ، وما اشتمل عليه من حق وصدق لا يعتوره شك ولا ارتياب ثم تسوق الآيات الكونية ، لتلفت نظر الانسان الى القدرة الالهية ، التى تحرك وجدان الانسان وتملأ قلبه علما ومعرفة ويقينا ، يجعله يخرج من مشاهداته لمظاهر قدرة الله تعالى فى كونه الواسع ، الى قدرة الله تعالى العظيمة وعلمه الواسع المحيط ، وتدبيره المحكم الدقيق ، وممن كان هذا شأنه فهو قادر على البعث واحياء الناس بعد موتهم ليحاسبهم على ما قدموا من أعمال ، ويسلك القرآن الكريم فى هذه الآيات البيِّنات المسلك التالى :

(١) يلفت نظر الانسان عامة والمنكر للبعث خاصة الى السماء ومكوناتها وكونها مرفوعة بدون عمد ، وسعتها التى لا يحيط بها البصر ادراكا وفى ذلك مافيه من كمال القدرة وعظيم السلطان وكمال العلم ودققة التدبير ، واستواؤه عز وجل على العرش استواء يليق بجلاله عز وجل وتسخيره عز وجل للشمس والقمر فقد خلقهما بقدرته وسخرهما بارادته يجريان دائبين لا يفتران الى أجلهما المسمى ، أى الى حدود مرسومة وفق ناموس مقدر .

ثم يذيل ويختتم سبحانه وتعالى ذلك بقوله : " يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون " (١) . أى يوضح الآيات ويظهر الدلالات الدالة المبرهنة على أنه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ، وهو القادر

سبحانه على اعادته الخلق اذا شاء كما بدأهم .
 (٢) ثم ينتقل من بيان آيات السماء الى آيات قدرته وبراهين سلطانه
 فى الأرض، فبين أنه الذى بسط الأرض وجعلها صالحه للحياة، وجعل
 فيها الجبال لحفظ توازنها، وأمدّها بالأنهار والمياه لتستمر الحياة
 عليها، وخلق فيها ألوانا وأصنافا من النباتات التى تأتى بالثمار
 المتنوعة .

وجعل فيها الليل والنهار يطلب أحدهما الآخر طلبا حثيثا، كل ذلك
 فى نظام بديع وتناسق دقيق ودقة متناهية، تبعث وتدفع الى التأمل
 فى ناموس الكون، والتفكير فى القدرة العظيمة المبدعة التى تدبّر
 وترعاه .

والتأمل والتفكير فى آيات القدرة الهائلة المبدعة، التى تقود
 الانسان الى اليقين الجازم بقدرته القاهرة وسلطانه العظيم، ومن كان
 ذلك شأنه فهو قادر على احياء الأموات بعد تفتتهم وفنائهم وكونهم
 ترابا .

ومن ثم ختم الآية بقوله : " ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (١)، فان
 التفكير السليم المعتدل هو السبيل الى الوصول الى الحق والصديق
 واليقين، أما من ختم على قلبه وغفل عن آيات القدرة فلن ينتفع بشيء
 ولن يصل الى حق " ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " (٢) .

(٣) ثم تمضى الآيات فى اظهارها لدلائل قدرة الله تعالى فى كونه
 العظيم، فتعود الى توضيح مشهد من مشاهد آيات الكون فى
 الأرض، وهو مشهد كثيرا ما يتكرر من الانسان رؤيته ببصره، بل يمارسه
 بعمله ويلمسه بيده ويتذوقه بذوقه، وهو مشهد الثمرات التى تخرج
 من الأرض مختلفة الألوان والأشكال .

(١) سورة الرعد (٣) .

(٢) سورة الفرقان (٤٤) .

ولعل الحكمة في هذا العود وذلك التوضيح، هو وضع المنكر للبعث والجزاء أمام القدرة الالهية وجها لوجه، ليزداد تأمله حتى يجزم يقيننا بقدرة الله تعالى على البعث والجزاء .

فيقول تعالى : " وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعينها وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون " (١) .

(وفي هذا من الدلالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ما لا يخفى على من له عقل، فان القطع المتجاورات والجنات المتلاصقة، المشتملة على أنواع النبات، مع كونها تسقى بماء واحد، تتفاضل في الثمرات وفي الأكل فيكون طعم بعضها حلوا والآخر حامضا، وهذا في غاية الجودة وهذا ليس بجيد وهذا فائق في حسنه وهذا غير فائق، مما يقطع لمن تفكر تفكر اعتبار ونظر نظر العقلاء، أن السبب المقتضى لاختلافها ليس الا قدرة الصانع الحكيم جل سلطانه وتعالى شأنه، لأن تأثير الاختلاف فيما يخرج منها ويحصل من ثمراتها لا يكون في نظر العقلاء الا لسببين : اما اختلاف في المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تسقى به، فاذا كان المكان متجاورا وقطع الأرض متلاصقة والماء الذي تسقى به واحدا لم يبيح سبب للاختلاف في نظر العقل، الا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب، ولهذا قال الله سبحانه : " ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون " أي يعملون على قضية العقل وما يوجبه، غير مهملين لما يقتضيه من التفكير في المخلوقات والاعتبار في العبر الموجودات) (٢) .

والمتدبر في هذه الآية الكريمة يرى فيها مشاهد متعددة من مظاهر قدرة الله تعالى، وحكمة تدبيره، وشمول علمه وعظيم سلطانه، وتتلخص هذه المظاهر فيما يأتي :

(١) سورة الرعد (٤) .

(٢) فتح القدير للشوكاني (٦٥/٣) ط/ دار الفكر - بيروت .

(١) هذه الآية معطوفة على الأشياء المذكورة فى الآية السابقة التى أسند جعلها الى الله تعالى، ومن ثم أعاد اسم الأرض الظاهر دون ضميرها الذى هو المقتضى ليستقل الكلام ويتجدد الأسلوب، وأصل انتظام الكلام أن يقال : (جعل فيها زوجين اثنين وفيها قطع متجاورات) (١)
فعدل الى هذا توضيحا وإيجازا .

(٢) انه سبحانه وتعالى خلق الأرض قطعا مختلفة بالطبيعة والماهية وهى مع ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخية وبعضها تكون رخوة، وبعضها تكون صلبة، وبعضها تكون منبته، وبعضها تكون حجرية أو رملية وبعضها يكون طينا لزجا، ثم انها متجاورة وكل ذلك فى دلالة قدرة الله عز وجل العليم القدير .

أو أن المراد أن القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد، ثم تأتى الثمار من الأشجار التى تسقى بذلك الماء الواحد مختلفة الأشكال والألوان، أى هذا الاختلاف فى أجناس الثمرات والزرع، فى أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذا فى غاية الحلاوة وهذا فى غاية الحموضة، وهذا فى غاية المرارة وهذا عذب، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض، وكذلك الزهور مع أنها كلها تسقى من طبيعة واحدة وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكثير الذى لا ينحصر ولا ينفبسط فى ذلك آيات لمن كان واعيا متأملا مفكرا فى آيات الله تعالى فى النبات والثمرات والأزهار .

(وانما وصفت القطع بمتجاورات لأن اختلاف الألوان والمنابت مع التجاور أشد دلالة على القدرة العظيمة وهذا كقوله تعالى : " ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ") (٢)
(٣) ما ينشأ عن هذه الأرض من "جنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان" . والصنوان جمع صنو والصنو : أن يكون الأصل واحد وتنبت

(١) انظر التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٣/٨٦) .

(٢) سورة فاطر (٢٧) .

فيه النخلتان والثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو، وذكر ثعلب عــــن
ابن الأعرابي : الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :
" ان عم الرجل صنو أبيه " ^(١) أى مثله .
يقول الفخر الرازى : (اذا عرفت هذا فنقول : اذا فسرنا الصنو
بالتفسير الأول كان المعنى : أن النخيل منها ما ينبت من أصل واحد
شجرتان وأكثر ومنها ما يكون كذلك .

وإذا فسرناه بالتفسير الثانى كان المعنى : أن أشجار النخيل
قد تكون متماثلة متشابهة وقد لا تكون كذلك) ^(٢)
•
وخص النخل بذكر صفة "صنوان" لأن العبرة بها أقوى ووجه زيــــادة
"وغير صنوان" تجديد العبرة باختلاف الأحوال . ^(٣)

وهذا المشهد الرائع الأخاذ من شأنه أن يلفت النظر، ويستحث العقل
على التفكير والتأمل فى مدى قدرة الله تعالى ،وعظمة سلطانه، فــــالارض
واحدة متقاربة ومتجانسة ومختلفة الطبع والعنصر، ويوضع فيها البــــذر
المختلف فتنبت ألوانا وأشكالا متنوعة من النباتات والأشجار والشمــــار
مع أنها جميعها تسقى بماء واحد ،فهذا جميعه يدل على قدرة الله تعالى
وقوة تدبيره ودقة صنعه وابداع خلقه سبحانه وتعالى .
كل ذلك يلقى فى روع الانسان ويملاً قلبه ووجدانه وشعوره ايمانــــا
ويقيننا جازما بقدرة الله تعالى ،ولكن لا ينتفع بذلك الا العاقلــــون
الفاهمون .

ومن ثم فقد ختم الله عز وجل الآية بقوله : " ان فى ذلك لآيــــات
لقوم يعقلون" . فوصفت الآيات بأنها من اختصاص الذين يعقلون تعريضا
بأن من لم تقنعهم تلك الآيات منزلون منزلة من لا يعقل، وزيد فى الدلالة

-
- (١) صحيح مسلم (٦٧٦/٢ - ٦٧٧) الزكاة عن أبى هريرة .باب فى تقديم الزكاة .
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٩٠٨/١٩) .
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٨٧/١٣) .

على أن العقل سجية للذين انتفعوا بتلك الآيات ، باجراً^(١) وصف العقل على
كلمة "قوم" ايماء الى أن العقل من مقومات قوميتهم .
وبعد ماساق الله عز وجل كل تلك المشاهد والدلائل والبراهين
الواضحة الساطعة الدالة على قدرة الله تعالى وواسع علمه ، وحكمة تدبيره
وحرية اختياره في خلقه وملكه وبديع صنعه ، أتبع ذلك ببيان شهِه
المنكرين للبعث والاحياء بعد الموت . فقال تعالى : " وان تعجب فعجب
قولهم إذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم
وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "^(٢) .
وهكذا نرى أن الله تبارك وتعالى بعد أن عرض هذه الأدلة على
المخاطبين المنكرين للبعث وبعد أن اتضح الدليل واستقام لديهم ، بما
لا يدع مجالاً للشك في قدرة الله تعالى على اعادةهم وحيائهم بعد موتهم .
ساق قضية البعث معجبا رسوله صلى الله عليه وسلم من الجاحديين
لقدره الله تعالى على اعادةهم خلقا جديدا بعد أن تفتت أجسامهم
فصارت ترابا .
فقوله تعالى : " وان تعجب فعجب قولهم ... " معطوف على قوله :
" الله الذي رفع السماوات بغير عمد ... " والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكل من يصلح له الخطاب ، أي ان تعجب يا محمد من تكذيبهم
لك بعدما كنت عندهم من الصادقين ، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث ، وقس
الزجاج : أي هذا موضوع عجب أيضا أنهم أنكروا البعث وقد بين لهم من
خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة .^(٣)
يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : (فلما قضى حق الاستدلال على
الوحدانية نقل الكلام الى الرد على منكري البعث ، وهو غرض مستقـل

(١) تفسير التحرير والتنوير (١٣/٨٩) .

(٢) سورة الرعد (٥) .

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٦٧) .

مقصود من هذه السورة .

وقد أدمج ابتداءً خلال الاستدلال على الوجدانية بقوله : " لعلكم بلقاء ربكم توقنون " تمهيدا لما هنا، ثم نقل الكلام اليه باستقـلاله بمناسبة التدليل على عظيم القدرة، مستخرجا من الأدلة السابقة عليه أيضا كقوله : " أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد " (١) .
وقوله : " انه على رجه لقادر " (٢) .

فصيغ بصيغة التعجب من انكار منكرى البعث لأن الأدلة السالفة لم تبق عذرا لهم فى ذلك، فصارت فى انكارهم محل عجب المتعجب، فليس المقصود من الشرط فى مثل هذا تعليق حصول مضمون جواب الشرط على حصول فعل الشرط كما هو شأن الشروط لأن كون قولهم " أئذا كنا ترابا " عجيبا أمر ثابت سواء عجب منه المتعجب أم لم يعجب، ولكن المقصود أنه ان كان اتصاف بتعجب، فقولهم ذلك هو أسبق من كل عجب لكل متعجب .
ولذلك فالخطاب يجوز أن يكون موجها الى النـبى صلى الله عليه وسلم وهو المناسب لما وقع بعده من قوله : " ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة " (٣) وما بعده من الخطاب الذى لا يصلح لغير النـبى صلى الله عليه وسلم، ويجوز أن يكون الخطاب هنا لغير معين مثل " ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم " (٤) (٥) .

ويقول الفخر الرازى فى ابان تفسيره لهذه الآية :

(اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج اليه من معرفة المبدأ ذكر بعده مسألة المعاد فقال : " وان تعجب فعجب قولهم " .

-
- (١) سورة ق (١٥) .
(٢) سورة الطارق (٨) .
(٣) سورة الرعد (٦) .
(٤) سورة السجدة (١٢) .
(٥) تفسير التحرير والتنوير (٨٩/١٣) .

وفيه أقوال :

القول الأول : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ان تعجب من تكذيبهم
اياك بعد ما كانوا قد حكموا عليك أنك من الصادقين فهذا عجب .

والثانى : ان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا
بعدهم اعرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا عجب .

والثالث : تقدير الكلام ان تعجب يا محمد فقد عجت فى موضع العجب
لأنهم لما اعترفوا بأنه تعالى مدبر السموات والأرض وخالق الخلائق
أجمعين، وأنه هو الذى رفع السموات بغير عمد وهو الذى سخر الشمس والقمر
على وفق مصالح العباد، وهو الذى أظهر فى العالم أنواع العجائب
والغرائب، فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة كيف لا تكون وافية
بإعادة الانسان بعد موته، لأن القادر على الأقوى الأكمل يكون قادرا على
الأقل الأضعف، من باب أولى، فهذا تقرير موضع التعجب (١) .

وبعد أن قرر عز وجل موضع التعجب حكم عليهم بأمر ثلاثة :

الأول : أنهم كفار بقوله : " أولئك الذين كفروا بربهم " .

(وهذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر، وانما

لزم من انكار البعث الكفر بربهم من حيث ان انكار البعث لا يتضم
الابانكار القدرة والعلم والصدق) (٢) .

الثانى : أنهم أدلاء مهانون، فهم لذلك أحقأ بوضع الأغلال فى
أعناقهم " وأولئك الأغلال فى أعناقهم " (٣) وفى هذا وعيد بسوقهم
الحساب سوق المذلة والقهر . فالأغلال : جمع غل بضم الغين، وهو القييد
الذى يوضع فى العنق، وهو أشد التقييد، والمراد بالأغلال : اما كفرهم
وذلتهم وانقيادهم للأصنام كما فى قوله تعالى : " انا جعلنا فى

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٠٢/١٩) ط/أولى - دار الفكر .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (١٠٢/١٩) .

(٣) سورة الرعد (٥) .

أعناقهم أغلالاً^(١) .

أو المراد : أنه تعالى يجعل الأغلال فى أعناقهم يوم القيامة وذلك كما فى قوله تعالى : " اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الجحيم ثم فى النار يسجرون " ^(٢) .

الثالث : أنهم معذبون فى النار الخالدة المؤبدة ، وذلك بقوله : " وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " ^(٣) فالمراد بذلك تهديد هؤلاء المنكرين للبعث بالعذاب المخلد المؤبد ، فقوله : " هم فيها خالدون " بيان لجملة أصحاب النار . وفى توسط ضمير الفصل دلالة على تخصيص الخلود بمنكرى البعث . ^(٤)

ومن جملة ماتقدم يلحظ المتأمل الأمور الآتية :

- (١) أن فى المشاهد الكونية الرائعة فى السموات وفى الأرض آيات ناطقة بقدرة الله تعالى وعظيم سلطانه .
 - (٢) أن الآيات الأرضية أقرب الى الانسان وأوقع فى الشعور والحس والوجدان حيث أن الله عز وجل أوضحها أكثر من غيرها .
 - (٣) ان فى النبات والأشجار والنخيل والثمرات التى تخرج من الأرض أعظم دليل وأقوى برهان على عظمة قدرة الله تعالى وبديع صنعته وعظيم خلقه .
 - (٤) أن التركيز فى هذه الآيات من سورة الرعد كان على آيات النباتات والثمرات ولعل حكمة ذلك أن النبات والثمرات مما يقع فى حس الانسان من عدة جهات فهو يشاهدها ببصره ويطعمها بذوقه ويلمسها بيده ، وفوق ذلك فهو يتفاعل معها فلاحه وزراعة وغرسا وقطفها وحصادها ثم انها من المشاهد التى تلفت نظره وتشد انتباهه بجمال منظرها وروعة مشهدها الى غير ذلك .
- فسبحان الخالق العظيم والمدبر الحكيم ..

-
- (١) سورة يس (٨) .
 - (٢) سورة غافر (٧١ - ٧٢) .
 - (٣) سورة الرعد (٥) .
 - (٤) فتح القدير (٦٧/٣) .

ثانيا : ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى سورة الحج : " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير، وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ^(١) .

ان هذه الآيات الكريمة من سورة الحج ، يسوق الله فيها الأدلة الواضحة المبرهنة على قدرته سبحانه وتعالى على إعادة الأجسام بعد تفتتها وفنائها، وبعد أن وضحت الأدلة واستقامت أتبع ذلك بذكر قضية البعث وتأتى تلك الآيات الجليلة فى سياق الأمر من الله تعالى للناس بتقوى الله عز وجل والخشية والخوف من يوم البعث والجـزاء و اظهار ما فى هذا اليوم الرهيب من الشدة والهلع والفرع ، ثم تفضيـع جلال المشركين فى الوجدانية ، وبيان أنهم لا يستندون الى علم صحيح يوصلهم الى الحق ، وانما يتبعون الشيطان الذى يضلهم ويبعدهم عن سبيل الحق والخير، وبيان أنهم يشكون ويرتابون فى البعث وهو ثابت لا ريب فيه ثم يأتى قوله تعالى مبينا ارتيابهم، ويسوق الأدلة التى من شأنها أن تزيل هذا الشك وذاك الارتياب ، فيقول عز وجل : " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث " الآيات .

ووجه مناسبة الآية لما قبلها : أنه سبحانه لما حكى عنهم الجـدال بغير العلم فى اثبات الحشر والنشر وذمهم عليه ، فهو سبحانه أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين :

أحدهما : الاستدلال بخلقه الحيوان أولا وهو موافق لما أجملـه

(١) سورة الحج (٥ - ٧) .

فى قوله : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة " ^(١) .
 وقوله : " فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة " ^(٢) .
 فكأنه سبحانه وتعالى قال : " ان كنتم فى ريب مما وعدناكم من
 البعث فتذكروا فى خلقكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولا قادر
 على خلقكم ثانيا

الوجه الثانى : الاستدلال بحال خلقه النبات على ذلك وهو قوله
 سبحانه : " وترى الأرض هامدة " الآية .
 فالمتدبر فى الآية الأولى وهى التى تتضمن أطوار خلق الانسان ، يرى
 أن الله عز وجل قد استدل على امكان البعث بتنظيره بما هو أعظم منه
 وهو الخلق الأول كما قال تعالى : " أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى
 لبس من خلق جديد " ^(٣) .

وذكر الله عز وجل أطوار هذا الخلق الأول وهى سبعة :

(١) الخلق من تراب " فانا خلقناكم من تراب " والمراد بخلقناكم
 المخاطبين من تراب . اما خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام من تراب .
 والمراد : أن خلق كل انسان من المنى ودم الطمث ، وهما انما
 يتوالدان من الأغذية ، والأغذية اما حيوان أو نبات ، وغذاء الحيوان
 ينتهى قطعاً للتسلسل الى النبات ، والنبات انما يتولد من
 الأرض والماء .

(٢) النطفة : " ثم من نطفة " .

(٣) العلقة : " ثم من علقة " .

(٤) المضغة " ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة " .

(٥) الطفولة : " ثم نخرجكم طفلاً " .

(٦) بلوغ الأشد : " ثم لتبلغوا أشدكم " .

(١) سورة يس (٧٩) .

(٢) سورة الاسراء (٥١) .

(٣) سورة ق (١٥) .

وبعد هذا البيان لأطوار خلق الانسان ،والذى يستدل به على قدرة الخالق العظيم سبحانه وتعالى ،يأتى الاستدلال بحال خلق النبات على امكان البعث ،وعظيم قدرة الله عز وجل على احياء الأموات وبعثهم فيقول عز من قائل : " وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ^(١) " الآيات .

وهذه معطوفة على جملة : " فانا خلقناكم من تراب " والخطاب لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام .

(وهذا ارتقاء فى الاستدلال على الاحياء بعد الموت ،بقياس التمثيل لأنه استدلال بحالة مشاهدة فلذلك افتتح بفعل الرؤية ،بخلاف الاستدلال بخلق الانسان فان مبدأه غير مشاهد ،فقليل فى شأنه " فانا خلقناكم من تراب " الآية .

ومحل الاستدلال من قوله تعالى : " فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت " .

فانه مناسب قوله فى الاستدلال الأول : " فانا خلقناكم من تراب " . فهمود الأرض بمنزلة موت الانسان ،واهتزازها وانباتها بعد ذلك يماثل الاحياء بعد الموت ^(٢) .

فالهامدة هى اليابسة التى لاتنبت شيئا . قال ابن قتيبة : أى ميتة يابسة كالنار اذا إطفئت وقيل دارة والهمود الدروس .

وقيل : هى التى ذهب عنها الندى وقيل هالكة ^(٣) ومعانى هذه الأقوال متقاربة .

فالمراد أن الأرض فى حالة خلوها من الماء والنبات تكون جافة يابسة ،فهمودها يبسها وخلوها عن النبات والخضرة .

(١) سورة الحج (٥) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٢٠٣/١٧) .

(٣) فتح القدير (٤٣٧/٣) .

"فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت " أى اذا نزل عليها المطر تحركت بشدة والمراد تحركت بالنبات ،يقول الفخر الرازى : (والاهتزاز الحركة على سرور فلايكاد يقال : اهتز فلان كيت وكيت الا اذا كان الأمر من المحاسن والمنافع ،قوله : " اهتزت وربت " أى تحركت بالنباتات (١) وانتفخت) .

فالاhtزاز : التحرك الى أعلى ،فاهتزاز الأرض تمثيل لحال ارتفاع ترابها بالماء،وحال ارتفاع وجهها بما عليه من العشب بحال الذى يهتز ويتحرك الى أعلى ،ومعنى "ربت " ارتفعت وقيل : انتفخت ،وأصل الربو الزيادة،يقال : ربا الشيء يربو ربوا اذا زاد ومنه الربا والربوة .
والمراد به هنا : انتفاخ الأرض من تفتق النبات والشجر وأنواع النبات الحسن المنظر السار للناظر،وكل صنف حسن ولون مستحسن .

فالمتدبر للآية الكريمة يرى أن الله عز وجل يذكر هذا المشهد الأخاذ ،وهذا التصوير البديع ليملاً وجدان المخاطبين بعظيم قدرته سبحانه وواسع علمه ودقة تدبيره فى كونه ،ولينقلوا من مشاهد مظاهر قدرته وسلطانه عز وجل ،الى قدرته سبحانه على احياء الأموات بعد فنائهم فلايستبعد فى قدرته شىء سبحانه ما أعظم سلطانه .

وبعد أن لفت أنظار المنكرين للبعث الى ما يشاهدونه من مظاهر قدرة الخالق سبحانه من احياء الأرض بالماء والنبات ،بعد أن كانت يابسة جافة لاحياة فيها،فهو القادر على احياء الأموات بعد تفتتهم وفنائهم ،ومن ثم فانه سبحانه بعد أن قرر الدليل وأوضحه وضوحاً لا يصدع مجالاً للشك فى قبول النتيجة ،يورد القضية المقصودة بالاستدلال فيقول عز وجل : " ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير،وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور " (٢) .

(١) التفسير الكبير (١٠/٢٣) ط / أولى .

(٢) سورة الحج (٦ - ٧) .

يقول الامام الفخر الرازى ما خلاصته : (ثم انه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أموراً خمسة :

أحدها : قوله : " ذلك بأن الله هو الحق " والحق هو الموجود الثابت فكأنه سبحانه بين أن هذه الوجوه دالة على وجود الصانع ، وحاصلها راجع الى أن حدوث هذه الأعراض المتنافية ، وتواردها على الأجسام يدل على وجود الصانع .

وثانيها : قوله تعالى : " وأنه يحيى الموتى فهذا تنبيه على أنه لما لم يستبعد من الاله وجود هذه الأشياء فكيف يستبعد منه إعادة الأموات .

وثالثها : قوله : " وأنه على كل شيء قدير " يعنى أن الذى يصح منه ايجاد هذه الأشياء لابد وأن يكون واجب الاتصاف بالقدرة ، ومن كان كذلك كان قادراً على جميع الممكنات ، ومن كان كذلك فانه لابد وأن يكون قادراً على الاعادة .

ورابعها : قوله : " وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور " .

والمعنى : أنه لما أقام الدلائل على أن الاعادة فى نفسها ممكنة وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل الممكنات ، وجب القطع بكونه قادراً على الاعادة فى نفسها ، واذا ثبت الامكان ، والصادق أخير عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه .

وخامسها : قوله : " وأن الله يبعث من فى القبور " .

والفخر الرازى لم يذكر هذا الأمر الخامس لحاله ولعله أدمجه كما نرى فى الأمر الرابع كما سبق أن بين .

وبعد أن حرر الدليل على امكان وقوع البعث أتبع ذلك بقوله : (فان قيل : فإى منفعة لذكر مراتب خلقة الحيوانات وخلق النبات فى هذه الدلالة ؟

قلنا : انها تدل على أنه سبحانه قادر على كل الممكنات وعالـم
بكل المعلومات ،ومتى صح ذلك فقد صح كون الاعادة ممكنة ،فان الخصـم
لاينكر المعاد الا بناء على انكار أحد هذين الأصلين .

ولذلك فان الله تعالى حيث أقام الدلالة على البعث فى كتابه
ذكر معه كونه قادرا عالما كقوله : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة
وهو بكل خلق عليم " ^(١) فقوله " قل يحييها الذى أنشأها بيان للقدرة .
وقوله : " وهو بكل شئ عليم " بيان للعلم والله أعلم) ^(٢) .

ومن ثم نرى أن الله سبحانه وتعالى بحكمته وبيانه المعجز قد
أفحم المنكرين للبعث والمستبعدين للاحياء بعد الموت بما ساقه من
دلائل واضحة قوية ،يلمسونها فى أنفسهم وخلقهم ويشاهدونها فى الكون
المحيط بهم ،وبالأخص فى النبات الخارج بقدرة الله تعالى من
الأرض اليابسة الجافة ،فالربط بين آيات الله تعالى فى خلقه وبين حكمته
فى بعث خلقه للحساب والجزاء ،تتجلى له قدرة الخالق العظيم اللـه
سبحانه وتعالى ،المتفرد فى ملكه القوى القهار الخالق البارئ المصور
الذى لايعجزه شئ فى الأرض ولافى السماء .

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : (ووجه كون هذه الأمور
الخمسة المعدودة فى هذه الآية ملايسة لأحوال خلق الانسان ،وأحوال احياء
الأرض ،ان تلك الأحوال دالة على هذه الأمور الخمسة :

اما بدلالة المسبب على السبب بالنسبة الى وجود الله والى ثبوت
قدرته على كل شئ .

واما بدلالة التمثيل على الممثل والواقع على امكان نظيره الذى لم
يقع بالنسبة الى احياء الله الموتى ،ومجئ الساعة والبعث واذا تبين
امكان ذلك حق التصديق بوقوعه ،لأنهم لم يكن بينهم وبين التصديق به

(١) سورة يس (٧٩) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (١١/٢٣) ط/دار الفكر - بيروت

حائل الاظنهم استحالتة .

فالذى قدر على خلق الانسان عن عدم سابق ، قادر على اعادته بعد

اضمحلاله الطارىء على وجوده الآخر بطريقه .

والذى خلق الأحياء بعد أن لم تكن فيها حياة يمكنه فعل الحيااة

فيها أو فى بقية آثارها أو خلق أجسام مماثلة لها، وايداع أرواحها

فيها بالأولى .

وإذا كان كذلك علم أن ساعة فناء هذا العالم واقعة قياسا على

انعدام المخلوقات بعد تكوينها .

وعلم أن الله يعيدها قياسا على ايجاد النسل وانعدام أصله الحاصل

للمشركين فى وقوع الساعة منزل منزلة العدم لانتفاء استناده الى

(١)

دليل (.

وبذلك يتجلى الحق وتنتفى الشبه الضالة ويهتدى من يلقي السمـع

وهو شهيد، فقد لفت الله عز وجل الأنظار وآثار آيات الاعتبار بما يشاهد

ويلمس فى حياة الناس، ولم يأتهم بدليل غائب عن حواسهم أو بعيد عن

تصور عقولهم، وانما ساق لهم من الأدلة ما به مقرون ومعترفون، فعليهم

بعد ذلك أن يقرؤا ويعترفوا بوجود الخالق سبحانه، وبما أخبر به

سبحانه من البعث بعد الموت، والقيام يوم القيامة للمحاسبة والجزاء

لتوفى كل نفس بما كسبت ان خيرا فخير، وان شرا فشر، وصدق الله عز وجل

فهو القائل : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . ألا انهم فى مرية من لقاء

(٢)

ربهم ألا انه بكل شيء محيط " .

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٠٥/١٧) ط / أولى تونس .

(٢) سورة فصلت (٥٤،٥٣) .

المبحث الثالث

الاخبار بوقوع البعث مع طى الدليل لوضوحه

ذكرت فيما سلف أن القرآن الكريم يسلك فى معالجة شبه المنكرين للبعث ثلاثة مسالك :

- (١) يورد الشبهة أولاً ثم يبين بطلانها بالدليل .
- (٢) يورد الدليل على البعث والاعادة وبعد تقرير الدليل ووضوحه يورد القضية .

(٣) والمسلك الثالث : هو أن يذكر أن المنكرين للبعث من غير أن يذكر شبهتهم بل يذكر دعواهم مجردة عن الدليل ثم يقر القرآن الكريم على هذه الدعوى بالرفض والابطال ويبين أن البعث واقع لامحالة . وهذا هو موضوع المبحث الثالث من هذا الفصل .

بعد التتبع والاستقراء لآيات النبات فى القرآن الكريم ، لم أقف على آية فيها ذكر للنبات تتضمن هذا المسلك فى اثبات البعث ، ومن ثم فسوف أقتصر على ذكر أمثلة لهذا المسلك الذى لم يذكر فيها النباتات ولا مترادفاته .

(١) قوله تعالى : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون " (١) .

فهذه الآيات الكريمة تبين أن المنكرين للبعث من المشركين يقسمون باستحالته من غير أن يورد شبهتهم التى بنوا عليها نفيهم لوقوعه .

(١) سورة النحل (٣٨ - ٤٠) .

ولما كان قولهم هذا يتضمن الطعن فى الحكمة الالهية، ونسبة البعث الى الله تعالى فى خلقه العباد وتركهم سدى .

اذ يقتضى ذلك التسوية بين المحسن والمسئء، وبين الخير والشـرر وهما لا يستويان عند الله تعالى، وهو القائل :

(١) " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون " .

" أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " (٢)

لذلك فقد أبطل الله عز وجل شبهتهم، وأكد لهم أن البعث أمر محتـم لا بد من وقوعه، فهو وعد عليه حقا لا بد من حصوله، ذلك لأن الله تعالى قد وعد به ووعدده سبحانه حق ثابت لا بد من وقوعه .

(٣) قال تعالى : " بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " .

ثم بين الله تعالى حكمته فى المعاد فقال تعالى : " ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين " (٤)

ثم أخبر تعالى عن قدرته على البعث وغيره وأنه لا يخرج شىء عن مشيئته وإرادته فقال : " انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول لسهـ كن فيكون " (٥)

(٢) ومن ذلك نفيهم مجيء الساعة، وزعمهم عدم وقوع البعث وإبطال الله تعالى ذلك .

يقول تعالى : " وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى

(١) سورة السجدة (١٨) .

(٢) سورة الجاثية (٢١) .

(٣) سورة النحل (٣٨) .

(٤) سورة النحل (٣٩) .

(٥) سورة النحل (٤٠) .

الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا فى آياتنا —————
معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم " (١) .

(٣) الاخبار بقيامهم من قبورهم كما فى قوله تعالى : " ونفخ فى الصور فاذا هم من الأحداث الى ربهم ينسلون ، قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، ان كانت الأميحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ، فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعملون " (٢) .

والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة فى كثير من سور القرآن الكريم —————
وانما اكتفيت بذكر هذه الآيات فى هذا المبحث حيث انها ليس للنبيات فيها ذكر .

والله الموفق والمعين ..

(١) سورة سبأ (٣ - ٥) .

(٢) سورة يس (٥١ - ٥٤) .

الباير الرابع

” الحقوق المتعلقة بالنبات ”

ويتكون من تمهيد وفضلين :

- التمهيد : معنى الحق ومراداه .
- لفصل الأول : العناية بالنبات .
- لفصل الثاني : المحافظة على حقوقه المتعلقة بالنبات .

تمهيد : فى معنى الحق ومراداته

بعد الحديث فى الأبواب السابقة عن النبات من حيث ألفاظه و مترادفاته وفوائده ، وأسلوبه ، ومافيه من دلالات على قدرة الله فى الخلق والابــــداع ووجود الله عز وجل ووحدانيته ، ودلالته على الموت والبعث .

وبعد أن عرفنا كل هذا وما أعطاه النبات للانسان ، بقى أن نعرف ما يعطيه الانسان للنبات من حقوق ، وقبل أن أخوض الكلام فى ذلك لابســــد أن أعرف ماهو الحق ؟ وماذا يقصد منه ؟ حتى أستطيع أن أحدد الغــــرض والقصد من الحق المتعلق بالنبات على الانسان ، ولكن بعد الاستقراء والاطلاع فى كتب اللغة والحديث والتفسير ، وجد أن للحق معان كثيرة ومــــرادات مختلفة ، واشتقاقات متعددة ، لايمكن حده بحد معين ولكن يحدد معناه على حسب مراده فى الآية والحديث وماذا يقصد منه ، وهذا ما اتفق عليه علماء اللغة والحديث والتفسير ، وسوف أذكر بعض من معانيه ومراداته حسب ما يتيسر لى .

وقد ذهب علماء الحديث الى تعريفه بقولهم : الحق كل موجود متحقق ، أو سيوجد لامحالة ، والله سبحانه وتعالى ، هو الحق والموجود الأزلى الباقي الأبدى ، والموت حق ، والساعة حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ويقال للكلام الصدق حق ، ومعناه أن الشئ المخبر عنه بذلك الخبر واقع ، متحقق لا تردد فيه وكذا الحق المستحق على العبد من غير أن يكون فيه تــــردد (٢) وتحير .

وقال الراغب الأصفهانى : أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١/٦٨٠ - ٦٨١) .

(٢) انظر :

- ١ - فتح البارى لابن حجر (١١/٣٣٩) كتاب الرقاق .
- ٢ - عمدة القارى - العينى (٢٣/٨٧) الرقاق .
- ٣ - صحيح مسلم بشرح النووى (١/٢٣١) .
- ٤ - عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذى لابن العربى (١٠/٦١٠) الايمان .
- ٥ - تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى - المباركفورى (٧/٤٠٢) الايمان .

رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامته ، ويستعمل استعمال الواجب
(١)

واللازم والجائز .

ومنه قوله تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٢)

أى واجبا علينا، وهو وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بنصرهم
على أعدائهم فى الدنيا والآخرة ، وفيه تعظيم للمؤمنين ورفع شأنهم وتأهيل
لكرامتهم، واطهار لفضل سابق ومزية، حيث جعلهم مستحقين على الله أن
ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم ، والحق على الله ، ليس واجبا
عقليا وانما حقا شرعيا أى حق علم من جهة الشرع لا بايجاب العقل فهو
كالواجب فى تحقق وقوعه لأنه لا يجب أصلا على الله شيئا لاعقلا ولا شرعا
بل يثيب المطيع بفضله ورحمته وكرمه . (٤)

مرادات الحق واستعمالاته :

(١) أنه النصيب والحظ، وقد بين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم عن
عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل
قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلاتفعل ، صم وأفطر، وقم ونم ، فإن
لجسدك عليك حقا، وان لعينك عليك حقا، وان لزوجك عليك حقا " (٥)
وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم معنى الحق فى هذه الرواية
برواية أخرى بأنه النصيب والحظ ، فى صحيح مسلم، عندما أخبر أيضا عن عبدالله
بن عمرو بن العاص أنه يصوم ولا يفطر، ويقوم ولا ينام ، فقال له عليه الصلاة والسلام

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني (ص ١٢٥ - ١٢٦)

(٢) سورة الروم (٤٧)

(٣) انظر : ١ - تنوير المقياس تفسيرا ابن عباس (٢٠٧/٤)

٢ - حاشية الصاوى (٢٥١/٣)

٣ - الكشاف - الزمخشري (٢٢٥/٣)

٤ - زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى (ص ٣٠٨)

(٤) انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار (٥١٥/١)

(٥) صحيح البخارى (٤٠/٧) كتاب النكاح، باب ان لزوجك عليك حق ، صحيح مسلم

(٨١٣/٢) الصيام بلفظ مختلف . انظر عمدة القارى العيني (٩١/١١) هامش

صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (٨١٨/٢)

(ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر ، وتملى الليل ... ؟ فلا تفعل ، فان لعينك حظا ، ولنفسك حظا ، ولأهلك حظا ، فصم وأفطر ، وصل ونم ، وصم من كل عشرة أيام يوما وليلتك أجر تسعة) (١) .

(٢) أنه بمعنى الصدق ، ومنه قوله تعالى : (رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) (٢)

وقوله تعالى : (والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل) (٣) أى الصدق .

(٣) أنه الوعد . ومنه قوله تعالى : (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا

علينا ننجى المؤمنين) (٤) أى وعدا .

(٤) أنه العدل ، ومنه قوله تعالى : (ياد اود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم

بين الناس بالحق) (٥) بالعدل .

(٥) أنه الطريق المستقيم والى صواب ، ومنه قوله تعالى : (انا سمعنا كتابا

أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ويهتدى الى الحق) (٦) .

(٦) أنه المطابقة والموافقة ، ومنه قوله تعالى : (ان قد وجدنا ما وعدنا

ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم) (٧) .

(٧) أنه الأفضل والأولى ، ومنه قوله تعالى : (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان

كنتم مؤمنين) (٨) .

(٨) أنه الحكم التكليفي والنهى والأمر بالوجوب أو الندب أو الاباحة (٩) ومن الحديث عن

أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " حق المسلم

على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريسق ،

(١) صحيح مسلم (٨١٥/٢) الصيام (مختصرة) . وانظر عمدة القارى (٩١/١١) هامش صحيح

مسلم تحقيق محمد فواد عبدالباقي (٨١٨/٢) .

(٢) سورة هود (٤٥) . انظر معجم الفاظ القرآن ، مجمع اللغة العربية (٢٩٤/١) .

(٣) سورة الأحزاب (٤) . انظر (معجم الفاظ القرآن ، مجمع اللغة العربية (٢٩٧/١) .

(٤) سورة يونس (١٠٣) .

(٥) سورة (ص) (٢٦) . انظر معجم الفاظ القرآن ، مجمع اللغة العربية (ص ٢٦)

(١ - ٢٩٥ - ٢٩٧) .

(٦) سورة الأحقاف (٣٠) .

(٧) سورة الأعراف (٤٤) .

(٨) سورة التوبة (١٣) .

(٩) انظر فى ذلك :

(١) القاموس المحيط / الفيروزآبادى (٢٢٨/٣ - ٢٢٩) .

(٢) تاج العروس / الزبيدى (٣١٥/٦ - ٣١٩) .

(٣) تفسير الرازى (٦٦/١) .

(٤) تفسير المنار / محمد رشيد رضا (٣٦٤/١) .

(٥) فتح القدير / الشوكانى (٤٢٩/٤) .

(٦) معانى القرآن / الفراء (١٦٨/٢) .

(٧) ارشاد السارى / القسطلانى (٤٨٨/٨) فتح البارى / لابن حجر (٣٣٩/١١) .

(٨) عمدة القارى / العينى (٧٩/٢٢) .

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى (٢٣١/١) .

(١٠) الاشباه والنظائر / الثعالبى (١٢٥ - ١٢٦) .

واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس" (١) وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم المقصود بالحق هنا فى الحديث فى رواية أخرى بالأمر فى صحيح البخارى :

عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع ، نهانا عن خاتم الذهب ، ولبس الحرير والديباج ، والاستبرق ، وعن القس والميثره ، وأمرنا أن نتبع الجنائز ونعود المريض ، ونفشى السلام " (٢) .

والذى يعيننا من كلمة الحق من هذه المعانى هو ماكان بمعنى الحكم التكليفى وهو الالتزام والوجوب والجواز، سواء كان من الناحية العقلية أو الشرعية لأنه هو بيت القصيد فى البحث، ولكن الفقهاء على هـذا المعنى التكليفى فرقوا بينه وبين الواجب ولعل صاحب كتاب التشريع الجنائى ، أوضح ذلك وبينه بقوله : وللتفرقة بين الحق والواجب أهمية من وجهين :

- (١) أولاهما : وهو متفق عليه بين الفقهاء أن الحق لايمكن العقاب على تركه، وأن الواجب يمكن عقاب تاركه .
- (٢) ثانيهما : وهو مختلف فيه بين الفقهاء، أن الحق يتقيد بشرط السلامة وأن الواجب لايتقيد بشرط السلامة، أى أن من باشر حقا مسئول دائما

(١) انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين د. مصطفى مستور على الشربجى ، محمد لطفى (٢٥٣/١) متفق عليه ، صحيح ابن حبان (٤٠٤/١) ، اسناده صحيح ، مسند أحمد (٥٤٠/٢) ، (٣٣٢/٢) ، وأخرج الرواية البخارى فى الصحيح (٩٠/٢) الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز ، صحيح مسلم (١٧٠٤/٤) الجنائز ، باب حق المسلم بلفظ مختلف .

(٢) صحيح البخارى (١٥٠/٧) الطب ، باب وجوب عيادة المريض ، صحيح مسلم (١٦٣٥/٣) اللباس ، باب تحريم استعمال اناء الذهب .
الديباج : ثياب متخذة من الابريسم وهو الحرير من القز .
الاستبرق : غليظ الديباج .
القس : ثياب مقلعة بالحرير تعمل بالقس وهو خليط قطن وكتان مع حرير القز .

الميثره : سروج من الديباج أو الحرير توضع على سروج الخيصل ، والميثره معناها اللين الطرى . انظر فى ذلك هامش صحيح مسلم (١٦٣٥/٣ - ١٦٣٦) .

عن سلامة المحل الذى باشر عليه الحق ، لأنه مخير بين أن يأتى
 الفعل أو يتركه ، أما من كان عليه واجب فلايسأل عن سلامة محــــل
 الواجب لأنه ملزم بتأدية الواجب وليس له أن يتخلى عنه ، وهذا هو
 رأى أبى حنيفة والشافعى ، أما مالك وأحمد فعندهما أن الحــــق
 كالواجب غير معتد بشرط السلامة ، لأن استعمال الحق فى حدوده المقررة
 عمل مباح ولامسئولية على المباح ، ولمعرفة ما اذا كان الفعل حقا
 أو واجبا بالنسبة لشخص معين ، ننظر هل يتحتم اتيان الفعل أم لا ؟
 وهل يعاقب على تركه أو يآثم أم لا ؟

فان كان يتحتم عليه اتيان الفعل فهو واجب ، وكذلك ان كان يآثم
 بتركه أو يعاقب على تركه ، أما ان كان له أن يأتى الفعل أو يتركه
 دون أن يآثم أو يعاقب فالفعل حق بالنسبة له .^(١)

يتضح من أقوال الفقهاء أن الحق هو ماكان مندوبا أو مباحا ولايأخذ
 حكم الوجوب على خلاف علماء الحديث ، فانهم استعملوا الحق فى الواجب
 والمندوب والجائز ، وهو الأصح لأنه جامع للحكم التكليفى إذ أن الحــــق
 يكون أساسا على قسمين :

(١) حق للانسان .

(٢) حق على الانسان .

فالحق الذى للانسان هو ماكانت له من حقوق وواجبات على غيــــره
 فهو لايكلف بها أمرا ونهيا ، وذلك بحيث لا يآثم اذا تركها ، ولايؤجر
 اذا أخذها .

أما الحق الذى على الانسان ، فهو ماكانت عليه من حقوق وواجبات
 فهذه الحقوق هى التى يكلف بها أمرا ونهيا فمنها ما هو واجب لله مثل
 العبادات وغيرها ، عليه أداؤها بحيث يآثم لو تركها ، ومنها ما هو لغير الله
 مثل بر الوالدين وصلة الرحم ، ومنها ما هو لنفسه وذلك بحفظها من
 الهلاك حساً ومعنا ، أما ماكان غير واجب فهو يدخل تحت الندب . وماكان

(١) التشريع الجنائى فى الاسلام - عبدالقادر عودة (١/٤٧٤ - ٤٧٣) .

للإنسان من حقوق مثل الملكيات ،فما هو الفعل المتحتم عليه نحو هذه الحقوق عليه حفظها ،فمثلا لو كانت لانسان أرضا هو مطالب بحفظها وهذه الأرض حقا له ،ولكن ليس مطالب شرعيا بكيفية الحفظ وطريقة نماءها وإنما له حق فى أن يعمرها أو مسجدا أو مصنعا أو يزرعها ،فهو لا يعاقب لو ترك زراعتها مثلا أو عمارتها .

والنبات طالما يدخل فى أسباب معيشة الإنسان فيعتبر من الحقوق المتعلقة بذمة الإنسان عليه رعايته والمحافظة عليه ،والنباتات منها ما يدخل تحت الأمر وذلك النباتات التى تدخل فى غذاء الإنسان دخولا مباشرا وعلاجه ،ومنها ما يعتبر مندوبا مثل نباتات الزينة وغيرها ،أما الفعل المتحتم نحو النبات ومن يقوم به : هو من خلال ماسبق يعتبر حكمه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الآخرين ،ولكن لابد أن يهتم به المسلمون فى كل زمان ومكان لحاجة الإنسان اليه حاجة ضرورية فالزراعة يقوم بها بعض الأفراد ،ولكن المحافظة على الزرع حق على الكل وحق على الزارع فى اتباع الطرق السليمة للزراعة ،وصيانه ورعايته وحصاده حق متحتم عليه ،حفظا للزرع ،وحفظا لماله ،وحفظا لغذاء البشرية . أما إذا لم يقم به أحد فيأثم الجميع لأن فى عدمه هلاك للبشرية والحيوانات . فبالنبات قوام حياة البشرية والحيوانات . ثم بعد ذلك هناك حقوق تتعلق بالنبات تعتبر من الواجبات على أصحاب الزرع وهى الزكاة والصدقات وشكر الله سبحانه وتعالى وبعد هذا كله اتضح أن المراد بالحقوق المتعلقة بالنبات على الإنسان أمر تكليفي سواء واجبا أو مندوبا أو مباحا ،وهذا ماسوف أتناوله بالايجاز ثم التفصيل فى الباب الرابع .

”العناية بالنبات“

ويتكون من تمهيد ومباحث :-

- ١- التمهيد : تاريخ الزراعة .
- ٢- الجزء الأول : العناية بالنبات زراعة .
- ٢- الجزء الثاني : العناية بالنبات مسانة .
- ٤- الجزء الثالث : العناية بالنبات مصداقاً .

تمهيد : تاريخ الزراعة

من الحقوق الواجبة على الانسان نحو النبات ، هو العناية به عناية تامة شاملة ، العناية به زراعة ، وصيانة ، وحصادا ، فهذا ما كان اهتمام الانسان به فى الماضى .

فلقد كان الانسان منذ القدم يعتمد فى غذائه ودوائه على النباتات الطبيعية وغير ذلك ، ومنذ ظهور الانسان على وجه الأرض وهو يعرف شيئا عن النباتات ، وصار النبات يتطور ويكثر مع تطور الانسان ونموه مع الحضارة الانسانية ، وقد كان النبات معروفا قبل الانسان على وجه هذه البسيطة كما تشير اليه الدراسات عن ذلك ، وعرف النبات منذ خلق الله عز وجل الانسان وهو أبو البشر آدم عليه السلام ، ثم أخذ الانسان بعد ذلك يهتم به منذ الأزل لاعتماده عليه غذاء ، ثم بعد ذلك اهتدى الانسان بما ألهمه الله به وبما جعل من فطرته فى تلبية حاجاته الجسدية للغذاء والكساء والمأوى الى الزراعة ، واكتشف كثير من النباتات التى يستفيد منها وخزن البذور لأوقات المواسم ، وزرع النباتات التى يحتاج اليها ، ثم بعد أن تكاثرت النباتات وتعرف الى زراعات عديدة نافعة تركز فى بعض المناطق ، وابتدأ الانسان يفلح ، ويزرع ، ويخزن المحاصيل لأيام الشتاء وخصوصا فى المناطق الباردة ، ولقد اهتم الأقدمون بالزراعة اهتماما بالغا ، وصل اهتمامهم بها لدرجة القداسة ، فأخذوا يقدسونها ويقدسون الأشجار ، وينسبونها الى الآلهة ، لاعتناءهم بها ، ومن ذلك ما كان من الوثنيين والرومانيين واليونانيين والآشوريين وغيرهم ، وكانت الزراعة فى مصر فى عهد قدماء المصريين مزدهرة ويظهر ذلك جليا من رسوم أشجار الزيتون ، والتين ، والنخيل ، والخوخ على هياكلهم القديمة ، ولقد تواتر عن مؤرخى العلوم فى العالم ، أن أرض مصر اشتهرت منذ الأزل بزراعة الحنطة ، والبقول ، والبرسيم ، وكثير من الفواكه ، والخضروات ، والبقول المعروفة فى عصرنا الحاضر ، فأرض مصر دائمة الخضرة ، غنية بمحصولاتها

(١)

الزراعية منذ عصر الفراعنة .

ويشهد لذلك القرآن الكريم فى اهتمام الانسان القديم بالزراعة فى مصر ، كما قال تعالى حكاية عن قوم موسى : (واذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصر فان لكم ما سألتكم) (٢) .

وكذلك اليمن فى شهرتها بالزراعة وهو ما حكاه القرآن الكريم عن قصة أهل سبأ وجنتهم ، وما ذكره القرآن من قصة أصحاب الجنان فى سورة الكهف وفى سورة القلم التى سوف أتناولها فى موضعها بالبحث والتفصيل فى الفصل الثانى ، هذا كله يشير الى اهتمام الانسان القديم بالزراعة وبراعته فيها ، وتشير الدراسات عن الزراعة وتطورها أن أصل تطور الزراعة وأول من فلاح الأرض وزرعها "قباين" ويقول بعض العلماء بأن الزراعة ظهرت فى دور النحاس ، ويقال : بأن المصريين القدماء هم أول من اخترعوا آلات الزراعة التى منها المحراث ، والمعول ، والمعزاق .

ثم بعد ذلك تطورت الزراعة وآلات الزراعة فى عهد الكلدانيين والآشوريين والبابليين ، واستعملوا لحراثة الأرض المحراث المربوط ببقرتين والذى مازال الى الوقت الحاضر يستعمل فى بعض قرى الدول العربية . (٣)

ويرجع الفضل فى تطور الزراعة أكثر ورفقيها فى عصر البابليين جاء فى كتاب اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات :

(١) اسهام العرب والمسلمين فى علم النبات ، د. على عبدالله الدفاع

(ص ١١) ط ١ ، ١٤٠٥ هـ مؤسسة الرسالة .

• وانظر تاريخ الزراعة القديمة - عادل أبو النصر (ص ٥ - ١٢) .

• الجغرافيا الزراعية - د. نصر الدين بدوى (ص ١١ - ١٣) .

(٢) سورة البقرة (٦١) .

(٣) انظر تاريخ الزراعة القديمة - عادل أبو النصر (ص ٩ - ٢٢) .

ومما لا يقبل الشك أن أراضى العراق والشام وفارس أراضى خصبة فكان البابلليون يستغلونها، وذلك بزراعتهم المحاصيل الزراعية المشهورة مثل الحنطة، والشعير، والبرسيم، والتين، والزيتون، والعنب، والنخيل والخوخ، والبصل وغيرها، واشتهر البابلليون بمسحهم الأرض وتعديلهما وتخطيط المزارع والمدن بطرق هندسية اندهش منها علماء الآثار فى العصر الحديث، فهم الذين حفروا الآبار، والقنوات، والجداول، وبنوا السدود لجمع ماء المطر فسقوا الأرض وطوروا زراعة، فلمهم السبق فى هذا المجال .^(١)

أما الجزيرة العربية قد كانت طبيعتها بعد أن كستها الرمال وأصبحت صحراء قاحلة تختلف باختلاف بعدها وقربها من البحر، وانخفاضها وارتفاعها عنه، فجالها ليست كسهولها وأواسطها تختلف عن أطرافها فليست الجزيرة على نسق واحد بخصبها واعتدالها، وفيها واحات، فيها نخيل وأعشاب وبقول وحبوب، وفى جنوبها "اليمن" والجزيرة بلاد عالية ومنخفضة فيها المياه وان قل الجارى منها، تكثر أمطارها فى مكان وتقل فى غيره، فيقل الخصب فى الحجاز قليلا، ويكثر فى الطائف، واليمن أعمر الأقاليم العربية، ولذلك دعيت "بالعربية السعيدة" فقامت فيها مدينة قديمة، وقامت فيها دول عظيمة لخصبها ومراعيها، ولما فيها من الحاصلات مما لا يوجد فى غيرها كالطيب، والقصب، واللبن، والعقيق، كما أن مزروعاتها كانت من الضخامة والعظمة بقدر عظيم، والجزيرة العربية ليست عبارة عن صحراء فحسب، وانما هى صحراء وأرض خصبة تصلح لانشاء المدن ومختلف أنواع العمران، وهذه الأرض الخصبة قامت فيها منذ آلاف الأعوام وقبل المسيح زراعة حسنة وحضارة رائعة، وتجارة بارعة ومدن عظيمة، وقرى جميلة، نشأت حولها الأشجار والأقنية والينابيع المتفجرة، فهناك اليمن التى هى أخصب أراضى الصحراء، وهناك حضرموت

(١) اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات - د. على الدفاع

المشهوره ببخورها ، وفى شرق الجزيرة وقرب الخليج ، كانت تقوم أرض زراعية رائعة تمتد الى مسافات بعيدة ، وتدعى اليوم (الاحساء) أما الأرض الواقعة فى غرب الجزيرة فكانت جبلية وعرة كثيرة التلال ، ولكنها صالحة لرعى الغنم والجمال ، وأما وسط بلاد العرب كنجد واليمامة فقد كانا على الاجمال ينعمان بزراعة متوسطة كغيرها من البلاد المعاصرة ، وقد حملت الحالة الزراعية الرائعة التى كانت تنعم بها اليمن وبعض مناطق الحجاز التى تؤكد المصادرات العديدة والأخبار العربية المنقولة من جيل الى جيل والدراسات العلمية ، أن الجزيرة العربية منذ عشرة آلاف سنة أو أكثر لم تكن صحراء قاحلة ، ورمال محرقة ، بل كانت أنهارا وغابات وبساتين ، وكانت تعج بالسكان ، وتنعم بمدنية وتجارة قوية وزراعة راقية ، ووجد فيها أشجار باسقة ، وغابات وبساتين وارفة قد طمرتها الرمال ودفنتها بين طياتها منذ آلاف السنين ، على القول بحدوث تبديل خطير فى الاقليم وقع فى الجزيرة العربية منذ عهد بعيد من الزمن جعل من الخصب جدبا ، ومن الحياة الجارية صحراء قاحلة ، وبعد الفتوحات العربية الواسعة ابتداء العرب يعتنون بالزراعة ، واهتموا بأمرها اهتماما عظيما وابتدأت الحياة تدب فيها الزراعة والفلاحة (١) .

وعندما فتحت الدول الاسلامية العربية مصر ، والشام ، والعراق وفارس ، وشمال افريقية ، والاندلس كانت الحالة الاقتصادية متدهورة جدا وذلك بسبب الحروب التى دارت بين الروم والفرس - مما نتج عنه أن الدول الاسلامية بدأت بالاصلاح الزراعى الذى كان يعتبر من أهم المحاصيل فى ذلك الوقت ، ومن ذلك :

- (١) اصلاح وسائل الرى وتنظيمها ، فبنوا السدود ، وشقوا القنوات والأنهار وأقاموا عليها الجسور والقناطر .
- (٢) زرعوا كل نوع من النباتات فى التربة الصالحة له ، بعد أن درسوا

(١) مقتبس بتصريف من كتاب تاريخ الزراعة القديمة - عادل أبو النصر

ولاحية كل تربة لأنواع النباتات ،وبذلك أمكن استغلال الأراضي

الزراعية أحسن استغلال .

(٣) اعتنوا بتسميد الأرض عناية كبيرة بعد أن عرفوا السماد الصالح

لكل نوع .

(٤) عرفوا التلقيح .

(٥) جلبوا الى بلادهم أنواعا كثيرة من الأشجار،وبرعوا فى تنسيق

الحدائق وعنوا عناية عظيمة بالأزهار^(١) .

ويشهد لذلك علماء الغرب بما قالوه عن رقى العرب فى الزراعة .

قال الدكتور غستاف لويون فى كتابه حضارة العرب :

" لقد برع العرب فى الزراعة براعتهم فى العلوم والصناعات وقصد

أدخل العرب فى حقول الأندلس الخصبية زراعة قصب السكر،والتبوت

والأرز،والقطن،والموز . وهم أول من أسسوا واشتغلوا فى الحدائق

النباتية المختلفة، وهم أول من أدخلوا النباتات الطبية المختلفة

والتي لاوجود لها فى الأندلس " .

وقول الأمير شكيب : " لقد كانت المقاطعات والضواحي التى فى

قلب أسبانيا تعد من فيافى بنى أسد،لولا مساق اليها العرب من مياه

وسقوا من جداول،واتخذوا من وسائل،حتى اهتزت وربت وأنبتت من كل

زوج بهيج،وكانوا اذا عدموا الينابيع المتفجرة من أجل الرى يباعدرون

الى انشاء البرك الهائلة يجمعون اليها المياه السائلة فى الشتاء

وذلك على نمط ماكانوا يعملون فى اليمن .

وأما بعد رحيل العرب فقد تهدمت البرك وطمست تلك القنى،ورجعت

(٢)

هذه الأرضون الى قسوتها الأولى .

(١) اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات،د. على الدفـاع

(ص ٢٤-٢٥)،جغرافية البيئات،محمود شاکر (ص ١٦٧) ظ ١٣٩٨ هـ،المكتب

الاسلامى .

(٢) انظر تاريخ الزراعة القديمة - د. عادل أبو النصر (ص ٢١٠ - ٢٧٨) .

ولقد استمد علماء العرب والمسلمين علمهم فى مجال النباتات والزراعة حتى أصبح لهم هذا الباع الطويل والساعد القوى فى الزراعة والتصنيف فى العلوم النباتية والزراعية ، فهم بدون شك نقلوا معلوماتهم الأولية من إنتاج اليونان ، والهنود ، والفرس ، ولكنهم طوروها هذه المعلومات البدائية ، وعملوا منها علما مبنيا على أسس علمية متينة ، فأنشأوا الغابات والحدائق والبساتين والرى والصرف ، ونقلوا كثيرا من الأشجار والنباتات وزرعوها فى بلاد العرب ، وأدخلوا كثيرا من النباتات فى تحضير الأدوية وقد نما علم النبات على يد علماء المسلمين والعرب فى خدمة الطب والصيدلة والفلاحة ، وقد اصطنعوا فى دراساتهم للنباتات الملاحظة والمعاينة ... وفى ضوء هذا المنهج التجريبي وفق علماء العرب الى معرفة كثير من المواد الطبيعية التى يجهلها أسلافهم ، ولقد بقيت أوروبا تعتمد على مؤلفات علماء العرب والمسلمين فى حقل النبات مدة طويلة من الزمن ، ولا يزال العالم المتحضر يستخدم نظريات علمائنا الأفاضل حتى الساعة ، ويعتمد علماء الشرق والغرب على مصنفات عمالقة علماء العرب والمسلمين فى حقل النباتات والزراعة فترجموها الى لغاتهم المختلفة ، لما لها من مكانة بين المراجع التى ورثتها أوروبا ابان عصر نهضتها .

ويقول عبدالرزاق نوفل فى كتابه " المسلمون والعلم الحديث " :

ومن الأقوال المأثورة التى قالها المؤرخون عن المسلمين ، أنهم يهتمون عند فتح البلاد بشيئين فى وقت واحد هما : (تنظيم الحقل وبناء المسجد) . لذلك فان كل بلد فتحها المسلمون كان يهتم فيها الولاة بالزراعة والاقتصاد ، وليس عجا أن نرى تقدم هذه البلاد وانقلابها من مستنقعات وفقر الى حدائق وشرائع ، وقد اهتم علماء المسلمين بالنبات والزراعة ، فوضعوا فى هذا العلم بحوثا وتوجيهات تعتبر خبير ماكتب فى هذه المواد ، بل تتخذها المحافل العلمية حتى الآن مراجع

(١)
لها مكانة .

وهكذا كانت الزراعة واستمرت فى تقدم ورقى ، من حيث اختيــــــــــــــــار
النباتات ، وتحسين وتطوير الآلات المستخدمة فيها ، واستخدام الأراضى
الصالحة للزراعة والاهتمام بها ومراعاة الفصول والمناخ ، واهتمــــــــــــــــام
علماء الزراعة فى العصور القديمة والوسطى ، وألفوا فيها كتباً ، وقد
برعوا فى علم الجنائن واتقنوها خصوصاً الجنائن المعلقة ، والجنائن
العربية فى الأندلس ، وهى لاتزال مفخرة العصور القديمة ، وما الزراعه
القديمة الاهى أساس للزراعة الحديثة ، وهذا يرجع الى فضل المسلميين
والعرب بعد الله عز وجل .

وبعد هذا التمهيد الموجز عن الزراعة وبدء الزراعة وتاريخ
الزراعة ، حيث أن الفصل الأول : العناية بالنبات ، ومن العناية بالنباتات
الزراعة ، والصيانة ، والحصاد ، لذلك كان المناسب أن أذكر هذا الموجز
عن الزراعة فى العصور القديمة الغابرة الى مابعدنا وعهد الاســــــــــــــــلام
والدول الاسلامية واهتمام السابقين من السلف بها ، وبعد ذلك سوف أتكلم
عن اهتمام الاسلام بها والزراعة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
كيف كانت وكيف كان تعاملهم بها ومدى اهتمامهم بها فى تلك الفترة
وذلك ليعرف كيف كانت الزراعة فى الماضى والوقت الحاضر واهتمــــــــــــــــام
الاسلام بها مؤكداً لما كان عليه السابقين ، وفى هذا بيان أن النباتات
أصل حياة الانسان وأساسياتها . ولأهيب بالمسلمين فى الوقت الحاضر
الاهتمام بالنبات والزراعة والفلاحة والتشجير والتخصير للأرض والاهتمــــــــــــــــام
به أيضاً صيانة ورعاية وحفظ له ، والاهتمام به حصاداً وادخاراً ، لأن هذا
هو موضع البحث وسوف أتناوله بالتفصيل ان شاء الله تعالى .

(١) نقل بتصرف من كتاب اسهام علماء المسلمين والعرب فى علم النباتات
د . على الدفاع (ص ٢٥ - ٢٧) .

المبحث الأول : العناية بالنبات زراعة

ان الزراعة شيء مهم في حياة الانسان كما عرفنا ذلك سابقا .
ولقد اهتم الاسلام بها ، وأتى مؤيدا ومؤكدا هذا الحق للانسان ، وعلى
الانسان للاستمرار فيه الى أن تقوم الساعة ، ولكن لم يكن على سبيل الوجوب
وانما على سبيل فرض الكفاية والندب والاباحة ، لأنه سبحانه وتعالى
جعل هذا من مستلزمات الانسان في حياته وحاجاته له أمرا بأمره عليه
عقله وحسه ووجوده في الكون ، جعل في فطرته وخلقته الاحساس بالاحتياج الى
النبات والزراعة ، لأنها مقومات حياته لا يستطيع الاستغناء عنها ، كالنوم
للانسان غير مأموره شرعا ، ولكن عقله وحسه ، ومشاعره وحاجته لذلك ، ينام
الانسان تلقائيا وبداهة بمجرد أن يحس بالنوم واحساسه بحاجة الى الراحة
فينام ليرتاح ، كذلك الزراعة ، لذلك لم أجد في القرآن آية يأمر الله
بها الانسان أمرا حتميا ، ولم أقف على حديث في ذلك .

وانما ما كان من الآيات والأحاديث هو فرضا على الكفاية والحث على
الزراعة ، والغرس وبيان أنواع الزرع ، وفوائده ، ولم يأمر الاسلام الانسان
العناية بالزرع وجوبا ، وانما جعل ذلك مناط العقل الانساني وحاجته .
وغرس ذلك في نفسه وحببه له ابتداء ، وان حب الغرس والزرع مغروس
في نفس الانسان ليس فقط في الدنيا وانما حتى في الآخرة ، يريد أن يفلح
ويزرع ويغرس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية ، أن رجلا من أهل الجنة استأذن
ربه في الزرع ، فقال له أأست فيما شئت ، قال بلى ، ولكني أحب
أن أزرع ، قال فبذر فيادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، فكان أمثال
الجبال ، فيقول الله دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شيء ، فقَالَ
الأعرابي : والله لاتجده الا قرشيا أو أنصاريا فانهم أصحاب زرع ، وأما

(١)
 نحن فلسنا أصحاب زرع ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .
 ومن اهتمام الاسلام بالزراعة وحث الانسان على اداها والاستمرار
 فيها جعلها من الكسب الطيب الذى يكون بالعمل باليد والطعام الحلال
 قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
 (٢)
 أخرجنا لكم من الأرض) .
 فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما عمال أنفسهم ، وفى رواية السنن
 الكبرى للبيهقى كانوا يعالجون أراضيهم بأيديهم " (٣)
 وفى رواية أخرى عن مقدم بن معديكرب أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : (ما أكل أحد من بنى آدم طعاما خيرا له من أن يأكل
 من عمل يديه ، وان نبى الله داود كان يأكل من كسب يديه) (٤)
 وفى رواية عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 (خير مال المرء مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة) (٥)
 أراد بذلك خير المال نتاج أو زرع .
 ومنه أيضا عن عتبة بن ضمرة بن حبيب عن أبيه قال : قال رسول
 يارسول الله أى المال أفضل ؟ قال : " عقار مادر غيثه وأصلحه صاحبه

-
- (١) صحيح البخارى (١٤٢/٣) باب ماجاء فى الحرث والزرع .
 (٢) سورة البقرة (٢٦٧) .
 (٣) السنن الكبرى للبيهقى (١٢٧/٦) أخرجها البخارى فى الصحيح (٧٤/٣) كتاب البيوع .
 (٤) السنن الكبرى ، البيهقى (١٢٧/٦) رواية البخارى فى الصحيح فى كتاب البيوع (٧٤/٣) كسب الرجل من عمل يديه .
 (٥) الفتح الربانى - أحمد البنا (٩/١٥) قال أخرجه الطبرانى وقال الهيثمى رجال أحمد ثقات - مسند أحمد (٤٦٨/٣) .
 صهرة : بالضم ولد الفرس .
 مأمورة : كثيرة النسل والنتاج .
 يسكه : بكسر السين المنهملة أى طريقة مصطفة من النخل . ومنه قيل للأزقة سكك لاصطفاف الدور فيها ، وقيل السكة سكة الحرث ، والمأبورة المصلحة له .
 مأبورة : ملقحة ، يقال أبرت النخلة وأبرتها . انظر هامش الفتح الربانى (٩/١٥) .

وأتى حقه يوم حساده" (١) .

وهذا كان عمل الصحابة ومالهم وكسبهم رضوان الله عليهم .
 عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله
 عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل ، قال : " لا " فقالوا :
 تكفونا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا (٢) .
 أى أن يساعدهم العمل فى البساتين بما تحتاج من سقى والقيام
 عليها ، ويشركوهم فى الثمر (٣) .

فضل الغرس والزرع :

الغرس والزرع له فضل كبير على الانسان فى الدنيا والآخرة . فى الدنيا
 الأكل والتمتع به بجميع فوائده ، له وللدواب والحيوانات والطيور ، وإشابة الله
 سبحانه وتعالى لصاحب الغرس والزرع بالبركة والخير فى الدنيا ، وفى الآخرة
 بالأجر والثواب العظيم وهو فى قبره الى أن تقوم الساعة ما استفيد منه .

ولفضل الغرس والزرع نجد أن الشارع حث على ذلك ورغب فيه ، عن جابر
 بن عبد الله رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما
 أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقه وما أكل السبع منه فهو له صدقه
 وما أكلت الطير فهو له صدقه ، ولا يزرؤه (٤) أحد الا كان له صدقة (٥) .

-
- (١) كتاب الخراج - يحيى بن آدم القرشى (ص ٨٩) لم يبين المحقق
 أحمد شاکر من أخرجه ولكنه قال فى سنده : سعيد بن عبد الجبار وهو
 ضعيف روى بالكذب ، وضمرة بن حبيب تابعى مات سنة ١٣٠ هـ .
 (٢) أخرجه البخارى فى الصحيح فى عدة مواضع :
 (١) فى الحرث والمزارعة (١٣٦/٣) ، باب اذا قال اكفى مؤونة
 النخل أو غيره وتشركنى فى الثمر .
 (٢) فى الشروط (٢٤٩/٣) ، باب الشروط فى المعامله .
 (٣) فى فضائل الصحابة (٣٩/٥) باب مناقب الأنصار .
 (٣) شرح السنة - البغوى (٢١٦/٨) قاله فى الهامش : زهير الشاويش -
 وشعيب الأرنؤوط .
 (٤) يزرؤه : بسكون الراء وفتح الزاى : أى يصيب منه وينقصه ويأخذ
 منه .
 (٥) صحيح مسلم (١١٨٨/٣) كتاب المساقاة . باب فضل الغرس والزرع .

وفى رواية : " فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه انسان ولاد ابنة ولا طير، الا كان له صدقة الى يوم القيامة " (١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مامن مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زراعا، فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة ، الا كان له به صدقه " (٢) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء كان له اجرا جاريا ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى " (٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يغرس مسلم غرسا، ولا يزرع زراعا، فيأكل منه انسان، ولا طائر، ولا شيء الا كان له اجر " (٤) .

وعن خلاد بن السائب عن أبيه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من زرع زراعا فأكل منه الطير أو

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح (١١٨٨/٣) كتاب المساقاة . باب فضل الغرس والزرع .

(٢) صحيح البخارى (١٣٥/٣) كتاب الحرث والمزارعة . باب فضل الغرس والزرع .

(٣) صحيح مسلم (١١٨٩/٣) كتاب المساقاة . باب فضل الغرس والزرع .
الترغيب والترهيب - المنذرى (٥٦/٥) قال محمد محى الدين عبد الحميد رواه احمد من طريق زيان . مسند أحمد (٤٣٨/٣) .
قلت : زيان بن فائد لأنه هو الذى روى عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسند أحمد وهو مختلف فيه انظر التاريخ الكبير للبخارى (٤٤٤/٣) ، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي (ص ١٠٦) .

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى (٥٦/٥) قال محمد محى الدين عبد الحميد رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن .

أو العافية كان له صدقة " (٢) (١)

وفى رواية عن أبي الدرداء رضي الله عنهما أن رجلا مر به ، وهو —
يغرس غرسا بدمشق ، فقال له : أتفعل هذا ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ قال : " لاتعجل علي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : " من غرس غرسا لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله الا كان له
به صدقة " (٣)

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال : " مامن رجل يغرس غرسا الا كتب الله له به من الأجر
قدر ما يخرج من ذلك الغرس " (٤)

وعن جابر بن عبد الله قال : حدثتني أم مبشر امرأة زيد بن حارثة
قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط فقال : " لك هذا " (٥)
فقلت نعم ، فقال : " من غرسه مسلم أو كافر ؟ " فقلت مسلم ، قال :
" مامن مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً ، فيأكل منه طائر ، أو انسان ، أو سبع

-
- (١) العافية : العافية والعافى كل طالب رزق من انسان أو بهيمة أو طائر
وجمعها العوافى ، وقد تقع العافية على الجماعة ، يقال : عفوتسه :
أى أتيتته أطلب معروفه . انظر كتاب الخراج - يحيى القرشى (ص ٨٩) .
- (٢) الترغيب والترهيب للمنذرى (٥٧/٥) رواه أحمد والطبرانى واسناد
أحمد حسن .
- (٣) الترغيب والترهيب للمنذرى (٥٧/٥) رواه أحمد واسناده حسن .
- (٤) الترغيب والترهيب للمنذرى (٥٧/٥) ورواه أحمد ورواته محتج بهم
فى الصحيح ، انظر : تحفة الأحوذى للمباركفورى (٤/٣٣٦) . قال : أخرجه
أحمد مرفوعاً الا عبد الله بن عبد العزيز الليثى وثقه مالك وسعيد
ابن منصور .
- (٥) أم مبشر : هكذا فى معظم النسخ ، وفى بعضها " دخل على أم معبد "
وبعضها أم بشير ، فحصل أنه يقال لها : أم مبشر ، وأم معبد ، وأم بشير
وهى امرأة زيد بن حارثة ، وهى أنصارية أسلمت وبايعت . انظر صحيح
مسلم (٣/١١٨٨) المزارعة . باب فضل الغرس والزرع / الهامش / محمد فواد
عبد الباقي .
- (٦) حائط : الحائط هو البستان من النخيل اذا كان عليه حائط وهو
الجدار . انظر الفتح الربانى (١٥/١٠) .

أو شيء إلا كان له صدقة" (١) .

قد استفهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفارس مسلم أو كافر؟ لأن الكافر لا يثاب على فعل الخير، وتشجيع للمسلم على الاهتمام بالفارس والزرع .

أما دوام الأجر للإنسان وهو ميت في قبره ..

عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سبع يجرى للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد موته، من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته " (٢) .

وهذا الحديث وما قبله من الأحاديث على اختلاف ألفاظها أن أجر الفارس يستمر مادام الفارس مأكولاً منه، ومستفاداً منه أى فائدة كانت من علاج أو ظل، أو زينة، ولو مات أو انتقل ملكه لغيره، وهو من الصدقة الجارية التى تنفع صاحبها بعد الموت .

فعلى الإنسان أن يحافظ على الزرع والفارس حتى وإن قامت قيامته أو قامت الساعة كما روى ذلك عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فليفعل " (٣) .

(١) الفتح الربانى للبنا (١٥/١٠) .

أخرج الرواية مسلم فى صحيحه (٣/١١٨٨) كتاب المساقاة . باب فضل الفارس والزرع بلفظ مختلف .

(٢) الترغيب والترهيب للمندرى (٥/٥٧) قال رواه البزار وأبونعيم والبيهقى . قلت وأخرجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفه فى

الفقه، وقال أخرجه ابونعيم عن أنس (٢/٧٤) القسم الثانى الفقه - تصنيف عبدالعزيز الرومى، د. محمد البلتاجى . أخرج الرواية

البيهقى فى الشعب (٣/٢٤٨) والبزار (١/١٤٩) وقال الهيثمى فى

مجمع الزوائد (١/١٧٢) فيه محمد بن عبيد الله العزمى وهو ضعيف .

(٣) الفتح الربانى للبنا (٢٣/٣٠٩) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد

(ص ٦٩) باب اصطناع المال ، وانظر عمدة القارى للعينى (١٢/١٥٥)، قال ذكره على بن عبدالعزيز فى المنتخب باسناد حسن، وأخرج

أبو داود الطيالسى (ص ٢٧٥) وانظر منتخب كنز العمال فى سنن الأقبال والأفعال - على بن حسام الدين (٢/١٢٧) على هامش مسند

أحمد .

فسيلة : نبت النخلة . انظر مختار الحسن والصحيح، عبد البديع صقر

ومن فضل الغرس والزرع على الانسان ، وفائدته للانسان أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث ورغب في احياء الأرض الموات وتكون ملكا لمن يحييها .

عن عروة عن عائشة رضى الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أعمار أرضا ليست لأحد فهو أحق بها " .

وقال البخارى : قال عمر : " من أحيأ أرضا ميتة فهي له " .^(١)

وفى موطأ مالك : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أحيأ أرضا ميتة فهي له ، وليس لعرق ظالم حق " .

قال مالك : والعرق الظالم : كل ما احتفر ، أو أخذ ، أو غرس بغير حق .^(٢)

قال يحيى بن آدم : و احياء الأرض أن يستخرج فيها عينا أو قليباً أو يسوق اليها الماء ، وهى أرض لم تزرع ولم تكن فى يد أحد قبله يزرعها ، أو يستخرجها حتى تصلح للزرع ، فهذه لصاحبها أبداً ، لا تخرج من ملكه ، وان عطلها بعد ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " من أحيأ أرضا فهي له " فهذا إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها للناس ، فان مات فلورثته وله أن يبيعها إن شاء .^(٣)

ويؤكد قوله من أن الأحياء يقصد به الزرع ، والغرس وغير ذلك رواية عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أحيأ أرضا ميتة فله فيها - يعنى آجرا - وما أكلت العوافى "

(١) صحيح البخارى (١٣٩/٣) باب من أحيأ أرضا مواتا فى كتاب الحرث والمزارعة .

(٢) موطأ مالك (ص ٥٢٨) كتاب الأفضية ، اعداد : أحمد عرموش ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، دار النفائس .

وانظر : كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ٩٢ - ٩٣) . سنن الترمذى (٤١٩/٢) أبواب الأحكام ، سنن البيهقى (١٤٢/٦) المزارعة .

(٣) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى (ص ١٠١) .

(١)
منها فهو له صدقة " .

مالك الغرس والزرع :

الزرع فى اللغة : يأتى بعدة معان ، وقد سبق الكلام عنه ومنه :
الانبات ، الحرث ، طرح البذر فى الأرض .
وطرح البذر فى الأرض والحرث هو من فعل الانسان ، أما الانبات
فهو من فعل الله عز وجل .

ومعنى الانبات فى اللغة حقيقة للزرع ، لأن الزرع هو النبات .
أما البذر والحرث فهو مجاز ، لأنه ليس أصل النبات ، وإنما هو
مايقوم به الانسان من أعمال فى الأرض بالحرث والتشقيق ، وطرح البذر
على الأرض ، لذلك كان الزرع فى اللغة عملية مفاعلة مابين الانسان
والأرض ، ومن هنا ورد النهى عن أن يقول الانسان زرع على الحقيقة
وإنما يقول حرث .

روى البيهقى عن مجاهد قال : (لاتقل زرع ولكن قل حرث ان الله
(٢)
هو الزارع) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
(٣)
وسلم : " لايقولن أحدكم زرع ولكن ليقل حرث " .

والنبات فى اللغة كما ذكرت سابقا : انه اسم يقوم مقامه المصدر
وهو نبيت ينبت نباتا ، كما قال فى لسان العرب : (النبات فى الأصل

(١) أخرج الرواية البيهقى فى السنن الكبرى (١٤٨/٦) احياء الموات
وأخرجها يحيى بن آدم فى كتاب الخراج (ص ٨٨ - ٨٩) .
وذكره الفتح الربانى للبنا (١٣١/١٥) ونقل عن مجمع الزوائد أنه
قال رجاله تقات .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٨/٦) المزارعة ، باب فضل الغرس والزرع
إذا أكل منه وقال البيهقى هذا من قول مجاهد وقد روى فيه حديث
مرفوع غير قوى وساق هذا المرفوع فى سننه رضى الله عنه .

(٣) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٨/٦) المزارعة قال البيهقى حديث
مرفوع وليس بقوى . وقد ساق هذا المرفوع فى سننه رضى الله عنه .

(١)

• ما يخرج من الأرض على صفة النمو) .

(٢)

• وينبت الزرع نباتا ونباتا، نشأ وظهر من الأرض .

والحرث فى اللغة : الحرث مصدر سمي به العمل فى الأرض وشارتها

(٣)

وإعدادها للزراعة، يقال : حرث الأرض حرثا شقها بالمحراث ليزرعها

كما يطلق الحرث على الزرع ، إذا انتهى من حيث الفعل والعمل فى

النبات ، فإن الزرع فى نموه ، وشكله ، وظهوره ، وإنشائه ، هو فعل اللـ

سبحانه وتعالى ، أما من حيث مباشرة أسباب وجود النبات ، فهى من

الإنسان ، وذلك بالحرث ، وهو شق الأرض وفلاحتها ، وتشميسها ، والاعتناء بها

وطرح البذر فيها ، من هنا نسب إلى الإنسان الزرع مجازا وليس حقيقة

لأن فاعل الزرع الحقيقى ومنشأه ومظهره هو الله عز وجل ، وقد أكد هذا

الحق تبارك وتعالى بقوله : (أفرايتم ماتحراثون ، أنتم تزرعونـ

أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهنون ، أنا لمفرعون

(٤)

• بل نحن محرومون) .

قال الفخر الرازى عند تفسيره لهذه الآية : الفرق بين الحرث

والزرع : هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته من كراب الأرض ، والقـ

البذر وسقى المبدور ، والزرع هو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظـ

واستوائه على الساق فقوله : (أفرايتم ماتحراثون) : أى ماتبتدون منه

من الأعمال أنتم تبلغونها المقصود ؟ أم الله .؟؟

ولايشك أحد من أن إيجاد الحب فى السنبلة ليس بفعل الناس ، وليس

(٥)

• بفعلها ، إن كان سوى القاء البذر والسقى .

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/٥٦٢ - ٥٦٣) .

(٢) المعجم الوسيط (٢/٨٩٦) .

(٣) المعجم الوسيط (١/١٦٤) .

(٤) سورة الواقعة (٦٣ - ٦٧) .

(٥) تفسير الفخر الرازى (٨/٦٤) .

وأما قول القرطبي في معنى الآية : أى أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تنبتونه وتحصلونه زرعاً فيكون في السنب والحب، أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشق الأرض .
وأضاف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى، لأن الحرث فعلهم ويجزى على اختيارهم، والزرع من فعل الله، وينبت على اختياره لأعلى اختيارهم .

وكذلك ماروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لايقولن أحدكم زرعتم وليقل حرثتم، فإن الزارع هو الله " قال أبو هريرة : ألم تسمعوا قول الله تعالى : (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)^(١) .

قلت : ربما قال قائل : إذا كان الله هو الزارع، فكيف قال تعالى (يعجب الزارع) نسبة للإنسان عند وصفه للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حيث قال تعالى : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزارع ليغيظ بهم الكفار)^(٢) ؟ .

قلت سابقاً ان الزرع يطلق على الحرث وهو القاء البذر على الأرض مجازاً، أما الزرع بمعنى النشوء والظهور، والنماء، فيكون الزارع الحقيقي هو الله عز وجل .

فيقال فلان زراع كما يقال حراث، أو يقال : ان فلان زراع، وهـذا يؤل على ماسوف يكون بعد ذلك من فعله بالحرث والبذر، وهو الزرع .
ولعل الرازي أشبع القول في ذلك فقال :

(ان الحرث متصل بالزرع، فالحرث أوائل الزرع، والزرع أوأخر الحرث، فيجوز اطلاق أحدهما على الآخر، لكن قوله (يعجب الزراع) بدلا

(١) تفسير القرطبي (٦/٦٣٨٨)، السنن الكبرى للبيهقي (٦/١٣٨) المزارعة

باب ما يستحب من حفظ المنطق في الزرع .

(٢) سورة الفتح (٢٩) .

عن قوله يعجب الحراث يدل على أن الحارث إذا كان هو المبتدىء فربما يتعجب بما يترتب على فعله من خروج النبات، والزراع لما كان هـو المنتهى، ولا يعجبه الاشيء عظيم، فقال يعجب الزراع الذين تعودوا أخذ الحراث، فما ظنك باعجابه الحراث، وقوله صلى الله عليه وسلم (الزرع للزراع)^(١) فيه فائدة لأنه لو قال للحارث، فمن ابتداء بعمل الزرع، وأتى بكراب الأرض وتسويتها يصير حارثا، وذلك قبل القاء البذر، فالزرع لمن أتى بالأمر المتأخر وهو القاء البذر، أى من له البذر على مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه وهذا أظهر لأنه بمجرد الالتقاء فى الأرض يجعل الزرع للملقى، سواء كان مالكا أو غاصبا)^(٢).

أما قوله تعالى : (لو نشاء لجعلناه حطاما) ردا على من قال معاندا، نحن نغرس، والحراث بنفسه يصير زراعا لا يفعلنا ولا يتأثير قسوى خارجية عنه .

فأتى الرد من الله جلت قدرته : أنه لو كان ذلك صحيحا كما تقولون، فما هو قولكم فى سلامة الزرع من التعرض للجوائح، والآفات والفساد، قبل اشتداده وقبل ظهوره، أو حتى بعد اشتداده وظهوره، ولكنكم لم تتمكنوا من الانتفاع به فأصابه ما أصابه من البلاء، فهل تستطيعون أن تدافعوا عنه ذلك الوباء وتحفظونه أو هل يستطيع أن يدفع عن نفسه الفساد والهلاك؟؟

- (١) لم أقف على نص الحديث بهذا اللفظ كما هو مذكور فى كتب أصول الحديث وإنما ورد بما فى معناه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحاب الزرع "خذوا زرعكم وردوا عليه النفقة" أى لصاحب الأرض وهو ظهير. انظر السنن الكبرى للبيهقى (١٣٦/٦) المزارعة، باب من زرع فى أرض غيره . وقال فى سنده أبو جعفر الخطمى ولم يحتج به البخارى ومسلم . قال التركمانى هو ثقة، وأخرج له الحاكم (١٣٧/٦) على هامش سنن البيهقى وسنن أبى داود (٢٣٣/٢) المزارعة .
- وفى رواية أخرى كذلك أمره صلى الله عليه وسلم لصاحب النخل أن يخرج النخل . وأخرجها البيهقى فى السنن الكبرى (١٤٢/٦) المزارعة ويحيى بن آدم فى الخراج (ص ٩٧) وصححها محقق الكتاب أحمد محمد شاكر .
- (٢) تفسير الفخر الرازى (٦٤/٨) .

إذا لأحد يستطيع حفظه أو هلاكه إلا الله عز وجل .

قال القرطبي : فنبه بذلك الى أمرين :

(١) أحدهما : ما أولاهم به من النعم فى زرعهم اذ لم يجعله طعاما ليشكروه .

(٢) الثانى : ليعتبروا بذلك فى أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع طعاما إذا شاء، كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزعروا (١) .

وقد يلقون البذر ولا ينبت أصلا، أو ينبت كما قلت ثم تجتاحه جائحة إذا الأصل فى الزرع ليس فعلهم، وإنما هو فعل الله عز وجل بالانبيات حتى قد يكون بدون فعل من الانسان، وذلك بما يكون من نباتات الصحراء والأعشاب، والتي لا تدخل فيها يد الانسان .

عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بأرض الأنصار فقَالَ : (ما يمنعكم من الحرث؟ قالوا : الجدوبة، فقال : لاتفعلوا فان الله تعالى يقول : (أنا الزارع ان شئت زرعتم بالماء، وان شئت زرعتم بالريح وان شئت زرعتم بالبذر) ثم تلا " أفرايتم ماتحراثون، أنتم تزرعون الله أم نحن الزارعون) (٢) .

وقد بين الله جلّت قدرته بأن معنى الزرع : هو الانشاء والانبثاق وأنه هو الزارع المنشئ والمنبت، كما فى قوله تعالى : (أفرايتم النار التى تورون، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (٣) .

أى هل أنتم أوجدتم وأنشأتم وأنبتتم الشجرة التى تظهرون منها النار وهى المرخ والعفرار أم نحن، أو أنتم أصلا أنشأتم الشجر، التى يؤخذ من حطبها ليقاد النار أم نحن ؟

-
- (١) تفسير القرطبي (٦٣٨٨/٧) وانظر القرآن الكريم معجزة ومنهاج للشيخ الشعراوى (ص ٢٠٧) ط ١٤٠٥ هـ دار الندوة .
- (٢) تفسير القرطبي (٦٣٩٠/٧) لم أقف عليه سورة الواقعة، آية (٦٣ - ٦٤) .
- (٣) سورة الواقعة (٧١ - ٧٢) .

وفى معنى الانبات قوله تعالى : " أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها، إله مع الله بل هم قوم يعدلون " (١) .

"ما" للنفي، معناه الحظر والمنع من فعل هذا .

أى ماكان للبشر، ولايتهمياً لهم، ولايقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها، اذ هم عجزة عن مثلها، لأن ذلك اخراج الشء من العدم الى الوجود. (٢)

ولو تتبعنا آيات القرآن عن النبات، لم نجد آية واحدة أسند الله عز وجل فيها الانبات أو الانشاء للانسان أو الحرث، ماعدا آية الواقعة والزرع كذلك، ماعدا آية سورة يوسف حيث قال تعالى : (قــــــــــــــــال تزرعون سبع سنين دأباً) . (٣)

ووصف الله سبحانه وتعالى الانسان بالزارع فى سورة الفتح كما بينتها سابقا .

اذا بعد هذا العرض لمن الزرع ؟؟؟

ومن فاعله ؟؟ ومن مخرجه ؟؟

ومالكة الحقيقى ؟؟

يكون الجواب مما سبق : هو الله عز وجل تعالت قدرته، فاذا كان هذا الكون ومافيه، وهذا الملكوت العظيم، ملك الله جلت قدرتهـــــــــــــــــ وعظمته، والزرع خلق من خلق الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون وهــــــــــــــــذا الملكوت، فبالأحرى أن يكون الزرع أيضا ملك الله لأنه منه جلت عظمته .

(١) سورة النمل (٦٠) .

(٢) تفسير القرطبي (٤٩٣٧/٦) .

(٣) سورة يوسف (٤٧) .

ماهية الزراعة :

بعد الحديث عن الحرث والزرع لمن؟؟ وعرفنا أن الحرث للانسان ٠٠بما يقوم به من شق الأرض والقاء البذر فيها وتعهدها بالوسائل ،بقــــــــــــى أن نعرف كيف تتم الزراعة أو ماهية الزراعة . والزراعة هي المقصود بها حرفة الزراعة، أو علم فلاحه الأرض والزراعة .

وعلم الفلاحة أو الزراعة كما عرفها ابن الأكفاني السنجارى بقوله : علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء نموه الى تمام نشوئه وهذا التدبير انما هو اصلاح الأرض بالماء وبما يخلخلها ويحميها من المعفونات كالسماد ونحوه مع مراعاة الأهوية .^(١)

وقد عرف ابن خلدون الزراعة أو الفلاحة بقوله :

(هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على اشارة الأرض لها، وازدراعها، وعلاج نباتها وتعهده بالسقى والتنمية الى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، واحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه)^(٢)

مايلاحظ على تعريف ابن خلدون أن الزراعة من وجهة نظره، عبارة عن حراثة الأرض وزراعتها وسقايتها حتى يتم حصادها، وقد عرفت كلمة الزراعة بأنها مشتقة من مقطعين :

(١) تاريخ الزراعة القديمة - عادل أبو النصر (ص ٢٣٢) .
الأكفاني : هو محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى المتوفى عام (٧٩٤هـ)
انظر كتاب كشف الظنون/الحاجى خليفة (٦٦/١)، وانظر كتاب ارشــــــــــــاد القاصد الى أسنى المقاصد للشيخ شمس الدين السنجارى (ص ١٠٣) ، ط/ بيروت ١٣٢٢هـ .

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٠٦) روجعت بمعرفة من العلماء . وانظر أبجد العلوم لمصديق بن حسن القنوجى (٤١٣/٢ - ٤١٤) ط/١٣٠٧هـ . دار الكتب العلمية ، الفصل فى مقدمة ابن خلدون (٣١٧/٢) تحقيق المستشرق الفرنسى أ . م . كاترمير طبعة باريس ١٨٥٨م مكتبة لبنان .

الأول : الحقل والتربة .

الثانى : العناية بالأرض .

وعلى هذا التعريف تصبح معنى كلمة الزراعة هى العناية بالأرض .

ان هذا التعريف اللفظى لكلمة الزراعة يتفق مع تعريف ابن خلدون
للزراعة بمعناه المحدود، ولكن هناك تعريف أعم من ذلك وهو : (عمل
غرضه أن يسوس قوى الطبيعة من أجل انتاج محاصيل نباتية وحيوانية
تسد حاجات الانسان)^(١) .

وهذا التعريف أوسع بحيث يشمل فوائد الانتاج الزراعى للانسان

والحيوان .

وتتفق التعاريف كلها مع ما جاء تعريفه فى اللغة : على أن الزراعة
حرفة الزراع وعلم فلاحة الأرض .^(٢)

والحرفة هى بذل مجهود من الذى يديرها لصياغتها واتقانها
فهى عملية مشاركة بين الطرفين الحرفة وصاحبها، مثل الخياط، والنجار
وكذلك الزراع والفلاح الذى يزرع الأرض أو يغرسها . فتكون العملية
مشاركة بينه وبين الأرض، منه البذر والاعتناء والغرس .^(٣)

ومنها البذل والعطاء بارادة الله عز وجل، فيكون هذا على
وزن مفاعلة بين الطرفين .

فعلى هذا الوزن من المفاعلة والمشاركة بين الأرض والمزارع اشتقت
المزارعة من لفظ الزراعة والزرع .^(٤)

-
- (١) انظر الجغرافيا الزراعية لنصر الدين بدوى (ص ٢٣) ط ١، ١٤٠٤هـ .
(٢) المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء (٣٩٢/١) .
(٣) الغرس للشجر، والزرع للنبات، والغرس هو الرشق أو الدفن فى
الأرض، وقريب منه الزرع، والمراد بالغرس والزرع : المغروس والمزروع
كالعقل والفسايل للغرس، والحبوب للزرع .
انظر فى ذلك الأدب النبوى لمحمد الخولى (ص ٣٣) ط دار المعرفة ١٣٩٥هـ .
(٤) انظر كشاف القناع للبهوتى (٥٣٢/٣) .

والمزارعة فى اللغة : هى مفاعلة من الزرع، وطريقة لاستغـلال
الأرض الزراعية بزراعتها .^(١)

أما التعريف الاصطلاحى للمزارعة عند المحدثين والفقهاء :
فهو مبنى على المفاعلة بين مالك الأرض والعامل فيها بالزراعة
على اعتبار المشاركة بينهما فى الثمر الخارج من الزرع ، لأنها لو كانت
بين العامل والزرع ، كانت على غير بابها لأنها تكون من طرف واحد
فقالوا :

المزارعة : هى المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج من الـزرع
الثلث أو الربع ، وغير ذلك من الأجزاء المعلومة .^(٢)

وقال ابن حجر : المزارعة العمل فى الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر
من المالك ، والمخبرة مثلها لكن البذر من العامل .^(٣)

وقال العيني : المزارعة هى مفاعلة من الزرع ، والزراعة هى الحرث
والفلاحة وتسمى مخبرة ومحاولة ، ويسمى أهل العراق القراح ، وفى
المغرب القراح من الأرض كل قطعة على حياها ليس فيها شجر ولا شائـب
سبخ ، وتجمع على آقرحة .

وفى الشرع : هى عقد على زرع ببعض الخارج .^(٤)

-
- (١) المعجم الوسيط (٣٩٢/١) .
(٢) سنن أبى داود (٢٣١/٢) ، البيوع باب المزارعة ، الهامش : الشيخ
أحمد سعد على ، عون المعبود شرح سنن أبى داود أبى الطيب العظيم
آبادى (٢٤٦/٩) البيوع ، باب المزارعة ، الفتح الربانى للبنى
(١١٤/١٥) ، ارشاد السارى للقسطانى (١٦٩/٤ - ١٧٠) المزارعة ،
صحيح مسلم بشرح النووى (١٩٩/١٠) كراء الأرض ، نيل الاوطار
للشوكانى (٨/٦) ، الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى
(٢/٣) .
- (٣) فتح البارى لابن حجر (١٢/٥) المزارعة ، وانظر الفقه على المذاهب
الأربعة للجزيرى (٣/٣ - ٢٨) .
- (٤) عمدة القارى للعيني (١٥٣/١٢) المزارعة ، وانظر تحفة الأحـمـودى
للمباركفورى (٦٣٧/٤ - ٦٣٨) .

والتعريف هذه كلها تعطينا مفهوما واحدا وهو :
 دفع الأرض الى من يزرعها ويعمل عليها والزرع بينهما ^(١) .
 والمزارة لها مترادفات فى اللفظ وفى المعنى الشرعى كما بينهما
 العينى ، ولا بد من ذكرها لكمال الكلام عن الموضوع .

أولا : المحاقلة .

المحاقلة : أصلها من (الحقل) وهو القراح والمزارة ، ويقال :
 للأقرحة : محافل ومزارع ، وفى المثل : " لا ينبت البقلة الا الحقلة " .
 وفى الحديث : (ماتصنعون بمحافلكم) أى بمزارعكم ^(٢) .
 والمحاقلة : مفاعلة من الحقل وهو الزرع اذا تشعب قبل أن يغلظ
 سوقه ، ثم أطلق على الزرع ، واشتق منه المحاقلة فأطلقت على المزارة .
 والحقل : القراح من الأرض ، وهى الطيبة التربة الخالصة من شوب
 التسبخ ، الصالحة للزراعة ، ومنه حقل يحقل اذا زرع ، والحقل : الزرع
 الأخضر ، والمحافل : موضع الزراعة ، كما أن المزارع موضعها أيضا .
 والمحاقلة : مأخوذة من الحقل جمع حقلة ، وهى الساحات جمع
 ساحة .

والمحاقلة : مفاعلة من ذلك وهى المزارة بالثلث والربع أو نحو
 ذلك ، وقيل هى كراء الأرض ، بمقدار من الثمر ، وقيل هى بيع الطعام فى
 سنبه بالحنطة . وقيل هى :

(١) انظر موسوعة فقه عثمان بن عفان د . محمد قلعجى (ص ٣١٨) ط ١ ، ١٤٠٤ هـ
 موسوعة فقه عبدالله بن مسعود د . محمد قلعجى (ص ٥٢٨) ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ،
 مطبعة المدنى ، موسوعة الاجماع فى الفقه الاسلامى لسعدى أبو جيب
 (٩٩٦/٢) دار العربية ، بيروت .
 (٢) صحيح مسلم (١١٨٢/٣) البيوع ، باب كراء الأرض .

(١) بيع الزرع قبل ادراكه .

إذا المزارعة تشترك مع المحاقلة من حيث اللفظ :

(١) تطلق على الأرض المزروعة .

(٢) تطلق على الزرع .

وتشترك معها في الحكم الشرعى فى معنى واحد ، وذلك من حيث المفاعلة .
وهى المزارعة بالثلث بأن يعامل انسانا على أن يعمل فى أرض ليعتدها
بالحرث والسقى والتربية على أن مارزقه الله تعالى من الثمر يكون
بينهما بجزء معين .

وتختلف عنها فى عدة معانى :

(١) كرا ٦١ الأرض بالحنطة أو بمقدار من الثمر، وهو مافسرها نص الحديث

ويسميه الزارعون بالمحارثة ، هذا إذا أطلقت على الأرض . عن جابر بن

عبدالله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المحاقلة

والمزابنة والمخابرة ، وأن تشتري النخل حتى تشقه .

(والاشقاه : أن يحمر أو يصفر أو يوكل منه شىء) .

والمحاقلة : أن يباع الحقل بكيل من الطعام معلوم .

والمزابنة : أن يباع النخل بأوساق من التمر .

(٢)

والمخابرة : الثلث والربع وأشباه ذلك .

(١) انظر فتح البارى (١٥/٥) ، شرح السنة للبغوى (٨٣/٨) ، جامع الأصول من

أحاديث الرسول لابن الاثير (٤٠٢/١) ، (٤٧٨/١١) ، تحفة الأحوذى

للمباركفورى (٤١٧/٤) ، تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير

لابن حجر (٣٢/٣) ، تحقيق د . شعبان اسماعيل ، ط ١٣٩٩هـ ، مكتبة الكليات

الأزهرية ، نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعى (١٨٠/٤) ط ١٣٥٧هـ ،

مطبعة دار المأمون ، نيل الأوطار للشوكانى (١١/٦) .

(٢) صحيح مسلم (١١٧٥/٣) كتاب البيوع ، باب النهى عن المحاقلة ، وانظر تحفة

الأحوذى للمباركفورى (٤١٧/٤) .

والمقصود من البيع الكراء ، يوضحه الحديث التالي :

عن رافع بن خديج قال : "كنا نحاقل الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكريها بالثلث والربع والطعام المسمى ، فجاءنا ذات يوم رجل من عمومتي ، فقال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا ، نهانا أن نحاقل بالأرض فنكريها على الثلث والربع والطعام المسمى ، وأمر رب الأرض أن يزرعها ، وكره كراها ، وما سوى ذلك " (١) .

وفى رواية أخرى عن رافع بن خديج ، أن ظهير بن رافع (وهو عمه) قال : أتاني ظهير فقال : (لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقاً ، فقلت : وما ذاك ؟ فاقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، قال : سألتني كيف تصنعون بمحاقلكم ؟ فقلت : نؤاجرها يارسول الله على الربيع أو الأوسق من التمر أو الشعير ، قال : "فلاتفعلوا ازرعوها ، أو ازرعوها أو امسكوها " (٢) .

(٢) بيع الزرع فى سنبله بالحنطة ، أو بيع الزرع قبل ادراكه أى قبل بدو صلاحه ، روى فيه عن سعيد بن المسيب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع المزبنة والمحاولة .

والمزبنة أن يباع ثمر النخل بالتمر ، والمحاولة أن يباع الزرع بالقمح ، واستكراء الأرض بالقمح (٣) .

وفى رواية أخرى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى عن المخابرة والمحاولة والمزبنة ، وعن بيع الثمرة حتى تطعم ، ولاتباع إلا بالدراهم والدنانير إلا العرايا . قال عطاء : فسر لنا جابر قال : أما المخابرة فالأرض البيضاء يدفعها الرجل إلى الرجل

(١) صحيح مسلم (١١٨١/٣) البيوع ، كراء الأرض .

(٢) صحيح مسلم (١١٨٢/٣) البيوع . كراء الأرض .

(٣) صحيح مسلم (١١٦٨/٣) كتاب البيوع ، باب تحريم بيع الرطب بالتمر .

فينفق فيها، ثم يأخذ من الثمر، وزعم أن المزبنة بيع الرطب في النخل بالتمر كيلا، والمحاولة في الزرع على نحو ذلك ببيع الزرع القائم بالمحب كيلا .^(١)

من خلال الروايات يتضح أن المحاولة تشترك مع المزارعة في المعنى اللفظي .

أما المعنى الشرعي فهي تختلف عنها، لأن الأصح والراجح في معنى المحاولة هو ما فسره من معناها جابر رضى الله عنه بأنها كراء الأرض بالطعام، أو بيع الزرع قائم في أصوله (سنبله) بالمحب كيلا وليس كما ذكر الطحاوى من أن تأويلها فقط على بيع الزرع القائم في أصوله بالمحب كيلا .^(٢)

ثانيا : المخابرة .

قال جماعة من أهل اللغة وغيرهم : المخابرة مشتقة من الخبير وهو الأكار، أى الفلاح، وقيل : مشتقة من الخبار وهي الأرض اللينة، وقيل : هي من الخبرة وهي النصيب (بضم الخاء) .

وقال الجوهري : قال أبو عبيد : هي النصيب من سمك أو لحم ويقال : تخبروا خبرة : إذا اشتروا شاة فذبحوها واقتسموا لحمها . والمخابرة والمزارعة متقاربتان، وهما المعاملة على الأرض ببعض

ما يخرج منها من الزرع كالثلث والربع وغير ذلك من الأجزاء المعلومة . لكن في المزارعة يكون البذر من مالك الأرض، وفي المخابرة يكون البذر من العامل، وكان أبى الاعرابى يقول : أصل المخابرة من خبير لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان أقرها في أيدي أهلها على النصيب

(١) صحيح مسلم (١١٧٤/٣) باب النهى عن المحاولة في كتاب البيوع .

(٢) انظر مشكل الآثار للطحاوى (٢٩٠/٣)، ط١، ١٣٣٣هـ، دائرة المعارف، الهند .

(١)
 فقيل : خابرهـم ، أى عاملهم فى خيبر فتنازعوا، فنهى عن ذلك ثم جازت بعد .
 وفى رواية عن زيد بن ثابت قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن المخابرة، قلت وما المخابرة ؟ قال : أن تأخذ (يأخذ) الأرض بنصف
 أو ثلث أو ربع" ، ومن هذا يتضح اشتراك المزارعة والمخابرة فى المعنى
 اللفظى والشرعى .

وللمزارعة أحكام واختلافات فقهية، قبل الخوض فيها ، هناك أمور
 تتعلق بالزراعة، طالما أن الباب فى الحقوق المتعلقة بالنبات ، والفصل
 فى العناية بالنبات ، ومن العناية به زراعته ، والعناية بزراعته لا بد
 فيها من معرفة زراعته على الطريقة الصحيحة .

وانطلاقاً من مبدأ اهتمام الاسلام بالعلم والمعرفة للانسان بما يفيد
 فى حياته ودنياه وآخرته ، كما قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق
 خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان
 ما لم يعلم) (٣) .

(٤)
 وقوله تعالى : (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان) .
 ومن الأقوال المأثورة فى ذلك : عن عون بن عبد الله قال : (من
 كمال التقوى أن تطلب الى ما قد علمت علم ما لم تعلم) (٥) .

اذ لابد من ذكره بصورة مختصرة استكمالاً لجوانب الموضوع وأساسياته
 وهى عند الشروع فى الزراعة ، سواء كان على المستوى العام ، أو على

-
- (١) صحيح مسلم (٣/١١٧٤) كتاب البيوع باب النهى عن المحاقلة ، عون المعبود ، شرح
 سنن ابى داود أبى الطيب العظيم آبادى (٩/٢٦٩) ، صحيح مسلم بشرح النووى
 (١٠/١٩٣) ، النهى عن المحاقلة ، شرح السنة للبعوى (٨/٨٤) ، مشكل الآثار للطحاوى
 (٣/٢٩٠) ، نصب الراية للزيلعى (٤/١٨٠) ، نيل الاوطار للشوكانى (٦/٨) .
 (٢) سنن ابى داود (٢/٢٣٥) باب المخابرة ، كتاب البيوع . انظر ~~ع~~
 المعبود/ أبى الطيب العظيم آبادى (٩/٢٧٢) .
 (٣) سورة العلق (١ - ٥) .
 (٤) سورة الرحمن (١ - ٤) .
 (٥) جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر القرطبى (١/٥٩) .

المستوى الفردى ،لابد من مراعاتها قبل البدء فيها . وسوف أذكرها بصورة مختصرة لأنها موضوع جانبي ،ثم بالتفصيل الجزئى فى بعض النقاط المهمة ،وذلك ليعطى الموضوع فائدته الجزئية فى الفصل وهى الزراعة وأساسياتها ،لأن المبحث فى الاهتمام بالزراعة وفائدته الكلية للمبحث من حيث النبات وهى كما يلى :

أولا : التربة .

أن الأرض هى المهد الأول والأساسى للنبات ،والأرض ليست على مستوى واحد،فمن أهم خصائص ومميزات أشكال سطح الأرض الارتفاع والانخفاض ،ولهذا تبدو المناطق السهلية أكثر ملاءمة لاستغلالها للزراعة ،لاستقرار الانسان عليها،فى حين أن المرتفعات من جبال وتلال وهضاب ،تقل نسبيا فى أهميتها مقارنة بأراضى السهول ،وتربة السهول على أنواع ،والانتاج الزراعى يعتمد على نوع التربة ومكوناتها وكميتها،وهناك علاقة كبيرة بين المحاصيل ،والتربة أيضا من حيث نوع النبات ،فالقطن مثلا تفضل زراعته فى مناطق التربة السوداء،فى حين تصلح التربة البركانية لنمو كافة المزروعات بسبب خصوبتها، أما محصول القمح فارتبط نموه بتربة الحشائش ،كما اقترنت زراعة البن بتربة المرتفعات .

وأنواع التربة الرملية ،والجيرية ،الحديدية ،المتعادلة ،الملحية وأفضل أنواع التربة للحياة النباتية هى التربة المتعادلة ،وهى تربة وسط بين التربة الجيرية والحديدية ،فهى ليست حمضية مثل التربات الحديدية ،اذ تزيد فيها نسبة الحموضة التى تعيق نمو بعض النباتات وليست قلووية مثل التربة الجيرية ،اذ تزيد فيها نسبة الجير فتزاد فيها

المادة القلوية التي تعيق نمو بعض النبات .

لذلك قبل الزراعة يجب معرفة نوع التربة وأنواع النباتات
(١)
المناسبة لكل تربة .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع للصحابة الأراضي الصالحة
للزراعة ، لزراعتها والانتفاع منها ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف
المزنى عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطع بلال (٢)
ابن الحارث معادن القبلية جلسيها وغوريها ، وحيث يصلح الزرع من قدس ولم
يعطه حق مسلم ، وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن
الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث
المزنى أعطاه معادن القبلية جلسيها وغوريها وحيث يصلح الزرع من قدس
(٦)
ولم يعطه حق مسلم . (٧)

-
- (١) انظر : أسس الجغرافيا المناخية ، د. على البنا (ص ٢٦٨ - ٢٦٩) ،
جغرافية المناخ والنبات ، د. يوسف فايد (ص ٣٠٠ - ٣٠٢) ، الجغرافيا
الزراعية ، نصر الدين (ص ٢٩ - ٣٠) ، الجغرافيا الحيوية ، د. زين
الدين عبدالمقصود (ص ١٠٥ - ١٠٩) ، جغرافية البيئة لمحمود شاكـر
(ص ١٧١ - ١٧٢) ، الأراضي الجافة ، كنيث والطنون (ص ٢٠٩ - ٢١٧) ، الزراعة
الجافة ، د. عبد الله الفخرى (ص ٢٤٨ - ٢٤٩) ، المجلة الزراعية
العدد الأول ، المجلد الرابع عشر (١٤٠٣ - ١٤٠٤ هـ) (ص ٤٩) .
- (٢) أقطع : أى أعطى ، والاقطاع تعيين قطعة من الأرض لغيره .
- (٣) معادن القبلية : محركة مانسز من الأرض بفتح القاف والموحدة ، هــى
ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام .
- (٤) جلسيها : بفتح الجيم وسكون اللام وكسر السين : هى كل ما ارتفع
من الأرض .
- (٥) غوريها : بفتح الغين ما انخفض من الأرض .
- (٦) قدس : بضم القاف وسكون الدال ، الموضع المرتفع الذى يصلح للزراعة .
- (٧) الفتح الربانى للبنا (١٣٨/١٥ - ١٣٩) قال : وفى اسناده كثير بن
عبد الله ، قال الحافظ فى التقريب ضعيف ، ومنهم من كذبه ، وقد أخرج
الرواية البيهقى فى السنن الكبرى (١٤٥/٦) كتابة القطائع فى كتاب
احياء الموات ، وأبوداود فى السنن (١٥٥/٢) باب اقطاع الأرضين فى كتاب
الخراج ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٢٢٨/١١) .

وهذا ما اشترطه الأحناف فى المزارعة لصحة العقد وهو :

(١) أن تكون الأرض صالحة للزراعة ، فلو كانت سبخة أو بها نـز لايجوز العقد .

(٢) أن تكون الأرض معلومة كأن يبين أنه دفع اليه الأرض المحددة بكذا ليعمل فيها مزارعة .

(٣) أن تكون الأرض مسلمة فارغة من كل ما يمنع زرعها . (١)

ثانيا : معرفة طرق الري والصرف .

أن النبات يأخذ غذاءه من العناصر الموجودة فى التربة ولايستطيع أن يمتصها اذا كانت غير مذابة ، ولايذيبها الاالماء ، ويحصل على الماء اما بالأمطار، أو مياه الأنهار والينابيع ، أو الآبار حيث تستخرج المياه الجوفية ، ولكل نبات كمية معينة من الماء أو مايعادلها من الأمطار، بل تختلف هذه الكمية بالنسبة للنبات الواحد بين منطقة وأخرى ، وتكون هذه الكمية فى المناطق الحارة أكثر عنها فى المناطق الباردة ، وذلك لأن المناطق الحارة تتعرض لكثير من التبخر، والرى بواسطة الأنهار أو مياه الأمطار أفضل من المياه الجوفية لأنها تحتوى على نسبة من الأملاح ، والنبات يحتاج الى ماء عذب ، والرى بمياه الأنهار أفضل من الأمطار، حيث يستطيع الانسان أن يتحكم بالكمية الضرورية للنبات ، وخاصة المناطق الجافة التى يكون فيها التبخر عال ، والنتج النباتى بسبب الحرارة ، كما أن الضباب والندى عامل مهم من عوامل الري للنبات بما يسببه من رطوبة ، فلذلك يجب معرفة طرق الري والصرف بما يناسب أنواع النباتات والتربة والمناخ ، فاذا تعرض النبات للصرف بطريق التبخر والنتج ، وقل الري ، تعرض النبات للخطر وتوقف نموه . (٢)

(١) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى (٧/٣) .

(٢) جغرافية البيئات لمحمود شاکر (ص ١٧٠) ، أسس الجغرافيا الحيوية د. زين الدين عبدالمقصود (ص ٨٣ - ٨٥) ، الزراعة الجافة ، د. عبدالله الفخرى (ص ٨١ - ١٠٥) ، الجغرافيا الزراعية ، نصر الدين (٣٢/٣) ، الأراضى الجافة ت : د. على شاهين (ص ٢١٧ - ٢٢٨) .

والأفضل فى عملية الري تكون من الأعلى الى الأسفل ، وذلك حتى يتسنى وصول الماء الى المناطق السفلى بسهولة لأنه اذا كان الري من أسفل الى أعلى يصعب تصعيد الماء الى الأعلى ويكون الري فيه صعوبة عن الري من أعلى الى أسفل ، وهذا ماكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء كان لشركاء فى الماء لعدة أراضى زراعية ، أو كان لفرد وسواء كان الري من الآبار والأنهار والسيول والأودية أو من غيرهما وقد كان الري فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الآبار والأنهار والسيول ، وفى الحديث عن الزهري قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : " اسق يازبير ، ثم أرسل الى جارك ، فغضب الأنصارى ، فقال : يارسول الله : ان كان ابن عمك ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر" فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى سعة له وللأنصارى ، فلما أحفظ الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استوعى للزبير حقه فى صريح الحكم ، قال عروة : قال الزبير : والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) .

-
- (١) شراج : مسایل المياه من الحرار الى السهل .
(٢) الحرة : حجارة سوداء بين جبلين على أرض ملساء .
(٣) فتلون : أى تغيير من الغضب لانتهاك حرمة النبوة وقبح كلام هذا الانسان .
(٤) فاستوعى : استوفى للزبير حقه . أحفظ : أغضب .
(٥) شرح السنة للبغوى (٢٨٣/٨ - ٢٨٤) ، أخرجت الرواية فى صحيح البخارى (٥٨/٦) التفسير سورة النساء ، صحيح مسلم (٤/١٨٣٠ - ١٨٣١) الفضائل باب وجوب اتباعه بغير هذا اللفظ ، سنن النسائى (٨/٢٠٩ - ٢١٠) الفضائل وانظر الفتح الربانى / للبنائى (١٣٤/١٥) .
(٦) سورة النساء (٦٥) .

فقه هذا الحديث :

- (١) أن مياه الأودية والسيول التي لاتملك منابعها ومجاريها على
الاباحة .
- (٢) بيان أن الناس فى الفائدة منها والارتفاق بها فى شرع الله سوا .
- (٣) أن أهل الشرب الأعلى مقدمون على من هو أسفل منهم لسبقهم اليه .
- (٤) أن حق الأعلى أن يسقى زرع حتى يبلغ الكعبين ، ثم ليس له حبس—
عن هو أسفل منه بعد أخذ حاجته منه .
- (٥) ان كان منبع الماء لواحد بأن حفر بئرا فى ملكه ، أو فى موات للملك
(١)
فهو أولى بذلك الماء من غيره .

ثالثا : الحـرث .

حرث الأرض ، وذلك بعزق الأرض وتشقيقتها ، وتهويتها ، ونظافة الأرض من
الأعشاب الضارة ، وتنعيم الطبقة السطحية للتربة وزيادة قدرة احتفاظ
التربة بالماء ، واستعمال آلات الحراثة فى ذلك ، من العازقات الآلية
والمحاريث الآلية ، والجارفات والأمشاط .
(٢)

ومن الوسائل المستعملة للحراثة البقر كما أخبر القرآن بذلك فقال
تعالى : (انها بقرة لاذلول تشير الأرض ولاتسقى الحـرث) (٣)

وان كان فى هذه الآلية نفي الحراثة عنها لأنها لاذلول أى غير مروضة
على العمل ، الا أن هذا فيه اشارة ودليل على استعمال البقر للحراثة
وقد كانت الحراثة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالبقر ، وهو
ما زال الى الآن فى بعض قرى الدول ، وبعض من أنواع الآلات الزراعية القديمة
كالمحراث ، والمعزاق ، والمشط .

(١) انظر شرح السنة للبيغوى (٢٨٦/٨) .

(٢) انظر الزراعة الجافة د. عبد الله الفخرى (ص ١٥٤ - ١٥٥) .

(٣) سورة البقرة (٧١) .

ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " بينما رجل راكب على بقرة التفتت اليه فقالت : لــــم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة . قال آمنت به أنا وأبوبكر وعمر ، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعى ، فقال له الذئب : من لها يوم السبع ، يوم لاراعى لها غيرى ؟ قال : آمنت به أنا وأبوبكر وعمر ، قال أبو سلمة : وماهما يومئذ فى القوم " (١) .

وفى هذا الحديث بيان جواز استعمال البقر للحراثة ، بينما نجد فى حديث آخر يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الاشتغال بآلة الزرع .
عن أبى أمامة الباهلى قال : ورأى سكة وشيئا من آلة الحــــرث فقال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يدخل هذا بيت قوم الأَدْخَلَه الذل " (٢) .

الظاهر من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الاشتغال بالزراعة ، مع أنه فى أحاديث غيرها ومنها ما ذكرتها حث ورغــــب الى الزراعة وبين فضلها ، فظهر من ذلك أن هناك تعارض بين الأحاديث واشكال من حيث الظاهر للنصوص ولكن الجمع بين هذا الحديث والأحاديث السابقة حاصل ولعل ابن حجر أزال هذا الاشكال وهذا التعارض بين الأحاديث فقال :

(١) اما أن يحمل ماورد من الذم على عاقبة ذلك وحمله ما اذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه .

(٢) أن يحمل ما اذا لم يضيع ، لأنه جاوز الحد فيه ، والذى يظهر

أن كلام أبى أمامة محمول على من يتعاطى ذلك بنفسه ، أما من لــــه عمال يعملون له ، وأدخل داره الآلة المذكورة لتحفظ لهم فليس مراداً . (٤)

(١) صحيح البخارى (١٣٦/٣) الحرث والمزارعة باب استعمال البقر للحراثة .

(٢) سكة : بكسر السين هى الحديدة التى تحرث بها الأرض .

(٣) صحيح البخارى (١٣٥/٣) الحرث والمزارعة ، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع .

(٤) فتح البارى لابن حجر (٥/٥) المزارعة .

وقال العيني : ووجه الذل ما يلزم الزرع من حقوق الأرض فيطالبهم السلطان بذلك ، وقيل ان المسلمين اذا أقبلوا على الزراعة شغلوا
(١)
عن العدو وفي ترك الجهاد نوع من الذل .

قلت : هذا صواب ومنه الحديث ماجاء عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" جعل رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجة رماحها ، ما لم يزرعوا
(٢) (٣)
فاذا زرعوا كانوا من الناس " .
(٤)

وربما كان المقصود عدم المغالاة في ذلك و لابتعاد عن ذكر الله
(٥)
كما روى عن المغيرة بن سعد بن الأخرم عن أبيه قال : سمعت عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتتخذوا الضيعة فترغبوا
(٦)
في الدنيا "

والضيعة : هي البستان ، والقريبة ، والمزرعة ، وفي النهاية :

الضيعة : في الأصل المرة من الضياع ، وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه
كالصناعة والتجارة والزراعة .

وقال في القاموس : الضيعة العقار والأرض المغلة ، والمراد النهى
عن الاشتغال بها وبأمثالها مما يكون مانعا عن القيام بعبادة المولى
وعن التوجه كما ينبغى الى أمور العقبي .

وقال الطيبي : المعنى لاتتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن (٧)
ذكر الله . قال تعالى :

-
- (١) عمدة القارى للعيني (١٥٧/١٢) .
 - (٢) سنابك خيلها : طرف حافر الخيل .
 - (٣) أزجة رماحها : النصل .
 - (٤) كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ٨٧) ، لم يبين من خرج ولم أقف عليه .
 - (٥) عبد الله : هو عبد الله بن مسعود ، ذكره في تحفة الأحوذى (٦٢١/٦) .
 - (٦) كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ٨٧) . أخرجه الترمذى في السنن
(٣٨٦/٣) في أبواب الزهد باب ماجاء في هم الدنيا ، وقال : هذا
حديث حسن . وذكره الحميدى في مسنده (٦٧/١) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .
 - (٧) تحفة الأحوذى للمباركفورى (٦٢١/٦) ، مسند الحميدى (٦٧/١) الهامش .

- (١)
• (رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله)
أو ربما أراد صلى الله عليه وسلم بقوله : (الذل) على أصل المهين
عند البشر، فالزراعة ليست كالصناعة والتجارة عند الناس، فتعتبر أدنى
درجة من غيرها من المهن، فأصحاب التجارة والصناعة أعلى وأرفع قسداً
عند بعضهم، والزرع أقل شأنًا عندهم، فيكون هذا من باب الذل لهم .
(٢)
• لذلك الزراعة لايقوم بها أحد من أهل الحضرة أو المترفين .

(١) سورة النور (٣٧) . تحفة الأحوذى/المباركفوري(٦/٦٢١)، مسند الحميدى(١/٦٧)

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون (ص ٣٩٤) .

رابعاً : مصدات الرياح وأهميتها لحماية المزروعات .

ان للرياح أثر مهم فى حياة النبات كما بينتها سابقا، وذلك بما تؤديه من دور بناء فى تكوين الغطاء النباتى، وتعمل كعامل انتشار حيث تسهم فى نقل بذور النباتات وحبوب اللقاح، وتعمل على انتشارها فى مساحات أوسع مما يزيد من فرص نمو النبات فى أكبر مساحة ممكنة . مع هذا كله الا أنها لها أثر سىء على النبات، وتعتبر عامل تدمير للنباتات وذلك أن الرياح تحمل حبيبات من الرمل تعمل على تهتك أنسجة النباتات النامية، وتدمير واقتلاع الكثير من الأشجار ذات الجذور غير العميقة بل ان النباتات التى قد لايزيد طولها عن بضعة بوصات فوق سطح الأرض يصيبها التدمير أثناء هبوب الرياح، وتقوم بتعرية جذور النباتات وتكسير سوق الأشجار، ونثر حبوب النباتات قبل حصادها، وهبوب الرياح الحارة والجافة فى فصل الصيف تعمل على رفع معدل النتح والتبخر من النباتات، وبالتالي ترفع الاحتياج المائى للنباتات، وفى فصل الشتاء هناك خطر تأثير الصقيع على النباتات عند هبوط الرياح الباردة ومدق القوى القادر اذ قال وقوله الحق والصدق : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) (١) .

وللأسباب التى ذكرت، لابد من وضع حاجز صناعى، لمقاومة تأثير الرياح على النباتات والمزروعات على أن يكون ذلك الحاجز فى وضع متعامد مع اتجاه الرياح، وتكون من شبك صناعى، والأفضل أن تكون مصدات حية، وذلك مثل غرس الأشجار الكبيرة على حافة الأرض الزراعيّة وأطرافها، وأفضل المصدات الحية من النبات هى النخيل وبينها شجر مثل شجر الرمان، ومن مميزات المصدات الحية أنه يمكن الاستفادة من محصولاتها وبذلك تخدم غرضين للمزارع تحمى النباتات الصغيرة من شدة الرياح، وتكون هى بذاتها نباتات مثمرة، وقد نبه القرآن الكريم

(١) سورة الروم (٥١) .

الانسان الى ذلك ، وجعل من وظائف النخلة التى تؤديها للانسان أن تكون مصدات للرياح ، ولحماية الأشجار والنباتات منها ، ومن الصقيع حيث ، قال تعالى : (وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا)^(١) .

ويجب أن تكون المصدات الصناعية من الحديد والخشب بصورة متعامدة وأن تكون بين الشبابيك فتحات وأن يكون ارتفاعه فى حدود ثلاث أمتار^(٢) .

خامسا : البذور .

البذرة هى الجنين الحى للنبات ، وعند زراعة هذه البذور لابد أن تكون بذور نقية من غيرها من البذور ، مثلا لا تكون بذور الحبوب مع بذور الفواكه ، وكذلك بذور الحبوب لابد أن تفصل عن بعضها ، القمح عن الشعير ، والشعير عن الدخن ، والدخن عن الذرة ، لأنها هى التى تحدد نوع المطلوب من النبات ، وأن تكون سليمة من الفساد ، خالية من العفن والمرض ، وأن تكون متجانسة الحجم والحيوية ، وتوضع البذور فى الأرض على حسب نوع التربة والنباتات ، فمثلا فى التربة الطينية الثقيلة يجب أن يكون عمق البذار قليلا لتتمكن البادرة من اختراقها والمصيرى الى سطح التربة ، وبالنسبة للتربة الرملية ، يجب أن تكون أعمق حتى لايسهل اقتلاع الجذور لأى عارض ما أو ظهورها على سطح الأرض عند السرى أو الرياح .

أما حجم البذرة ، فان الكبيرة توضع على عمق أكثر من البذرة الصغيرة وذلك لتتمكن البادرة من الظهور على سطح التربة بأسرع فترة ، فمثلا حبة الحمص تزرع على بعد أعمق من حبة العدس والفاول ، وبذرة الخسوخ

(١) سورة الكهف (٣٢) .

(٢) انظر أسس الجغرافيا الحيوية ، د. زين الدين عبدالمقصود (ص ٩١ - ٩٢) أسس الجغرافيا المناخية والنباتية ، د. على البنا (ص ٢٦٠) ط ١٩٧٠م دار النهضة ، جغرافية المناخ والنبات ، د. يوسف فايد (ص ٢٩٩ - ٣٠٠) ط ١٩٧١م ، المجلة الزراعية ، العدد الثانى ، المجلد الرابع عشر ١٤٠٣هـ (ص ٤٥ - ٤٦) .

(١)

والمشمش، تزرع على بعد أعـمق من بذرة الحمص وهكذا .

والبذور تلعب دوراً مهماً في الزراعة، حيث لا يمكن زراعة أي نوع ابتداءً إلا عن طريق البذور، وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى بأن كل نبات لابد له من بذر حيث قال تعالى : (لنخرج به حبا ونباتا، ونباتات الفافا) (٢)

وحسبى في بيان ذلك مقاله الشيخ الشعراوي في تبين وتفسير هذه الآية، قال فضيلته : (انظر الدقة : حب ونبات، وجنات، دقة في التعبير لا يمكن أن يقولها، إلا خالف، أولاً : النبات والجنات الألفاف لازم لها ممن جراثيم بذرية لكي تطلع منها، فيبقى الحب، هذا هو الأصل ان كنت أنت ترى شيئاً ليس له حب، فهو في الأصل جاء من حب، اذا فكل شيء له ببذرة ان كنا نحن نزرع الآن بأشياء من غير بذر، يعنى نأخذ منها عقل أو فساءل ونغرسها فلزم يكون أصلها بذرة) (٣)

والاسلام دائم يربط الانسان بالله عز وجل في كل أحواله وتصرفاته حتى في أعماله الدنيوية التي فيها ملذاته وشهواته فكيف بالتى فيها قوام حياته، وهو الطعام، والطعام من النباتات، والنباتات لاتتهيأ للإنسان طعاماً وغذاءً ودواءً وغيره من فوائدها إلا بالغرس والزرع، وعلى الانسان عند غرسه وزرعه، وبذر البذور في الأرض أن يذكر الله عز وجل قال القرطبي :

والمستحب لكل من يلقى البذور في الأرض، أن يذكر الله عز وجل وذلك بأن يقرأ بعد الاستعاذة " أفرايتم ماتحـرثون" الآية ثم يقول : بـسـلـه الله الزارع والمنبت والمبلغ، اللهم صلى على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه

(١) انظر الزراعة الجافة د. عبدالله الفخرى (ص ٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٢) سورة النبأ (١٥ - ١٦) .

(٣) تفسير سورة النبأ، محمد متولى الشعراوي (ص ٦٧) .

يارب العالمين ،ويقال : ان هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات
الدود والجراد وغير ذلك ،سمعناه من ثقة وجرب فوجد ذلك ^(١) .

وهذا مايشهد له هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ،فى أن من عمل
عملا يبدأه بحمد الله ،عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " كل أمر ذى بال ،لايبدأ فيه بحمد الله فهو ^(٢)
أقطع " ^(٣) ^(٤) .

ومع حمد الله وذكره تكون نهاية مطاف ماهية الزراعة ،وربما
يعترض قارىء أو يقول قائل ،أننى أطلت البحث فى ذلك وليس فى الموضوع
بذات أهمية ،أقول وبالله التوفيق :

ربما أطلت البحث فى ماهية الزراعة ولكننى لم أذكر الا قطرة من
بحر وقد ذكرت ذلك وتكلمت فيه بصورة شبه مفصلة وهى مختصرة لأن المبحث
الذى يصدده هو العناية بالنبات زراعة وهو فى الفصل الأول (العناية
بالنبات) من الباب الرابع (الحقوق المتعلقة بالنبات) وماذكرته
هو من الحقوق المتعلقة بالنبات التى منها الاهتمام بالنبات زراعية
لما لها فى الموضوع من أهمية وترتبط بالنبات ارتباطا وثيقا
وذلك حيث أنه لايمكن الحصول على النبات الا عن طريق الزراعة ،ولايمكن
الحصول على نباتات جيدة كما وكيفا الا بالاهتمام بالزراعة والعناية
بها ومعرفة طرقها وأساليبها واحتياجاتها وامكانياتها ،فاذا حصل كل

(١) تفسير القرطبي (١٣٧٧/٧) . قال القرطبي : سمعناه من ثقة وجرب
فوجد كذلك .

(٢) ذى بال : مهتم به ومعتنى به .

(٣) أقطع : مقطوع البركة ،وفى رواية أبوداود (أجزم) والجذم المنقطع
الأبتر . انظر معالم السنن للخطابى (١٨٩/٧) .

(٤) المقاصد الحسنة للسخاوى ، تصحيح عبدالله الصديق ، عبدالوهاب
عبداللطيف (ص ٣٢٢) ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، دار الكتب العلمية .

أخرج الحديث ابن ماجه فى السنن (٦١٠/١) كتاب النكاح ، باب
خطبة النكاح ، قال البوصرى قال السندي : الحديث حسنه ابن الصلاح
والنووى ، وأخرجه أبوداود فى السنن (٥٦٠/٢) كتاب الأدب باب
الهدى فى الكلام بلفظ مختلف قال أبوداود وروى عن الزهرى مرسلا
صحيح ابن حبان (١٦٣/١) وفى سنده مقال ، سنن الدارقطنى (٨٤/١) .

ذلك وتوفر، كان الحصول على نباتات جيدة ذات قيمة عالية وفوائد عظيمة
ترجع بذلك كله على الانسان، وهذا نتيجة جهده وتعبه وكده، فاذا أعطى
النبات اهتماما بالزراعة أعطاه النبات الثمرة الجيدة الناضجة .
وفي هذا أيضا هدفا أسمى وهو تشجيع القارئ المسلم على الاهتمام
بالزراعة ومعرفة وسائلها وطرقها وأساليبها والاهتمام بالتشجير والنبات
والله من وراء القصد .

أحكام المزارعة :

بعد معرفة أساليب الزراعة وطرقها، واهتمام الاسلام بذلك، وتعريف الزراعة والمزارعة التي يقصد بها أن من كانت له أرض لا يستطيع زراعتها يدفعها الى غيره يزرعها على ما سبق بيانه . الآن الفقهاء يعتبرون مفاعلة بين صاحب الأرض والعامل والمشهور أن مصدر المفاعلة لا يقيس الابين اثنين كالمشاركة والمضاربة، فان الاشتراك وهو المصدر الذى أخذت منه المشاركة .

وقد يستعمل مصدر المفاعلة فى فعل واحد فيقال ان المفاعلة ليست على بابها، فهل الزرع الذى هو مصدر المزارعة مستعمل فى فعل العامل الذى يزرع الأرض فقط فتكون المفاعلة ليست على بابها ؟ أو هو مستعمل فى فعل العامل وفعل المالك فتكون المفاعلة على بابها ؟

والجواب : أنه يصح استعماله فى الأمرين ، وذلك لأن الزرع مسبب

عن شيئين :

أحدهما : فعل العامل وهو الحرث والبذر والسقى ونحو ذلك .

وثانيهما : فعل المالك وهو تمكين العامل الأرض والآلات التى يزرع

بها فالزرع واقع بسبب الاثنين .

فالمفاعلة على بابها ، فاذا قطع النظر عن فعل المالك لظهور نسبة

الزرع الى العامل المباشر كانت المفاعلة على غير بابها ، وبعضهم

يقول انه لا يصح قطع النظر عن فعل المالك البتة ، لأن مصدر المفاعلة

يجب أن يكون بين اثنين ، الا فى أمور مقصورة على السماع ، كسافر

وجاوز، وواعد، فان مصدر هذه الأفعال مستعمل فى فعل الواحد سماعاً فلا

(١)

يجوز قياس غيرها عليها .

ويترتب على معنى المزارعة : المشاركة بين العامل وصاحب

الأرض أحكام سوف أذكرها بما كان عليها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى (٢/٣) ط ٦ ، احياء التراث

وسوف أذكر ذلك مختصراً مجملاً على ماوقف عليه العلماء من أحكامها :
 فبعد الاطلاع والاستقراء في كتب الحديث والفقهاء وجدت أن هناك خلاف
 واسع في أحكام المزارعة لاختلاف الروايات فيها، ولقد أجمع جمهور العلماء
 من المحدثين وبعض الفقهاء على جوازها، وخالف في ذلك أئمة الفقهاء

-
- (١) فتح الباري لابن حجر (١١/٥ - ١٣) .
 • عمدة القارى للعيني (١٦٧/١٢ - ١٦٨) .
 • هدى السارى للقسطلانى (١٧٨/٤ - ١٧٩) .
 • صحيح مسلم بشرح النووى (١٩٨/١٠ - ٢١٠) .
 • نيل الأوطار للشوكانى (٧/٦ - ١٦) .
 • عارضة الأحوذى لابن العربى (١٥٣/٦ - ١٥٥) .
 • تحفة الأحوذى للمباركفورى (٦٣٧/٤ - ٦٤١) .
 • عون المعبود شرح سنن أبى داود أبو الطيب العظيم للآبادى (٢٤٦/٩ - ٢٦٦) .
 • موطأ مالك (ص ٤٩٤ - ٤٩٩) .
 • الفتح الربانى للبنا (١١٤/١٥ - ١٢١) .
 • نصب الراية للزيلعى (١٨٠/٤ - ١٨١) .
 • مشكل الآثار للطحاوى (٢٨٢/٣ - ٢٩٣) .
 • تلخيص الحبير لابن حجر (٩٨/٣) .
 • السنن الكبرى للبيهقى (١٢٨/٦ - ١٣٥) .
 • شرح السنة للبقوى (٢٥٣/٨ - ٢٥٤) .
 • محمد بن عبد الوهاب (٤١٧/٣ - ٤٢٥) قسم الحديث .
 (٢) تبیین الحقائق للزيلعى (٢٧٨/٥) ط ٢، دار المعارف، بيروت .
 • حاشية الشلبى على شرح الزيلعى (٢٧٨/٥) على هامش تبیین الحقائق .
 • حاشية الباجورى على شرح ابن القاسم الغزى (٥٧/٢ - ٦٠) دار المعرفة .
 المختار فى شرح غاية الاختصار لابن قاسم الغزى (٥٧/٢ - ٦٠) على
 هامش حاشية الباجورى .
 • غاية الاختصار، أحمد الأصفهانى المشهور بأبى الطيب (٥٧/٢ - ٦٠) .
 • كشاف القناع على متن الاقناع للبهوتى (٥٣٢/٢ - ٥٣٩) .
 • كتاب الكافى للقرطبى (٧٦٢/٢) .
 • موسوعة فقه عبد الله بن مسعود (ص ٥٢٨ - ٥٢٩) .
 • موسوعة الاجماع فى الفقه الاسلامى لسعدى أبو جيب (٩٩٦/٢) .
 • المحرر فى الفقه لمجد الدين البركاتى (٣٥٤/١ - ٣٥٥) ط ١٣٦٩ هـ .
 • مطبعة السنة المحمدية .
 • الفقه الميسر لأحمد عاشور (ص ٢٤٤) ط ٤، ١٣٩٨ هـ مكتبة الاعتصام .
 • محمد بن عبد الوهاب، لعبد العزيز الرومى وغيره (٥٦٣/١ - ٥٦٤) القسم
 الثانى من الفقه .
 • الفقه على المذاهب الأربعة (٢/٣ - ٢٠) .
 • المقنع لابن قدامة (١٩١/٢ - ١٩٤) .

أبوحنيفة والشافعي ، ومالك ولكل منهم حجة ، وجوزها الشافعي تبعاً للمساقاة وقال مالك : لاتجوز المزارعة لاتبعها ولا منفردة الا ماكان ممن الأرض قليلا بين الشجر ، وقال أبوحنيفة وزفر : المزارعة والمساقاة فاسدتان سواهما جميعا أو فرقهما (١) .

ولكن الأرجح والأصح هو جوازها لما تضافرت عليه الأدلة من الجواز وما عليه المسلمون في جميع الأمصار والأزمان بالاستمرار على العموم بالمزارعة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الوقت الحاضر ، ولم ينكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة رضوان الله عليهم وسوف أبين أدلة كل فريق وحجتهم في الجواز وعدم الجواز .

أولا : المبطلين للمزارعة :

(١) آثار حجة المبطلين للمزارعة :

عن جابر رضي الله عنه قال كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو ليعطيها فان لم يفعل فليمسك أرضه - وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو ليعطيها أخاه فان أبي فليمسك أرضه " (٢) .

عن جابر بن عبد الله يقول : كنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث والربع بالماديانات (٣) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال "من كانت له أرض فليزرعها فان لم يزرعها فليعطيها أخاه فان لم يعطيها أخاه فليمسكها " (٤) .

-
- (١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٠/١٠) .
 (٢) صحيح البخاري (١٤١/٣) كتاب المزارعة ، باب ماكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
 (٣) الماديانات : هي مسايل المياه أو ماينبت على حافتى مسيل الماء ، وقيل ماينبت حول السواقي وهي لفظه معربه وليست عربيه . انظر هامش صحيح مسلم (١١٧٧/٣) .
 (٤) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) كتاب البيوع باب كراء الأرض .

" عن جابر قال كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب من القصرى ومن كذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو فليحرقها أخاه وإلا فليدعها " (١) .

عن رافع بن خديج قال : كنا نحاول الأرض في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكريها بالثلث والربيع والطعام المسمى فجاءنا ذات يوم رجل من عمومتى ، فقال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا . نهانا أن نحاول بالأرض فنكريها على الثلث والربيع والطعام المسمى ، وأمر رب الأرض أن يزرعها أو يزرعها ، وكره كراؤها وماسوى ذلك (٢) .

عن رافع ، أن ظهير بن رافع (وهو عمه) قال : أتاني ظهير فقال : لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقاً . فقلت : وماذا ؟ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، قال سألتنى كيف تصنعون بمحاقلكم ؟ فقلت : نؤاجرها ، يارسول الله ! على الربيع أو الأوسق من التمر أو الشعير قال " فلا تفعلوا . ازرعوها . أو أزرعوها . أو أمسكوها (٣) .

عن أبى النجاش مولى رافع بن خديج سمعت رافع بن خديج ابن رافع عن عمه ظهير بن رافع قال ظهير لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقاً ، قلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماتصنعون بمحاقلكم ، قلت نؤاجرها على الربيع ، وعلى الأوسق من التمر والشعير ، قال لا تفعلوا ازرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها ، قال رافع قلت سمعا وطاعة (٤) .

-
- (١) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) كتاب البيوع ، باب كراة الأرض .
 (٢) صحيح مسلم (١١٨١/٣) كتاب البيوع ، باب كراة الأرض بالطعام .
 (٣) صحيح مسلم (١١٨٢/٣) كتاب البيوع ، باب كراة الأرض بالطعام .
 (٤) صحيح البخارى (١٤١/٣) كتاب المزارعة ، باب ماكان من أصحاب النبى يواسى بعضهم بعضا .

" عن حنظلة بن قيس عن رافع بن خديج قال حدثني عماى أنهم كانوا يكرون الأرض على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما يثبت على الأربعاء أو بشيء يستثنيه صاحب الأرض فمنه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقلت لرافع فكيف هى بالدنانير والدرهم فقال رافع ليس بها بأس بالدنانير والدرهم " (١) .

" عن حنظلة بن قيس الأنصارى قال سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال لا بأس به إنما كان الناس يؤاجرون على عهد النبى صلى الله عليه وسلم على الماذيانات وأقبال الجداول وأشياء^(٢) من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويهلك هذا فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما بشيء معلوم مضمون فلا بأس به " (٣)

(٢) حجة المبطلين للمزارعة :

- (١) أن المزارعة منسوخة بالنهى عن كراء الأراضى بما يخرج منها .
- (٢) أنها اجارة مجهولة لأنه قد لا يخرج الأرض شيئاً أو معدومة .
- (٣) أن معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل خيبر لم يكن بطريق المزارعة والمساقاة، بل كانت بطريق خراج المقاسمة على وجه المن عليهم والصلح، لأنها ملكت بالاغتنام، والقوم صاروا عبيداً فالأموال كلها للرسول صلى الله عليه وسلم، والذي جعل لهم منها بعض ماله لينتفعوا به، لاعلى أنه حقيقة المعاملة .
- (٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين لهم المدة ولو كانت مزارعة لبينها لهم، لأن المزارعة لا تجوز إلا ببيان المدة . (٤)

- (١) صحيح البخارى (١٤٢/٣) المزارعة . باب كراء الأرض بالذهب .
- (٢) أقبال الجداول : أوائل ورووس النهر الصغير كالمساقية .
- (٣) صحيح مسلم (١١٨٣/٣) كتاب البيوع . باب كراء الأرض بالذهب والفضة .
- (٤) انظر عمدة القارى للعيني (١٦٨/١٢) المزارعة ، هدى السارى للقسطلانى (١٨٠/٤) المزارعة ، نيل الاوطار للشوكانى (١٠/٦) ، تبیین الحقائق للزيلعى (٢٧٨/٥) ، حاشيه الشلبى (٢٧٨/٥) .

(٥) قال ابن حجر : وأجاب بعضهم عن قصة خيبر بأنها فتحت صلحاً وأقروا على الأرض ملكهم بشرط أن يعطوا نصف الثمرة ، فكان ذلك يؤخذ بحق الجزية ، فلا يدل على جواز المساقاة والمزارعة .^(١)

ثانياً : المجوزين للمزارعة .

(١) آثار حجة المجوزين للمزارعة وحمل النهي على كراهة التنزيه :

" عن عمرو أن مجاهداً قال لطاوس انطلق بنا الى ابن رافع بن خديج فأسمع منه ! الحديث عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فانتهره وقال انى والله لو أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنى ما فعلته ولكن حدثنى من هو أعلم به منهم يعنى ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خير له من أن يأخذ^(٢) عليها خرماً معلوماً " .

" عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول ما كنا نكره المزارعة حتى سمعت رافع بن خديج يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزارعة وعن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينها عن المزارعة وقال لأن يمنح أحدكم أخاه أرضه خير له من أن يأخذ شيئاً معلوماً " .^(٣)

" عن ابن عباس أنه لما سمع أكثر الناس فى كراهة الأرض قال سبحان الله إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامتنعوا من أخاه ولم ينها عن كراهة^(٤) " .

-
- (١) فتح البارى (١٣/٥) المزارعة .
 (٢) صحيح مسلم (١١٨٤/٣) كتاب البيوع ، باب الأرض تمنع .
 (٣) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) المزارعة .
 (٤) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) المزارعة .

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة
ولكن أمر أن يرفق الناس بعضهم من بعضهم (١) .

ورواية ابن عباس في صحيح مسلم قوله ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم ينهى عنها ، انما قال : " يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ
عليها خرجا معلوما " (٢) .

عن زيد بن ثابت أنه قال يغفر الله لرافع بن خديج أنا والله
كنت أعلم بالحديث منه انما أتى رجلان من الأنصار الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اقتتلا فقال ان كان هذا شأنكم فلا تتركوا المزارع فسمع
قوله لا تتركوا المزارع " (٣) .

" عن ابن عمر أنه كان يكرى أرضه فأخبر بحديث رافع بن خديج
فأتاه فسأله عنه فأخبره فقال ابن عمر قد علمت أن أهل الأرض قد كانوا
يعطون أراضيهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويشترط صاحب الأرض لى
العاديانات وما يسقى الربيع ويشترط من الجرين نمييا معلوما قال وكذا
ابن عمر يظن أن النهى لما كانوا يشترطون " (٤) .

عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم في المزارعة
أن أحدهم كان يشترط ثلاثة جداول والقصاراة وما سقى الربيع فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك " (٥) .

-
- (١) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٤/٦) كتاب المزارعة .
 - (٢) صحيح مسلم (١١٨٤/٣) كتاب البيوع ، باب الأرض تمنح .
 - (٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٤/٦) كتاب المزارعة ، سنن أبي داود
(٢٣١/٢) كتاب البيوع ، باب في المزارعة .
 - (٤) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥/٦) المزارعة .
العاديانات : ما ينبت على حافتى مسيل الماء .
الربيع : الساقية والنهر الصغير .
الجرين : هو موضع تجفيف الثمر .
 - (٥) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥/٦) كتاب المزارعة .
اقبال الجداول : جمع جدول وهو النهر الصغير كالساقية . وأقبال :
أوائل أوائل ورؤس النهر الصغير كالساقية .
القصرى أو القصاراة : ما بقى من الحب في السنبل بعد الدياس .
انظر هامش صحيح مسلم (١١٧٧/٣ - ١١٨٢ - ١١٨٣) .

(٢) حجة المجوزين للمزارعة من المحدثين والفقهاء :

حسبى من العناء بالفوص فيها ماذكره الامام الخطابي وابن القيم
وحجة الامام أحمد بالتفصيل .

(١) قال الامام الخطابي :

فالمزارعة على النصف والثلث والربع ، وعلى ما تراضى به الشريكان
جائزة ، اذا كانت الحصص معلومة ، والشروط الفاسدة معدومة ، وهى عميل
المسلمين من بلدان الاسلام واقطار الأرض شرقها وغربها ، لا أعلم أنى رأيت
أو سمعت أهل بلد أو صقع من نواحي الأرض التى يسكنها المسلمون يبطلون
العمل بها .

وخبر رافع بن خديج من هذا الطريق خبر مجمل ، تفسره الأخبار التى
رويت عن رافع بن خديج ، وعن غيره من طرق أخرى ، وقد عقل ابن عباس رضى
الله عنه معنى الخبر ، وأن ليس المراد به تحريم المزارعة ما تخرجها
الأرض ، وإنما أريد بذلك : أن يئتمنحوا أراضيهم ، وأن يرفق بعضهم
بعضاً .

عن عمر بن دينار عن عبد الله بن عمر قال : " ما كنا نرى
بالمزارعة بأساً ، حتى سمعت رافع بن خديج يقول :

" ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، فذكرته لطاوس فقال
قال لى ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينها عنها
ولكن قال : لأن يمنح أحدكم أرضه خير من أن يأخذ عليها خراجاً معلوماً " .^(١)

وإنما صار من جوزها الى ظاهر الحديث من رواية رافع بن خديج
ولم يقفوا على علتة ، وقد أعلم رافع فى حديث حنظلة بن قيس الأنصاري
قال : " سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق ؟ فقال :

(١) مختصر سنن أبى داود للمنذرى (٥٣/٥ - ٥٤) المزارعة ، تحقيق : حامد
اللقى ١٣٦٨هـ ، مطبعة السنة المحمدية ، سنن أبى داود (٢٣١/٢) كتاب
البيوع باب فى المزارعة ، وقد تقدمت الرواية عند مسلم .

لابأس بها، وانما كان الناس يؤجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على الماذيانات، واقبال الجداول، وأشياء من الزرع، فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا، ويهلك هذا، ولم يكن للناس كراء الا هذا فلذلك زجر عنه، فأما بشيء معلوم فلا بأس به " .

ان النهى عنه هو المجهول منه دون المعلوم، وأنه كان من عادتهم أن يشترطوا شروطا فاسدة، وأن يستثنوا من الزرع ما على السواقي والجداول، فيكون خاصا لرب المال، والمزارعة شركة، وحصه الشريك لا يجوز أن تكون مجهولة، وقد يسلم ما على السواقي، ويهلك سائر الزرع، فيبقى المزارع لاشيء له، وهذا غرر، وخطر، وإذا اشترط رب المال على المضارب دراهم لنفسه زيادة على حصه الربح المعلوم فسدت المضاربة، وهذا وذاك سواء، وأصل المضاربة في السنة : المزارعة والمساقاة، فكيف يجوز أن يصح الفرع ويبطل الأصل (١) .

(٢) حجة الامام ابن القيم رحمه الله :

(١) أحاديث المزارعة متفق عليها وذهب اليها من أبطل المزارعة من الفقهاء، وأما الذين صححوها فهم فقهاء الحديث كالامام أحمد والبخارى، واسحاق والليث بن سعد، وابن خزيمة، وابن المنذر وأبي داود، وهو قول أبي يوسف ومحمد، وهو قول عمر بن عبدالعزيز والقاسم بن محمد، وعروة، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب، وطاوس وعبدالرحمن بن الأسود، وموسى بن طلحة، والزهرى، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن عبدالرحمن، ومعاذ العنبري، وهو قول الحسن وعبدالرحمن بن يزيد .

(٢) قال البخارى في صحيحه : قال قيس بن مسلم عن أبي جعفر (ما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزرعون على الثلث والربح) (٣) .

-
- (١) معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (٥٤/٥ - ٥٦) هامش مختصر سنن أبي داود .
- (٢) صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة . باب المزارعة بالشرط .
- (٣) صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة . أخرجه البخارى معلقا في كتاب الحرث والمزارعة باب المزارعة بالشرط ونحوه (١١/٥) فتوح البارى ، وأشار الحافظ ابن حجر الى أن عبدالرزاق قد وصله .

(٣) وقال البخارى : وزارع على ، وسعيد بن مالك ، وعبدالله بن مسعود وعمر بن عبدالعزيز ، والقاسم ، وعروة ، وآل أبي بكر ، وآل عمير وآل على ، وابن سيرين ، وعامل عمر الناس على " أنه ان جاء عمير بالبذر من عنده فله الشطر، وان جاءوا هم بالبذر فلهم كذا" (١) .

(٤) وقال الحسن : لا بأس أن تكون الأرض لأحدهما ، فينفقان جميعا، فما يخرج فهو بينهما، ورأى ذلك الزهري . وحجتهم : " معاملة النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وهـذا متفق عليه بين الأمة" (٢) .

(٥) قال أبو جعفر : " عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ، ثم أبو بكر، ثم عمر ، ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أهلهم الى اليوم يعطون الثلث والربع " .

وهذا أمر صحيح مشهور، قد عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ثم خلفاؤه الراشدون من بعده حتى ماتوا، ثم أهلهم من بعدهم ولم يبق بالمدينة أهل بيت حتى عملوا به ، وعمل به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده ، ومثل هذا يستحيل أن يكون منسوخا، لاستمرار العمل به عن النبي صلى الله عليه وسلم الى أن قبضه الله عز وجل وكذلك استمرار عمل خلفائه الراشدين به ، فنسخ هذا من أمحل المحال .

وأما أحاديث رافع بن خديج : فجوابه من وجوه :

أحدها : أنه حديث فى غاية الاضطراب والتلون .

(٣)

قال الامام أحمد : حديث رافع بن خديج ألوان ضروب .

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة . باب المزارعة بالشطر .
 (٢) صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة . باب المزارعة بالشطر .
 (٣) ألوان ضروب : أراد أن اختلاف الروايات عنه يوهن حديثه ويضعفه بالعمل به . انظر شرح منتهى الارادات للبهوتى (٣٤٣/٢) .

الثانى : أن الصحابة أنكروه على رافع ، قال زيد بن ثابت : وقد حكى له حديث رافع : " أنا أعلم بذلك منه ، وإنما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين اقتتلا ، فقال : ان كان هذا شأنكم فلا تكروا المزارع " (١) .
وفى البخارى : عن عمرو بن دينار قال : قلت لطاوس : " لو تركت المخابرة ، فإنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . قال : أى حرو انى أعطيتهم وأعينهم وإن أعلمهم - يعنى ابن عباس - أخبرنى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عنه ، ولكن قال : " أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما " (٢) .

فان قيل : ان كان قد أنكروه بعض الصحابة عليه ، فقد أقره ابن عمر ورجح اليه ؟

فالجواب :

أولا : أن ابن عمر رضى الله عنهما لم يحرم المزارعة ، ولم يذهب الى حديث رافع ، وإنما كان شديد الورع ، فلما بلغه حديث رافع خشى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث فى المزارعة شيئا لم يكن علمه فتركها لذلك .

الثانى : وقد جاء هذا مصرحا به فى الصحيحين : " أن ابن عمر انما تركها لذلك ، ولم يحرمها على الناس " .

الثالث : أن فى بعض ألفاظ حديث رافع ما لا يقول به أحد ، وهو النهى عن كراء المزارع على الاطلاق .

ومعلوم : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن كرائها مطلقا فدل على أنه غير محفوظ .

الرابع : أنه تارة يحدث عن بعض عمومته ، وتارة عن سماعه ، وتارة عن رافع بن ظهير ، مع اضطراب ألفاظه .

(١) سنن أبى داود (٢٣١/٢) . كتاب البيوع ، باب فى المزارعة .
(٢) صحيح البخارى (١٣٨/٣) كتاب المزارعة . باب حدثنا على

" فمرة يقول نهى عن الجعل " (١) . ومرة يقول : " نهى عن كراء الأرض " (٢) .
ومرة يقول : " لا يكاريتها بثلت ، ولأربع ، ولأطعام مسمى " (٣) كما تقدم ذكره
الفاظه .

وإذا كان شأن الحديث هكذا وجب تركه والرجوع الى المستفيض
المعلوم من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده
رضى الله عنهم أجمعين ، الذى لم يضطرب ، ولم يختلف .

الخامس : أن من تأمل حديث رافع ، وجمع طرقه ، واعتبر بعضها
ببعض ، وحمل مجملها على مفسرها ، ومطلقها على مقيدها : علم أن الذى
نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك أمر بين الفساد ، وهـ
المزارعة الظالمة الجائرة ، فإنه قال : " كنا نكرى الأرض على أن لنا
هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت ذه ، ولم تخرج ذه " (٤) ، وفى لفظ له : " كان
الناس يؤجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على المأذيات
واقبال الجداول ، وأشياء من الزرع " (٥) وقوله : " ولم يكن للناس كراء
الاهذا ، فلذلك زجر عنه ، وما بشيء معلوم مضمون فلا بأس " .

وهذا من أبين ما فى حديث رافع وأصح ، وما فيها من مجمل أو مطلق
أو مختصر ، فيحمل على هذا المفسر المبين المتفق عليه لفظا وحكما .

قال الليث بن سعد : الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر إذا نظر اليه ذو البصيرة بالحلال والحرام ، علم أنه لا يجوز وقـ
ابن المنذر : قد جاءت الأخبار عن رافع بعلة تدل على أن النهى كان لتلك
العلل فلاتعارض اذن بين حديث رافع وأحاديث الجواز بوجه .

السادس : أنه لو قدر معارضة حديث رافع لأحاديث الجواز ، وامتنع
الجمع بينهما لكان منسوخا قطعا بلاريب ، لأنه لا بد من نسخ أحد الخبرين

-
- (١) سنن أبى داود (٢٣١/٢) كتاب البيوع باب فى المزارعه .
 - (٢) سنن أبى داود (٢٣٢/٢) كتاب البيوع باب فى التشديد فى ذلك .
 - (٣) سنن أبى داود (٢٣٣/٢) كتاب البيوع باب فى التشديد فى ذلك .
 - (٤) صحيح البخارى (١٣٨/٣) كتاب المزارعه باب ما يكره من الشروط .
 - (٥) سنن أبى داود (٢٣١/٢) كتاب البيوع باب فى المزارعه .

ويستحيل نسخ أحاديث الجواز لاستمرار العمل بها من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي، واستمرار عمل الخلفاء الراشدين بها، فتعيّن نسخ حديث رافع .

السابع : أن الأحاديث إذا اختلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ينظر إلى ما عمل به أصحابه من بعده، وقد تقدم ذكر عمل الخلفاء الراشدين وأهلبيهم رضى الله عنهم أجمعين وغيرهم من الصحابة بالمزارعة .

الثامن : أن الذى فى حديث رافع : انما هو النهى عن كراهة بالثلث أو الربع ، لاعتن المزارعة ، وليس هذا بمخالف لجواز المزارعة فان الاجارة شيء والمزارعة شيء ، فالمزارعة من جنس الشركة ، يستويان فى الغرم والغنم ، فهى كالمضاربة ، بخلاف الاجارة ، فان المؤجر على يقين من المغنم وهو الاجرة ، والمستأجر على رجاء ، ولهذا كان أحـ القولين لمجوزى المزارعة : أنها أحل من الاجارة وأولى بالجواز ، لأنهما على سواء فى الغنم والغرم ، فهى أقرب إلى العدل ، فاذا استأجرها بثلث أو ربع ، كانت هذه اجارة لازمة ، وذلك لايحوز ، فحديث رافع : انما أن يكون النهى فيه عن الاجارة دون المزارعة ، أو عن المزارعة التى كانوا يعتادونها ، وهى التى فسرها فى حديثه .

وأما المزارعة التى فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفاؤه من بعده : فلم يتناولها النهى بحال .

التاسع : أن ما فى المزارعة من الحاجة إليها والمصلحة وقيام أمر الناس عليها ، يمنع من تحريمها والنهى عنها ، لأن أصحاب الأرض كثيراً ما يعجزون عن زرعها ، ولا يقدرّون عليه ، والعمال والأكرّة يحتاجون إلى الزرع ، ولا أرض لهم ، ولا قوام لهم لهؤلاء وللهؤلاء الا بالزرع ، فكان من حكمة التشريع ورحمته بالأمة ، وشفقته عليها ، ونظره لهم أن حوز لهذا أن يدفع أرضه لمن يعمل عليها ، ويشتركان فى الزرع ، هذا بعمله ، وهذا بمنفعة أرضه ، وما رزق الله فهو بينهما ، وهذا فى غاية العدل والحكمة

والرحمة والمصلحة، وما كان هكذا فان الشارع لا يحرمه ولا ينهى عنه لعموم
مصلحته، وشدة الحاجة اليه، كما في المضاربة والمساقاة، بل الحاجة
في المزارعة أكد منها في المضاربة، لشدة الحاجة الى الزرع، اذ هو
القوت والأرض، لا ينتفع بها الا بالعمل عليها، بخلاف المال .

فان قيل : فالشارع نهى عنها، مع هذه المنفعة التي فيها، ولهذا
قال رافع " نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا
نافعا "؟؟

الجواب : أن الشارع لا ينهى عن المنافع والمصالح، وانما ينهى عن
المفاسد والمضار، وهم ظنوا أن قد كان لهم في ذلك المنهى عنه منفعة
وانما كان فيه عليهم مضرة ومفسدة مقتضية للنهى، وما تخيلوه من المنفعة
فهي منفعة جزئية لرب الأرض لا اختصاصه بخيار الزرع وما يسعد منه بالماء
وما على اقبال الجداول، فهذا وان كان فيه منفعة له، فهو مضرة على
المزارع، فهو من جنس منفعة المرابى بما يأخذه من الزيادة، وان كان
مضرة على الآخر، والشارع لا يبيح منفعة هذا بمضرة أخيه، فجواب رافع
أن هذا وان كان منفعة لكم فهو مضرة على اخوانكم، فلهذا نهاكم عنه .

وأما المزارعة العادلة التي يستوى فيها العامل ورب الأرض فهي
منفعة لهما، ولا مضرة فيها على أحد، فلم ينه عنها، فالذى نهى عنه مشتمل
على مضرة ومفسدة راجحة، في ضمنها منفعة مرجوحة جزئية، والذي فعله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين من هذه مصلحة
ومنفعة راجحة، لا مضرة فيها على واحد منهما، فالتسوية بين هذا وهذا
تسوية بين متباينين لا يستويان عند الله ولا عند رسوله ولا عند الناس .

وكذلك الجواب عن حديث جابر سوا .

وقد تقدم في بعض طرقه : " أنهم كانوا يختصون بأشياء من الزرع
من القصرى، ومن كذا ومن كذا، فقال صلى الله عليه وسلم : من كان له
أرض فليزرعها، أو فليحرقها أخاه" (١) فهذا مفسر ومبين، ذكر فيه سبب النهى
وأطلق في غيره من الألفاظ، فينصرف مطلقها الى هذا المقيد الجبب

(١) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) كتاب البيوع، باب كراء الأرض .

ويدل على أن هذا هو المراد بالنهاي، فاتفقت السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتآلفت، وزال عنها الاضطراب والاختلاف، وبان أن لكل فيها وجهاً، وأن مانهى عنه غير ما أباحه وفعله، وهذا هو الواجب والواقع فى نفس الأمر، والحمد لله رب العالمين .^(١)

(٣) حجة الامام أحمد :

جاء فى المغنى : وتجاوز المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض وهى دفع الأرض الى من يزرعها أو يعمل عليها والزرع بينهما .

(١) هى جائزة فى قول كثير من أهل العلم، وكرهها عكرمة، ومجاهد والنخعى وأبو خنيفة، وأحازها الشافعى فى الأرض بين النخيل إذا كان بياض الأرض أقل ومنعها فى الأرض البيضاء لما روى رافع ابن خديج .

(٢) لقد عمل بها أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده فروى البخارى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم : عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من زرع أو ثمر، فكان يعطى أزواجه مائة وسق وثمانين وسق تمر، وعشرون وسق شعير، فقسم عمر خيبر فخير أزواج النبى صلى الله عليه وسلم : أن يقطع لهن من الأرض والماء، أو يمضى لهن الأوسق فمنهن من اختار الأرض، ومنهن من اختار الأوسق فكانت عائشة اختارت الأرض .^(٢)

ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ، لأن النسخ انما يكون فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما شىء عمل به الى أن مات ثم عمل به خلفاؤه بعده، وأجمعت

(١) تهذيب الامام ابن قيم الجوزية (٥/٥٧ - ٦٢) على هامش مختصر سنن أبى داود، اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٢/٣٣)، وانظر عمود المعبود للابادى (٩/٢٥٢) على هامش شرح ابن قيم الجوزية .

(٢) صحيح البخارى (٣/١٣٧ - ١٣٨) المزارعة، باب المزارعة بالشرط، مختصرة، صحيح مسلم للمندرى (ص ٢٨٥)، صحيح مسلم (٣/١١٨٦) كتاب المساقاة باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر .

الصحابة رضوان الله عليهم عليه وعملوا به ولم يخالف فيه منهم أحد فكيف يجوز نسخه، ومتى كان نسخه؟ فإذا كان نسخ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف عمل به بعد نسخه؟ وكيف خفي نسخه فلم يبلغ خلفاءه مع اشتهار قصة خيبر وعملهم فيها؟

فأين كان راوى النسخ حتى لم يذكره ولم يخبرهم به؟

فأما ما احتجوا به: فالجواب عن حديث رافع من أربعة أوجه:

أحدها: أنه قد فسر المنهى عنه في حديثه بما لا يختلف في فساد، فانه قال: كنا من أكثر الأنصار حقلا، فكنا نكرى الأرض، على أن لنا هذه ولهم هذه، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه، فنهانا عن ذلك، فأما بالذهب والورق فلم ينهنا (١).

وفى لفظ: " فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس " .

وهذا خارج عن محل الخلاف فلا دليل فيه عليه ولا تعارض بين الحديثين .
الثانى: أن خبره ورد في الكراء بثلاث أو ربع والنزاع في المزارعة ولم يدل حديثه عليها أصلا، وحديثه الذى فيه المزارعة يحمل على الكراء أيضا لأن القصة واحدة رويت بألفاظ مختلفة فيجب تفسير أحد اللفظين بما يوافق الآخر .

الثالث: أن أحاديث رافع مضطربة جدا مختلفة اختلافا كثيرا يوجب

ترك العمل بها لو انفردت فكيف يقدم على مثل حديثنا .

وقال ابن المنذر: قد جاءت الأخبار عن رافع بعلة تدل على أن النهى كان لذلك (منها) الذى ذكرناه، ومنها خمس أخرى، وقد أنكره فقيهان من فقهاء الصحابة زيد بن ثابت، وابن عباس، قال زيد بن ثابت: " أنا أعلم بذلك منه، وإنما سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين قد اقتتلا فقال: ان كان هذا شأنكم فلاتكروا المزارع " رواه أبو داود والأشعث (٢).

(١) أخرجه: صحيح البخارى (١٣٨/٣) المزارعة باب ما يكره من الشروط، صحيح مسلم (١١٨٣/٣) البيوع، باب كراء الأرض بالذهب، واللفظ له .
(٢) سنن أبى داود (٢٣١/٢) كتاب البيوع، باب فى المزارعة، السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) المزارعة .

وفى رواية البخارى ٠٠٠ عن طاوس قال : " أن أعلمهم - يعنى ابىن عباس - أخبرنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يینه عنها ولكن قال " أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجا معلوما " .^(١)

ثم ان أحاديث رافع منها ما يخالف الاجماع ، وهو النهى عن كسرا المزارع على الاطلاق ، ومنها ما لا يختلف فى فساده ، كما قد بينا ، وتارة يحدث عن بعض عمومته ، وتارة عن سماعه ، وتارة عن ظهير بن رافع ، واذا كانت أخبار رافع هكذا وجب اخراجها واستعمال الأخبار الواردة فى شأن خيبر الجارية مجرى التواتر التى لا اختلاف فيها ، وبها عمل الخلفاء الراشدون وغيرهم ، فلامعنى لتركها بمثل هذه الأحاديث الواهية .

الرابع : أنه لو قدر صحة خبر رافع وامتنع تأويله وتعذر الجمع لوجب حمله على أنه منسوخ لأنه لا بد من نسخ أحد الخبرين ، ويستحيل القول بنسخ حديث خيبر لكونه معمولا به من جهة النبى صلى الله عليه وسلم الى حين موته ، ثم من بعده - الى عصر التابعين ، فمتى كان نسخه ؟

وأما حديث جابر فى النهى من المخابرة ، فيجب حمله على أحد الوجوه التى حمل عليها خبر رافع فانه قد روى حديث خيبر أيضا فيجب الجمع بين حديثيه مهما أمكن ، ثم لو حمل على المزارعة لكان منسوخا بقصة خيبر لاستحالة نسخها كما ذكرنا .

وكذلك القول فى حديث زيد بن ثابت .

فان قال أصحاب الشافعى تحمل أحاديثكم على الأرض التى بيىن النخيل وأحاديث النهى عن الأرض البيضاء ، جمعا بينهما قلنا هذا يعيد لوجوه خمسة :

أحدها : أنه يبعد أن تكون بلدة كبيرة يأتى منها أربعون ألف وسق وليس فيها أرض بيضاء ، ويبعد أن يكون قد عاملهم على بعض الأرض دون بعض فينقل الرواة كلهم القمة على العموم من غير تفصيل مع الحاجة اليه .

(١) صحيح البخارى (٣/١٤١ - ١٤٢) المزارعة باب ما كان من أصحاب النبى يواس بعضهم بعضا .

الثانى : أن ماذكرونه من التأويل لادليل عليه ، وماذكرناه دل عليه بعض الروايات ، وفسره الراوى له بما ذكرناه ، وليس معهم سوى الجمع بين الأحاديث ، والجمع بينهما يحمل بعضها على مفسره رواية به ، أولى من التحكم بما لادليل عليه .

الثالث : أن قولهم يفضى الى تقيد كل واحد من الحديثين ، وماذكرناه حمل لأحدهما وحده .

الرابع : أن فيما ذكرناه موافقة عمل الخلفاء الراشدين وأهليهم ، وفقهاء الصحابة ، وهم أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنته ومعانيها وهو أولى من قول من خالفهم .

الخامس : أن ماذهبنا اليه مجمع عليه ، فان أبا جعفر روى عن كل أهل بيت بالمدينة ، وعن الخلفاء الأربعة وأهليهم وفقهاء الصحابة واستمرار ذلك ، وهذا مما لايجوز خفاؤه ، ولم ينكره من الصحابة منكم فكان اجماعا .

وما روى فى مخالفته فقد بينا فساده ، فيكون هذا اجماعا من الصحابة رضى الله عنهم ، لايسوغ لأحد خلافه والقياس يقتضيه ، فان الأرض عين تنص بالعمل فيها فجازت المعاملة عليها ببعض نماثها كالأثمان فى المضاربة والنخل فى المساقاة ، أو نقول أرض فجازت المزارعة عليها كالأرض بين النخل ، ولأن الحاجة داعية الى المزارعة لأن أصحاب الأرض قد لايقدر على زرعها ، والعمل عليها ، والأكرة يحتاجون الى الزرع ولا أرض لهم فاقتضت حكمة الشرع جواز المزارعة ، بل الحاجة الى المزارعة أكد لأن الحاجة الى الزرع أكد منها الى غيرها لكونه مقتاتا ، ولكن الأرض لاينتفع بها الا بالعمل عليها بخلاف المال ، ويدل على ذلك قول راوى حديثهم : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كـ لنا نافعا»

والشارع لاينهى عن المنافع ، وانما ينهى عن المضار والمفاسد فيدل ذلك على غلط الراوى فى النهى عنه ، وحصول المنفعة فيما ظن

منهيا عنه ، اذا ثبت هذا فان حكم المزارعة حكم المساقاة فى أنهـــ
تجوز بجزء للعامل من الزرع ، وفى جوازها ولزومها ومايلزم العامــــل
ورب الأرض وغير ذلك من أحكامها .^(١)

(٤) أما عن المدة فان المزارعة لاتكون فيها مدة معينة وانما مــــدة
المزارعة وقت ظهور الثمر، وذلك ان المزارعة ليست بعقد نكاح ولابيع
بل مدتها معروفة فبعد انقضاء المدة من ظهور الثمر ونضجه تنقضى
مدة عقد العمل ، ولهذا لايفتقر الى ضرب المدة .

لذلك لم يضرب النبى صلى الله عليه وسلم ولاخلفاؤه رضى الله عنهم
لأهل خيبر مدة معلومة حين عاملوهم .

وقال أبو ثور : تصح من غير ذكر المدة ، ويقع على سنة واحــــدة
وأجازه أهل الكوفة استحسانا ، لأنه لما شرط له جزء من الثمرة كان ذلك
دليلا على أنه أراد مدة تحصل الثمرة فيها .^(٢)

(٥) أما عن أرض خيبر فقد أجيب عنها ، بأن أرض خيبر فتح بعضها عنوة
وبعضها صلحا ، فالذى فتح عنوة كان جميعه لله ولرسوله وللمسلمين
كما فى رواية نافع عن ابن عمر :

" أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلى^(٣) اليهود والنصارى من
أرض الحجاز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر
أراد اخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله^(٤)
وللمسلمين، وأراد اخراج اليهود منها فسأنت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليقرهم بها أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا، فقرروا بهـــ

(١) المغنى لابن قدامة (٤١٦/٥ - ٤٢١) .

(٢) المغنى لابن قدامة (٤٠٥/٥ - ٤٠٦) : صحيح مسلم بشرح النــــوى

(٢١١/٩) .

(٣) أجلى : أخرج . انظر مختار الصحاح (١٠٨) .

(٤) ظهر : غلب . انظر المصباح المنير (٣٨٧) .

حتى أجلهم عمر الى تيماء وأريحاء" (٢) .

والذى فتح صلحا كان لليهود ثم صار للمسلمين بعقد الصلح كما فى رواية فضيل بن سليمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠٠ وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين (٣) . فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أيديهم بشرط ما يخرج منها معاينة ومزارعة لأن الأرض للمسلمين وليست ملكهم ، وكان ذلك مثل خراج وظيفة ، وهو جائز كخراج المقاسمة ، وهو ما كان من أرض الصلح . وخراج التوظيف : هو أن يوظف الامام عليهم كل سنة ويضع عليهم ماتطبيق أرضهم .

خراج المقاسمة : هو أن يشترط عليهم بعض ما يخرج كالنصف والثلث ولانزاع فيه ، فانما النزاع فى جواز المزارعة والمعاملة (٤) . والأرجح أن أرض خيبر فتحت كلها عنوة وأن ما كانوا يعطوه للرسول صلى الله عليه وسلم هو ما اتفق معهم عليه من المزارعة والمعاملة فى الأرض ، فلما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجلبهم عنها (٥) ، طلبوا منه أن يبقيهم على أن يخرجهم منها وقت ماشاء ، فأبقاهم على معاينة الأرض بدليل ماجاء فى رواية مسلم : (أن الثمر كان يقسم على السهمان ، وأن عمر أجلهم منها بعد ذلك) (٦) .

-
- (١) تيماء : موضع قرب المدينة أى بين الشام والمدينة .
 - (٢) اريحاء : قرية بالشام . انظر هامش صحيح مسلم (١١٨٨/٣)
 - (٣) صحيح مسلم (١١٨٧/٣ - ١١٨٨) المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر ، صحيح البخارى (١٤٠/٣) كتاب المزارعة . بسباب اذا قال رب الأرض أترك .
 - (٤) انظر فتح البارى لابن حجر (٢٢/٥) ، تحفة الأحمدي للمباركفورى (٦٣٩/٤) .
 - (٥) عمدة القارى للعينى (١٦٨/١٢) ، فتح البارى لابن حجر (١٣/٥) ، تبیین الحقائق للزيلعى (٢٧٨/٥) ، حاشية الشلبى (٢٧٨/٥) .
 - (٦) أجلهم : أظهروهم وأخرجهم . انظر مختار الصحاح (١٠٨) .
 - (٦) صحيح مسلم (١١٨٧/٣) المساقاة . باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر .

فلو كانت الأرض ملكهم ما أجلاهم عنها عمر رضى الله عنه وقد روى فى ذلك عن محمد بن اسحاق قال : سألت ابن شهاب عن خيبر فأخبرنى : أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ، فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهل خيبر على الجلاء فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاملة الأرض^(١) .

أما الاقرار المقصود به فى الحديث (ليقرهم) ليس معناه يملكهم ويمكنهم من الأرض ، وانما أن يسكنهم ، فأسكنهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ، وسكنوا الى أن أخرجهم عمر رضى الله عنه ، وهم على العمل عليها كما اتفقوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أن يكفوا عملها وذلك بالعمل فى نخيلها وزراعتها ، والقيام بتعهداتها ونصف الثمر لهم^(٢) كما ذكره العيني .

(٦) قلت وشبيهة بقصة خيبر بالعمل فى الأرض على نصف الثمر ، هو ما كان بين المهاجرين والأنصار ، عندما طلبوا أن يقسم النخل بينهم وبين المهاجرين ، فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال الأنصار للمهاجرين : اكفونا العمل فيها ولكم نصف الثمر ، فرضى الطرفان بذلك ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولم يخالفهم أو ينهاهم عنه ، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم : أقسم بيننا وبين اخواننا

(١) كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ١٨ - ١٩) قال أحمد شاکر آشور

ابن شهاب رواه ابن هشام فى تهذيب سيرة ابن اسحاق أطول من هذا (ص ٧٧٩) ورواه البلاذرى (ص ٢٩ - ٣٠) عن الحسين بن الاسود عن يحيى بن آدم . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (٢٠٩/١٠ - ٢١٢) .

(٢) انظر عمدة القارى / العيني (١٧٩/١٢) المزارعه .

النخيل، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشركم فى الثمرة

(١)

قالوا سمعنا وأطعنا " .

ولقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك لأنه علم أن الفتوح ستفتح عليهم، فكره أن يخرج شىء من عقار الأنصار عنهم، فلما فهم الأنصار ذلك جمعوا بين المصلحتين، امتثال ما أمرهم به صلى الله عليه وسلم وتعجيل مواساة اخوانهم المهاجرين فسألوهم أن يساعدهم فى العمل ويشركوهم فى الثمر .

(٢)

(٧) وتجاوز المساقاة والمزارعة مجتمعتين، وتجاوز كل واحدة منهما منفردة، وهذا هو الظاهر المختار لحديث خبير، ولأن المعنى المجوز للمساقاة موجود فى المزارعة قياسا على المضاربة، فهى عقد على العمل فى المال بجزء من نمائه، وهو معدوم مجهول، فانه جائز بالاجماع، وهو كالمزارعة فى كل شىء .

(٣)

(٨) أن النهى المطلق عن المزارعة والمخابرة، الوارد فى الأحاديث محمولا على ما يأتى : بعد عرض أقوال العلماء فيه :

(١) اما أن يكون محمولا على ما اذا اشترط صاحب الأرض ناحية معينة له بعينها كما روى فى صحيح البخارى عن رافع بن خديج قال : كنا أكثر أهل المدينة مزروعا، كنا نكرى الأرض بالناحية منها مسمى لسيّد الأرض، قال : فمما يصاب ذلك، وتسلم الأرض، ومما يصاب الأرض، ويسلم ذلك، فنهيينا، وأما بالذهب والورق فلم يكن يومئذ .

(٤)

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٦/٣) المزارعة . باب إذا قال اكفنى المؤنة .
تكفونا المؤنة : أى العمل فى البساتين بالسقى والزرع والقيام عليها . انظر فتح البارى (٨/٥) .
- (٢) فتح البارى (٩/٥) المزارعة ، عمدة القارى (١٦١/١٢) المزارعة .
- (٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٢١٠/١٠) المزارعة ، تحفة الأحسوذى (٦٣٨/٤) المزارعة .
- (٤) صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة باب حدثنا ، مسند الحميدى (١٩٨/١) .

(ب) أو يكون محمولا على الوجه المفضى لغرر الجهالة والفساد، كما رواه جابر قال: كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنصيب من القصرى، ومن كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له أرض فليزرعها، أو فليحرثها أخاه، والأفليدعها"^(٢) . وفى رواية أخرى قال: "كنا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث أو الربع بالماديانات، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال: "من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه، فإن لم يمنحها أخاه فليمسكها"^(٤) .

وفى هذا الحديث أمور:

- (١) قوله: (فليزرعها) أى بنفسه .
- (٢) قوله: (أو ليحرثها) أى يجعلها مزرعة لأخيه بلا عوض وذلك بأن يعيره إياها، ويشهد لذلك ما فى الرواية الثانية قوله " فليمنحها أخاه " أى يجعلها منحة له والمنحة العارية .
- (٣) قوله: (فليدعها أو فليمسكها) : ان فى هذا إضاعة للمال وقد كره بعض العلماء إضاعة المال، وتعطيل الأرض عن الزراعة لما ورد من النهى عن إضاعة المال، ويحمل النهى عن إضاعته على إضاعة عين المال، أو المنفعة التى لا يخلفها منفعة، والأرض اذا تركت بغير زرع لم تتعطل منفعتها فانها قد تنبت من الحطب والحشيش وسائر الكلا ما ينفع فى الرعى وغيره، وعلى تقدير أن لا يحصل ذلك فقد

-
- (١) القصرى: بكسر القاف وسكون الصاد وكسر الراء: ما بقى من الحبوب فى السنبل بعد الدياس .
 - (٢) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) كتاب البيوع باب كراء الأرض .
 - (٣) الماديانات: مسايل المياه، وقيل: ما ينبت على حافتى مسايل المياه . وقيل ما ينبت حول السواقى .
 - (٤) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) كتاب البيوع . باب كراء الأرض .

يكون التأخير للزرع عن الأرض اصلاحاً، فتتخلف في السنة التي تليها ماله فات في سنة الترك، وهذا كله ان حمل النهى على عمومها فأما لو حمل على ما كان مألوفاً من الكراء بجزء مما يخرج منها ولاسيما اذا كان غير معلوم فلا يستلزم ذلك تعطيل الانتفاع بها في الزراعة، بل يكرهها بالذهب والفضة .

والأمر بالزرع والمنح للندب، لأن العارية اذا لم تكن واجبة بالاجماع، من غير فرق بين المزارعة وغيرها، لم يجب على الانسان أن يزرع أرضه بنفسه، أو بغيرها، أو يعطلها، بل يجوز له أمر آخر رابع وهو الاجارة لأنها جائزة بالاجماع، والعارية لاتجب بالاجماع، فلاتجب عليه واذا انتفى الوجوب بقى الندب، وقد قدم في الحديث زراعة الأرض من المالك بنفسه، لما في ذلك من الفضيلة فان الاشتغال عن الناس والتنزه عن مخالطتهم، التي هي لاسيما فيها مفساد للانسان خاصة في هذا الزمن سم قاتل، وشغل شاغل عن الله عز وجل وعبادته وطاعته، وذلك اذا لم يكن في الاقبال على الزراعة تشبيط عن شيء من الأمور الواجبة كالجهاد والابتعاد عن طاعة الله عز وجل .^(١)

(٤) أو يكون النهى محمولاً على كراهة التنزيه وليس التحريم، كما رواه روى عن عمرو : قال عمرو قلت لطاوس لو تركت المخابرة فانهنم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه، قال : أي عمرو اني أعطيتهم وأغنيهم، وان أعلمهم أخبرني - يعني ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عنه، ولكن قال أن يمنح أحدكم أخاه خيراً له من أن يأخذ عليه خيراً معلوماً^(٢) .^(٣)

(١) انظر : نيل الأوطار (١٤/٦ - ١٨)، عون المعبود (٢٤٧/٩ - ٢٧٢)، الفتح الرباني (١١٦/١٥) .

(٢) خرja : أجرة . انظر هامش صحيح مسلم بشرح النووي (١٠ - ٢٠٧) .

(٣) صحيح البخاري (١٣٨/٣) المزارعة باب حدثنا على، صحيح مسلم (١١٨٤/٣) كتاب البيوع، باب الارض تمنح، مسند الحميدي (٢٣٦/١) .

وفى رواية الترمذى : عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة، ولكن أمر أن يرفق بعضهم ببعض " (١) .

ففى الرواية الأولى قرينة دالة على أن النهى للكراهة وليست للتحريم قوله : " أن يمنح أخاه " .

قال فى نيل الأوطار : " لأن يمنح أحدكم أخاه خير له " يصلح جعله قرينة لصرف النهى عن التحريم الى الكراهة والمراد من المنح بجعلها منيحة أى عطية وعارية " (٢) .

ويدل على أن النهى ليس على حقيقته ويؤيده ويؤكداه ما فى الرواية الثانية عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة ولكن أمر أن يرفق بعضهم بعضاً، وهذا لفظ صريح فى عدم التحريم للمزارعة إذا أتت بلفظها .

(٥) أن يكون الأمر بالاجتناب عنها ندبا واستحبابا تورعا من الوقوع فى شئ من المفساد أو حكم غير جائز .

وفى ذلك ماروى عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : (كنا لانرى بالخبر بأساً، حتى كان عام أول فزعم رافع أن نبى الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه) .

وفى رواية أخرى قال ابن عمر : (لقد منعنا رافع نفع أرضنا) وفى غيرها (فتركناه من أجله) (٤) .

(٩) أما البذر وآلات الزراعة والزرع فظاهر مذهب أحمد أن المزارعة إنما تصبح إذا كان البذر من رب الأرض، والعمل من العامل

-
- (١) سنن الترمذى (١٤٢٢/٢) وقال حديث حسن صحيح .
 (٢) نيل الأوطار للشوكانى (١٧/٦) ، فتح البارى (١٥/٥) ، عون المعبود أبو الطيب العظيم آبادى (٢٤٧/٩ - ٢٧٢) .
 (٣) بالخبر : بكسر الخاء وسكون الباء : المخابره . انظر هامش صحيح مسلم (١١٧٩/٣) .
 (٤) صحيح مسلم (١١٧٩/٣) البيوع باب كراء الأرض .

وهو مذهب ابن سيرين ، والشافعى ، واسحاق لأنه عقد يشترك العامـل ورب المال فى نمائه ، فوجب أن يكون رأس المال كله من عند أحدهما كالمساقاة والمضاربة .

قلت : وان الأصل من الزرع والأشجار بعد انتهاء العقد يرجع إلى رب المال ، إلى رب الأرض ، فلذلك تكون المؤنة عليه . وان كان البذر والآلة من العامل فهى جائزة .

أو على مايتفقا عليه ، وذلك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر ، وقد فعل عمر رضى الله عنه الأمرين . جاء فى صحيح البخارى (عامل عمر الناس على ان جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وان جاءوا بالبذر ، فلهم كذا) (٢) . فظاهر هذا أنه اشتهر فلم ينكر اجماعا . (٣)

جاء فى السنن الكبرى للبيهقى : لما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلى أهل نجران إلى النجرانية ، واشترى عقدهم وأموالهم وأجلى أهل فدك وتيماء ، وأهل خيبر واستعمل يعلى بن منية ، فأعطى البياض على أن كان البذر والبقر والحديد من عمر ، فلعمر الثلثان ولهم الثلث ، وان كان منهم فلهم الشطر ، ولعمر الشطر ، وأعطى النخيل والعنب على أن لعمر الثلثين ، ولهم الثلث . (٤)

والأرجح أن تكون المؤنة كلها من رب الأرض لما ذكر سابقا . (١٠) وبعد هذا البيان ، وضح أن حكم المزارعة جائز شرعا ، وأنها لم تحرم لذاتها ، وانما التحريم دخلها فى بعض الوجوه ، وذلك اذا دخلها غش وغرر وجهالة وخداع ، مثلها مثل أى معاملة فيها معاوضات مادية ، مثل البيع والشراء وغيره ، والصواب والصورة الصحيحة

-
- (١) المغنى لابن قدامة (٤٢٣/٥) ، سنن النسائى (٤٩/٧) .
 (٢) صحيح البخارى (١٣٧/٣) . كتاب المزارعة باب المزارعة بالشطر .
 (٣) المغنى لابن قدامة (٤٢٤/٥) .
 (٤) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٥/٦) . كتاب المزارعة باب من اباح المزارعة قال : وأشار البخارى إليه فى ترجمة الباب وهو مرسل .

للمزارعة : أن يدفع الرجل أرضه بيضاء الى من يزرعها أصلا على مايتفق عليه من الآلة والبذور، ومايتفقا عليه من الثمر، بحيث لا يترتب على ذلك شرط معين يكون فى طرف واحد منهما . أو جهالة أو غرر، وإنما لابد أن تكون المصلحة بين الطرفين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع خيبر، وأن لا يترتب عليها جور وظلم للعامل وغبن وهضم لحقوقه، أو غش صاحب الملك وخداعه، والحقائق الضرر فى ملكه، وعلى هذا تكون المزارعة : بمعنى شركة فى الزرع بين صاحب الملك بأرضه، وبين العامل بعمله فيها .

ولكن مما سبق يتضح أن هناك صورة أخرى للمزارعة كأن يؤجر انسانا عاملا، يعمل فى أرضه بنقد، فى هذه الحالة تكون المؤنة على رب الأرض . أو أن يكرى أرضه بنقد الى من يعمل فيها وكلها جائزة، وفى هذه الحالة تكون المؤنة على من يستأجر الأرض للعمل فيها وفى هذه أو تلك .

وفى هذا منفعة ومصلحة للمسلمين الفقراء والأغنياء، منهم وتشجيعهم على العمل وعدم البطالة والكسل والتواكل، وتيسير لمعاشهم، وخير ما يأكل الانسان من عمل يده، وتكثير الأراضى الزراعية فى بلاد المسلمين وتقوية للمسلمين، واستغناءهم عن غير المسلمين فى الغلات الزراعيية وعزة ومنعة لهم، وقوة أصالتهم وارتباطهم، والراميتهم بما كان عليه المسلمين السابقين من الاهتمام بالزراعة والفلاحة، والاشتغال بها وكثرة الأراضى الزراعية، والافتدائ بهم فى ذلك على الطريقة الصحيحة شرعا وعقلا، ويأخذوا لو قامت ادارت التربية والتعليم بجعل الزراعة مادة مقررة تدرس للطلاب فى المراحل تحت الجامعة، وذلك لتبث فى نفوس الطلاب حب الزراعة ومعرفتها ومعرفة طرقها فتدفع بهم الى أن يهتم بالزرع والمزروعات والنبات فى أى مكان، فيهتم به فى بيته ويجعله جنة خضراء، ويهتم به فى مدرسته ويجعل منها حديقة غناء، ويهتم به فى الشارع ويجعل منه ظلا وارفا طريا نديا، ويهتم به فى الحدائق العاممة لأنها مكان نزته وفسحته، وفى هذا كله مصلحة للجميع، والله خير معين لقضاء المصالح .

المبحث الثانى : العناية بالنبات صيانة

الصون فى اللغة : الحفظ .

قال فى لسان العرب : الصون : أن تقى شيئا أو ثوبا وصان الشيء
(١)
صونا وصيانة، وجعلت الثوب فى صوانه وصيانة هو وعاؤه الذى يبان فيه .
والوقاية الصيانة والرعاية، والحفظ والكلاءة، وصيانة النبات تكسون
بحفظه ورعايته ووقايته من الآفات والفساد والهلاك، بكل ما هو فى قدرة
الانسان واستطاعته، وقد حث الاسلام على ذلك، وأمر المسلمين الذين
يقومون بحرفة الزراعة بعد زراعتهم للنباتات، لايهملون بها بل عليها
رعايتها والاهتمام بها وصيانتها من كل ما يؤدى بها الى الهلاك والفساد
ومن ذلك ما جاء فى الترغيب والترهيب قوله عن رجل من أصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بأذنى هاتين " من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر
كان له فى كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل " (٢)

وفى صيانة النبات وحفظه أمور كثيرة منها :

أولا : صيانة النبات وحفظه ورعايته بالرى والسقاية للمزروعات
بعد ظهورها وعند فترة نموها الى أن تعطى ثمرتها، وذلك بأن يقيوم
بالرى والسقى، من الآبار أو العيون أو الأنهار، وتكون عملية الرى والسقى
على حسب نوع النبات والتربة، وطرق الرى كثيرة على حسب نوع التربة

(١) لسان العرب (٤٩٦/٢) .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى (٥٧/٥) قال المحقق محمد محى الدين رواه
أحمد، وفيه قصة واسناده لا بأس به وانظر عمدة القارى (١٢/١٥٥)، الفتح
الربانى للبنا (١٥/١٠) وأورده الهيثمى وقال رواه أحمد وفيه
" فنبج " ذكره ابن أبى حاتم ولم يوثقه، ولم يجرحه، وبقيّة رجاله
ثقات، وانظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر (٣/٢١٤)، والاستيعاب
فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر (٣/٢١٦ - ٢١٧)، على هامش الاصابة
وانظر التاريخ الكبير للبخارى (٧/١٤٠) .

والنباتات .

وتعرف عملية الري : بأنها امداد التربة بالماء لغرض توفير الرطوبة اللازمة لنمو النبات .

وطرق الري كثيرة ومتعددة والذي يخص الموضوع منها لارتباطه بالسنة .

الطرق التقليدية : وهى المعروفة بالري السطحى :

والري السطحى هو الذى يلامس فيه الماء كلا أو معظم سطح التربة

المزروعة أثناء انسيابه، والطرق التقليدية فى الري هى على نوعين :

(أ) الري بالخطوط :

وذلك بأن توزع المياه الى قطاعات معينة فى التربة، ومنها

يتسرب الماء الى المجموع الجذرى للأشجار بواسطة الرش، ويمسك الماء

الخطوط او القطاعات الى الحد الذى يكون كافيا لترطيب التربة

الى العمق المطلوب .

(ب) الري بالأحواض :

وذلك بأن يقسم الحقل الى أحواض، بحيث يعمل للمزروعات "والفسائل"

الصغيرة أحواض أصغر من الأشجار، ويتسع كلما ازدادت فى النمو، ثم تملأ

الأحواض بالماء الى الارتفاع المطلوب لري الأشجار والمزروعات، كل حوض على

حسب ما يناسب مافيه من النبات واحتياجه للماء ثم تغلق الأحواض، وتمتاز

هذه الطريقة بقدرتها على التحكم فى المياه لايجاد التجانس فى التوزيع

وللحصول على كفاءة رى عالية^(١) وهذه الطريقة التقليدية البدائية هـى

التي كانت سائدة فى العصور الماضية، وفى عهد الرسول صلى الله عليه

وسلم وعهد الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملونها فى

ري بساتينهم وحدائقهم، كما جاء فى قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه

حيث كان الري عندهم والسقى من مصادر المياه، الآبار أو الأنهار

أو العيون، بأن يعمل لها مجارى ومسائل .

عن الزهرى، أخبرنى عروة بن الزبير : أن الزبير كان يحدث أنه

خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرًا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر : كروم العنب د. طاهر خليفة (ص ١٦٩ - ١٧٣)، المجلة الزراعية (ص ٢٥ - ٢٧) العدد الأول، المجلد الرابع، ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ، مجلة الخفجى (ص ٢٤ - ٢٥) العدد الثانى ١٩٨٦م، المجلة الزراعية (ص ٥٧ - ٦٣) ، العدد الثالث المجلد (١٤) ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ، المجلة الزراعية (ص ٤٦ - ٥١) العدد الثانى، المجلد (١٧) ١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ .

فى شراج من الحرة ، كانا يسقيان به كلاهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : اسق يازبير ، ثم أرسل الى جارك ، فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله ان كان ابن عمك • فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر " ، فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى سعة له وللأنصاري ، فلمَّا أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استوعى للزبير حقه (١) فى صحيح الحكم " .

الشراج : مساليل المياه من الحرة الى السهل •

الحرة : حجارة سود بين جبلين •

ففى هذا الحديث دليل على أنه كان رى البساتين والمزروعات وسقيها

من منابع المياه ، الآبار والأنهار أو العيون بعمل مجارى ومساليل لها •

وقوله صلى الله عليه وسلم للزبير : (اسق ثم احبس حتى يبلغ

(٢)

الجدر) قال : البغوى وكان ذلك الى الكعبين •

وفيه دليل على أن الأراضى الزراعية والحقول كانت تقسم أحواضا

أو تزرع على شكل خطوط ، وتسقى وتروى بهذه الطريقة ، وهو أن توضع المياه

فى الخطوط وهى المجارى للمياه أو الأحواض ، وتجمع فيها وتملأ الى

الارتفاع المطلوب لرى الأحواض والخطوط ، وهذا مازال موجودا الى الآن •

وقد ورد رى النبات وسقيه ، وسقى الأرض الزراعية فى القرآن الكريم

بلفظ السقى عند قوله تعالى : " وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب

(١) أحفظ : أغضب • انظر شرح السنه للبغوى (٢٨٥/٨) •

(٢) شرح السنه للبغوى (٢٨٣/٨ - ٢٨٤) ، أخرجت فى صحيح البخارى

(٥٨/٦) كتاب التفسير ، باب سورة النساء (٣٤٥/٣) كتاب

الصلح ، باب اذا أشار الامام بالصلح ، صحيح مسلم (٤/١٨٢٩ - ١٨٣٠)

كتاب الفضائل • باب وجوب اتباعه •

وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض —
الآكل ان فى ذلك آليات لقوم يعقلون^(١) .

ثانيا : صيانة النبات وحفظه بالاهتمام بالتلقيح .

ان الاهتمام بتلقيح النباتات التى تلقح بواسطة الانسان فى وقت—
المحدد له أهميته فى المحصول النباتى .
ومن الأشجار التى تلقح بواسطة الانسان هى النخيل وتلقيح النخيل —
يكون بتقدير عدد شماريخ المذكرة اللازمة لتلقيح عذق الأنثى بالمتوسط
خمسة شماريخ لذا فان شجرة واحدة تكفى لتلقيح (٤٠ - ٥٠) نخلة أنثى .
ويكون التلقيح عن طريق الانسان ، بأن يقوم الملقح بتنفيذ الشماريخ
الذكورية على أغريض الأزهار المؤنثة ثم يوضع خمسة شماريخ أو أكثر وسط
كل عذق ، ويربط العذق بالخوص ، وتظل أزهار النخيل الأنثى قابلية
للتلقيح لمدة أربع أيام من بدء انشقاق الاغريض ، ولكن أفضل التلقيح —
ماتم خلال يومين من بدء انشقاق الاغريض ، وتجرى عملية التلقيح على
مرتتين وثلاث ، نظرا لأن الأغاريف فى الأنثى لاتتفتح كلها فى وقت واحد
كما وأن التلقيح يزداد اذا جرى فى الساعة العاشرة صباحا الى الثالثة
ظهرا ويقل فى الصباح الباكر والمساء المتأخر^(٢) .
وهذه الطريقة فى تلقيح النخيل بواسطة الانسان معروفة —
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وماقبله الى الوقت الحاضر ، —

(١) سورة الرعد (٤) .

(٢) المجلة الزراعية (ص ٣٥) العدد الأول ، المجلد (١٧) ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

موسى بن طلحة يحدث عن أبيه ، قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخل فرأى قوما يلحقون النخل ، فقال : " ما يصنع هؤلاء " قالوا يأخذون من الذكر فيجعلونه فى الأنثى قال : " ما أظن ذلك يغنى شيئا " .
 فبلغهم فتركوه فنزلوا عنها ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " انما هو الظن ، ان كان يغنى شيئا فاصنعوه ، فانما أنا بشر مثلكم ، وان الظن يخطئ ويصيب ولكن ما قلت لكم ، " قال الله فلن أكذب على الله " .^(١)
 وفى رواية أخرى عن أنس بن مالك ، وهشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أصواتا ، فقال : " ما هذا الصوت ؟ " قالوا : النخل يؤبرونها ، فقال : " لو لم يفعلوا لصلح " فلم يؤبروا عامئذ ، فصار شيئا ، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " ان كان شيئا من أمر دنياكم فشأنكم به وان كان من أمور دينكم فالى " .^(٢)

وبعد هذه الرحلة فى كل مامر معنا من صيانة النبات بالرى نجده أن الاسلام لم يتركه ولم يهمله ، وانما اهتم به وتعرض له وهو ما يعرف فى الشرع بالمساقاة .

والمساقاة هى أن يعامل انسانا آخر غيره على أرض مزروعة ليتعهدا بالسقى والرعاية والتربية ، وما خرج من الثمر يكون بينهما قال فى المغنى : المساقاة أن يدفع الرجل شجرة الى آخر ليقوم بسقيها وعمل سائر ما يحتاج اليه بجزء معلوم له من ثمره ، وانما سميت مساقاة لأنها مفاعلة من السقى ، ولأن أهل الحجاز أكثر حاجة شجرهم الى السقى لانهم يستقون من الآبار ، فسميت بذلك .^(٣)

-
- (١) سنن ابن ماجه (٨٢٥/٢) كتاب الرهون باب تلقيح النخل ، الفتح الربانى (٣٠٨/٢٣) اخرجت فى صحيح مسلم (١٨٣٥/٤) الفضائل ، باب وجوب امتتاله صلى الله عليه وسلم .
 (٢) سنن ابن ماجه (٨٢٥/٢) كتاب الرهون ، صحيح مسلم (١٨٣٦/٤) الفضائل ، الباب السابق و اخرجت فى نفس الباب عن رافع بن خديج .
 (٣) المغنى لابن قدامة (٣٩١/٥) .

حكما : جائزة بالسنة والاجماع .

وأما السنة : فما روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال :
 " عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشرط ما يخرج
 منها من ثمر أو زرع " (١)

أما الاجماع : فقال أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعن آبائه : عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بالشرط ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم أهلهم ، اليوم يعطون الثلث والربع ، وهذا عمل به الخلفاء الراشدون في مدة خلافتهم واشتهر ذلك فلم ينكره منكر فكان اجماعا . (٢)

العمل في المساقاة :

العمل في المساقاة على ضربين :

- (١) عمل يعود نفعه على الثمر .
- (٢) عمل يعود نفعه على الأصل .

- (١) المغنى لابن قدامة (٣٩١/٥) . خرجت الرواية في الصحيحين : صحيح البخارى (١٣٧/٣) المزارعة باب المزارعة بالشرط ، صحيح مسلم (١١٨٦/٣) المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر .
- (٢) انظر في ذلك : المغنى لابن قدامة (٣٩١/٥) ، الكافي للقرطبي (٧٦٦/٢) ، تبیین الحقائق للزيلعي (٢٨٤/٥) ، حاشية الشلبى (٢٨٤/٥) ، حاشية الباجورى (٣٩/٢) ، المختار للغزى (٣٩/٢) ، غاية الاختصار للأصفهانى (٣٩/٢) ، كشف القناع للبهوتى (٥٣٧/٣) ، شرح منتهى الارادات للبهوتى (٣٤٣/٢) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقرطبي (٢٤٤/٢) ، الجوهر النقى للماردينى (١١٤/٦) ، موطأ مالك (ص ٤٩٤ - ٤٩٩) ، موسوعة الاجماع في الفقه الاسلامى لسعدى أبو جيب (٩٩٩/٢) ، المقنع لابن قدامة (ص ١٣٤ - ١٣٥) ، حاشية الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (١٨٦/٢) ، على المقنع ، محمد بن عبد الوهاب (٥٦٢/٢) ، المحرر في الفقه للبركاتى (٣٥٤/١) ، الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى (٢١/٣) .

أولاً : العمل الذي يعود نفعه على الثمر، ويتكرر كل سنة ، من كل ماتحتاج اليه الثمار لزيادة أو اصلاح ، فهو على العامل ، ووظيفته يقوم بها من السقى وتوابعه ، وتنقية الأنهار ، واصلاح طرق الماء ، وادارة الآلات ، واصلاح منابته وتلقيحه ، وتنحية الحشائش والقضبان ، وكل ماجسرت به العادة لحفظ الثمرة ونموها ، وتجفيفها ، وتهيئة موضع الجفاف ونقلها اليه وتقليب الثمرة فى الشمس ، وجذاذها ونحو ذلك .

ثانياً : العمل الذي يعود نفعه على الأصل وحفظه ، لا يتكرر كل سنة وهو الشجر ، وذلك بحفر الأنهار ، وبناء الحيطان ، ونصب الأبواب والآلات ونحو ذلك فعلى المالك .^(١)

وكنت قد ذكرت فى المبحث الأول المزارعة ، ولم أتطرق الى المساقاة لأن المساقاة العمل على خدمة الزرع والنبات ، وذلك يكون بعد القيام بالعمل بزرعه أصلاً فى أرض بيضاء ، لذلك ناسب أن تذكر فى هذا المبحث عن السابق ، والله أعلم .

(١) الفتح الربانى للبنا (١١٥/١٥) ، موطأ مالك (ص ٤٩٦) حاشية الباجورى (٤٢/٢) ، المختار للغزى (٤١/٢ - ٤٢) ، غاية الاختصار للأصفهانى (٤١/٢ - ٤٢) ، كشاف القناع للبهوتى (٥٤٠/٣) ، المقنع لابن قدامة (ص ١٣٥) ، شرح منتهى الارادات للبهوتى (٣٤٦/٢) ، الكافى للقرطبى (٧٦٧/٢) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقرطبى (٢٤٧/٢) ، المغنى لابن قدامة (٤٠١/٥) ، موسوعة الاجماع فى الفقه الاسلامى لسعدى أبو جيب (١٠٠٠/٢) ، حاشية الشيخ سليمان بن عبد الوهاب على المقنع (١٩٠/٢) ، محمد بن عبد الوهاب (٥٦٣/٢) الفقه ، الفقه الميسر أحمد عاشور (ص ٢٤٠ - ٢٤١) ، المحرر فى الفقه ، أبو البركات (٣٥٥/١) .

المبحث الثالث : العناية بالنبات حصادا

بعد هذه الرحلة الشاملة عن الاهتمام بالنبات ابتداءً من الزراعة وهو مازال بذورا الى نموه وازدهاره تأتي آخر الرحلة وهي حصاد هذا النبات، وهذه الزراعة، وما بذل فيها من مجهود، واهتمام ورعاية تأتي في النهاية بالخير والبشرى، يأتي حصاد ما بذر وزرع من الثمرات والحبوب والفواكه والخضر وغيرها من الزرع غضا طريا ناضجا .

معنى الحصاد :

الحصاد : هو الجزاء وقطع الثمر والزرع ، والقطف والصرم والجـداد وكلها كلمات مترادفة بمعنى .

قال في لسان العرب : يقال حصاد ، وحصاد وجزاز وجزاز ، وجزداد وجزاد ، وقطاف وقطاف ، والحصاد بالكسر والفتح قطع الزرع (١) .
والجداد : صرام النخل ، وهو قطع التمر (٢) .

والجزاز : الحصاد ، الليث ، الجزاز كالحصاد واقع على الحيـن والأوان .

يقال : آجز النخل ، وأحصد البر ، قال الفراء : جاءنا وقت الجزاز أي زمن الحصاد وصرام النخل .
والجزاز القطع ، والصرم القطع البائسة ، والصرم : قطع الثمرة (٣)
واجتناؤها من النخلة . (٤)
والقطف : القطع . (٥)

-
- (١) لسان العرب (٦٤٩/١)
 - (٢) لسان العرب (٤١٥/١)
 - (٣) لسان العرب (٤٥٤/١)
 - (٤) لسان العرب (٤٣٤/٢)
 - (٥) لسان العرب (١٢٢/٣)

وقت الحصاد :

يتحدد وقت الحصاد المناسب بنضج الثمر وبدو صلاحه واشتداد الحسب
فى سنبله .

وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن عبدالله بن عمر
قال : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمار حتى
يبدا صلاحها ، نهى البائع والمشتري " (١)

وفى رواية أخرى عن عبدالله بن عمر قال : " أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهى عن بيع النخل حتى يزهر ، وعن السنبل حتى يبيض
ويأمن العاهة ، نهى البائع والمشتري " (٢)

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الأحاديث عن البيوع
لأجل الهدف والغرض من الثمر والزرع ، وهو الأكل فقطفه وحصاده قبل
بلوغ الغاية من النضج والصلاح ، لا يكون مفيدا ، ولا يؤكل ، ولم تتحقق منه
الغاية المطلوبة . قال الشيخ الخطابى فى معالم السنن :

الثمرة اذا بدا صلاحها آمنت العاهة غالبا ، ومادامت وهى رخوة
رخصة ، أى رطبة ، قبل أن يشتد حبها ، أو يبدو صلاحها ، فانها بعرض للأفـات
وكان نهيه صلى الله عليه وسلم البائع عن ذلك لأحد وجهين :

أحدها : احتياطا له بأن يدعها حتى يتبين صلاحها ، فيزداد قيمتها
ويكثر نفعه منها ، وهو اذا تعجل ثمنها لم يكن فيها طائل لقلته ، فكان
ذلك نوعا من اضاعه المال .

والوجه الآخر : أن يكون ذلك مناصحة لأخيه المسلم واحتياطا لمال

(١) سنن أبى داود (٢٢٧/٢) كتاب البيوع ، باب فى بيع الثمار ، صحيح

البخارى (١٠١/٣) البيوع ، باب بيع الثمار ، صحيح مسلم فى باب

النهى عن المحاقلة (١١٧٤/٣) البيوع ، سنن النسائى (٢٣١/٧) كتاب

البيوع باب بيع الثمر ، سنن ابن ماجه (٧٤٦/٢) كتاب التجارة

(٢) سنن أبى داود (٢٢٧/٢) البيوع باب فى بيع الثمار ، صحيح

البخارى (١٠١/٣) البيوع ، باب بيع الثمار ، صحيح مسلم (١١٧٤/٣)

البيوع ، باب النهى عن المحاقلة ، سنن الترمذى (٣٤٨/٢) البيوع ،

باب ماجاء فى كراهية بيع الثمره ، سنن النسائى (٢٣٢/٧) البيوع ،

باب شراء الثمار .

المشترى، لثلا ينالها الآفة، فيبور ماله، أو يطالبه برد الثمن من أجل الحاجة، فيكون بينهما في ذلك الشر والخلاف، وقد لا يطيب للبائع مـال أخيه منه في الورع ان كان لاهيمه له في الحال، اذ لا يقع له قيمة فيصير كأنه نوع من أكل المال بالباطل،

وأما نهيه المشتري: فمن أجل المخاطرة، والتغريب بماله، لأنها ربما تلفت بأن تنالها العاهة فيذهب ماله، فنهى عن هذا البيع تحميـنا للأموال، وكراهة للتغريب (١).

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة صفـة الصلاح في الحب وثمر النخل.

فقال: في النخل (حتى يزهو): يقال زهى النخل يزهو، اذا بسدت فيه الحمرة والصفرة، وذلك أمانة الصلاح فيها، ودليل خلاصها من الآفة (٢).
وقال في الحب: "السنبيل حتى يبيض": وهو اشتداد الحب وقوته وصلابته.

واشتداد الحب وقوته وصلابته، دلالة على صلاحه ونضجه، ووقت استعماله وخلاصه من الآفات والجوائح، وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم البياض في السنبيل في رواية أخرى، هو الاشتداد في الحب، عن أنس قال: "ان النبي صلى الله عليه وسلم: نهى عن بيع العنب حتى يسود، وعن بيع الحـب حتى يشتد" (٤).

وفى بقية الثمار صلاحها يكون أيضا في وصفها بالاحمرار والاصفرار مثل ثمر النخيل.

عن جابر بن عبد الله قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

-
- (١) معالم السنن للخطابي (٤٠/٥) هامش مختصر سنن أبي داود للمنذرى.
 - (٢) معالم السنن للخطابي (٤١/٥)، تحفة الأحوذى للمباركفوري (٤٢١/٤).
 - (٣) معالم السنن للخطابي (٤١/٥)، تحفة الأحوذى للمباركفوري (٤٢٢/٤).
 - (٤) سنن ابن داود (٢٢٧/٢) البيوع، باب في بيع الثمار، سنن الترمذى (٣٤٩/٣) البيوع، باب ماجاء في كراهة بيع التمره، وقال هذا حديث حسن غريب لانعرفه مرفوعا الا من حديث حماد بن سلمة، سنن ابن ماجه (٧٤٧/٢)، كتاب التجارات، باب النهى عن بيع الثمار.

أن تباع الثمرة حتى تشقح ، قيل : وماتشقح ؟ قال : تحمار وتصفـسار
ويؤكل منها ^(١) .

وتشقح : دليل على أن الاعتبار في بدو الصلاح ، إنما هو بحدوث الحمرة
والصفرة في الثمر .

والشقيح : هو تغير لونها الى الصفرة والحمرة .

والشقة : لون غير خالص في الحمرة والصفرة .

وانما هي تغير لونه في كموده .

وقد قال : " يحمار ويصفار " لأنه لم يرد به اللون الخالص ، وانما

يستعمل ذلك في اللون المتميل .

يقال : مازال يحمار وجهه ، ويصفار : اذا كان يضرب مرة الـ

الصفرة ، ومرة الى الحمرة ، فاذا أرادوا أنه قد تمكن واستقر ، قالوا :

تحمّر وتصفّر ^(٢) .

اذا بعد هذا يتبين علامات النضج في الثمار والحبوب :

(١) ابتداء الثمر وثمر النخل في الاحمرار والاصفرار ، هذا دليل على

نضجه وصلاحه للاستعمال .

(٢) بياض السنابل للحبوب ، وقوة الحب وصلابته .

(٣) اما بدو صلاح العنب ، بينت في الحديث : (حتى يسود) .

ويسود : بتشديد الدال : أى يبدا صلاحه وسلامته من الآفات والعاهة ^(٣) .

جمع المحصول :

ان وقت جمع المحصول يكون عند نهاية نضج الثمار ، وذلك مثل العنب

ان النضج هم الفترة التي تصل فيها حبات العنب الى الحد الأقصى من

(١) سنن أبي داود (٢٢٧/٢) كتاب البيوع ، باب في بيع الثمار ، صحيح

البخارى (١٠١/٣) البيوع ، باب بيع الثمار ، صحيح مسلم (١١٧٥/٣)

البيوع . باب النهي عن المحاقله .

(٢) معالم السنن للخطابي (٤٢/٥) .

(٣) تحفة الأحوذى للمباركفوري (٤٢٢/٤) .

حيث نسبة السكر، والحد الأدنى من حيث نسبة الحموضة، ويكون اللون المميز والبنية والطعم والرائحة، وتتغير هذه الصفات باستمرار طالما أن الثمار على الأشجار، ولكنها تتوقف عمليا عادة عند الجمع، فعلاجات نضج العنب للجمع هو :

(١) أن يكون مظهر الحبات حمراء أو سوداء، فالعناقيد تأخذ اللون

المميز عند النضج، أما الأصناف فتصبح صفر تقريبا عند النضج .

(٢) زيادة نسبة السكر، ونقص الحموضة .

(٣) تحول لون البذور من اللون الأخضر الى اللون البنى أما اللون فى

الحبات، فيختلف اللون باختلاف الأصناف ولا يمكن اعتبار اللون أساسا

لتقدير درجة النضج إذ أنه يختلف باختلاف المنطقة التى ينمو فيها

فقد لا يأخذ الصنف اللون المرغوب فى منطقة (ما) ولكنه يكون قد

نضج، وعلى العموم فالأصناف البيضاء أو المخضرة إذا ما وصل

لونها الى الأبيض المصفر دل ذلك على نضجها، أما الأصناف الحمراء

(١)

أو السوداء فكلما كان اللون داكنا لاما دل على نضج المحصول .

فصدق القائل صلى الله عليه وسلم إذ قال : (فى العنب : حتى يسود)

والوقت الزمنى الأفضل المناسب لجمع المحصول، هو الوقت المبكر من

النهار بعد تطاير الندى الصباحى، وخاصة فى المناطق الصحراوية، والأكثر

دفا، حماية للمحصول من شدة الشمس، وحماية من يقوم بجمع المحصول من

(٢)

حرارة الشمس .

وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذلك، ونهى عن الجمع

والحصاد ليلا، عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن على بن

حسين أنه قال : لقيم له جذ نخله بالليل : ألم تعلم أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم نهى عن جذاذ الليل وصرامه، أو قال حصاد الليل؟؟ قال

(١) كروم العنب د. طاهر خليفة، د. فليح السامرائى (ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٢) كروم العنب (ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

سفيان : فقال : حتى يكون بالنهار ويحضره المساكين (١) .

وفى رواية أخرى عن الحسن قال : " نهى عن جذاذ الليل وحصاد الليل والاضحاء بالليل ، وانما كان ذلك فى شدة حال الناس ، فكان الرجـــــــــــــــــل يفعلُه ليلا فنهى عنه ، ثم رخص ذلك (٢) .

والنهى عن الحصاد وجمع المحصول ليلا حتى تحضره المساكين فهــــــــــــــــم يحضرونه فى النهار فيصدق عليهم ، وذلك لأن الليل جعل للسكون والهدوء والراحة وفى الليل كذلك تكثر الهوام والدواب ، فخشية أن تصيب الناس اذا حصدوا ليلا بأذى ، فنهوا عنه حفاظا عليهم ، ثم ان النهار أساســــــــــــــــا جعل للانتشار وطلب المعاش ، فكان الأفضل فى جمع الحصاد نهارا ، ثم أنه فى النهار يستطيع الحاصد والجامع للمحصول ، فى النهار يتمكن من جمع المحصول سليما ، وعدم تعرضه للفساد والهلاك والضياع ، بالمشى عليــــــــــــــــه بالأرجل لأن ظلمة الليل تمنع رؤية ماتبعتر على الأرض ، ومابقى فى الشجر والله أعلم .

وبعد الحصاد وجمع المحصول ، تكون نهاية المطاف والرحلة مــــــــــــــــع الاهتمام بالنبات زراعة وصيانة وحصادا ، ولكن لم ينتهى المطاف مع البحث لأنه بعد الحصاد وجمع المحصول ، هناك حقوق تترتب على هذا المحــــــــــــــــصول وواجبات ، وهذا ما سوف أتناوله فى الفصل الثانى بالتفصيل .

(١) كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ١٥٥) قال أحمد شاكر : سنده مرسل:

أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (١٣٣/٤) كتاب الزكاة عن شعبة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده .

(٢) كتاب الخراج ليحيى بن آدم (ص ١٥٥ - ١٥٦) قال أحمد شاكر : سنده

مرسل .

الفصل الثاني

”الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَلْحَقُوا بِهِ مِنَ الْقُوَّةِ السُّعْيَةِ بِالنَّبَاتِ“

وتكون من تمهيد وبيان :-

- ١- التمهيد : الانقذات واحكامه .
- ٢- لمجت الاول : الزهارة واحكامها .
- ٣- لمجت الثاني : زهارة الفطر واحكامها .
- ٤- لمجت الثالث : لحيته .
- ٥- لمجت الرابع : لشكر .

الفصل الثانىالمحافظة على الحقوق المتعلقة بالنباتاتتمهيد : الانفاق وأحكامه

عندما امر الشرع بالاهتمام بالنبات زراعة وصيانة وحصادا كما بينته سابقا لأنه قوام حياة الانسان والحيوان ، جعل كذلك فيه حقوقاً وواجبات على الانسان مثله مثل سائر المخلوقات التى شرع الله سبحانه وتعالى فيها حقوقا على الانسان وألزمه بها ومن تلك الحقوق :

(١) الزكاة .

(٢) زكاة الفطر .

(٣) الصدقة .

(٤) الشكر .

وقبل أن أخوض فى الكلام عن الزكاة والصدقة والشكر أبدأ الكلام

أولا عن النفقة كتمهيد للموضوع .

ان الاسلام فى نظامه المالى يقوم على أسس راسخة ثابتة لاتستغىر ولاتتبدل ، تتناسب مع كل الأحوال والظروف والمكان والزمان ، وذلك ليكفل المعيشة الكريمة لكل فرد من أفراد المجتمع الاسلامى ، ويتحقق التكافل الاجتماعى بين أفراد ، فتتشر بينهم صور المحبة والاخاء ، من خلال هذا التكافل يتحول المجتمع الى أسرة يسودها التراحم والتواد والتعاون ويرتفع به الى السمو الايمانى والمستوى الكريم ، لذلك نجد الاسلام يستجيش النفس البشرية بالبذل والعطاء ، ومن البذل والعطاء الانفاق فى كل وجوه الخير ابتغاء رضا الله عز وجل ورغب النفس البشرية بأن تسارع فى الانفاق ، وهى طائعة راضية وذلك لتكسب الربح الوفير ، والكسب الكثير من عند الله ، فالانفاق يجعل المالحة نامية باستمرار تتكاثر وتتضاعف مثل حبة النبات تماما ، فانها بذرة يلفيها صاحبها فسـ

الأرض الخصبة فتتمو وتترعرع، وتثمر وتعطي صاحبها أضعافاً مضاعفة، وهذا مصداق قوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ^(١))
والله واسع عليم) .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الانفاق صفة من صفات المؤمنين فقال تعالى : (ألم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ^(٢) .

الانفاق في القرآن الكريم :

لقد ورد الانفاق في القرآن الكريم ، بكل اشتقاقاته في (٧٣) موضعاً فقد ورد بلفظ (ينفقون) في (٢٠) موضعاً من القرآن ولفظ (انفقوا) في (١١) موضعاً بأسلوب المدح ولفظ (أنفقوا) بأسلوب الأمر (٩) مواضع ولفظ (تنفقوا) في (٩) مواضع ولفظ (تنفقون) في موضعين ولفظ (ينفق) في (٧) مواضع ولفظ (أنفقتم) في (٤) مواضع ولفظ (أنفق) في موضعين ولفظ (ينفقونها) في موضعين ولفظ (نفقه) في موضعين ولفظ (أنفقست) في موضع واحد ولفظ (ينفقوا) مرة واحدة ولفظ (نفقاتهم) موضع واحد ولفظ (الانفاق) موضع واحد ولفظ (المنفقين) موضع واحد ^(٣) .

تعريف الانفاق :

النفقة هي : مستقة من النفوق الذي هو الهلاك وهو عبارة عن الاتسلاف

(١) البقرة (٢٦١) .

(٢) البقرة (١ - ٥) .

(٣) انظر :

(أ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي

(ص ٧١٥ - ٧١٦) .

(ب) الاعجاز العددي للقرآن الكريم لعبد الرزاق نفل (ص ١٠٩ - ١١٠) .

وفى لسان العرب معان أصحابها المناسب لهذا الباب هو النفاذ والفناء
والصرف وهو المراد هنا .

ومنه يقال : نفق المال اذا مضى ونفذ اذا فنى وأتلف لما فيهِ
(١)
هلاك المال باخراجه من يد صاحبه .

والمراد بالانفاق فى القرآن المدح ، ولغة : الاتلاف ، والفناء
لذلك كان التخصيص له ، فناء المال ونفاذه فى طاعة الله عز وجل
والانفاق فى طاعة الله عز وجل يشمل كل أنواع النفقة ومنها : الطعام
والكسوة والسكن لأنها أساس حياة الانسان وضرورياته . وقد قال الرازى
(٢)
فيه أصل الانفاق اخراج اليد بالمال .

وقال القرطبي : ينفقون : يخرجون . والانفاق : اخراج المال من
(٣)
اليد ومنه نفق البيع : أى خرج من يد البائع الى المشتري .

أقسام الانفاق :

وللانفاق أقسام وأنواع ، فأما أقسامه فهى قسمان هما :

(١) الانفاق فى سبيل الله وطاعته ، ومن ذلك قوله تعالى : (الذين ينفقون
أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم
عند ربهم) وقال تعالى : (وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم
(٤)
الى التهلكة) (٥)

(١) انظر : المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى (ص ٥٠٢) ، أنيس انفقها

قاسم القونوى (ص ١٦٨) ، لسان العرب (٦٩٣/٣) .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٦٨/١) .

(٣) تفسير القرطبي (١٥٥/١) .

(٤) سورة البقرة (٢٦٢) .

(٥) سورة البقرة (١٩٥) .

(٢) الانفاق فى سبيل الطاغوت والشيطان وطاعته ، ومن ذلك قوله تعالى :
 (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) (١) (ولا ينفقون
 الا وهم كارهون) (٢)

أنواع الانفاق :

لعد بدأت الفصل الثانى من الباب الرابع وهو المحافظة على الحقوق المتعلقة بالنبات الانفاق ، وذلك لأن الانفاق أعم وأشمل لكل الحقوق فهو يشمل انفاق الكافر والمؤمن ، وانفاق الانسان على نفسه وولده وأهله وخادمه وقراباته ، ويشمل الزكاة ، ويشمل اخراج المال تطوعاً لله تعالى والذى يعينى من أنواع الانفاق هو الانفاق فى سبيل الله وطاعته ، فعلى ذلك يكون الانفاق أعم وأشمل من الصدقة الواجبة وغيرها فكل صدقة انفاق وليس كل نفقة صدقة .

(١) الانفاق الواجب .

(٢) الانفاق المستحب .

(١) الانفاق الواجب وهو الصدقة الواجبة ويشمل عدة مراتب :

(أ) المرتبة الأولى من الانفاق الواجب :

انفاق الانسان على نفسه وأهله وولده وخادمه ، وهو على رأس وجوه الانفاق ، فى الأدب المفرد للبخارى عن شوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من أفضل دينار أنفقه الرجل على عياله ودينار أنفقه على أصحابه فى سبيل الله ودينار أنفقه على دابته فى سبيل الله . قال أبو قلابة وبدأ بالعيال وأى رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عياله صغار حتى يغنيهم الله عز وجل (٣)

وفى رواية أخرى عن جابر قال : قال رجل يارسول الله عندي دينار قال أنفقه على نفسك قال عندي آخر فقال أنفقه على خادمك أو قال على

(١) سورة الانفال آية (٣٦) .

(٢) سورة التوبة (٥٤) .

(٣) الأدب المفرد للبخارى (ص ١١١) ، باب نفقة الرجل على أهله ، صحيح مسلم

(٦٩١/٢ - ٦٩٢) الزكاة باب فضل النفقة على العيال .

ولذلك ، قال عندي آخر قال ضعه فى سبيل الله وهو آخسها" (١) .

وفى رواية البخارى (وابدأ بمن تعول) (٢) .

وفى مسلم : (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) (٣) .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل النفقة على الاهل والولـد والنفس والخدم ، ذلك بما فيها من عفة النفس والاعتراف بنعمة الله عز وجل والاهتمام بالحقوق وأدائها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (ان لربك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعطى كل ذى حق حقه) (٤) .

(ب) المرتبة الثانية من الانفاق الواجب (الزكاة) :

بعد أن يودى الانسان حق نفسه ومن يعول من الانفاق ، ثم مافاض من أمواله بعد الضروريات والكماليات من حاجاته وتتوفر فيه كل الشروط تكون المرتبة الثانية من الانفاق فى هذه الأموال هى الزكاة ومنها قوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب آليم) (٥) .

(ج) المرتبة الثالثة من الانفاق الواجب حقوق سوى الزكاة ، قال الرسول صلى

الله عليه وسلم : (إن فى المال حقا سوى الزكاة) (٦) .

والمفهوم من هذا الحديث انفاق الكفارات والنذور **واطعام المضرر** واغاة الجائع والجهاد فهو يكون واجبا متعلقا بالذمة عندما يلزم الانسان نفسه به من نذر أو كفارة ، للقتل أو اليمين أو الظهار ، ومنه قوله تعالى : (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) (٧) . (يوفون بالنذر ويخافون يومـا

(١) الأدب المفرد للبخارى (ص ١١١) . باب نفقة الرجل على أهله .

(٢) صحيح البخارى (١٣٩/٢) الزكاة لاصدقة الا عن ظهر غنى ، صحيح مسلم (٧١٧/٢)

الزكاة ، **باب** أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

(٣) صحيح مسلم (٦٩٢/٢) الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال .

(٤) صحيح البخارى (٤٩/٣) الصيام باب من أقسم على أخيه ليفطر ، صحيح مسلم

(٨١٧/٢ - ٨١٨) الصيام ، باب النهى عن صوم الدهر .

(٥) سورة التوبة (٣٤) .

(٦) سنن الترمذى (٨٥/٢) الزكاة ، باب ماجاء ان فى المال حقا سوى الزكاة عن

فاطمة بنت قيس ، قال الترمذى هذا حديث اسناده ليس بذاك ، وأبوحمزة ميمون الأعور يـضعف وروى بيان واسماعيل بن سالم عن الشعبى هذا الحديث قوله وهذا أصح ، وأخرجه الدارمى فى السنن (٣٨٥/١) بنفس السند بسباب مايجب فى مال سوى الزكاة .

قلت : وميمون الأعور هذا قال فيه أحمد : متروك الحديث - وقال النسائى :

ليس بثقة وقال البخارى : ليس بالقوى عندهم . انظر هامش كتاب المجروحين :

للبيستى (٥/٣) تحقيق محمود زايد .

(٧) سورة البقرة (٢٧٠) .

(١)
• كان شره مستطيرا

وقوله تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتعمر — سون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) (٢)

وفدية العاجز عن الصيام ومن وجبت عليه الفدية في الحج وإذا أصابت المسلمين جائحة مثل الحروب والمجاعات والحرائق هذه كلها تعتبر من الانفاق الواجب الذي تدعو الحاجة اليه .

(٢) الانفاق المستحب .

الانفاق المستحب يدخل فيه كل النفقات في طاعة الله ما عدا الواجب الذي ذكر سابقا وهو صدقة التطوع ومنه قوله تعالى : (وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يئس أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأمدق وأكن من الصالحين) (٤)

ومن أنواع الانفاق المستحب ما يلي :

(١) الانفاق في أعمال البر ووجوه الخير مثل اقامة دور العلم ومستشفيات أو اقامة بيوت الله سبحانه وتعالى ، انشاء مصانع الى غير ذلك مما يرفع من شأن المسلمين ومستواهم في جوانب الحياه ومن ذلك قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) (٥)

(١) سورة الانسان (٧) .

(٢) سورة المائدة (٨٩) .

(٣) انظر في ذلك : نظام الاسلام الاقتصادي ، محمد المبارك (٨٤ - ٨٥) .

(٤) سورة المنافقون (١٠) .

(٥) سورة آل عمران (٩٢) .

- (٢) الانفاق فى مجاملات الناس بعضها لبعض مثل الهدايا التى تقدم فى المناسبات مثل الزواج والسفر، والمولود وغير ذلك ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تهادوا تحابوا)^(١) .
- (٣) الانفاق على الأيتام والمساكين والضعفاء والأرامل من القربيات وغيرهم لوجه الله تعالى ابتغاء مرضاته ومنه قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة)^(٢) .
- وقوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)^(٣) .
انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا)^(٣) .
- (٤) الانفاق فى الجهاد وذلك لمن أراد أن يشارك فى الجهاد فى سبيل الله تطوعا بماله فيجهز غازيا يساعده بماله على مجاهدة العدو ومنه قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجسارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)^(٤) .

آداب الانفاق :

شرع الاسلام الانفاق وفتح أبوابه للمسلمين ، وذلك مراعاة لحاجة المحتاجين وقضاء حوائج المسلمين ويتحقق التكافل الاجتماعى فى الشعوب الاسلامية ، ولكنه مع هذا جعل هناك ضوابط لهذا الانفاق وراعى فيها مشاعر المحتاجين وكرمتهم من أن تتعرض للجرح والاهانة من قبل

- (١) الأدب المفرد للبخارى (ص ٨٧) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم .
- (٢) سورة البقرة (١٧٧) .
- (٣) سورة الانسان (٨ - ٩) .
- (٤) سورة الصف (١٠ - ١١) .

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الشرعية

المشرف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عيسى

هذا المصنف مؤتمراً للمناقشة ولم يطبع من طابعه أو تصديقه

وتمت مناقشته بإجازة الدكتور محمد بن عبد الله بن عبد القادر

د. عبد المحمود بن عبد القادر

عضو المناقشة

عضو المناقشة

د. عبد الرحمن بن فهد

عضو المناقشة

عضو المناقشة

الكتاب

في ضوء بيان الأصول الفقهية

بمحة مقدم لنيل درجة الدكتوراة

للعلاء الطالبة:

جواهر محمد بن عبد السلام

تخصص: كتاب وسنة

إشراف الدكتور:

محمد إبراهيم الشافعي

لغاية ١٤٠٨ هـ

”الجزء الرابع“



١٤٠٨ هـ

المبحث الأول : الزكاة وأحكامها

قبل أن أعرف ماهي النباتات التي تزكى والتي لاتزكى وماهو النصاب وماهو مقدار الزكاة، أولا أبدأ الموضوع بتعريف الزكاة، جريا على قاعسة البحث فى الأبواب السابقة ليكون بها الدخول الى الموضوع المراد بحثه فسوف أبدأ أولا بتعريف الزكاة لغة ثم اصطلاحا، ثم الربط بينهما .

الزكاة لغة :

مصدر "زكا" الشيء اذا نما وزاد وزكا فلان اذا صلح، فالزكاة
(١)
هى : البركة والنماء والطهارة والصلاح .

قال فى لسان العرب : وأصل الزكاة فى اللغة : الطهارة والنماء
(٢)
والبركة والمدح وكله قد استعمل فى القرآن والحديث .

وجاء فى فقه الزكاة قول القرضاوى : والأظهر كما قال الواحدى وغيره أن أصل مادة "زكا" : الزيادة والنماء، ويقال : زكا الزرع ويزكو زكاء وكل شيء ازداد فقد زكا ولما كان الزرع لاينمو الا اذا خلص من الدغـل كانت لفظة "الزكاة" تدل على الطهارة أيضا .

وإذا وصف الأشخاص بالزكاة : بمعنى الصلاح . فذلك يرجع الى زيادة الخير فيهم ، يقال : رجل زكى ، أى زائد الحد من قوم أزكياء " وزكى القاضى الشهود" اذا بين زيادتهم فى الخير"
(٣)

قال ابن الهمام فى شرح فتح القدير : هى فى اللغة : الطهارة
(٤)
(قد أفلح من تزكى) والنماء زكا الزرع اذا نمى ، وفى هذا الاستشهاد

-
- (١) المعجم الوسيط (٣٩٨/١) .
(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٦/٢) .
(٣) فقه الزكاة ليوסף القرضاوى (٣٧/١)، وانظر فتاوى ابن تيمية (٨/٢٥) .
(٤) سورة الاعلى ، آية (١٤) .

نظر لأنه ثبت الزكاة بالهمز، بمعنى النماء يقول زكا زكاء فيجوز كـون الفعل المذكور منه لامن الزكاة بل كونه منها يتوقف على ثبوت عين لفظ الزكاة فى معنى النماء ، ثم سى بها نفس المال المخرج حقا لله تعالى على ما تذكر فى عرف الشارع قال تعالى : (وآتوا الزكاة) ومعلوم أن متعلق الايتاء هو المال

الزكاة اصطلاحا : هى نفس فعل الايتاء لأنهم يصفونها بالوجوب ومتعلق الأحكام الشرعية أفعال المكلفين ومناسبتها للغوى أنه سبب له إذ يحصل به النماء بالاخلاف منه تعالى فى الدارين والطهارة للنفس من دنى البخل والمخالفة ، وللمال اخراج حق الغير منه الى مستحقه أعنى (١) الفقير .

قال الخوارزمى : عبارة ايتاء جزء من النصاب الحولى الى الفقير لأنها توصف بالوجوب وهو من صفات الأفعال ، وقيل هو اسم للقدر الذى يخرج الى الفقير لأن ايتاء الايتاء محال . (٢)

قال فى فقه الزكاة تطلق على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله على المستحقين . كما تطلق على نفس اخراج هذه الحصة وسميت هذه الحصة المخرجة من المال زكاة ، لأنها تزيد فى المال الذى أخرجت منه (٣) وتوفره فى المعنى ، وتقويه الآفات ، كما نقله النووى عن الواحدى .

وقال ابن تيمية : نفس المتصدق تزكو، وماله يزكو يظهر ويزيد فى (٤) المعنى .

-
- (١) فتح القدير لابن الهمام (١١٢/٢)، وانظر حاشية سعدى أفندى (١١٢/٢) هامش فتح القدير . سورة التوبة . آية (٥) .
- (٢) الكفاية للخوارزمى (١١٢/٢)، وانظر شرح العناية على الهداية للبايرتى (١١٢/٢) على هامش فتح القدير .
- (٣) نقلا من كتاب فقه الزكاة للقراضوى (٣٧/١ - ٣٨) .
- (٤) مجموعة فتاوى ابن تيمية (٨/٢٥) وانظر الكفاية للخوارزمى (١١٢/٢)، وانظر شرح العناية على الهداية للبايرتى (١١٢/٢) .

فعلى هذا يكون معنى الزكاة : هي ما يخرج من حق الله في مال مخصوص لوقت مخصوص بمقدار مخصوص ، من أناس مخصوصين الى أناس مخصوصين فتشمل بذلك عين المال ، والمزكى للمال ، والفعل الذى هو الاخراج وممن يأخذها ، فهي تكون نماء وزيادة وطهرة للمال ، كما في قوله صلى الله عليه عليه وسلم : (مانقت صدقة من مال)^(١) وطهرة وتزكية للمزكى في فعله ونفسه ودينه وايمانه ، كقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)^(٢) وزيادة خير ونماء مادي ونفسى للفقراء .

كما قال الزمخشري في الفائق : الزكاة فعلة كالصدقة ، وهي من الأسماء المشتركة تطلق على عين : وهي الطائفة من المال المزكى بها وعلى معنى : وهو الفعل الذى هو التزكية .^(٣)

وقال ابن قدامة : حق يجب في المال ، ووافقه في ذلك ابن الفرج ابن قدامة^(٤)

وفى مواهب الجليل قال ابن عرفة الزكاة اسم جزء من مال شرطه لمستحقه ببلوغ المال نصابا . وعرفها بعضهم : اسم لقدر من المال يخرج به المسلم في وقت مخصوص لطائفة مخصوصة بالنية ، وسميت زكاة لأن المال ينمو ببركة اخراجها ومؤديها يزكو عند الله تعالى .^(٥)

الزكاة في القرآن :

لقد وردت الزكاة بلفظها في القرآن في ثلاثين موضعا من القرآن الكريم ، منها خمس آيات في سورة البقرة ، (آيتان) في سورة النساء

-
- (١) صحيح مسلم (٢٠٠١/٤) البر والصلة . باب استحباب العفو والتواضع .
 - (٢) سورة التوبة (١٠٣) .
 - (٣) الفائق للزمخشري (٥٣٦/١) ط١ ، وانظر شرح فتح القدير للمصنف ابن كمال (ص ١١٢) .
 - (٤) المغنى لابن قدامة (٣٣/٢) ، الشرح الكبير لأبى الفرج بن قدامة (٣٣/٢) على هامش المغنى (٥٧٢/٢) المطبعة اليوسفية .
 - (٥) مواهب الجليل للحطاب (٢٥٤/٢) وانظر التاج والاكلیل للمواهب (٢٥٥/٢) هامش المواهب .

(آيتان) فى سورة المائدة ، (آية) فى سورة الأعراف ، (أربع آيات) فى سورة التوبة ، (آيتان) فى سورة مريم ، (آية) فى سورة الأنبياء ، (آيتان) فى سورة الحج ، (آية) فى سورة المؤمنون ، (آيتان) فى سورة النور ، (آية) فى سورة النمل ، (آية) فى سورة الروم (آية) فى سورة لقمان ، (آية) فى سورة الأحزاب ، (آية) فى سورة فصلت ، (آية) فى سورة المجادلة ، (آية) فى سورة المزمل ، (آية) فى سورة البينة .

وقد ذكر فى فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، أن آية البقرة (١٧٦)
 (١)
 والأصح أنها آية (١٧٧) وقد ذكر أن مواضع الآيات فى القرآن (٢٩) موضع .
 والصواب ثلاثون موضعا ، ولقد ذكر فى فقه الزكاة أنها أتت معرفة فى ثلاثين موضعا والصواب أنها أتت معرفة فى (٢٩) موضعا لأن آية سورة الروم (غير معرفة) وهى قوله تعالى (وما آتيتم من زكاة تريبـدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) (٢)

والظاهر أنه عدها مع المعرفة ولم يتيقن من ذلك وذكر أنها وردت مقترنة مع الصلاة فى آية واحدة فى (٢٧) موضعا .
 (٣)

والأصح فى (٢٦) موضعا ، وفى موضع واحد فى سياق واحد ، عند صفات المؤمنين ولكنها ذكرت بعد ثلاث آيات فى سورة المؤمنين

وأنت ثالشا فى سورة (الروم) حيث أتت مقترنة بالربا فى سبب
الحديث عن الربا (وما أتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند
الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) (١)
ورابعا فى سورة (فصلت) اتت فى سياق الحديث عن ذم المشركين
(الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) (٢)
وذكر الدكتور يوسف القرضاوى فى كتاب فقه الزكاة ، والمتبجح
للمواضيع الثلاثين التى ذكرت فيها الزكاة يجد أن (٨) ثمانية منها فى
السور المكية وسائرهما فى السور المدنية . (٣)
وهذا غير صحيح والصواب أن السور المدنية (٢١) احدى وعشرون آية
وعليها تكون السور المكية (٩) تسع آيات فيكتمل عدد الآيات (٣٠) ثلاثون
آية . والله أعلم .

معنى الزكاة فى القرآن ومراداتها :

لقد وردت الزكاة بلفظها فى القرآن كما مر معنا سابقا والمراد
منها زكاة الأموال ، ولكنها وردت فى القرآن أيضا بلفظ الصدقة ، والصدقة
أول ما تطلق تعرف عند الناس بأنها صدقة التطوع وليست الزكاة ولكن هى
فى حقيقتها يقصد بها الاثنى ، الزكاة والتطوع ، فهى أعم من الزكاة
لأن لفظ الزكاة معروفة باسمها أنها زكاة الأموال فهى تكون أخص من
الصدقة ، ولاتشترك فى اسمها معها شيئا غير زكاة الأموال ، أما الصدقة
فهى أعم من الزكاة ، فتطلق ويراد بها الزكاة ، وتطلق ويراد بها التطوع
وذلك لأن الصدقة فى اللغة : كما جاء فى لسان العرب : والصدقة ما صدقت
به على الفقراء . والصدقة : ما أعطيته فى ذات الله للفقراء ، والمتصدق

(١) سورة الروم (٣٩) .

(٢) سورة فصلت (٧) .

(٣) فقه الزكاة ليوسف القرضاوى (٤٢/١) .

(١)
الذى يعطى الصدقة ، والصدقة ماتصدقت به على المسكين .
وقال الراغب فيها : والصدقة ما يخرجها الانسان من ماله على وجه القربة كالزكاة لكن الصدقة فى الأمل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب
(٢)
وقد يسمى الواجب صدقة اذا تحرى صاحبها الصدق فى فعله .
أما المراد منها الزكاة فهى كما فى القرآن والسنة ومن ذلك قوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها) (٣)
(٤)
وقال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) .
وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيما دون خمس أواق صدقة) (٥) .
وفى حديث ارسال معاذ الى اليمن فقال له صلى الله عليه وسلم :
(فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) (٦)
وللقاضى أبى بكر ابن العربى قول قيم فى معنى تسمية الزكاة بالصدقة قال : (وذك ماخوذ من الصدق فى مساواة الفعل للقول والاعتقاد وبناء " صدق " يرجع الى تحقيق شيء بشيء وعضده به ، ومنه صدق المرأة ، أى تحقيق الحل وتصديقه بايجاب المال والنكاح على وجه مشروع .

ويختلف كله بتصريف الفعل ، يقال صدق فى القول صدقا وتصديقا .

-
- (١) لسان العرب (٤٢٢/٢) ، وانظر المصباح المنير للشناوى (٣٣٦/١) .
(٢) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى (ص ٢٧٨) .
(٣) سورة التوبة (١٠٣) .
(٤) سورة التوبة (٦٠) .
(٥) صحيح مسلم (٦٧٣/٢) كتاب الزكاة ، صحيح البخارى (١٤٧/٢ - ١٤٨)
الزكاة ليس فيما دون خمسة ذود .
(٦) صحيح البخارى (١٣٠/٢) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ، صحيح مسلم (٥٠/١) الايمان باب الدعاء الى الشهادتين .
(*) ذود : الذود من الثلاثة الى العشرة من الابل وغيرها . انظر هامش صحيح مسلم (٦٧٣/٢) كتاب الزكاة

وتصدقت بالمال تصدقا، وأصدقت المرأة اصدقا، وأرادوا باختلاف الفعل الدلالة على المعنى المختص به فى الكل، ومشابهة الصدق هاهنا للصدقة : أن من أيقن من دينه أن البعث حق وأن الدار الآخرة هى المصير وأن هذه الدار الدانية قنطرة الى الأخرى وباب الى السوء أو الحسنى وعمل لها، وقدم ما يجده فيها، فان شك فيها أو تكاسل عنها وآثر عليها - وبخل بماله، واستعد لآماله وغفل عن مآله (١) .

وقال القرضاوى : ولهذا جمع الله بين الاعطاء والتصديق كما جمع بين البخل والتكذيب فى قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسه لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسه للعسرى) (٢) .

وأما المراد منها غير الزكاة أو صدقة التطوع فى الكتاب والسنة فمنها فى القرآن قوله تعالى : (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) (٣) .

ففى هذه الآية ورد لفظ صدقة، ولم يرد بها لفظ الزكاة .

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب) (٤) .

وفى رواية أخرى عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا مراش وجساء رجل فتصدق بصاع، فقالوا : ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت :
 رجل فتصدق بصاع، فقالوا : ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت :

-
- (١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٩٥٨ - ٩٥٩) .
 (٢) فقه الزكاة للقرضاوى (١/٤١) وقد جاء فى فقه الزكاة خطأ فى الآية (فسنيسه) والأصح (فسنيسه لليسرى) سورة الليل (٥ - ١٠) ويبدو أن الخطأ مطبعى .
 (٣) سورة البقرة (١٩٦) .
 (٤) صحيح البخارى (٢/١٣٤) الزكاة باب لا يقبل الله صدقة من غل وولاي يقبل الا من كسب طيب .
 نحامل : أى نتكلف الحمل على ظهورنا بالاجرة لنكتسب ما نتصدق به .
 انظر فتح البارى / ابن حجر (٣/٢٨٣) .

(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجـدون
(١)
الاجهدهم) .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟
قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى
إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان .
(٢)

وقد ورد لفظ الصدقة فى القرآن مفردا وجمعا فى ثلاث عشرة موضعا
فى سورة البقرة (خمس) آيات ، وفى سورة النساء (آية واحدة) ، وفى سورة
التوبة (خمس آيات) وفى سورة المجادلة (آيتان) ، وليس كما ذكره
د . يوسف القرضاوى أنها (اثني عشر مرة) فكان منها لفظ المفرد فى
خمس مواضع من القرآن ولفظ الجمع فى ثمان مواضع من القرآن وآيات
الصدقات كلها فى سور مدنية .

ومن خلال تتبع آيات الزكاة وجدتها مكية ومدنية ، وآيات الصدقة
كلها مدنية ، وهذا يعطينا أن القرآن الكريم استعمل كلمة الزكاة
أولا بل وأن لفظ الزكاة كان مستعملا فى العهود القديمة قبل الاسلام ، وذلك
ما جاء فى القرآن فى حق عيسى عليه السلام وأمره بالزكاة فقال تعالى :
(وجعلنى مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (٣) .

وفى حق اسماعيل عليه السلام قال تعالى : (وكان يأمر أهله
(٤)
بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) .

وفى حق اسحق ويعقوب عليهما السلام قال تعالى : (وجعلناهم أئمة
يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوات وايتساء
(٥)
الزكاة وكانوا لنا عابدين) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٦/٢) الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمر ،
صحيح مسلم (٧٠٦/٢) كتاب الزكاة باب الحمل بأجرة يتصدق بها ،
سورة التوبة (٧٩) .
(٢) صحيح البخارى (١٣٧/٢) الزكاة ، باب أى الصدقة أفضل ، صحيح
مسلم (٧١٦/٢) الزكاة باب بيان أفضل الصدقة .
(٣) سورة مريم (٣١) .
(٤) سورة مريم (٥٥) .
(٥) سورة الأنبياء (٧٣) .

أما آيات الصدقة كلها مدنية فهذا يفيدنا أن استعمال القرآن للفظ الصدقة أو صدقة التطوع يراد به الزكاة كان بعد لفظ الزكاة ولم تستعمل فى العهود الماضية بهذا المراد وهى الزكاة أو صدقة التطوع ، بل سياق الآيات يفهم منه أنها تخص الرسول والمؤمنون .

وبعد هذا العرض الموجز عن تعريف الزكاة ومواضعها فى القرآن لى وقفة هنا مع فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه فقه الزكاة حيث قال : بيد أن العرف قد ظلم كلمة الصدقة، وأصبحت عنوانا على التطوع وما توجد به النفس على مثل المتسولين والشحاذين ولكن المدلولات العرفية يجب ان لاتخذعنا عن حقائق الكلمات فى لغة العرب فى عهد نزول القرآن ومادة الصدقة مأخوذة من الصدق .

وللقاضى أبى بكر بن العربى كلام قيم فى معنى تسمية الزكاة صدقة قال : (وذلك مأخوذ من الصدق فى مساواة الفعل للقول والاعتقاد) .^(١)

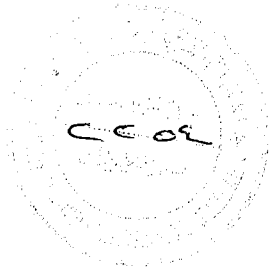
فيبدو من قوله أن الصدقة هى الزكاة والزكاة هى الصدقة أى أن الصدقة : هى الصدقة الواجبة فقط وهى الزكاة ولا يدخل فى لفظها ومعناها صدقة التطوع ، والأرجح أن الصدقة تأخذ الاثنى الصدقة الواجبة التى هى الزكاة ، وصدقة التطوع وذلك للأسباب الآتية :

(١) أن قول ابن العربى الذى استشهد به ليس فيه ما يوحى بان الصدقة هى الزكاة فقط وقوله (وذلك مأخوذ من الصدق فى مساواة الفعل للقول والاعتقاد) ليس معناه أن ذلك يخص الزكاة بل لابد أن يكون فعل الانسان المسلم المؤمن صادقا فى قوله واعتقاده، فى الصدقة أو صدقة التطوع ، أو صلاته ، أو حجه ، أو صيامه ، أو كل أعمال الخير والطاعات من الفروض والنوافل الصدق مطلوب من المسلم المؤمن .

(٢) أن الآيات فى القرآن منها ما يشير الى أنها زكاة ، ومنها ما يشير الى غير ذلك ومن ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) (٢) .

(١) فقه الزكاة ليوسف القرضاوى (ص ٤١) .

(٢) سورة المجادلة (١٢) .



وقوله تعالى : (آأشفتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) (١) .
وقوله تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) (٢) وقوله
تعالى : (ان تبدو الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) (٣) وقوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى) (٤) .

(٣) أقوال المفسرين فى تفسير هذه الآيات :

أ - قال الفخر الرازى فى آية البقرة (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) واعلم أن من الناس من قال ان الآية واردة فى التطوع لأن الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل منه ، وقد يحتمل أن يراد به الواجب ، وقد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير (٥) .

والأرجح عندى والله أعلم أنها صدقة التطوع وذلك لمناسبة الآية لما قبلها من الآيات وبعدها ، حيث أنها كانت تتحدث عن الانفاق فى سبيل الله ، وأجر وثواب الانفاق الخالص لله عز وجل وعقاب ووعيد الانفاق الذى يشوبه الرياء والنفاق والشرك ، ثم ان المن والأذى لا يأتى من الانسان الا من حيث احساسه بأن هذا فضل منه على الفقير ، وهذا يكون فى التطوع أكثر لأن احساس الانسان فى الزكاة يختلف على أنه هو واجب عليه فى ماله للفقير فهو فضل الله على الفقير فى مال الغني .

ب - فى الآيه الثانية من سورة البقرة (ان تبدو الصدقات) . قال القرطبي : والمراد من الصدقات على ما ذهب اليه جمهور المفسرين صدقات التطوع : وذلك لأن الاخفاء فى صدقة التطوع أفضل من الاظهار وكذلك سائر العبادات وقيل الصدقات المفروضة ، وقيل على العموم (٦) .

-
- (١) سورة المجادلة (١٢) .
 - (٢) سورة البقرة (٢٦٣) .
 - (٣) سورة البقرة (٢٧١) .
 - (٤) سورة البقرة (٢٦٤) .
 - (٥) تفسير الرازى (٣٢٢/٢) .
 - (٦) تفسير القرطبي (١١٤٠/٢) وانظر روح المعانى للآلوسى (٤٤/٣) .

وقد رجح ابن عاشور أنها المقصود منها العموم حيث قال : والتعريف في قوله (الصدقات) تعريف الجنس ، ومحملة على العموم فيشمل كـل الصدقات فرضها ونفلها ، وهو المناسب لموقع هذه الآية عقب ذكر أنواع النفقات وقد فضل الله في هذه الآية صدقة السر على صدقة العلانية على الإطلاق ، فانحملت على العموم ، كما هو الظاهر - اجراءً للفظ الصدقات مجرى لفظ الانفاق في الآية السابقة واللاحقة وكان اخفاء صدقة الفرض والنفل أفضل ، وهو قول جمهور العلماء ، وان أريد بالصدقات في الآية غير الزكاة كان المراد بها أخص من الانفاق المذكور في الآية قبلها وبعدها ، وكان تفضيل الاخفاء مختصاً بالصدقات المندوبة .

وقال ابن عباس والحسن : اظهر الزكاة أفضل ، واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها وهو قول الشافعي (١) .

وقال ابن العربي : أما صدقة الفرض فلا خلاف أن اظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر فرائض الشريعة ، لأن المرء يحرز بها اسلامه ، ويعصم ماله .

وليس في تفصيل صدقة العلانية على السر ولا في تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح يعول عليه ، ولكنه الاجماع الثابت ، فأما صدقة النفل فالقرآن صرح بأنها في السر أفضل منها في الجهر ، بيد أن علماءنا قالوا : ان هذا على الغالب مخرجه (٢) .

وهذا عندهم الأرجح ، وذلك لأن الرياء لا يدخل الانسان أكثر الا في التطوع لكسب محمداً الناس ، ثم ان اظهار الفرائض من الانسان أفضل لتعطيه صفة شخصية المسلم ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان) (٣) . واظهار الزكاة

(١) التحرير والتنوير / الطاهر بن عاشور (٦٨/٣) .

(٢) أحكام القرآن / ابن العربي (٢٣٦-٢٣٧) .

(٣) سنن الترمذي (١٢٥/٤) سبق بيانه .

أفضل حتى لا يأخذها غير مستحقها وفيها من الظهور أكثر جمع ولاة الأمور لها وتوزيعها على مستحقيها . والله أعلم بمراده ، أماما جاء في آيات سورة المجادلة مفاده تماما أن المقصود من الصدقة غير الزكاة .

ومن خلال هذه النقاط المذكورة يتضح أن الصدقة لا يقصد بها الزكاة فقط ، وإنما الصدقة يراد بها صدقة الواجب (الزكاة) أى القرض وصدقة النفل هي صدقة التطوع .

وتسمى الزكاة أيضا فى القرآن بالنفقة وقد قرنت بالصلاة ومنها قوله تعالى : (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقون مما رزقناهم سرا وعلانية) (١) وقال تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٢) . (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٣) . وقال تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فيشربهم بعذاب أليم) (٤) . وقال تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٥) (وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت) (٦) .

مكانة الزكاة فى الاسلام :

ان الزكاة أحد الأركان الأساسية للدين الاسلامى ، وهى الركن الثالث من أركان الاسلام كما بينها حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فقال الرسول : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان (٧) . وحديث ابن عمر :

-
- (١) سورة ابراهيم (٣١) .
 (٢) سورة البقرة (٣) .
 (٣) سورة الانفال (٣) .
 (٤) سورة التوبة (٣٤) .
 (٥) سورة الحديد (٧) .
 (٦) سورة المنافقون (١٠) .
 (٧) أخرجه البخارى فى الصحيح (٢٠/١) الايمان باب سؤال جبريل ، صحيح مسلم (٣٧/١) الايمان ، باب الايمان والاسلام والاحسان .

(بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) (١) .

اذاتبين لنا الأحاديث أن الزكاة ضرورة من ضرورات الدين فهي
الركن الثالث من أركان الاسلام الأساسية التي يقوم عليها وهذا من اهتمام
الشارع بها حيث جعلها الركن الثالث ، بحيث لا يتم اسلام المرء ولا ايمانه
الا بها ، لذلك أتت بعد الصلاة مباشرة .

ففى بعض الآيات والأحاديث تذكر دون سائر الاركان وذلك اذا كان المقام
مقام الدعوة الى الله فيكتف بذكرهما مع الشهادات لان من أتى بهـذـه
الثلاث الأركان أتى بباقي الأركان .

ففى حديث البخارى عن جرير بن عبدالله قال : بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة ، والنصح لكل
مسلم (٢) . وفى صحيح مسلم عن أبى أيوب قال : جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل أعمله يدينى من الجنسة
ويباعدنى من النار قال : " تعبدالله لاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ،
وتؤتى الزكاة ، وتصل رحمك " (٣) .

وفى قوله تعالى : (فانتابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم) (٤) . ومن اهتمام الشرع بها أنها ذكرت فى القرآن فى ثلاثين
موضعا . كما ذكرت سابقا ، وقد قرنت بالصلاة فى ستة وعشرين موضعا .
- فرضيتها :

ان فرضية الزكاة ثبتت بالكتاب والسنة واجماع الأمة كلها عليها
خلفاء سلف ، وجيلا بعد جيل ، والمعروف المشهور فى تاريخ التشريع
الاسلامى أنها فرضت فى المدينة المنورة فى السنة الثانية من الهجرة

-
- (١) صحيح البخارى (٩/١) كتاب الايمان ، باب دعاؤكم ايمانكم ، صحيح مسلم
(٤٥/١) الايمان ، باب أركان الاسلام .
- (٢) صحيح البخارى (٢٢/١) الايمان ، باب الدين النصيحة ، (٢٢١/٢) الزكاة باب
كراهة المسألة للناس .
- (٣) صحيح مسلم (٤٣/١) الايمان ، باب الايمان الذى يدخل به الجنة .
- (٤) سورة التوبة (٥) .

ولكن يتضح لى من خلال ما ذكرت أن لفظ الزكاة استعمله القرآن الكريم قبل الصدقة ، وأن الزكاة وردت فى كثير من الآيات المكية يتضح أن فرضية الزكاة نزلت بمكة أولا مثل الصلاة ، ثم بعد ذلك بالمدينة المنورة ، وقد قال الحافظ ابن كثير فى ذلك عند تفسير سورة المؤمنین عند قوله — هاهنا زكاة الأموال ، مع أن هذه الآية مكية ، وانما فرضت الزكاة بالمدينة فى سنة اثنين من الهجرة . والظاهر أن التى فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب والمقادير الخاصة ، والا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة قال تعالى فى سورة الأنعام وهي مكية (وآتوا حقه يوم حسابه) (٢) (٣) وهناك اختلافات فى أول فرضيتها ، فى مكة أو المدينة وهل فى السنة الأولى أو الثانية أو الخامسة أو السابعة أو التاسعة لاختلاف الروايات فى ذلك (٤) .

والخلاصة فى ذلك ذكرها د . يوسف القرضاوى فقال : الملاحظ فى حديث السور المكية عن (الزكاة) أنها لم تورد بها بصيغة (الأمر) الدال على الوجوب دلالة مباشرة ، ولكنها أوردتها فى صورة خبرية باعتبارها وصفا أساسيا للمؤمنين والمتقين والمحسنين ، الذين يؤتون الزكاة أو الذين هم للزكاة فاعلون ، والذين خصهم الله بالفلاح (وأولئك هم المفلحون) (٥) كما أخبر أن تركها من خصائص المشركين (الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) (٦) .

-
- (١) سورة المؤمنین : آية (٤) .
 - (٢) سورة الانعام : آية (١٤١) .
 - (٣) تفسير ابن كثير (٢٣٨/٣ - ٢٣٩) .
 - (٤) انظر فتح البارى / ابن حجر (٢٦٦/٣) .
 - (٥) سورة البقرة : آية (٥) .
 - (٦) سورة فصلت : آية (٧) .

وإذا كان إيتاء الزكاة من الأوصاف الأساسية للمؤمنين المفليحين وتركها من الأوصاف اللازمة للمشركين فذلك يدل على الوجوب ، اذ التحلي بصفات المؤمنين والخروج عن خصائص المشركين ، أمر واجب لانزاع فيسه يضاف الى ذلك الامر فى قوله : (وآتوا حقه يوم حصاده) (١) .

والزكاة التى ذكرت فى القرآن الكريم لم تكن هى بعينها الزكاة التى شرعت بالمدينة ، وحددت أنصبتها ومقاديرها ، وأرسل السعاة لجبايتها وصرفها ، وأصبحت الدولة مسؤولة عن تنظيمها ، والزكاة فى مكة كانت زكاة مطلقة من القيود والحدود ، وكانت موكولة الى ايمان الأفراد وأريحيتهم وشعورهم بواجب الأخوة نحو اخوانهم من المؤمنين ، فقد يكفى فى ذلك القليل من المال ، وقد تقتضى الحاجة بذل الكثير أو الأكثر ، وقد كان المسلمون فى مكة أفرادا صادقين فى دعوتهم أما فى المدينة فهم جماعة لها أرض وكيان وسلطان ، فلهذا اتخذت التكاليف الاسلامية صورة جديدة ملائمة لهذا الطور : صورة التحديد والتخصيص بعد الاطلاق والتعميم ، صورة قوانين الزامية بعد ان كانت وصايا توجيهية فحسب ، وأصبحت تعتمد فى تنفيذها على القوة والسلطان ، مع اعتمادها على الضمير والايمان ، وظهر هذا الاتجاه المدنى فى الزكاة فحدد الشارع الأموال التى تجب فيها ، وشروط وجوبها والمقاييس الواجبة فيها ، والجهات التى تصرف لها وفيها والجهاز الذى يقوم على تنظيمها وادارتها (٢) .

وأضيف الى ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوى ، فى أن الزكاة التى فى الآيات المكية ، لم يكن منها فرضيتها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وانما هى استمراريتها على ما كان عليها الامم السابقة ، وذلك كما ذكرت أن بعض آيات الزكاة كانت تتحدث عن الزكاة وإيتاءها من السابقين ،

(١) سورة الأنعام: آية (١٤١) .

(٢) فقه الزكاة / يوسف القرضاوى (١/٦٢٠٦٠) .

فاستمرت الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والناس يؤدونها على اعتبار أنها أمر الشرع سابق لم يأتى فيه شيء من الامر أو النهى أو التحديد أو التقليل ، وانما أتت فرضيتها بالصورة المخصصة على الأمة الاسلامية فى العهد النبوى وذلك وفقا لما ذكر فى حديث الاسراء والمعراج — الصلاة ، عندما راجع موسى عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى فرضية الصلاة على أمته وعدد فروضها وذكر أنها فرضت على قوم موسى . والله أعلم .

حكم الزكاة :

- حكم الزكاة شرعا فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة حر مالك للنصاب وركن من أركان الاسلام بالكتاب والسنة واجماع الأمة (١) .
- ١ - الدليل من القرآن قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) (٢)
- وقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (٣) .
- ٢ - الدليل من السنة : فى صحيح البخارى حديث بعث معاذا الى اليمن عن ابن عباس رضى الله عنهما : (وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذا رضى الله عنه الى اليمن فقال : ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فان هم اطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) (٤) .

(١) فقه السنة : سيد سابق (١٩-٥/٣)
 (٢) سورة البقرة : آية (٤٣) مدنية .
 (٣) سورة التوبة : آية (١٠٣) .
 (٤) فتح البارى : ابن حجر (٣٦١/٣) ، صحيح البخارى (١٣٠/٢) كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة . صحيح مسلم (٥٠/١) الايمان . باب الدعاء الى الشهادتين .

وفى رواية قدوم وفد عبدالقيس عندما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم وفد عبدالقيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ان هذا الحي من ربيعة قد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، ولسنا نخلص اليك الا فى الشهر الحرام ، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو اليه من وراءنا قال: أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وعقد بيده هكذا واقام الصلاة وابتداء الزكاة وأن تؤدوا خمس ماغنمتم • وأنهاكم عن الدباء والحنتم ، والنقيير والمزفت (١) .

٣ - اجماع الأمة : قال فى المغنى : وأجمع المسلمون فى جميع الأعصار على وجوبها واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها (٢) .

(١) فتح البارى : ابن حجر (٢٦٢/٣)، صحيح البخارى (٢١/١) الايمان باب آد١ الخمس من الايمان (١٣١/٢) الزكاة باب وجوب الزكاة ، صحيح مسلم (٤٦/١) الايمان باب الأمر بالايمان .

(٢) المغنى لابن قدامة (٥٧٢/٢) ، الشرح الكبير / ابن قدامة المقدسى (٤٣٤/٢) ، على هامش المغنى .

الأموال التي تجب فيها الزكاة :

لقد أوجب الاسلام الزكاة فى أصناف معينة من الأموال المملوكة

التي أكملت حولا كاملا ونصا با كاملا هي :

- ١ - زكاة النقدين : الذهب والفضة .
- ٢ - زكاة السوائم (الابل - البقر - الغنم) .
- ٣ - زكاة المعادن .
- ٤ - زكاة الركاز .
- ٥ - زكاة عروض التجارة .
- ٦ - زكاة الزروع والثمار .

وحيث أن موضوع البحث عن النبات ، والنبات هو الزرع وهو الثمر، لذلك سوف أتناول زكاة الزروع والثمار بالتفصيل والتحليل دون غيرها من الأموال الأخرى لأنها ليس موضع البحث ، وسوف أجعل جل اهتمامى فى الزكاة هو على الثمار والزروع ، والزرع والثمار والنبات من أجل نعم الله على عباده والمصدر الاول لرزقهم ومعيشهم ، وقوام بدنهم، وهياً لهذا النبات أسباب وهي الأرض الذلول الممهدة المسهلة الميسرة لانبات النبات ، وقدر فيها أقواتها وجعل فيها معايش البشر حيث قال تعالى (ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون) (١) .

ومن الأسباب أيضا ، الماء والهواء ، والضوء ، والحرارة ، كل هذه الأشياء يحتاجها النبات ، جعلها الله سبحانه وتعالى من أسباب انباته وسخرها ويسرها له ، وهذه كلها نعم على الانسان من الله عز وجل ولا بد أن تقابل هذه النعم من الانسان بالشكر وأداء حق الله فيها .

(١) سورة الأعراف: آية (١٠) .

قال تعالى : (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (١) ومن أداء حق الله فيها الزكاة ، وزكاة الزروع والثمار تختلف عن بقية زكاة الأموال الأخرى من المواشى والنقدين وعروض التجارة ، وذلك بأنه لا يشترط فيها تمام الحول بل تجب بمجرد النماء والحصول على الثمرة لأنها تعتبر غلة الأرض .

وجوبها بالكتاب والسنة :

ان زكاة الزروع والثمار واجبة وركن من أركان الاسلام وجوبها ثابت بالكتاب والسنة ، فأما الكتاب فقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه الا أن تغمضوا فيه) (٢) . والمقصود من الأمر بالانفاق في الآية الوجوب للزكاة المفروضة ، كما ذكره المفسرون : قال القرطبي : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) هـذا خطاب لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم . واختلف العلماء في المعنى المراد بالانفاق هنا ، فقال علي بن أبي طالب وعبيدة السلماني وابن سيرين ، هي الزكاة المفروضة ، نهى الناس عن انفاق الرديء فيها بدل الجيد .

قال ابن عطية : والظاهر من قول البراء بن عازب والحسن وقتادة أن الآية في التطوع ، ندبوا الى أن يتطوعوا الا بمختار جيد ، والآية تعم الوجهين ، لكن صاحب الزكاة تعلق بأنه مأمور بها ، والأمور على الوجوب ، وبأنه نهى عن الرديء ، وذلك مخصوص بالفرض (٣) .

وقال الفخر الرازي : قال الحسن المراد منه الزكاة المفروضة ، وقال قوم والمراد منه التطوع ، وقال ثالث انه يتناول الفرض والنفل (٤)

(١) سورة يس : آية (٣٥) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٦٧) .

(٣) تفسير القرطبي (١١٢٨/٢-١١٢٩) وانظر أحكام القرآن لابن العربي

(١/٢٣٤) .

(٤) تفسير الرازي (٢/٣٣٨) .

وقال الجصاص : قوله تعالى (وأنفقوا) المراد به : الصدقة
والدليل عليه قوله تعالى (ولا تميموا الخبيث منه تنفقون) يعنى تتصدقون
ولم يختلف السلف والخلف فى أن المراد به الصدقة (١) .

فهذا يدل على وجوب زكاة الزروع والثمار ، فعلى هذا يكـون
الرأى الراجع فى معنى الآية الانفاق هو الصدقة بنوعيهما الواجبة
وهى الزكاة ، وصدقة التطوع .

وذلك كما قال الرازى : حجة من قال الفرض والنفل داخلان فى
هذه الآية ، أن المفهوم من الأمر ترجيح جانب الفعل على جانب التـرك
من غير أن يكون فيه بيان أنه يجوز الترك أو لا يجوز ، وهذا المفهوم
قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يكون داخلين تحت الأمر (٢) .

وقال ابن العربى والصحيح أنها عامة فى الفرض والنفل والدليل
عليه أن سبب نزول الآية كان فى التطوع هذا أولاً ، أما ثانياً : أن لفظ
أفعل صالح للندب صلاحيته للفرض ، والردىء منهى عنه فى النفل كما هو
منهى عنه فى الفرض ، إلا أنه فى التطوع ندب فى (أفعل) مكروه فى
" لاتفعل " فى الفرض واجب فى " أفعل " حرام فى " لاتفعل " (٣) .

وقد أجمع المفسرون على معنى قوله تعالى (من طيبات ما كسبتم)
أنه النقد وعروض التجارة والمواشى . وقوله (ومما أخرجنا لكم
من الأرض) أنه الزرع والثمر .

الدليل الثانى : قوله تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات
وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (٤) لقد

(١) أحكام القرآن / الجصاص (٤٥٧/١) دار الفكر / بيروت .

(٢) تفسر الرازى (٣٣٨/٢) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربى (٢٣٤-٢٣٥) .

(٤) سورة الأنعام : آية (١٤١) .

اختلفت الأقوال فى المقصود من الحق فى الآية على اعتبار ان هذه الآية مكية ، والزكاة انما فرضت فى المدينة ، والاشكال هل هذه الآية محكمة أو منسوخة ، وسوف آبين ذلك مع الأدلة .

روى ابن جرير الطبرى فى تفسيره بسنده عن أنس بن مالك قال : الزكاة المفروضة وعن ابن عباس من أكثر من طريق قال: العشر ونصف العشر وفى رواية عنه قال : يعنى بحقه : زكاته المفروضة ، يوم يكال أو يعلم كيله .

وروى أيضا عن جابر بن زيد والحسن وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وطاووس وقتادة والضحاك : أنه الزكاة أو الصدقة المفروضة أو العشر ونصف العشر (١) .

قال القرطبي : قوله تعالى : (كلوا من ثمره اذا آثموا وآتوا حقه يوم حصاده) (٢)

١- فهذان بناء ان جاء بصيغة أفعل ، أحدهما مباح كقوله : (فانتشروا فى الأرض) (٣) والثانى واجب وليس يمتنع فى الشريعة اقتصران المباح والواجب وبدأ بذكر نعمة الإكل قبل الأمر بايتاء الحق ليبين أن الابتداء بالنعمة كان من فضله قبل التكليف (٤) .

٢ - اختلف الناس فى تفسير هذا الحق ماهو :

أ - فقال أنس بن مالك وابن عباس وطاووس والحسن وابن زيد وابن الحنفية والضحاك وسعيد بن المسيب : هى الزكاة المفروضة العشر ونصف العشر ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك فى تفسير الآية ، وبه قال بعض أصحاب الشافعى .

ب - وحكى الزجاج أن هذه الآية قيل فيها أنها نزلت بالمدينة .

(١) تفسر الطبرى (٨/٥٣-٥٤-٥٥) .

(٢) سورة الانعام آية (١٤١) .

(٣) سورة الجمعة آية (١٠) .

(٤) تفسير القرطبي (٣/٢٥٣٥) وانظر تفسير ابن العربى (٢/٧٥٧) .

ج - وقال على بن الحسين وعطاء وحماد وسعيد بن جبير ومجاهد — هو حق في المال سوى الزكاة ، أمر الله به ندبا ، وروى عن ابن عمر ومحمد بن الحنفية أيضا ، ورواه ابوسعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد : اذا حصدت فحضر المساكين فاطرح لهم من السنبل واذا جذت فالتق لهم من الشماريح ، واذا درستة وذريته فاطرح لهم منه ، واذا عرفت كيله فاخرج منه زكاته " . وقول ثالث وهو منسوخ بالزكاة لان هذه السورة مكية وآية الزكاة مدنية (خذ من أموالهم صدقة) (١) (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٢) روى عن ابن عباس وابن الحنفية والحسن وعطية العوض والنخعي وسعيد بن جبير ، قال سفيان : سألت السدى عن هذه الآية فقال: نسخها العشر ونصف العشر فقلت عن من ؟ فقال عن العلماء (٣) .

ورجح الفخر الرازى القول الاول : وهو القول بوجوب الزكاة للزروع والثمار في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) فقال: والأصح هو القول الاول والدليل عليه أن قوله تعالى (وآتوا حقه) ، انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية لثلاث بقى هذه الآية مجملة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام (ليس في المال حق سوى الزكاة) فوجب أن يكون المراد بهذا الحق حق الزكاة (٤) .

-
- (١) سورة التوبة : آية (١٠٣) .
(٢) سورة البقرة : آية (٤٣) .
(٣) تفسير القرطبي (٢٥٣٥/٣-٢٥٣٦) وانظر الفخر الرازى (١٦٠/٤-١٦١) .
(٤) الفخر الرازى (١٦١/٤) - الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن (٥٧٠/١) الزكاة عن فاطمة بنت قيس / وكنت ذكرت قبل ذلك روايته الترمذى (ان في المال حق سوى الزكاة) (٨٥/٢) عن فاطمة بنت قيس وقال اسناده ليس بذاك وأخرجه الدارمى في السنن (٢٨٥/١) معنى هذا يكون تعارض بين الروايتين واسنادهما ضعيف لأن كلا الروايتين في سندهما أبو حمزة ميمون الأعور وهو ضعيف عند علماء الحديث ==

وهذا هو الراجح في أن الأمر في الآية للوجوب ، فيكون المراد بالحق هو الزكاة ، والحق في اللغة : هو الثابت وقد ثبت المعنى والحكم في الشريعة ندبا وثبت فرضا ، وكلاهما صحيح في المعنى فيكون الحق الثابت في حكم الزرع والثمار هو الوجوب ، أي وجوب زكاته عند الحصاد بما هو ثابت بالشريعة معنوحكما . وقد فصل في ذلك ابن العربي وبين المقصود بجلاء ووضوح ، وازال برأيه وقوله كل مبهم وغموض عند تفسيره لقوله تعالى : (وآتوه حقه) فقال :
اختلف في تفسير هذا الحق على ثلاثة أقوال :

الاول : انه الصدقة المفروضة .

الثاني : انها الصدقة غير المفروضة تكون يوم الحصاد وعند الصلوات وهي اطعام من حضر والايطاء لمن غير .

الثالث : ان هذا منسوخ بالزكاة .

(=) وقال المباركفوري : ان في قوله (ان في المال حق سوى الزكاة) كفاك الاسير واطعام المضطر وانقاد محترق ، فهذه حقوق واجبة غيرها ، لكن وجوبها عارض فلا تدافع بينه وبين خبر : (ليس في المال حق سوى الزكاة) قال في الرقاة وذلك مثل ان لا يحرم السائل والمستقرض ، وأن لا يمنع أحد الماء والملح والنار .
(انظر تحفة الاحوذى / المباركفوري ٣/٢٢٦)
قلت :

كان المقصود من رواية ابن ماجة بأنه ليس حقا شرعيا مفروضا واجبا في المال سوى الزكاة ، وفي رواية الترمذي في المال حقوق سوى الزكاة ، وذلك حق الزكاة المفروضة ، وحق النفقات الواجبة على الانسان لا قاربه وغيرها من وجوه البر فيدخل في هذا الحق الواجب والمنسوب ، وفي رواية الترمذي الواجب فقط وذلك كما ذكره الحق حقان : حق يوجبه الله تعالى على عباده ، وحق يلتزمه العبد على نفسه الزكية الموقاة من الشح المجبول عليه الانسان .
(انظر تحفة الاحوذى ٣/٢٢٦)

وقد زعم قوم أن هذا اللفظ مجمل ولم يخلصوا القول فيه ، وحقيقة الكلام عليه أن قوله : (وآتوا) مفسرا وقوله (حقه) مفسر في الموتى مجمل في المقدار ، وقد أفادت هذه الآية وجوب الزكاة فيما سمي الله سبحانه وتعالى وأفادت بيان ما يجب فيه من مخرجات الأرض التي أجملها في قوله تعالى : (ومما أخرجنا لكم من الأرض) (١) . وفسرها هنا فكانت آية البقرة عامة في المخرج كله ، مجملة في القدر ، وهذه الآية خاصة في مخرجات الأرض ، مجملة في القدر ، فبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بأن يبين للناس منازل اليهم ، فقال : (فيما سقت السماء العشر ، وما سقى بنضح أو دالية نصف العشر) (٢) فكان هذا بيانا للمقدار الحق المجمل في هذه الآية ، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : (ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حب صدقة) (٣) .

فكان هذا بيانا للمقدار الذي يؤخذ منه الحق ، والذي يسمى في السنة العلماء نصابا (٤) .

٢ - الدليل من السنة بوجوب زكاة الزروع والثمار :

روى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر ، وما سقى بالنضح نصف العشر) (٥) .

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : (وفيما سقت الأنهار والغيم العشور ، وفيما سقى بالسانية * نصف العشر) (٦) .

-
- (١) سورة البقرة : آية (٢٦٧) .
 - (٢) صحيح البخارى (١٥٥/٢) الزكاة عن ابن عمر بلفظ مختلف . باب العشر فيما يسقى من ماء السماء .
 - دالية : الناعورة والساقية . انظر مختار الصحاح (٢١٠) .
 - (٣) صحيح مسلم (٦٧٤/٢) كتاب الزكاة .
 - (٤) احكام القرآن / ابن العربي (٧٥٧/٢ - ٧٥٨) .
 - (٥) نيل الاوطار (٢٠١/٤) ، صحيح البخارى (١٥٥/٢) الزكاة باب العشر فيما يسقى من ماء السماء .
 - عثريا : بفتح العين والشاء وكسر الراء هو الذى يشرب من غير سقى وانما بماء المطر . انظر المصباح (٣٩٣) .
 - (*) السانية : هو البعير الذى يستقى به الماء من البئر . انظر المصباح المنير (٢٩٢) .
 - (٦) صحيح مسلم (٦٧٥/٢) الزكاة . باب ما فيه العشر .

- أما الاجماع :

لم يختلف أحد من علماء السلف والخلف في وجوب الزكاة للزروع والثمار ، وانما أجمعت الأمة الاسلامية على وجوب العشر أو نصفه فيما أخرجته الأرض في الجملة ، وانما كان الاختلاف بينهم في التفاصيل (١) .

- الأصناف من الزروع والثمار التي تخرج منها الزكاة :

لقد ذكرت في المبحث السابق ثبوت زكاة الزروع والثمار بالكتاب والسنة والاجماع ووجوبها ، ولم يختلف أحد في ذلك ، ولكن الاختلاف بين العلماء والفقهاء كان في الانواع التي تجب فيها الزكاة والتي لا تجب فيها الزكاة العشر ونصف العشر ، فهل تجب الزكاة في كل ما يخرج من الأرض أو بعضه ، وعلى هذا الاختلاف سوف أقوم ببيان ذلك والراجع منها :

الأصناف التي تجب فيها الزكاة :

لقد اختلفت المذاهب الفقهية في الاصناف الزراعية التي تجب فيها الزكاة على اختلاف الروايات ، فمنهم من ذهب الى أن الزكاة تجب في المزروعات على اختلاف الروايات ، فمنهم من ذهب الى أن الزكاة تجب في كل المزروعات ومنهم من خص بعض الأنواع وبعضها لم يوجب فيها الزكاة ، وهذه المذاهب على التفصيل بأنواع المزروعات بين أيدينا مع تصنيف المزروعات الى مايلي :

١- الحبوب :

تعريف الحبوب : تطلق الحبوب في اللغة ويراد منها :

- ١- الزرع ، صغيرا كان أو كبيرا .
- ٢- بذور البقول والرياحين .
- ٣- القطعة من كل شيء .

(١) بدائع الصنائع : الكاساني (٥٤/٢) .

قال فى لسان العرب : والحب : الزرع صغيرا كان أو كبيرا واحدته حبة ، والحب معروف مستعمل فى أشياء جملة ، حبة من بر ، حبة من عنسب والحبة السوداء والحبة الخضراء • والجمع حبات وحب وحبوب •
والحبة من الشيء القطعة منه ، يقال للبرد ، حبة المزن •
والحبة بالكسر بذور البقول والرياحين ، واحدها حب •
وقال أبوحنيفة : الحبة بالكسر : جمع بذور النبات واحدها حبة بالفتح ، قال : فأما الحب فليس الا الحنطة والشعير واحدها حبة بالفتح ، وانما افترقا فى الجمع :
وقال الجوهري : الحبة واحدة حب الحنطة ونحوها من الحبوب ،
والحبة : بذور نبات ينبت وحده من غير أن يبذر (١) •
وعندما تطلق كلمة الحبوب فى العرف البشرى يراد بها جنس الحبوب من المطعومات التى يطلق عليها حب من القمح والشعير والدخن والذرة وغيرها •

- الحبوب فى القرآن :

ورد لفظ الحبوب فى القرآن فى (اثنى عشر موضعا) بلفظ الحبوب بالجمع فى سبعة مواضع من القرآن ، بلفظ المفرد فى خمس مواضع •
وقد وردت فى القرآن فى آية واحدة على العموم ويراد منها السزوع والنبات كبيرا أو صغيرا مثل قوله تعالى : (ولاحبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) (٢) • فى آية واحدة فى القرآن وأتت فى موضعين باسم معين من النبات وهو الخردل مثل قوله تعالى (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٣) وفى آية أخرى (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله) (٤) والخردل هى الحبة من النبات البالغة

(١) لسان العرب (١/٥٤٦) •

(٢) سورة الأنعام : آية (٥٩) •

(٣) سورة الأنبياء : آية (٤٧) •

(٤) سورة لقمان : آية (١٦) •

الصفير فى الحجم مستديرة الحجم (١) ، وهى نوع من أنواع النبات يستعمل للعلاج وازار الطعام ليعطيه نكهة .

قال فى القانون فى الطب : هو بقله معروفة (٢) .

وأما بقية الآيات فكان المراد منها الحبوب من الطحين أى مثل القمح والشعير والذرة ، وذلك بأنها ذكرت فى معظم الآيات مقرونة ببعض أنواع النباتات الأخرى مثل الفاكهة .

مثل قوله تعالى : (و٦٠ آية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (٣) .

وقوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماء شاجا لنخرج به حبا ونباتا وجات ألفافا) (٤) . وقوله تعالى : (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا، وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا) (٥) .

ثم ذكر الله سبحانه وصف هذه الحبوب فى انباتها فى بعض الآيات فقال تعالى (فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) (٦) . وقوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة) (٧) .

وقال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحميد) (٨) . وهذا الوصف فى الآية للحبوب هو غالبا ما يكون فى الحبوب

(١) الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان/ ابن العباس الانصارى تحقيق الخاروف (٥٠) .

(٢) القانون فى الطب / ابن سينا (٤٥٣/١) .

(٣) سورة يس : آية (٣٣-٣٥) .

(٤) سورة النبأ : آية (١٤-١٦) .

(٥) سورة عبس : آية (٢٧-٣١) .

(٦) سورة الأنعام : آية (٩٩) .

(٧) سورة البقرة : آية (٢٦١) .

(٨) سورة ق : آية (٩) .

المعروفة لدى الناس مثل الارز ، والقمح والشعير والدخن وغيرها .

وقد أجمع المفسرون على أن المقصود من معنى الحبوب فى الآيات هو القمح والشعير والسلت والدخن وغيرها ، فقال فيروح المعانى (والمراد بالحب جنس الحبوب التى يتقوت بها وتدخر كالحنطة والشعير والذرة وغيرها) (١) .

وعلى اختلاف مفهوم الآيات فى الحبوب هل هي فقط القمح والشعير... الخ أو يدخل فى معناها كل ما يأخذ وصف الحبة ، على هذا الاختلاف اختلاف المذاهب فى زكاة الحبوب على أقوال فمنها :

١- رأى أبوحنيفة فى كل ما أخرجت الأرض :

جاء فى العناية على الهداية (قال أبوحنيفة رحمه الله : فى كل ماتنبت الأرض ويبقى به النماء قليلا كان أو كثيرا رطبا كان أو يابسا يبقى من سنة الى سنة ، أو لايوسق أو لايسقى سحبا أى بماء جار أو سقته السماء أى المطر، العشر ، الا الحطب والقصب والحشيش والتبـسـن والسعف ، وقال لايجب العشر الا فيما له ثمرة باقية تبقى من سنة الى سنة اذا بلغ خمسة أوسق كل وسق ستون صاعا بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢) .

حجة أبوحنيفة :

١- عموم قوله تعالى : (ومما أخرجنا لكم من الأرض)^(٣) لم يفرق بين مخرج ومخرج .

(١) روح المعانى / للألوسى (٤٦/٣٠) .

(٢) العناية على الهداية / اكمل الدين البابرى (١٨٦/٢) على هامش الهداية . وانظر: شرح فتح القدير : ابن الهمام (١٨٦/٢) وانظر الكفاية على الهداية

للخوارزمى (١٨٦/٢) .

وانظر بداية المبتدى / الميرغينانى (١٨٦/٢) .

(٣) سورة البقرة آية (٢٦٧) .

٢ - قوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) ذكر ذلك بعد ان ذكر — أنواع المأكولات ، النخل والزرع ، المعروشات وغير المعروشات ، الرمان والجنان ، وأحق ما يحمل عليه الخضروات ، لانها هي التي يتيسر ايتاء الحق منها يوم القطع واما الحبوب فيتأخر الايتاء فيها الى يوم التنقية (١) .

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : (وفيما سقت السماء العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر) من غير فصل بين ما يبقو وما لا يبقو وما يؤكل وما لا يؤكل ، وما يقتات وما لا يقتات فهو عام يتناول جميع أفرادها ولانه يقصد بزراعته نماء الارض فاشبه الحب (٢) .

٢ - رأى المالكية في كل ما يقتات ويدخر :

جاء في المغنى : وقال مالك والشافعي : لازكاة في ثمر الا التمر والزبيب ، ولا في حب الا ما كان قوتا في حالة الاختيار لذلك الا في الزيتون على اختلاف (٣) .

وقال في مواهب الجليل : اعلم أن الأجناس التي تتعلق بالزكاة ثلاثة كما ذكره ابن عرفة : الاول : حب لازيت له ، والثانى : حب له زيت والثالث : ثمر الشجر ، فأشار المؤلف الى الاولين بقوله من حسب وممن صرح بان الزيتون يطلق عليه انه حب ابن يونس في اول كتاب الحبوب و اشار الى الثالث بقوله ثمر وهو بالمشناه في اكثر النسخ ، وادرج الزبيب فيه لانهما متفق عليهما ، ولازكاة في غيرهما من الثمار ، واطلق في الحب وشرطه ان يكون مقتاتا مدخرا للعيش غالبا . قال : فتجب في القمح

-
- (١) بدائع الصنائع (٥٩/٢) سورة الانعام آية (١٤١) .
 (٢) انظر العناية على الهداية (١٨٨/٢-١٨٩) شرح فتح القديـــــر (١٨٨/٢) سبق تخريج هذا الحديث صحیح البخاری (١٥٥/٢) الزكاة .
 (٣) المغنى (٥٥٠/٢) مع الشرح الكبير / ابن قدامة المقدسى (٥٥٠/٢) ، المغنى (٦٩١/٢) .

والشعير والتمر اتفاقا والزبيب كالتمر ، وفى السلت (١) والغلسس
والزيتون والجلجلان (٢) على المشهور فى القطان (٣) كالقول والحمص
والعدس والجلبان (٤) والبسيلة واللوبيا على المنصوص وفى الارز والدخن
والذرة (٥) .

- حجة مالك :

١ - قول النبى صلى الله عليه وسلم : (والعشر فى التمر والزبيب -
والحنطة والشعير) فقد سن الرسول صلى الله عليه وسلم الزكاة
فى هذه الأربع (٦) .

٢ - بعث الرسول صلى الله عليه وسلم باموسى ومعاذ الى اليمن يعلمان
الناس أمر دينهم فأمرهم أن لا يأخذوا الصدقة الا من هذه الأربعة :
الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، ولأن غير هذه الأربعة لانص فيها
ولا اجماع ، ولا هو فى معناها فى غلبة الاقتيات بها وكثرة نفعها
ووجودها ، فلم يصح قياسه عليها ، ولا الحاقه بها فيبقى على
الأصل (٧) .

-
- (١) السلت : نوع من أنواع الشعير ابيض لا قشر له .
(٢) الجلجلان : السمسم .
(٣) القطان : يقال لكل ما يدخر من الحبوب التى تطبخ مثل العدس والبول
وذلك من باب قطن بالمكان قعد واقام به .
(٤) الجلبان : نبات عشبي من فصيلة القطنيات تزرع لحبها ولكلاها .
(٥) مواهب الجليل / الخطاب (٢٨٠/٢) انظر التاج الاكليل المواق (٢/٢٧٩) .
(٦) اخرج الرواية الحاكم فى المستدرک (٤٠١/١) وقال حديث صحيح ووافقه
الذهبي كذلك فى التلخيص وقال صحيح (٤٠١/١) على هامش المستدرک .
(٧) المغنى (٥٥٠/٢) الشرح الكبير / ابن قدامة (٥٥٠/٢) ، المغنى
(٢/٦٩١-٦٩٢) . اخرج الرواية فى المستدرک للحاكم (٤٠١/١) وقال
صحيح ، وكذلك للذهبي التلخيص على هامش المستدرک (٤٠١/١) .

وانظر فى المعانى للمفردات :

- (١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (٦١٩/١) .
(٢) فقه الزكاة / يوسف القرضاوى (٣٥١/١ - ٣٥٢) .
(٣) فقه السنه / سيد سابق (٥٠/٣) .
(٤) مختار الصحاح (٥٤٤) .
(٥) لسان العرب (٤٧٨/١) .

٣ - رأى الشافعى فى كل ما يقتات ويدخر ويبيس :

وفى مختصر الجليل قال : قال الشافعى رحمه الله تعالى
 فى قوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) دلالة على انه انما جعل
 الزكاة على الزرع (قال) فما جمع أن يزرعه الادميون ويبيس ويدخر
 ويقتات مأكولا خبزا وسويقا أو طبيخا ففيه الصدقة ، وروى أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أخذ الصدقة من الحنطة والشعير والذرة ، وهذا
 ما يزرع ويقتات (١) .

وقال الشافعى : ولا يضم الدخن الى الجلبان ، ولا الحمص الى العدس
 ولا الفول الى غيره ولا حبة عرفت باسم منفرد دون صاحبها وخلافها بائنا
 فى الخلقة والطعم ، والشمر الى غيرها ، ويضم كل صنف من هذا أكبر
 الى ما هو أصغر منه وكل صنف استطال الى ما تدرج منه ، ولا أعلم
 فى الترمس صدقة ولا أعلمه يوكل الا دواء أو تفكها لا قوتا ، ولا صدقة
 فى بصل ولا ثوم ، لان هذا لا يوكل الا ابزارا أو ادما ، فان قيل فاسم
 القطنية يجمع الحمص والعدس ، قيل نعم قد يفرد لها أسماء ينفرد
 كل واحد منها باسم دون صاحبه ، وقد يجمع اسم الحبوب معها الحنطة
 والذرة فلا يضم لجماع اسم الحبوب ولا يجمع اليها ، ولا يجمع التمر
 والزبيب فى الحلوة ، وأن يخرصها ثم لا يضم أحدهما على الآخر (٢) .

- حجة الشافعى :

١ - يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الصدقة من الحنطة

(١) مختصر الامام الجليل أبى ابراهيم الشافعى (٢٢٩/١) على هامش

الأم .

(٢) الأم للشافعى (٣٠/٢) .

- والشعير والذرة وهذا مما يزرع ويقتات ويدخر (١) .
- ٢ - أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الصدقة من النخل والعنب فكاننا قوتا (٢) .
- ٣ - قوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) على أنه إنما جمع الزكاة على الزرع ، فما جمع أن يزرعه الأدميون ويبيس ويدخر ويقتات (٣) .

٤ - رأى الحنابلة في كل ما يبيس ويبقى ويكال :

- ١ - وجاء في المغنى نقلا عن أحمد بن حنبل : أن الزكاة تجب فيما جمع هذه الأوصاف الكيل والبقاء واليبس من الحبوب والشمار مما ينبت في الأدميون إذا نبت في أرضه ، سواء كان قوتا كالحنطة والشعير والسلت والأرز والذرة والدخن ، أو من القطنيات (الفول) والعدس والحمص والماش أو من الأبايزر ، كالفسرة والكمون والكرأويا ، أو البزور كبزر الكتان والقثاء والخيار ، أو حب البقــول كالرشاد وحب الفجل والقرطم والترمس والسسم وسائر الحبوب وتجب أيضا في جميع هذه الأصناف من الثمار كالتمر والزبيب والشمس واللوز والفسق والبندق ، ولازكاة في سائر الفواكه كالخوخ والاجاص والكمثرى والتفاح والشمس والتين والجوز ،

(١) وهي رواية في سنن ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : إنما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة في هذه الخمسة (في الحنطة والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والذرة) . سنن ابن ماجه كتاب الزكاة ، باب ما تجب فيه الزكاة (٥٨٠/١) قال : البوصــري أسنده ضعيف ، وأخرجها الحاكم عن معاذ وقال هذا حديث قد احتج بجميع رواته (٤٠١/١) الزكاة .

ووافق الذهبى على هامش المستدرک وقال على شرطهما (٤٠١/١) .

(٢) الأم للشافعى (٢٩/٢) أخرجت رواية النخل والعنب في سنن الترمذى (٧٨/٢) الزكاة باب ما جاء في الخرص . وقال هذا حديث حسن غريب .

سنن ابن ماجه (٥٨٢/١) باب خرص النخل في كتاب الزكاة .

(٣) مختصر الجليل (٢٣٠/١) .

(٤) الماشى : حب وهو معرب . انظر مختار الصحاح (٦٢٥) .

ولا فى الخضر كالقشء والخيار والبادنجان واللفت والجزر . وبهذا
قال عطاء فى الحبوب كلها ونحوه قال أبو يوسف ومحمد فانهم
قالا : لاشء فيما تخرجه الأرض الا ما كانت له ثمرة باقية
يبلغ مكيلا خمسة أوسق (١) .

- حجة أحمد :

- ١ - عموم قوله صلى الله عليه وسلم : (فيما سقت السماء العشر) .
- ٢ - قوله لمعاذ : " خذ الحب من الحب " (٢) فأوجب الزكاة فى جميع ما
مايتناول هذا اللفظ من الحبوب ، وخرج منه ما ليس بحب .
- ٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ
خمسة أوسق) (٣) خرج منه ما ليس بكيل (٤) .

بعد عرض أقوال الفقهاء بالمذاهب الأربعة فى زكاة الحبوب

اتضح مايلى :

- ١ - لم يفصل أبو حنيفة فى أنواع النباتات الواجبة فيها الزكاة شيئا
بل أعمها ، وتحت هذا العموم يدخل عموم زكاة الحبوب غير المنصوص
عليها فى الحديث ، مثل القطنيات ، كالعدس والفاول والبالزلاء وغيرها .
- ٢ - مذهب الشافعى ومالك . أطلقا اسم الحبوب على كل ما يقتات ويدخر
فدخل فيها الزيتون والسسم والفاول والحمص واللوبيا وغير ذلك
والترمس .

-
- (١) المغنى (٥٤٩/٢) ، الشرح الكبير (٥٤٩/٢) ، المغنى (٦٩٠/٢ - ٦٩١) .
 - (٢) جزء من حديث رواه ابوداود (٣٧٠/١) الزكاة ، وابن ماجه فى باب
ما تجب فيه الزكاة (٥٨٠/١) كتاب الزكاة كما فى المنتقى ، وقال
الشوكانى : صححه الحاكم على شرطهما وفى اسناده عطاء عن معاذ
ولم يسمع منه / نيل الاوطار (١٥٢/٤) .
 - (٣) صحيح مسلم (٦٧٤/٢) كتاب الزكاة . النسائى سنن النسائى (٣٠/٥)
الزكاة باب زكاة الحبوب .
 - (٤) المغنى (٦٩٢/٢) .

٣ - أما أحمد فجعل الحبوب فى كل مايتناوله الكيل والبقاء واليبس من الحبوب المعروفة مثل الأرز والقمح والحنطة والدخن والشعير وغير ذلك من هذه الأنواع ، ثم من أنواع القطنيات مثل العـدس والابازير مثل الكمون والكرأويا والسهم وسائر الحبوب الأخرى المقيسة على هذه الأنواع .

- الخلاصة :

مما سبق يتضح أن جميع المذاهب اتفقت على زكاة جميع أنواع الحبوب من النبات ولم يقتصر معنى الحبوب عندهم على القمح والشعير والأرز والذرة والدخن والسلت وإنما هى أعم وأوسع من ذلك ، بحيث تنطبق على كل مايكالمن النبات ولايعد أو يوزن ، سواء كان من حبوب معروفة مثل الشعير والقمح والدخن ، أو نقوليات مثل الفستق والبندق واللوز والبقوليات أو القطنيات ، مثل الفول والعدس والبسلة والفاصولياء ومايدخل تحت جنسها فى اسمية الحبوب من الأبايزير ولكنه لاياخذ وصفها ونوعها وذلكمثل الكمون والفلفل الخردل الحبة السوداء ، وذلك لان النباتات المستعملة فى طعام الانسان ثلاثة أنواع الحبوب وتشمل الانواع التى ذكرتها والفاكهة والخضار ، وبعد أن عرفنا ماهى الحبوب التى تجب فيها الزكاة بقى أن نعرف ماهو النصاب من الحبوب التى تجب فيه الزكاة ، وماهو الوقت الذى تخرج فيه ، وسوف أتكلم عن :

- أولاً: نصاب زكاة الحبوب من النبات :

ذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين وسائر أهل العلم بعدهم على أن الزكاة لاتجب فى شئ من الزروع والثما رحتى يبلغ خمسة أوسق، مستدلين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) (١) .

(١) صحيح البخارى (١٥٦/٢) الزكاة ، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقه .
صحيح مسلم (٦٧٤/٢ - ٦٧٥) كتاب الزكاة .

ونهب أبوحنيفة إلى أن الزكاة تجب في قليل الزروع والشمار وكثيرها
لعموم قوله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء العشر) (١) .

ولأنه لا يعتبر له حول ، فلا يعتبر له نصاب (٢) .

وقال ابن حزم : وعن مجاهد وحماد بن ابى سليمان وعمر بن عبدالعزیز
وابراهيم النخعي ، ايجاب الزكاة في كل ما أخرجت الارض ، قل أو كثر ،
وهو عن عمر بن عبدالعزیز ، وابراهيم ، وحماد ابن ابى سليمان في غايصة
الصحة (٣) .

وهو أيضا قول النخعي فيما رواه عنه يحيى بن آدم في كتاب الخراج :
في كل قليل أو كثير من الأرض صدقة : العشر أو نصف العشر (٤) .

وقد قال ابن القيم مناقشا هذا الرأي : وقد وردت السنة الصحيحة
الصريحة المحكمة في تقدير نصاب المعشرات بخمسة أوسق بالمتشابه من
قوله (فيما سقت السماء العشر ، وما سقى بنضح فنصف العشر) (٥) قالوا
وهذا يعم القليل والكثير ، وقد عارضه الخاص ، ودلالة العام قطعية
كالخاص ، واذا تعارض قدم الأحوط وهو الوجوب .

فيقال : يجب العمل بكلا الحديثين ، ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر
والغاء أحدهما بالكلية ، فان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض
في هذا ، وفي هذا ، ولاتعارض بينهما بحمد الله تعالى بوجه من الوجوه
فان قوله : (فيما سقت السماء العشر) انما أريد به التمييز بين
ما يجب فيه العشر وما يجب فيه نصفه ، فذكر النوعين ، مفرقا بينهما في
مقدار الواجب ، وأمامقدار النصاب فسكت عنه في هذا الحديث ، وبينه
نصا في الحديث الآخر ، فكيف يجوز العدول عن النص الصحيح الصريح المحكم

-
- (١) صحيح البخارى (١٥٥/٢) الزكاة ، باب العشر فيما يسقى من السماء .
(٢) الكفاية على الهداية / الخوارزمي (١٨٦/٢-١٨٧) شرح فتح القدير
(١٨٨-١٨٧/٢) المغنى (٦٩٥/٢) .
(٣) المحلى / ابن حزم (١١٢/٥) وانظر فتح القدير (١٨٨/٢) .
(٤) الخراج / يحيى بن آدم (١٤٤-١٤٥) .
(٥) صحيح البخارى (١٥٥/٢) كتاب الزكاة باب العشر فيما يسقى من السماء .

الذى لا ياحتمل غير ما أول عليه البتة ، الى المجمل المتشابه الذى غايتة أن يتعلق فيه بعموم لم يقصد فبيانه بالخاص المحكم المبين كبيــــــــــــــــان سائر العمومات بما يخصها من النصوص (١) .

وقال ابن قدامة : قول النبى صلى الله عليه وسلم (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) (٢) متفق عليه . هذا خاص يجب تقديمه وتخصيص عموم مارووه به ، كما خصصنا قوله (فى سائمة الابل الزكاة) (٣) بقوله (ليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة) (٤) . وقوله (فى الرقة * ربع العشر) (٥) بقوله ليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة) (٦) ولأنه مال تجب فيه الصدقة ، فلم تجب فى يسيره كسائر الأموال الزكائية وإنما لم يعتبر الحول لانه يكمل نماءه باستحصاده لا ببقائه . واعتبر الحول فى غيره لأنه مظنة لكمال النماء فى سائر الأموال ، والنصاب اعتبر ليبلغ حدا يحتمل المواساة منه ، فلهذا اعتبر فيه ، يحققه أن الصدقة انما تجب على الأغنياء ، ولا يحصل الغنى بدون النصاب كسائر الأموال الزكائية) (٧) .

-
- (١) اعلام الموقعين / ابن قيم الجوزية (٣٤٨/٢) .
(٢) صحيح البخارى (١٤٧/٢) كتاب الزكاة باب ليس فيما دون خمس ذود صدقه .
(٣) صحيح البخارى (١٤٦/٢) الزكاة باب زكاة الغنم ، سنن ابوداود (٣٦٣/١) الزكاة .
(*) - السائمة : السائمة هى كل ماترسل وترعى من المواشى . انظر الفقه على المذاهب الاربعة (٥٩٧/١) .
(٤) صحيح البخارى (١٤٨/٢) الزكاة ، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقه . صحيح مسلم (٦٧٥/٢) كتاب الزكاة .
(*) الرقة : المال من الدراهم والذهب والفضة .
(٥) صحيح البخارى : (١٤٦/٢) كتاب الزكاة / باب زكاة الغنم .
(*) - الورق : الفضة والذهب ويطبق على كل من الدراهم .
(٦) صحيح البخارى (١٤٨/٢) الزكاة باب ليس فيما خمس ذود صدقه ، صحيح مسلم (٦٧٥/٢) كتاب الزكاة .
(٧) المغنى / ابن قدامة (٦٩٥/٢ - ٦٩٦) . انظر فى المعانى المصباح المنير (٢٩٧ - ٦٥٥) .

الترجيح :

قلت : وهذا هو الراجح والمصواب في العمل بالحديثين في نفس الوقت ويكون مناسباً كذلك الى رأى أبى حنيفة في قوله بعموم زكاة الزروع والثمار لكل ما أخرجته الأرض والعمل بالحديثين معاً ليس فيه تعارض أو تناقض لرأيه حتى يجعله يأخذ بعموم حديث (فيما سقت السماء العشر) فهذا الحديث يبين المقدار الواجب إخراجة بعد تمام النصاب ، على كل الأحوال فالنبات منه ما ينبت بسماء السماء، ومنه ما ينبت بسقى ونضح وكلفة وجهد من الانسان ، فبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك على كل الأحوال وجوب إخراج العشر أو نصف العشر . أما الحديث الآخر (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) بين الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بلوغ النصاب في الزروع والثمار حتى تجب فيها الزكاة . والله أعلم .

نصاب الحبوب :

الأصل في نصاب زكاة الزروع والثمار الكيل وخاصة في زكاة الحبوب ، جاء في المغني : والنصاب معتبر بالكيل فان الأسواق مكيلة ، ولذلك تعلق وجوب الزكاة بالمكيلات دون الموزونات ، والمكيلات تختلف في الوزن فمنها الثقيل ، كالحنطة والعدس ومنها الخفيف كالشعير والذرة ومنها المتوسط (١) .

والوزن يختلف عن الكيل ، فالكيل يستعمل في معرفة كمية الشيء قال في لسان العرب : الكيل والمكيل والمكيال ما كيل به ، والمكيال ما يكال به ، حديداً كان أو خشباً (٢) .

(١) المغني (٢/٧٠١) .

(٢) لسان العرب (٣/٣٢٢) .

والوزن هو ما يعرف به مقدار الشيء ثقله وخفته ، قال فى لسان
العرب : الوزن : روز الشقل والخفة والوزن ثقل شيء بشيء مثله ، وهى
المثاقيل واحدها مثقال ويقال للآلة التى يوزن بها ميزان ويقال
وزن الشيء قدره (١) . وقال الراغب : الوزن معرفة قدر الشيء يقال
وزنته وزنا ووزنة (٢) .

وجاء فى كتاب الايضاح والتبيان : والمثقال اسم لما له ثقل
سواء صغر أم كبر وهذا ما يدل عليه صريح القرآن الكريم فى الآيات
التى ورد فيها ذكر المثقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (٣) . ومن
هذا المعنى اشتق اسمه باسم آلة فى الوزن (٤) .

ومما سبق يتضح النصاب فى الحبوب يعتبر بالكيل وهو خمسة أوسق
والوسق ستون صاعا كما هو مجمع عليه عند أهل العلم والاعتماد عليه ، وقد
نقله ابن المنذر وغيره (٥) . وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع فى سنن ابن ماجه
عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الوسق
ستون صاعا) (٦) . قال البوصيرى : **فى الزواجر** حديث جابر ضعيف ، لاتفاقهم على
قوله حديث محمد بن عبيد الله العزرمى .
والوسق مكيال ، والحبوب تكال ولا توزن لذلك وجب فى حقها تحقيق
الوسق ، والوسق كما جاء فى لسان العرب : الوسق والوسق : مكيلة معلومة ،
وقيل : هو حمل بعير وهو ستون صاعا ، والأصل فى الوسق الحمل ، وكـ
شيء وسقته فقد حملته (٧) .

-
- (١) لسان العرب (٩٢٠/٣ - ٩٢١) .
 - (٢) المفردات فى غريب القرآن (٥٢٢) .
 - (٣) سورة الزلزلة : آية (٧) .
 - (٤) الايضاح والتبيان : الانصارى (٤٨) .
 - (٥) المجموع / النووى (٤٥٧/٥) ، الشرح الكبير (٥٥٥/٢) .
 - (٦) سنن ابن ماجه (٥٨٦/١) ، الزكاة ضعيف ، باب الوسق ستون صاعا ، المثنى
(٥٥٣/٢ - ٥٥٤) .
 - (٧) لسان العرب / ابن منظور (٩٢٦/٣) .

والصاع اناء ومكيال مخروطى الشكل يستعمل فى كيل الجامادات كالحبوب ويفهم مما ذكره الامام مالك انه يستعمل أيضا كمكيال للمائعات قال: والصاع مكيلة زكاة الفطر بالمد الاصغر مد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستعمل فى زكاة الحبوب والزيتون ، (وزيت الزيتون) (١) وهناك معايير ومقاييس غير الصاع تعرف بها الموازين والمكاييل كما ذكرها ابن منظور فقال : (والذى يعرف به أصل الكيل والوزن أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والمد والصاع فهو كيل ، وكل ما لزمه اسم الأرتال والأواق والأمناء فهو وزن) (٢) .

أما معايير ومقاييس العصر الحاضر فهى (الكيلة وأجزاءها والارذب فى المكيلات) أما الموزونات فهى ، الكيلو ، والجرام ، والرطل ، والطن ، والوقية . فعلى هذا يكون ، ومما سبق يتبين أن النصاب فى الحبوب هو (٥) أوسق \times ٦٠ صاع = ٣٠٠ ثلاثمائة صاع ، فاذا بلغ النصاب (٣٠٠) ثلاثمائة صاعا وجبت فيه الزكاة ، واذا كان بالرطل الصاع يساوى خمسة أرتال وثلاث \times ٣٠٠ $\frac{1}{3}$ = ١٦٠٠ رطل (٣) .

نصاب الحبوب فى المقاييس العصرية :

أما نصاب الحبوب فى مقاييس الوقت الحاضر فهى كما ذكرها د. يوسف القرضاوى فقال: فبعملية حسابية نجد ان الصاع = $\frac{1}{3}$ قدها . أى $\frac{1}{6}$ كيلة مصرية . فالكيلة المصرية الحالية = ٦ آصع ، والارذب = ٧٢ صاعا . ويكون الوسق - وهو ٦٠ صاعا - يساوى $\frac{60}{6}$ = ١٠ كيلات مصرية . فالوسق الخمسة - وهى النصاب الشرعى - = 10×5 = ٥٠ كيلة مصرية أى أربعة أرادب وويبة (٤) .

-
- (١) الايضاح والتبيان / ابن العباس الانصارى (٥٦) وانظر التاج والاكليل المواق (٢٨٠/٣) .
 (٢) لسان العرب (٣/٣٢٢) .
 (٣) سنن اب نجاهه (٥٨٦/١) الهامش .
 (٤) انظر بالتفصيل فقه الزكاة / القرضاوى (٣٧٢/١) .

— نصاب مالايكـال : —

لم يختلف فى نصاب مايكـال من أنواع الثمار والحبوب
ولكن هناك اختلاف فيما لا يكـال على أقوال :

- ١ - قول يوجب القيمة قياسا على العروض وهو قول أبويوسف (١) ومالك (٢) .
- ٢ - قول يوجب الوزن لأنه ليس بمكيل فيقوم وزنه مقام كيله وهو
قول احمد (٣) .
- ٣ - وقال أصحاب الشافعى تجب الزكاة فى الزعفران فى قليله وكثيره (٤) .
- ٤ - وقال ابن قدامه : ردا على هذه الأقوال مع بيان رأيه فقال:
ونصاب الزيتون خمسة اوسق نص عليه احمد فى رواية صالح فأما
نصاب الزعفران والقطن وما الحق بهما من الموزونات ألف وستمئة
رطل بالعراقى لأنه ليس بمكيل فيقوم وزنه مقام كيله ، ذكره
القاضى فى المجرى وحكى عنه اذا بلغت قيمته نصابا من أدنى ما تخرجه
الارض مما فيه الزكاة ، ففيه الزكاة وهذا قول أبى يوسف فى
الزعفران لأنه لم يمكن اعتباره بنفسه فاعتبر لغيره كالعروض تقوم
بأدنى النصابين من الأثمان ، وقال أصحاب الشافعى فى الزعفران تجب
الزكاة فى قليله وكثيره ، ولا أعلم لهذه الأقوال دليلا ولا أصلا
يعتمد عليه ويردها قول النبى صلى الله عليه وسلم (ليس فيما دون
خمسة اوسق صدقة) ، وايجاب الزكاة فى قليله وكثيره مخالف لجميع
اموال الزكاة ، واعتباره بغيره مخالف لجميع ما يجب عشـره
واعتباره بأقل ما فيه الزكاة قيمة لانظير له أصلا ، وقياسه على
العروض لا يصح ، لان العروض لاتجب الزكاة فى عينها ، وانما تجب
فى قيمتها ويؤدى القيمة التى اعتبرت بها ، والقيمة يرد اليها
كل الأموال المتقومات ، فلا يلزم من الرد اليها الرد الى مال
يرد اليه شىء أصلا ، ولا تخرج الزكاة منه ، ولان هذا مال

(١) انظر فتح القدير (١٩٠/٢) .

(٢) انظر التاج والاكليل / المواق (٢٨٠/٢) .

(٣) المغنى / ابن قدامه والشرح الكبير (٥٥٤-٥٥٧) .

(٤) المغنى / ابن قدامه والشرح الكبير (٥٥٤-٥٥٧) .

تخرج الزكاة من جنسه فاعتبر نصابه بنفسه كالحبوب ، ولانه خارج من الارض يجب فيه العشر أو نصفه فاشبهه سائر ما يجب فيـــــــــــــــــه ذلك ، ولانه مال تجب فيه الزكاة فلم يجب من قليله وكثيره كسائر الأموال ، ولانه لانص فيما ذكره ولا اجماع ولا هو فـــــــــــــــــي معناهما فوجب أن لا يقال به لعدم دليله (١) .

- الترجيح :

الظاهر من كلام ابن قدامه أنه يرجح الوزن في غير المكيلات وهو قول أحمد ، وهو الراجح وذلك لان الزكاة تجب في عينه وليس في قيمته فيجب اخراجها من جنسه ، الحبوب بحر وتخرج من الحبوب ، وان اختلفت انواعها والوزن اقرب الى الكيل في تحديد النصاب من الاخراج بالقيمة وغير ذلك وان كان هناك فروق بينهما الاثما سوا في تحديد المقادير .

المقدار الواجب اخراجه :

لقد نصت السنة النبوية على المقدار الواجب اخراجه بعد تمام النصاب على نوعين : العشر ونصف العشر وذلك على حسب ما يعانىه الانسان من كلفة ومشقة في سقى زرعه وثمره ، وما لم يعانى في ذلك فان سقى الزرع والثمر من ماء السماء ففيه العشر ، وان كان بكلفة من الانسان بان اشترى الماء أو انة تكلفه ففيه نصف العشر ومن ذلك ماورد في صحيح البخارى :

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فيما سقت السماء العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر) (٢) .

-
- (١) المغنى / ابن قدامه مع الشرح الكبير (٢/٥٥٤-٥٥٧) .
 (٢) صحيح البخارى (٢/١٥٥) الزكاة . باب العشر فيما يسقى من ماء السماء .
 - بالنضح : بفتح النون وسكون الضاد اى بالساقية . انظر هامش صحيح مسلم (٢ / ٦٧٥) .

وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
(فيما سقت الانهار والغيم* العشور وفيما سقى بالسانية نصيف
العشر) (١) .

قال ابن قدامة :

وكلماسقى بكلفقومونة من دالية أو سانية أو دولاب أو ناعور
أو غير ذلك ، ففيه نصفالعشر ، وماسقى بغيرمونة ففيه العشر ولان للكلفة
تأثيرا فى اسقاط الزكاة جملة بدليل العلوقه فبان يؤثر فى تحفيفها
أولى ، ولان الزكاة انما تجب فى المال النامى ، وللكلفة تأثير فى تقليل
النماء ، فأثرت فى تقليل الواجب فيها (٢) .

وعلى هذا المفهوم من الروايات لم يختلف أحد فى أنه اذا كمل
نصاب الحبوب خمسة أوسق وجب فيها اخراج العشر فيما سقى من ماء السماء،
ونصفالعشر فيما سقى بكلفة فيكون المقدار الواجب اخراجه على المقاييس
المعاصرة هو مايلى :

اذا كان النصاب كما ذكرت سابقا (٥٠) خمسون كيلة فيكون المقدار
الواجب اخراجه من الخمسين كيلة فى العشر $50 \times \frac{1}{10} = 5$ كيل (فى
العشر خمس كيل) ، فى نصفالعشر $50 \times \frac{1}{20} = 2.5$ كيل (نصف
العشر كيلتين ونصف) .

وقت الاخراج :

قال تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) (٣) .

-
- * الغيم : المطر . انظر هامش صحيح مسلم (٢/٦٧٥) .
(١) صحيح مسلم (٢/٦٧٥) الزكاة . باب ما فيه العشر أو نصف العشر .
(٢) المغنى / ابن قدامة (٢/٦٩٩) .
(٣) سبق تخريجها . سورة الانعام آية (١٤١) .

كنت قد بينت سابقا ماهو الحق المقصود به فى الآية عند بيان
أدلة وجوب الزكاة من القرآن الكريم ، وبقي فى هذه الآية معرفة (يوم
الحصاد) ما المقصود بيوم الحصاد؟ وماهو مفهومه عندالمفسرين؟

عند الحديث عن هذه الآية فى مبحث أدلة وجوب الزكاة قد بينت
المفهوم والمقصود من الحق فى الآية ، والقول الراجع فيه وهو الزكاة
الواجبة ، ومادام هذا هو الراجع من مفهومها ، معنى هذا أن هذه
الآية تبين وقت وجوب اخراج الزكاة من المزروعات والثمار ، ولقد
اختلف فى ذلك علماء التفسير ، ولعل القرطبي أوضح لنا ذلك بقوله :
واختلف العلماء فى وقت وجوب الزكاة على ثلاثة أقوال :

الأول : انه وقت الجذاذ ، قاله محمد بن مسلمة لقوله تعالى :

(يوم حصاده) .

الثانى : يوم الطيب لأن ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما
فاذا طاب وحن الأكل الذى أنعم الله به وجب الحق الذى أمر الله به ،
اذ بتمام النعمة يجب شكر النعمة ، ويكون الايتاء وقت الحصاد لما قد
وجب يوم الطيب .

الثالث : أنه يكون بعد تمام الخرص ، لانه حينئذ يتحقق الواجب
فيه من الزكاة ، فيكون شرطا لوجوبها ، أصله مجيء الساعى فى الغنم ، وبه
قال المغيرة . والصحيح الاول لنص التنزيل . والمشهور من المذهب
الثانى (١) ، وبه قال الشافعى (٢) .

(١) المذهب المالكي . انظر مواهب الجليل / الخطاب (٢٨٥/٢) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٥٤٠/٣) وانظر أحكام القرآن / اب بالعربى

٠ (٧٦٣-٧٦٢/٢)

وقول الشافعي رحمه الله اذا بلغ ما أخرجت الأرض ما يكون فيه الزكاة أخذت صدقته ولم ينتظر بها حول لقول الله عز وجل (وآتوا حقه يوم حصاده) ولم يجعل له وقتا الا الحصاد ، واحتمل قول الله عز وجل يوم حصاده : اذا صلح بعد الحصاد ، واحتمل يوم يحصد وان لم يصلح فدللت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن تؤخذ بعد ما يجفف لايوم يحصد النخل والعنب والاخذ منهما زبيبا وتمرا^(١) ، فكان كذلك كل ما يصلح بجفوف ودرس مما فيه الزكاة مما أخرجت الارض ، ولا تؤخذ من زكاة شيء مما أخرجت الأرض مما يبس حتى يبس ويدرس ويبس ثمرة وزبيبا^(٢)

وقال ابن العربي : ولكل قول وجه كما ترون ، لكن الصحيح وجوب الزكاة بالطيب لما بيناه من الدليل ، وانما خرص عليهم ليعلم قدر الواجب في شمارهم ، والأصل في الخرص حديث لموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة الى أهل خيبر فخرص عليهم وخيرهم بين أن يأخذوا وله ما قال ، أو يتخذ لهم ما قال ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض^(٣) .

الترجيح :

الظاهر من الأقوال السابقة العمل بها جميعا لا يقدم واحدا منها على الآخر ، وذلك لان النباتات والزروع والشمار أنواع ، فمنها الحبوب ، كما ذكرتها وبينتها ، ومنها الفواكه وهي ما يتعلق بها من الشمار ، ومنها الخضروات ، وكل نوع من هذه الأنواع لها حالات خاصة عن الأخرى ، وكل قول من الأقوال السابقة يوافق نوعا من انواع الزروع والشمار في تحديد وقت اخراج زكاة الزروع والشمار ، وهي على التفصيل الآتي :

- (١) انظر في ذلك سنن أبي داود (٣٧٠/١) الزكاة/رواية عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد قال أبو داود: وسعيد لم يسمع من عتاب . باب صدقة الزرع .
- (٢) الام/ الشافعي (٣١/٢) وانظر المجموع على شرح المهذب للنووي (٥٧٠-٥٧٣) الوجيز/ للفزالي (٥٨١/٥) على هامش المجموع/ فتح العزيز/ شرح الوجيز للرافعي (٥٨١/٥ - ٥٨٢) على هامش المجموع .
- (٣) أحكام القران / ابن العربي (٧٦٣/٢) موطأ مالك (٤٩٤-٤٩٥) .

١ - القول الأول : القائل بالاجراج وقت الحصاد على اعتبار أن الآلية حددت الوقت بيوم الحصاد او الجذاذ ، والمقصود به القطوع أى يوم قطع الزروع فيكون هذا خاصا . اولا : بالخضروات الورقية خاصة وكل ما لا يبس ويجف من الزروع والشمار . لانها اذا بقيت فترة بعد قطعها تتعرض للتلف ، فلذلك يجب زكاتها فى يوم قطعها . قال فى بدائع الصنائع : قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك بعد أن ذكر انواع المأكولات - من الجنات - معروشات وغير معروشات - والنخل والزروع ، والزيتون والرمان ، وأحق ما يحمل الحق عليه الخضروات لانها هى التى يتيسر ايتاء الحق منها يوم القطع ، وأما الحبوب فيتأخر الايتاء منها الى يوم التنقية (١) وهو قول أبوحنيفة .

٢ - القول الثانى :

الطيب : وهو المشهور والمتفق عليه عند اكثر اهل العلم والفقهاء ، منهم مالك والشافعى واحمد حيث اشترطوا الطيب المبيح للبيع ، والطيب المبيح للبيع هو اليبس ، فيكون اليبس فى الحبوب ، والجفاف فى الشمار ، فإظهار الطيب عليها بمعنى انها تكون صالحة للزكاة خالية من العطب والفساد ، هو يبسها وجفافها فى هذه الحالة تخرج زكاتها كما قال احمد فى ذلك : ووقت الاجراج للزكاة بعد التصفية فى الحبوب والجفاف فى التمار لأنه أو الكمال وحال الادخار ، والمؤنة التى تلزم الثمرة الى حين الاجراج على رب المال ، لان الثمرة كالماشية ومؤنة الماشية وحفظها ورعيها والقيام عليها الرحين الاجراج على ربه كذا ههنا ، فان اخذ الساعى الزكاة قبل التجفيف فقد أساء ويبرده ان كان رطبا بحاله ، وان تلف ومثله ، وان جففه وكان قد

(١) بدائع الصنائع (٥٩/٢) الكاسانى / طه المطبوعات العلمية ١٣٢٧هـ

الزكاة فقد استوفى الواجب ، وان كان دونه أخذ الباقي ، وان كان زائدا رد الفضل ، وان كان المخرج لها رب المال لم يجزه ولزمه اخراج الفضل بعد التجفيف لانه أخرج غير الفرض فلم يجزه كما لو أخرج الصغيرة من المشية عن الكبار (١) .

ولم يختلف احد في أن النصاب يعتبر بعد اليبس في الحبوب والجفاف في الثمار ، وذلك حتى تقشر الحبوب وتصفى ، لأن نصابها يكون بعد التصفية والقشر ، والثمار بعد أن تجف فيصير العنب زبيبا والرطب تمرا ، وكذلك كما قال الغزالي ، ثم هذه الاوسق تعتبر زبيبا او تمرا وفي الحبوب منقى عن القشر الا فيما يطحن مع قشره كالذرة وما لا يتمر يوسق رطبا (٢) .

وما كان يدخر في قشره كالأرز ، فلا يكلف أهله ازالة قشره عنه لما في ذلك من الضرر عليهم (٣) .

٣- القول الثالث :

وهو القائل بالحرص وهذا خاص بالنخل والعنب ، وهو تقدير ما على النخل من الرطب تمرا والأعنا ب زبيبا (٤) . وذلك ليعلم القدر الواجب من الزكاة في الثمار بعد الجفاف مراعاة للطرفين صاحب المال ، والمستحق للزكاة بحيث يملك صاحب المال التصرف فيما يملكه من النخل والعنب الثمر مع ضمان حق المستحق للزكاة (٥) .

-
- (١) المغنى مع الشرح الكبير (٢/٥٦٦ - ٥٧٢) .
 (٢) الوجيز للامام الغزالي (٥٦٨-٥٦٩) .
 (٣) فتح العزيز / شرح الوجيز للرافعي (٥٦٩/٥) .
 (٤) أحكام القران / ابن العربي (٢/٧٦٣) .
 (٥) فقه الزكاة / يوسف القرضاوى (١/٢٨١) .

- الترجيح :

بعد ذلك كله أرى العمل بكل الأقوال الثلاثة مجتمعة مع بعضها
لاتفرقة بينهم ، الا أن هناك شيء من الترتيب يجمعهم معا وهو :

أولاً : لابد من ظهور الطيب على الزروع والثمر وطيب كل نسوع
منه معروف فيه ، فطيب الحبوب كما بينت سابقا يبسها ، ويبسها صلاحها
للاقتنيات والادخار ، وطيب بعض الثمار الجفاف مثل الزيتون والتين
والعنب والرطب ، اما ما لا يدخل تحت اليبس والجفاف من الثمار والزروع
فطيبها حال نضجها وصلاحها للأكل .

ثانياً : بعد ظهور الطيب تبدأ عملية القطع وهو الحصاد للزروع
والحبوب ، والجذاذ للثمار وهو القطف .

ثالثاً : أما الخرص فهو خاص بالنخل والكروم ، ويكون قبل الطيب
وقبل الجذاذ ، وذلك لانه لا يمكن قطع ثمره أو أى نوع من أنواع النباتات
الا بعد أن تنضج ويبدو فيها الصلاح والاستعداد للاستعمال .

من هذا أخلص الى أن زكاة الحبوب تكون بعد يبسها وحدها
وقشرها وتصفيتها بعد ذلك يقدر فيها النصاب وتزكى ويكون هو وقت اخراج
زكاتها .

من هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يعين ويبين ويخصص في
الآية كيفية الاخراج وانما ذكر وقت الاخراج في الآية بعد ذكر الانواع
ليدخل تحتها كل أنواع المزروعات والثمار ، وكل نوع يزكى على حسب
ما يناسب أحواله من النضج والفرك والتصفية واليبس والجفاف والقشور
الى أن يصل الى الدرجة التى يكون فيها مهياً للزكاة فقال تعالى :
(وآتوا حقه يوم حصاده) .

وجماع ذلك كله ما قاله ابن العربي في تفسيره عند قوله (وآتوا حقه

يوم حصاده) فقال :

١- فان قيل : انما تجب الزكاة فى المقتات الذى يدوم ، فأما فى الخضر فلا بقاء لها ، ولذلك لم تؤخذ الزكاة فى الأقوات من أخضرها ، وانما أخذت من يابسها .

قلنا : انما تؤخذ الزكاة من كل نوع عند انتهائه ، باليابس وانتهاء اليبس والطيب انتهاء الأخضر ، ولذلك اذا كان الرطب لا يثمر ، والعنب لا يتربب تؤخذ الزكاة منهما على حالهما ، ولو لم تكن الفاكهة الخضرية أصلا فى اللذة وركنا فى النعمة ما وقع الامتنان بها فى الجنة .

ألا تراه وصف جمالها ولذتها فقال : (فيها فاكهة ونخل ورمان) (١) . فذكر النخل أصلا فى المقتات ، والرمان أصلا فى الخضروات أو لا ينظرون الى وجه امتنانه على العموم لكم ولأنعامكم بقوله : (انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا) (٢) .

٢- فان قيل : فقد قال تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) والذى يحصد الزرع . قلنا : جهلتم ، بل هو عام فى كل نبت فى الأرض وأصل الحصاد اذهاب الشيء عن موضعه الذى هو فيه . قال تعالى : (منها قوائم وحصيد) (٣) .

وقال : (حتى جعلناهم حصيدا خامدين) (٤) وقال : (فجعلناهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس) (٥) وفى الحديث (وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم) (٦) .

-
- (١) سورة الرحمن: الآية (٦٨) .
(٢) سورة عبس : الآية (٢٥-٣١) .
(٣) سورة هود: الآية (١٠٠) .
(٤) سورة الانبياء : الآية (١٥) .
(٥) سورة يونس : آية (٢٤) .
(٦) سنن الترمذى (١٢٥/٤) كتاب الايمان عن معاذ بن جبل . وقال هذا حديث

حسن صحيح . باب ما جاء فى حرمة الصلاة .

- ٣ - فان قيل: هذا مجاز ، وأصله الزرع .
قلنا : هذا كله حقيقة و أصلها الذهب .
- ٤ - فان قيل : أليس يقال جداد النخل ، وحصاد الزرع ، وجزاذا البقل،
قلنا : الاسم العام الحصاد ، وهذه خواص العام على بعض
متناولاته وقد اجاب عنه بعض العلماء بانه ذكر الحصاد فيمما
يحصد دليلا على الجداد فيما يجد لأن أحدهما يكفى عن الآخر
ولكن النبات كان اصلا لقوله : (فأنبتنا به جنات) ، (فجعلهم
قسما) (وحب الحميد) ، فجعله قسما اخر ، فلما عادل الجميع
اكتفى بذكره عن ذكر غيره (١) .

ثانيا: الفاكهة :

كنت قد ذكرت سابقا ان أساس المطعومات للإنسان من النباتات
ثلاثة : الحبوب ، الفواكه ، الخضروات .
وبعد ان ذكرت زكاة الحبوب واستوفيت الكلام عنها سوف أشـرع
في ذكر الفاكهة بالمباحث الآتية :
ماهى الفاكهة ، الأنواع التى تجب فيها ، مقدار الزكاة
فيها ، وقت الزكاة .

أولا: الفاكهة وأنواعها :

الفاكهة نوع من أنواع النباتات تختلف تماما عن الحبوب
فى الشكل والطعم وتؤكل بدون طبخ أو معالجة وهى غالباً تكون ليننة
رطبة سهلة الاكل حلوة المذاق ، واكلها غذاء ونعمة ومنتعة ودواء . قال
فى لسان العرب : ورجل فكه يأكل الفاكهة ، وفاكه عنده فاكهة

(١) أحكام القرآن / ابن العربى (٢/٧٦٠-٧٦١) .

وفكه القوم بالفاكهة أتاهم بها ، والفاكهة أيضا : الحلواء علي التشبيه ، وتفككت بالشئ : تمتعت به (١) .

وقد ذكرت الفاكهة في القرآن بلفظ الفاكهة في احدى عشر موضعا في القرآن ، ولفظ فواكه في ثلاث مواضع من القرآن ، وقد اقترنت ببعض مسمياتها في موضعين في القرآن في سورة الرحمن عند قوله تعالى: (فيها فاكهة والنخل ذات الأكام) (٢) وقوله تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (٣) .

وقد وردت بعض أنواع الفاكهة في القرآن بأسمائها ، وهي الرمان والنخل والعنب والزيتون ، والتين ، أما الزيتون والتين كنت قد تكلمت عنهما سابقا وبينت مواضعهما في القرآن فلاداعي لاعادته أما النخل فقد ورد في القرآن في (٢٠) عشرين موضعا وهو اكثر فاكهة ذكرت في القرآن ذلك لبيان أهميته ومنفعته ، وثمره النخل هي الرطب ورد ذكرها في القرآن في موضع واحد في سورة مريم وهي قوله تعالى (وهزى اليك بذبح النحلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٤) .

أما العنب فقد ورد في احدى عشر موضعا في القرآن كله موضعين في سورة النحل (١١) اية (٦٧) .

أما الرمان فهو أقل ذكرا في القرآن فقد ورد في ثلاث مواضع من القرآن كله ، موضعين في سورة الأنعام آية (٩٩) اية (١٤١) وموضع في سورة الرحمن آية (٦٨) .

(١) لسان العرب (١١٢٢/٣) .

(٢) سورة الرحمن : اية (١١) .

(٣) سورة الرحمن اية (٦٨) .

(٤) سورة مريم : اية (٢٥) .

ثانيا : الأنواع التي تجب فيها الزكاة :

والفاكهة من أنواع النباتات التي تتقات وتدخر مثل الحبوب وهي غداء للإنسان تجب فيها الزكاة ، ولكن هناك اختلافات بين العلماء في الأنواع التي تجب فيها الزكاة والتي لا تجب فيها الزكاة وهي كما يلي بالتفصيل :

أولا : مذهب أبي حنيفة :

وجوب الزكاة في كل ما أخرجته الأرض مما يستنبته الإنسان ، ويقصد به نماء الأرض وقد ذكر ذلك سابقا .

ثانيا : مذهب مالك والشافعي

لازكاة في ثمر إلا التمر والزبيب ولا في حب إلا ما كان قوتا فسي حالة الاختبار لذلك .

ثانيا : مذهب مالك :

قال أبو عمر : لا زكاة في شيء من الثمار غير النخيل والعنـب دون ما سواهما من الرمان والتين واللوز وسائر ثمار الفواكه وغيرها ، إذا كانت لا تدخر للقوت غالبا ، وأما ما ادخر منها غالبا للقوت ففيه الزكاة عند المتأخرين البغداديين وغيرهم من المالكيين وهو تحصيل مذهب مالك عندهم فعلى هذا تجب الزكاة في التين اليابس لأنه مقتات عند الحاجة ويدخر دائما .

واتفق مالك وأصحابه على نفي الزكاة في اللوز والتفاح وشبههما وكان مالك يرى الزكاة في الزيتون والحلجان (السسم) وحب الفجل (١) .

ثالثا : مذهب الشافعي :

ولا يؤخذ من شيء من الشجر غير النخل والعنب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الصدقة منهما فكانا قوتا وكذلك لا يؤخذ من الكرسف ولا اعلمهما تجب في الزيتون لانه ادم لا مأكول بنفسه

(١) مواهب الجليل / للحطاب (٢٨٠/٢) التاج والاكليل / المواق (٢٧٩/٢) -

وسواء الجوز فيها واللوز وغيره مما يكون أدما أو ييبس ويدخر
 لان كل هذا فاكهة لا انه كان بالحجاز قوتا لاحد علمناه . ولا يؤخذ
 فى شيء من القشاة ، لان هذا اكثر ما ينبت دواءً ولأما فى معناه من
 حبوب الأدوية ولا البطيخ وحبه لانه كالفاكهة ولا يؤخذ من حب العصفور
 ولا بزر الفجل ولا السمسم (١) .

رابعاً: مذهب أحمد :

ان الزكاة تجب فى الفواكه التى تاخذ وصف الكيلوالبقاء واليبس
 مما ينتبه الأدميون فقال: وتجب الزكاة فيما جمع هذه الاوصاف الكيل
 والبقاء واليبس من الحبوب والثمار ، من الثمار كالتمر والزبيب
 والمشمش واللوز والفسق والبندق ، ولزكاة فى سائر الفواكه كالخوخ
 والاجاص والكمثرى والتفاح والمشمش والتين والجوز (٢) .

أما أدلة كل مذهب وحجته فقد سبق أن ذكرتها فى الكلام عن الحبوب
 ولاداعى لاعادتها ، فليرجع اليها . من ص (٨٦٩ - ٨٧٤) .

الخلاصة :

- ١ - مذهب الاحناف: يوجب الزكاة فى كل أنواع الفواكه ، ماله بقاء
 وماليس له بقاء ، مايكال أو يوزن ، وما لا يكال أو يوزن وما ييبس
 أو لا ييبس ، ما يقتات أو لا يقتات ، ما يدخر أو لا يدخر لعدم
 نص القرآن والسنة (سبق ذكره) . (٨٦٩ - ٨٧٠) .
- ٢ - مذهب مالك والشافعي : لاتجب الزكاة فى جميع سائر الفواكه
 الا مانص عليه الحديث من التمر والزبيب فقط ، ولكن هناك
 اختلافاً بينهما فى التين والزيتون .

(١) الأم/ الشافعي (٢٩/٢) ، مختصر المزنى (٢٣١/١) .

(٢) المغنى (٥٤٩/٢) مع الشرح الكبير (٥٤٩/٢ - ٥٥٠) .

ـ التين :

أما التين فقد أوجب مالك فيه الزكاة لأنه مما يقتات ويدخر ويبيس ، ولكن هناك رواية تخالف هذا القول ، وذلك أن مالك قال في الموطأ : والسنة التي لا اختلاف فيها عندنا ، والذى سمعته من أهل العلم : أنه ليس فى شيء من الفواكه كلها صدقة الرمان والفرسك (*) والتين وما أشبه ذلك ومالم يشبهه إذا كان من الفواكه (١) .

قال ابو عمر ابن عبد البر : فأدخل التين فى هذا الباب ، وأظنه - والله أعلم - لم يعلم بأنه يبيس ويدخر ويقتات ، ولو علم ذلك ما أدخله فى هذا الباب لأنه أشبه بالتمر والزبيب منه بالرمان (٢) . ولكن كما ذكرت سابقا ان مالك أوجب الزكاة فى التين كما ذكره ابو عمر أيضا وقال : وكان ابن حبيب يذهب الى وجوب الزكاة فى التين ، ابن القصار : ترجح مالك فى التين وانما تكلم على بلده لأنه كان يجلب اليه اما بالشام والأندلس ، وفى التين زكاة لأنه يقنات غالبا ، والمعلوم ان الاستعمال للتين والاقتيات أكثر من الزبيب ، ولم يختلف المذهب ان الزكاة تجب فى الزبيب وذلك فى التين أبين (٣) .

فعلى هذا : وجوب الزكاة فى التين عند المالكية ، وكذلك عند أحمد أما الشافعى فلا يوجب الزكاة فيه .

-
- * الفرسك : نوع من أنواع الخوخ يمانى أجرد أملس ولونه أحمر وأصفر . انظر لسان العرب (١٠٧٤/٢) .
- (١) الموطأ (١٨٦) تفسير القرطبي (٢٥٣٩/٣) .
- (٢) تفسير القرطبي (٢٥٣٩/٣) .
- (٣) التاج والاكليلى / المواق (٢٧٩/٢) عرهمش مواهب الجليل .

- الزيتون :

مما سبق يتضح أن مالك و أحمد يوجبان الزكاة في الزيتون أما الشافعي فلا يرى الزكاة في الزيتون . إلا أن له قول آخر يجب فيه الزكاة .
 جاء في المغني : واختلفت الرواية في الزيتون فقال أحمد
 في رواية ابنه صالح : فيه العشر اذا بلغ - يعني خمسة اوسق
 وان عصره قوم في ثمنه لان الزيت له بقاء وهذا قول الزهري
 والأوزاعي ، ومالك والليث والثوري و ابي ثور واصحاب الراي ، وروى عن
 ابن عباس لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) في سياق قوله
 (والزيتون والرمان) ولأنه يمكن ادخار غلته أشبه التمر
 والزبيب ، ولازكاة فيه ، وهذا قول ابن أبي ليلى والحسن بن
 صالح و ابي عبيدة واحد قول الشافعي لأنه لا يدخر يابس
 فهو كالخضروات والاية لم يرد بها الزكاة لانها مكية ، والزكاة
 انما فرضت بالمدينة ، ولهذا ذكر الرمان ولا عشر فيه ، وقال
 مجاهد اذا حصد زرعه القى لهم من السنبل واذا جذ نخله القى لهم
 من الشماريخ ، وقال النخعي و أبو جعفر هذه الآية منسوخة
 على أنها محمولة على ماياتى حصاده بدليل أن الرمان مذكور بعده
 ولازكاة فيه (١) .

وجاء في تفسير القرطبي وقال الشافعي : ولازكاة في الزيتون
 لقوله تعالى (والزيتون والرمان) فقرنه مع الرمان ولازكاة
 فيه ، وأيضا فان التين أنفع منه في القوت فلا زكاة فيه .
 هذا قول الشافعي بمصر ، وله قول بالعراق ، انه فيه الزكاة
 واضطر بقوله في الزيتون .

ولم يختلف قول مالك في الزيتون • فدل على أن الآية محكمة
عندهما غير منسوخة ، واتفقا جميعا على أن لزكاة في الرمان
وكان يلزمهما إيجاب الزكاة فيه (١) •

قال مالك : لا يخرص الزيتون ويؤمن عليه أهله كما يؤمنوا على الحب
فاذا بلغ كيل حبة خمسة أوسق أخذ من زيتته فان كان لازيت لــــه
كزيتون مصر فمن ثمنه (٢) •

٤ - مذهب أحمد يوجب الزكاة في بعضها مما يبس ويبقى ويكال ولم
يوجب في غير ذلك ، وقد أوجب الزكاة في التين والزيتون •

الترجيح :

الراجح من الأقوال السابقة هو مذهب الامام ابي حنيفة في وجوب
الزكاة في جميع انواع الفاكهة ، لعموم الادلة من الكتاب والسنة ،
وقد بينت ذلك سابقا في مبحث الحبوب •

ثالثا : الخضروات وأنواعها :

والخضروات نوع من أنواع الأطعمة النباتية ولكنها تختلف
عن الحبوب والفاكهة ، ومنها الورقية وغير الورقية ، والورقية
منها ما يؤكل مطبوخا مثل البقلة الحمقاء ورق العنب ، الكرنب ، السبانخ ،
واللفت والسلق ، ومنها ما يؤكل غير مطبوخ مثل الخس والجرجير ،
البقدونس ، ومن الخضروات غير الورقية ما يؤكل مطبوخا مثل الكوساء
البادنجان الأسود والأبيض ، البطاطس ، القرع ، ومنها ما يؤكل غير

(١) تفسير القرطبي (٢٥٣٩/٣) •

(٢) التاج والاكلیل / المواق (٢٨٠/٢) موطأ مالك (١٨٣) •

مطبوخا مثل الخيار ، الطماطم ، الجزر ، والخضار من المطعومات
التي تتخذ اداما او سلقا او سلطة وهي غذاء للناس ودواء .

— زكاة الخضروات :

زكاة الخضروات اجمعت المذاهب ماعدا ابوحنيفة على عدم وجوب
الزكاة فيها ، لانها ليس مما يكال او يدخر فهي لابقاء لها ويسرع
اليها التلف .

١ - مذهب مالك والشافعي :

جاء في مواهب الجليل : وقال مالك ، ليس في الفواكه كلها رطبها
ويابسها زكاة ولا في الخضرة زكاة ولا زكاة في التوابل والفلفل
والكمون ، والكزبرة ، والحببة السوداء والكرابيا والحلبة (١) .
وجاء في الام : قال الشافعي : ولا يؤخذ شيء من القثاء
ولا الاسبيوش لان الاكثر من هذا انه ينبت للدواء ولا مما في معناه
من حبوب الادوية ولا حبوب البقل لانها كالفاكهة وكذلك القثاء
والبطيخ وحبه لا زكاة فيه لانه كالفاكهة ولا يؤخذ من حب العفصر
لا بزر الفجل ولا بزر بقل ولا سمسم ولا اعلم في الترمس صدقة
ولا اعلمه يؤكل الا دواء او تفكها لا قوتا ولا صدقة في بصقل
او ثوم لان هذا لا يؤكل الا ابزارا او ادما (٢) .

٢ - مذهب احمد : ولا زكاة في الخضرة كالثقلاء والخيار ، والباذنجان
واللفت والجزر .

— حجتهم :

اولا : عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي موسى ومعنا اذا
الى اليمن فامرهم ان لا يأخذوا الصدقة الا من هذه الاربعة
(الحنطة والشعير والتمر والزبيب) (٣) .

(١) مواهب الجليل / الخطاب (٢٠٨/٢) .

(٢) الام / الشافعي (٢٩-٣٠) .

(٣) سنن الدارقطني (٩٨/٢) الزكاة .

وفى سنن البيهقي فى حديث معاذ : (فاما القشاء والبطيخ والرممان والقصب والخضرة فقد عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال وهذه الاحاديث كلها مراسيل إلا انها من طرق مختلفة فيؤكدها بعضها بعضا ولان غير هذه الاربعة لانص فيها ولا اجماع ، ولا هو فسي معناها فى غلبة الاقتيات بها وكثرة نفعها ووجودها فلم يصح قياسه عليها) (١) .

ثانيا : أن عموم قوله صلى الله عليه وسلم : (فيما سقت السماء العشر) (٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ (خذ الحب من الحب) (٣) يقتضى وجوب الزكاة فى جميع ما يتناوله ، خرج منه ما لا يكال وما ليس بحب مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم (ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق) (٤) .

فدل هذا الحديث على انتفاء الزكاة مما لا توسيق فيه وهو فيما هو مكيل يبقى على العموم والدليل على انتفاء الزكاة مما سوى ذلك ما ذكرنا من اعتبار التوسيق .

ثالثا : وروى عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس فى الخضروات صدقة) (٥) وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس فيما أنبتت الأرض من الخضر زكاة) (٦) وعن موسى بن طلحة عن ابيه وعن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله رواه الدارقطنى (٧)

-
- (١) المغنى (٦٩٢/٢) سنن البيهقي (١٢٩/٤) الزكاة .
(٢) صحيح البخارى (١٥٥/٢ - ١٥٦) الزكاة باب فيما يسقى من ماء السماء
(٣) سنن أبى داود (٣٧٠/١) الزكاة باب صدقة الزرع .
(٤) صحيح مسلم (٦٧٤/٢) الزكاة .
(٥) سنن الدارقطنى (٩٥/٢) قال ابى الطيب العظيم الآبى فى صقر بن حبيب واحمد بن الحارث وكلاهما ضعيفان . انظر التعليق المغنى على الدارقطنى (٩٥/٢) .
(٦) سنن الدارقطنى (٩٥/٢) قال ابى الطيب العظيم الآبى فى صالح بن موسى وهو منكر الحديث . انظر التعليق المغنى على سنن الدارقطنى ابى الطيب العظيم آبى (٩٥/٢) هامش الدارقطنى .
(٧) المغنى (٦٩٢/٢ - ٦٩٣) وهذه الاحاديث قد ذكرها الزيلعى فى نصب الراية وعلق عليها وآبان ضعفها جميعا من كل الطرق . انظر نصب الراية ، الزيلعى (٣٨٧/٢ - ٣٨٩) .

وروى الترمذى بإسناده عن معاذ أنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضروات وهي البقول فقال (ليس فيها شيء) وقال يرويه الحسن ابن عمارة وهو ضعيف ، والصحيح : أنه عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل (١) .

رابعاً : النباتات التي لا تدخل في الاقتنيات والادخار :

أقصد من هذه النباتات :

- ١- النباتات التي تستعمل للدواء والعلاج مثل : السناء ، الحبة السوداء ، الشمر ، الشف ، الكراويا ، الحلبة وغيرها كثيراً .
- ٢- النباتات التي تستعمل أبازير (توابل) للطعام لتعطيه نكهة وطعماً مثل الكمون ، الفلفل الأسود ، العصفر ، القرفة ، الكسفرة .
- ٣- النباتات التي تستعمل للزينة مثل : الزهور ، الورود بأنواعها مما سبق يتضح لى مايلى :

- ١- مذهب الشافعى ومالك : نفي الزكاة عن هذه الانواع لانهما اشترطتا فى الزكاة النباتية ، الاقتنيات ، والادخار ، واليبس ، والبقاء .
- ٢- مذهب أحمد يوجب الزكاة فى البعض من التوابل والدواء فقط وهو مايكال ويدخر ويبيس مثل بذر الكتان ، الكمون ، وينفى الزكاة عما لا يكال ولا يدخر مثل : ورق السناء ، وورق الحبق ، الا مذهب أبى حنيفة ، فهو الذى يوجب الزكاة فيها لأخذه بعموم الآية ، والحديث فى كل ما أنبتت الأرض ومما يستنبتة الأدميون ، وينتفعون به وهذه الانواع من النباتات مما أخرجته الأرض ويستنبغها الأدميون وينتفعون به كل حسب نوعه ، والاحتياج اليه وطريقته الانتفاع به وماهى منافعه . كما بينت فلم يشترط الادخار واليبس والاقتنيات أو الكيل .

(١) سنن الترمذى (٧٥/٢) الزكاة ، باب ماجاء فى زكاة الخضروات ، سنن الدارقطنى (٩٦/٢ - ٩٨) عن موسى بن طلحة - وقال أبو عيسى الترمذى : اسناد هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح فى هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شىء . وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل - والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس فى الخضروات صدقه ، وقال أبو عيسى : والحسن هو ابن عمارة وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه شعبة وغيره وتركه عبد الله بن المبارك .

- الترجيح :

بعد عرض أقوال العلماء والفقهاء فى زكاة الفواكه والخضروات وغيرها من النبات مما لا يقتات وعلى اختلاف آراءهم فى ذلك وأقوالهم يكون الراجح منها هو رأى وقول ومذهب أبى حنيفة . وكنت قد رجحت مذهب عند زكاة الحبوب وذكرت حجته واسباب الترجيح . ولا أريد إعادة ما ذكرت سابقا فى بيان الأسباب ولكن حسبى هنا أن أذكر قول ابن العربي فى تأييده لمذهب أبى حنيفة ، وهو الفقيه المالكى ، فقد أشبع القول فى ذلك ، وذكر الأسباب ورد على الأقوال والمذاهب الأخرى بما يغنى ويفيد فقال: " وقد اختلف العلماء فى ذلك اختلافا متباينا قديما وحديثا .

١- روى عن مالك وأصحابه : أن الزكاة فى كل مقتات لا قول له سواء وبه قال الشافعى (١) .

٢- وقال أبو حنيفة : تجب فى كل ما تنبتة الأرض من المأكولات من القوت والفاكهة والخضرة ، وبه قال عبد الملك بن الماجشون فى أصول الثمار دون البقول وقال أحمد أقوالا : أظهرها أن الزكاة تجب فى كل ما قال أبو حنيفة إذا كان يوسق ، فأوجبها فى اللوز لأنه المكمل دون الجوز لأنه معدود ، معولا على قول النبى صلى الله عليه وسلم : ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة (٢) .

فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن محل الواجب هو الوسق ، وبين القدر الذى يجب اخراج الحق فيه .

و تعلق الشافعى بالقوت ، وذلك لأن التوسيق انما يكون فى المقتات غالباً وإنما ما الخضرة فامرها نادر .

(١) انظر الجوهر النقى ، التركماتى (١٢٥/٤) هامش السنن للبيهقى .

(٢) صحيح مسلم (٦٧٤/٢) كتاب الزكاة .

وأما المالكية : فتعلقت بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من خضرة المدينة صدقة ، وقال أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق ، وقال: إن الله أوجب في المأكولات ما كان أو غيره وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في عموم قوله (فيما سقت السماء العشر) (١) .

وقد آن تحديد النظر فيها كما يلزم كل مجتهد : فالذي لاح بعد التردد في مسالكه أن الله سبحانه وتعالى كما ذكر الانسان بنعمه في المأكولات التي هي قوام الأبدان ، وأصل اللذات في الانسان ، عليها تبنى الحياة ، وبها يتم طيب المعيشة ، عدد أصولها تنبيها على توابعها ، فذكر منها خمسة : الكرم والنخل والزرع والزيتون، والرمان ، فالكرم والنخل يؤكل قوتا واستصباحا . والرمان يؤكل فاكهة محضا . ومالم يذكر مما يؤكل لا يخرج عن هذه الأقسام الخمسة . فقال تعالى : هذه نعمتي فكلوها طيبة شرعا بالحل طيبة حسابا باللذة ، وآتوا الحـق منها يوم الحصاد ، وكان ذلك بيانا لوقت الاخراج ، وجعل كما أشرنا اليه الحق الواجب مختلف بكثرة المؤونة وقلتها . فما كان خفيف المؤونة قد تولى الله سقيه ففيه العشر وما عظمت مؤونته بالسقي الذي هو أصل الاتيان ففيه نصف العشر .

فأما قول أحمد : انه فيما يوسق لقوله صلى الله عليه وسلم : (ليس فيما دون خمسة أوسق من حب أو تمر صدقة) (٢) فضعيف لأن الذي يقتضي ظاهر الحديث أن يكون النصاب معتبرا في التمر والحب ، فأما سقوط الحق عما عداها فليس في قوة الكلام ، وأما التعليق بالقوت فدعوى ومعنى ليس له أصل يرجع اليه ، وانما تكون المعاني موجبة لأحكامها بأصولها .

(١) صحيح البخارى (١٥٥/٢) الزكاة . سيق بيانته

(٢) صحيح مسلم (٦٧٤/٢) كتاب الزكاة .

وكيف يذكر الله سبحانه وتعالى النعمة في القوت والفاكهة ، وأوجب الحق منها كلها فيما تنوع حاله كالكرم والنخيل ، وفيما تنوع جنسه كالزراع ، وفيما ينضاف الى القوت من الاستسراج الذى به تمام النعمة فى المتاع بلذة البصر الى استيفاء النعم فى الظلم .

فان قيل : فلم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الزكاة من خضرة المدينة ولاخير .

قلنا : وأى حاجة الى نقله ، والقرآن يكفى عنه (١) .

وللدكتور يوسف القرضاوى فى هذا الموضوع قول مفيد أذكره وأولى هذه المذاهب بالترجيح هو مذهب أبى حنيفة الذى هو قول عمر بن عبد العزيز ومجاهد وحمام وداود والنخعي : أن فى كل ما أخرجت الأرض الزكاة ، فهو الذى يعضده عموم النصوص من القرآن والسنة ، وهو الموافق لحكمة تشريع الزكاة ، فليس من الحكمة - فيما يبدو لنا - ان يفرض الشارع الزكاة على زارع الشعير والقمح ويعفى صاحب البساتين من (البرتقال) أو (المانجو) أو (التفاح) ، أما أحاديث حصر الصدقة فى الأقوات الأربعة ، فلم يسلم فيها حديث من طعن ، أما بالانقضاء أو ضعف بعض الرواة - أو وقف ما أدى دفعه ، وعلى فرض التسليم بصحتها فقد تأولها ابن مالك وغيره من العلماء بأنه لم يكن ثمت غير الأربعة ، أو يحمل الحصر على أنه اضافى لاحقيقى ، ولهذا لم يأخذ به أحد من أصحاب المذاهب المتبوعة (٢) .

قلت : وقد سبق ضعف حديث (ليس فى الخضروات صدقه) كما بينها الزيلعى والترمذى وهذا يدل على عدم قوة أدلتهم فى عدم الزكاة من الخضروات وقوة أدلة أباحنيفة فى وجوب الزكاة فيها .

- نصاب زكاة الفواكه والخضروات وغيرهما :
لقد سبق الكلام عن نصاب زكاة الزروع والثمار عند مبحث الحبوب وقد أشبعت القول فى ذلك وذكرت أقوال العلماء فيما لا يكال والترجيح فيه لمن قال بالوزن فيما لا يكال على من قال بالثمن ، ولأمانع من أن أضيف الى الأقوال السابقة أقوال بعض مذهب اليه العلماء من أخذ

(١) أحكام القرآن / ابن العربى (٢/٧٥٨-٧٦١) .

(٢) فقه الزكاة للقرضاوى / (١/٣٥٥-٣٥٦) .

من أخذ زكاة الخضروات والفواكه من آثمانها لامن عينها :

- أ - روى عن الزهري وعطاء الخراساني وميمون بن مهران وجـــــــــــــــــــــــــوب الزكاة في آثمان الخضروات والفواكه ماعدا المنصوص عليه فـــــــــــــــــي الحديث من النخل والعنب .
- ١- فعن الزهري قال : (ما كان سوى القمح والشعير والنخل والعنب والسلت ، والزيتون ، فاني أرى ان تخرج صدقته من آثمانه .قال : والقطنية هو العدس والحمص والحبوب ، يسميها أهل المدينة قطينة * ويقول أهل الشام : القطنى لها أيضا (١) .
- ٢- عن عطاء الخراساني أنه قال : (ليس في الخضرة والجوز واللوز والفاكهة كلها عشر، فما يبيع منه فبلغ مائة درهم فصاعدا ففيه الزكاة (٢)
- ٣- عن ميمون بن مهران قال : (ليس لها زكاة حتى تباع ، فـــــــــــــــــإذا بيعت فبلغت مائتى درهم فان فيها خمسة دراهم (٣)) .
- ب - أما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس في الخضـــــــــــــــــروات صدقة) ضعيف فقد رواه الترمذى فقال : اسناد هذا الحديث ليس بصحيح فلا يصح فى هذا الباب شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرســـــــــــــــــلا والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس في الخضروات صدقة (٤) .
-
- (*) القطنية : سميت قطنية لانها تقطن فى البيوت فترة طويلة أى أنها تدخر للاكل .
- (١) الخراج / يحيى بن آدم (١٧٠) .
- (٢) الخراج / يحيى بن آدم (١٧٠) وانظر مصنف ابن ابى شيبه (١٤٠/٣) الزكاة
- (٣) الاموال / ابى عبيد - تعليق الفقى (٥٠٤) .
- (٤) سنن الترمذى / باب زكاة الخضروات (٧٥/٢) الزكاة . قال الترمذى : والحسن هو ابن عمارة وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه شعبة وغيره وتركه عبدالله بن المبارك .

ولكن عند فقهاء الأحناف محملا ومخرجا لهذا الحديث رغم ضعفه ، وهو أن المقصود باخراج الزكاة من عين الخضروات والفواكه يكون على أرباب الأموال وليس على الجبابة ، والعمال أخذها ، ذلك لأن الخضروات وبعض ثمار الفاكهة التي لا تجف تتعرض للتلف بسرعة قبل أن تصل إلى الفقراء بطريق الحياة والعمال فتفوت المصلحة على الفقراء فيها فعلى رب المال ان يؤديها (١) .

ج:١- روى عن أبي رجاء العطاردي قال : كان ابن عباس بالبصرة يأخذ صدقاتها حتى "رستاج" الكرات (٢) .

٢- وجاء في فتح القدير أخرج ابن القدير أخرج ابن أبي شيبة : عن عمر بن عبدالعزيز ومجاهد وعن النخعي وزاد في رواية النخعي : (حتى في كل عشر رستجات بقل رستجة) (٣) .

د:١- وقال داود الظاهري : ماكان يحتمل التوسيق " الكيل " فلا زكاة فيــــــــه حتى يبلغ خمسة أوسق ، وماكان لا يحتمل التوسيق مثل القطن والزعفران وسائر الخضروات فالزكاة في قليله وكثيره (٤) .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : هو نوع من التوفيق بين عموم حديث (فيما سقت السماء العشر) وخصوص حديث (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) (٥) .

-
- (١) انظر : - فتح القدير ، ابن الهمام (١٨٨/٢-١٨٩) .
- شرح بداية المبتدى ، الميرغيناهي (١٨٩/٢) .
- الكفاية على الهداية ، الخوارزمي ، (١٨٨/٢-١٨٩) .
- العناية على الهداية ، البابرتي (١٨٩/٢) .
- (٢) الخراج ، يحيى بن آدم (١٦٩-١٧٠) .
- (٣) المحلى ، ابن حزم ، (١١٣/٥) ط . المنيرية ، تحقيق أحمد شاکر ، فتح القدير (١٨٨/٢) .
- مصنف ابن أبي شيبة (١٣٩/٣) الزكاة .
- رستجه : حزمة . انظر فقه الزكاة / يوسف القرضاوي (٣٦٢/١) .
- (٤) المحلى ، ابن حزم (٢٤١/٥) .
- (٥) نيل الأوطار ، الشوكاني (١٥١/٤) .

- التوضيح :

المتفق عليه فى نصاب زكاة الزروع والثمار بلوغ خمسة أوسق
والوسق ستون صاعا والصاع " مكيال " كما هو مبين سابقا فى مبحث
الحبوب ، وقد ذكرت أن الحق فى نصاب الحبوب هو التوسيق ، ولا خلاف
فى ذلك بين العلماء والفقهاء فى التوسيق ، ولكن كان الخلاف بينهم
فيما لا يكال ، وكنت قد ذكرت أقوال المذاهب فى ذلك ورجحت المذهب
المناسب ، وقد ذكرت هنا أقوال بعض العلماء فيما لا يكال كذلك لاننى
لم أتعرض كثيرا لغير الحبوب وهى مناسبة لذكرها فى هذا المقام
حيث المبحث عن نصاب الفواكه والخضروات ، فكانت أقوالهم ، كما هو مبين ،
موافقة لأقوال المذاهب الا أنهم لم يتعرضوا للوزن التى بينتها
سابقا . فمنهم من يرى الزكاة فى الثمن ومنهم من يرى الزكاة فى
عين الخضر والفواكه ، ولكن لم يعين كيل ولا وزن ، ومنهم من يرى
الزكاة فيما لا يكال ، فى القليل والكثير من غير تحديد .

- الترجيح :

إذا كنت قد رجحت سابقا رأى الامام أحمد فى الوزن فاننى
لا أزال على هذا الترجيح وهو الوزن فيما لا يكال ، وذلك لان كل ما يكال
يوزن على حسب ثقله وخفته ، ولكن ليس كل ما يوزن يكال ، فالحبوب
تكال ، وتوزن أيضا ، ولكن فى حق نصابها الكيل كما هو منصوص بالتوسيق
لكن البطيخ مثلا يوزن ولا يكال ، فيكون هنا فى حق نصابه الوزن وان كان
ثقيلًا ، الا أنه أقرب الى ضبط وتحقيق النصاب فيه بما يعادل خمسة أوسق ،
وان كان الكيل يستعمل سابقا الا أن المشاهد فى الوقت الحاضر والمعروف
والمستعمل فى البيع والشراء الوزن وهو (الكيلو غرام - والغرام -
والوقية - والرطل - والدرهم - والمثقال) والغالب هو الكيلو غرام
وأجزاؤه ، وان لم يستعمل الوزن فى كل المبيعات النباتية الا أنه يستعمل
فى معظمها .

- ١ - يستعمل الوزن فى جميع اللواكه الرطبة التى تجفف أو لاتجفف حتى التى تجفف مثل التين والعنب والرطب ، فتباع بالـوزن وهى جافة .
- ٢ - يستعمل الوزن فى جميع أنواع الخضروات مثل الكوسة والقرع والبازلاء والفاصولياء ، والكرنب ، والبطاطس ، والطماطم ، والخرشوفه ، وحتى الأوراق الخضرية مثل : السبانخ ، الرجلة ، اللفت والسلق ، الخس ، الجرجير ، البقدونس ، النعناع الأخضر .
- ٣ - يستعمل الوزن فى كل أنواع الابازير والبهارات والأدوية مثل الكسفرة ، الفلفل الاسود ، الكمون ، الحبة السوداء ، الخردل ، وحتى الورقية فيها التى كانت تباع بالكيله الان اصحت تباع بالوزن مثل ، السنا ، النعناع المجفف ، الحبق .
- فعلى هذا يكون رأى الراجح فيما لايكال ويشمل هذا الفواكه والخضروات والأبازير والبهارات والأدوية من النباتات ، الوزن ، وذلك اذا بلغ نصابها وزنا بما يعادل خمسة أوسق للأسباب الآتية :
- ١ - نص الحديث على تحديد نصاب للزكاة ، والزكاة يشترط فيها بلوغ النصاب ، وهذا يلغى قول من قال فى القليل والكثير .
- ٢ - لم يحدد الحديث أو يخص نوع معين من المزروعات تبلغ نصاب وتخرج زكاتها ، وانما أعم بقوله : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) والكيل والوزن كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يوجد حديث ينفي عدم الوزن فى تحديد نصاب ما لا يكال ويطلقه ويعممه زيادة حديث العشر فى كل ما سقى بماء السماء ونصف العشر فيما سقى بكلفة فعلى هذا يكون قياس ما لا يكال ان يوزن لان الوزن أقدر وأضبط الى تحديد النصاب بما يقارب خمسة أوسق وهذا ينفى قول من قال بالثمن .
- ٣ - ان حاجة الانسان فى قوام حياته من النباتات لاتتحقق فقط فيما يدخر أو فيما يقتات فقط فقط فى تحديد الاصناف التى أوجبها

لانها تكال ، وانما تتحقق احتياجاته في قوام حياته في معظم أنواع النباتات التي تشمل المأكول منها بأنواعه الفواكه والحبوب والخضار فكل نوع منها له قيمته الغذائية للانسان تختلف عن الآخر فما هو موجود في الحبوب لا يتحقق في الفواكه وما هو في الفواكه لا يتحقق في الخضروات ، وما هو في الخضروات لا يتحقق في غيرها ، اذا الانسان محتاجا في طعامه وغذائه واعطاء جسمه القيمة الغذائية التي تحسنه وتقويه حتى يستطيع أن يؤدي وظيفته الأساسية في هذه الأرض وهي الخلافة ، أن يتغذى على هذه الأصناف بمجموعها الفواكه والخضار والحبوب ولا يستغنى عن واحدة منها والمصلحة في الزكاة أساسا هي الفقير والفقير لا يستطيع ان يصل الى كل هذه الأنواع في غذائه الا عن طريق الزكاة بأن تعطى له عينا ، ولرب المال أيضا في ذلك مصلحة ، وحتى لا يتضرر فكان الحد الفاصل بين الأغنياء والفقراء النصاب ، والنصاب ممكن أن يقدر بالوزن وهذا ينفي قول من قال ان الزكاة لاتجب في عين غير الحبوب وما نصت عليه الأحاديث.

٤ - وكما أن حاجة الانسان الى أنواع الأطعمة كذلك حاجته الى الأدوية كما قد يعترضه من الأمراض والنباتات لها دور كبير في علاج الانسان والاهتمام بصحته ، فهي اذا تدخل في حاجة الانسان ومصلحته كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقَالَ صلى الله عليه وسلم (عليكم بهذه الحبيبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام) (١) .

وهذا ينفي قول من قال الزكاة بالقيمة فالمصلحة لاتتحقق بالقيمة وانما بالعين ، ومن يوجب الزكاة في كل ما يكال ويدخر فقط ،

(١) صحيح البخارى (١٦٠/٧) الطب ، باب الحبه السوداء ، صحيح مسلم

(١٧٣٥/٤) السلام ، باب التداوى بالحبه السوداء .

٥ - إذا كانت الزكاة فى عين مانعت عليه الأحاديث فقط من التمر والزبيب والقمح والشعير وغيرها ، وهذه أصناف وأنواع قليلة جدا بانواع النباتات التى لاتعد ولاتحصى وتتدخل فى احتياجات الانسان كما بينت سابقا ، ولاتزكى بعينها ، معنى هذا انها تتحول الى عروض تجارة ، ولاداعى الى عقد باب فى زكاة الزروع والشمار من الاموال الزكوية ، فالزروع والشمار مال بعينه مستقل بذاته ، والذهب والفضة مال بعينه ، والسائمة مال بعينها ، وكلها تجب زكاتها فى عينها ، كذلك الزروع والشمار تجب زكاتها فى عينها كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ، ولا فيما دون خمس أواقى صدقة ، وأشار بخمس أصابعه) (١) .

٦ - أما ما ذكرته من أنواع النباتات التى تدخل فى الزينة مثل الورد والزهور وغيرها ، وهذه تسمى بنباتات الزينة المعروفة اليوم ، فهى تدخل فى عروض التجارة على رأى من قال الأخذ من الثمن ، وذلك لأنها لاتتحقق منها مصلحة أو فائدة للفقير فى عينها حتى ولا يفكر فى قنيه لها ، ولايستطيع الحصول عليها الا الأغنياء بشرائها بأموال طائلة لمتعمهم وترفهم بها ، وهى اليوم تفتح لها المحلات الخاصة لبيعها وتباع بأسعار باهظة ، فالأفضل فى زكاتها أن تدخل تحت زكاة عروض التجارة على اعتبار أنها تجارة وتؤخذ من أثمانها . والله أعلم .

النصاب بالوزن العصرى :

وبعد هذا التوضيح والترجيح الذى أرجو من الله أن يكون مفيدا .

(١) الفتاوى ، ابن تيمية (١٠/٢٥) ، صحيح البخارى (١٤٨/٢) الزكاة باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة ، صحيح مسلم (٦٧٣/٢) كتاب الزكاة .

شاملا ، بقى أن نعرف مقدار النصاب بالوزن وخاصة فى الموازيين العصرية ، وكنت قد بينت سابقا معرفة النصاب بالمكيال فى الوقت الحاضر فى الحبوب ، وعليه يجب أن أعرف كذلك الوزن بالمقاييس العصرية ومعرفة النصاب ، لخراج زكاة الفواكه والخضار والأباريس والبهارات والأدوية ، وذلك لما لا يكال منها ، أما ما يكال منها فيدخل تحت التوسيق كما عرف سابقا .

— نصاب السوق بالوزن :

هناك اختلافات فى تقدير الصاع بالأرطال بين الصاع العراقى والمدنى ، وسوف أذكر ما اتفق عليه .

جاء فى المغنى : وقد نص الامام أحمد على أن الصاع خمسة أرطال وثلاث من الحنطة . وروى جماعة عنه أنه قال : الصاع وزنته فوجدته خمسة أرطال وثلاثى رطل حنطة ، وقال حنبل : قال أحمد : أخذت الصاع من أبى النصر ، وقال أبوالنضر أخذته من ابن أبى ذئب ، وقال : هذا صاع النبى صلى الله عليه وسلم الذى يعرف بالمدينة قال أبو عبد الله فأخذنا العدس فعبرنا به وهو أصلح ما يكال به ، لأنه لا يتجافى عن مواضعه فكلنا به ووزناه ، فاذا هو خمسة أرطال وثلاث ، وهذا أصح وما وقفنا عليه وما بين لنا من صاع النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعض أهل العلم : أجمع أهل الحرمين على أن مد النبى صلى الله عليه وسلم رطل وثلاث قمحا من أوسط القمح ، فمتى بلغ القمح الفا وستمائة رطل ففيه الزكاة ، وهذا يدل على أنهم قدروا الصاع بالثقل ، فاما الخفيف فتجب الزكاة فيه اذا قارب هذا وان لم يبلغه ، ومتى شك فى وجوب الزكاة فيه ، ولم يوجد مكيال يقدر به ، فالاحتياط الاخراج ، وان لم يخرج فلا حرج لأن الأصل عدم وجوب الزكاة فلا تجب بالشك .

قال القاضى : وهذا النصاب معتبر تحديدا ، فمتى نقص شيء

لم تجب الزكاة ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ————— :

(ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) ، والناقص عنها لم يبلغها —
 الا أن يكون نقصا يسيرا يدخل في المكاييل كالأوقية ونحوها فلا عبـرة
 به لان مثل ذلك يجوز أن يدخل في المكاييل فلا ينضب فهو كنقص الحـول
 ساعة أو ساعتين (١) .

النصاب كما هو محدد خمسة أوسق

فاذا كان الوسق = ستين صاعا أي ٦٠ صاعا

يصح النصاب = ٥ × ٦٠ = ٣٠٠ صاع

الصاع = بالوزن خمسة ارطال وثلث = $\frac{1}{3}$ ٥ رطل . كما ذكره

أحمد بن حنبل .

∴ النصاب بالارطال = $\frac{1}{3}$ × ٣٠٠ = ١٠٠ رطل

وهذا ما ذكره أحمد بن حنبل ، الوزن بالصاع المدني ، فيعتبر

هذا الوزن وزن أهل الحجاز .

الوزن بالكيلو :

الرطل في الموازين الحالية = ٤٥٣ جرام

وبعملية حسابية بالتحويل ينتج مايلي :

إذا كان النصاب = ١٦٠٠ رطل عندتحويل الرطل إلى جرام ينتج :

٠ ٧٢٤٨٠٠ = ٤٥٣ × ١٦٠٠ جرام

وعندتحويل الغرام إلى كيلو ينتج مايلي :

٠ ٧٢٤٨٠٠ ÷ ١٠٠٠ = ٧٢٤٫٨ كيلو جرام

إذا نصاب زكاة الخضر والفواكه وغيرها مما لا يكال أو يكال مثل

الحبوب بالوزن يكون بالارطال الحجازية ١٦٠٠ رطل .

بالكيلو جرام = ٧٢٤٫٨ كيلو جرام .

(١) المغنى : ابن قدامة (٧٠١/٢-٧٠٢) .

وقد ذكر الدكتور يوسف القرضاوى بالأرطال العصرية

$$= ٤٨٨ \text{ رطل مصرى } ٢١٧٦ \text{ جرام}$$

$$٣٠٠ \times ٤٨٨ = ١٤٤٠ \text{ رطل مصرى}$$

$$\bullet \text{ وبالكيلو جرام } = ٢١٧٦ \times ٣٠٠ = ٦٥٢٨ \text{ كيلو جرام}$$

$$\text{وبالتقريب } = ٦٥٣ \text{ ك } \bullet \text{ ج (١)}$$

— المقدار الواجب اخراجه :

المقدار الواجب اخراجه فى زكاة الزروع والشمار هو العشر —
أو نصف العشر ، على ما نصت عليه الشريعة كما هو مفصلا سابقا وكنت قد
بينت ، العشر ونصف العشر من المعكيلات ، وعليه سوف أبين أيضا العشر —
ونصف العشر بالموزونات ليعرف مقدار العشر الواجب اخراجه أو نصف العشر
عند تمام النصاب بالوزن .

المقدار الواجب اخراجه بالأرطال :

$$\text{العشر} = ١٦٠٠ \times \frac{1}{10} = ١٦٠ \text{ رطل}$$

$$\text{نصف العشر} = ١٦٠ \times \frac{1}{10} \times \frac{1}{2} = ٨٠ \text{ رطل}$$

المقدار الواجب اخراجه بالكيلوجرام :

$$\bullet \text{ العشر} = ٧٢٤٨ \times \frac{1}{10} = ٧٢٤٨ \text{ كغم}$$

$$\bullet \text{ نصف العشر} = ٧٢٤٨ \times \frac{1}{10} \times \frac{1}{2} = ٣٦٢٤ \text{ كغم}$$

(١) فقه الزكاة ، القرضاوى (٣٧٢/١ - ٣٧٣)

أما ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوى فيكون المقدار الواجب اخراجه

مايلى :

بالارطال :

$$\text{العشر} = 1440 \times \frac{1}{10} = 144 \text{ رطل}$$

$$\text{نصف العشر} = 1440 \times \frac{1}{10} \times \frac{1}{2} = 72 \text{ رطل}$$

بالكيلو جرامات

$$\text{العشر} = 653 \times \frac{1}{10} = 65.3 \text{ كيلو جرام}$$

$$\text{نصف العشر} = 653 \times \frac{1}{10} \times \frac{1}{2} = 32.65 \text{ كيلو جرام} \cdot$$

وقت الاخراج :

عند الحديث عن الحبوب أشبعت الكلام عن وقت اخراج زكاة الحبوب والثمار والفواكه وغيرها، والمتفق عليه عند الحبوب هو اليبس ويأخذ مأخذها كذلك كل ما ييبس من أنواع الفواكه مثل الزبيب والتين والابازير والتوابل والادوية عموماً، لان هذه عموماً لاتباع الاجافة أما جميع انواع الخضر الورقية وغيرها، وبعض الفواكه التى لاتجفف تخرج زكاتها وقت طيبها وينعها صلاحها للاكل . انظر ذلك فى مبحث وقت اخراج زكاة الحبوب بالتفصيل فلاداعى لاعادته .

والى هنا أقف عند بحث زكاة الزروع والثمار والكلام عنه واسع جداً وله مداخل ومناهات كثيرة هى مجال المتخصصين فى الفقه وهذا هنا ليس مجال بحثى لذلك اختصرته بهذه الصورة المذكورة التى خرجت بها بما يفيد مجال البحث فى النبات .

المبحث الثانى

زكاة الفطر وأحكامها

وكما مر معنا سابقا من الحقوق المتعلقة بالنبات الزكاة كذلك له حقا آخر وهو زكاة الفطر ، وان كانت زكاة الأموال تجب فى أنواع الأموال غير الزروع والثمار ، الا أن زكاة الفطر لاتجب الا فى الزروع والثمار وهى الحبوب ، كما أوجبها الرسول صلى الله عليه وسلم . ولأجل أن يتضح هذا الحق فى النبات فسوف أتناول منه مايلى :

- ١- تعريف زكاة الفطر .
- ٢- حكمها .
- ٣- الحكمة من وجوبها .
- ٤- على من تجب
- ٥- المقدار الواجب اخراجه وفى اى شىء تجب .

١- معنى زكاة الفطر :

زكاة الفطر وتسمى أيضا صدقة الفطر ، وكنت قد بينت سابقا أن الصدقة تشمل الواجبة وهى الزكاة ، وتشمل التطوع وسميت بالفطر لسببين هما :

- ١- أنها تجب بالفطر من رمضان .
 - ٢- ان الفطرة الخلقة .
- فيجب على الانسان تزكية لهذه الفطرة والخلقة وهى النفس البشرية مما قد نالها من الآثام ، أو الذنوب أيام الصيام وتطهيرا لها من الدنس (١) .

(١) انظر ذلك فى المغنى مع الشرح الكبير (٢/٦٤٥) .

— حكما :

أجمع أهل العلم على فرضيتها ووجوبها على كل مسلم حر وعبد ذكر وأنثى كبير وصغير لما روى في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، او صاعا من شعير على العبد ، والحر ، والذكـر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين) (١) .

— حكمة وجوبها :

الحكمة من مشروعيتها اولاً هي طهارة وتزكية لنفس الصائم وبدنه مما قد وقع فيه من الرفث واللغو فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهارة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) (٢) .

فمن رواية ابن عباس يتضح لنا أن الحكمة منها تشمل أمرين :

١ - ماذكرته سابقاً أنها تطهيرا وتزكية للانسان مما عمله من الذنوب والآثام ، وذلك لأن النفس البشرية لاتخلو من أن تتعرض لمفاسد الذنوب من القول باللسان او الفعل بالجوارح من سمع أو نظر او بطش باليد ، أو سعي بالرجل فجعلت زكاة الفطر لتزليل كل ما أصاب هذه الجوارح من الاوساخ والادران كما يزيل الماء الوسخ وذلك ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الصلوات الخمس تزيل الذنوب والخطايا كما يزيل الماء الأدران والاوزاخ من الانسان .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ماتتقول

(١) صحيح البخارى (١٦١/٢) الزكاة ، باب فرض صدقة الفطر ، صحيح مسلم

(٦٧٧/٢) الزكاة باب زكاة الفطر ، وانظر المغنى مع الشرح الكبير

• (٦٤٥/٢)

(٢) سنن ابى داود (٣٧٣/١) الزكاة باب زكاة الفطر ، سنن ابن ماجه

(٥٨٥/١) الزكاة ، باب صدقة الفطر ، سنن الدارقطنى (١٢٨/٢) الزكاة .

ذلك يبقى من درنه ، قالوا لايبقى من درنه شيئا . قال: فذلك
مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا) (١) .

٢ - الأمر الثانى : ان زكاة الفطر طعمة للمساكين فى يوم العيد
الذى يكون فيه الفرح والسرور والسعادة عامة لجميع المسلمين،
ولأجل أن تعم الفرحة جميع المسلمين جبر الاسلام قلوب الضعفاء
والفقراء من الكسر والألم والحزن بان يرون الاغنياء فى هذا اليوم
السعيد يتمتعون بما يتمتعون به من لذائذ الدنيا من الطعام
والشراب واللباس فى هذا العيد السعيد ، فشاركهم هذه الفرحة
والسعادة ، بأن فرض زكاة الفطر لتكون السعادة عامة للجميع
وبذلك تعطى صورة للمجتمع الاسلامى المجتمع الذى يتمثل فيه التعاطف
والتضامن واشاعة المحبة والسرور بين المسلمين كبيرهم وصغيرهم
غنيهم وفقيرهم ، رفيعهم وحقييرهم فى كل وقت وحين ، وكل بلد
وكل مكان .

٤ - على من تجب زكاة الفطر :

تجب زكاة الفطر على كل مسلم كبير وصغير حر وعبد ذكر وأنثى
لما روى ابن عمر فى ذلك كما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر وصاعا من شعير
على كل حر وعبد ذكر وأنثى صغير وكبير من المسلمين) (٢) .

الظاهر من رواية ابن عمر وجوب الزكاة على جميع المسلمين لافترق
بين كبير وصغير ولا غنى ولا فقير ولا ذكر ولا أنثى ولا حر ولا عبد. والمجمع
عليه فى هذه الرواية لزكاة الفطر عند أهل العلم ما ذكره الشرح الكبير
وهى واجبة على كل مسلم تلزمه مؤنة نفسه اذا فضل عنده عن قوته وقوت

(١) صحيح البخارى (١٤١/١) الصلاة باب مواقيت الصلاة ، صحيح مسلم

(١/٤٦٣) كتاب المساجد . باب المشى الى الصلاة تمحى بها الخطايا .

(٢) صحيح البخارى (١٦١/٢) الزكاة . باب فرض صدقه الفطر .

عياله يوم العيد وليلته صاع وان كان مكاتباً وجملة ذلك أن زكاة الفطر تجب على كل مسلم تلزمه مؤنة نفسه صغيراً كان أو كبيراً حراً أو عبداً ذكراً أو أنثى ، لما ذكر من حديث ابن عمر وهذا قول عامّة أهل العلم ، وتجب على اليتيم ويخرجه عنه وليه من ماله لانعلم أحداً خالف فيه إلا محمد بن الحسن قال ليس فى مال الصغير صدقة ، وقسّال الحسن صدقة الفطر على من صام من الأحرار وعلى الرقيق وعموم حديث ابن عمر يقتضى وجوبها على اليتيم والصغير مطلقاً ولأنه مسلم فوجبّت فطرته كما لو كان له أب (١) .

هـ - الأجناس التى يخرج منها - والمقدار الواجب اخراجه :

ان الأموال التى تجب فيه الزكاة هى بيت القصيد فى البحث عن زكاة الفطر وذلك حيث أن زكاة الاموال التى تجب فى كل الأموال اما زكاة الفطر فلا تجب الا فى النباتات التى يقاتتها الانسان وعليها معتمد قوته وغذاؤه وهذا يفيد فى بيان أهمية النبات للانسان فى الغذاء، وممن تلك النباتات التى اوجب الرسول صلى الله عليه وسلم فيها زكاة الفطر البر، والتمر ، والشعير ، والزبيب الأقط .

فقد روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرض زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير (٢) .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نخرج زكاة الفطر اذا كان فىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام ، أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من زبيب ، أو صاعاً من أقط (٣) .

-
- (١) الشرح الكبير ، ابن قدامه (٦٤٦/٢) على هامش المغنى .
 (٢) صحيح البخارى (١٦١/٢) الزكاة باب فرض صدقة الفطر ، صحيح مسلم (٦٧٧/٢) الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين .
 (٣) صحيح البخارى (١٦١/٢) الزكاة الفطر باب الصدقة قبل العيد ، صحيح مسلم (٦٧٨/٢) الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين .

الظاهر من هذه الروايات تحديد الأنواع التي يجب فيها الاخراج
ولكن هناك اختلاف بين العلماء في هل يخرج الاصناف المنصوص عليها
او يخرج غيرها من قوت أهل البلد ؟

وقد أجاب ابن تيمية عندما سئل عن ذلك اجابة شافية وافية وبيّن
فيها الأرجح والأفضل ، فقال رحمه الله : الحمد لله أما اذا كان أهل
البلد يقتاتون احد هذه الاصناف جاز الاخراج من قوتهم بلا ريب وهل لهم
ان يخرجوا ما يقتاتون من غيرها ؟ مثل ان يكونوا يقتاتون الارز ، والدخن ،
فهل عليهم أن يخرجوا حنطة أو شعيرا ، او يجزئهم الارز والدخن ، والذرة ؟
فيه نزاع مشهور وهما روايتان عن أحمد :

احدهما : لا يخرج الا المنصوص .

والآخر : يخرج ما يقتاته ، وان لم يكن من هذه الأصناف . وهو قول
أكثر العلماء كالشافعي (١) وغيره .

وهو أصح الأقوال فان الاصل في الصدقات أنها تجب على وجه المساواة
للفقراء كما قال تعالى : (من أوسط ما تطعمون أهليكم) (٢) .

والنبي صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا
من شعير ، لأن هذا كان قوت أهل المدينة ، ولو كان هذا ليس قوتهم
بل يقتاتون غيره لم يكلفهم أن يخرجوا مما لا يقتاتونه ، كما لم يأمر
الله بذلك في الكفارات ، وصدقة الفطر من جنس الكفارات ، هذه معلقة
بالبدن ، وهذه معلقة بالبدن ، بخلاف صدقة المال فانها تجب بسبب المال
من جنس ما أعطاه الله (٣) ، وأضيف الى ذلك في جواز اخراج غير هذه
الأصناف قول أبوسعيد الخدرى في روايته صاع من طعام ، فيدخل فيه غير
هذه الأصناف .

(١) انظر المغنى لابن قدامة (٢/٦٥٧-٦٥٨) .

(٢) - الشرح الكبير لابن قدامة (٢/٦٦٣ ، ٦٦٤) .

(٣) سورة المائدة : آية (٨٩) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٥/٦٩) .

أما المقدار الواجب إخراجه فهو على اختلاف في إخراج صاع أو نصف صاع .

ولكن الرأي الذى عليه جمهور العلماء : هو صاع من الاجناس التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم . وان عدمها الانسان اخرج من قسوت أهل البلد كما ذكرت سابقا .

وحجتهم في ذلك رواية ابن عمر ورواية ابوسعيد الخدرى . عــــــ
 أبى سعيد الخدرى قال: كنا نخرج اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حرا ومملوك صاعا من طعام ، أو صاعا من أقط أو صاعا من شعير ، أو صاعا من تمر أو صاعا من زبيب ، فلم نزل نخرجه حتى قدم علينا معاوية بن أبى سفيان حاجا أو معتمرا ، فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : انى أرى أن مدين من سمرأء الشام* تعدل صاعا من تمر فأخذ الناس بذلك .

قال ابوسعيد : فأما انا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه أبدا .
 ماعشت (١) .

أما حجة القائلين بنصف صاع هى رواية أبى سعيد الخدرى السابقة عندما قدم معاوية المدينة فقال: انى لأرى مدين من سمرأء الشام يعدل صاع من تمر فأخذ الناس بذلك . وقد أجاب النووى فقال: وليــــس للقائلين بنصف صاع حجة الا حديث معاوية واحاديث ضعيفة ضعفها أهل الحديث وضعفها بين (٢) .

وأقوال الجمهور:

١- أن صحبة سعيد للرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من صحبة معاوية للرسول وأطول وأعلم بأحواله ، واذا تعارضواختلف قول الصحابة فلا بد من الرجوع الى الدليل .

(*) سمرأء الشام : الحنطة أى نصف صاع منها . انظر هامش صحيح مسلم (٦٧٨/٢) .

(١) صحيح البخارى (١٦٢/٢) باب زكاة الفطر صاع من زبيب ، صحيح مسلم (٦٧٨/٢) الزكاة باب زكاة الفطر واللفظ لمسلم .
 (٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٦٠/٧) زكاة الفطر .

- ٢ - أن ظاهر رواية ابن عمر وأبي سعيد الخدري والقياس متفقا على اشتراط الصاع من الحنطة كغيرها توجب اعتماده .
- ٣ - أن معاوية صرح بقوله (انى لأرى) فهو رأى رآه ولم يقل سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - أنه لو كان عند أحد من حاضرى مجلسه مع كثرتهم فى تلك اللحظة علم فى موافقة معاوية للسنة عن النبى صلى الله عليه وسلم لذكره كما جرى لهم فى غير هذه القصة .
- ٥ - ان رأى والاجتهاد مشروع كما دل صنيع معاوية ومن وافقه من الصحابة ولكنه مع وجود النص فاسد الاعتبار (١) .

- الترجيح :

الرأى الراجح هو قول الجمهور بالصاع . والله أعلم .

(١) انظر فتح البارى (٣/٣٧٤) الزكاة .

المبحث الثالث

الصدقة

ان الحق الثالث من حقوق النبات الصدقة • بعد الحديث عن الحقوق الواجبة المتعلقة بالنبات فان طبيعة الموضوع تفرض البحث عن الحقوق الاخرى المتعلقة بالنبات وذلك لان البحث من طرف واحد او جانب واحد فى الموضوع لايفى البحث حقه ، وكنت قد تكلمت عن النفقة وقلت ان النفقة أعم وأشمل لانها هى كل مايخرجه الانسان ويبدله لطاعة الله عز وجل ، او لغير الله وهى تشمل المؤمن والكافر ، وبينت أن ماكان منها لطاعة الله عز وجل يشمل الواجب منها وهى الزكاة وقد تكلمت عنها بالتفصيل وهى الصدقة الواجبة وتشمل النفقة ايضا ماكان من الانفاق تطوعا لله عز وجل دون فرضا ، وهى المقصود بها صدقة التطوع ولفظ الصدقة أول مايسمع يعرف بانه مايخرجه الانسان من امواله تطوعا لوجه الله تعالى ابتغاء مرضاته كما قال عنها الشيخ قاسم القونوى : الصدقة : هى العطية التى بها تبتغى المثوبة من الله تعالى ، وفى المغرب يقال : تصدق على المساكين : أى أعطاهم الصدقة (١) .

قال فى لسان العرب : والصدقة : ماتصدقت به على الفقراء والصدقة ما اعطيته فى ذات الله الفقراء والمتصدق : الذى يعطى الصدقة • والصدقة : ماتصدقت به على مسكين (٢) .

معنى هذا أن الصدقة لاتشمل الا المؤمن ولاتكون الا من المسلم • اما الانفاق فهو يكون من المسلم والكافر ، لذلك نجد الصدقة لم تأتى فى القرآن الا وتشمل المؤمن •

(١) انظر انيس الففها /٦ قاسم القونوى (١٣٤) •

(٢) لسان العرب (٤٢٢/٢) •

— الصدقة فى القرآن :

لقد ورد لفظ الصدقة بكل اشتقاقاته فى القرآن الكريم فى (٢٣) ثلاث وعشرين موضعا . فمنها الحث على أدائها من باب وجوه البر ومنها الأمر بادائها وهى المقصود بها الصدقة الواجبة ومنها مدح للمؤمنين ووصفهم بها .

— موقف الاسلام منها :

لقد حث الاسلام على صدقة التطوع وأدائها واستشار بها نفوس المؤمنين ومشاعرهم لما فيها من التكافل والتراحم والتعاقد بين المسلمين بعضهم البعض وإبقاء المحبة بينهم والألفة كما قال تعالى فى كتابه العزيز : (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين) (١) .

والصدقة منفعتها لصاحبها فى الدنيا والاخرة كما قال تعالى :
(وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) (٢) .

وقال تعالى : (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) (٣) .

وصدقة التطوع لا تتوقف على الاموال المادية فقط وانما هى تكون فى وجوه البر أجمعها كما بينها الرسول صلى الله عليه وسلم عن سعيد بن أبى بردة عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت ان لم يجد؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال قيل أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين إذا الحاجة الملهوف قال قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير ، قال أرأيت ان لم يفعل؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة) (٤) .

(١) سورة يوسف : آية (٨٨) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٨٠) .

(٣) سورة الحديد : آية (١٨) .

(٤) صحيح البخارى (١٤٣/٢) الزكاة ، باب على كل مسلم صدقه ، الأدب المفرد/البخارى (٤٦-٣٥) .

باب ان كل معروف صدقه .

صحيح مسلم (٦٩٩/٢) الزكاة واللفظ لمسلم باب ان اسم الصدقه يقع على

كل نوع من المعروف .

وان كانت صدقة التطوع تتحقق من الانسان فى كل فعل خير كما بينه الحديث الشريف كذلك هى تتحقق أيضا فى النبات ، فكما أنه متحقق فيه الصدقة الواجبة ، كذلك تتحقق فيه صدقة التطوع ، حيث قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا آكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (١) .

كنت قد ذكرت سابقا المراد من الحق فى الآية فكان على أقوال منها انه الحق الواجب ، ومنها انه حق سوى الزكاة وبناء على رأى من قال ان المقصود من الحق فى الآية هو حق فى المال سوى الزكاة امر الله به ندبا يثبت لنا أن فى النبات صدقة غير الصدقة الواجبة ، وهى صدقة التطوع ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله عن أنس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم (مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة) (٢) .

وفى رواية مسلم عن جابر مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مامن مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق عنه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما اكلت الطير فهو له صدقة ولا يزرؤه) (٣) أحد الا كان له صدقة (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم : (تصدقوا ولو بشق تمره فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار) (٥) .

-
- (١) سورة الأنعام : اية (١٤١) .
(٢) صحيح البخارى (١٣٥/٣) المزارعة باب فضل الزرع والغرس .
(٣) يزرؤه : ينقصه ويأخذ منه .
(٤) صحيح مسلم (١١٨٨/٣) المساقاة باب فضل الغرس والزرع .
(٥) احياء علوم الدين / الغزالي (٢٢٥/١) وقال فى كتاب المغنى عن حمل الاسفار أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث عنكرمة مرسله ولاحمد من حديث عائشة بسند جيد (استترى من النار ولو بشق تمره فانها تسد من الجائع سدها من الشبعان) .
ولابى يعلى والبراء من حديث ابى بكر (اتقوا النار ولو بشق تمره فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان) واسناده ضعيف . انظر المغنى عن حمل الاسفار، زين الدين العراقى (٢٢٥/١) هامش الاحياء .

وفى رواية أخرى (اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجسدوا
فبكلمة طيبة) (١) .

والصدقة بالنبات افضل أنواع الصدقات وذلك لما يحققه النبات من
المصالح والفضائل للانسان عن غيره من سائر الاموال فلو فرض ان انسان
تصدق على فقير محتاج الى طعام بجنيه ذهب فماذا يفعل به وهو فى حالة
يحتاج فيها الى الطعام ليقوم بها صلبه وحياته ، فهو لا يعنى له شيئاً ،
وان كان أغلى وأثمن وأفضل ، الا أنه لا يسد رمقه وجوعه ، ويحيى نفسه
ويقوى جسده . لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد اكد هذا الحق
بقوله عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(ان قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فان استطاع ان لا تقوم حتى
يغرسها فليغرسها) (٢) . وفى هذا حث على الاستمرار فى الزرع والغرس
حتى الممات لينتفع الناس به فى حياته حتى بعد موته يحصل له الأجر
والثواب على هذا العمل العظيم يوم القيامة وتكتب له صدقته .

والانفاق من النبات والصدقة فيه بنوعها شكر لله عز وجل على هذه
النعمة العظيمة ، وهذا حق متأكد من حقوق النبات وهذا ما سوف أتناوله
عز شكر النعمة فى المبحث الآتى .

(١) احياء علوم الدين للغزالي ، (٢٢٥/١) دار المعرفة للطباعة والنشر،
أخرجت الرواية فى الصحيحين عن عدى بن حاتم . صحيح البخارى فى باب
اتقوا النار (١٣٦/٢) الزكاة ، صحيح مسلم (٧٠٤/٢) الزكاة ، باب الحث على الصدقة .

(٢) الادب المفرد للبخارى (٦٩) باب اصطناع المال ، اسناده حسن .

المبحث الرابع

الشكر

الحق الرابع من حقوق النبات الشكر ، ان هذ الكون وما فيه هو نعمة من الله سبحانه وتعالى على الانسان فالسما ء وما فيها من نعمة على الانسان بقدر معين والارض وما فيها وما عليها نعمة على الانسان ، وجسم الانسان وما فيه من السمع والبصر واللسان كل هذا نعمة من الله عز وجل على الانسان فهذه النعم كلها تستوجب الشكر من الانسان لله عز وجل على هذه النعم العظيمة الجليلة ، وان أصل الشكر هو ظهور السمن على الدابة ظهورا بينا وذلك من كثرة ماينعم صاحبها عليها بالغذا ويقال شكرت الدابة تشكر شكرا ، على وزن سمت سمننا ، هذ اذا ظهر عليها اثر الغذاء والعلف (ودابسة شكور اذا ظهر عليها السمن من كثرة ماتأكل من العلف فوق طاقتها) (١)

وفى الحديث (ان الدواب شكرة من لحومهم) اى تسمن من كثرة ماتأكل من لحومهم (٢) .

وقال فى لسان العرب : الشكر : عرفان الاحسان ونشره (٣) .
وعلى هذا المعنى يكون الشكر عاما لله والخلق كما فى الحديث (لايشكر الله من لم يشكر الناس) (٤) .

وفى سنن الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لايشكر الناس لايشكر الله) (٥) .

وشكر الناس ليس مجال البحث وانما المقصود من موضوع الشكر هو شكر الله عز وجل على نعمه ومنها النبات فيكون الشكر من الانسان الى الله عز وجل عبودية له عز جلاله وتقدست أسماءه وصفاته وهذا ماكان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) انظر لسان العرب (٣٤٥/٢) .
 - (٢) سنن ابن ماجه (١٣٦٤/٢) كتاب الفتن سبق الكلام عنه .
 - (٣) لسان العرب (٣٤٤/٢) .
 - (٤) سنن ابى داود (٥٥٥/٢) الادب .
 - (٥) سنن الترمذى (٢٢٨/٣) البر والصلة وقال: هذا حديث صحيح ، باب فى الشكر لمن أحسن اليك .

أركان شكر النعمة :

مما سبق يتضح أن للشكر أركان بها يتحقق الشكر لله عز وجل
وهي كما يلي :

- ١ - نسبة النعمة الى الخالق عز وجل .
- ٢ - كسبها من الطرق المشروعة المباحة .
- ٣ - صرفها فى الطرق المشروعة وبذلها فى وجوه البر والخير المعروف .
- ٤ - اعترافه ان هذه النعمة من الخالق عز وجل دون سواه .

وقال ابن الجوزى : والشكر مبنى على خمس قواعد :

- (١) خضوع الشاكر للمشكور .
- (٢) حبه له .
- (٣) اعترافه بنعمه .
- (٤) ثناؤه عليه بها .
- (٥) وان لا يستعملها فيما يكره (١) .

- أقسام الشكر :

ينقسم الشكر الى قسمين :

- ١- شكر باللسان .
 - ٢- شكر بالجوارح
- وقد قال الراغب الاصفهاني : والشكر ثلاث أضرب :
- ١- شكر القلب : وهو تصور النعمة .
 - ٢- شكر اللسان : وهو الثناء على المنعم .
 - ٣- شكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه (اعملوا
آل داود شكرا) (٢)

(١) مدارج السالكين (٢/٢٤٤) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن : الاصفهاني (٢٦٥) ، سورة سبأ (اية ١٣)

أولا: الشكر باللسان :

الشكر باللسان هو التحدث بنعم الله عز وجل وشكر الله سبحانه
وتعالى باللسان على هذه النعمة كما قال تعالى (وأما بنعمة ربك
فحدث) (١) .

وفى حديث جابر مرفوعا: (من أعطى عطاء فوجد معروفا فليجزيه فان لم يجد
فليثن ، فان من أشنى فقد شكر ، ومن كتمه فقد كفر ومن تحلى بما لم يعطه
كان كلابس ثوبى زور) (٢) .

فمن الحديث السابق يتبين لنا أن من كتم النعمة ولم يظهرها بقوله
ويتحدث بها ويشنى على الله سبحانه وتعالى عليها ويتوجه بالشكر إلى
الله عز وجل على تسخيرها له فقد كفر بهذه النعمة بانه كتمها وغطاها
وسترها ولم يظهرها وهذا جحد وكفر بالنعمة ، والكفر هو الستر والتغطية
ولعل شكر الله على النبات بانه نعمة مسخرة من عنده وعدم كفره بها
يتمثل لنا فى المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى بالرجلين فى سورة
الكهف ، الغنى صاحب الجنتين الذى كفر بنعمة الله عز وجل ولم ينسبها
إلى خالقه ولم يعترف بها وبأنها من عند الله عز وجل ولم يثن عليه
سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة وانما جدها ونسبها إلى نفسه
حيث قال تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا . كلتا الجنتين أتت أكلها
ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا ، وكان له ثمر فقال لصاحبه
وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى
ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى
خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى
أحدا ، ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن أنا أقل

(١) سورة الضحى : آية (١١) .

(٢) أخرجه الترمذى فى السنن فى باب ماجاء فى المتشبع بما لم يعطه

(٢٥٦/٣) البر والصلة وقال هذا حديث حسن غريب . وفى الباب عن اسماء

. بنت أبى بكر .

منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يوئتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسابنا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبها واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وماكان منتصرا ، هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا(١).

ضرب الله سبحانه وتعالى لنا فى هذه الآيات مثلا للترغيب فى الآخرة والتزهيد عن الدنيا واحتقار شأنها وذلك فى قصة الرجلين والجنيتين مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية مثلا للنفس الانسانية المدمرة المسيطرة والنفس المؤمنة اللطيفة الودودة التى لا يخذلها المال والنعيم الدنيوى والجاه وانما هي نفس معتزة بايمانها ترى نعمة المنعم عليها فتستدل بها على المنعم فتستوجب بذلك شكره وحمده وتكون دائمة ذاكرة لله . أما صاحب الجنيتين التى أذهلته الثروة وأبطرته النعمة فنسى المنعم عليه ولم ينسبها الى من وهبها له ويحسب ان هذه النعمة باقية له فى الدنيا والآخرة ونسى القوة الكبرى التى تتحكم فى أقدار الناس ، فأشر وبطر واغتر بذلك فكانت النهاية المدمرة .

— العبر المستفادة من هذه القصة :

عن هذا المثل ومن هذه القصة أخلص بما يلى :

١ - أن النبات نعمة كبرى من نعم الله عز وجل على عباده. فقد أنعم الله بها على صاحب المثل بجننتين عظيمتين من صنوف الزرع فى وسطها وأعشاب وشجر مثمر وحفبات النخل كالسياج المحيط بها لحمايتها من الرياح والعواض الأخرى فهى جامعة للقوت والفواكه والجنة هـى البستان لاستتار ما يستتر فيها بظل الأشجار وأصل الكلمة من الاستقرار

(١) سورة الكهف : الآيات (٣٢-٤٤)

(١)
والتغطية فالجنة نعمة على الانسان فى الدنيا كما هى نعيم له فى
الآخرة ولم يعرض القرآن نعمة أنعم بها على الانسان مثل النيات
التي تتكرر فى كثير من الآيات .

٢- كفر النعمة وجدها كفر بالله سبحانه وتعالى كما قال له صاحبه
(أكفرت بالذى خلقك من تراب (٠٠٠٠) وذلك عندما جحد بنعمة الله
فقال: (ما أظن أن تبديد (٠٠)) .

٣- كفر النعمة زوال لها كما حصل لصاحب الجنتين (وأحيط بمشهره
فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها)
وأنه يأتى فى الآية لفظ الشكر الا أن الدال عليه قول صاحبه لله
(أكفرت) فالكفر مقابل الشكر وذلك حيث أنه لم يشكر الله
عز وجل عليها وانما أنكر ذلك وكفر بالنعمة فلم يتحقق فيها أوجه
الشكر وأن ما حصل هو :

أ - عدم اعترافه بأن هذه النعمة من عند الله عزوجل فبذلك لم
ينسبها الى عاطيها الأساسى له وانما نسبها الى نفسه وقدرته
حيث قال: (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد
هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن
خيرا منها منقلبا) (٢)

ب- أنه لم يشن على الله سبحانه وتعالى على هذه النعم الجليلة
التي كان يتفاخر بها على صاحبه الفقير وذلك بالتحدث به
واظهارها ووصف الله سبحانه وتعالى بالكرم والجود والسخاء
والبر والاحسان، وأنه هو المتفضل عليه بهذه النعمة .
وقال صاحب المنازل فى ذلك: الشكر معرفة النعمة ثم قبول
النعمة ثم الشناء بها (٣) .

(١) تفسير الرازى (٤٨٦/٥) .

(٢) سورة الكهف: آية (٣٥-٣٦) .

(٣) مدارج السالكين / ابن الجوزيه (٢/٢٤٧) .

ج - لم يظهر الفقر والفاقة الى الله عز وجل وانه محتسب اليه والى هذه النعمة ، وان هذه النعمة عظيمة جلييلة وانه صغير حقير أمامها وهو لا يستحقها حيث وصلت اليه من غير استحقاق له منها وليس أهلا لها . كما قال الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة (١)

وانما أظهر كبره وغروره وعجبه بنفسه كما هي عادة أهل الجاه والسلطان والمتاع والشراء ، فبطر بنعمة الله ولم يشكر وازدهى بها وتكبر ، وذلك حيث قال لصاحبه عند دخول جنته : (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) (٢) .

٤ - ان صفة الكبر والغطرسة والعجب بالنفس والغرور التي اتصف بها صاحب الجنتين كلها صفات مذمومة ممقوته وقد ذم الله الكبر في مواضع كثيرة من القرآن وذم كل جبار متكبر غليظ فقال تعالى : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) (٣) . وقال تعالى : (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) (٤) .

وقال تعالى : (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٥) .

وقال تعالى : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) (٦) ونفى محبته سبحانه وتعالى عن المتكبرين فقال تعالى : (انه لا يحب المستكبرين) (٧) .

-
- (١) مدارج السالكين ، ابن الجوزية (٢٤٤/٢) .
(٢) القصص القرآني ، عبدالكريم الخطيب (١٤٧) قصص القران: مجموعة من المؤلفين (٢٢٠) ، سورة الكهف (٣٤) .
(٣) سورة غافر: آية (٣٥) .
(٤) سورة ابراهيم : آية (١٥) .
(٥) سورة غافر: آية (٦٠) .
(٦) سورة الأعراف : آية (١٤٦) .
(٧) سورة النحل: آية (٢٣) .

وفى الحديث عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبريه) (١) .

والكبرياء صفة من صفات العظمة والاجلال لله عز وجل كما فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منها ألقيته فى جهنم) (٢) .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العزازاره ، والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبتة) (٣) .

أسباب الكبر والعجب :

للكبر اسبابه التى تدفع بالانسان الى التلبس بهذه الصفة الخسيسة الرذيلة ولقد بينها الغزالي فى احياء علوم الدين فقال: اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ، ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ، وجماع ذلك يرجع الى كمال الدين أو دنيوى ، فالدين هو العلم والعمل ، والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب (٤) .

-
- (١) صحيح مسلم (٩٣/١) الايمان . باب تحريم الكبر وبيانه .
 - (٢) سنن ابن ماجه (١٣٩٧/٢) الزهد قال رجاله ثقات .
 - (٣) صحيح مسلم (٢٠٢٣/٤) كتاب البر والصله باب تحريم الكبر .
 - (٤) احياء علوم الدين ، الغزالي (٣٤٧/٣) ،
- وانظر القصص القرآنى فى منظومه ومفهومه ، عبدالكريم الخطيب (١٤٧) .

ويتضح لى من هذه الأسباب الداعية للكبر أن كبر صاحب الجنتيــــــــــــــــن
والبستانين العظيمين والثمار الكثيرة والخير والنعيم هو المال
الذى هو من عادة أهل الغنى والثراء ، والدافع الى اظهار هذا السلوك
هو العجب بالنفس والمال وهو النبات وقد ورد فى كثير من الآيات كــــــــــــــــر
الانسان بالمال فى مقام النبات .

ـــــــــــــــــ حكم الكبر والعجب بالنفس :

محرم وكبيرة من الكبائر ، حيث مقتته الله عز وجل وذمه وجعله من
الأخلاق السيئة الذميمة ، وذمه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه يولــــــــــــــــد
البغضاء والأحقاد والحسد فى النفوس ، ومجاله الرياء والسمعة ، ويؤدى
بالانسان الى الهلاك والعذاب الشديد فى الدنيا والآخرة ،

حيث روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: (تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوشرت بالمتكبرين والمتجبين
وقالت الجنة : فما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم (١) وعزتهمــــــــــــــــم ؟
فقال الله للجنة : انما أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى وقال للنار:
إنما أنت عذابى أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحدة منكما ملوكها (٢) .

(١) سقطهم : ضعفاؤهم المحترقون . غرتهم : البله الغافلون .
(٢) صحيح مسلم (٢١٨٦/٤-٢١٨٧) كتاب الجنة ، مختصره باب النار يدخلها
الجبارون
.....

٥ - فى الآيه مايشير الى الحسد والتحصن منه ففى قوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) (١) .

فالآيه هنا تشير من قول المؤمن لصاحبه الكافر، بأنه اذا دخل جنته يحصن نفسه ونعمته بقوله ماشاء الله وهذه وصية منه وتوبيخا له على كفره بهذه النعمة وفى هذا الذكر وهذ الدعاء تحصيل لانسان من العين والحسد من نفسه او من غيره ، ويفيدنا هذا ان من رأى نعمة على نفسه وعلى غيره فليقل ماشاء الله لاقوة الا بالله ومعناها كما قال القرطبى (اى ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن) (٢) . وقال الفخر الرازى : المراد ان هذه الثمار حصلت بمشيئة الله تعالى (٣) .

وقال: المقصود انه قال المؤمن للكافر هلا قلت عند دخول جنتك الامر ماشاء الله والكائن ما قدره الله اعترافا بانها وكل خير فيها بمشيئة الله وفضله ، ولاقوة الا بالله اقرارا بأن ما قويوت به على عمارتها وتدبير امرها فهو بمعونة الله وتأيدده لا يقوي احد فى ملكه ولا فى بدنه الا بالله (٤) .

وبهذا الذكر وبهذا الدعاء عند رؤية النعم على النفس وعلى المال وعند الغير يكون التحصين من شر العين والحسد ، كما روى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (العين حق) (٥) .

-
- (١) سورة الكهف آية (٣٩) .
 (٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٤٠٢٣/٥) .
 (٣) التفسير الكبير ، الفخر الرازى (٤٨٨/٥) .
 (٤) التفسير الكبير ، الفخر الرازى (٤٨٨/٦ - ٤٨٩) .
 (٥) تفسير الرازى (١٩٦/٨) ، صحيح البخارى (١٧١/٧) ، الطب ، باب العين حق ، البيضاوى (٧٥٥) .

ثمرة الحسد :

ان للحسد ثمرة سيئة خبيثة مرة كالحنظل على صاحبه وهى الهلاك والدمار فى الدنيا والآخرة ، تأكل حسناته حتى لاتبقى له حسنات ينتفع بها فى الآخرة ومذمة الناس له كما فى الحديث عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) (١) .

قال بعض الحكماء: الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضاء ، ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ، ولا ينال عند النزاع الا شدة. وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا (٢) .

وللحسد ثمرة على المحسود ، وهو اصابته بالعين والأذى ، وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلاج من هذا الداء اذا أصيب الانسان به وهو التحصين بالذكر والدعاء ابتداء كما مر معنا فى الآية من قول ماشاء الله ولاقوة الا بالله او قراءة المعوذات (ومن شر حاسد اذا حسد) واذا أصيب الانسان بالعين والحسد . علاجه أيضا من العين .

ثمرة كفر النعمة وجودها الهلاك والدمار وهذا ما حصل لصاحب الجنيتين عندما جحد نعمة الله ولم يشكره عليها بالثناء عليه عز وجل ولم ينسبها اليه ويعترف بها انها من عند الله عز وجل ، تعرضت هذه النعمة

(١) سنن ابوداود (٥٧٤/٢) الأدب باب فى الحسد ، سنن ابن ماجه

(١٤٠٨/٢) الزهد ، باب الحسد . قال البوصري فى الزوائد : الجملة

الأولى رواها ابوداود فى سننه من حديث أبى هريرة . واسناد حديث

أنس بن مالك فيه عيسى بن أبى عيسى وهو ضعيف .

(٢) احياء علوم الدين للغزالي (١٨٩/٣) .

وهذه النباتات وهذه البساتين وتلك الجنات والأشجار والزرور والنخيل للهلاك والدمار والخسارة ، وكانت الحسرة والألم والندامة على ما فرط من الكفر والشرك والجحود ، فقال تعالى : (وأحيط بشمره فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ، هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً) (١) . وماذا ينفع الندم بعد فوات الأوان والدمار والهلاك . ولى فى قوله الشيخ عبدالكريم الخطيب فائدة عن هذه القصة فى حقيقة الانسان بين الخير والشر بعد تحليله عن الصراع فى القصص القرآنى .

فقال: هذا لون من ألوان الصراع الذاتى بين عقل الانسان وهواه ، بين دوافع الحق ونوازع الباطل .
ونلاحظ أمرين :

أولهما : انهزام هذا الانسان وغلبة هواه على عقله ، لكن فى الوقت نفسه انتصر الحق على الباطل ، وأذهبت قوة الحق بالضلال وأهله وكان فى ذلك عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وثانيهما : أن فى الانسان شعلة متقدة من الحق والخير ، وقد تعصف بها عواصف الشر الكامنة فى كيانه . ولكنها تظل - مع هذا - تومض ومضات من النور ، حتى وهى غارقة فى سحب الظلام المتكاثفة ، وهنا فى هذه الحادثة اذ نرى هاتف الخير والهدى يهتف بالرجل ونتمثله رجلاً آخر يحاوره ويجادله - لانجد فى هذه الحقيقة القائمة فى تلك الصورة ما يمنع من أن يكون هاتف الخير هذا هو " عقل " الرجل صاحى الجنيتين نفسه ، قد استيقظ من غفلته وصحا بعد نوم : " وقال له صاحبه " هذا صاحب القائم فى كيان الانسان " (٢) .

(١) سورة الكهف : آية (٤٢-٤٤) .

(٢) القصص القرآنى ، عبدالكريم الخطيب (٢١٣-٢١٤) .

ثانيا : شكر النعمة بالجوارح :

ان شكر النعمة بالجوارح هو بأن لا يستعين الانسان بهذه النعم مهما كانت على معاصيه ، وانما يجعلها فى طاعته ومرضاته ويصرفها فى وجوه الخير والبر والمعروف ، فمثلا من الجوارح العين ، والعيون فى الانسان فاعدهتها النظر والرؤية وهى نعمة من الله على الانسان فهذه الجارحة لا يستعين بها على معصية الله عز وجل بالنظر الى عورات الناس وتتبع عوراتهم وكشفها والتحدث بها وانما عليه غض النظر وستر كل عيب يراه من المسلم والنظر الى كل ما أباح له النظر اليه وأمر به للتفكر والتامل والنظر بالقراءة للعلم والتعلم فى طاعة الله والنظر فى الكون وما فيه للتدبر فى صنع الله عز وجل ، النظر فى كتاب الله وقراءته وتدبر أحكامه و استكشاف أسرارهِ ومكنوناته ، بذلك يكون أدى شكر العينين ، وكذلك السمع وكذلك اللسان وكل الجوارح ، الا أن جارحة اليد فيها معنى العطاء والسخاء والكرم بما يمد به الانسان يده من الاحسان الى الآخرين بالعطاء ، من الأموال أيا كان نوعها ، وأفضل العطاءات فى وجوه البر والطاعة باليد هي الطعام كما قال تعالى : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) (١) . وقوله : (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) (٢) .

وفى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير؟ قال: تطعمم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وما لم تعرف) (٣) .

وقوله فى مدح هذه الجارحة بالعطاء : عن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا ابن آدم انك

(١) سورة الحج: آية (٢٨) .

(٢) سورة الحج: آية (٣٦) .

(٣) صحيح البخارى (١٠/١) الايمان ، باب اطعام الطعام ، صحيح مسلم (٦٥/١) الايمان ، باب بيان تفاضل الاسلام .

ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولاتلام على كفاف وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى (١) .

وفى رواية عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل (٢) .

والنبات يدخل دخولا أوليا ومباشرا فى طعام الانسان ، بل هو أساس غذاء الانسان ، لذلك من شكر الانسان لله عز وجل بجارحته فى نعمة النبات هو ان يخرج منه ما ينتفع به غيره ، أى كان هذا الانتفاع من النباتات مما كان يعمل به بيده بالزرع والحرق والسقى والعناية والحصاد ، وخاصة مما يكون طعاما وغذاء للانسان .

والنبات نعمة يجب على الانسان اظهارها والتحدث بها وبذلها فى وجوه البر والطاعات (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٣) .
وأما جدها وسترها وعدم اظهارها وانفاقها فى سبيل الخير والتصديق بها على المساكين كفر بالنعمة وكفر بالله ، ولعل هذا يتمثل فى القصة التى أخبرنا الله عنها فى سورة القلم حيث قال تعالى : (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ اقساموا ليعرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مبحين ، أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين ، فلما رأوها قالوا انا لصالون ، بل نحن محرومون) (٤) .

-
- (١) صحيح مسلم (٧١٨/٢) الزكاة ، باب أن اليد العليا خير من اليد السفلى .
(٢) رياض الصالحين (٢١٠) ، صحيح البخارى (١٣٤/٢) الزكاة ، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ، صحيح مسلم (٧٠٢/٢) الزكاة . باب قبول الصدقة من الكسب الطيب .
(٣) سورة آل عمران : آية (٩٢) .
(٤) سورة القلم : آية (١٧-٢٧) .

ففى هذه الآيات يخبر الله سبحانه وتعالى أن ما أعطاه لقريش من النعيم والمال والبنين ليس هو الا ابتلاء كما ابتلى أصحاب هذه القصة وذلك ليذكرهم بعاقبة البطر والأشر بالنعمة ، وجدها ومنع الخير عن الناس والاعتداء على حقوق الآخرين ، وان ما بين ايديهم من النعم والخير ليس الا ابتلاء هل يشكرون أم يكفرون كما فعل أصحاب الجنة ، ويبدو من سياق الآية أن أصحاب الجنة وقصتهم كانت معروفة عند قريش ، والقصة كما وردت فى كتب التفسير هى : أن واحد من ثقيف كان مسلماً يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء ، وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيباً وافراً للفقراء فلما مات ورثها بنوه ثم قالوا: عيالنا كثير والمال قليل ، ولا يمكننا أن نعطي المساكين مثل ما كان يفعل أبونا ، فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح ، ولا يستثنون من الصرام شيئاً للمساكين . وأكل نصيب السائل والمحروم ، فأحرق الله جنتهم (١) .

بعد عرض هذه القصة لى وقفات معها أبينها بالتفصيل :

١ - ان هذه النعمة كانت لهم على سبيل الابتلاء والاختبار لهم ، هل يشكرون الله على نعمته ، ويصرفونها فى طاعته ويؤدون فيها الحق الواجب ويثنون على الله بهذه النعمة أم لا ؟ ولما لم يكن منهم ذلك كله قطع الله عنهم تلك النعمة وأصابهم بالبلاء والهلاك على كفرهم لنعمة الله عز وجل ، ولم يؤدوا فيها الحق الواجب من الصدقة واطعام الفقراء والمساكين كما كان يفعل أبوهم ، ولم يشكروا الله على هذه النعمة باخراج شئ منها لأصحابها ، فكان فى عملهم هذا اعتداء على حقوق الآخرين ، حقوق الله بعدم الشكر ، وحقوق العباد بعدم العطاء .

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦٧١٩/٨) تفسير الفخر الرازي (١٨٩/٨) ، تفسير البيضاوي (٧٥٢) واللفظ من الرازي ، قصص القرآن/ مجموعة من المؤلفين (٢٢٢-٢٢٥) .

٢ - فى هذه الآية بيان حق الفقراء والمساكين فى النبات على الفلاحيين والمزارعين ، عند حصد وجذ النبات ، كما قال فى ذلك بعض العلماء : أنه على من حصد زرعاً أو جذ ثمرة أن يواسى منها من حضره ، وذلك معنى قوله : (وآتوا حقه يوم حصاده)^(١) وأنه غير الزكاة . وقال بعضهم : وعليه ترك ما أخطأه الحصادون، وكان بعض العباد يتحرون أقواتهم من هذا ، وروى انه نهى عن الحصاد بالليل عن على بن حسن قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جذاذ اللىلى وحصاده^(٢) . فقليل انه لما ينقطع عنه المساكين وفى حضورهم عند الحصاد من الرفق بهم ، وهذا مادلت عليه الآية بان العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى^(٣) .

٣ - الصرم: هو القطع ، فحلفوا بان لا يقطعوا ثمار جنتهم الا وقت الصباح الباكر قبل ان يخرج المساكين فيتنهبون بذلك ويعلمون أنهم خرجوا لصرم ثمارهم ، فيأتونهم .

٤ - قوله تعالى : (ولايستثنون) ذكر فى معناها اقوال :

- ١- القول الأول: انهم لم يقولوا ان شاء الله: أى أنهم لم يستثنون بمشيئة الله عز وجل ، وانما كانوا كالواثقين بانهم متمكنين ، من وقت الصرام الذى حدوده وحرمان الفقراء من ذلك لامحالة .
- ٢- القول الثانى: انهــــــــــــــــم أرادوا أن يصرموا كل ذلك ولايستثنون أى ولايبقون شيئاً منه للفقراء والمساكين ، من جملة صرامهم كما كان أبوهم يفعل ذلك^(٤) .

(١) سورة الأنعام : الآية (١٤١) .

(٢) كتاب الخراج : يحيى بن آدم (١٥٥) - قال أحمد شاكر هذا مرسل وقد نسبه ابن كثير فى تفسيره الى البيهقى، أخرج الرواية البيهقى فى السنن (١٣٣/٤) الزكاة .

النهاية فى غريب الحديث / ابن الاثير (٣٩٤/١) تحقيق الطناحى الزاوى وانظر المجموع على شرح المهذب ، النووى (٥٧٠/٥) .

(٣) نقلاً مختصراً من تفسير القرطبى (٦٧١٩/٨) .

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازى (١٨٩/٨) ،

- تفسير البيضاوى (٧٥٢) .

والأصح والأرجح في ذلك هو القول الثاني بانهم لم يبقوا شيئاً
للفقراء لانهم هم أرادوا ذلك وبيتوا له وأقسموا عليه .

٥ - قوله تعالى : (فاصبحت كالصريم) ورد في معنى الصريم عدة
احتمالات ذكرها الفخر الرازي وبينها فقال :

(١) انها احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وان حصل
الاختلاف في امور اخرى فان الاشجار اذا احترقت فانها لاتشبهه
الاشجار التي قطعت ثمارها وان هذا الاختلاف وان حصل هـل
من هذا الوجه لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة .

(٢) قال الحسن : صرم عنها الخير فليس فيها شيء وعلى هذا الوجهين
الصريم بمعنى المصروم (اي المقطوع مافيه) .

(٣) الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعـه
الصرائم ، وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لثمر فيها
ولاخير بالرمل المنقطعة عن الرمال وهي التي لاتنبت شيئاً
ينتفع به .

(٤) الصبح يسمى صريماً لانه انصرم من الليل ، والمعنى ان تلك الجنة
يبست وذهبت خضرتها ، ولم يبق فيها شيء من قولهم بيض
الاناء اذا فرغه .

(٥) أنها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم والليل يسمى
صريماً والنهار صريماً لان كل واحد منهما ينصرم بالآخر (١) ، ولعل
المعنى يجمع كل الأقوال وهو القطع والذهاب لخيرها بذهاب
ثمارها بالهلاك والحرق فاصبحت سوداء كالليل وكالصبح ليس فيها
شيء وذلك عندما ينقطع عن الليل فيكون ظاهراً واضحاً ليس فيه
شيء من ظلمة الليل .

٦ - قوله (وغدوا على حرد قادرين) لعل الرازي بين وفصل الأقوال في معنى هذه الآية فقال :

(١) الحرد : المنع يقال حاردت السنة اذا منعت مطرها ومنعت ريعها .

(٢) الحرد: القصد والسرعة : يعنى غدوا قاصدين الى جنتهم سراعا قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين .

(٣) حرد: يعنى على علم وثقة من انفسهم بأنهم قادرين على صرامها عند انفسهم أو مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (١) .

وقد جمع بين هذه المعانى البيضاوى بقوله :

(وغدوا قادرين على نكد ، والمعنى انهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع (٢) .

العبر والعظات من هذه القصة :

١ - ان فى عمل أصحاب الجنة من منع المساكين الصرام يدل على البخل ، والبخل صفة مذمومة تدل على سوء فى سلوك الانسان وسوء ملكته وعدم ايمان ، كما قال صلى الله عليه وسلم (خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق) (٣) .

وقد استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (اللهم انسى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد السي أرذل العمر) (٤) .

(١) الفخر الرازى (١٩٠/٨) .

(٢) البيضاوى (٧٥٣) .

(٣) احياء علوم الدين (٢٥٤/٣) الترمذى (٢٣١/٣) عن ابى سعيد قال هذا حديث غريب . لانعرفه الا من حديث صدقه بن موسى ، وفى الباب عن أبى هريرة / كتاب أبواب البر والصلة ، باب ماجاء فى البخل .

(٤) صحيح البخارى (٩٧/٨) الدعوة ، باب التعوذ من عذاب القبر .

٢ - فى الآية ما يدل على ان عزم الانسان ونيتة يحاسب عليها ويؤاخذ به ، وهذا ما فعله اصحاب الجنة ، أنهم عزموا على أن يفعلوا ، فعوقبوا قبل أن يفعلوا .

قال القرطبي : قلت : وفى التنزيل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (١) وقال (فاصبحت كالصريم) فعوقبوا قبل فعلهم بعزمهم وفى البخارى ومسلم (اذا التقى المسلمان بسييفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا : يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه) (٢) .

فعلق الوعيد على الحرص وهو العزم وألغى اظهار السلاح . ففى سنن الترمذى من حديث أبى كبشة الانمارى وصححه مرفوعا (انما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى ربه فيه ، ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو (صادق النية) . يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سوا ٦ ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا ٦) (٣) .

وهذا الذى صار اليه القاضى هو الذى عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ولا يلتفت الى خلاف من زعم أن ما يهيم الانسان به وان وطن عليه (نفسه) لا يؤاخذ به ، ولا حجة فى قوله عليه السلام : (من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن

(١) سورة الحج ، آية (٢٥) .

(٢) صحيح البخارى (٦٤/٩) الفتن ، باب اذا التقى المسلمان بسييفيهما ، صحيح مسلم (٢٢١٤/٤) الفتن ، باب اذا تواجه المسلمان بسييفيهما .

(٣) سنن الترمذى (٣٨٥/٣) كتاب الزهد ، باب ماجاء مثل الدنيا مثل آبل ونفر ، أخرجه ابن ماجه فى السنن (١٤١٢/٢) .

هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة) (١) لان معنى (فلم يعملها) فلم يعزم على عملها بدليل ما ذكرناه ومعنى (فان عملها) أى أظهرها أو عزم عليها بدليل ما وصفنا . وبالله التوفيق (٢) .

ثالثاً : امتران وجوب شكر النعمة بالقول والعمل بما يتعلق بالنبات فيما ورد عن قصة قوم سبأ :

يتمثل شكر الله عز وجل على نعمه بالقول والعمل فى قصة قوم سبأ الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم ٦ آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وائل وشى ٦ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور) (٣) .

لما بين سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة لهذه حال الشاكرين لنعمه بالقول والعمل بذكر داود عليه السلام أعقبه ببيان حال الكافرين بأنعمه بالقول والعمل بحكاية أهل سبأ .

فيعرض الله سبحانه وتعالى قصة أهل سبأ فى هذه الآيات ما كانوا فيه من نعمة وخير أرض خصبة وماء وفير ، وزروع نضرة وحدائق ذات بهجة ، وأشجار مورقة وثمار يانعة وأزهار معجبة ، واستحالت رمال الصحراء بسطا هندسية خضراء ٦ ، تجرى بينهم القنوات والانهار وتحفها الاشجار والثمار الدانية القطوف ، والازهار المعجبة الالوان كانت المرأة تسير وسط هذه الحدائق حاملة مکتلها (٤) فوق رأسها ، فلا تمضى فى السير فترة حتى يكون قد امتلأ المکتل من الثمر المتساقط من الشجرة .

واتسعت لديهم النعمة وفاض عليهم الخير وهم فيما بين ذلك آمنون مطمئنون ، نعمة تعقبها نعمة ، وفضل من الله يعقبه فضل (بلدة طيبة) .

فكانوا خلقاء أن يشكروا لله نعمته التى أسبغها عليهم ، وأن يحمده على ما أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بالثناء عليه بالقول والعمل بهذه النعمة فى الطاعات ، الا أنهم بطروا وأشروا على نعمة الله وبالغوا فى البطر والجود والنكران فأرسل الله لهم رسلا يحذرونهم وينبهونهم وينصحونهم ، فأعرضوا واستكبروا واستعانوا بنعمة الله على معاصى الله بالكفر بالله عز وجل وبنعمته ، فدمرهم الله

وأهلكهم وأذاقهم وبال أمرهم لكفرهم بالله عز وجل وكفرهم بنعمته والعمل بها في غير طاعة الله فارسل عليهم سيل العرم وتهدم السدد وانطلقت المياه ، ففرق الزرع والضرع واصبحت الجنتين ارض صحراء قاحلة لا يوجد فيها الا نبات لايسمن ولا يغنى من جوع ، فهذا كان جزاء الكفور لنعمة الله السابقة التي كانوا فيها فلم يحفظوها ولم يصونها فكان جزاءهم (وهل نجازى الا الكفور) (١) .

وقفات مع القصة :

- ١ - قوله تعالى (سبأ) اسم قبيلة باليمن سميت باسم رجل لهم اسمه سبأ كما روى ذلك عن فروة ابن مسيك المرادى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ساله رجل عن سبأ فقال: (وأنزل الله في سبأ ما أنزل) فقال رجل : يارسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال: ليس بأرض ولا بامرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجمادام وغان ، وعامله ، وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون ، وحمير، وكندة ومذحج ، وانمار ، فقال رجل : وما أنمار؟ قال: " الذين منهم خثعم وبجيلة " وروى هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب (٢) .
- وأنكر الزجاج أن تكون اسم رجل ، وقال (سبأ) اسم مدينة تعرف بمأرب باليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام (٣) .

(١) قصص القرآن / مجموعة من المؤلفين (ص ٢٨٨ - ٢٩٠) .
 (٢) تفسير القرطبي (٥٣٦٤/٦-٥٣٦٥) ، سنن الترمذى (٣٩/٥-٤٠) ~~التفسير سورة سبأ~~
 قال هذا حديث غريب حسن ، المستدرک ، الحاكم (٤٢٣/٢-٤٢٤) التفسير
 قال صحيح ولم يخرجاه .
 (٣) تفسير القرطبي (٤٨٩٧/٦) .

قلت: ما المانع أن تكون سبأ اسم رجل وسميت هذه المدينة باسم الرجل ، عندما أصبحت القبيلة كلها تقطن هذه المدينة باسمها وهي سبأ وهذا ما ذكره ابن العربي عند تفسيره لاية ملكة سبأ في سورة النمل فقال: روى الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في سبأ : هو رجل ولد له عشرة أولاد وكان لهم خبر فسمى البلد باسم القبيلة أو ذكر انه جاء من القبيلة ويحتمل أن يكون سمي البلد باسم القبيلة (١) .

٢ - قوله تعالى : (١٦٠ اية جنتان عن يمين وشمال) المقصود بالآية كما ذكر القرطبي : العلامة الدالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم ، وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ، ولم يهتدوا الى اختلاف فسي اجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها ، وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون الا من عالم قادر (٢) .

وأحسن ما قيل في الجنتين ، قول القشيري : ولم يرد جنتيين اثنتين ، بل اراد من الجنة يمنة ويسرة ، أى كانت بلادهم ذات بساتين وأشجار وثمار ، تستر الناس بظلالها (٣) .

٣ - قوله تعالى : (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) قال الفخر الرازى : اشارة الى تكميل النعم عليهم ، حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض ، وقوله : (واشكروا له) بيان أيضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة ، ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم أتم بيان النعمة بأن بين أن لا غائلة (٤) عليه ولا تبعة في المال في الدنيا

(١) أحكام القرآن/ ابن العربي (١٤٥٦/٣) دار الفكر ، المستدرک علي الصحيحين / الحاكم (٤٢٣/٢-٤٢٤) التفسير قال صحيح ولم يخرجاه .
 (٢) تفسير القرطبي (٥٣٦٥/٦) .
 (٣) تفسير القرطبي (٥٣٦٦/٦) .
 (٤) الغائلة: الفساد والشر والهلاك . انظر المصباح المنير (٤٥٧) .

فقال (بلدة طيبة) اى طاهرة عن المؤذيات ، لاحية فيها ولاعقرب
 ولا وباء ، ولا وخم (ورب غفور) اى لاعقاب ولاعذاب فى الآخرة ، فعند
 هذا بان كمال النعمة (١) بان جمع لهم بين مغفرة لله لهم
 على ذنوبهم ، وطيب بلدهم ، وما فيها من خيرات ، فيكون هنا
 الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، وهذا من تمام النعم التى تستوجب
 الشكر من الانسان ، بالثناء والطاعة والخضوع لله عز وجل
 والتمشى على منهجه والاتباع لرسله ، وانما الذى كان منهم
 بعد بيان هذه النعم كلها الاعراض والكفر والجحود لثناء بالقول
 ولا عمل بالطاعة .

٤ - (سيل العرم) بعد أن ذكر سبحانه ماكان من جانبه نحوهم ، ذكر
 ماكان من جانبهم بانهم أعرضوا وبطروا على نعمة الله ، فأرسل
 عليهم سيل العرم .

ولقد كثرت الاقاويل فى (العرم) ماهو ؟.....؟

ولعل الفخر الرازى جمعها فى ثلاث نقاط فقال: وفى العرم وجوه:
 أحدها : انه الجرد الذى سبب خراب السكر (٢) وذلك من حيث أن بلقيس
 كانت قد عمدت الى جبال بينها شعب فسدت الشعب (٣) حتى كانت
 مياه الأمطار والعيون تجتمع فيها وتصير كالبحر وجعلت لها أبوابا
 ثلاثة مرتبة بعضها فوق بعض ، وكانت الأبواب يفتح بعضها بعد بعض
 فنقب الجرد السكر وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم .
 ثانيا: أن العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهى الحجارة .
 ثالثا: اسم للوادي الذى خرج منه الماء (٤) .

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى (١٢/٧) .

(٢) السكر : السد او الجسر ومايسد به . انظر المصباح المنير (٢٨١) .

(٣) الشعب : الطريق . انظر المصباح المنير (٣١٣) .

(٤) الفخر الرازى (١٢/٧) .

والأرجح من هذه الأقوال : انه السكر ، قال محمد بن يزيد: العرم كل شيء حاجز بين شيئين وهو الذى يسمى السكر وهو جمع عرمة . وقال النحاس : وما يجتمع من مطر بين جبلين وفوجه مسناة فهو العرم والمسناة هى التى يسميها اهل مصر الجسر ، فكانوا يفتحونها اذا شاءوا فاذا رويت جنتاهم سدوها ، قال الهروى : المسناة الصغيرة تبني للسيل ترده . سميت مسناه لان فيها مفاتيح الماء ، وروى أن العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام وهو المسناة بلغة حمير بنته بالصخر والقيار ، وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهى الشدة (١) .

وقد ذكر البكرى السد فى الممالك والمسالك . . . (وقال انه يقع بين جبلين يقال لهما المأزمان على الطريق من صنعاء الى حضرموت . . . وذكر الجنتين اليمنى واليسرى اللتين ذكرهما الله عز وجل بقوله : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال . . . الآيات) (٢) .

وقال الدكتور عبدالعليم خضر فى كتابه مفاهيم جغرافية ولعل اوثق روايات العرب فى سد مأرب مقاله الهمداني فى كتاب الاكليل : فقد شاهد انقراض السد بنفسه فى اوائل القرن الرابع للهجرة وكان يقرأ المسند ويفهمه فوصف تلك الانقراض مع تطبيقها للقرآن فقال : وقال الله تعالى : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال) . . . وهى (سبأ) كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره . . . وهما اليوم غامرتان . . . والغامر العافى وانما عفتا لما اندحق السد فارتفع عن ايدى السيول ووجدت فى احدهما غريق آراك وفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقى السواقي فقال بعض من كان معى : لا أظنه الا بقايا نخل الجنتين وما أظنه

(١) تفسير القرطبي (٥٣٦٨/٦) وانظر قصص القرآن / مجموعة من المؤلفين

(٢٨٧-٢٨٨) مفاهيم جغرافية / د. عبدالعليم خضر (١٩٥٠) .

(٢) مفاهيم جغرافيا فى القصص القرآنى ، د. عبدالعليم خضر (١٩٥٠) .

بقي من العصر القديم ، اما مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضباع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالامس ٠٠٠ ورأيت بنساء احد الصدفين وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثـقـ ما يكون ٠٠٠ ولايتغير الا ان شاءالله ٠٠٠ وانما وقع الكسـر فى العرم ٠٠٠ (اى سد مأرب) .

وقد بقى من العرم شىء مما بعالى الجنة اليسرى يكون عرض اسفله خمسة عشر ذراعا ، وكان السيل يجمع من اماكن كثيرة ومواقع جمـة باليمن وكان العرم مسندا الى حائط مابين عضاد بالمدخر بمعاذيب من الصخر عظام ملحمة ملس الاساس بالفطر ، وقد شيد هذا السد فى ذلك المكان المترامى الاطراف الواسع المسافة ، الجميل الموقع الفائق الخصب والذى يبعد عن صنعاء شرقا مسافة (١٩٣ كم) وينتهى طرفه بالربع الخالى ، وهو ممر مائى شامخ يقف فى وجه عشرات الوديان المائية المنحدرة من جبال اليمن ٠٠٠ لقد بني هذا السد العتيد فى ذلك الممر الضيق المسمى بالفلج الايمن ، الذى يبلغ عرض بنائه (٢٥٠) مترا تقريبا ليبدل على عظمة الانسان وكفائه فى استخدام الموارد الطبيعية المتاحة له (١) .

٥ - قوله تعالى : (وبدلناهم بجنـتـيـهم جنـتـيـن ذواتـى اكل خـمـط وآشـلـ وشىء من سدر قليل) .

الخـمـط : قال أهل التفسير: الاراك .

وقال الجوهرى : الخـمـط ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيدة : هو كل شجر ذى شوك فيه مرارة .

وقال الزجاج : كل نبت فيه مرارة لا يمكن اكله (٢) .

ومن خلال هذه المعانى كلها للخمط يتضح أن الله ابدلهم بدل الأشجار المثمرة والنخل والزروع والكرم والنعيم ، أشجار غير ظليلة ومؤذية

(١) مفاهيم جغرافية ، د. عبدالعليم خضر (١٩٧-١٩٨)

وانظر: قصص القرآن / مجموعة المؤلفين (٢٨٧-٢٨٨) .

(٢) تفسير القرطبي (٥٣٦٨/٦) .

بشوكها ، ولا ينتفع بثمرتها ، فمعنى هذا ان الخمط يجمع كل أنواع الشجر التى لها شوك والشجر التى ثمرتها مرة ، ولاتؤكل فأبدلهم الله بكل أنواع هذه الأشجار التى منها الأراك .

قال الهمداني : وبها من الأراك ماليس ببلد . . ومن الحمام المطوق فى الأراك مايجل عن الصفة (١) .

والآثل : قال الفراء : هو شبيه بالطرفاء الا أنه أعظم منه طولاً ، ومنه اتخذ منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وللآثل اصول عظيمة غليظة يتخذ منه الابواب ، وورقه كورق الطرفاء ، ولا يكون عليه شمرة الا فى بعض الاوقات يكون عليه شيء كالعفص * ، أو أصغر منه فى طعمه وطبعه ،

والآثل : مانبت منه فى الجبال فهو نضار (٢) .

وقال أبوحنيفة الدينورى فيه : هو شجر من العضاة** ، وهو طوال فى السماء ليس له ورق مستقيم ، وورقه هدب طوال دقاق وليس له شوك ومنه تصنع القصاع والآنية ، والبيوت ، وكل شجرة آثل تنبت فى جبل فهى نضار ، وماكان فى سهل لم يسمى نضار (٣) .

السدر : اما السدر : فهو نوعان من الشجر

(١) مفاهيم جغرافية ، د. عبدالعليم خضر (١٩٧) .

(٢) انظر : تفسير القرطبي (٥٣٦٩/٦) ، الفخر الرازى (١٢/٧) ، كتاب النبات / عبدالملك الاصمعى (٣٤) .

* العفص : اى ثمر له مرارة وقبض يعسر معهما الابتلاع والعفص نتوءات تحصل على النباتات بتاثير حشرات تسبب نموه وتهىء فيه بيضها ، ومنه نتوء شجر البلوط يتخذ للحبر والصباغ . انظر لسان العرب (٨٢٤/٢) كتاب المعرفة (١٤٨/٢) .

** العضاة : كل شجر يعظم له شوك . انظر مختار الصحاح (٤٣٨) .

(٣) كتاب النبات ، ابوحنيفة الدينورى (٨١-٨٢) مخطوط .

- ١ - سدر برى : لا ينتفع به ولا يصلح للغسول ، وله ثمر عصف لايؤكل
ويسمى الضال ، بفتح الضاد وضم اللام .
- ٢- سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب (١) .
ويسمى (عبري) بضم العين وسكون الباء وكسر الراء .

قال قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر اذا صيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم ، فأهلك أشجارهم المثمرة ، وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر ، وقال القشيري : وأشجار البوادي لاتسمى جنّة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية فى مقابلة الاولى اطلق لفظ الجنة (٢) .

- ٦- قوله تعالى : (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور) اى لانجازى بذلك الجزاء الذى جزيناهم به الا الكفور بنعمة الله .

ولعل القرطبي أوضح المعنى المراد والمقصود من الجزاء بقوله :
وفى هذه الآية سؤال ليس فى هذه السورة اشد منه وهو ان يقول :
لم خص تعالى المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصى؟ فتكلم العلماء فى هذا ، فقال قوم : ليس يجازى بهذا الجزاء الذى هو الاستئصال والاهلاك الا من كفر . وقال مجاهد : يجازى بمعنى يعاقب ، وذلك أن المؤمن يكفر الله تعالى عنه سيئاته ، والكافر يجازى بكل سوء عمله ، فالمؤمن يجزى ولا يجازى لانه يثاب ، ومنهم من قال : مناقشة الحساب ، ومنهم من جعلها فى أهل الكبائر والمعاصى من غير الكفار .

وقال النحاس : وأولى ما قيل فى هذه الآية وأجل ما روى فيها ان الحسن قال مثلا بمثل ، وشرحه : أن الكافر يكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ، ويبين هذا قوله فى الأول (ذلك جزيناهم

(١) تفسير القرطبي (٥٣٦٩/٦) كتاب النبات : عبد الملك الاصمعي (٢٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٥٣٦٩/٦-٣٥٧٠) .

بما كفروا) وفى الثانى (وهل يجازى الا الكفور) ومعنى (يجازى) يكافأ بكل عمل عمله ، ومعنى (جزيناهم) وفيناهم . والله أعلم (١) .

•••

ثمرة الشكر للانسان :

(١) ان للشكر أثر عظيم وثمره بالغة ترجع فائدته ومنفعته على الانسان نفسه فى الدنيا والآخرة ، لا الى الله ، فانه غنى عن العباد والانسان هو الذى ينتفع بشكره لله تعالى أولا واخرا . كما قال تعالى (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد) (٢) .

(٢) ان شكر الله عز وجل على النعمة سبب فى زيادتها وبركتها كما قال تعالى : (لئن شكرتم لازيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) (٣)

(٣) ان شكر الله عز وجل على النعمة سبب فى بقاء النعمة وحفظها وكفر النعمة كفر بالله وهذا سبب فى زوالها وتضييعها وهلاكها كما مر معنا فى الآيات السابقة من قصة صاحب الجنتين فى سورة (الكهف) ، حيث لم يشكر الله بالشثناء عليه على نعمه ، وقصة أصحاب الجنة فى سورة القلم حيث بخلوا بالنعمة على غيرهم ومنها قوله تعالى : (فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) (٤) . وفى قصة أهل سبا حيث لم يشكروا الله كما أمرهم بالقول والفعال فاستعانوا بها على معاصيه وعدم طاعته .

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٥٣٧٠ - ٥٣٧١) .

(٢) سورة لقمان ، آية (١٢) .

(٣) سورة ابراهيم : آية (٧) .

(٤) سورة البقرة : آية (١٥٢) .

وقال ابن الجوزية فيه مبينا حقيقته وأثره المترتب عليه : هو الاعتراف بنعمته سبحانه والثناء عليه بها ، والاحسان الى خلقه منها وهذا بلا شك يوجب حفظها عليهم والمزيد منها فهذا الجزء من الشكر مشترك ، وقد تكون ثمرته في الدنيا بعاجل الثواب وفي الآخرة بتخفيف العقاب ، فان النار دركات في العقوبة مختلفة (١) .

وللغزالي رحمه الله كلمة بليغة جميلة شاملة كاملة في هذا المقام وهي بيان نعم الله على العباد بما يتعلق بالنبات تستوجب الشكر من الانسان أحببت ذكرها لما لها ارتباط بالبحث وهو آيات الله في النبات وتكون هي خاتمة البحث :

”١- نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك :

فقال رحمه الله : اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر ، والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لاتنمي ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه في الأرض ، وهي له آلات ، منها ما يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي نراها في كل ورقة ، ثم تغلظ اصولها ، ثم تتشعب ولاتزال تستدق وتتشعب الى عروق شعيرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر ، الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص ، فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ويماس أصله ، واذا لم يصله جف ويبس ولم يمكنه الغذاء من وضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه ، والنبات عاجز عن ذلك فممن نعم الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء ، فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك ، فان الله تعالى خلق لك حاسة اللمس مثلا لتحس به لسعة النار وجرح السيف ، لا كالنبات فان النباتات

(١) مدارج السالكين ، ابن الجوزية (٢٥٣/٢) .

يقطع فلا ينتقبضاد لايحس بالقطع ، وجعل لك حس الذوق لتدرك الطعام والغذاء ، موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك ، لا كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذب ، وربما يكون ذلك سبب جفافها .

٢- نعم الله تعالى في خلق الارادات للانسان :

اعلم أنه لو خلق الله لك الادراك الى الغذاء ، ولم يخلق فيك الميل له لهلك الانسان ، فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلمها بك كالمتمقاضي الذي يضطر الى تناول حتى تتناول وتتغذى فتبقى بالغذاء ، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النباتات ، ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك ، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها ، لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه ، بقدر الحاجة فيسقيها مرة ويقطع عنه الماء أخرى .

٣- نعم الله تعالى في الأصول التي تحصل منها الأطعمة :

اعلم أن الأطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لاتحصي وأسباب متوالية لاتتناهى ، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فإنا الأطعمة اما ادوية واما فواكه واما أغذية .

فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولنسعد سائر الاغذية فنقول : اذا وجدت حبة أو حبات فلو اكلتها فنيست وبقيت جائعا ، فما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتزييد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك : فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يقتدى به كما خلق فيك ، فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء ، لانه يفتدى بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغذى أنت وتجتذب ، وكما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص ، فكذلك الحبة

لاتتغذى بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص ، بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد ، لانه ليس يحيط بها الا الهواء ، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في التربة لأماء فيها لم تزد بل لابد من ارض وفيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا . (!) الآية .

ثم لا يكفي الماء والتراب اذا لو تركت في أرض نديه صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ، ثم ان الماء يحتاج لينساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي ، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون والانهار وأجرى منها الانهار ، وأما الحرارة فانها لاتحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان ، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ، ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر ، ثم ان النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقادا وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها ، فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصية الترتيب كما جعل خاصية الشمس للتسخين ، فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الحكيم ، لذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظللتها شجرة كبيرة .

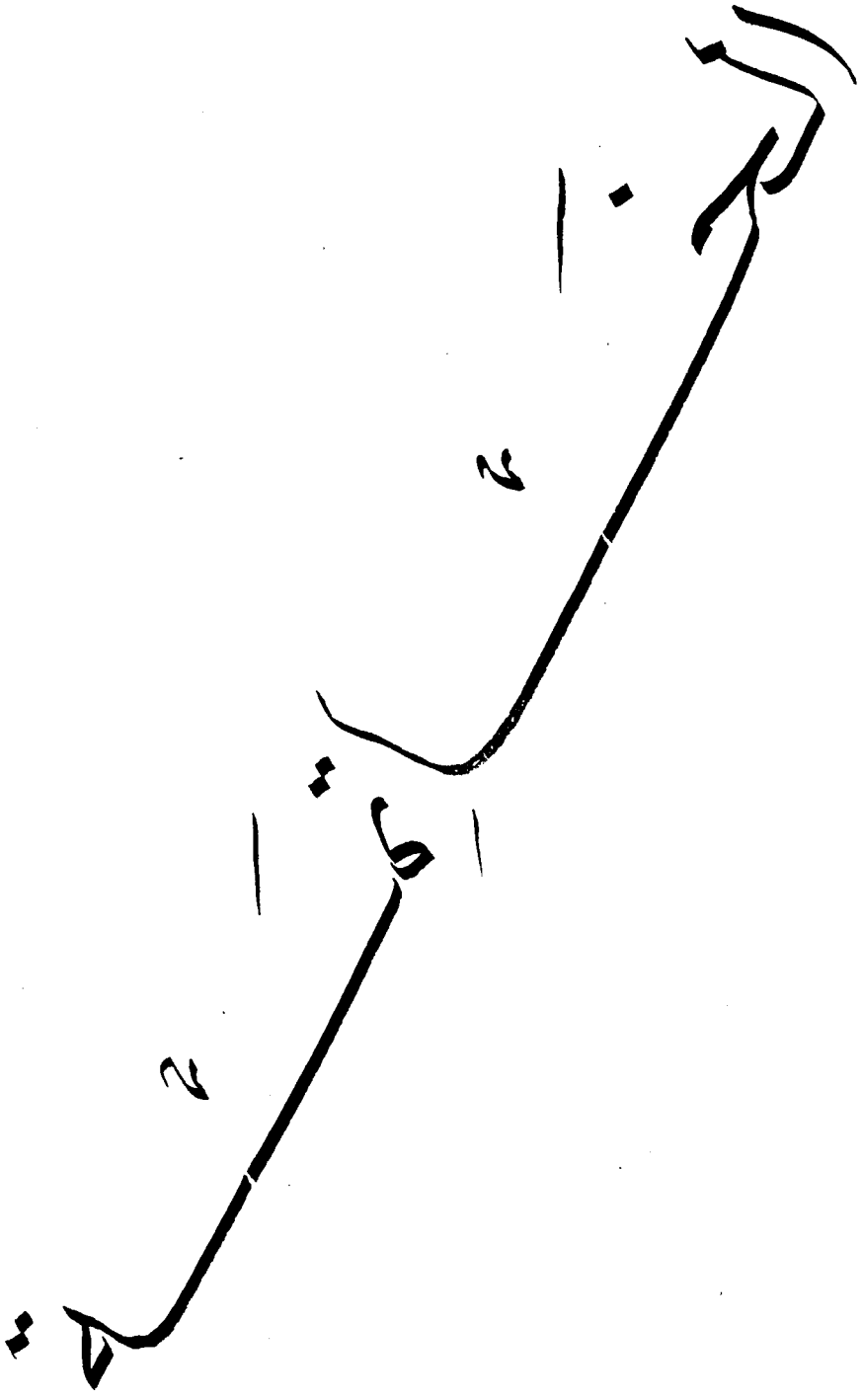
(٤) نعمة الله للانسان في الهامه كيف يصلح الاطعمة :

اعلم أن الذي ينبت في الأرض من النبات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك ، بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف

بالبقاء البعض وابقاء البعض ، الى أمور أخرى لاتحصى ، واستقصاء ذلك فى كل طعام يطول ، فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد القاء البذر فى الأرض ، فأول ما يحتاج اليه الحارث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذى يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ، ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ، ثم الفرك ثم التنقية ، ثم الطحن ، ثم العجن ثم الخبز ، فتأمل عدد هذه الأفعال التى ذكرناها ومالم نذكره ، وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التى يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع فى اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما . وانظر الى حاجة الحديد الى الحديد والرصاص والنحاس ، وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن! وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فان فتشت علمت أن رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع ، فابتدىء من الملك الذى يزجى السحاب ينزل الماء الى آخر الأعمال من جهة الملائكة ، حتى تنتهى النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التى بها تتم مصلحة الخلق ، فسبحان من سخر بعض العبياد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته (١) .

ولعل هذا نهاية المطاف حول البحث نهائيا بما ذكرته من هذه العجالة القيمة الملخصة من كلام الامام الغزالي عن كل أحوال النبىات وما يترتب عليه كنعمة من نعم الله عز وجل وفيه من الفوائد وتسخير الله للانسان تستوجب الشكر من الانسان لله عز وجل أجل الشكر والحمد . وقد أتت هذه الخلاصة وكأنها ملخصاً عن البحث كله فى هذه الكلمة الوجيزة .
والله ولى التوفيق .}}}}

(١) مختصر بتصريف من : احياء علوم الدين للغزالي (١٠٩/٤ - ١١٩) .



الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت اليها مباحث الرسائل

لقد خرجت من أبواب وفصول وأبحاث رسالتي " آيات الله عز وجل فى النبات كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة " بالنتائج المهمة التالية :

أولا : أن النبات والحرث والزرع والشجر والنخل والشمر فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة جميعها ألفاظ مترادفة يـراد بها جنس النبات عامة الا أن بينها مفارقات لفظية على حسب مايعنيه اللفظ ويقصد به من بيان نوع النبات أو شكله أو ثمـره أو طور من أطوار نموه .

ثانيا : أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أولت عناية كبيرة ظاهرة وواضحة للعوامل الأساسية التى تساعد على انبات النباتات ونموه وترعرعه الى أن يستوى على سوقه ويعطى ثماره اليانعة الشهية أو أزهاره العبققة الشذية . وهذه العوامل هى : التربة والهواء والماء والشمس والضوء والحرارة وغيرها مما هو ضرورى لحياة النبات ونموه وملاحه وقد أوضح القرآن ذلك اجمالا وتفصيلا .

ثالثا : أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أوضحا وبيننا أن هذه العوامل الضرورية لحياة النبات وملاحه هى نفس العوامل الرئيسية والأساسية لحياة جميع الأحياء على وجه الأرض وبالأخص الانسان الذى يتربع على قمة جميع الكائنات الارضية وينتفع بجميع هذه المخلوقات التى سخرها الله تعالى له مصداقا لقوله تعالى : " هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا . (١) " وقوله تعالى : " ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض وأسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة " (٢) .

(١) سورة البقرة : آية (٢٩) .

(٢) سورة لقمان : آية (٢٠) .

رابعاً : أن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة قد أظهرت وفصلاً الفوائد الجمّة الكثيرة النافعة التي يجنيها الإنسان من النبات فجميع أشكاله وأخشابه وفروعه وأغصانه والانتفاع بالنباتات إما أن يكون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فالأنعام التي يأكلها الإنسان لحماً طيباً قد تغذت على النبات كما بين القرآن الكريم منافع النبات لغير الإنسان من المخلوقات .

خامساً : أن التكوين الجسمي للنبات يشابه ويضاهى التركيب الجسمي للإنسان من وجوه كثيرة فحجم النبات يتكون من الجذر والساق والسيقان والزهرة والثمرة وكل جهاز في النبات من هذه الأجهزة له دوره في نمو النبات وترعرعه وإذا توقف جهاز من هذه الأجهزة توقف نمو النبات وأصابه الشلل والمرض والانكماش فكذلك جسم الإنسان فهو يتكون من الجهاز الدموي والهضمي والعصبي وإذا فقد الإنسان أى واحد منها أو توقف أو أصابه مرض توقف نمو الإنسان وتغيير شكله وأصابه الهلاك . كما هو مبين في موضعه من الرسالة (١) .

سادساً : أن القرآن المجيد قد أوضح المشابهة الكبيرة بين خلق الإنسان وخلق النبات فكما أن الإنسان خلق من تراب ونبت من الأرض كذلك النبات خلق من تراب ونبت من الأرض ولعل في هذا إشارة من الله عز وجل للإنسان أن يتخذ النبات في جميع أطواره وفي كل أشكاله آية عظيمة وعبرة يتذكر بها نعمة الله تعالى عليه ويقف على القدرة الفائقة العظيمة لله عز وجل وعلمه الواسع المحيط وصفاته الجليلة السامية . كما في مثل قوله تعالى : " يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بآياتنا فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا

أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير " (١) .

سابعاً: أن النبات له علاقة كبيرة بجسم الانسان وعامل أساسي في تكوين جسم الانسان حيث ثبت علمياً أن العناصر التي يتكون منها جسم الانسان وتدخل في تكوين خلاياه من البروتينات والسكريات والنشويات والمعادن وغيرها من العناصر هي نفس العناصر التي يتكون منها النبات ويقوم النبات بامتصاص هذه العناصر من الأرض ثم تنتقل الى الانسان عن طريق تناوله للنبات كغذاء أساسي له .

ثامناً: أن النبات يعطى صورة التآلف والتعاون والتودد والمحبة للانسان وذلك فيما يشاهده الانسان ويراه في بعض النباتات التي تحتضن النباتات الاخرى التي لاتستطيع أن تستقل بذاتها كالنباتات المستسلقة كما يضيفى النبات على الانسان روح الحنان واللف واللين وهذا ما حدا أحد الشعراء أن يقول :

شوف الزروع واتعلم . . . بين الحبايب تعرف تتكلم

تاسعاً: أن النبات مثل حي نابض مهم في حياة الانسان لذلك نجد القرآن الكريم قد ضرب الامثلة بالنبات للدلالة على الحياة والموت والغنى والفقر والنماء والخمول ، والنضارة والذبول والجمال والقبح ، والجهل والعلم ، والايمان والكفر وغير ذلك من مظاهر الحياة وألوانها .

(١) سورة الحج: آية (٥ ، ٦) .

عاشرا: أن النبات قد ارتبط بالانسان منذ بدء خلقه ومن ثم فـقـد تعددت صور هذا الارتباط فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى وقائع كثيرة وأحداث متعددة تدل دلالة واضحة على ما بين الانسان والنبات من علاقة وثيقة ووشائج أكيدة كما هو مبين فى موضعه من الرسالة (١) .

حادى عشر: أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد تعددت فيهما من أوصاف النبات وأسمائه وأنواعه الكثير الذى يتخذ منه الأدباء والعلماء مادتهم الأدبية والعلمية التى من شأنها أن تشرى الحياة الفكرية ويزداد بها الانسان ثقافة وعلمًا وفنًا .

ثانى عشر: ان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد ساقا كثيرا من الصور البلاغية من تشبيه واستعارة واستفهام وقسم وغيرهـا فى النبات مما يقرر ويؤكد أن النبات له أهمية عظمى ومجال كبير فى حياة الانسان وأقرب المخلوقات منه وأوقع الأشياء فى حسه وشعوره ووجدانه . ومن ثم فقد كان للصور البلاغية المتعلقة بالنبات فى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة سهم وافر فى أساليب البلغاء وبيان الأدباء وفصاحة الخطباء واستعمالات العلماء .

ثالث عشر: أن القرآن الكريم قد قرر كثيرا من النظريات العلمية التى لم يتوصل اليها الانسان الا بعد مرور أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم ، والقرآن فى تقريره لهذه النظريات انما يضى عليها صفة الحقيقة الثابتة التى لاتتغير ولاتتبدل ومثال تلك النظريات " البناء الضوئى " الذى أشار اليه القرآن بل نص عليه فى قوله تعالى : " الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون " (٢) .

(١) انظر الباب الثانى الفصل الثالث .

(٢) سورة يس : آية (٨٠) .

رابع عشر : إن القرآن الكريم قد ساق النبات وألوانه وأطواره في صور البراهين الساطعة والحجج البالغة والأدلة القوية الواضحة على اثبات وجود الله تعالى ووحدانيته وجليل صفاته العلية السامية .

خامس عشر : أن النبات فيه الدلائل الواضح والحجج الدامغة التي تؤكد وقوع البعث والقيامة وتبطل مزاعم الكفار المعاندين وقد ساق القرآن الكريم كثيرا من هذه الأدلة كما أوضحت في موضعه من الرسالة .

سادس عشر : أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أبرزتا بجلاء ووضوح أن النبات بأشكاله وأنواعه وازهاره وثماره نعمة عظيمة وفضل واسع من الله العلي القدير يستوجب الحمد والشكر من الانسان ومن ثم فقد أوجب فيه مقتضيات الشكر وهو الزكاة والصدقة وغير ذلك مما يبين اقرار الانسان واعترافه بنعم الله تعالى عليه وقد أوضحت مقادير الزكاة الواجبة في الزروع والثمار وحكمة وجوبها وأسرار ذلك وما يعود على المزكى من الخير والبركة . وغير ذلك مما هو مفصل ومبين في موضعه من الرسالة .

وفي نهاية هذه الخاتمة أود أن أتقدم باقتراح قد تجلى في فكري بفضل مسيرتي الطويلة مع النبات وأنواعه وأشكاله وثماره في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . وهذا الاقتراح تتلخص فكرته فيما يأتي :

- (١) أن يقوم العلماء المتخصصون بوضع قاموس خاص بالنبات وأنواعه تستقى مادته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .
- (٢) أن تركز وزارات المعارف والتربية والتعليم في جميع الدول الاسلامية على تدريس النبات وأطواره وأنواعه على أن تكون مادة الدراسة مستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

(٣) أن تهتم الحكومات الاسلامية وعلى رأسها مملكتنا " المملكة العربية السعودية " الرائدة بالتشجير والزراعة وتوعية المواطنين جماعات وافرادا بثمار ذلك دينيا ودنيويا .

(٤) أن تقوم الحكومات الاسلامية بانشاء الغابات والحدائق فى الصحراء الواسعة الموجودة فى كل قطر من أقطار العالم الاسلامى حتى نستطيع الاستغناء عما نستورده من أخشاب وصناعات خشبية وثمار وفواكه وغير ذلك من الدول الأخرى وفى هذا تدعيم وتقوية لاقتصادنا الاسلامى .

(٥) الاهتمام بزراعة نبات المرخ والصغار فى جميع مدن المملكة وخاصة فى الاماكن الصحراوية لما فيه من الطاقة النارية التي يحتاجها الانسان ..

.. أما بعد ..

فهذا ما أعانني الله عز وجل وهو صاحب الفضل والمنة على اتمامه وبيانه واستنتاجه من آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فان كان قد اعتراه شيء من التفسير فعذرى السهو والنسيان وان كان قد زانه شيء من الكمال فهذا من توفيق ذى العزة والجلال ورجائي من كل من وقف على عيب أو نقص فى رسالتي أن يرشدنى ويعلمنى وله منى الدعاء بالخير .

والله أسأل أن يتقبل عملى هذا ثمرة نافعة ينفع الله تعالى بها المسلمين والمسلمات وأن يثيبنى عليه الخير والصلاح والفوز والنجاح فى الدنيا والآخرة .

والحمد لله أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
نحمدك يا من أوضحت لنا سبيل الهداية والمعرفة والدراية وأزجت عن بصائرنا غشاوة الضلال والغواية ونصلى ونسلم على من أرسلته هاديا ومبشرا ونديرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منير وعلى أصحابه الابرار الذين هجروا الأوطان والأحباب يبتغون من الله الفضل والثواب رضى الله تعالى وأرضاهم وأتباعهم ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ،،،،

الباحثة

السلامة والرفاهية والابتهاج

أولاً :-

« ملحقٌ بآياتِ الذناباتِ الواردةُ
في القرآنِ الكريمِ »

آيات النبات الواردة فى القرآن الكريم وموضعها من البحث :

- أولا : النبات فى القرآن الكريم :
- ١- قال تعالى : (واذا قلتُم ياموسى لننصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها) (البقرة - ٦١) . ص (٢٤)
 - ٢- قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (البقرة - ٢٦١) . ص (٢٤)
 - ٣- قال تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) (آل عمران - ٣٧) . ص (٢٤)
 - ٤- قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أشمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (الأنعام - ٩٩) . ص (٢٤)
 - ٥- قال تعالى : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبيث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرنا لآيات لقوم يشكرون) (الاعراف - ٥٨) . ص (٢٤)
 - ٦- قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام) (يونس - ٢٤) . ص (٢٤)
 - ٧- قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) (الحجر - ١٩) . ص (٢٤)
 - ٨- قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل - ١١) . ص (٢٤)
 - ٩- قال تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا) (الكهف - ٤٥) . ص (٢٤)

- ١٠- قال تعالى : (الذى جعل لكم الارض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) (طه - ٥٣) ص (٢٤)
- ١١- قال تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (الحج - ٥) ص (٢٤)
- ١٢- قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكليين) (المؤمنون - ٢٠) ص (٢٤)
- ١٣- قال تعالى : (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (الشعراء - ٧) ص (٢٤)
- ١٤- قال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ءله مع الله بل هم قوم يعدلون) (النمل - ٦٠) ص (٢٤)
- ١٥- قال تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) (لقمان - ١٠) ص (٢٥)
- ١٦- قال تعالى : (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) (يس - ٣٦) ص (٢٥)
- ١٧- قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) (الصافات - ١٤٦) ص (٢٥)
- ١٨- قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (ق - ٧) ص (٢٥)
- ١٩- قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) (ق - ٩) ص (٢٥)

- ٢٠- قال تعالى : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب وزينة وتفاخر بينكم فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) (الحديد - ٢٠) ص (٢٥)
- ٢١- قال تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتا) (نوح - ١٧) ص (٢٥)
- ٢٢- قال تعالى : (لنخرج به حبا ونباتا) (النبأ - ٦٥) ص (٢٥)
- ٢٣- قال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا) (عبس - ٢٧) ص (٢٥)

...

ثانيا : الزرع فى القرآن الكريم : وموقعها من البحث :

- ١ - قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لا يحب المرففين) (الأنعام - ١٤١) . ص (٢٨)
- ٢ - قال تعالى : (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فسي سنبله الا قليلا مما تأكلون) (يوسف - ٤٧) . ص (٢٨)
- ٣ - قال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فسي الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (الرعد - ٤) . ص (٢٨)
- ٤ - قال تعالى : (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (ابراهيم ٣٧) . ص (٢٨)
- ٥ - قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل - ١١) . ص (٢٨)
- ٦ - قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا) (الكهف - ٣٢) . ص (٢٨)
- ٧ - قال تعالى : (وزروع ونخل طلعها هضيم) (الشعراء ١٤٨) . ص (٢٨)
- ٨ - قال تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم أفلا يبصرون) (السجدة ٢٧) . ص (٢٨)
- ٩ - قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زراعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) (الزمر - ٢١) . ص (٢٨)

- ١٠- قال تعالى : (وزرع ومقام كريم) (الدخان (٢٦) . ص (٣٩)
- ١١- قال تعالى : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) (الفتح - ٢٩) . ص (٣٩)
- ١٢- قال تعالى : (أفرايتم ماتحشون ، أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) (الواقعة - ٦٥) . ص (٣٩)

...

ثالثا : الحرث فى القرآن الكريم : وموضعها من البحث :

- ١- قال تعالى : (قال انه يقول انها بقرة لاذلول تشير الأرض ولاتسقى
الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وماكـادوا
يفعلون) (البقرة - ٧١) . ص (٥٠)
- ٢- قال تعالى : (واذا تولى سعي فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لايحب الفساد) (البقرة - ٢٠٥) . ص (٥٠)
- ٣- قال تعالى : (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم) (البقرة ٢٢٣)
- ٤- قال تعالى : (زين للنساء حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (آل عمران ١٤) .
ص (٥٠)
- ٥- قال تعالى : (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها
صر اصاب حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن
أنفسهم يظلمون) (آل عمران - ١١٧) . ص (٥٠)
- ٦- قال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا
فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا شركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)
(الأنعام - ١٣٦) . ص (٥٠)
- ٧- قال تعالى : (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء
بزعمهم) (الأنعام - ١٣٨) . ص (٥٠)
- ٨- قال تعالى : (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفثت فيه غنم
القوم وكنا لحكمهم شاهدين) (الأنبياء - ٧٨) . ص (٥٠)

٩ - قال تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان

رابعاً: الشجر فى القرآن الكريم : وموضعها من البحث :

- ١ - قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (البقرة - ٣٥) . ص (٥٨)
- ٢ - قال تعالى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (الاعراف - ١٩) . ص (٥٨)
- ٣ - وقال تعالى : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سواتهما وقال مانهكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخاسرين) (الاعراف - ٢٠) . ص (٥٨)
- ٤ - قال تعالى : (فدلها بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ونادايهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (الاعراف - ٢٢) ص (٥٨)
- ٥ - قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) (ابراهيم - ٢٤) . ص (٥٨)
- ٦ - قال تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) (ابراهيم ٢٦) . ص (٥٨)
- ٧ - قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (النحل - ١٠) . ص (٥٨)
- ٨ - قال تعالى : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) (النحل - ٦٨) . ص (٥٨)
- ٩ - قال تعالى : (واذا قلنا ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرءيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيراً) (الاسراء - ٦٠) . ص (٥٨)

- ١٠- قال تعالى : (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (طه - ١٢٠) . ص (٥٩)
- ١١- قال تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) (الحج - ١٨) . ص (٥٩)
- ١٢- قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين) (المؤمنون - ٢٠) . ص (٥٩)
- ١٣- قال تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم) (النور - ٣٥) . ص (٥٩)
- ١٤- قال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءله مع الله بل هم قوم يعدلون) (النمل - ٦٠) . ص (٥٩)
- ١٥- قال تعالى : (فلما آتاها نودى من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) (القصص - ٣٠) . ص (٥٩)
- ١٦- قال تعالى : (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) (لقمان - ٧) . ص (٥٩)
- ١٧- قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (يس - ٨٠) . ص (٦٠)

- ١٨- قال تعالى : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) (الصافات - ٦٢) .
ص (٦٠)
- ١٩- قال تعالى : (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) (الصافات ٦٤) .
ص (٦٠)
- ٢٠- قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) (الصافات - ١٤٦) .
ص (٦٠)
- ٢١- قال تعالى : (ان شجرة الزقوم) (الدخان - ٤٣) .
ص (٦٠)
- ٢٢- قال تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)
(الفتح - ١٨) .
ص (٦٠)
- ٢٣- قال تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) (الرحمن - ٦) .
ص (٦٠)
- ٢٤- قال تعالى : (لآكلون من شجر من زقوم) (الواقعة - ٥٢) .
ص (٦٠)
- ٢٥- قال تعالى : (أعنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (الواقعة ٧٢) .
ص (٦٠)

خامسا : النخل فى القرآن الكرىم : وموضعها من البحث :

- ١- قال تعالى : (أىود أأءكم أن تكون له ءنة من نخىل وأعناى ءءرى من ءءتها الأنهار له فىها من كل الشمرات وأصابه الكبر وله ءرىة ضعفاء فأصاىها اعصار فىه نار فاحءرءت كءلك بىبن الله لكـم الآىات لعلكم ءءفكرون) (البقرة - ٢٦٦) . ص (٦٩)
- ٢ - قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأءرءنا به نبءات كل شء فأءرءنا منه ءضرا نءرء منه ءبا مءراكبا ومن النءل مـن طلعها قنوان ءانىة وءنات من أعناى والزىءون والرمان مشءبها وءىر مشابه ، انظروا الى شمره اذا أثمر وىنعه ان فى ذلكـم لآىات لقوم بىؤمنون) (الآىات - ٩٩) . ص (٦٩)
- ٣ - قال تعالى : (وهو الذى أنشأ ءنات معروشات وءىر معروشات والنءل والزرع مءءلفا أكله والزىءون والرمان مشابها وءىر مشابه كلوا من شمره اذا أثمر وآءوا ءقه بىوم ءصاه ولاءسرفوا انه لا بىب المسرفىن) . (الانعام - ١٤١) . ص (٦٩)
- ٤ - قال تعالى : (وفى الأرض قطع مءءاورات وءنات من أعناى وزرع ونءىل صنوان وءىر صنوان بىقى بماء واءء ونفضل بعضها على بعض فى الأكـل ان فى ذلك لآىات لقوم بىءقلون) (الرعد - ٤) . ص (٦٩)
- ٥ - قال تعالى : (بنبت لكم به الزرع والزىءون والنءىل والأعناىاب ومن كل الشمرات ان فى ذلك لآىة لقوم بىءفكرون) (النءل - ١١) . ص (٦٩)
- ٦ - قال تعالى : (ومن شمرات النءىل والأعناىاب ءءءءون منه سءرا ورزقا ءسنا ان فى ذلك لآىة لقوم بىءقلون) (النءل - ٦٧) . ص (٦٩)
- ٧ - قال تعالى : (اوءكون لك ءنة من نخىل وعنب فءءءر الانهار ءلالها ءفءىرا) (الاسراء - ٩١) . ص (٦٩)

- ٨ - قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين —
أعصاب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا) (الكهف - ٣٢) .
ص (٦٩)
- ٩ - قال تعالى : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى —
قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (مريم - ٢٣) .
ص (٦٩)
- ١٠ - قال تعالى : (وهزى اليك بذرع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا —
(مريم - ٢٥) .
ص (٧٠)
- ١١ - قال تعالى : (لأصلبنكم فى جذوع النخل) (طه - ٧١) .
ص (٧٠)
- ١٢ - قال تعالى : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه
كثيرة ومنها تأكلون) (المؤمنون - ١٩) .
ص (٧٠)
- ١٣ - قال تعالى : (وزروع ونخل طلعها هضيم) (الشعرا - ١٤٨) .
ص (٧٠)
- ١٤ - قال تعالى : (وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها مسن
العيون) (يس - ٧٤) .
ص (٧٠)
- ١٥ - قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد) (ق - ١٠) .
ص (٧٠)
- ١٦ - قال تعالى : (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) (القمر - ٢٠) .
ص (٧٠)
- ١٧ - قال تعالى : (فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام) (الرحمن - ١١) .
ص (٧٠)
- ١٨ - قال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (الرحمن - ٦٨) .
ص (٧٠)
- ١٩ - قال تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها —
فبأذن الله وليخزي الفاسقين) (الحشر - ٥) .
ص (٧٠)
- ٢٠ - قال تعالى : (كأنهم أعجاز نخل خاوية) (الحاقة - ٧) .
ص (٧٠)
- ٢١ - قال تعالى : (وزيتونا ونخلا) (عبس - ٢٩) .
ص (٧٠)

سادسا : الثمر فى القرآن الكريم : وموضعها من البحث :

- (١) قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (البقرة - ٢٢) ص (٨١)
- ٢ - قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (البقرة - ٢٥) ص (٨١)
- ٣ - قال تعالى : (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر) (البقرة - ١٢٦) ص (٨١)
- ٤ - قال تعالى : (ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) (البقرة ١٥٥) ص (٨١)
- ٥ - قال تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (البقرة ٢٦٦) ص (٨١)
- ٦ - قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوات دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (الأنعام - ٩٩) ص (٨١)
- ٧ - قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (الأنعام - ١٤١) ص (٨١)

- ٨ - قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرابين يدى رحمته حتى ي
إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به
من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (الأعراف - ٥٧) .
ص (٨٢)
- ٩ - قال تعالى : (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
لعلهم يذكرون) (الأعراف ١٣٠) .
ص (٨٢)
- ١٠ - قال تعالى : (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهـاـرا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهـاـر
ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الرعد - ٣) .
ص (٨٢)
- ١١ - قال تعالى : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء
ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر
بأمره وسخر لكم الأنهار) (ابراهيم - ٣٢) .
ص (٨٢)
- ١٢ - قال تعالى : (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهـم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (ابراهيم - ٣٧) .
ص (٨٢)
- ١٣ - قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب
ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل - ١١) .
ص (٨٢)
- ١٤ - قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكـرا
ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) (النحل - ٦٧) .
ص (٨٢)
- ١٥ - قال تعالى : (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من
بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم
يتفكرون) (النحل - ٦٩) .
ص (٨٢)
- ١٦ - قال تعالى : (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثـر
منك مالا وأعز نفرا) (٣٤) .
ص (٨٢)

- ١٧- قال تعالى : (وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) (الكهف - ٤٢) ص (٨٢)
- ١٨- قال تعالى : (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا لم نمكنا لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) (القصص - ٥٧) ص (٨٣)
- ١٩- قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به من ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) (فاطر - ٢٧) ص (٨٣)
- ٢٠- قال تعالى : (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (يس - ٣٥) ص (٨٣)
- ٢١- قال تعالى : (إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد) (فصلت - ٤٧) ص (٨٣)
- ٢٢- قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) (محمد - ١٥) ص (٨٣)

سابعاً : الحبوب فى القرآن :

- ١ - قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثـلـ حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (البقرة - ٢٦١) .
- ٢ - قال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) (الانعام - ٥٩) .
- ٣ - قال تعالى : (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) (الانعام - ٩٥) .
- ٤ - قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) (الانعام - ٩٩) .
- ٥ - قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الأنبياء - ٤٧) .
- ٦ - قال تعالى : (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتى بها الله ان الله لطيف خبير) (لقمان - ١٦) .
- ٧ - قال تعالى : (واية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (يس - ٣٣) .
- ٨ - قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) (ق - ٩) .

- ٩ - قال تعالى : (والارض وضعها للانام . فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام
والحب ذو العصف والريحان) (الرحمن - ١٠-١٢) .
- ١٠ - قال تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماء شجاجا . لنخرج به حيا
ونباتا) (النبا - ١٤-١٥) .
- ١١ - قال تعالى : (ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حيا . وعنبنا
وقضيا) (عيس - ٢٤-٢٨) .
- ١٢ - قال تعالى : (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) (يوسف ٤٣ ، ٤٦) .
- ١٣ - قال تعالى : (فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون)
(يوسف - ٤٧) .

...

ثامننا: الفاكهة فى القرآن الكريم :

- ١ - قال تعالى : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم —————
فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (المؤمنون - ٩) .
- ٢ - قال تعالى : (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون • هم وأزواجهم
فى ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون)
(يس - ٥٥-٥٧) .
- ٣ - قال تعالى : (أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون)
(الصافات ٤١-٤٢) .
- ٤ - قال تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الابواب ، متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب) (ص - ٥٠-٥١) .
- ٥ - قال تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون • لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) (الزخرف - ٧٣) .
- ٦ - قال تعالى : (كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة
٦ امنين) (الدخان ٥٤-٥٥) .
- ٧ - قال تعالى : (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) (الطور ٢٢) .
- ٨ - قال تعالى : (والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ،
والحب ذو العصف والريحان) (الرحمن - ١٠-١٢) .
- ٩ - قال تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) (الرحمن ٥٢) .
- ١٠ - قال تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) (الرحمن - ٦٨) .
- ١١ - قال تعالى : (وفاكهة مما يتخيرون) (الواقعة - ٢٠) .
- ١٢ - قال تعالى : (وفاكهة كثيرة ، لامقطوعة ولأمنوعة) (الواقعة ٣٢-٣٣) .
- ١٣ - قال تعالى : (ان المتقين فى ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون)
(المرسلات - ٤١-٤٢) .
- ١٤ - قال تعالى : (حدائق غلبا • وفاكهة وأبا • متاعا لكم ولأنعامكم)
(عبس - ٣٠ - ٣٢) .

تاسعا : أنواع الفواكه فى القرآن الكريم :

- ١ - التين : قال تعالى (والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الامين) (التين ٣-١) .
- ٢ - الرطب : قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) (مريم ٢٥) .
- ٣ - الرمان :
- (١) قال تعالى : (وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه) (الانعام - ٩٩) .
- (٢) قال تعالى : (والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا ممن ثمره اذا اثمر) (الانعام ١٤١) .
- (٣) قال تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) (الرحمن ٦٨) .
- ٤ - الزيتون :
- (١) قال تعالى : (وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه) (الانعام - ٩٩) .
- (٢) قال تعالى : (والنخل والزروع مختلفا أكله الزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه) (الأنعام - ١٤١) .
- (٣) قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) (النحل - ١١) .
- (٤) قال تعالى : الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم) (النور - ٣٥) .
- (٥) قال تعالى : (والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الامين) (التين ٣-١) .

(٦) وقال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا
ونخلا) (عبس - ٢٧-٢٩) .

٥ - العنب :

(١) قال تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب
تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات) (البقرة - ٢٦٦)

(٢) وقال تعالى : (وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها
وغير متشابه) (الأنعام - ٩٩) .

(٣) قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات)
(الأنعام - ١٤١) .

(٤) قال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب)
(الرعد - ٤) .

(٥) قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب
ومن كل الثمرات) (النحل - ١١) .

(٦) قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا) (النحل - ٦٧) .

(٧) قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا
او تكون لك جنة من نخيل وعنبت فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا)
(الاسراء - ٩٠-٩١) .

(٨) قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من
أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا) (الكهف - ٣٢) .

(٩) قال تعالى : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها
فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (المؤمنون - ١٩) .

(١٠) قال تعالى : (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا
فيها من العيون) (يس - ٣٤) .

(١١) قال تعالى : (ان للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا)
(النبأ - ٣١-٣٢) .

(١٢) قال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا)
(عبس - ٢٧-٢٨) .

...

عاشرا : الخضروات فى القرآن الكريم :

- ١ - قال تعالى : (واذا قلتُم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبى الارض من بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها) (البقرة ٦١) .
- ٢ - قال تعالى : فنبذناه فى العراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) (الصافات ١٤٥-١٤٦) .
- ٣ - قال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلبا ، وفاكحة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم) (عبس ٢٧-٣٢) .

حادى عشر: نباتات أخرى فى القرآن الكريم :

- ١ - قال تعالى : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، فى ســــــــــــدر
مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود) (الواقعة ٢٧-٣٠) .
- ٢ - قال تعالى : (ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا)
(الانسان - ٥) .
- ٣ - قال تعالى : (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) (الانسان-١٧)
- ٤ - قال تعالى : (وكأسا دهاقا) (النبأ - ٣٤) .
- ٥ - قال تعالى : (يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ،) (المطففين - ٢٥-٢٧) .
- ٦ - قال تعالى : (والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى) (الأعلى ٤-٥) .

قائماً

مُلْحَقٌ بِأَحَادِيثِ النَّبَاتِ الْوَارِدَةِ

فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ

أحاديث النبات الواردة في السنة النبوية المطهرة

أولاً: النبات في الحديث الشريف :

جاء في البخارى :

- ١ - حدثنا عمرو بن خالد - حدثنا الليث عن ربيعة بن أبى عبد الرحمان عن حنظلة بن قيس عن رافع بن خديج قال حدثنى عباس انهما كانوا يكرون الأرض على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما ينبت على الاربعاء أو شيء يستثنيه صاحب الارض فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقلت لرافع فكيف هى بالدينار والدرهم فقال رافع ، ليس بهما بأس بالدينار والدرهم ، وقال الليث وكان الذى نهى عن ذلك ما لو نظر فيه نوى الفهم بالحلال والحرام لم يجيزوه لما فيه من المخاطر(١) .
- ٢ - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية ، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له ألتست فيما شئت ، قال بلى ؛ ولكنى أحب أن أزرع قال فبذر الطرف نباته واستواءه واستحصاده فكان أمثال الجبال ، فيقول الله دونك يا ابن آدم لايشبعك شيء . فقال الأعرابي : والله لاتجده الا قرشياً أو أنصاريًا فانهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبى صلى الله عليه وسلم(٢) .
- ٣ - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو ابن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء

(١) صحيح البخارى (١٤٣/٣) باب ماجاء فى الحرث والزرع .

(٢) صحيح البخارى (١٤٣/٣) باب ماجاء فى الحرث والزرع .

الماء ، وأنبتت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله
انكارا لذلك واعظاما له (١) .

- وفي صحيح البخارى :

- ١- يقال فى معدن صدق ، وفى منبت صدق ، (٨٠/٦) التفسير .
- ٢- اهتزت بالنبات (١٦٠/٦) التفسير .
- ٣- ثم قواه باصحابه كما قوى الحبة بما ينبت فيها (١٦٨/٦) التفسير .
- ٤- والرميم نبات الارض اذا يبس وديس (١٧٤/٦) التفسير .
- ٥- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين اربعون ، قال اربعون يوما ؟ قال : أبيت قال : أربعون شهرا؟ قال: ابيت . قال : أربعون سنة ؟ قال أبيت . قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الانسان شيء الا يبلى ، الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (٢) .

ثانيا : وفى الصحيحين : قال البخارى :

عن أنس بن مالك قال: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت المواشى ، وانقطعت السبل فادع الله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطروا من جمعة الى جمعة ، ثم جاء فقال: تهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فادع الله يمسكها ، فقام صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم على الآكام والظراب ، والاوذية ومنابت الشجر فانجابت من المدينة انجياب الثوب (٣) .

-
- (١) صحيح البخارى (٥٠/٥) مناقب الانصار .
 - (٢) صحيح البخارى (٢٠٥/٦) التفسير .
 - (٣) صحيح البخارى (٣٦/٢) الاستسقاء ، صحيح مسلم (٦١٤/٢) الاستسقاء بالفاظ .

ثالثا : ذكر مسلم فى صحيحه :

١- عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليســــت السنة بان تمطروا ، ولكن السنة ان تمطروا وتمطروا ولا تنبــــت الارض شيئا " (١) .

٢- وفى رواية مطولة ايضا عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذاة غداة ... الى ان بلغ قوله/قلنا : يارسول الله : وما اسرعه فى الأرض؟ قال " كالغيث استدبرته الريح " فيأتى على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والارض فتنبت " (٢) مختصره .

٣- وفى نفس الرواية السابقة عن النواس فى قصة الدجال قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يقال للأرض للأرض انبئى ثمرتك وردى بركتك) (٣) .

...

-
- (١) صحيح مسلم (٢٢٢٨/٤) كتاب الفتن ، مختلفة واللفظ للبخارى .
(٢) صحيح مسلم (٢٢٥٢/٤) الفتن (مختصرة) .
(٣) صحيح مسلم (٢٢٦٤/٤) الفتن (مختصرة) .

ثانياً: الزرع فى الحديث الشريف :

جاء فى الصحيحين :

١- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة (١) .

٢- سمع سفيان بن أبي زهير رجلاً من أزد شنوءة وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اقتنى كلباً لا يغنى عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص كل يوم من عمله قيراط ، قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اى ورب هذا المسجد (٢) .

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عامل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج من ثمر أو زرع (٣) .

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطي خيبر اليهود ، على ان يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما خرج منها (٤) .

٥- قال ظبير لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر كان بنا رافقاً قلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق ، قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ماتصنعون بمحاقلكم قلت : نؤجرها على الربيع ، وعلى الأوسق من التمر والشعير ،

(١) صحيح البخارى (١٣٥/٣) باب الحرث والمزارعة واللفظ للبخارى ، صحيح مسلم (١١٨٩/٣) المساقاة .

(٢) صحيح البخارى (١٣٦/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١٢٠٤/٣) ، لمساقاة ، واللفظ للبخارى .

(٣) صحيح البخارى (١٣٨/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١١٨٦/٣) المساقاة واللفظ للبخارى .

(٤) صحيح البخارى (١٣٨/٣) الحرث والمزارعة .

قال لاتفعلوا أزرعوها أو أزرعوها أو امسكوها ، قال رافع
قلت سمعا وطاعة (١) .

٦ - عن جابر رضي الله عنه قال : كانوا يزرعونها بالثلث والربيع
والنصف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فمن كانت له ارض فليزرعها
أو ليمنحها فان لم يفعل فليمسك أرضه ، وفي رواية عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت
له ارض فليزرعها أو ليمنحها اخاه فان ابي فليمسك أرضه (٢) .

...

(١) صحيح البخارى (١٤٦/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١٨٢/٣ ، ١١٨)
المساقاة و اللفظ للبخارى .

(٢) صحيح البخارى (١٤١/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١١٧٨/٣) البيوع ،
واللفظ للبخارى .

ثالثا : الحرث فى الحديث الشريف :

أولا : جاء فى صحيح البخارى :

١- عن أبى أمامة الباهلى قال: ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل هذا بيت قــــــــوم الا أدخله الذل (١) .

٢- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل راكب على بقرة التفتت اليه فقالت لم أخلق لهذا خلقت للحراثة ، قال آمنت به أنا وابوبكر وعمر ، واخذ الذئب شاة فتبعها الراعى فقال الذئب من لها يوم السبع يوم السبع يوم لراعى لها غيرى ، قال : آمنت به أنا وابوبكر وعمر ، قال ابوسلمة وماهما يومئذ فى القوم (٢) .

ثانيا : وجاء فى صحيح مسلم :

١- أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ضراب الجمل وعن بيع الماء والارض لتحترث فعن ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

٢- عن جابر قال: كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنعيب من القصرى ومن كذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كانت له أرض فليزرعها أو فليحراثها أخاه والا فليدعها " (٤) .

ثالثا : وفى الصحيحين :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط ، الا كلب حـرث أو ماشية (٥) .

(١) صحيح البخارى (١٣٥/٣) الحرث والمزارعة .

(٢) صحيح البخارى (١٣٦/٣) الحرث والمزارعة .

(٣) صحيح مسلم (١١٩٧/٣) المساقاة .

(٤) صحيح مسلم (١١٧٧/٣) البيوع .

(٥) صحيح البخارى (١٣٦/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١٢٠٣/٣) المساقاة .

رابعاً: الشجر فى الحديث الشريف :أولاً : جاء فى صحيح البخارى :

١- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جماراً فقال من الشجرة شجرة كالرجل الموء من فـأردت أن أقول النخلة فاذا أنا أحدثهم قال هى النخلة (١) .

٢- عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حرم مكة ولم تحل لأحد قبلى ولا لأحد بعدى وانما حلت لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها الا لمعرف ، وقال ابن عباس بن عبدالمطلب الا الاذخر لصاغتنا ولسقف بيوتنا فقال الاذخر فقال عكرمة هـل تدرى ما ينفر صيدها هو أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه قـال عبد الوهاب عن خالد لصاغتنا وقبورنا (٢) .

٣- عن قيس قال سمعت سعدا رضى الله عنه يقول: انى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا ورق الشجر حتى ان أحدنا ليفع كما يفح البعير او الشاة ماله خلط ثم اصبح بنو اسعد تعزرنى على الاسلام لقد خبت اذا وذل عملى وكانوا وشوا به الى عمر قالوا لا يحسن يصلى (٣) .

ثانياً: وجاء فى صحيح مسلم :

١- عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر او الشجر: يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى . فتعال فاقتله الا الغرقد ، فانه من شجر اليهود (٤) .

(١) صحيح البخارى (١٠٣/٣) البيوع .

(٢) صحيح البخارى (٧٩/٣) البيوع .

(٣) صحيح البخارى (٢٨/٥) فضائل الصحابة .

(٤) صحيح مسلم (٢١٤٨/٤) المنافقين .

٢ - قال عبدالله : جاء رجل من أهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم: ان الله يمسك السماوات على اصبغ . والارضين على اصبغ . والشجر والثرى على اصبغ . والخلائق على اصبغ . ثم يقول: أنا الملك ، أنا الملك ، قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: وما قدروا الله حق قدره (١) .

٣ - عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: " خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الاحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبت فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل (٢) .

...

(١) صحيح مسلم (٢١٤٨/٤) المنالقيين .

(٢) صحيح مسلم (٢١٤٩/٤) المنافقين .

خامسا : النخل فى الحديث الشريف :اولا : قال البخارى فى صحيحه :

- ١- عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا ، فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا (١) .
- ٢- عن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة وفيها يقول حسان :
وهان على سراة بنى لوى ٠٠٠ حريق بالبويرة مستطير (٢)
- ٣- عن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما انه حدثه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال الانصارى : سرح الماء يمر ، فأبى عليه فاختمها عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصارى فقال ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدار، فقال الزبير : والله انى لاحسب هذه الاية نزلت فى ذلك : " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (٣)
- ٤- عن ابى البختري قال: سألت ابن عمر رضى الله عنهما عن السلم فى بيع النخل فقال: نهى عن بيع النخل حتى يصلح وعن بيع الورق نساء بناجرا وسألت ابن عباس عن السلم فى النخل فقال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع النخل حتى يؤكل منه او يأكل منه وحتى يوزن (٤) .

-
- (١) صحيح مسلم (١٣٦/٣) : الحرث والمزارعة
 (٢) صحيح مسلم (١٣٦/٣) : الحرث والمزارعة
 (٣) صحيح مسلم (١٤٥/٣) : الحرث والمزارعة
 (٤) صحيح البخارى (١١٣/٣) السلم .

- ٥ - حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها ، وعن النخل حتى يزهو وقيل ما يزهو : قال يحمار أو يصفار (١)
- ٦ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونيها هي فوق الناس في شجر البوادي قال عبدالله ووقع في نفسى انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة (٢)
- ٧ - عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيما امرئ أبر نخلا ثم باع أصلها فللذي أبر ثمر النخل الا ان يشترطه المبتاع (٣) .

ثانيا : جال في صحيح مسلم :

- ١ - عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الانصارية في نخل لها . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : " من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ " فقالت : بل مسلم ، فقال : " لا يفرس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعاً ، فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كانت له صدقة " (٤) .
- ٢ - عن عبدالله بن عمر حدثني زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في بيع العرية بخرصها تمرا قال يحيى: العريضة أن يشتري الرجل ثمر النخلات لطعام أهله رطباً ، بخرصها تمرا (٥) .

-
- (١) صحيح البخارى (١١٣/٣) السلم .
(٢) صحيح البخارى (١٠١/٣) البيوع (بيع النخل قبل ان يبدو صلاحه)
(٣) صحيح البخارى (٢٥/١) العلم .
(٤) صحيح البخارى (١٠٢/٣) البيوع .
(٥) صحيح مسلم (١١٨٨/٣) المساقاة .

٣ - وقال مسلم فى صحيحه :

أن أباسعيد الخدرى يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المزابنة والمحاكلة ، والمزابنة اشتراء الثمر فى رؤوس النخل
والمحاكلة كراء الأرض (١) .

...

(١) صحيح مسلم (١١٧٩/٣) البيوع .

سادسا : الثمر فى الحديث الشريف :

اولا : ذكر البخارى فى صحيحه :

- ١ - عن نافع ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أخبره عن النبى صلى الله عليه وسلم عامل خيبر بشر ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يعطى ازواجه مائة وسق ثمانون وسق ثمر وعشرون وسق شعير فقس عمر خيبر فخير ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع لهن من الماء والارض او يمضى لهن فممنهن من اختار الارض وممنهن من اختار الوسق وكانت عائشة اختارت الأرض (١) .
- ٢ - عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع ثمر حتى يزهو ، فقلنا لانس ما زهوها قال تحمر وتصفر أرايئت ان منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك (٢) .
- ٣ - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه ولا تبيعوا الثمر بالثمر قال سالم وأخبرنى عبد الله عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص بعد ذلك فى بيع العرية بالرطب أو بالتمر ولم يرخص فى غيره (٣) .
- ٤ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزابنة أن يبيع ثمر حائظه ان كان نخلا بتمر كيلا وان كان كرما ان يبيعه بزبيب كيلا أو كان زرعا ان يبيعه بكيل طعام ، ونهى عن ذلك كله (٤) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٣٧/٣) الحرث والمزارعة .
 - (٢) صحيح البخارى (١٠٣/٣) البيوع .
 - (٣) صحيح البخارى (٩٨/٣) البيوع .
 - (٤) صحيح البخارى (١٠٢/٣) البيوع .

ثانيا : قال مسلم فى صحيحه :

- ١- عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة والمزابنة بيع الثمر بالثمر كيلا ، وبيع الكرم بالزبيب كيلا (١) .
- ٢ - عن جابر بن عبد الله قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كراة الارض وعن بيعها السنين وعن بيع الثمر حتى يطيب (٢) .
- ٣ - عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يقرهم بها ، على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نقركم بها على ذلك ماشئنا " ففروا بها حتى أجلاهم عمرا الى تيماء وأريحاء " (٣) .

...

(١) صحيح مسلم (١١٧١/٣) البيوع .
(٢) صحيح مسلم (١١٧٦/٣) البيوع .
(٣) صحيح مسلم (١١٨٧/٣) المساقاة .

سابعاً: مثل المسلم بالخامة من الزرع فى احتمال المصائب:

ففى صحيح البخارى :

١- حدثنا ابراهيم بن المنذر قال : حدثنى محمد بن فليح قال حدثنى ابي
أبى عن هلال عن على من بنى عامر بن لوى عن عطاء بن يسار
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : مثل المؤمن من كمثل الخامة من الزرع من حيث أنتهـ
الريـح كفاتـها فاذا اعتدلت تكفأ بالبلاء و الفاجر كالارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء (١) .

٢- وفى رواية أخرى عن كعب بن مالك قال: قال البخارى: حدثنا
مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن سعد عن عبد الله بن كعب عن أبيه
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمن كالخامة من
الزرع تفيئها الريح مرة وتعديلها مرة ومثل المنافق كالارزة لاتزال
حتى يكون انجعافها مرة واحدة) (٢) .

ان المؤمن مبتلى فى حياته وهذا المثل الحسى الصريح المركب من
عدة صور من النبات يعطينا صورة واضحة عن الانسان المؤمن فى حياته
وما يقربه من المصائب والبلايا وما هو موقفه من ذلك وعمق ايمانه
فى تقبله ومشاعره وسلوكياته (٣) .

(١) البخارى فى (١٦٨/٩) ورواية مسلم (١٥) المنذرى .

(٢) صحيح البخارى (١٤٩/٧) كتاب الطب باب ماجاء فى كفارة المرض .

-انجعافها: الانجعاف: الانقلاع .

(٣) صحيح مسلم (٢١٦٣/٤) كتاب صفات المنافقين مثل المؤمن كالزرع ومثل
الكافر كالشجر

شامنا : مثل الانسان بالنبات الجيد والردىء في تمسكه بقراءة القرآن

والايمان به وتطبيق احكامه :

١- ففي صحيح البخارى عن ابى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا يريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل طعمها مر ولا يريح لها (١) .

٢- وفي صحيح مسلم :

عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، أو مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا يريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر (٢) .

...

-
- (١) صحيح البخارى (١٩٨/٩) كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر .
(٢) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى (٥٦٠) باب مثل من يقرأ القرآن ولا يقرؤه ، فضائل القرآن ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ط ٣ (١٣٩٧هـ) المكتب الإسلامى .
- صحيح مسلم (٥٤٩/١) فضيلة حافظ القرآن .

تاسعا: مثل المؤمن بالنبات فى النفع به :

- ١ - فى صحيح البخارى عن ابن عمر يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات فقلال القوم : هى شجرة كذا وهى شجرة كذا ، فأردت أن أقول هى النخلة وأنا غلام شاب ، فاستحييت فقال هى النخلة (١) .
- ٢ - وفى رواية أخرى أيضا عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ولا تحث ورقها فوقع فى نفسى النخلة فكرهت أن أتكلم وشم أبوبكر وعمر فلما لم يتكلما قال النبى صلى الله عليه وسلم هى النخلة . فلما خرجت مع أبى قلت يا أبتاه وقع فى نفسى النخلة قال مامنعك ان تقولها لو كنت قلتها كان أحب الى من كذا وكذا قال : مامنعنى الا أنى لم ارك ولا ابابكر تكلمتها فكرهت (٢) .
- وفى رواية فى كتاب العلم عن مجاهد قال صحبت ابن عمر الى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثا واحدا قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم فأردت ان أقول هى النخلة فاذا أنا أصغر القوم فسكت قال النبى صلى الله عليه وسلم هى النخلة (٣) .

-
- (١) صحيح البخارى (٣٦/٨) كتاب الادب باب الحياء ، ما لا يستحب ممن الحق للتعرفه فى الدين ، صحيح مسلم (٢١٦٦/٤) كتاب صفات المنافقين / مثل المؤمن مثل النخلة .
- (٢) صحيح البخارى (٤٢/٨) كتاب الادب باب اكرام الكبير ويبدا الاكبر بالكلام والسؤال .
- (٣) صحيح البخارى (٢٨/١) كتاب العلم باب الفهم فى العلم .

وفرواية مسلم : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم يوما لاصحابه : " اخبروني عن شجرة مثلها مثلها مثل
المؤمن " فجعل القوم يذكرون شجرا من شجر البوادي قال ابن عمر :
وألقى في نفسي او روى : انها النخلة فجعلت اريد ان اقولها
فاذا أسنان القوم فأهاب أن اتكلم ، فلما سكتوا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " هي النخلة " (١) .

...

(١) صحيح مسلم (٢١٦٥/٤) كتاب صفات المنافقين / باب مثل المؤمن

مثل النخلة .

عاشرا: مثل العلم بالنبات فى النفع به :

فى صحيح البخارى :

عن ابي موسى عن لنبى صلى الله عليه وسلم قال: " مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً . فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به (١) .

وفى صحيح مسلم :

عن ابي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ان مثل ما بعثنى الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا . وأصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به " (٢) .

-
- (١) صحيح البخارى (٣٠/١) كتاب العلم باب فضل من علم وعلم .
 (٢) صحيح مسلم (١٧٨٨/٤) كتاب الفضائل باب مثل ما بعث النبى من الهدى والعلم .

حادى عشر : تشبيه نبت الأجساد فى الآخرة بنبت النبات فى الدنيا :

- فى سنن الدارمى : قال : أخبرنا عمرو بن عون عن خالد بن عبد الله عن سعيد بن يزيد بن أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهل النار فانهم يموتون فى النار وأما ناس من الناس فإن النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها حتى إذا صاروا فحمًا اذن فى الشفاعة فيخرجون من النار ضائر ضائر فيثرون على أنهار الجنة فيقال لأهل الجنة تفيضوا عليهم من الماء قال فيفيضون عليهم فينبت لحومهم كما ينبت الحبة فى حميل السيل (١) .

- أما فى سنن ابن ماجة فقال :

حدثنا نصر بن على واسحاق بن ابراهيم بن حبيب قالا : ثنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما أهل النار ، الذين هم أهلها ، فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس اصابتهم نار بذنوبهم أو بخطاياهم فاماتتهم اماته حتى إذا كانوا فحمًا اذن لهم فى الشفاعة . فجيء بهم ضائر ضائر فبثوا على أنهار الجنة ، فقيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل " قال ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فى البادية (٢) .

-
- (١) سنن الدارمى / ابو محمد الدارمى (٣٣٢/٢) دار الكتب العلمية ، صحيح مسلم (١٧٢-١٧٣) صحيح البخارى (١٥٧/٩) .
- (٢) سنن ابن ماجه (٤٤١/٢) كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

ثانى عشر : تشبيه سمن الماشية باللحوم كسمنها بالنبات :

- ففى سنن ابن ماجه قال :

حدثنا كريب ، ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال تعالى (٩٦/٢١) وهم من كل حذب ينسلون فيعمون الأرض ويفتحوا أزواجهم المسلمون حتى تصير بقية المسلمين فى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم حتى انهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم : لقد كان بهذا المكان مرة ماء ، ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم : هؤلاء أهل الأرض ، قد فرغنا منهم ولننازلن أهل السماء ، حتى ان احدهم يهز حريته الى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون: قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك اذ بعث الله دواب كنف الجراد ، فتأخذ باعناقهم فيموتون موت الجراد ، يركب بعضهم بعضا ، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا ، فيقولون : من رجل يشرى نفسه وينظر الى ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه ، فيجدهم موتى فيناديهم : ألا ابشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيلا مواشيهم فيما يكون لهم رعى الا لحومهم فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط (١) .

ثالث عشر : الصحة والنبات فى الحديث :

١- قال صلى الله عليه وسلم (من تصبح بسبع تمرات عجوة من عجوة العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (٢) .

(١) سنن ابن ماجه (١٣٦٤/٢) كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج

عيسى بن مريم عليهما السلام وخروج يأجوج ومأجوج .

(٢) صحيح البخارى (١٧٩/٧-١٨١) الطب

٢ - قال صلى الله عليه وسلم : (عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام) (١) .

٣ - قال النبي صلى الله عليه وسلم : الكمأة من المن وماؤها شفاء من العين (٢) .

رابع عشر : الخضر والبقول فى الحديث :

١ - عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته) (٣)

٢ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : ان خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه قال أنس بن مالك فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك الطعام فقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا ومرقا فيه وباء وقديد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى القمعة ، قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ (٤) .

خامس عشر : الحبوب فى الحديث :

١ - عن أنس رضى الله عنه انه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز وشعير واهاله سنخة ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودى وأخذ منه شعيرا لاهله ولقد سمعت يقول : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة (٥) .

-
- (١) صحيح البخارى (١٦٠/٧) الطب .
 - (٢) صحيح البخارى (١٦٤/٧) الطب .
 - (٣) صحيح البخارى (٢١٦/١-٢١٧) الصلاة .
 - (٤) صحيح البخارى (٧٩/٣) البيوع .
 - (٥) صحيح البخارى (٧٤/٣) البيوع .

٢ - عن عبدالله بن أوفى رضى الله عنه قال: (كنا نسلف نبيط أهل الشام فى الحنطة والشعير والزيت فى كل كيل معلوم الى أجل معلوم) (١) .

سادس عشر : الفاكهة فى الحديث :

١- عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة والمزابنة بيع الثمر بالثمر كيلا وبييع الزبيب بالكرم كيلا (٢) .

٢ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها ، وعن النخل حتى يزهو قيل وما يزهو قال بحمار أو بصفار (٣) .

سابع عشر : فضل الغرس والزرع :

نجد أن الشارع حث على ذلك ورغب فيه :

١ - عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم " مامن مسلم يغرس غرسا الا كان ما اكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه احد الا كان له صدقة الى يوم القيامة " . وفى رواية : " فلا يغرس المسلم غرسا فيؤكل منه انسان ولا دابة ولا طير ، الا كان له صدقة ، الى يوم القيامة " (٤) .

(١) صحيح البخارى (١١٢/٣) البيوع .

(٢) صحيح البخارى (٩٦/٣) البيوع .

(٣) صحيح البخارى (١٠١/٣) البيوع .

(٤) الترغيب والترهيب / المنذرى (٥٦/٥) .

صحيح مسلم (١١٨٨/٤) كتاب المساقاة .

يرزؤه : بسكون الراء وفتح الزاى : أى يصيب منه وينقصه
ويأخذ منه .

- ٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة " (١) .
- ٣ - وعن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من بنى بنيانا في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جاريا ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى " (٢) .
- ٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا طائر ولا شيء إلا كان له أجر " (٣) .
- ٥ - وعن خالد بن السائب عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له صدقة " (٤) .
- ٦ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنهما أن رجلاً مر به وهو يغرس غرساً بدمشق فقال له : أتفعل هذا وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من غرس غرسا لم ياكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة) (٥) .
- ٧ - وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " ما من رجل يغرس غرسا الا كتب الله له به من الأجر قدر ما يخرج من ذلك الغرس " (٦) .

-
- (١) الترغيب والترهيب ، المنذرى (٥٦/٥) ، صحيح البخارى (١٣٥/٣) الحرث والمزارعة ، صحيح مسلم (١١٨٩/٣) كتاب المساقاة .
- (٢) الترغيب والترهيب ، المنذرى (٥٦/٥) قال رواه احمد من طريق زبانه .
- (٣) الترغيب والترهيب ، المنذرى (٥٦/٥) رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن .
- (٤) الترغيب والترهيب (٥٧/٥) رواه احمد والطبرانى واسناد أحمد حسن .
- (٥) الترغيب والترهيب (٥٧/٥) رواه احمد واسناده حسن .
- (٦) الترغيب والترهيب ، المنذرى ، رواه احمد ورواه محتج بهم فى الصحيح انظر تحفة الاحوذى (٣٣٦/٤) قال أخرجه أحمد مرفوعاً إلا عبد الله بن عبد العزيز الليثى وثقه مالك وسعيد بن منصور .

- ٨ - وعن جابر بن عبد الله قال: حدثتني أم بشر امرأة زيد بن حارثة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحائط فقال لك هذا؟ فقلت نعم ، فقال ، من غرسه مسلم أو كافر؟ قلت مسلم ، قال: مامن مسلم يزرع أو يغرس غرسا فيأكل منه طائر أو انسان أو سبع أو شيء الا كان له صدقة " (١) .
- ٩ - عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : " سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما ، أو كرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته " (٢) .
- ١٠ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : " ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل " (٣) .

ثامن عشر : المزارعة فى الحديث :

- ١ - عن جابر قال كانت لرجال فضول أرضين على عهد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وكانوا يؤجرونها على الثلث والربيع والنصف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له فضل أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه
- (١) الفتح الربانى ، البنا (١٠/١٥) صحيح مسلم (١١٨٨/٣) كتاب المساقاة ام مبشر الانصارية ، هكذا فى اكثر النسخ وفى بعضها دخل على ام معبد ، وفى بعضها ام بشير .
الحائط: البستان : من النخيل اذا كان عليه حائط وهو الجدار فحصل انها يقال لها: ام مبشر وام معبد وام بشير وهى امرأة زيد بن حارثة اسلمت وبايعت . انظر صحيح مسلم (١١٨٨/٣) .
- (٢) الترغيب والترهيب (٥٧/٥) رواه البزار ، ابونعيم والبيهقى وأخرجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفه فى الفقه وقال أخرجه ابونعيم عن أنس (٧٤/٢) القسم الثانى الفقه نصيف عبدالعزيز الرومى ، محمد البلتاجى .
- (٣) الفتح الربانى (٣٠٩/٢٣) الادب المفرد ، البخارى (٦٩) باب اصطناع المال انظر عمدة القارى/ العيني (١٥٥/١٢) قال ذكره على بن عبدالعزيز فى المنتخب باسناد حسن .

فان أبى فليمسك أرضه - لفظ حديث بشر وفى رواية عبيدالله كانت لرجال فضول أرضين فكانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فان لم يفعل فليمسك أرضه " (١) .

٢ - " عن جابر بن عبدالله يقول : كنا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث والربع باماذيانات فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من كانت له أرض فليزرعها وان لم يزرعها فليمنحها فان لم يمنحها أخاه فليمسكها " (٢) .

٣ - " عن جابر قال كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصيب من القصرى ومن كذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو فليحرقها أخاه والا فليدعها " (٣) .

٤ - " عن رافع بن خديج قال: كنا نحاول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقدم عليه بعض عمومته قال قتادة اسمه ظهير ثم قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعا وطواعية الله ورسوله أنفع لنا وأنفع قال القوم وما ذاك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه ولا يكرهها بالثلث ولا بالربع ولا طعام مسمى " (٤) .

" عن رافع بن خديج قال : كنا نحاول بالأرض فنكرهها على الثلث والربع والطعام المسمى ولم يكن يومئذ ذهب ولا فضة نكرهها بالأرض فما شعرت يوما اذ لقينى بعض عمومتي فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعا وطواعية رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٠/٦) كتاب المزارعة ، صحيح البخارى (١٤١/٣) ، المزارعة .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٠/٦) المزارعة (صحيح مسلم) (١١٧٧/٣) المزارعة .

(٣) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٠/٦-١٣١) المزارعة ، صحيح مسلم (١١٧٧/٣) ، المزارعة .

(٤) السنن الكبرى (١٣١/٦) المزارعة ، مسلم (١١٨١/٣) المزارعة .

أنفع لنا وأنفع كناناقل بالأرض فنكريها عليثلثوالربيع
والطعام المسمى فنهانا عن ذلك وامر رب الارض أن يزرعها
وكره كراها وما سوى ذلك " (١) .

" عن الاوزاعي قال حدثني أبو النجاشي قال صحبت رافع بن خديج
ست سنين قال فحدثني عن عمه، ظهير بن رافع أنه لقيه يوما فقال له
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن أمر كان بنا رافقا
فقال رافع فقلت له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الحق
قال أرايت محافلكم ماذا تصنعون بها قلنا نؤاجرها على الربيع
وعلى الأوسق من التمر والشعير قال فلا تفعلوا ازرعوها أو امسكوها " (٢)

" عن حنظلة بن قيس عن رافع بن خديج قال حدثني عماي أنهم كانوا
يكرهون الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ينبت على
الأربعاء أو شيء يستثنيه صاحب الأرض فنهانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقلت لرافع كيف هي بالدنانير والدرهم فقال
رافع لباس بها بالدنانير والدرهم " (٣) .

" عن حنظلة بن قيس الانصاري قال : " سألت رافع بن خديج عن كرا
الأرض بالذهب والورق ، فقال : لباس به ، إنما كان الناس يؤاجرون
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماذيانات واقبال
الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا
ويهلك هذا ولم يكن للناس كرا إلا هكذا فلذلك زجر عنه فاما شيء
معلوم مضمون فلا بأس عليه " (٤) .

-
- (١) السنن الكبرى للبيهقي (١٣١/٦) المزارعة ، صحيح مسلم (١٨٠١/٣) ،
المزارعة ، (١٣١/٦) المزارعة .
- (٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٣١/٦) المزارعة ، صحيح البخاري (١٤١/٣)
المزارعة ، صحيح مسلم (١١٨٢/٣) المزارعة .
- (٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٢/٦) المزارعة ، صحيح البخاري (١٤٢/٣) ،
المزارعة .
- (٤) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٢/٦) المزارعة (صحيح مسلم (١١٨٢/٣) ،
المزارعة .

" عن عمرو أن مجاهدا قال لطاوس انطلق بنا الى ابن رافع
ابن خديج فاسمع منه لحديث عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
فانتهره وقال انى والله لو أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عنه ما فعلته ولكن حدثنى من هو أعلم به منهم يعنى ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمنح الرجل أخاه أرضه خير له
من أن يأخذ عليها خراجا معلوما " (١) .

" عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول ما كنا نكره المزارعة
حتى سمعت رافع بن خديج يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المزارعة وعن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم ينه عن المزارعة وقال لان يمنح أحدكم
أخاه أرضه خير له من أن يأخذ شيئا معلوما " (٢) .

" عن ابن عباس أنه لما سمع اكثار الناس فى كراء الارض قال
سبحان الله انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا منحها أخاه
ولم ينه عن كرائها " (٣)

" عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يحرم المزارعة ولكن أمر أن يرفق الناس بعضهم
بعضهم " (٤) .

-
- (١) السنن الكبرى (١٣٣/٦) المزارعة ، صحيح مسلم (١١٨٤/٣) المزارعة .
(٢) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) المزارعة ، صحيح البخارى
(١٤٢-١٤١/٣) المزارعة .
(٣) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) المزارعة ، صحيح مسلم
(١١٨٥-١١٨٤/٣) المزارعة .
(٤) السنن الكبرى للبيهقى (١٣٤/٦) ، المزارعة ، صحيح مسلم
(١١٨٤/٣) المزارعة .

" عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت أنه قال يغفر الله لرافع بن خديج أنا والله كنت أعلم بالحديث منه إنما أتى رجلان من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقتتلا فقال ان كان هـذا شأنكم فلا تكروا المزارع فسمع قوله ولا تكروا المزارع " (١) .

" عن ابن عمر أنه كان يكرى أرضه فاخبر بحديث رافع بن خديج فأتاه فسأله عنه فأخبره فقال ابن عمر قد علمت ان أهل الارض قد كانوا يعطون أرضهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويشترط صاحب الأرض الماذيانات وما يسقى الربيع ويشترط من الجرين نصيباً معلوماً قال وكذا ابن عمر يظن أن النهي لما كانوا يشترطون " (٢) .

" عن أسيد بن ظهير عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم في المزارعة أن أحدهم كان يشترط ثلاثة جداول والقصارة وما سقى الربيع فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك " (٣) .

...

-
- (١) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٤/٦) المزارعة ، سنن أبي داود ، (٢٣١/٢) المزارعة .
- (٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥/٦) المزارعة ، صحيح مسلم (٣ / ١١٨١) المزارعة .
- الماذيانات: ما ينبت على حافتى سيل الماء .
- الربيع: الساقية والنهر الصغير .
- الجرين: هو موضع تجفيف التمر .
- (٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥/٦) المزارعة .
- جداول: جمع جدول وهو النهر الصغير كالساقية .
- القصارة: ما بقى من الحب فى السنبل بعد الدياس .

قالت:

« قائمة بغير مست المصادر والمراجع »

فهرس المصادر والمراجـع

أولاً: القرآن الكريم وعلومه :

١- القرآن الكريم .

٢- علوم القرآن الكريم .

- (١) الاتقان في علوم القرآن
جلال الدين السيوطى الشافعى ، (ط٠ دار الفكر
- بيروت - لبنان) .
- (٢) اعجاز القرآن
أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى
تحقيق : السيد احمد صقر .
(ط ٣ - دار المعارف - مصر) .
- (٣) اعجاز القرآن والبلاغة
النوبية
مصطفى صادق الرافعى ، (ط ٩ ، دار الكتاب
العربى ، بيروت ، لبنان ، (١٣٩٣هـ)) .
- (٤) الاشباه والنظائر فى الالفاظ
القرآنية التى ترادفت
مبانيها وتنوعت معانيها .
عبد الملك بن محمد الثعالبى ، تحقيق محمد
المصرى (ط ١) (١٤٠٤هـ) ، سعد الدين
للطباعة والنشر ، القاهرة .
- (٥) الامثال فى القرآن الكريم
ابن قيم الجوزية ، تحقيق : سعيد محمد
نمر الخطيب ، ط ٢ (١٤٠٣هـ) دار المعرفة
بيروت - لبنان .
- (٦) أمثال القرآن الكريم
شمس الدين ابن أبى بكر الزرعى دمشقى
الحنبلى المعروف بابن قيم الجوزية
تحقيق د٠ ناصر بن سعد الرشيد
ط (٢) - ١٤٠٢هـ - مطابع الصفا بمكة
المكرمة .
- (٧) الامثال القرآنية
عبد الرحمن حبنكه الميدانى .

- (٨) الامثال فى القرآن
الدكتور محمود بن الشريف
(ط٥) (١٤٠١هـ) دار الهلال ، بيروت ،
لبنان) .
- (٩) الامثال فى القرآن
الشيخ محمد متولى الشعراوى
اعداد: عبدالقادر احمد عطار ، دار المسلم .
- (١٠) امثال القرآن
د. منصور العبدلى ،
رسالة ماجستير (ط ١٣٩٤هـ) .
- (١١) الاسرائيليات والموضوعات فى
كتب التفسير
د. محمد بن محمد أبوشهبة
(ط٥ . الهيئة العامة لشئون المطابع
الاميرية ، القاهرة (١٣٩٣هـ) .
- (١٢) اعجاز القرآن
أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمى .
عارضه وعلق عليه فؤاد سزكين
(ط ٢) (١٤٠١هـ) مؤسس الرسالة ،
بيروت ، لبنان .
- (١٣) أسباب النزول
أبى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى
ط (٢) (١٣٨٧هـ) مصطفى البابى / مصر .
- (١٤) اعراب القرآن
الزجاج ، تحقيق ابراهيم الابيارى
ط (١٩٦٣م) المطابع الاميريــــــــــــــــة ،
القاهرة .
- (١٥) الاعجاز العددى للقرآن
الكريم .
عبدالرزاق نوفل ، ط (٤) (١٤٠٣هـ) ،
دار الكتاب العربى . بيروت .
- (١٦) البرهان فى علوم القرآن
بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى ،
تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ،
ط (١) (١٣٧٦هـ) دار احياء الكتب العربية ،
مصر .
- (١٧) البيان فى ضوء أساليب
القرآن
د. عبدالفتاح لاشين ، ط (١) (١٩٨٤م) ،
دار المعارف ، القاهرة .

- (١٨) بينات المعجزة الخالدة
حسن ضياء الدين عتـر ، ط (١) (١٣٩٥ هـ) ،
دار النصر ، سورية .
- (١٩) التبيان فى أقسام
القرآن
شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكير
المعروف بابن قيم الجوزية ، تصحيح
محمد حامد الفقى (ط ١٤٠٢ هـ) ، دار
المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- (٢٠) التبيان فى أقسام
القرآن
ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد زهرى
النجار ، ط. المؤسسة السعودية
بالرياض .
- (٢١) تأويل مشكل القرآن
أبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ،
شرح السيد احمد مقرر ، ط (٢) (١٣٩٣ هـ)
دار التراث ، القاهرة .
- (٢٢) التصوير الفنى فى القرآن
سيد قطب ، (ط ٨) ، دار المعارف ،
القاهرة .
- (٢٣) الجمان فى تشبيهات
القرآن
أبوالقاسم عبدالله ابن نايقا البغدادي ،
تحقيق د. مصطفى الصاوى الجوينى
ط . دار المعارف ، الاسكندرية .
- (٢٤) دراسات لاسلوب القرآن الكريم
محمد عبدالخالق عظيمه ، مطبعة السعادة ،
القاهرة .
- (٢٥) دستور الاخلاق فى القرآن
د. محمد عبدالله دراز ، تحقيق
د. عبدالصبور شاهين ، مراجعة دكتور السيد
محمد بدوى (ط ١) (١٣٩٣ هـ) دار البحوث
العلمية ، الكويت .
- (٢٦) قصص الأنبياء
عبدالوهاب النجار (ط ٣) دار احياء
التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

- (٢٧) القصص القرآني في مفهومه
ومنظومه
عبدالكريم الخطيب ، دار المعرفة ،
بيروت ، لبنان .
- (٢٨) القصص القرآني من العالم
المنظور وغير المنظور
عبدالكريم الخطيب (ط (١) (١٤٠٤ هـ) ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- (٢٩) قصص القرآن
محمد أحمد جاد المولى + على محمد البجاوي
+ محمد ابوالفضل ابراهيم + السيد شحاته ،
ط (١٠) (١٣٨٩ هـ) المكتبة لتجارية ، مصر .
- (٣٠) قضية الاعجاز القرآني
د.عبدالعزیز عبدالمعطي عرفه ، ط (١) ،
(١٤٠٥ هـ) عالم الكتب ، بيروت .
- (٣١) القرآن المعجزة الكبرى
محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي .
- (٣٢) القرآن معجزة ومنهج
محمد متولى الشعراوى (ط (١) (١٤٠٥ هـ) ،
دار النسيدي ، بيروت ، لبنان .
- (٣٣) مباحث في علوم القرآن
د. صبحي الصالح (ط (١) (١٩٦٩ م) دار العلم
للملايين . بيروت .
- (٣٤) مناهل العرفان في علوم
القرآن
محمد عبدالعظيم الزرقاني ، دار احياء
الكتب العربية . مصر .
- (٣٥) مناهل العرفان في علوم
القرآن
محمد عبدالعظيم الزرقاني ، دار احياء
التراب العربي / بيروت ، لبنان .
- (٣٦) من بلاغة القرآن
أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ،
القاهرة .
- (٣٧) المعاني في ضوء أساليب
القرآن
د.عبدالفتاح لاشين ، ط (٤) (١٩٨٣ م) ،
المطبعة الأموية .
- (٣٨) من أساليب القرآن
د. ابراهيم لسامرائي ط (١) (١٤٠٣ هـ) ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- (٣٩) المفردات فى غريب القرآن
ابى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى ، تحقيق سيد كيلانى ط . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- (٤٠) النظم القرآنى فى سورة الرعد
محمد بن سعد الدبل ط عالم الكتب .
- (٤١) الوحي المحمدى
محمد رشيد رضا (ط (١) مكتبة القاهرة .
- (٤٢) وجوه من الاعجاز القرآنى
مصطفى الدباغ ، ط (١) (١٩٨٢م) مكتبة المنار الاردن .
- (٤٣) التفسير والمفسرون
د . محمد حسين الذهبى ، ط (٢) (١٣٩٦هـ) ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

ثانيا : التفسير :

- (١) ارشاد العقل السلي الى مزايا الكتاب الكريم .
أبو السعود بن محمد العمادى ، على هامش الفخر الرازى (ط (١) (١٣٩٨ هـ) دار الفكر بيروت .
- (٢) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن
محمد الاين بن محمد المختار الشنقيطى (ط (٢) ١٤٠٠ هـ ، ط (١٤٨٤هـ) مطبعة المدنى ، القاهرة .
- (٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال
ناصر الدين احمد المالكى ، انتشارات اختاب ، تهران ، على هامش الكشاف .
- (٤) أحكام القرآن
أبوبكر احمد بن على الرازى الجصاص ، ط . دار الفكر ، بيروت .
- (٥) أحكام القرآن
أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط . عيسى البابى الحلبي . مصر .

- (٦) املاء مامن به الرحمن من
الاعراب والقراءات في
جميع القرآن .
أبوالبقاء عبدالله بن الحسن العكبري
علىهامش الفتوحات الالية للجمل ط . دار
الفكر . بيروت .
- (٧) البحر المحيط
محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي
الغرناطي ط (٢) (١٣٩٨هـ) دار الفكر،
بيروت .
- (٨) بصائر ذوى التمييز في
لطائف الكتاب العزيز .
مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي
تحقيق محمد على النجار ، ط . المكتبة
العلمية ، بيروت . لبنان .
- (٩) تفسير البيضاوى المسمى
انوار التنزيل واسرار
التأويل
ناصر الدين ابوالخير عبدالله بن عمـر
الشيرازى البيضاوى (ط ١٤٠٢هـ) دار الفكر،
ط . مؤسسه شعبان ، بيروت ، ط . دارصادر
بيروت ، هامش حاشية الشهاب .
- (١٠) تنوير المقباس تفسير
ابن عباس .
عبدالله بن عباس حبر الامة ط . محمد امين
دميج . بيروت .
- (١١) التحرير والتنوير
محمد الطاهر بن عاشور ط . دار التونسية
للنشر . تونس (١٩٨٤م) .
- (١٢) تيسير الكريم الرحمن فى
تفسير كلام المنان .
عبدالرحمن بن ناصر السعدوى (ط ١٣٩٨هـ)
مكة للطباعة / مكة المكرمة .
- (١٣) جامع البيان عن تأويل
آى القرآن
أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، ط (٣) ،
(١٣٨٨هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبي،
مصر .
- (١٤) الجامع لأحكام القرآن
أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصارى
القرطبي . ط . دار الشعب . القاهرة ،
دار الكتاب العربى .
- (١٥) الجواهر فى تفسير القرآن
طنطاوى جوهر ، ط (٢) (١٣٥٠هـ) مصطفى
البابى الحلبي . مصر .

- (١٦) تفسير الجلالين على هامش
لفتوحات الالهية وعلـي
هامش القران الكريم وعلى
هامش حاشية الصاوى .
- (١٧) حاشية الشهاب المسمى
بعناية القاضى وكفاية
الراضى على تفسير
البيضاوى
- (١٨) حاشية الصاوى على تفسير
الجلالين
- (١٩) حاشية الكازرونى على
هامش البيضاوى
- (٢٠) تفسير الخازن المسمى لباب
التاويل فى معانى
التنزيل
- (٢١) الدر المنثور فى التفسير
بالمأثور
- (٢٢) روح المعانى فى تفسير القرآن
العظيم والسبع المثانى
- (٢٣) زاد المسير فى علم
التفسير
- (٢٤) تفسير سورة النبأ
- ١) جلال الدين محمد بن احمد المحلى ،
٢) جلال الدين ابوالفضل عبدالرحمن بن ابى بكر
السيوطى ، طه دار مروان ، دار العربية ،
طه دار احياء التراث . بيروت .
- الشهاب الخفاجى ، طه دار صادر . بيروت .
- احمد الصاوى المالكى ، طه دار احياء
التراث العربى . بيروت .
- ابوالفضل القرشى الصديقى الخطيب ، المشهور
بالجازرونى ، طه مؤسسه شعبان . بيروت .
- علاء الدين على بن محمد البغدادى المعروف
بالخازن طه . دار المعرفة . بيروت ،
لبنان .
- جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى
طه . محمد امين دمح . بيروت .
- ابوالفضل شهاب الدين السيد محمود
الالوسى تصحيح محمود شكرى الالوسى
طه احياء التراث العربى . بيروت .
لبنان .
- ابوالفرج عبدالرحمن بن على المعروف
بابن الجوزى (ط (١) (١٣٨٥هـ) المكتب
الاسلامى . دمشق .
- محمد متولى الشعراوى ، طه دار المسلم .

- (٢٥) تفسير سورة عبس
محمد متولى الشعراوى ، ط. المختار
الاسلامى . القاهرة .
- (٢٦) تفسير سورة النور
أبو الأعلى المودودى ، تعريب محمد
عاصم الحداد ط (١٣٩٩هـ) مؤسسه
الرسالة . بيروت .
- (٢٧) صفوة التفاسير
محمد على الصابونى (ط (٤) (١٤٠٢ هـ)
دار القرآن الكريم . بيروت .
- (٢٨) غاية البيان فى تفسير
القرآن الكريم
محمود محمد حمزه + حسن علوان + محمد
احمد برانق (ط . ادارة احياء التراث
الاسلامى) قطر .
- (٢٩) فتح القدير / الجامع بين
فنى الرواية والدراية
من علم التفسير .
محمد بن على بن محمد الشوكانى
ط. دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- (٣٠) الفتوحات الالهية بتوضيح
تفسير الجلالين .
سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير
بالجمل (ط . دار الفكر . بيروت . وعلى
هامشه تفسير الجلالين) .
- (٣١) فى ظلال القرآن الكريم
سيد قطب (ط (٤) (١٣٩٧هـ) دار الشروق
بيروت . دار شروق . القاهرة .
- (٣٢) فتح البيان فى مقاصد
القرآن
أبو الطيب صديق خان الحسين ط (١) بولاق
- (٣٣) تفسير القرآن العظيم
أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى
ط . المكتبة التجارية الكبرى . مصر
- (٣٤) التفسير القيم
شمس الدين ابن القيم / جمع محمد اديس
النوى حقه محمد حامد الفقى
ط . التراث العربى . بيروت . لبنان .

- (٣٥) تفسر القاسمى : المسمى
محاسن التأويل
محمد جمال الدين القاسمى تصحيح محمد
فؤاد عبد الباقي (ط ٢) (١٣٩٨ هـ)
دار الفكر . بيروت .
- (٣٦) الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الاقوايل فى وجوه
التأويل .
ابى القاسم جار الله محمود بن عمـر
الزمخشري الخوارزمي ، ط . انتشارات ،
اخاب ، تهران ط (١٩٦٦) الحلبي
القاهرة .
- (٣٧) التفسير الكبير المسمى
مفاتيح الغيب
محمد بن عمر بن الحسين الرازى المعروف
بفخر الدين الرازى (ط ١) (١٣٩٧ هـ)
دار الفكر . بيروت . ط ١ المطبعة
الحسينية - مصر .
- (٣٨) تفسير المراغى
احمد مصطفى المراغى ، (ط ٣) (١٣٩٤ هـ)
احياء التراث العربى . بيروت . لبنان .
- (٣٩) معانى القرآن
ابوزكريا يحيى بن زياد الفراءى ط (٢) ،
(١٩٨٠ م) عالم الكتب . بيروت .
- (٤٠) تفسير المنار
محمد رشيد رضا ط (١٩٧٢ م) الهيئة
المصرية العامة للكتاب .
- (٤١) المنتخب من تفسير
القرآن الكريم
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- (٤٢) الميزان فى تفسير القرآن
السيد برهسين الطباطبائى ، ط . مؤسسه
الاعلى للمطبوعات . بيروت . لبنان .
- (٤٣) المختار من تفسير
القرآن
محمد متولى الشعراوى ، ط . (مكتبة
التراث الاسلامى . القاهرة) .
- (٤٤) مختصر تفسير ابن كثير
اختصار وتحقيق محمد هلى الصابونى
ط (١) (١٣٩٣ هـ) دار القرآن الكريم -
بيروت .

- (٤٥) منهج سورة النور فى
اصلاح النفس والمجتمع
كامل سلامة الدقس (ط ٢) (دار
الشروق) جدة .
- (٤٦) تفسير النفسى المسمى مدارك
التنزيل وحقائق التأويل
أبو البريكات عبيد الله احمد بن
محمود النفسى ط . دار احياء الكتب
العربية للحلبى - القاهرة ط . على
هامش تفسير لخازن . دار المعرفة
بيروت . لبنان .
- (٤٧) النهر الماء من البحر على
هامش البحر المحيط
محمد بن يوسف الشهير بابى حيلان
الاندلسى (ط ٢) ١٣٩٨ هـ دار الفكر .

ثالثاً: الحديث وعلومه :

- (١) صحيح البخارى
أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ،
ط . دار مطابع الشعب .
- (٢) صحيح مسلم
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري
النيسابوري . تحقيق وتصحيح محمد
فؤاد عبدالباقي ، ط . دار احياء التراث
العربي .
- (٣) مختصر صحيح البخارى
محمد ناصر الدين الالبانى (ط (١) ،
(١٣٩٤هـ) المكتب الاسلامى . بيروت .
- (٤) مختصر صحيح مسلم
زكى الدين عبدالعظيم المنذرى تحقيق
محمد الالبانى (ط (٣) (١٣٩٧) المكتب
الاسلامى . بيروت .
- (٥) سنن الترمذى (الجامع
الصحيح)
أبو عيسى محمد الترمذى ، تحقيق
عبد الوهاب عبداللطيف ط (٣) (١٣٩٨هـ)
دار الفكر .
- (٦) سنن ابى داود
أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني
تعليق احمد سعد على (ط (١) (١٣٧١هـ) ،
مصطفى البابى مصر .
- (٧) سنن النسائى (المسمى
بالمجتبى)
أبو عبدالرحمن بن شعيب النسائى
مع شرح السيوطى (ط (١) (١٣٨٣هـ) ،
مصطفى البابى / مصر .
- (٨) سنن ابن ماجه
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني
ابن ماجه / تعليق محمد فؤاد
عبدالباقي ط . عيسى البابى .
- (٩) موطأ الامام مالك
اعداد احمد راتب فرموش ط (٤) (١٤٠٠هـ)
دار النفائس . بيروت .

- (١٠) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف .
 أبو محمد زكى الدين المنذرى
 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط (١)
 (١٣٧٩هـ) مطبعة السعادة / مصر .
- (١١) الادب المفرد
 أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
 البخارى / نشره قصي محب الدين
 الخطيب ط (٢) (١٣٧٩هـ) القاهرة .
- (١٢) تلخيص الجبير فى تخريج احاديث الراعى الكبير .
 أحمد بن على بن حجر العسقلانى
 تحقيق د . شعبان محمد اسماعيل
 مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة .
- (١٣) التلخيص على هامش المستدرک
 أبو عبد الله شمس الدين الذهبى ، ط .
 دار الكتاب العربى . بيروت .
 لبنان .
- (١٤) تهذيب ابن القيم لسنن أبى داود .
 ابن قيم الجوزية على هامش مختصر
 سنن أبى داود للمنذرى تحقيق
 محمد حامد الفقى . مكتبة لسننة
 المحمدية .
- (١٥) الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير .
 جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر
 السيوطى ط (٤) دار الفكر . بيروت .
- (١٦) جامع الاصول من احاديث الرسول .
 ابوالسعادات مبارك بن محمد بن
 الاثير الجذرى ، تحقيق محمد حامد
 الفقى (ط (٢) (١٤٠٠هـ) دار احياء
 التراث العربى . بيروت . لبنان .
- (١٧) الجوهر النقى على هامش سنن البيهقى
 علاء الدين برعلى الماردينى
 الشهير بابن التركمانى ط . دار الفكر .
- (١٨) جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد .
 محمد بن محمد بن سليمان ط (١) ،
 (١٣٤٥هـ) المطبعة الخيرية . الهند .

- (١٩) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين
محي الدين ابوزكريبيحي بن شـــــــــــــرف
النووي تحقيق عبدالله احمد ابوزينــــــــــــة
مطابع الشعب : القاهرة .
- (٢٠) سنن الدارقطني
على بن عمر الدارقطني (ط ٢) (١٤٠٣هـ)
عالم الكتب . بيروت .
- (٢١) سنن الدارمي
أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمــــــــــــن
الدارمي (ط . دار الكتب العلمــــــــــــة
بيروت . لبنان) .
- (٢٢) سلسلة الاحاديث الصحيحة
محمد ناصرالدين الالباني (ط ٢) ،
(١٣٩٩هـ) المكتب الاسلامي . بيروت .
- (٢٣) سلسلة الاحاديث الضعيفة
محمد ناصرالدين الالباني ط (٥)
(١٤٠٥ هـ) المكتب الاسلامي . بيروت .
- (٢٤) السنن الكبرى
ابوبكر احمد بن الحسين البيهــــــــــــقي
ط . دار الفكر .
- (٢٥) صحيح ابن خزيمة
أبوبكر محمد بن اسحاق بن خزيمــــــــــــة
النيسابوري ، تحقيق محمد مصطــــــــــــفي
الأعظمي (ط .) (١٤٠٠هـ) المكتب
الاسلامي . بيروت .
- (٢٦) صحيح ابن حبان
أبوحاتم محمد بن حبان البســــــــــــتي ، ترتيب
علاء الدين علي بن الفارسي تحقيــــــــــــق
شعيب الارنؤوط وحسيــــــــــــد
(ط (١) (١٤٠٤هـ) مؤســــــــــــة الرســــــــــــالة ،
بيروت .
- (٢٧) صحيح الجامع الصغير
محمد ناصرالدين الالباني ط (١) (١٣٨٨هـ)
المكتب الاسلامي . بيروت .
وزياداته

- (٢٨) ضعف الجامع الصغير
وزياداته
محمد ناصر الدين الالبانى
(ط ٢) (١٣٩٩هـ) المكتب الاسلامى . بيروت .
- (٢٩) الفتح الكبير فى ضم الزيادات
الى الجامع الصغير .
الامام جلال الدين السيوطى ترتيباً
يوسف النبهانى (ط . دار الكتاب
العربى . بيروت . لبنان) .
- (٣٠) كنوز الحقائق فى حديث
خير الخلائق .
عبدالرؤوف المناوى ط (٤) دار الفكر .
بيروت . على هامش الجامع الصغير
للسيوطى -
- (٣١) مسند احمد
أبو عبدالرحمن عبدالله بن احمد بن
محمد بن حنبل . فهرست : محمد ناصر
الدين الالبانى ط . المكتب الاسلامى
دار صادر . بيروت .
- (٣٢) مسند ابى داود الطيالسى
سليمان بن داود بن الجارود البصرى
الشهير بابى داود الطيالسى
ط . دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- (٣٣) المسند الحميدى
أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدى
تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمى ط . عالم
الكتب . بيروت .
- (٣٤) المستدرک على الصحيحين
أبو عبدالله الحاكم النيسابورى ط . دار
الكتاب العربى . بيروت . لبنان .
- (٣٥) المعجم الصغير
ابو القاسم سليمان بن احمد الطبرانى
ط (١٤٠٣هـ) دار الكتب العلمية ،
بيروت . لبنان .
- (٣٦) مجمع الزوائد ومنبع
الفوائد
نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى
ط (١٤٠٦هـ) دار المعارف - بيروت ،
لبنان .
- (٣٧) منتخب كنز العمال فى سنن
الاقوال والافعال
على بن حسام الدين الشهير بالمتقى/ على
هامش مسند احمد ط . المكتب الاسلامى
دار صادر . بيروت .

- (٣٨) مشكل الآثار
الحافظ أبى جعفر الطحاوى احمد بن محمد الازدى ط (١) (١٣٣٣هـ) دائـرة المعارف - الهند .
- (٣٩) مختصر سنن أبى داود
زكى الدين عبدالعظيم أبومحمد المنذرى ، تحقيق محمد حامد الفقى ط . مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة .
- (٤٠) المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنه .
شمس الدين ابو الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوى تصحيح وتعليق عبدالله محمد الصديق - تقديم عبدالوهاب ط (١) (١٣٩٩هـ) دار الكتب العلميه - بيروت - لبنان .
- (٤١) مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف
اختيار وتعليق عبدالبديع ط (١) (١٣٩١هـ) المكتب الاسلامى . بيروت .
- (٤٢) مصنف ابن أبى شيبه
أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبى شيبه العبسى صححه عبدالخالق الافغانى ط (١٤٠٦هـ) ادارة القرآن والعلوم الاسلاميه - باكستان .
- (٤٣) مجموع الحديث على أبواب الفقه
حمد بن عبدالوهاب / تصنيف عبدالعزيز الرومى + محمد البلتاجى + سيد حجاب تحقيق د . خليل ابراهيم ملا خاطر - من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود .
- (٤٤) الوايل الصيب من الكلم الطيب .
شمس الدين أبوعبدالله محمد بن قيس الجوزية تحقيق عبدالقادر و ابراهيم ارناؤوط - مكتبة المؤيد - الطائف ، ١٣٩٣هـ .
- (٤٥) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى
أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلانى (ط ٦) (١٣٠٤هـ) المطبعة الاميريه ببولاق - مصر .
- (٤٦) تحفة الأحونى بشرح جامع الترمذى
محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى - ط (٣) (١٣٩٩هـ) دارالفكر .

- (٤٧) التعليق المغنى على الدارقطنى
على هامش سنن الدارقطنى
ابوالطيب محمد شمس الحق العظيــــــــم
ابادى / ط (٣) ١٣٩٩ هـ دار الفكر .
- (٤٨) شرح السنة
ابومحمد الحسين بن مسعود الفراء
البغوى تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد
الشاويش ط (٢) (١٤٠٣هـ) المكتــــــــب
الاسلامى - بيروت .
- (٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى
محي الدين أبوزكريا الشافــــــــي
النووى ط . المطبعة المصرية .
- (٥٠) طرح التثريب فى شرح
التقريب .
زين الدين ابى الفضل ط . دار احياء
التراث العربى .
- (٥١) عمدة القارى شرح صحيح
البخارى .
بدرالدين ابى محمد محمود بن احمد
الصينى عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق
عليه شركة من العلماء بمساءــــــــة
ادارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد
منير الدمشقى - دار احياء التــــــــراث
العربى .
- (٥٢) عارضة الاحوذى بشرح
صحيح الترمذى
ابوبكر محمد بن عبدالله الاشبيــــــــي
المعروف بابن العربى المالــــــــي،
دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- (٥٣) عون المعبود بشرح سنن
ابى داود
أبو الطيب محمد شمس الحق العظيــــــــم
ابادى ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان
ط (٢) (١٣٨٨هـ) المكتبة السلفيــــــــة
بالمدينة المنورة .
- (٥٤) شرح الحافظ ابن قيم الجوزية
لسنن ابى داود
أبوبكر محمد بن قيم الجوزية، على هامش
عون المعبود للابادى ط (٢) (١٣٨٨هـ) ،
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

- (٥٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى
أحمد بن على بن حجر العسقلانى/ تحقيق عبدالعزیز بن باز ط (١٣٨٠هـ) المطبعة السلفية - القاهرة .
- (٥٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى
ابن حجر العسقلانى - تقديم السيد احمد صقر ط . دار الكتاب الجديد لجنة احياء التراث الاسلامى .
- (٥٧) فيض البارى على صحيح البخارى
محمد انور الكشميرى ط . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- (٥٨) حاشية البدرى السارى الى فيض البارى
محمد بدر عالم الميغنى ط . دار المعرفة بيروت ، لبنان . على هامش فيض البارى .
- (٥٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير .
محمد المدعو بعنيد الرووف المناوى ط . (٢) (١٣٩١هـ) دار المعرفة ، بيروت . لبنان .
- (٦٠) الفتح الربانى لترتيب مسند احمد .
احمد عبدالرحمن البنا الشهيبر بالساعاتى ط . دار الحديث . القاهرة .
- (٦١) بلوغ الامانى من اسرار الفتح الربانى .
احمد عبدالرحمن البنا الشهيبر بالساعاتى ط . (دار الحديث . القاهرة) على هامش الفتح .
- (٦٢) معالم السنن على هامش مختصر سنن ابى داود .
أبوسليمان حمد بن محمد البستى الخطابى تحقيق محرز حامد الفقى ط . مكتبة السنة المحمدية .
- (٦٣) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين
د . مصطفى الحسن + د . مصطفى البغدادى + محي الدين مستو + على الشربجى + محمد أمين لطفى ، ط (٢) (١٣٩٨هـ) مؤسسة الرسالة . بيروت .

- (٦٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الاخيار
محمد بن علي بن محمد الشوكاني
ط (١٩٧٣م) دار الفكر . دار الجيل
بيروت . لبنان .
- (٦٥) هداية الباري الى ترتيب أحاديث البخاري
عبدالرحيم عنبر الطهطاوي ط (٣) (١٣٥٣هـ)
مطبعة الاستقامة .
- (٦٦) التاريخ الكبير
أبو عبدالله اسماعيل بن ابراهيم
الجعفي البخاري (ط (٢) (١٣٨٢هـ) حيدر
آباد .
- (٦٧) التاريخ الصغير
أبو عبدالله اسماعيل البخاري ط (٤) ،
(١٤٠٢هـ) جاويد رياض ادارة ترجمان
السنة / لاهور مطبعة المكتبة الاثرية
باكستان .
- (٦٨) تقريب التهذيب
احمد بن حجر العسقلاني / تحقيق
عبد الوهاب عبداللطيف ط (٢) (١٣٩٥هـ)
دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- (٦٩) تهذيب التهذيب
ابن حجر العسقلاني ط (١) (١٣٢٥هـ) دائرة
المعارف النظامية / الهند .
- (٧٠) تذكرة الحفاظ
أبو عبدالله شمس الدين الذهبي . ط .
دار احياء التراث العربي . بيروت ،
لبنان .
- (٧١) تنزيله الشريعة المرفوعة
عن الاخبار الشنيعة
الموضوعة .
أبو الحسن علي بن محمد بن عراقسي
الكناني / تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف
عبدالله حمد الصديق ، ط (١) (١٣٩٩هـ)
دار الكتب العلمية - بيروت . لبنان .
- (٧٢) تحفة الاشراف بمعرفة
الاطراف
جمال الدين ابوالحجاج يوسف بن الزكي
المزني تصحيح عبدالصمد شرف الدين
ط (١٣٨٤هـ) المطعة القيمية / بومباي /
الهند .

- (٧٣) اصول التخريج ودراسة
الاسانيد
د. محمد الطحان ط (٢) (١٣٩٩هـ) دار
القران الكريم . بيروت .
- (٧٤) تيسير مصطلح الحديث
د. محمود الطحان ط (٣) (١٤٠١ هـ) دار
القران الكريم . بيروت .
- (٧٥) الجرح والتعديل
أبومحمد عبدالرحمن بن ابراهيم محمد بن
ادريس التميمي الرازي (ط (١) (١٣٧١هـ) ،
مطبعة دائرة المعارف العثمانية / الهند .
- (٧٦) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال
في اسماء الرجال
صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي
الأنصاري ط (٣) (١٣٩٩هـ) المطبوعات
الاسلامية . بيروت .
- (٧٧) ديوان الضعفاء والمتروكين
شمس الدين بن عثمان الذهبي الدمشقي
تحقيق حماد الانصاري محمد الديوي
ط (١٣٨٧هـ) مطبعة النهضة الحديثية
بمكة المكرمة .
- (٧٨) ذيل تذكرة الحفاظ
أبوالمحاسن محمد بن علي الحسيني
الشافعي ط. دار احياء التراث العربي .
- (٧٩) الرسالة المستطرفه
لبيان مشهور كتب السنة
المشرفة .
محمد بن جعفر الكتاني ط (٢) (١٤٠٠ هـ) ،
دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- (٨٠) الضعفاء والمتروكين
ابوعبدالرحمن احمد بن شعيب النسائي ،
تحقيق محمود ابراهيم زايد ، ط (١) (١٣٩٦هـ)
دار الوعي - حلب . وطبعة المكتبة
الاثرية باكستان على هامش التاريخ
الصغير وطبعة ادارة ترجمان السنه
لاهور .
- (٨١) الضعفاء والمتروكين
ابوعبدالله البخاري ط (١) (١٣٩٦هـ) دار
الوعي بحلب . وطبعتين على هامش التاريخ
الصغير ط. لاهور + ط. باكستان .

- (٨٢) علل الحديث
أبو محمد عبدالرحمن الرازي (ط ٠ (١٣٤٢هـ)
مكتبة المثنى • بغداد •
- (٨٣) علل الحديث ومعرفة
الرجال
على بن عبد الله المديني تحقيق —————
د. عبد المعطي قلعي ط (١) (١٤٠٠هـ) دار
الوعى - حلب •
- (٨٤) الفوائد المجموعة في
الاحاديث الموضوعة
محمد بن علي الشوكاني تحقيق عبدالرحمن
المعلمي اليماني - اشراف عبدالوهاب
عبد اللطيف - ط (١) (١٣٨٠هـ) مطبعة
السنة المحمدية • القاهرة •
- (٨٥) الفائق في غريب الحديث
للزمخري ط (١)
- (٨٦) كشف الخفاء ومزيل الالباس
عما اشتهر من الاحاديث
على السنة الناس •
اسماعيل بن محمد العجلوني ط (٣) (١٣٥١هـ)
دار احياء التراث العربي • بيروت •
- (٨٧) الكاشف في معرفة من له رواية
في كتبه السنة •
أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي
تحقيق عزت على عطيه ، موسى محمد الموشى
ط (١) (١٣٩٢هـ) دار النصر للطباعة •
- (٨٨) لسان الميزان
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
ط (٢) (١٣٩٠هـ) مؤسسه الاعلمى للمطبوعات
بيروت • لبنان •
- (٨٩) ميزان الاعتدال في نقد
الرجال
ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي
ط (١) (١٣٨٢هـ) دار المعرفة للطباعة
بيروت • لبنان •
- (٩٠) المجروحين من المحدثين
والضعفاء والمتروكين
محمد بن حبان البستي ، تحقيق محمود
ابراهيم زايد ط (١) (١٣٩٦هـ) دار الوعى
بحلب •
- (٩١) الممنوع في معرفة الحديث
الموضوع •
على القاري الهروي المكي ، تحقيق —————
عبدالفتاح ابو غدة ، ط (٢) (١٣٩٨ هـ) ،
مؤسسه الرسالة • بيروت •

- (٩٢) نصب الرأبعية لأحاديث الهداية .
ابو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي
ط (١) (١٣٥٧هـ) مطبعة دار المأمون
بشبرا .
- (٩٣) النهاية في غريب الحديث
والاثر .
مجد الدين ابي السعادات المبارك
ابن محمد الجزري ابن الاثير ، تحقيق
طاهر الزاوي + محمود الطناحي
ط (٥) (١٣٨٣هـ) .
- (٩٤) النكت الطراف على
الاطراف .
ابن حجر العسقلاني ، تصحيح عبدالصمد
شرف الدين ط () (١٣٨٤هـ) المطبعة
القيمية بومباي - الهند . على هامش
تحفة الاشراف .
- (٩٥) ذخائر المواريث في الدلالة
على مواضع الحديث .
عبدالغنى النبلسي ط . انتشارات -
اسماعيليان - تهران .

رابعاً : العقيـدة :

- (١) احياء علوم الدين
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ط . دار
المعرفة . بيروت . لبنان .
- (٢) توضيح العقائد
عبدالرحمن الجزيري . مطبعة الحضارة .
- (٣) طريق الهجرتين وباب
السعادتين
محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
تحقيق عبدالله بن ابراهيم الانصاري
ط . مطابع الدولة الحديثة - الدوحة -
قطر .
- (٤) مختصر الصواعق المرسله
على الجهمية المعطلة
محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية
اختصره محمد بن الموصلى ط (١٤٠٥هـ) دار
الندوة الجديدة . بيروت . لبنان .
- (٥) مدارج السالكين
ابن قيم الجوزية / تحقيق محمد حامد
اللقى ط . دار الفكر العربى .
- (٦) مفتاح دار السعادة
أبو عبدالله محمد بن ابى بكر بن قيم
الجوزية ط . دار الكتب العلمية ،
بيروت . لبنان .
- (٧) المغنى عن حمل الاسفار في
الاسفار في تخريج مافى الاحياء
من الاخبار .
زين الدين ابوالفضل عبدالرحيم بن الحسين
العراقى ط . دار المعرفة . بيروت . لبنان)
على هامش احياء علوم الدين للغزالي .
- (٨) موعظة المؤمنيين من
احياء علوم الدين .
محمد جمال لدين القاسمى (ط . دار المعرفة
بيروت - لبنان) .
- (٩) نزهة الاعين النواظر فى علم
الوجوه والنظائر
ابوالفرج عبدالرحمن بن على المعروف
باين الجوزى تحقيق محمد عبدالكريم
الراضى ط (١) مؤسسه الرساله . بيروت .

خامسا : الفقه :

- (١) الأم أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ط . دار الشعب (١٣٢١هـ) .
- (٢) الاموال أبو عبيد القاسم بن سلام ، تعليق محمد حامد الفقى . دار الفكر (١٩٧٥م) .
- (٣) اعلام الموقعين عن عذاب العالمين أبو عبد الله محمد بن قسيم الجوزية راجعه طه عبدالرؤوف سعد ط (١٣٨٨ هـ) ، مطبعة الحاج عبدالسلام بن محمد بن شقرون .
- (٤) الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان ابو العباس نجم الدين بن الرفعة الانصارى تحقيق د . محمد احمد الخاروف (ط ١٤٠٠ هـ) دار الفكر - دمشق .
- (٥) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع علاء الدين ابوبكر بن مسعود الكاسانى ط (١) (١٣٢٨هـ) مطبعة الجمالية - مصر .
- (٦) بداية المبتدى المعروف بالهداية برهان الدين ابى الحسن على بن عبد الجليل ابى بكر الميرغينانى ط . دار احياء التراث العربى على هامش فتح القدير .
- (٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي ط (٤) (١٣٩٨هـ) دار المعرفة - بيروت ، لبنان .
- (٨) التاج والاكليل لمختصر الخليل أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالموثق ط (٢) (١٣٩٨هـ) دار الفكر على هامش المواهب .
- (٩) تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق فخر الدين عثمان بن على الزيلعي (ط ٢) دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- (١٠) التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى عبدالقادر عوده ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

- (١١) حاشية الباجورى على شرح ابن قاسم الغزى
ابراهيم الباجورى ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- (١٢) حاشية لشلبى على تبیین الحقائق .
أحمد بن يونس الشهير بالشلبى ط (٢) ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان
على هامش تبیین الحقائق .
- (١٣) حاشية الشيخ سليمان
سليمان بن الشيخ عبدالله محمد بن عبدالوهاب ط (٢) المطبعة السلفية .
- (١٤) حاشية سعدى على شرح العناية والهداية .
سعدالله بن عيسى المفتى الشهير بسعدى حلبى وسعدى افندى ط. دار احياء التراث العربى . بيروت - لبنان . على هامش شرح فتح القدير .
- (١٥) زاد المعاد فى هدى خير العباد .
ابوعبدالله بن القيم الجوزى من مطبوعات ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد . الرياض .
- (١٦) زاد المعاد فى هدى خير العباد .
أبوعبدالله بن قيم الجوزية - تحقيق محمد الفقى ط . مطبعة السنة المحمدية وطبعة اخرى من المطبعة المصرية .
- (١٧) شرح فتح القدير للعاجز الفقير .
كمال الدين محمد بن عبدالواحد السكندرى المعروف بابن الهمام (دار احياء التراث العربى . بيروت - لبنان) .
- (١٨) شرح العناية على الهداية
محمد بن محمود البازرتى ط. دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان) على هامش فتح القدير .
- (١٩) شرح منتهى الارادات
منصور بن يونس بن الدريس اليهودى ، ط. دار الفكر .
- (٢٠) الشرح الكبير على هامش المغنى
شمس الدين ابوالفرج عبدالرحمن محمد بن قدامه المقدسى ط (١٤٠٣هـ) دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

- (٢١) غاية الاختصار على حاشية
الباجوري
- أبو الطيب أحمد بن الحسين الأصفهاني
المشتهر بابي شجاع ط. دار المعرفة
- بيروت - لبنان .
- (٢٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية
- أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية
ط (١) (١٣٩٨هـ) دار المعرفة . بيروت
لبنان .
- (٢٣) فتح العزيز شرح الوجيز
- أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي
ط . دار الفكر .
- (٢٤) الفقه الميسرفى
العبادات والمعاملات
- أحمد غيسى عاشور ط (٤) (١٣٩٨) هـ مكتبة
الاعتصام - القاهرة .
- (٢٥) الفقه للشيخ محمد بن
عبد الوهاب
- محمد بن عبد الوهاب ، تصنيف عبد العزيز
الرومی ، د . محمد بلتاجي ،
د . سيد حجاب ط (١) (١٣٩٨ هـ) جامعة
الامام محمد بن سعود بالرياض .
- (٢٦) الفقه على المذاهب
الاربعة
- عبد الرحمن الجزيري (ط ٣) دار احياء
التراث العربی . بيروت . لبنان .
- (٢٧) فقه الزكاة
- د . يوسف القرضاوى ط . مؤسسه الرسالة .
- (٢٨) فقه السنة
- السيد سابق و ط . المطبعة النموذجية .
- (٢٩) الكفاية على الهداية
- جلال الدين الخوارزمي الكرلاني ط . دار
احياء التراث العربی على هامش فتح
القدير .
- (٣٠) الكافي فى فقه أهل
المدينة المالكی
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
النمرى القرطبي ، تحقيق د . محمد
محمد الموريتانى ط . (١) (١٣٩٨ هـ) مكتبة
الرياض الحديثة . الرياض .
- (٣١) كشف القناع عن متن
الاقناع
- منصور بن يونس بن ادريس البهوتى ، راجعه
هلال مصيلحى هلال ط . مكتبة النصير
الحديثة .

- (٢٢) كتاب الخراج يحيى بن آدم بن سليمان القرشي
تصحيح أحمد محمد شاکر ط (١) (١٣٩٥ هـ)
المطبعة العلمية لاهور - باكستان
وعلى الهامش حاشية رياض الحسن النورى .
- (٢٣) شرح الكوكب المنير محمد بن احمد الحنبلى المعروف بابن
النجار ، تحقيق د. محمد الاصيلي ،
د. نزيه حماد . (ط (١٤٠٠ هـ) دار الفكر
دمشق .
- (٢٤) مواهب الجليل لشرح ابو عبد الله محمد بن محمد المغربي
المعروف بالحطاب ط (٢) (١٣٩٨ هـ) دار الفكر .
- (٢٥) المغنى لابن قدامه ابو حمد عبدالله بن احمد بن قدامه
ط ١ مكتبة الجمهورية العربية . مصر .
- (٢٦) المغنى مع الشرح الكبير ابو محمد عبدالله بن قدامة ط (١٤٠٣ هـ)
دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان .
- (٢٧) المقنع فى فقه أحمد بن موفق الدين عبدالله بن احمد بن قدامه
ط (٢) المطبعة السلفية . حنبل .
- (٢٨) المجموع على شرح المهذب ابو زكريا محي الدين بن شرف النووى ،
ط. دار الفكر .
- (٢٩) المحلى ابو محمد على بن احمد بن حزم الاندلسي
تحقيق احمد شاکر ط. مطبعة المنيرية .
- (٤٠) مختصر الحليل المزنى ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى
الشافعى ط (١) (١٣٢١ هـ) (دار الشعب) .
- (٤١) موسوعة فقه عثمان بن محمد رواي قلعي ط (١) (١٤٠٤ هـ)
مكتبة الخانجي - القاهرة . عفان
- (٤٢) موسوعة فقه عبدالله بن محمد رواي قلعي ط (١) (١٤٠٤ هـ)
مطبعة المدنى . القاهرة . مسعود

- (٤٣) موسوعة الاجماع فى الفقه الاسلامى
سعدى ابوحبيب ط. دار العربيــــــــــــة
بيروت - لبنان .
- (٤٤) المحرر فى الفقه
مجد الدين ابى البركات عبدالسلام بــــــــــــن
عبدالله بن تيمية الحرانى (ط (١٣٦٩هـ)
مطبعة السنة المحمدية .
- (٤٥) المختار فى شرح غاية
الاختصار
شمس الدين عبوعبدالله محمد بن قاسم
الغزى الشافعى ط. دار المعرفة ،
بيروت . لبنان .
- (٤٦) مجموع فتاوى ابن تيمية
أبوالعباس احمد بن عبدالحليم بن تيمية
جمع عبدالرحمن بن محمد النــــــــــــدى
ط (١) (١٣٩٨هـ) .
- (٤٧) الوجيز علىهامش
المجموع
حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمــــــــــــد
الغزالى ط. دار الفكر .

سادسا : التاريخ والسير :

- (١) البداية والنهاية
ابوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي
ط (٢) (١٣٧٧هـ) مكتبة المعارف • بيروت
- (٢) تهذيب سيرة ابن هشام
عبد السلام هارون ط (٦) (١٣٩٩هـ) مؤسسة
الرسالة - بيروت •
- (٣) حياة الصحابة
محمد يوسف الكاندهلوى ط • دار المعرفة
بيروت - لبنان •
- (٤) حكم واحكام من السيرة
النبوية
عبد الله عبدالغنى خياط ط (١) (١٤٠١ هـ)
دار الرفاعي • السعودية •
- (٥) الرحيق المختوم
صفى الرحمن المباركفورى ط (١) (١٤٠٠هـ)
مكة المكرمة •
- (٦) الروض الانف وشرح السيرة
النبوية لابن هشام •
ابوالقاسم عبدالرحمن السهيلي ، تحقيق
عبدالارحمن الوكيل ط • دار النصر للطباعة
القاهرة •
- (٧) الدرر فى اختصار المغازى
والسير •
يوسف بن عبدالبر النمري ، تحقيق شوقي
ضيف (ط) (١٣٨٦هـ) •
- (٨) السيرة النبوية
ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافى -
تحقيق مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى -
عبد الحفيظ شلبى - ط (٢) (١٣٧٥هـ) مصطفى
البنابى الحلبي •
- (٩) السيرة النبوية
ابوالفداء اسماعيل بن كثير ، تحقيق
مصطفى عبدالواحد ط • (١٣٩٦هـ) دار المعرفة
بيروت - لبنان •
- (١٠) سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم
ابن هشام ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين
عبد الحميد - توزيع ادارتى البحوث •

- ١١- السيرة النبوية
ابوالحسن على الندوى (ط (٢) (١٣٩٩ هـ)
دار الشروق .
- (١٢) شرح المواهب اللدنية
محمد الزرقانى المالكى (ط (٢) (١٣٩٣هـ)
دار المعرفة للطباعة . بيروت . لبنان .
- (١٣) صفة الصفوة
جمال الدين ابوالفرج عبدالرحمن بن علي
ابن الجوزى تحقيق محمود فاخورى ،
د. محمد رواس قلجى (ط (٢) (١٣٩٩ هـ))
دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- (١٤) الفصول فى اختصار سيرة
الرسول صلى الله عليه وسلم
اسماعيل بن كثير ، تحقيق محمد الخضراوى
محي الدين منور ط . دار القران . دار
القلم . لبنان . دمشق .
- (١٥) القول المبين فى سيرة
سيد المرسلين
د. محمد الطيب النجار ط . دار الاعتصام .
- (١٦) الكامل فى التاريخ
عز الدين ابى الحسين على الشيبانى
المعروف بابن الاثير (ط . (١٣٩٩ هـ)) دار
صادر . بيروت .
- (١٧) مروج الذهب ومعادن
الجواهر
ابوالحسن على المسعودى تحقيق محمد
محي الدين عبدالحميد (ط (٤) (١٣٨٤ هـ)) دار
السعادة - مصر .
- (١٨) المواهب اللدنية بالمنح
المحمدية
احمد بن محمد بن ابى بكر الخطيب
القسطلانى ط . دار الكتب العلمية .
- (١٩) مختصر سيرة الرسول صلى
الله عليه وسلم
محمد بن عبدالوهاب / تحقيق محمدحامد
الفقى ط (١) ١٣٧٥ هـ مطبعة السنّة
المحمدية . القاهرة .
- (٢٠) نور اليقين فى سيرة
سيد المرسلين
محمد الحضرى بك ط . دار الفكر . بيروت .
- (٢١) النبوة والأنبياء
محمد على الصابونى (ط (٢) (١٤٠٠ هـ)) ،
توزيع ادارات البحوث .

سابعاً : اللغة والأدب :

اولاً : اللغة :

- (١) أنيس الفقهاء
قاسم بن عبدالله القونوي ، تحقيق
د. احمد بن عبدالرزاق الكبسي
ط . (١) (١٤٦٦هـ) دار الوفاء . المملكة
العربية السعودية . جدة .
- (٢) اساس البلاغة
جار الله ابوالقاسم محمود بن عمر
الزمخشري (ط (١٣٩٩هـ) .
- (٣) تاج العروس من جواهر
القاموس
أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي
ط (١) (١٣٠٦هـ) المطبعة الخيرية . مصر .
- (٤) تهذيب اللغة
ابومنصور محمد بن احمد الازهري، تحقيق
ابراهيم الابياري ط . دار الكتاب
العربي (١٩٦٧م) وطبعة اخرى بتحقيق
على حسن هلال - محمد على النجار/ مطابع
سجل العرب .
- (٥) دلالات التراكيب
د . مجمد محمد ابوموسى ط (١) (١٣٩٩هـ)
مكتبة وهبة . القاهرة .
- (٦) شرح ابن عقيل على ألفية
ابن مالك .
بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي
المصرى ط (٣) (١٣٨٢هـ) مطبعة
السعادة . - مصر .
- (٧) شرح شذور الذهب
أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف
ابن هشام ط . دار الفكر .
- (٨) الصحاح تاج اللغة
وصحاح العربية
اسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق
أحمد عبدالغفور عطار/ ط (٢) (١٤٠٢هـ) .
- (٩) القاموس المحيط
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
المؤسسة العربية . بيروت . لبنان .

- (١٠) الكواكب الدرية شرح
متممة الاجرومية
محمد بن احمد بن عبدالبارى الاهدل ،
ط. دار احيا ء الكتب العربية . مصر .
- (١١) لسان العرب
ابن منظور ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ،
ابراهيم مرعشلى ، ط . دار لسان
العرب . بيروت . لبنان .
- (١٢) المساعد على تسهيل الفوائد
بهاء الدين بن عقيل / تحقيق د محمد
كامل البركان ط (١٤٠٠هـ) دار الفكر،
دمشق .
- (١٣) مغنى اللبيب عن كتب
الاعاريب
جمال الدين ابن هشام الانصارى . تحقيق
د. مازن المبارك ، محمد على حمدالله
راجعه سعيد الافغانى (ط (٥) (١٩٧٩م) ،
دار الفكر . بيروت .
- (١٤) المخصص
أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى الاندلسى
المعروف بابن سيده ، تحقيق لجنة
احياء التراث العربى ط دار الافاق
الجديدة . بيروت .
- (١٥) المصباح المنير فى غريب
الشرح الكبير .
أحمد بن محمد بن على المغربى الفيومى
تحقيق د. عبدالعظيم الشناوى . ط. دار
المعارف . القاهرة .
وطبعة اخرى بتصحيح مصطفى السقا .
- (١٦) مختار الصحاح
محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى ،
ط (٢) (١٣٦٩هـ) المطبعة الاميرية . مصر .

ثانياً: الادب :

- ١- ادب الكاتب
ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ،
تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ،
ط (٤) (١٣٨٢هـ) مطبعة السعادة . مصر .

- (٢) الاعجاز البلاغى
د. محمد محمد ابوموسى ط (١) (١٤٠٥هـ) ،
مطابع المختار الاسلامى . مصر
- (٣) أسرار البلاغة
عبدالقادر بن عبدالرحمن ، ابوبكر الجرجانى
شرح محمد عبدالمنعم خفاجى ط (٢) (١٣٩٦هـ) ،
مكتبة القاهرة . مصر .
- (٤) الامالى
ابوعلى اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى
ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٥) ذيل الامالى والنوادر
ابوعلى اسماعيل بن القاسم الغالى
ط . الهيئة المصرية للكتاب .
- (٦) التصوير البيانى دراسة
تحليلية لمسائل البيان
د . محمد محمد ابوموسى ط (٢) (١٤٠٠ هـ)
دار التضامن . القاهرة .
- (٧) جواهر الأدب
السيد احمد الهاشمى ط (٦) (١٣٨٥ هـ) ،
مطبعة السعادة . مصر .
- (٨) جواهر البلاغة فى علم المعانى
والبيان والبديع .
السيد احمد الهاشمى ط (١٢) (١٣٩٨ هـ) ،
دار الفكر . بيروت .
- (٩) خصائص التراكيب دراسة
تحليلية لمسائل علم المعانى
د . محمد ابوموسى ط (٢) (١٤٠٠ هـ) دار
التضامن للطباعة .
- (١٠) دلائل الاعجاز
عبدالقادر بن عبدالرحمن الجرجانى
ط (١٣٩٧هـ) مكتبة القاهرة . مصر ،
تعليق محمد عبدالمنعم الخفاجى .
- (١١) دلائل الاعجاز
عبدالقاهر الجرجانى ، تصحيح
محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، ط (٦) ،
(١٣٨٠هـ) مطبعة محمد على صبحى
القاهرة

- (١٢) شرح الكافية البديعية
عبدالعزیز بن سرايا بن علی السنبسی
الحلبی تحقیق د.نسیب نشاوی ط (١٤٠٢ هـ)
دمشق .
- (١٣) العقد الفريد
أحمد بن محمد بن عبدربه الاندلسی،
تحقیق محمد سعید العریان . ط . دار الفكر
بیروت .
- (١٤) علوم البلاغة
احمد مصطفى المراغی ، راجعة ابوالوفا
مصطفى المراغی ط (٥) المطبعة العربية .
- (١٥) فن البلاغة
د . عبدالقادر حسین ط (٢) (١٤٠٥ هـ) ،
عالم الكتب . بیروت .
- (١٦) الكامل فی اللغة
والادب .
أبو العباس محمد بن یزید المعروف بالمبرد
ط . مكتبة المعارف . بیروت .
- (١٧) كتاب الامثال
أبو عبید القاسم بن سلام ، تحقیق
د . عبدالمجید قطامش ط (١) (١٤٠٠ هـ) ،
دار المأمون .
- (١٨) كتاب الحيوان
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقیق
عبدالسلام هارون ، ط . احیاء التراث
بیروت .
- (١٩) كتاب الصناعتين
أبو هلال الحسین بن عبدالله بن سهل
العسکری تحقیق د . مفید قمحیه ط (١) ،
(١٤٠١ هـ) دار الكتب العلمية . بیروت ،
لبنان .
- (٢٠) كتاب نقد النثر
أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة
ابن زیاد المعروف بالكاتب البغدادي ،
ط (١٤٠٠ هـ) المكتبة العلمية ،
بیروت . لبنان .

- (٢١) مجمع الامثال
أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد
الميداني تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم طه عيسى البابي الحلبي .
- (٢٢) المستهص في امثال العرب
أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر
الزمخشري ط (٢) (١٣٩٧هـ) دار الكتب
العلمية . بيروت . لبنان .
- (٢٣) معجم البلاغة العربية
د. بدوي طبانه ط (٢) (١٤٠٢هـ) دار العلوم
الرياض .
- (٢٤) من بلاغة النظم العربي
د. عبدالعزيز عبد المعطي عرفه
ط (٢) (١٤٠٥هـ) عالم الكتب . بيروت .
- (٢٥) الموجز في تاريخ البلاغة
د. مازن المبارك ط (١) (١٤٠١هـ) دار الفكر ،
دمشق . بيروت .
- (٢٦) مدخل الى علم الاسلوب
شكري محمد عياد ، ط (١) (١٤٠٢هـ) دار
العلوم .
- (٢٧) نهاية الارب في فنون الادب
شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب
لنويري ط مطابع كوستاتسوماس . القاهرة .

شامنا : التراجم :

- ١- الاصابة في تمييز الصحابة
أبو الفضل احمد بن علي بن محمد ———
العسقلاني ط (١) (١٣٢٨هـ) مطبعة
السعادة • مصر •
- (٢) الاستيعاب في اسماء الاصحاب
ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله النمري القرطبي ط (١) (١٣٢٨هـ)
مطبعة دار السعادة • مصر - علي هامش
الاصابة •
- (٣) حلية الأولياء وطبقات
الاصفياء
أبونعيم احمد بن عبد الله الاصهاني
ط (٢) (١٣٨٧هـ) دار الكتاب العربي
بيروت • لبنان •
- (٤) الشافعي - حياته وعصره
محمد ابوزهرة ط (٢) (١٩٧٨م) دار الفكر
العربي • بيروت •
- (٥) الطبقات الكبرى
محمد بن سعد بن منيع المصري المكني
بأبي عبد الله ط (١٣٩٨هـ) دار بيروت ،
للطباعة - بيروت •

تاسعا: المعاجم :

- ١- معجم الفاظ القرآن الكريم
مجمع اللغة العربية ط (٢) (١٣٩٠هـ) ،
الهيئة المصرية العامة للتأليف
والنشر .
- ٢- معجم الالفاظ والاعلام
القرآنية
محمد اسماعيل ابراهيم ط (٢) دار النصر
القاهرة .
- ٣- ارشاد القاصد الى اسن
المقاصد
محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري
السنجاري (ط) (١٣٢٢هـ) بيروت .
- ٤- ابجد العلوم
صديق بن حسن القنوجي ، اعداد عبدالجبار
زكار ط (١٩٧٨م) دار الكتب العلمية
بيروت .
- ٥- ايضاح المكنون في الذيل
على كشف الظنون
اسماعيل باشا بن محمد امين الباباني
ط . مكتبة المثنى . بيروت .
- ٦- تاريخ التراث العربي
فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود فهمي
حجازي ، د. فهمي ابو الفضل ط. الهيئة
لمصرية العامة للكتاب (١٩٧٧م) .
- ٧- تاريخ الادب العربي
كارل بروكلمان . ترجمة د. عبدالحليم
النجار ط (٤) دار المعارف . القاهرة .
- ٨- دائرة معارف القرن
العشرين
محمد فريد وجدي ط (٣) (١٩٧١م) دار
المعرفة . بيروت .
- ٩- فتح الرحمن لطالب آيات
القرآن
فيض الله بن موسى محمد لالعلمي ط . دار
الفكر . بيروت .
- ١٠- الفصل في مقدمة ابن خلدون
تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م. كاترمير
طبعة باريس (١٨٥٨م) مكتبة لبنان .

- ١١- قصة الحضارة
ول ديورانت : ترجمة د. زكي نجيب محمود
ط (٣) (١٩٦٥م) مطبعة لجنة التأليف
والترجمة . القاهرة .
- ١٢- كشف الظنون عن اسامي
الكتب والفنون
مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفه
ط. مكتبة المثنى . بيروت .
- ١٣- معجم المصطلحات الجغرافية
د. يوسف توني ط (١٩٧٧م) دار الفكر
العربي .
- ١٤- المعجم الوسيط
مجمع اللغة العربية . اخراج د. ابراهيم
أنيس . د. عبد الحليم منتصر ، د. عطيه
الصوالحي ، د. محمد خلف الله احمد
اشرف على طبعة عبد السلام هـ
ط (٢) .
- ١٥- معجم مقاييس اللغة
أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق
عبد السلام هارون ط (٢) (١٣٩٠هـ) مطبعة
مصطفى البابي الحلبي . مصر .
- ١٦- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن
محمد فؤاد عبد الباقي ط (مطابع الشعب) .
- ١٧- المعجم المفهرس لالفاظ
الحديث النبوي
نشره أ. ي . ونسنك . مكتبة بريـل
في مدينة ليدن (١٩٣٦م) .
- ١٨- مفتاح الصحيحين
حمد الشريف ابن مصطفى التوقادي ط . (٢) ،
(١٣٩٥هـ) دار الكتب العلمية
بيروت . لبنان .
- ١٩- مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
ط. دار الفكر .
- ٢٠- مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون/ تحقيق
المستشرق الفرنسي أ. م . كاترمين ط (١٩٧٠)
مكتبة لبنان . بيروت .

محمد شفيق الغربال (ط ١٩٦٥م) دار نهضة
لبنان - بيروت • لبنان •

٢١- الموسوعة العربية الميسرة

تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة عارف
حكمت ، المدينة المنورة • وضـع
عمر رضا كحالة •

٢٢- نوادر المخطوطات

...

عاشرا : مراجع عامة :

- (١) أسس الجغرافيا الحيوية
د. زين الدين عبدالمقصود . ط . دارالمعارف
الاسكندرية .
- (٢) الله يتجلى في عصر العلم
نخبة من العلماء الامريكيين / ترجمة
الدمرداش عبد الحميد سرحان ط . دار القلم
بيروت . لبنان .
- (٣) الانسان في الكون بين
القرآن والعلم
د. عبدالمعطي عبد الرحمن خضر ط (١) (١٤٠٣هـ)
عالم المعرفة . المملكة العربية السعودية ،
جدة .
- (٤) الاسلام في عصر العلم
د. محمد احمد الغمراوي ط ١ ، دار الكتب
الحديثة . مطبعة السعادة .
- (٥) آيات الله في الآفاق
محمد احمد العدوي ط (١) (١٣٥٢هـ) مطبعة
المنار . مصر .
- (٦) أسس الجغرافيا المناخية
والنباتية
د. علي علي البنا (ط (١٩٧٠م) دار النهضة
العربية . بيروت . لبنان .
- (٧) اسهام العرب والمسلمين في
علم النبات
د. علي عبدالله الدفاع (ط ١) (١٤٠٥هـ) ،
مؤسسة الرسالة . بيروت .
- (٨) الاراضي الجافة
كنيث والطنون / ترجمة د. علي عبدالوهاب
شاهين ط . دار المعارف بالاسكندرية .
- (٩) الأدب النبوي
محمد عبدالعزيز الخولي ط (١٣٩٥هـ) دار
المعرفة . بيروت . لبنان .
- (١٠) الافات الزراعية الحشرية
والحيوانية
د. محمد دمحم حسن ، د. محمد عبدالحليم
عاصم ، د. السيد عبد النبي نصر ط (٢) (١٩٧٦م)
دار المعارف بمصر .

- (١١) تعطير الانام فى تعبير
المنام
عبدالغنى اسماعيل الشهير بابن النابلسي
ط . دار احياء التراث العربى .
- (١٢) تذكرة أولى الالباب والجامع
للعجب العجائب
داود بن عمر الانطاكى ط . الاخيـــــرة
(١٣٧١هـ . مطبعة البابى الحلبي . مصر .
- (١٣) تاريخ الزراعة القديمة
عادل ابوالنصر ط (١) (١٩٦٠م .
- (١٤) التداوى بالاعشاب
د . امين رويحه ط (٥) ١٩٧٨م دار القلم
بيروت . لبنان .
- (١٥) التداوى بالاعشاب والنباتات
عبداللطيف عاشور ط . مكتبة القـــــرآن،
بولاق . القاهرة .
- (١٦) تغذية الانسان
د . فاروق فاضل النورى . د . حصة جمال
الطالبانى ط . دار الكتب .
- (١٧) تفسير الايات الكونية
د . عبدالله شحاته ط (١) دار الاعتماد .
- (١٨) التمور والنخيل بالمملكة
العربية السعودية
د . طاهر خليفه ، محمد زيني جوانه ، محمد
ابراهيم السالم ط (١٤٠٣هـ) وزارة الزراعة
المملكة العربية السعودية . الرياض .
- (١٩) جامع بيان العلم وفضله
ابوعمر يوسف بن عبدالبر النمـــــرى
القرطبي ط (١٣٩٨هـ) دار الكتب العلمية
بيروت . لبنان .
- (٢٠) جامع العلوم والحكم
زين الدين بوالفرج عبدالرحمن بن شهاب
الدين بن رجب الحنبلى ط . دار البحوث
العلمية والافتاء والدعوة والارشـــــاد،
الرياض .
- (٢١) جغرافية لبيئات
محمود شاکر (ط . ١٣٩٨هـ) المكتـــــب
الاسلامى . بيروت .
- (٢٢) جغرافية المناخ والنبات
د . يوسف عبدالمجيد فايد (ط (١٩٧١م) دار
النهضة . بيروت .

- (٢٣) جغرافية الصناعة
احمد حبيب رسول (ط) (١٤٠٥هـ) دار النهضة
العربية • بيروت •
- (٢٤) جغرافية المملكة العربية
السعودية
عبدالرحمن صادق الشريف (ط) (٢) (١٤٠٥هـ) ،
الرياض - دار المريخ •
- (٢٥) الجغرافيا الزراعية
د. نصر الدين بدوي محمد ط (١) (١٤٠٤هـ) ،
المكتبة الفيصلية • مكة المكرمة •
- (٢٦) الجغرافيا الطبيعية
د. عبدالعزيز طريح شرف (ط) (٣) (١٩٧٩م) ،
مؤسسة الثقافة الجامعية •
- (٢٧) الجغرافيا الاقتصادية
د. فتحي ابو عيانة ط (١٤٠٤هـ) دار النهضة
العربية • بيروت •
- (٢٨) حادى الارواح الى بلاد
الافراج
محمد بن ابو بكر بن قيم الجوزية
ط (١) (١٤٠٣هـ) دار الكتب العلمية ،
بيروت ، لبنان •
- (٢٩) حديث الاسلام عن الأشجار
د. محمد السعيد امام •
- (٣٠) الجغرافيا المناخية
والنباتية
عبدالعزيز طريح شرف ط (٩) (١٩٨٣ م) ،
دار الجامعات المصرية •
- (٣١) الخلية
د. عماد الدين الشيشيني ، د. محمد عزيز
فكرى ، ط (٢) (١٩٧٧م) الهيئة المصرية
العامة • الاسكندرية •
- (٣٢) دنيا الزراعة والنبات
وما فيها من الايات
عبدالرزاق نوفل (ط) (١) •
- (٣٣) الدعوة الاسلامية
د. احمد احمد غلوش و ط • دار الكتاب
المصري • القاهرة ، دار الكتاب اللبناني
بيروت •

- (٣٤) دراسة فى الكتب المقدسة
موديس بوكاى - الترجمة لعربيــــــــــــــــة
ط . طبعة دار المعارف بالقاهرة .
- (٣٥) الرطب والنخلة
د. عبدالله عبدالرزاق السعيــــــــــــــــد
ط . (١) (١٤٠٥هـ) الدار السعوديهــــــــــــــــة
للنشر . جدة .
- (٣٦) الزراعة الجافة
د. عبدالله قاسم الفخرى . ط . دار الكتب
للطباعة والنشر .
- (٣٧) النخلة سيده الشجر
عبدالقادر باشا اعيان العباسى .
- (٣٨) الصحة والعلاج فى الطبيعة
والاعشاب
د . سامى محمود ، ط . (١) المرــــــــــــــــكز
العربى الحديث . القاهرة .
- (٣٩) الطب المجرب
خالد سيد على .
- (٤٠) طبيبك فى البيت
جماعة من كبار العلماء والاطباء فــــــــــــــــي
جامعات اوربا وامريكا (ط (١٩٨٠م) دار
مكتبة الحياة . بيروت . لبنان .
- (٤١) الطب النبوى
محمد بن ابى بكر ابن قيم الجوزيهــــــــــــــــة ،
مراجعة عبدالغنى خالق وضع التعالــــــــــــــــيق
د . عادل الازهرى تخريج الاحاديث محمود
فرج العقده ط . دار الفكر . بيروت .
- (٤٢) الطبيعيات والاعجاز العلمى
فى القرآن الكريم
د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر ط (١) (١٤٠٦هـ)
الدار السعوديه . جدة .
- (٤٣) الظواهر الجغرافية بين
العلم والقرآن
د . عبدالعليم عبدالرحمن خضر ط (١) (١٤٠٤هـ)
الدار السعوديه . جدة .
- (٤٤) الغذاء يصنع المعجزات
جايلوردهازر : ترجمة احمد قدامــــــــــــــــة
ط (٧) (١٤٠٣هـ) دار النفائس . بيروت .

- (٤٥) الفاروق عمر بن خطاب
محمدرضا (ط (١) (١٣٩٨هـ) دار الكتب
العلمية • بيروت • لبنان •
- (٤٦) فلسجة وتشريح ومورفولوجي
النخلة
د. جيار حسن النعيمي • د. الامير
عباس جعفر •
- (٤٧) القانون في الطب
ابوعلى الحسين بن على بن سينا ط. (دار
صادر • بيروت) •
- (٤٨) قصة الايمان بين الفلسفة
والعلم والقران
عبدالله نديم بن حسين الجسر ط. طرابلس
لبنان •
- (٤٩) قدرة الله
جمال الدين عياد ط • مجموعة شركات الطوبجي
للطباعة والنشر •
- (٥٠) العلاج بهسل النحل
ن. يويريش / ترجمة د. محمد الحلوجي
ط (٢) دار لمعارف • القاهرة •
- (٥١) كتابة البحث العلمى ومصادر
الدراسات الاسلامية
د. عبدالوهاب ابراهيم ابوسليم—ان
ط (١) (١٤٠٠هـ) دار الشروق •
- (٥٢) كتاب المعرفة بالنبات
النبات / الاجزاء ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧ ط • دار
نمر • لبنان •
- (٥٣) الكون والانسان فى التصور
الاسلامى
د. حامد صادق القنبي ط (١) (١٤٠٠هـ)
مكتبة الفلاح - الكويت •
- (٥٤) كتاب النبات
ابوسعيد عبدالملك بن قريب الاصمعي
تحقيق عبدالله يوسف القيم ط (١) (١٣٩٢هـ)
مطبعة المدنى • القاهرة •
- (٥٥) كتاب كروم العنب
د. طاهر خليفة - فليح حسن السامرائي
ط • (١٤٠٤هـ) •
- (٥٦) مفتاح دار السعادة
ابوعبدالله محمد بن ابى بكر ابن قيم الجوزية
ط. دار الكتب العلمية • بيروت • لبنان •

- (٥٧) مورفولوجيا وتشريح النبات
د. حسن العروس ، د. عماد الدين وصفي
ط (١٩٨٠م) دار المطبوعات الجديدة
الاسكندرية .
- (٥٨) المملكة النباتية
د. حسين العروس ، د. عماد الدين وصفي
ط (١٩٨٠م) دار المطبوعات الجديدة ،
الاسكندرية .
- (٥٩) المنهج الايماني للدراسات
الكونية فى القرآن الكريم
عبدالعليم عبدالرحمن خضر (ط (١) (١٤٠٤هـ)
الدار السعودية - جدة .
- (٦٠) المحاصيل الزراعية فى المملكة
العربية السعودية
د. محمد عبود العودات ، د. عبداللـه
محمد الشيخ مراجعة احمد محمد مجاهد
ط. دار المريخ للنشر.
- (٦١) من روائع الادب النبوى
د. كامل سلامه الدقس ط (٣) ، دار الشروق
جدة .
- (٦٢) الماء
محمد فتحى عوض الله ط . الهيئة العامة
للكتاب . القاهرة .
- (٦٣) مفاهيم جغرافية
فى القمص القرآنى
د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، ط (١) ،
(١٤٠١هـ) دار الشروق . جدة .
- (٦٤) شاهد يوم القيامة
سيد قطب ط. دار الشروق . القاهرة -
بيروت.
- (٦٥) معجم المعالم الجغرافية
فى السيرة النبوية
عاتق بن غيث البلادى ط . (١٤٠٢هـ) دار مكة
للطباعة . مكة المكرمة .
- (٦٦) المكتبة والبحث والمصادر
د. محمد عجاج الخطيب ط (٢) (١٣٩١هـ) ،
بيروت . دمشق .
- (٦٧) النبات العام
د. مصطفى عبدالعزيز ، د. احمد محمد مجاهد
د. احمد البازيونس ، د. عبدالرحمن امين
ط (٤) (١٩٧٩م) دار وهدان للطباعة .

- (٦٨) نعمة الله
جمال الدين عياد . ط . مجموعة شركات
الطوبجى للطباعة .
- (٦٩) النبات
ابوحنيفة احمد بن داود الدينورى (مخطوط)
المكتبة المركزية . جامعة أم القرى .
- (٧٠) نظام الاسلام الاقتصادى
محمد المبارك ط (١) (١٣٩٢هـ) دار الفكر،
بيروت .
- (٧١) هندسة النظام الكونى فى
القرآن
عبدالعليم عبدالرحمن خضر (ط ١) (١٣٩٢ هـ)
دارتهامة . جدة .
- (٧٢) وجود الله
جمال الدين عياد ط . مطابع الطوبجى .
- (٧٣) الوطن العربى
د . محمد صبحى عبدالحكيم ، د . يوسف خليل،
د . حليم ابراهيم جريس ، اجلال السباعى ،
ط (١٩٨٣م) مكتبة الانجلو المصرية .
- (٧٤) وجود الله
د . يوسف القرضاوى .

حادى عشر: الدوريات :

- (١) مجلة الجفجى العدد (١٢) ١٩٨٦م .
- (٢) المجلة الزراعية العدد الاول / المجلد (١٧) (١٤٠٦هـ) ،
العدد الاول / المجلد (١٤) (١٤٠٣هـ) .
- (٣) المجلة الزراعية العدد الثانى / المجلد (١٤) (١٤٠٣هـ) .
العدد الثانى / المجلد (١٧) (١٤٠٦هـ) .
- (٤) المجلة الزراعية العدد الثالث / المجلد (١٤) (١٤٠٣هـ) .
- (٥) زراعة القمح وزارة الزراعة .
- (٦) نشرة الارشاد الزراعى اعداد قسم الارشاد الزراعى - وزارة
الزراعة (١٤٠٦هـ) .
- (٧) ندوة النخيل الاولى كلية العلوم المرزاعية / جامعة الملك
فيصل / الاحساء (١٤٠٣هـ) .
- (٨) زراعة القمح تحت الرى المحورى اعداد قسم الارشاد الزراعى / وزارة
الزراعة .
- (٩) انتاج الشعير د . سعدى أحمد التميمي ، على صالح الرميص
- (١٠) مناطق انتشار النخيل وزارة الزراعة .

ملاحقاً :-

« فائمه بفهم سيات الايات القرآنية

الكرمية الواردة في البحث »

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (أ)

| | | |
|----|---|-----|
| ٢٤ | قال تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحابا (٠٠٠)) | ١٣٦ |
| ٢٥ | قال تعالى : (انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٠٠٠)) | ١٤٢ |
| ٢٦ | قال تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس (٠٠٠)) | ١٥٠ |
| ٢٧ | قال تعالى : (ألم ترى الى ريك كيف مد الظل (٠٠٠)) | ١٥٠ |
| ٢٨ | قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع (٠٠٠)) | ١٥٨ |
| ٢٩ | قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه (٠٠٠)) | ١٦٥ |
| ٣٠ | قال تعالى : (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجزر (٠٠٠)) | ١٦٥ |
| ٣١ | قال تعالى : (أخرج منها ماءها ومرعاها (٠٠٠)) | ١٦٦ |
| ٣٢ | قال تعالى : (ان الله هو الرزاق المتين (٠٠٠)) | ١٩٣ |
| ٣٣ | قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة (٠٠٠)) | ١٩٥ |
| ٣٤ | قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض (٠٠٠)) | ١٣٥ |
| ٣٥ | قال تعالى : (اقرأ باسم ربك (٠٠٠)) | ٢٠٠ |
| ٣٦ | قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء (٠٠٠)) | ٢٠٤ |
| ٣٧ | قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع (٠٠٠)) | ٢٠٤ |
| ٣٨ | قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع (٠٠٠)) | ٢٠٨ |
| ٣٩ | قال تعالى : (اقرأ باسم ربك (٠٠٠)) | ٢٢٠ |
| ٤٠ | قال تعالى : (أفرايتم النار التي تورون (٠٠٠)) | ٢٢٥ |
| ٤١ | قال تعالى : (أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها (٠٠٠)) | ٢٢٧ |
| ٤٢ | قال تعالى : (ألم ترى الى ريك كيف مد الظل (٠٠٠)) | ٢٣٤ |
| ٤٣ | قال تعالى : (ان المتقين في ظلال وعيون (٠٠٠)) | ٢٣٧ |
| ٤٤ | قال تعالى : (انطلقوا الى ظل ذي ثلاب شعب (٠٠٠)) | ٢٣٧ |
| ٤٥ | قال تعالى : (أو لم يروا الى ما خلق الله شئ (٠٠٠)) | ٢٣٩ |
| ٤٦ | قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات (٠٠٠)) | ٢٤٨ |
| ٤٧ | قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة (٠٠٠٠)) | ٢٤٩ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------------------------|---|--------|
| ===== حرف (أ) ===== | | |
| ٤٨ | قال تعالى : (ألم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجزر) | ٢٥٣ |
| ٤٩ | قال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) | ٢٥٤ |
| ٥٠ | قال تعالى : (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) | ٢٥٦ |
| ٥١ | قال تعالى : (الا عباد الله المخلصين (٠٠٠)) | ٢٥٦ |
| ٥٢ | قال تعالى : (ان المتقين في ظلال وعيون (٠٠٠)) | ٢٥٧ |
| ٥٣ | قال تعالى : (ان المتقين في مقام أمين (٠٠٠)) | ٢٥٧ |
| ٥٤ | قال تعالى : (ان للمتقين مغازا حدائق وأعنابا (٠٠٠)) | ٢٥٧ |
| ٥٥ | قال تعالى : (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) | ٢٥٨ |
| ٥٦ | قال تعالى : (ان المتقين في ظلال وعيون (٠٠٠)) | ٢٥٨ |
| ٥٧ | قال تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم (٠٠٠)) | ٢٦٥ |
| ٥٨ | قال تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله عبداً أمثالكم) | ٢٧٠ |
| ٥٩ | قال تعالى : (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً) | ٢٧٠ |
| ٦٠ | قال تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم (٠٠٠)) | ٢٧٠ |
| ٦١ | قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة (٠٠٠)) | ٢٧١ |
| ٦٢ | قال تعالى : (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها) | ٢٧٤ |
| ٦٣ | قال تعالى : (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً (٠٠٠)) | ٢٧٥ |
| ٦٤ | قال تعالى : (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم) | ٢٨٥ |
| ٦٥ | قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة (٠٠٠)) | ٢٩٧ |
| ٦٦ | قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض (٠٠٠)) | ٣١٤ |
| ٦٧ | قال تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) | ٣٠١ |
| ٦٨ | قال تعالى : (أو من كان ميتاً (٠٠٠)) | ٣٢٦ |
| ٦٩ | قال تعالى : (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم) | ٣٢٦ |
| ٧٠ | قال تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) | ٣٣٢ |
| ٧١ | قال تعالى : (أو كالذى مر على قرية (٠٠٠)) | ٣٣٨ |
| ٧٢ | قال تعالى : (اذا فريق منهم يخشون الناس (٠٠٠)) | ٣٣٨ |
| ٧٣ | قال تعالى : (انها ترمى بشرى كالقصر (٠٠٠)) | ٤٠٤ |

حرف (أ)

| | | |
|-----|--|----|
| ٤١٦ | قال تعالى : (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ٠٠٠) | ٧٤ |
| ٤١٦ | قال تعالى : (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ٠٠٠) | ٧٥ |
| ٤٣١ | قال تعالى : (انها ترمى بشرير كالحصر ٠٠٠) | ٧٦ |
| ٤٤٠ | قال تعالى : (ان الله يأمر بالعدل ٠٠٠) | ٧٧ |
| ٤٤٠ | قال تعالى : (انما الخمر والميسر ٠٠٠) | ٧٨ |
| ٤٤٠ | قال تعالى : (انا اليكم مرسلون ٠٠٠) | ٧٩ |
| ٤٤٠ | قال تعالى : (ان الساعة لآتية ٠٠٠) | ٨٠ |
| ٤٤١ | قال تعالى : (ان ربك سريع العقاب ٠٠٠) | ٨١ |
| ٤٤٦ | قال تعالى : (ألم ترى أن الله يزوجى سبحا ٠٠٠) | ٨٢ |
| ٤٤٧ | قال تعالى : (ألم ترى أن الله يزوجى سبحا ٠٠٠) | ٨٣ |
| ٤٥٢ | قال تعالى : (انى لأضيق عمل عامل منكم ٠٠٠) | ٨٤ |
| ٤٥٧ | قال تعالى : (ألم ترى أن الله أنزل من السما* ما* ٠٠٠) | ٨٥ |
| ٤٥٠ | قال تعالى : (أفأرأيتم العا* الذى تشربون ٠٠٠) | ٨٦ |
| ٤٥٣ | قال تعالى : (ان الله فالق الحب والنوى ٠٠٠) | ٨٧ |
| ٤٦٥ | قال تعالى : (أنتم أنشأتم شجرتها ٠٠٠) | ٨٨ |
| ٤٧٢ | قال تعالى : (أولم يروا الى الارضكم أنبتنا ٠٠٠) | ٨٩ |
| ٤٧٢ | قال تعالى : (أتتركون في ما هاهنا* امنين ٠٠٠) | ٩٠ |
| ٤٨١ | قال تعالى : (اولم يروا الى الارضكم أنبتنا فيها ٠٠٠) | ٩١ |
| ٤٨٣ | قال تعالى : (أولم يروا الى الارضكم أنبتنا فيها ٠٠٠) | ٩٢ |
| ٤٨٦ | قال تعالى : (أتتركون في ما هاهنا* امنين ٠٠٠) | ٩٣ |
| ٤٩٢ | قال تعالى : (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السما* ما*) | ٩٤ |
| ٥٠٢ | قال تعالى : (أفلم ينظروا الى السما* فوقهم ٠٠٠) | ٩٥ |
| ٥١٩ | قال تعالى : (انى جاعل في الارض خليفة ٠٠٠) | ٩٦ |
| ٥٣٧ | قال تعالى : (انس من جانب الطور نارا ٠٠٠) | ٩٧ |
| ٥٣٩ | قال تعالى : (أوآتيكم بشهاب قبس ٠٠٠) | ٩٨ |
| ٥٤٥ | قال تعالى : (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ٠٠٠) | ٩٩ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|--|--------|
| حرف (أ) | | |
| ٢٠٤ | قال تعالى : (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (٠٠٠٠٠)) | ٢٢٨ |
| ٢٠٥ | قال تعالى : (الان حصص الحق (٠٠٠٠)) | ٢٨٢ |
| ٢٠٦ | قال تعالى : (الله نور السموات والارض مثل كمشكاة) | ٢٨٧ |
| ٢٠٧ | قال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) | ٣٢٠ |
| ٢٠٨ | قال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم (٠٠٠)) | ٣٣٢ |
| ٢٠٩ | قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) | ٤٣٩ |
| ٢١٠ | قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) | ٤٧٣ |
| ٢١١ | قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً) | ٥٤١ |
| ٢١٢ | قال تعالى : (القارعة ما القارعة (٠٠٠)) | ٥٨٨ |
| ٢١٣ | قال تعالى : (الحاقة ما الحاقة (٠٠٠)) | ٥٨٨ |
| ٢١٤ | قال تعالى : (الم نهلك الأولين (٠٠٠)) | ٥٨٨ |
| ٢١٥ | قال تعالى : (الذين اذا أصابتهم مصيبة (٠٠٠)) | ٦٤٧ |
| ٢١٦ | قال تعالى : (الذى أحسن كل شئ خلقه (٠٠٠)) | ٦٦٠ |
| ٢١٧ | قال تعالى : (الذى يجعل لكم الارض فراشا (٠٠٠)) | ٦٦٧ |
| ٢١٨ | قال تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) | ٦٧٠ |
| ٢١٩ | قال تعالى : (الله الذى رفع السموات (٠٠٠)) | ٦٨٧ |
| ٢٢٠ | قال تعالى : (الذى جعل لكم الارض مهديا) | ٦٨٩ |
| ٢٢١ | قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) | ٧٣٣ |
| ٢٢٢ | قال تعالى : (الرحمن علم القرآن (٠٠٠)) | ٧٩٤ |
| ٢٢٣ | قال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) | ٨٥١ |
| ٢٢٤ | قال تعالى : (الذين يكتزون الذهب والفضة (٠٠٠)) | ٨٥٣ |
| ٢٢٥ | قال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) | ٨٥٦ |
| ٢٢٦ | قال تعالى : (الذين هم للزكاة فاعلون (٠٠٠)) | ٨٦٢ |
| ٢٢٧ | قال تعالى : (الذين لا يؤتون الزكاة (٠٠٠)) | ٨٦٣ |
| ٢٢٨ | قال تعالى : (الذين يلمزون المطوعين (٠٠٠)) | ٨٦٦ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (ث)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------------|-----|
| ٢٥١ | قال تعالى : | (ثم بعثناكم من بعد موتكم) (٠٠٠) | ٧١٥ |
| ٢٥٢ | قال تعالى : | (ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين اُحصى) | ٧١٦ |
| ٢٥٣ | قال تعالى : | (ثم ننجي رسلنا) (٠٠٠) | ٧٦٢ |

حرف (ج)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------|-----|
| ٢٥٤ | قال تعالى : | (جنى الجنيتين دان) (٠٠٠) | ٤٩٦ |
| ٢٥٥ | قال تعالى : | (يجعل فيها زوجين اثنين) (٠٠٠) | ٧٤٣ |

حرف (ح)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------|-----|
| ٢٥٦ | قال تعالى : | (حاجة فى نفس) (٠٠٠) | ٢٤٠ |
| ٢٥٧ | قال تعالى : | (حتى اذا أتيا أهل قرية) (٠٠٠) | ٣٣٩ |
| ٢٥٨ | قال تعالى : | (حتى جعلناهم حصيدا) (٠٠٠) | ٩٠٦ |

حرف (خ)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------|-----|
| ٢٥٩ | قال تعالى : | (خلق السموات بغير عمد ترونها) | ١٢٠ |
| ٢٦٠ | قال تعالى : | (خلق السموات بغير عمد ترونها) | ٤٤٧ |
| ٢٦١ | قال تعالى : | (خلق السموات بغير عمد ترونها) | ٤٧٢ |
| ٢٦٢ | قال تعالى : | (خلق السموات بغير عمد ترونها) | ٤٨١ |
| ٢٦٣ | قال تعالى : | (خلق السموات والارض) (٠٠٠) | ٦٦٧ |
| ٢٦٤ | قال تعالى : | (خذ من أموالهم صدقة) (٠٠٠) | ٨٦١ |
| ٢٦٥ | قال تعالى : | (خذ من أموالهم صدقة) (٠٠٠) | ٨٦٤ |
| ٢٦٦ | قال تعالى : | (خذ من أموالهم صدقة) (٠٠٠) | ٨٧٤ |
| ٢٦٧ | قال تعالى : | (خذ من أموالهم صدقة) (٠٠٠) | ٨٨٠ |

حرف (ذ)

| | | | |
|-----|-------------|--------------------------------|-----|
| ٢٦٧ | قال تعالى : | (ذلك مثلهم فى التوراة) (٠٠٠) | ٢٧٠ |
| ٢٦٨ | قال تعالى : | (ذلك بأن هو الحق) (٠٠٠) | ٧٥٢ |
| ٢٦٩ | قال تعالى : | (ذلك مثلهم فى التوراة) (٠٠٠) | ٧٨٣ |

حرف (ر)

| | | | |
|-----|-------------|--|-----|
| ٢٧٠ | قال تعالى : | (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع) | ١٩٦ |
|-----|-------------|--|-----|

| الرقم | الآية | الصفحة |
|------------------|---|--------|
| ===== | | |
| حرف (ر) | | |
| ٢٧١ | قال تعالى : (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه) (٠٠٠) | ٦٦٢ |
| ٢٧٢ | قال تعالى : (رب ان ابنى من أهلى) (٠٠٠) | ٧٦٢ |
| ٢٧٣ | قال تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة) (٠٠٠) | ٨٠٢ |
| حرف (ز) | | |
| ٢٧٤ | قال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) (٠٠٠) | ٧١٨ |
| حرف (س) | | |
| ٢٧٥ | قال تعالى : (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها) (٠٠٠) | ٤٠٢ |
| السموات والارض) | | |
| ٢٧٦ | قال تعالى : (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما) (٠٠٠) | ٤٨٥ |
| تنبت الارض) | | |
| ٢٧٧ | قال تعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق) (٠٠٠) | ٦٦٢ |
| ٢٧٨ | قال تعالى : (سبحان الذى خلق الأزواج) (٠٠٠) | ٧٠٠ |
| ٢٧٩ | قال تعالى : (سراييل تقيم الحر) (٠٠٠) | ٧٠٣ |
| ٢٨٠ | قال تعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق) (٠٠٠) | ٧٥٥ |
| ٢٨١ | قال تعالى : (سأصرف عن اياتى الذين يتكبرون) (٠٠٠) | ٩٤٦ |
| حرف (ص) | | |
| ٢٨٢ | قال تعالى : (ص والقرآن ذى الذكر) (٠٠٠) | ٦٥٢ |
| ٢٨٣ | قال تعالى : (صنع الله الذى أتقن كل شىء) (٠٠٠) | ٦٦٠ |
| حرف (ض) | | |
| ٢٨٤ | قال تعالى : (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) (٠٠٠) | ٦٣ |
| ٢٨٥ | قال تعالى : (ضرب الله مثلا للذين كفروا) (٠٠٠) | ٢٧٦ |
| حرف (ط) | | |
| ٢٨٦ | قال تعالى : (طلعتها كأنه رؤس الشياطين) (٠٠٠) | ٣٩٨ |

حرف (ف)

| | | | |
|-----|---|-------------|-----|
| ٤٢ | (فنخرج به زرعاً ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٨٧ |
| ٤٤ | (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) | قال تعالى : | ٢٨٨ |
| ١١٢ | (فلينظر الانسان الى طعامه ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٨٩ |
| ١٣٤ | (فلانظر الى آثار رحمت الله ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩٠ |
| ١٥٤ | (فأنشأ لكم به جنات من نخيل ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩١ |
| ١٥٥ | (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) | قال تعالى : | ٢٩٢ |
| ١٥٥ | (فيها فاكهة ونخل ورمان ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩٣ |
| ١٦٠ | (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل) | قال تعالى : | ٢٩٤ |
| ٢٠٥ | (فأنشأنا لكم به جنات ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩٥ |
| ٢٠٥ | (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) | قال تعالى : | ٢٩٦ |
| ٢١٨ | (فقلنا يا آدام ان هذا عدوك ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩٧ |
| ٢٣٥ | (فان فاءت فاصلحوا ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٩٨ |
| ٢٤٤ | (في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود) | قال تعالى : | ٢٩٩ |
| ١٧٢ | (فلينظر الانسان الى طعامه ٠٠٠) | قال تعالى : | ٣٠٠ |
| ١٨٤ | (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان) | قال تعالى : | ٣٠١ |
| ١٨٥ | (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) | قال تعالى : | ٣٠٢ |
| ٢٤٩ | (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) | قال تعالى : | ٣٠٣ |
| ٢٥٥ | (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) | قال تعالى : | ٣٠٤ |
| ٢٥٧ | (فأما من أوتى كتابه بيمينه ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٠٥ |
| ٢٥٧ | (فيها فاكهة ونخل ورمان ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٠٦ |
| ٢٥٨ | (فيها من كل فاكهة زوجان) | قال تعالى : | ٢٠٧ |
| ٢٦٩ | (فتمثل لها بشرا سويا ٠٠٠) | قال تعالى : | ٢٠٨ |
| ٢٧٠ | (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) | قال تعالى : | ٢٠٩ |
| ٣٢٧ | (فأقبلت امرأته في ضرة ٠٠٠) | قال تعالى : | ٣١٠ |
| ٣٣٩ | (فان مع العسر يسرا ٠٠٠) | قال تعالى : | ٣١١ |
| ٣٥٥ | (فأجأها المخاض الى جذع النخلة) | قال تعالى : | ٣١٢ |
| ٣٣٦ | (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ٠٠٠) | قال تعالى : | ٣١٣ |
| ٣٣٦ | (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) | قال تعالى : | ٣١٤ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|--|--------|
| حرف (ف) | | |
| ٣١٥ | قال تعالى : (فأوحينا الى موسى ان اضرب ٠٠٠) | ٣٩٩ |
| ٣١٦ | قال تعالى : (فمالهم عن التذكرة معرضون) | ٤٠١ |
| ٣١٧ | قال تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان ٠٠٠) | ٤٤٣ |
| ٣١٨ | قال تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه ٠٠٠) | ٤٤٣ |
| ٣١٩ | قال تعالى : (فأنشأنا لكم به جنات ٠٠٠) | ٤٦٥ |
| ٣٢٠ | قال تعالى : (فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام) | ٤٧٣ |
| ٣٢١ | قال تعالى : (فأخرجنا به أزواج من نبات ٠٠٠) | ٤٨٦ |
| ٣٢٢ | قال تعالى : (فوسوس لهما الشيطان ٠٠٠) | ٥٠٨ |
| ٣٢٣ | قال تعالى : (فقلنا يا آدام ان هذا عدوك ٠٠٠) | ٥١١ |
| ٣٢٤ | قال تعالى : (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة) | ٥٢٢ |
| ٣٢٥ | قال تعالى : (فقلنا يا آدام ان هذا عدوك ٠٠٠) | ٥٢٥ |
| ٣٢٦ | قال تعالى : (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله) | ٥٣٤ |
| ٣٢٧ | قال تعالى : (فلما آتاه نودى من شاطئ الوادى الايمن) | ٥٤٢ |
| ٣٢٨ | قال تعالى : (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) | ٥٤٦ |
| ٣٢٩ | قال تعالى : (فهل أنتم مسلمون ٠٠٠) | ٥٨٤ |
| ٣٣٠ | قال تعالى : (فلما نبأها به قالت ٠٠٠) | ٥٨٥ |
| ٣٣١ | قال تعالى : (فأتوا حرثكم انى شئتم ٠٠٠) | ٥٨٥ |
| ٣٣٢ | قال تعالى : (فهل لنا من شفاع ٠٠٠) | ٥٨٨ |
| ٣٣٣ | قال تعالى : (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) | ٥٨٨ |
| ٣٣٤ | قال تعالى : (فهل أنتم مسلمون ٠٠٠) | ٦٠٧ |
| ٣٣٥ | قال تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم ٠٠٠) | ٦١١ |
| ٣٣٦ | قال تعالى : (فيحلفون له كما يحلفون لكم ٠٠٠) | ٦١١ |
| ٣٣٧ | قال تعالى : (فلا أقسم برب المشارق ٠٠٠) | ٦١٢ |
| ٣٣٨ | قال تعالى : (فيقسمان بالله ان أرثبتم ٠٠٠) | ٦١٢ |
| ٣٣٩ | قال تعالى : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ٠٠٠) | ٦١٣ |
| ٣٤٠ | قال تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون ٠٠٠) | ٦١٤ |
| ٣٤١ | قال تعالى : (فيقسمان بالله لشهادتنا ٠٠٠) | ٦١٥ |
| ٣٤٢ | قال تعالى : (فلا أقسم برب المشارق ٠٠٠) | ٦١٥ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|---|--------|
| | حرف (ف) | |
| ٣٤٣ | قال تعالى : (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) | ٦١٦ |
| ٣٤٤ | قال تعالى : (فلا أقسم بالشفق) | ٦١٦ |
| ٣٤٥ | قال تعالى : (فوريك لنساءلنهم أجمعين) | ٦١٧ |
| ٣٤٦ | قال تعالى : (فوب السماء والارض انه لحق) | ٦١٨ |
| ٣٤٧ | قال تعالى : (فوريك لنساءلنهم أجمعين) | ٦١٨ |
| ٣٤٨ | قال تعالى : (فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك) | ٦٢٠ |
| ٣٤٩ | قال تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع) | ٦٤٣ |
| ٣٥٠ | قال تعالى : (فأنزلنا به الماء) | ٦٤٩ |
| ٣٥١ | قال تعالى : (فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك) | ٦٥٣ |
| ٣٥٢ | قال تعالى : (فوب السماء والارض انه لحق) | ٦٥٣ |
| ٣٥٣ | قال تعالى : (فانهم عدو لى الارب العالمين) | ٦٦٧ |
| ٣٥٤ | قال تعالى : (ففروا الى الله) | ٦٦٧ |
| ٣٥٥ | قال تعالى : (فاخرج به من الثمرات) | ٦٧٥ |
| ٣٥٦ | قال تعالى : (فاذا جاء أمرنا وفار التنور) | ٧٠٠ |
| ٣٥٧ | قال تعالى : (فبعث الله غرابا يبحث) | ٧١٥ |
| ٣٥٨ | قال تعالى : (فأماته الله مائة عام) | ٧١٥ |
| ٣٥٩ | قال تعالى : (فابحثوا حكما من أهله) | ٧١٦ |
| ٣٦٠ | قال تعالى : (فابحثوا أحدكم بورقكم) | ٧١٦ |
| ٣٦١ | قال تعالى : (فهذا يوم البحث) | ٧١٧ |
| ٣٦٢ | قال تعالى : (فسيقولون من يعيدنا) | ٧٥٠ |
| ٣٦٣ | قال تعالى : (فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك) | ٧٩٨ |
| ٣٦٤ | قال تعالى : (فأما من أعطى وأتقى) | ٨٦٥ |
| ٣٦٥ | قال تعالى : (فمن كان منكم مريضا) | ٨٦٥ |
| ٣٦٦ | قال تعالى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة) | ٨٧١ |
| ٣٦٧ | قال تعالى : (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) | ٨٨٥ |
| ٣٦٨ | قال تعالى : (فأخرجنا منه خضرا) | ٨٨٥ |
| ٣٦٩ | قال تعالى : (فمن يحمل مثقال ذرة خيرا يره) | ٨٩٦ |
| ٣٧٠ | قال تعالى : (فيهما فاكهة ورمان) | ٩٠٦ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (ف)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------------|-----|
| ٣٧١ | قال تعالى : | (فجعلناهم حصيدا ٠٠٠) | ٩٠٦ |
| ٣٧٢ | قال تعالى : | (فيهما فاكهة والنخل ذات الاكمام) | ٩٠٨ |
| ٣٧٣ | قال تعالى : | (فاوف لنا الكيل وتصدق علينا) | ٩٣٨ |
| ٣٧٤ | قال تعالى : | (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) | ٩٥٢ |
| ٣٧٥ | قال تعالى : | (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) | ٩٥٢ |
| ٣٧٦ | قال تعالى : | (فاذكروني اذ كرم ٠٠٠) | ٩٦٧ |
| ٣٧٧ | قال تعالى : | (فلينظر الانسان الى طعامه ٠٠٠) | ٩٧٠ |

حرف (ق)

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------------|-----|
| ٣٧٨ | قال تعالى : | (قل سيروا في الارض فانظروا كيف ٠٠٠) | ١٠٤ |
| ٣٧٩ | قال تعالى : | (قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا) | ٢٥ |
| ٣٨٠ | قال تعالى : | (قل من يرزقكم من السماوات والارض) | ١٩٣ |
| ٣٨١ | قال تعالى : | (قل لو كان البحر ممداد لكلمات ربي) | ٢٢٤ |
| ٣٨٢ | قال تعالى : | (قل انما انا بشر مثلكم ٠٠٠) | ٢٧٤ |
| ٣٨٣ | قال تعالى : | (قل لئن اجتمعت الانس والجن ٠٠٠) | ٢٧٤ |
| ٣٨٤ | قال تعالى : | (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف ٠٠٠) | ٢٨٢ |
| ٣٨٥ | قال تعالى : | (قل هل يستوى الذين يعلمون ٠٠٠) | ٣٧٤ |
| ٣٨٦ | قال تعالى : | (قطوفها دانية ٠٠٠) | ٤٩٦ |
| ٣٨٧ | قال تعالى : | (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ٠٠٠) | ٥١٦ |
| ٣٨٨ | قال تعالى : | (قال فاهبط منها ٠٠٠) | ٥١٦ |
| ٣٨٩ | قال تعالى : | (قال اخرج منها مذؤما ٠٠٠) | ٥١٦ |
| ٣٩٠ | قال تعالى : | (قال انى اريد ان اذكحك احدى ابنتى) | ٥٣٥ |

هاتين

| | | | |
|-----|-------------|---------------------------------|-----|
| ٣٩١ | قال تعالى : | (قال رب انى يكون لى غلام ٠٠٠) | ٥٨٥ |
| ٣٩٢ | قال تعالى : | (قال قائل منهم كم لبثتم ٠٠٠) | ٥٨٦ |
| ٣٩٣ | قال تعالى : | (قل اوانبكم بخير من ذلك ٠٠٠) | ٥٨٨ |
| ٣٩٤ | قال تعالى : | (قل اتعلمون الله بدينكم ٠٠٠) | ٥٨٨ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (ق)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٣٩٥ | قال تعالى : (قل بلى وربى لتبعثن ٠٠٠) | ٦١٦ |
| ٣٩٦ | قال تعالى : (قل اى وربى انه لحق ٠٠٠) | ٦١٦ |
| ٣٩٧ | قال تعالى : (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه ٠٠٠) | ٦٢٠ |
| ٣٩٨ | قال تعالى : (قالوا تالله انك لفي ضلالك ٠٠٠) | ٦٢٠ |
| ٣٩٩ | قال تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والارض) | ٦٥٧ |
| ٤٠٠ | قال تعالى : (قد جعل الله لكل شئ قدرا ٠٠٠) | ٦٦١ |
| ٤٠١ | قال تعالى : (قل الله ثم ذرهم ٠٠٠) | ٦٦٧ |
| ٤٠٢ | قال تعالى : (قل الحمد لك وسلام على عباده) | ٦٨٠ |
| ٤٠٣ | قال تعالى : (قد بعث لكم طالوت ملكا ٠٠٠) | ٧١٦ |
| ٤٠٤ | قال تعالى : (ق ٠ والقرآن المجيد ٠٠٠) | ٧١٧ |
| ٤٠٥ | قال تعالى : (ق ٠ والقرآن المجيد ٠٠٠) | ٧١٩ |
| ٤٠٦ | قال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الارض ٠٠٠) | ٧٢٠ |
| ٤٠٧ | قال تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) | ٧٣٠ |
| ٤٠٨ | قال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الارض ٠٠٠) | ٧٣٢ |
| ٤٠٩ | قال تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) | ٧٥٠ |
| ٤١٠ | قال تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) | ٧٥٤ |
| ٤١١ | قال تعالى : (قال تزرعون سبع سنين دأبا ٠٠٠) | ٧٨٦ |
| ٤١٢ | قال تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة) | ٨٦٨ |
| ٤١٣ | قال تعالى : (قل لعبادى الذين آمنوا بالغيب) | ٨٧٠ |

حرف (ك)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٤١٤ | قال تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون ٠٠٠) | ٤٣ |
| ٤١٥ | قال تعالى : (كزرع أخرج شطأه ٠٠٠) | ٤٣ |
| ٤١٦ | قال تعالى : (كلوا من ثمره اذا أثمر) | ٨٨ |
| ٤١٧ | قال تعالى : (كمن مثله في الظلمات ٠٠٠) | ٢٧٦ |
| ٤١٨ | قال تعالى : (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة) | ٣٣٨ |
| ٤١٩ | قال تعالى : (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) | ٤١٦ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|--------------|--|--------|
| حرف (ك) | | |
| ٤٢٠ | قال تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون (٠٠٠)) | ٤٧٢ |
| ٤٢١ | قال تعالى : (كذبت ثمود المرسلين (٠٠٠)) | ٤٨٨ |
| ٤٢٢ | قال تعالى : (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل (٠٠٠)) | ٤٩٥ |
| ٤٢٣ | قال تعالى : (كلما رزقوا منها من ثمرة (٠٠٠)) | ٦٥٠ |
| ٤٢٤ | قال تعالى : (كيف بنيناها وزيناها (٠٠٠)) | ٧٢١ |
| ٤٢٥ | قال تعالى : (كذلك يطيح الله على كل قلب متكبر) | ٩٤٦ |
| حرف (ل) | | |
| ٤٢٦ | قال تعالى : (لنخرج به حبا ونباتا (٠٠٠)) | ٩٧ |
| ٤٢٧ | قال تعالى : (لقد كان لسبأ في مساكنهم جنتان) | ١٩٧ |
| ٤٢٨ | قال تعالى : (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) | ٢٧٠ |
| ٤٢٩ | قال تعالى : (ليس كمثل شيء (٠٠٠٠)) | ٢٧٣ |
| ٤٣٠ | قال تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) | ٣٦٦ |
| ٤٣١ | قال تعالى : (لكم فيها فواكه كثيرة (٠٠٠)) | ٥٠٦ |
| ٤٣٢ | قال تعالى : (لعل آتيكم منها بخبر (٠٠٠)) | ٥٣٨ |
| ٤٣٣ | قال تعالى : (لعل آتيكم منها بقبس (٠٠٠)) | ٥٣٨ |
| ٤٣٤ | قال تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) | ٥٥٤ |
| تحت الشجرة) | | |
| ٤٣٥ | قال تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) | ٥٦٢ |
| تحت الشجرة) | | |
| ٤٣٦ | قال تعالى : (ليلوني أشكر أم أكفر (٠٠٠)) | ٥٨٤ |
| ٤٣٧ | قال تعالى : (لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون) | ٦١٦ |
| ٤٣٨ | قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة) | ٦١٩ |
| ٤٣٩ | قال تعالى : (لتبلون في أموالكم وأنفسكم) | ٦٢١ |
| ٤٤٠ | قال تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) | ٦٢٦ |
| ٤٤١ | قال تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) | ٦٣٧ |
| ٤٤٢ | قال تعالى : (لئن شكرتم لازيدنكم (٠٠٠)) | ٦٤١ |

الرقم الآيَة الصفحة

=====

حرف (ل)

| | | | |
|-----|---|-------------|-----|
| ٦٥٢ | (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) | قال تعالى : | ٤٤٣ |
| ٦٥٣ | (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) | قال تعالى : | ٤٤٤ |
| ٦٦٥ | (لقد كان في قصصهم عبرة (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٤٥ |
| ٦٨٠ | (لقوم يعلمون (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٤٦ |
| ٦٨٠ | (لقوم يفقهون (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٤٧ |
| ٧٥٧ | (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) | قال تعالى : | ٤٤٨ |
| ٨٠٥ | (لنخرج به حبا ونباتا (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٤٩ |
| ٨٥٤ | (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) | قال تعالى : | ٤٥٠ |
| ٨٥٥ | (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق) | قال تعالى : | ٤٥١ |
| ٨٥٦ | (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) | قال تعالى : | ٤٥٢ |
| ٨٧٧ | (لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم) | قال تعالى : | ٤٥٣ |
| ٩٥٣ | (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) | قال تعالى : | ٤٥٤ |
| ٩٥٩ | (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) | قال تعالى : | ٤٥٥ |
| ٩٦٧ | (لئن شكرتم لأزيدنكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٥٦ |

حرف (م)

| | | | |
|-----|--|-------------|-----|
| ٥٤ | (من كان يريد حرث الآخرة نزد له) | قال تعالى : | ٤٥٧ |
| ١٣١ | (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) | قال تعالى : | ٤٥٨ |
| ١٥٥ | (مثل الذين ينفقون أموالهم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٥٩ |
| ٢٥٦ | (مثل الجنة التي وعد المتقون (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٦٠ |
| ٢٥٧ | (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) | قال تعالى : | ٤٦١ |
| ٢٥٨ | (مثل الجنة التي وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٦٢ |
| ٢٧٢ | (مثل الذين ينفقون أموالهم (٠٠٠) كمثل حبة) | قال تعالى : | ٤٦٣ |
| ٢٢٨ | (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) | قال تعالى : | ٤٦٤ |
| ٢٧٧ | (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٤٦٥ |

الرقم الآية الصفحة

حرف (م)

| | | | |
|---------|---|-------------|-----|
| ٢٧٨ | (من يحمل سواً يجزى به ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٦٦ |
| ٢٣٥ | (مثل عيسى ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٦٧ |
| ٢٨٣ | (مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٦٨ |
| ٢٨٤ | (مثل الفريقين كالأعمى والاصم ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٦٩ |
| ٢٨٥ | (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) | قال تعالى : | ٤٧٠ |
| ٢٨٦ | (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٧١ |
| ٢٨٦ | (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٧٢ |
| ٣٠٨ | (محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار ٠٠) | قال تعالى : | ٤٧٣ |
| ٣٢٠ | (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) | قال تعالى : | ٤٧٤ |
| ٣٢٠ | (مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٧٥ |
| ٣٢٠ | (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) | قال تعالى : | ٤٧٦ |
| ٣٣٨ | (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) | قال تعالى : | ٤٧٧ |
| ٣٦٤ | (ما قطعتم من لينة ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٧٨ |
| ٣٧٧ | (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) | قال تعالى : | ٤٧٩ |
| ٣٨٩ | (محمد رسول الله والذين معه ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٠ |
| ٤٠٥+٤٠٤ | (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨١ |
| ٤٥٧ | (متكئين على رفرف خضر ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٢ |
| ٥٨٧ | (مال هذا الكتاب لا يخادر ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٣ |
| ٥٨٨ | (من ذا الذى يشفع عنده ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٤ |
| ٥٨٨ | (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) | قال تعالى : | ٤٨٥ |
| ٦٦٠ | (ما ترى في خلق السموات والارض ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٦ |
| ٨٥٠ | (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) | قال تعالى : | ٤٨٧ |
| ٨٨٥ | (مثل الذين ينفقون أموالهم ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٨ |
| ٩٠٦ | (منها قائم وحصيد ٠٠٠) | قال تعالى : | ٤٨٩ |
| ٩٣٤ | (من أوسط ما تطعمون أهليكم) | قال تعالى : | ٤٩٠ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|------------|---|--------|
| حرف (ن) | | |
| ٤٩١ | قال تعالى : (نساؤكم حرث لكم) (٠٠٠) | ٥٤ |
| ٤٩٢ | قال تعالى : (نودي من شاطئ الوادي الايمن) | ٦٣ |
| ٤٩٣ | قال تعالى : (ن والقلم وما يسطرون) (٠٠٠) | ٢٢١ |
| ٤٩٤ | قال تعالى : (نخرج منه حبا متراكبا) (٠٠٠) | ٤٥٩ |
| حرف (هـ) | | |
| ٤٩٥ | قال تعالى : (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) | ١٠٩ |
| ٤٩٦ | قال تعالى : (هو الذي يسيركم في البر والبحر) (٠٠٠) | ١٣١ |
| ٤٩٧ | قال تعالى : (هذا ذكر وان للمتقين لحسن مئاب) | ٢٥٧ |
| ٤٩٨ | قال تعالى : (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) | ٣٣٢ |
| ٤٩٩ | قال تعالى : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) (٠٠٠) | ٥٨٧ |
| ٥٠٠ | قال تعالى : (هل أتى على الانسلن حين من الدهر) | ٦٠٧ |
| ٥٠١ | قال تعالى : (هو الذي بعث في الامين رسولا) | ٧١٦ |
| حرف (و) | | |
| ٥٠٢ | قال تعالى : (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي) | |
| ٥٠٣ | قال تعالى : (ولو أنما في الارض من شجرة أقلام) | |
| ٥٠٤ | قال تعالى : (والله أنبتكم من الارض) (٠٠٠) | ٣١ |
| ٥٠٥ | قال تعالى : (وزروع ومقام كريم) (٠٠٠) | ٤٣ |
| ٥٠٦ | قال تعالى : (والنخل والزروع مختلفا أكله) | ٤٣ |
| ٥٠٧ | قال تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) | ٦٣ |
| ٥٠٨ | قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء) | ٦٣ |
| ٥٠٩ | قال تعالى : (والشجرة الملحونة في القرآن) | ٦٣ |
| ٥١٠ | قال تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) | ٦٣ |
| ٥١١ | قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) | ٦٤ |
| ٥١٢ | قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (٠٠٠) | ٨٨ |
| ٥١٣ | قال تعالى : (وكان له ثمر) | ٨٨ |
| ٥١٤ | قال تعالى : (ونقص من الاموال والانفس والشمرات) | ٨٨ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|---|---------|
| (و) حرف | | |
| ٥١٥ | قال تعالى : (وما تسقطوا من ورقة الا يعلمها) | ١٠٠ |
| ٥١٦ | قال تعالى : (وفي الارض آيات للموقنين) | ١٠٤ |
| ٥١٧ | قال تعالى : (ولقد كرمتنا بنى آدم) | ١٠٥ |
| ٥١٨ | قال تعالى : (وألقى في الارض رواسى) | ١٠٥ |
| ٥١٩ | قال تعالى : (والارض وضعها للانام) | ١٠٦+١٠٥ |
| ٥٢٠ | قال تعالى : (والله جعل لكم الارض بساطا) | ١٠٧ |
| ٥٢١ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) | ١٠٧ |
| ٥٢٢ | قال تعالى : (وهوالذى مد الارض) | ١٠٧ |
| ٥٢٣ | قال تعالى : (والارض بعد ذلك دحاها) | ١٠٧ |
| ٥٢٤ | قال تعالى : (والارض فرشناها فنعم الماهدون) | ١٠٨ |
| ٥٢٥ | قال تعالى : (والسما* ذات الرجح) | ١١١ |
| ٥٢٦ | قال تعالى : (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى) | ١١٣ |
| ٥٢٧ | قال تعالى : (ولقد مكناكم في الارض) | ١١٥ |
| ٥٢٨ | قال تعالى : (ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم في البر) | ١١٥ |
| ٥٢٩ | قال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) | ٩٥ |
| ٥٣٠ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ما*) | ١٩٦ |
| ٥٣١ | قال تعالى : (وهو الذى أرسل الرياح بشرا) | ١١٦ |
| ٥٣٢ | قال تعالى : (وترى الارض هامدة) | ١١٦ |
| ٥٣٣ | قال تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه) | ١١٧ |
| ٥٣٤ | قال تعالى : (والارض بعد ذلك دحاها) | ١١٨ |
| ٥٣٥ | قال تعالى : (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى) | ١١٨ |
| ٥٣٦ | قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح) | ١١٩ |
| ٥٣٧ | قال تعالى : (والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم) | ١٢٠ |
| ٥٣٨ | قال تعالى : (وهو الذى مد الارض) | ١٢١ |
| ٥٣٩ | قال تعالى : (وجعلنا فيها رواسى شامخات) | ١٢١ |
| ٥٤٠ | قال تعالى : (وألقى في الارض رواسى أن تميد بكم) | ١٢١ |
| ٥٤١ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) | ١٢١ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------------------------|--|--------|
| ===== حرف (و) ===== | | |
| ٥٤٢ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا ٠٠٠) | ١٢١ |
| ٥٤٣ | قال تعالى : (وما يستوى البحران هذا عذب فرات) | ١٢٢ |
| ٥٤٤ | قال تعالى : (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب) | ١٢٢ |
| ٥٤٥ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا ٠٠٠) | ١٢٢ |
| ٥٤٦ | قال تعالى : (ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) | ١٢٣ |
| ٥٤٧ | قال تعالى : (وآية لهم الارض الميتة أحييناها ٠٠٠) | ١٢٣ |
| ٥٤٨ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر ٠٠٠) | ١٢٣ |
| ٥٤٩ | قال تعالى : (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر) | ١٢٤ |
| ٥٥٠ | قال تعالى : (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض) | ١٢٤ |
| ٥٥١ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) | ١٢٤ |
| ٥٥٢ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا ٠٠٠) | ١٢٥ |
| ٥٥٣ | قال تعالى : (وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) | ١٢٥ |
| ٥٥٤ | قال تعالى : (وجعلنا فيها رواسى شامخات ٠٠٠) | ١٢٥ |
| ٥٥٥ | قال تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ٠٠٠) | ١٢٥ |
| ٥٥٦ | قال تعالى : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) | ١٢٨ |
| ٥٥٧ | قال تعالى : (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) | ١٣١ |
| ٥٥٨ | قال تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) | ١٣١ |
| ٥٥٩ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) | ١٢٣ |
| ٥٦٠ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ١٣٤ |
| ٥٦١ | قال تعالى : (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات) | ١٣٤ |
| ٥٦٢ | قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح ٠٠٠) | ١٣٤ |
| ٥٦٣ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ١٣٦ |
| ٥٦٤ | قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح ٠٠٠) | ١٣٧ |
| ٥٦٥ | قال تعالى : (وهو الذى أرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ١٣٩ |
| ٥٦٦ | قال تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) | ١٣٩ |
| ٥٥٧ | قال تعالى : (وجعلنا سراجا وهاجا ٠٠٠) | ١٤١ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (و)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٥٥٨ | قال تعالى : (وجعل القمر فيهن نورا ٠٠٠) | ١٤١ |
| ٥٥٩ | قال تعالى : (وهو الذى جعل الشمس ضياء * ٠٠٠) | ١٤١ |
| ٥٦٠ | قال تعالى : (وجعل الشمس سراجا ٠٠٠) | ١٤١ |
| ٥٦١ | قال تعالى : (ولقد زيننا السماء * الدنيا بمصابيح ٠٠٠) | ١٤٢ |
| ٥٦٢ | قال تعالى : (وبيننا فوقكم سبعا شادا ٠٠٠) | ١٤٣ |
| ٥٦٣ | قال تعالى : (وجعل القمر فيهن نورا ٠٠٠) | ١٤٣ |
| ٥٦٤ | قال تعالى : (والشمس وضحاها ٠٠٠) | ١٤٤ |
| ٥٦٥ | قال تعالى : (وبيننا فوقكم سبعا شادا ٠٠٠) | ١٤٦ |
| ٥٦٦ | قال تعالى : (وهو الذى جعل الشمس ضياء * ٠٠٠) | ١٥٠ |
| ٥٦٧ | قال تعالى : (وتصريف الرياح والسحاب المسخر ٠٠٠) | ١٣٦ |
| ٥٦٨ | قال تعالى : (وآية لهم الارض الميتة ٠٠٠) | ١٥٤ |
| ٥٦٩ | قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ١٥٥ |
| ٥٧٠ | قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة ٠٠٠) | ١٥٥ |
| ٥٧١ | قال تعالى : (وقال الملك انى أرى سبع بقرات ٠٠٠) | ١٥٦ |
| ٥٧٢ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السما * ماء * ٠٠٠) | ١٥٦ |
| ٥٧٣ | قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب ٠٠٠) | ١٥٦ |
| ٥٧٤ | قال تعالى : (واذا قلت يا موسى لن نصبر ٠٠٠) | ١٥٧ |
| ٥٧٥ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السما * ماء * ٠٠٠) | ١٥٧ |
| ٥٧٦ | قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ١٥٩ |
| ٥٧٧ | قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء * ٠٠٠) | ١٥٩ |
| ٥٧٨ | قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة ٠٠٠) | ١٦٠ |
| ٥٧٩ | قال تعالى : (وفي الارض قطع متجاورات ٠٠٠) | ١٦٠ |
| ٥٨٠ | قال تعالى : (واذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام) | ١٦١ |
| ٥٨١ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السما * ماء * لكم منه) | ١٦٦ |

شراب ٠٠٠

| | | |
|-----|---|-----|
| ٥٨٢ | قال تعالى : (وأوحى ريك الى النحل أن أتخذى من ١٦٦ - ١٦٨) | ١٦٨ |
| | (الجبال بيوتا ومن الشجر ٠٠٠) | |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| (و) حرف | | |
| ٦٠٧ | قال تعالى : (ولله يسجد من في السموات والارض ٠٠٠) | ٢٣٩ |
| ٦٠٨ | قال تعالى : (ودانية عليهم ظلالها ٠٠٠) | ٢٤١ |
| ٦٠٩ | قال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ٠٠٠) | ٢٤٥ |
| ٦١٠ | قال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ٠٠٠) | ٢٤٦ |
| ٦١١ | قال تعالى : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ١٧٤ |
| ٦١٢ | قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة ٠٠٠) | ١٧٥ |
| ٦١٣ | قال تعالى : (واذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد) | ١٧٨ |
| ٦١٤ | قال تعالى : (وانبتنا عليه شجرة فمن يقطين ٠٠٠) | ١٨٢ |
| ٦١٥ | قال تعالى : (والحبذ والعصف والريحان ٠٠٠) | ١٨٤ |
| ٦١٦ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسي) | ٢٤٩ |
| ٦١٧ | قال تعالى : (وترى الارض هامدة ٠٠٠) | ٢٤٩ |
| ٦١٨ | قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين ٠٠٠) | ٢٤٩ |
| ٦١٩ | قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ٠٠٠) | ٢٥٠ |
| ٦٢٠ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر ٠٠٠) | ٢٥٠ |
| ٦٢١ | قال تعالى : (وفي الارض قطع متجاورات ٠٠٠) | ٢٥٢ |
| ٦٢٢ | قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب ٠٠٠) | ٢٥٢ |
| ٦٢٣ | قال تعالى : (وآية لهم الارض الميتة ٠٠٠) | ٢٥٤ |
| ٦٢٤ | قال تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ٢٥٤ |
| ٦٢٥ | قال تعالى : (والسابقون السابقون أولئك المقربون ٠٠٠) | ٢٥٦ |
| ٦٢٦ | قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٠٠٠) | ٢٥٦ |
| ٦٢٧ | قال تعالى : (وتلك الجنة التي أورثتموها ٠٠٠) | ٢٥٧ |
| ٦٢٨ | قال تعالى : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ٠٠٠) | ٢٥٨ |
| ٦٢٩ | قال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ٠٠٠) | ٢٥٨ |
| ٦٣٠ | قال تعالى : (وضرب الله مثلا رجلين ٠٠٠) | ٢٧٢ |
| ٦٣١ | قال تعالى : (ولله المثل الاعلى ٠٠٠) | ٢٧٣ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| حرف (و) | | |
| ٦٣٢ | قال تعالى : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها . . .) | ٢٧٨ |
| ٦٣٣ | قال تعالى : (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد . . .) | ٢٨٢ |
| ٦٣٤ | قال تعالى : (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم . . .) | ٢٨٢ |
| ٦٣٥ | قال تعالى : (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . . .) | ٢٨٦ |
| ٦٣٦ | قال تعالى : (وأشرققت الارض بنور ربها . . .) | ٢٨٨ |
| ٦٣٧ | قال تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . .) | ٢٩٧ |
| ٦٣٨ | قال تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا . . .) | ٣١٤ |
| ٦٣٩ | قال تعالى : (واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو | ٣١٤ |
| ٦٤٠ | قال تعالى : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة | ٧٧٠ |
| ٦٤١ | قال تعالى : (والخبذ والعصف . . .) | ٣٤٥ |
| ٦٤٢ | قال تعالى : (وفي الارض قطع متجاورات . . .) | ٣٥٢ |
| ٦٤٣ | قال تعالى : (وصوركم فأحسن صوركم . . .) | ٣٦٦ |
| ٦٤٤ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا . . .) | ٣٧٢ |
| ٦٤٥ | قال تعالى : (ولقد كرمتنا بنى آدم . . .) | ٣٦٦ |
| ٦٤٦ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا . . .) | ٣٧٣ |
| ٦٤٧ | قال تعالى : (وهو الذى ينزل الغيث . . .) | ٣٧٤ |
| ٦٤٨ | قال تعالى : (والقمر قدرناه منازل . . .) | ٣٩٩ |
| ٦٤٩ | قال تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب | ٤٠٠ |
| ٦٥٠ | قال تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون . . .) | ٤٠١ |
| ٦٥١ | قال تعالى : (واذا انتقنا الجبل فوقهم . . .) | ٤٠٢ |
| ٦٥٢ | قال تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم . . .) | ٤٠٢ |
| ٦٥٣ | قال تعالى : (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) | ٤٠٣ |
| ٦٥٤ | قال تعالى : (ولله غيب السموات والارض . . .) | ٤٠٣ |
| ٦٥٥ | قال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) | ٤١٤ |
| ٦٥٦ | قال تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة . . .) | ٤٠٥ |
| ٦٥٧ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا . . .) | ٤٠٦ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| حرف (و) | | |
| ٦٥٨ | قال تعالى : (وترى الارض هامدة ٠٠٠) | ٤٠٧ |
| ٦٥٩ | قال تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) | ٤٠٩ |
| ٦٦٠ | قال تعالى : (والله الذى أرسل الرياح ٠٠٠) | ٤١١ |
| ٦٦١ | قال تعالى : (وترى الارض هامدة ٠٠٠) | ٤١١ |
| ٦٦٢ | قال تعالى : (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة ٠٠٠) | ٤١١ |
| ٦٦٣ | قال تعالى : (واما عاد فأهلكوا بريح صرصر ٠٠٠) | ٤١٦ |
| ٦٦٤ | قال تعالى : (ولله ما فى السموات ٠٠٠) | ٤٣٩ |
| ٦٦٥ | قال تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نصبر ٠٠٠) | ٤٤٢ |
| ٦٦٦ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٤٤٢ |
| ٦٦٧ | قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ٤٤٢ |
| ٦٦٨ | قال تعالى : (وفى الارض قطع متجاورات ٠٠٠) | ٤٤٣ |
| ٦٦٩ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر ٠٠٠) | ٤٤٣ |
| ٦٧٠ | قال تعالى : (وينشئ السحاب الثقال ٠٠٠) | ٤٤٥ |
| ٦٧١ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ٤٤٧ |
| ٦٧٢ | قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح ٠٠٠) | ٤٤٧ |
| ٦٧٣ | قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ٠٠٠) | ٤٥٢ |
| ٦٧٤ | قال تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون ٠٠٠) | ٤٥٤ |
| ٦٧٥ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٤٥٥ |
| ٦٧٦ | قال تعالى : (وسبح سنبلات خضر ٠٠٠) | ٤٥٧ |
| ٦٧٧ | قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ٤٦٢ |
| ٦٧٨ | قال تعالى : (وأخرجنا منه حبا فممه يأكلون ٠٠٠) | ٤٧٠ |
| ٦٧٩ | قال تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نصبر ٠٠٠) | ٤٧١ |
| ٦٨٠ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى ٠٠٠) | ٤٧٢ |
| ٦٨١ | قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة ٠٠٠) | ٤٧٢ |
| ٦٨٢ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها ٠٠٠) | ٤٧٢ |
| ٦٨٣ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا ٠٠٠) | ٤٧٢ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|---|---------|
| حرف (و) | | |
| ٦٨٤ | قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد .٠٠٠) | ٤٧٣ |
| ٦٨٥ | قال تعالى : (وقال الملك انى أرى سبع بقرات .٠٠٠) | ٤٧٤ |
| ٦٨٦ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) | ٤٧٤ |
| ٦٨٧ | قال تعالى : (وهوى اليك بجذع النخلة .٠٠٠) | ٤٧٧ |
| ٦٨٨ | قال تعالى : (وجنى الجنتين دان .٠٠٠) | ٤٧٨ |
| ٦٨٩ | قال تعالى : (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن .٠٠٠) | ٤٨٣+٤٨٢ |
| ٦٩٠ | قال تعالى : (والله أنبتكم من الارض نباتا .٠٠٠) | ٤٨٣ |
| ٦٩١ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) | ٤٩١ |
| ٦٩٢ | قال تعالى : (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) | ٤٨٦ |
| ٦٩٣ | قال تعالى : (وترى الارض هامدة .٠٠٠) | ٤٩٣ |
| ٦٩٤ | قال تعالى : (ونزلنا من السما* ماء* مباركا .٠٠٠) | ٤٩٣ |
| ٦٩٥ | قال تعالى : (وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون .٠٠٠) | ٤٩٣ |
| ٦٩٦ | قال تعالى : (والنخل باسقات لها طلع نضيد .٠٠٠) | ٥٠٠ |
| ٦٩٧ | قال تعالى : (والارض وضعها للنام فيها فاكهة .٠٠٠) | ٥٠٥ |
| ٦٩٨ | قال تعالى : (والسما* رفعها ووضع الميزان .٠٠٠) | ٥٠٥ |
| ٦٩٩ | قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك .٠٠٠) | ٥٠٨ |
| ٧٠٠ | قال تعالى : (واذا قال ربك للملائكة انى جاعل .٠٠٠) | ٥١٢ |
| ٧٠١ | قال تعالى : (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة .٠٠٠) | ٥٠٦ |
| ٧٠٢ | قال تعالى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة .٠٠٠) | ٥١٦ |
| ٧٠٣ | قال تعالى : (ولا تقربا هذه الشجرة .٠٠٠) | ٥١٨ |
| ٧٠٤ | قال تعالى : (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة .٠٠٠) | ٥١٨ |
| ٧٠٥ | قال تعالى : (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلون) | ٥٢٢ |
| ٧٠٦ | قال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى .٠٠٠) | ٥٢٢ |
| ٧٠٧ | قال تعالى : (وناداهما ربهما .٠٠٠) | ٥٢٣ |
| ٧٠٨ | قال تعالى : (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين .٠٠٠) | ٥٢٩ |
| ٧٠٩ | قال تعالى : (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى .٠٠٠) | ٥٣١ |

الرقم الآيـة الصفحة

=====

حرف (و)

| | | | |
|-----|---|-------------|-----|
| ٥٣١ | (واذا قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٠ |
| ٥٣٨ | (وهل أتاك حديث موسى (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١١ |
| ٥٤٦ | (واذا قلت يا موسى لن نصبر (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٢ |
| ٥٤٧ | (وان يونس لمن المرسلين (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٣ |
| ٥٦٢ | (والسابقون السابقون أولئك المقربون) | قال تعالى : | ٧١٤ |
| ٥٨٥ | (ويقولون متى هذا الوعد (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٥ |
| ٥٨٧ | (وهل نجازى الا الكفور (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٦ |
| ٥٨٩ | (ويسألونك عن الروح (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٧ |
| ٥٩٨ | (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٨ |
| ٦٠٢ | (وان من شئ الا يسبح بحمده (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧١٩ |
| ٦٠٣ | (والنجم والشجر يسجدان (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٠ |
| ٦٠٣ | (وان من شئ الا يسبح بحمده (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢١ |
| ٦٠٧ | (ومن أصدق من الله حديثا (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٢ |
| ٦١١ | (ويحلفون بالله انهم منكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٣ |
| ٦١١ | (وأقسموا بالله جهد أيمانكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٤ |
| ٦١٢ | (ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٥ |
| ٦١٣ | (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٦ |
| ٦١٣ | (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٧ |
| ٦١٣ | (ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٨ |
| ٦١٣ | (واحفظوا أيمانكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٢٩ |
| ٦١٣ | (ولا تطع كل حلاف مهين (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٣٠ |
| ٦١٤ | (وانه لقسم لو تعلمون عظيم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٣١ |
| ٦١٥ | (وفى السماء رزقكم وما توعدون (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٣٢ |
| ٦١٧ | (وتالله لاكي دن أصنامكم (٠٠٠)) | قال تعالى : | ٧٣٣ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|---------------|--|--------|
| (و) حرف | | |
| ٧٧٤ | قال تعالى : (والسما* وما بناها ٠٠٠) | ٦١٧ |
| ٧٧٥ | قال تعالى : (والطور وكتاب مسطور | ٦١٨ |
| ٧٧٦ | قال تعالى : (والشمس وضحاها ٠٠٠) | ٦١٨ |
| ٧٧٧ | قال تعالى : (والتين والزيتون ٠٠٠١) | ٦١٨ |
| ٧٧٩ | قال تعالى : (والمرسلات عرفا ٠٠٠) | ٦١٩ |
| ٧٨٠ | قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ٠٠٠) | ٦١٩ |
| ٧٨١ | قال تعالى : (ولنبلونك حتى نعلم المجاهدين | ٦١٩ |
| ٧٨٢ | قال تعالى : (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلوا | ٦١٩ |
| ٧٨٣ | قال تعالى : (ولتعلمن أننا أشد عذابا بالله ٠٠٠) | ٦١٩ |
| ٧٨٤ | قال تعالى : (ويحلفون بالله انهم لمنكم ٠٠٠) | ٦٢٠ |
| ٧٨٥ | قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ٠٠٠) | ٦٢١ |
| ٧٨٦ | قال تعالى : (وان منكم الا واردها ٠٠٠) | ٦٢١ |
| ٧٨٧ | قال تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم | ٦٢١ |
| (خصاصة ٠٠٠) | | |
| ٧٨٨ | قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء* ٠٠٠) | ٦٢٢ |
| ٧٨٩ | قال تعالى : (وشجرة تخرج من طور سيناء* ٠٠٠) | ٦٢٤ |
| ٧٩٠ | قال تعالى : (ولنبلونكم بشيء* من الخوف ٠٠٠) | ٦٤٠ |
| ٧٩١ | قال تعالى : (وخلق الانسان ضعيفا ٠٠٠) | ٦٤٨ |
| ٧٩٢ | قال تعالى : (وأنزل من السما* ماء ٠٠٠) | ٦٤٩ |
| ٧٩٣ | قال تعالى : (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ٠٠٠) | ٦٥٠ |
| ٧٩٤ | قال تعالى : (والتين والزيتون ٠٠٠) | ٦٥٢ |
| ٧٩٥ | قال تعالى : (ولنبلونكم بشيء* من الخوف ٠٠٠) | ٦٥٣ |
| ٧٩٦ | قال تعالى : (والسما* وما بناها ٠٠٠) | ٦٥٣ |
| ٧٩٧ | قال تعالى : (وفي الارض آيات للموقنين ٠٠٠) | ٦٥٧ |
| ٧٩٨ | قال تعالى : (وكلأين من آية في السموات ٠٠٠) | ٦٥٨ |
| ٧٩٩ | قال تعالى : (وكل شيء عنده بمقدار ٠٠٠) | ٦٦١ |

| الرقم | آية | الصفحة |
|-------|---|--------|
| | حرف (و) | |
| ٨٠٠ | قال تعالى : (وخلق كل شيء فقدره ٠٠٠) | ٦٦١ |
| ٨٠١ | قال تعالى : (وان من شيء الا عندنا خزائنه ٠٠٠) | ٦٦١ |
| ٨٠٢ | قال تعالى : (والله الغنى وأنتم الفقراء ٠٠٠) | ٦٦٧ |
| ٨٠٣ | قال تعالى : (وان الى ربك المنتهى ٠٠٠) | ٦٦٧ |
| ٨٠٤ | قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به ٠٠٠) | ٦٦٩ |
| ٨٠٥ | قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٦٧٠ |
| ٨٠٦ | قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا ٠٠٠) | ٦٧٠ |
| ٨٠٧ | قال تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير ٠٠٠) | ٦٧٠ |
| ٨٠٨ | قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح ٠٠٠) | ٦٧١ |
| ٨٠٩ | قال تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حى ٠٠٠) | ٦٧٢ |
| ٨١٠ | قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٦٧٣ |
| ٨١١ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٦٧٧ |
| ٨١٢ | قال تعالى : (وفى الارض قطع متجاورات ٠٠٠) | ٦٧٨ |
| ٨١٣ | قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات ٠٠٠) | ٦٨٢ |
| ٨١٤ | قال تعالى : (وهى والذى مد الارض ٠٠٠) | ٦٨٦ |
| ٨١٥ | قال تعالى : (وهو الذى مد الارض وجعل فيها ٠٠٠) | ٦٨٧ |
| ٨١٦ | قال تعالى : (ومن الجبال جدد بيض ٠٠٠) | ٦٨٩ |
| ٨١٧ | قال تعالى : (وآية لهم الارض الميتة ٠٠٠) | ٦٨٩ |
| ٨١٨ | قال تعالى : (وجعل فيها رواسى ٠٠٠) | ٦٨٩ |
| ٨١٩ | قال تعالى : (وجعلنا فيها رواسى شامخات ٠٠٠) | ٦٩٠ |
| ٨٢٠ | قال تعالى : (وجعل فيها رواسى وانهار ٠٠٠) | ٦٩١ |
| ٨٢١ | قال تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حى ٠٠٠) | ٦٩١ |
| ٨٢٢ | قال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر ٠٠٠) | ٦٩٢ |
| ٨٢٣ | قال تعالى : (والارض مددناها والقينا فيها رواسى ٠٠٠) | ٦٩٤ |
| ٨٢٤ | قال تعالى : (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين ٠٠٠) | ٦٩٦ |
| ٨٢٥ | قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء ٠٠٠) | ٦٩٧ |

الرقم الآية الصفحة

=====

حرف (و)

| | | | |
|-----|--|-------------|-----|
| ٦٩٩ | (ومن كل شيء خلقنا زوجين (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٢٦ |
| ٧٠٠ | (ومن كل شيء خلقنا زوجين (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٢٧ |
| ٧٠٠ | (ومن الانعام أزواجا (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٢٨ |
| ٧٠٣ | (وفي الارض قطع متجاورات (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٢٩ |
| ٧٠٤ | (ومن الجبال جدد بيض (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٠ |
| ٧٠٥ | (وهو الذي أنزل من السماء ماء (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣١ |
| ٧١٣ | (وما خلقنا السماء والارض (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٢ |
| ٧١٥ | (وكذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم) | : قال تعالى | ٨٣٣ |
| ٧١٥ | (وهو الذي يتوفاكم بالليل (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٤ |
| ٧١٦ | (وأن الله يبعث من في القبور (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٥ |
| ٧١٧ | (ولكن كره الله انبعاثهم (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٦ |
| ٧١٧ | (وقال الذين كفروا هل ندلكم (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٧ |
| ٧١٨ | (ولقد خلقنا الانسان من سالة (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٨ |
| ٧١٨ | (وأقسموا بالله جهداً بما لهم (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٣٩ |
| ٧٢١ | (والارض مددناها والقينا فيها رواسي) | : قال تعالى | ٨٤٠ |
| ٧٢٦ | (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) | : قال تعالى | ٨٤١ |
| ٧٢٦ | (وهو الذي يرسل الرياح بشرا (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٤٢ |
| ٧٢٦ | (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) | : قال تعالى | ٨٤٣ |
| ٧٢٩ | (وقالوا أئذا ضللنا في الارض (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٤٤ |
| ٧٣٠ | (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) | : قال تعالى | ٨٤٥ |
| ٧٣١ | (وكان ذلك على الله يسيرا (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٤٦ |
| ٧٣١ | (ولا يئودهم حملهما ولا ينهونهم) | : قال تعالى | ٨٤٧ |
| ٧٣١ | (ولقد علمتم النشأة الاولى (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٤٨ |
| ٧٣٩ | (وفي الارض قطع متجاورات (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٤٩ |
| ٧٤٤ | (وفي الارض قطع متجاورات (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٥٠ |
| ٧٤٣ | (ومن الجبال جدد بيض (٠٠٠) | : قال تعالى | ٨٥١ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-----------|--|--------|
| حرف (و) | | |
| ٨٧٩ | قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) (٠٠٠) | ٨٦٦ |
| ٨٨٠ | قال تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة) (٠٠٠) | ٨٧٠ |
| ٨٨١ | قال تعالى : (وأنفقوا من رزقناكم) (٠٠٠) | ٨٧٠ |
| ٨٨٢ | قال تعالى : (والذين هم للزكاة فاعلون) (٠٠٠) | ٨٧٢ |
| ٨٨٣ | قال تعالى : (وآتوه حقه يوم حصاده) (٠٠٠) | ٨٧٢ |
| ٨٨٤ | قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٠٠٠) | ٨٧٤ |
| ٨٨٥ | قال تعالى : (ولقد مكناكم في الأرض) (٠٠٠) | ٨٧٦ |
| ٨٨٦ | قال تعالى : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) (٠٠٠) | ٨٧٨ |
| ٨٨٧ | قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٠٠٠) | ٨٨٠ |
| ٨٨٨ | قال تعالى : (ومما أخرجنا لكم من الأرض) (٠٠٠) | ٨٨٢ |
| ٨٨٩ | قال تعالى : (ولا حبة في ظلمات الأرض) (٠٠٠) | ٨٨٤ |
| ٨٩٠ | قال تعالى : (وإن كان مثقال حبة من خردل) (٠٠٠) | ٨٨٤ |
| ٨٩١ | قال تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة) (٠٠٠) | ٨٨٥ |
| ٨٩٢ | قال تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماءً شجاجاً) (٠٠٠) | ٨٨٥ |
| ٨٩٣ | قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماءً مباركاً) (٠٠٠) | ٨٨٥ |
| ٨٩٤ | قال تعالى : (وآتوه حقه يوم حصاده) (٠٠٠) | ٩٠٠ |
| ٨٩٥ | قال تعالى : (وهزى اليك بجذع النخلة) (٠٠٠) | ٩٠٨ |
| ٨٩٦ | قال تعالى : (وإن تصدقوا خير لكم) (٠٠٠) | ٩٣٨ |
| ٨٩٧ | قال تعالى : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) (٠٠٠) | ٩٣٩ |
| ٨٩٨ | قال تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) (٠٠٠) | ٩٤٣ |
| ٨٩٩ | قال تعالى : (واضرب لهم مثلاً رجلين) (٠٠٠) | ٩٤٣ |
| ٩٠٠ | قال تعالى : (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) (٠٠٠) | ٩٤٥ |
| ٩٠١ | قال تعالى : (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره) (٠٠٠) | ٩٤٦ |
| ٩٠٢ | قال تعالى : (ولولا إذ دخلت جنتك) (٠٠٠) | ٩٤٩ |
| ٩٠٣ | قال تعالى : (وأحيط بشمره فاصبح يقلب كفيه) (٠٠٠٠٠٠) | ٩٥١ |
| ٩٠٤ | قال تعالى : (وأما من بخل) (٠٠٠) | ٩٥٢ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|--------------------|--|--------|
| ===== | | |
| حرف (و) | | |
| ٩٠٥ | قال تعالى : (ولا يحسد بن ٠٠٠) | ٩٥٢ |
| ٩٠٦ | قال تعالى : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم ٠٠٠) | ٩٥٨ |
| ٩٠٧ | قال تعالى : (وبدلناهم بمجننتيهم جننتين ٠٠٠) | ٩٦٤ |
| ٩٠٨ | قال تعالى : (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ٠٠٠) | ٩٦٧ |
| حرف (ي) | | |
| ٩٠٩ | قال تعالى : (يهلك الحرث والنسل ٠٠٠) | ٥٤ |
| ٩١٠ | قال تعالى : (يوقد من شجرة مباركة ٠٠٠) | ٦٤ |
| ٩١١ | قال تعالى : (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله ٠٠٠) | ١١٥ |
| ٩١٢ | قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون ٠٠٠) | ١٥٥ |
| ٩١٣ | قال تعالى : (يا أيها الناس ان كنتم في ريب ٠٠٠) | ١٦٦ |
| من البعث ٠٠٠ | | |
| ٩١٤ | قال تعالى : (يا أيها الناس كلوا مما في الارض ٠٠٠) | ١٩٧ |
| ٩١٥ | قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات) | ١٩٧ |
| ٩١٦ | قال تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ٠٠٠) | ٢١٤ |
| ٩١٧ | قال تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ٠٠٠) | ٢١٦ |
| ٩١٨ | قال تعالى : (يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان ٠٠٠) | ٢١٦ |
| ٩١٩ | قال تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) | ٢١٧ |
| ٩٢٠ | قال تعالى : (يتفيسؤ ظلاله عن اليمين والشمال ٠٠٠) | ٢٣٧ |
| ٩٢١ | قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون ٠٠٠) | ٢٥٣ |
| ٩٢٢ | قال تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل ٠٠٠) | ٢٧١ |
| ٩٢٣ | قال تعالى : (يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يخادر) | ٣٣٧ |
| صغيرة ولاكبيرة ٠٠٠ | | |
| ٩٢٤ | قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ولا تبطلوا ٠٠٠) | ٣٢٥ |
| ٩٢٥ | قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا ٠٠٠) | ٣٧٣ |
| ٩٢٦ | قال تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون ٠٠٠) | ٤٤٣ |
| ٩٢٧ | قال تعالى : (يلبسون ثيابا خضرا ٠٠٠) | ٤٥٧ |

| الرقم | الآية | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

حرف (ي)

| | | | |
|-----|-------------|--|-----|
| ٩٥٣ | قال تعالى : | (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) | ٨٧٧ |
|-----|-------------|--|-----|

حرف (لا)

| | | | |
|-----|-------------|---|-----|
| ٩٥٤ | قال تعالى : | (لا تحرك به لسانك لتعجل به) | ٢٢٠ |
| ٩٥٥ | قال تعالى : | (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) | ٢٤٤ |
| ٩٥٦ | قال تعالى : | (لا أقسم بيوم القيامة) | ٦١٢ |
| ٩٥٧ | قال تعالى : | (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) | ٦١٣ |
| ٩٥٨ | قال تعالى : | (لأقطعن أيديكم) | ٦١٩ |
| ٩٥٩ | قال تعالى : | (لا أقسم بيوم القيامة) | ٦٢٠ |

خامساً :-

١١ قائمةُ بفرست الاحاديث

النبوية الشريفة في البحث

فهرس الاحاديث الواردة في البحث

مرتبة على حسب حروف الهجاء

xx

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| حرف (أ) | | |
| ١ | (اذا هبت الريح (٠٠٠ | ١٣١ |
| ٢ | (ائتد موا بالزيت واد هنوا به (٠٠٠ | ٢٢٨ |
| ٣ | (ان صلوا الظهر اذا كان الفئ ذراعا (٠٠٠ | ٢٣٩ |
| ٤ | (أنه غزا مع النبي فأدركتهم القاثة (٠٠٠ | ٢٤٢ |
| ٥ | (ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (٠٠٠ | ٢٤٢ |
| ٦ | (ان هواء الجنة سجاج لاجر ولايرد (٠٠٠ | ٢٤٥ |
| ٧ | (ان في الجنة لشجرة يسير الراكب (٠٠٠ | ٢٤٦ |
| ٨ | (ان في الجنة لشجرة يسير الراكب (٠٠٠ | ٢٤٧ |
| ٩ | (أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم (٠٠٠ | ١٦٨ |
| ١٠ | (ان التلبينة تجم فؤاد المريض (٠٠٠ | ١٧٨ |
| ١١ | (أنهمفا كانوا يكرون الارض (٠٠٠ | ٣٢ |
| ١٢ | (أن رجلا من أهل الجنة (٠٠٠ | ٣٢ |
| ١٣ | (أن النبي صلى الله عليه وسلم لقبى زيد بن عمرو (٠٠٠ | ٣٢ |
| ١٤ | (اتقوا الله على ما تدغرن أولادكن (٠٠٠ | ١٨٨ |
| ١٥ | (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع (٠٠٠ | ١٩٠ |
| ١٦ | (أنه اذا قام من الليل يشوص فاه (٠٠٠ | ١٩٢ |
| ١٧ | (انما مثلى ومثل الانبياء (٠٠٠ | ٢٧٧ |
| ١٨ | (ان الله خلق خلقه في ظلمة (٠٠٠ | ٢٨٧ |
| ١٩ | (ان الايمان يختلف في القلب (٠٠٠ | ٣٠٢ |
| ٢٠ | (اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد (٠٠٠ | ٣٤٣ |
| ٢١ | (الا مشمر للجنة (٠٠٠ | ٣٤٦ |
| ٢٢ | (اخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم (٠٠٠ | ٣٥٠ |
| ٢٣ | (ان من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم (٠٠٠ | ٣٥٠ |
| ٢٤ | (اخبرونى عن شجرة مثلها مثل المؤمن (٠٠٠ | ٣٥١ |
| ٢٥ | (اخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم (٠٠٠ | ٣٥١ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|--|--------|
| (أ) | | |
| ٢٦ | (ان من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم (٠٠٠)) | ٢٥٢ |
| ٢٧ | (ان مثل المؤمن كمثل شجرة لاتسقط لها أنملة (٠٠٠)) | ٢٥٢ |
| ٢٨ | (اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر (٠٠٠)) | ٢٥٦ |
| ٢٩ | (ان التمر يذهب الداء* ولاداء* فيه (٠٠٠)) | ٢٥٨ |
| ٣٠ | (ان مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى (٠٠٠)) | ٢٧٠ |
| ٣١ | (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة (٠٠٠)) | ٢٦٤ |
| ٣٢ | (ان من الشجر لما بركته كبركة المسلم (٠٠٠)) | ٢٦٥ |
| ٣٣ | (أما أهل النار الذين هم أهل النار (٠٠٠)) | ٤٢٢ |
| ٣٤ | (اما أهل النار الذين هم أهلها (٠٠٠)) | ٤٢٢ |
| ٣٥ | (ان المرأة كالضلع اذا ذهبت تقيمها كسررتها (٠٠٠)) | ٥١٣ |
| ٣٦ | (انما النساء شقائق الرجال (٠٠٠)) | ٥٢٣ |
| ٣٧ | (ان قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا (٠٠٠)) | ٥٥٧ |
| ٣٨ | (ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة (٠٠٠)) | ٥٢٤ |
| ٣٩ | (ان أول زمرة يدخلون الجنة (٠٠٠)) | ٥٢٦ |
| ٤٠ | (ان الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم (٠٠٠)) | ٥٦١ |
| ٤١ | (انتم خير أهل الارض (٠٠٠)) | ٥٦٢ |
| ٤٢ | (ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (٠٠٠)) | ٥٦٣ |
| ٤٣ | (انتم خير أهل الارض (٠٠٠)) | ٥٦٩ |
| ٤٤ | (انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٠٠٠)) | ٥٧٠ |
| ٤٥ | (ان عمر بلغه ان قوما يأتون الشجرة (٠٠٠)) | ٥٧١ |
| ٤٦ | (أنزلت هذه الآية عن رسول الله (٠٠٠)) | ٥٧٥ |
| ٤٧ | (ان عمر بن الخطاب سأل يوما أصحاب رسول الله (٠٠٠)) | ٦٠٠ |
| ٤٨ | (انه أهدى الى النبي طبق من تين (٠٠٠)) | ٦٢٨ |
| ٤٩ | (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (٠٠٠)) | ٦٣٠ |
| ٥٠ | (ائتموا بالزيت وادهنوا به (٠٠٠)) | ٦٣٤ |
| ٥١ | (ان الله لا ينظر الى أجسادكم (٠٠٠)) | ٦٣٧ |
| ٥٢ | (اكرموا عمتم النخلة (٠٠٠)) | ٦٧٨ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-----------|--|--------|
| حرف (أ) | | |
| ٥٣ | (انى اذا رأيتك طابت نفسى (٠٠٠)) | ٦٩٣ |
| ٥٤ | (ان عم الرجل صنواً بيه (٠٠٠)) | ٧٤٤ |
| ٥٥ | (الم اخبر أنك تصوم ولا تغطر (٠٠٠)) | ٧٦٢ |
| ٥٦ | (امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبح ونهانا عن سبح (٠٠٠)) | ٧٦٣ |
| ٥٧ | (اقسم بيننا وبين أخواتنا النخيل (٠٠٠)) | ٧٧٦ |
| ٥٨ | (ان رجلاً مر به وهو يغرس غرساً (٠٠٠)) | ٧٧٨ |
| ٥٩ | (ان قامت الساعة وببدا أحدكم (٠٠٠)) | ٧٧٩ |
| ٦٠ | (أن رسول الله نهى عن بيع المزابنة (٠٠٠)) | ٧٩٢ |
| ٦١ | (ان رسول الله نهى عن المخابرة والمحافظة (٠٠٠)) | ٧٩٢ |
| ٦٢ | (أن رسول الله أقطع بلال معادن القبيلة (٠٠٠)) | ٧٩٦ |
| ٦٣ | (اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك (٠٠٠)) | ٧٩٨ |
| ٦٤ | (انهم كانوا يكدون الارض (٠٠٠)) | ٨١٢ |
| ٦٥ | (ان مجاهد قال لطاوس انطلق بنا الى ابن رافع (٠٠٠)) | ٨١٣ |
| ٦٦ | (انه لما سمع اكنار الناس في كراة الارض (٠٠٠)) | ٨١٣ |
| ٦٧ | (انه كان يكرى أرضه (٠٠٠)) | ٨١٤ |
| ٦٨ | (ان أحدهم كان يشترط ثلاثة جد وال (٠٠٠)) | ٨١٤ |
| ٦٩ | (أنا أعلم بذلك منه (٠٠٠)) | ٨١٨ |
| ٧٠ | (انا اعلم بذلك منه (٠٠٠)) | ٨٢٣ |
| ٧١ | (ان اعلمهم أخبرنى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهى عنه (٠٠٠)) | ٨٢٤ |
| ٧٢ | (ان عمر بن الخطاب أجلى اليهود (٠٠٠)) | ٨٢٦ |
| ٧٣ | (ان التمر كان يقسم على السهمان (٠٠٠)) | ٨٢٧ |
| ٧٤ | (افتح خيبر عندوة بعد القتال (٠٠٠)) | ٨٢٨ |
| ٧٥ | (اقسم بيننا وبين أخواننا النخيل (٠٠٠)) | ٨٢٨ |
| ٧٦ | (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعه (٠٠٠)) | ٨٣٢ |
| ٧٧ | (ان الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلاً (٠٠٠)) | ٨٣٦ |
| ٧٨ | (ان النبي سمع أصواتاً (٠٠٠)) | ٨٣٩ |
| ٧٩ | (ان رسول الله نهى عن بيع الثمار (٠٠٠)) | ٨٤٣ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|---|--------|
| | حرف (أ) | |
| ٨٠ | (ان رسول الله نهى عن بيع النخيل (٠٠٠)) | ٨٤٣ |
| ٨١ | (ان النبي نهى عن بيع العنب (٠٠٠)) | ٨٤٤ |
| ٨٢ | (ألم تعلم أن رسول الله نهى عن جذاذ الليل (٠٠٠)) | ٨٤٦ |
| ٨٣ | (ان من أفضل دينار أنفقه الرجل (٠٠٠)) | ٨٥٢ |
| ٨٤ | (افضل دينار ينفقه الرجل (٠٠٠)) | ٨٥٣ |
| ٨٥ | (ان لريك عليك حقا (٠٠٠)) | ٨٥٣ |
| ٨٦ | (ان في المال حقا سوى الزكاة (٠٠٠)) | ٨٥٣ |
| ٨٧ | (اذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد (٠٠٠)) | ٨٦٩ |
| ٨٨ | (ان النبي بعث معاذ الى اليمن (٠٠٠)) | ٨٧٤ |
| ٨٩ | (ان النبي بعث عبد الله بن رواحه (٠٠٠)) | ٩٠٢ |
| ٩٠ | (انه كتب الى النبي يسأله عن الخضروات (٠٠٠)) | ٩١٦ |
| ٩١ | (رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم (٠٠٠)) | ٩٣١ |
| ٩٢ | (اتقوا النار ولو بشق تمرة (٠٠٠)) | ٩٤٠ |
| ٩٣ | (ان قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (٠٠٠)) | ٩٤٠ |
| ٩٤ | (ان الدواب شكرة من لحومها (٠٠٠)) | ٩٤١ |
| ٩٥ | (اياكم والحسد (٠٠٠)) | ٩٥٠ |
| ٩٦ | (ان رجلا سأل رسول الله اى الاسلام خير (٠٠٠)) | ٩٥٢ |
| ٩٧ | (اذا التقى المسلمان بسيفهما (٠٠٠)) | ٩٥٨ |
| ٩٨ | (انما الدنيا لأربعة نفر (٠٠٠)) | ٩٥٨ |
| ٩٩ | (أعطى خيبر (٠٠٠)) | ٤٥ |
| ١٠٠ | (أقسم بيننا وبين أخواننا النخيل (٠٠٠)) | ٧٥ |
| ١٠١ | (أنه حرق نخل بنى النضير (٠٠٠)) | ٧٥ |
| ١٠٢ | (اسق يازبير ثم أرسل الماء* (٠٠٠)) | ٧٦ |
| ١٠٣ | (أنه نهى عن بيع الثمرة حتى بيد وصلاحها (٠٠٠)) | ٧٦ |
| ١٠٤ | (ان من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها (٠٠٠)) | ٧٦ |
| ١٠٥ | (أيعا امرئ أبر نخلا (٠٠٠)) | ٧٧ |
| ١٠٦ | (ان عمر بن الخطاب أجلى اليهود (٠٠٠)) | ٩٠ |

| الرقم | الحديث | المفحصة |
|-----------|--|---------|
| حرف (أ) | | |
| ١٠٧ | (ان الله حرم مكة . . .) | ٥٦ |
| ١٠٨ | (انى لاول العرب رمى بهم . . .) | ٥٦ |
| ١٠٩ | (ان الله يمسك السموات على اصبغ . . .) | ٦٦ |
| ١١٠ | (الشفاء في ثلاثة شربة عسل . . .) | ١٦٨ |
| ١١١ | (الكفاءة من المن . . .) | ١٨٩ |
| ١١٢ | (السواك مطهرة للفم . . .) | ١٩٢+١٩١ |
| ١١٣ | (الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف . . .) | ٢٨٣ |
| ١١٤ | (اللهم لك الحمد أنت نور السموات . . .) | ٢٩٦ |
| ١١٥ | (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه . . .) | ٣١٠ |
| ١١٦ | (القلوب أربعة فقلب أجرد فيه مثل السراج . . .) | ٣٣٢ |
| ١١٧ | (الدين النصيحة قلنا لمن . . .) | ٣٤٠ |
| ١١٨ | (العجوة من الجنة وهي شفاء . . .) | ٣٥٨ |
| ١١٩ | (النخل والشجر بركة على أهله . . .) | ٣٦٣ |
| ١٢٠ | (الناس لادم وحواء كطف الصاع . . .) | ٥١٣ |
| ١٢١ | (الم أخبر أنك تصوم ولا تفطر . . .) | ٧٦٢ |
| ١٢٢ | (الزرع للزرع . . .) | ٧٨٤ |
| ١٢٣ | (الوسق ستون صاعا . . .) | ٨٩٦ |
| ١٢٤ | (العزازره والكبرياء رداة . . .) | ٩٤٧ |
| ١٢٥ | (العين حق . . .) | ٩٤٩ |
| ١٢٦ | (اللهم انى أعوذ بك من البخل . . .) | ٩٥٧ |
| حرف (ب) | | |
| ١٢٧ | (بيت لا تمر فيه جياع أهله . . .) | ٣٤٤ |
| ١٢٨ | (بينما رجل راكب بقرة . . .) | ٥٥ |
| ١٢٩ | (بيت لا تمر فيه جياع أهله . . .) | ٣٥٦ |
| ١٣٠ | (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عدلت الى ظل شجرة) | ٥٦١ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| حرف (ب) | | |
| ١٣١ | (بشروا ولا تنفروا . . .) | ٤٠٧ |
| ١٣٢ | (بينا نحن قائلون . . .) | ٥٦٥ |
| ١٣٣ | (بينما رجل راكب على بقرة . . .) | ٨٠٠ |
| ١٣٤ | (بنى الاسلام على خمس . . .) | ٨٧١ |
| ١٣٥ | (بايعت رسول الله على اقام الصلاة . . .) | ٨٧١ |
| حرف (ت) | | |
| ١٣٦ | (تفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر . . .) | ٢٣٨ |
| ١٣٧ | (تفتح يا جوج وما جوج فيخرجون . . .) | ٤٢٤ |
| ١٣٨ | (تعدون انتم الفتح فتح مكة . . .) | ٥٥٦ |
| ١٣٩ | (تهادوا تحابوا . . .) | ٨٥٥ |
| ١٤٠ | (تصدقوا ولو بشق تمره . . .) | ٩٣٩ |
| ١٤١ | (تحاجت الجنة والنار . . .) | ٩٤٨ |
| حرف (ث) | | |
| ١٤٢ | (ثم يقال للارض انبتي ثمرتك . . .) | ٣٤ |
| ١٤٣ | (ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها . . .) | ٦٠٢ |
| حرف (ج) | | |
| ١٤٤ | (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . . .) | ٣٣ |
| ١٤٥ | (جاء رجل من أهل مصر حج البيت . . .) | ٥٥٨ |
| ١٤٦ | (جاء العاص بن وائل الى رسول الله . . .) | ٧٢٧ |
| ١٤٧ | (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الصدقة خير . . .) | ٨٦٦ |
| ١٤٨ | (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل . . .) | ٨٧١ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| (ح) حرف | | |
| ١٤٩ | (حجابة النور ٠٠٠) | ٢٩٥ |
| ١٥٠ | (حفت الجنة بالمكاره ٠٠٠) | ٤٢٦ |
| ١٥١ | (حفت الجنة بالمكاره ٠٠٠) | ٤٢٧ |
| ١٥٢ | (حاج موسى آدم فقال له ٠٠٠) | ٥٣١ |
| ١٥٣ | (حق المسلم على المسلم خمس ٠٠٠) | ٧٦٢ |
| (خ) حرف | | |
| ١٥٤ | (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ٠٠٠) | ٦٦ |
| ١٥٥ | (خير ما تداويتم به الحجامه والقسط البحرى) | ١٨٨ |
| ١٥٦ | (خير مال المرء مهرة مأمورة ٠٠٠) | ٧٧٥ |
| ١٥٧ | (خذ الحب من الحب ٠٠٠) | ٨٩١ |
| ١٥٨ | (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ٠٠٠) | ٩٥٧ |
| (ذ) حرف | | |
| ١٥٩ | (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠) | ٣٤ |
| (ر) حرف | | |
| ١٦٠ | (رأيت الليلة في المنام ظلة ٠٠٠) | ٢٣٨ |
| ١٦١ | (رخص في بيع الحرية ٠٠٠) | ٧٧ |
| ١٦٢ | (رجعنا من الخيام المقبل ٠٠٠) | ٥٥٩ |
| ١٦٣ | (رجعنا من العام المقبل ٠٠٠) | ٥٦٧ |
| ١٦٤ | (رجعنا من العام المقبل ٠٠٠) | ٥٧٠ |
| (ز) حرف | | |
| ١٦٥ | (زينوا القرآن بأصواتكم ٠٠٠) | ٣٤٦ |
| (س) حرف | | |
| ١٦٦ | (سبعة يظلمهم الله في ظله ٠٠٠) | ٢٣٧ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-----------|--|--------|
| حرف (س) | | |
| ١٦٧ | (سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادى أفيح) | ٦٠٤ |
| ١٦٨ | (سيح يجرى للعبد أجرهن ٠٠٠) | ٧٧٩ |
| ١٦٩ | (سألت رافع بن خديج عن كرا* الارض ٠٠٠) | ٨١٢ |
| ١٧٠ | (سألت رافع بن خديج عن كرا* الارض ٠٠٠) | ٨١٥ |
| حرف (ش) | | |
| ١٧١ | (شجرة الثوم ٠٠٠) | ١٠٠ |
| ١٧٢ | (شهدنا الحديبية فلما أنصرفنا ٠٠٠) | ٥٧٤ |
| حرف (ع) | | |
| ١٧٣ | (عامل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ٠٠٠) | ٤٥ |
| ١٧٤ | (عامل خيبر بشطر ما يخرج ٠٠٠) | ٨٩ |
| ١٧٥ | (عجا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ٠٠٠) | ٣٣٥ |
| ١٧٦ | (على أى شىء بايعتم ٠٠٠) | ٥٦٠ |
| ١٧٧ | (عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع ٠٠٠) | ٨٢٢ |
| ١٧٨ | (عامل عمر الناس على أن جاء عمر بالبذر ٠٠٠) | ٨٣٣ |
| ١٧٩ | (عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بالشطر) | ٨٤٠ |
| ١٨٠ | (عليكم بهذه الحبيبة السوداء ٠٠٠) | ٩٢٤ |
| ١٨١ | (على كل مسلم صدقة ٠٠٠) | ٩٣٨ |
| ١٨٢ | (عندما سأله رجل عن سبأ ٠٠٠) | ٩٦٠ |
| حرف (ف) | | |
| ١٨٣ | (في الحبة السوداء* شفاء* من كل داء* ٠٠٠) | ١٨٧ |
| ١٨٤ | (فمن كانت له أرض فليزرعها ٠٠٠) | ١٤٦ |
| ١٨٥ | (فضل العالم على العابد كفضل على أدناكم ٠٠٠) | ٣٧٤ |
| ١٨٦ | (فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ٠٠٠) | ٤٤٩ |
| ١٨٧ | (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ٠٠٠) | ٤٥١ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|--------|--------|
|-------|--------|--------|

حرف (ف)

| | | |
|-----|--|-----|
| ١٨٨ | (فلا يخرس المسلم غرسا . . .) | ٧٧٧ |
| ١٨٩ | (فأعلمهم ان الله قد أفترض عليهم صدقة . . .) | ٨٦٤ |
| ١٩٠ | (فيما سقت السماء العشر . . .) | ٨٨٢ |
| ١٩١ | (فيما سقت السماء والنخليون . . .) | ٨٨٢ |
| ١٩٢ | (فيما سقت السماء العشر . . .) | ٨٩٣ |
| ١٩٣ | (في الرقة ربح العشر . . .) | ٨٩٤ |
| ١٩٤ | (فيما سقت السماء العشر . . .) | ٨٩٩ |
| ١٩٥ | (فيما سقت الانهار والغيم العشور . . .) | ٩٠٠ |
| ١٩٦ | (فيما سقت السماء العشر . . .) | ٩١٧ |
| ١٩٧ | (فرض رسول الله زكاة الفطر . . .) | ٩٣١ |
| ١٩٨ | (فرض رسول الله زكاة الفطر طهرة للصائم . . .) | ٩٣١ |

حرف (ق)

| | | |
|-----|--|-----|
| ١٩٩ | (قال رجل يارسول الله اى المال أفضل . . .) | ٧٧٥ |
| ٢٠٠ | (قال رجل يارسول الله عندى دينار . . .) | ٨٥٢ |
| ٢٠١ | (قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم . . .) | ٨٧٥ |

حرف (ك)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٢٠٢ | (كان اذا دخل بيت بدأ بالسواك . . .) | ١٩٢ |
| ٢٠٣ | (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية . . .) | ٥٦٤ |
| ٢٠٤ | (كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة . . .) | ٥٦٦ |
| ٢٠٥ | (كنا مع رسول صلى الله عليه وسلم في أصل الشجرة . . .) | ٥٦٨ |
| ٢٠٦ | (كان الناس يأتون الشجرة . . .) | ٥٧٢ |
| ٢٠٧ | (كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة . . .) | ٦٠٣ |
| ٢٠٨ | (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها) | ٦٠٥ |
| ٢٠٩ | (كلوا الزيت وادهنوا به . . .) | ٦٣٤ |
| ٢١٠ | (كل انسان تلده أمه على الفطرة . . .) | ٦٣٨ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|--------|--------|
|-------|--------|--------|

حرف (ك)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٢١١ | (كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية . . .) | ٧٧٤ |
| ٢١٢ | (كان أصحاب رسول الله قوما عمال أنفسهم . . .) | ٧٧٥ |
| ٢١٣ | (كنا نحاول الأرض على عهد رسول الله . . .) | ٧٩٢ |
| ٢١٤ | (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله . . .) | ٨٠٦ |
| ٢١٥ | (كنا في زمان رسول الله نأخذ الأرض بالثلث . . .) | ٨١٠ |
| ٢١٦ | (كنا نخاير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .) | ٨١١ |
| ٢١٧ | (كنا نحاول الأرض في عهد رسول الله . . .) | ٨١١ |
| ٢١٨ | (كنا من أكثر الانصار حقلا . . .) | ٨٢٣ |
| ٢١٩ | (كنا أكثر أهل المدينة مزروعا . . .) | ٨٢٩ |
| ٢٢٠ | (كنا نخاير على عهد رسول الله . . .) | ٨٣٠ |
| ٢٢١ | (كنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث) | ٨٣٠ |
| ٢٢٢ | (كنا لانرى بالخبر بأسا . . .) | ٨٣٢ |
| ٢٢٣ | (كنا نخرج زكاة الفطر . . .) | ٩٣٣ |
| ٢٢٤ | (كنا نخرج اذ كان فينا رسول الله زكاة . . .) | ٩٣٥ |

حرف (ل)

| | | |
|-----|--|-----|
| ٢٢٥ | (لكل داء دواء . . .) | ١٦٧ |
| ٢٢٦ | (ليست السنة بأن تمطروا . . .) | ٣٣ |
| ٢٢٧ | (لقد نهانا رسول الله . . .) | ٤٥ |
| ٢٢٨ | (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك . . .) | ١٩١ |
| ٢٢٩ | (لولا حواء لم تكن أنثى زوجها . . .) | ٥١٣ |
| ٢٣٠ | (لقد رأيتني يوم الشجرة . . .) | ٥٦٤ |
| ٢٣١ | (لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها . . .) | ٥٧٠ |
| ٢٣٢ | (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . . .) | ٥٧٤ |
| ٢٣٣ | (لقد نهى رسول الله عن أمر كان بنا رافقا . . .) | ٧٩٢ |
| ٢٣٤ | (لم يحرم المزارعة ولكن أمر أن يرفق الناس . . .) | ٨١٤ |
| ٢٣٥ | (لم ينهى عنها ولكن قال لأن يمنح أحدكم أخاه) | ٨١٥ |

| الصفحة | الحديث | الرقم |
|---------|---|-------|
| | حرف (ل) | |
| ٨١٨ | (لو تركت المخابرة ٠٠٠) | ٢٣٦ |
| ٨٣١ | (لو تركت المخابرة ٠٠٠) | ٢٣٧ |
| ٨٣٣ | (لما استخلف عمر بن الخطاب أجلى أهل نجران) | ٢٣٨ |
| ٨٦٤ | (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ٠٠٠) | ٢٣٩ |
| ٨٦٥ | (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ٠٠٠) | ٢٤٠ |
| ٨٨٢ | (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ٠٠٠) | ٢٤١ |
| ٨٩١ | (ليس في حب ولا تمر صدقة ٠٠٠) | ٢٤٢ |
| ٨٩٢ | (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ٠٠٠) | ٢٤٣ |
| ٨٩٤ | (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ٠٠٠) | ٢٤٤ |
| ٩١٥ | (ليس في حجب ولا تمر صدقة ٠٠٠) | ٢٤٥ |
| ٩١٥ | (ليس في الخضروات صدقة ٠٠٠) | ٢٤٦ |
| ٩١٥ | (ليس فيما أنبت الأرض من الخضرة زكاة) | ٢٤٧ |
| ٩١٧ | (ليس فيما دون خمسة أوساق ٠٠٠) | ٢٤٨ |
| ٩١٧ | (ليس فيما دون خمسة أوسق ٠٠٠) | ٢٤٩ |
| ٩٢٠ | (ليس في الخضروات صدقة ٠٠٠) | ٢٥٠ |
| ٩٢٥ | (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) | ٢٥١ |
| | حرف (م) | |
| ٤٤ | (ما من مسلم يخرس ٠٠٠) | ٢٥٢ |
| ١١٢ | (مثل ما بعثني الله به من الهدى) | ٢٥٣ |
| ٢٣٨ | (ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب ٠٠٠) | ٢٥٤ |
| ١٦٧ | (ما أنزل الله من داء ٠٠٠) | ٢٥٥ |
| ١٧٦+١٧١ | (من تصبغ بسبغ تمرات ٠٠٠) | ٢٥٦ |
| ١٧٩ | (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ٠٠٠) | ٢٥٧ |
| ١٨٦ | (من عرض عليه ريحان فلا يردده ٠٠٠) | ٢٥٨ |
| ٣٣ | (ما بين النفختين أربعون ٠٠٠) | ٢٥٩ |
| ٥٥ | (من كانت له أرض فليزرعها ٠٠٠) | ٢٦٠ |
| ٥٥ | (من أمسك كلبا ٠٠٠) | ٢٦١ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|---|--------|
| | حرف (م) | |
| ١٦٢ | (من الشجرة شجرة كالرجل المؤمن . . .) | ٦٥ |
| ٢٦٣ | (من غرس هذا النخل . . .) | ٧٧ |
| ٢٦٤ | (من أحب أن يتمثل له الناس . . .) | ٢٧٢ |
| ٢٦٥ | (مثل القائم على حدود الله . . .) | ٢٧٧ |
| ٢٦٦ | (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل . . .) | ٢٨٠ |
| ٢٦٧ | (مثل المرأة الصالحة في النساء* كمثل الغراب . . .) | ٢٨٤ |
| ٢٦٨ | (مثل مني كالرحم في ضيقه . . .) | ٢٨٥ |
| ٢٦٩ | (مثل البيت الذي يذكر الله فيه . . .) | ٢٨٥ |
| ٢٧٠ | (مثل الايمان مثل القميص . . .) | ٢٨٦ |
| ٢٧١ | (مثل الرافلة في الزينة) | ٢٨٦ |
| ٢٧٢ | (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة . . .) | ٢٩٩ |
| ٢٧٣ | (مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم . . .) | ٣١٠ |
| ٢٧٤ | (مثل المؤمنين كمثل الخامة من الزرع . . .) | ٣٢٢ |
| ٢٧٥ | (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع) | ٣٣٠ |
| ٢٧٦ | (مثل المؤمن كالخامة من الزرع . . .) | ٣٣٠ |
| ٢٧٧ | (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تضيئها الريح) | ٣٣٠ |
| ٢٧٨ | (مثل المؤمن كمثل الزرع . . .) | ٣٣٣ |
| ٢٧٩ | (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب . . .) | ٣٣٤ |
| ٢٨٠ | (مثل المؤمن مثل السنبل . . .) | ٣٣٤ |
| ٢٨١ | (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن . . .) | ٣٤١ |
| ٢٨٢ | (من تصبغ بسبع تمرات . . .) | ٣٤٣ |
| ٢٨٣ | (من عرض عليه ريحان فلا يردّه . . .) | ٣٤٥ |
| ٢٨٤ | (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة) | ٣٤٧ |
| ٢٨٥ | (مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء* . . .) | ٣٥٠ |
| ٢٨٦ | (مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء*) | ٣٥٣ |
| ٢٨٧ | (من تصبغ بسبع تمرات عجوة لم يضره . . .) | ٣٥٨ |
| ٢٨٨ | (مثل المؤمن من مثل النخلة) | ٣٦٧ |

| الرقم | الحد يـــــــث | الصفحة |
|-------|---|--------|
| | حرف (م) | |
| ٢٨٩ | (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ٠٠٠) | ٢٦٧ |
| ٢٩٠ | (مثل ما بعثنى الله به من الهدى ٠٠٠) | ٢٧٠ |
| ٢٩١ | (مثل العالم الذى يعلم الناس الخير ٠٠٠) | ٢٧٤ |
| ٢٩٢ | (ما بين النفتين أربعون ٠٠٠) | ٤١٣ |
| ٢٩٣ | (من كان حالفا فلا يحلف الا بالله) | ٦١٤ |
| ٢٩٤ | (ما نقصت صدقة من حال ٠٠٠) | ٦٤٧ |
| ٢٩٥ | (ما أكل من بنى آدم طعاما خيرا له ٠٠٠) | ٧٧٥ |
| ٢٩٦ | (ما من مسلم يغرس غرسا ٠٠٠) | ٧٧٦ |
| ٢٩٧ | (ما من مسلم يغرس غرسا ٠٠٠) | ٧٧٧ |
| ٢٩٨ | (من بنى بنيانا في غير ظم ٠٠٠) | ٧٧٧ |
| ٢٩٩ | (من زرع زرعاً فأكل منه الطير ٠٠٠) | ٧٧٧ |
| ٣٠٠ | (من أعرأرضاً ليست لاحد ٠٠٠) | ٧٨٠ |
| ٣٠١ | (من أحيا أرضاً ميتة ٠٠٠) | ٧٨٠ |
| ٣٠٢ | (ما يمنعكم من الحدث ٠٠٠) | ٧٨٥ |
| ٣٠٣ | (من كانت له أرض فليزرعها ٠٠٠) | ٨١٠ |
| ٣٠٤ | (ما كنا نكره المزارعة ٠٠٠) | ٨١٣ |
| ٣٠٥ | (ما كنا نرى بالزراعة بأسا ٠٠٠) | ٨١٥ |
| ٣٠٦ | (من نصب شجرة فصبر على حفظها ٠٠٠) | ٨٣٥ |
| ٣٠٧ | (مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل ٠٠٠) | ٨٣٩ |
| ٣٠٨ | (ما نقصت صدقة من مال ٠٠٠) | ٨٦ |
| ٣٠٩ | (من تصدق بعدد تمرة ٠٠٠) | ٨٦٥ |
| ٣١٠ | (ما من مسلم يغرس غرسا ٠٠٠) | ٩٣٩ |
| ٣١١ | (ما من مسلم يغرس غرسا الا كان مأكل ٠٠٠) | ٩٣٩ |
| ٣١٢ | (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) | ٩٤١ |
| ٣١٣ | (من أعطى عطا* فوجد معروفا) | ٩٤٣ |
| ٣١٤ | (من تصدق بعدد تمرة ٠٠٠) | ٩٥٣ |
| ٣١٥ | (من هم بسيئة فلم يعملها ٠٠٠) | ٩٥٨ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|------------|--|--------|
| حرف (م) | | |
| ٣١٦ | (من أقتنى كلبا ٠٠٠) | ٤٥ |
| ٣١٧ | (من سره أن يتمثل له الرجال ٠٠٠) | ٢٦٩ |
| ٣١٨ | (مثل الجليس الصالح والجليس السوء ٠٠٠) | ٢٨٤ |
| حرف (ن) | | |
| ٣١٩ | (نام رسول الله على حصير ٠٠٠) | ٢٤٣ |
| ٣٢٠ | (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ضراب الجمل) | ٥٥ |
| ٣٢١ | (نهى عن بيع النخل حتى يصلح) | ٧٦ |
| ٣٢٢ | (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزابنة) | ٧٧ |
| ٣٢٣ | (نهى عن بيع ثمر الثمر ٠٠٠) | ٨٩ |
| ٣٢٤ | (نهى عن المزابنة ٠٠٠٠) | ٩٠+٨٩ |
| ٣٢٥ | (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كراء الارض ٠٠٠) | ٩٠ |
| ٣٢٦ | (نور آنى أراه ٠٠٠) | ٢٩٥ |
| ٣٢٧ | (نهى رسول الله عن المخابرة ٠٠٠) | ٧٩٤ |
| ٣٢٨ | (نهانا رسول الله عن أمر كان بنا رافقا ٠٠٠) | ٨١١ |
| ٣٢٩ | (نهى رسول الله أن تباع الثمرة حتى تشقح) | ٨٤٥ |
| ٣٣٠ | (نهى عن جذاذ الليل وحصاده ٠٠٠) | ٨٤٧ |
| حرف (هـ) | | |
| ٣٣١ | (هو رجل ولد له عشرة أولاد ٠٠٠) | ٩٦١ |
| حرف (و) | | |
| ٣٣٢ | (والذى خلق الجنة وبرأ النسمة ٠٠٠) | ٦٧٦ |
| ٣٣٣ | (وأبدأ بمن تحول ٠٠٠) | ٨٥٣ |
| ٣٣٤ | (وإذا حصدت فحضرك المساكين ٠٠٠) | ٨٨٠ |
| ٣٣٥ | (وفيما سقت الانهار والخيم العشور ٠٠٠) | ٨٨٢ |
| ٣٣٦ | (والعشر في التمر والزبيب ٠٠٠) | ٨٨٨ |
| ٣٣٧ | (وهل يكب الناس في النار ٠٠٠) | ٩٠٦ |

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|--|--------|
| | حرف (ي) | |
| ٣٣٨ | (يا عائشة ان من شرار الناس . . .) | ٤٣٩ |
| ٣٣٩ | (يمينك على ما يصدقك عليه . . .) | ٦١٤ |
| ٣٤٠ | (يا عبد الله ألم أخبر انك تصوم النهار . . .) | ٧٦١ |
| ٣٤١ | (يغفر الله لرافع ابن خديج . . .) | ٨١٤ |
| ٣٤٢ | (يقول الله تعالى الكبرياء ردائي . . .) | ٩٤٧ |
| ٣٤٣ | (يا ابن آدم ولك أن تبذل الفضل . . .) | ٩٥٢ |
| | حرف (لا) | |
| ٣٤٤ | (لا يدخل هذا بيت قوم . . .) | ٥٥ |
| ٣٤٥ | (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود) | ٦٦ |
| ٣٤٦ | (لا تتبعوا لثمر حتى يبدا واصلاحه . . .) | ٨٩ |
| ٣٤٧ | (لا تسبوا الريح فانها من روح الله . . .) | ١٣٠ |
| ٣٤٨ | (لا يأتي الخير الا بالخير . . .) | ٢٧٨ |
| ٣٤٩ | (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) | ٣٥٧ |
| ٣٥٠ | (لا يجتنى من الشوك العنب . . .) | ٤٢٨ |
| ٣٥١ | (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود) | ٥٤٥ |
| ٣٥٢ | (لا تبرح حتى نناجز القوم) | ٥٥٨ |
| ٣٥٣ | (لا يدخل النار أحدا بايح تحت الشجرة) | ٥٦٣ |
| ٣٥٤ | (لا يغرَس مسلم غرسا . . .) | ٧٧٧ |
| ٣٥٥ | (لا يقولن أحدكم زرعتم . . .) | ٧٨١ |
| ٣٥٦ | (لا يقولن أحدكم زرعتم . . .) | ٧٨٣ |
| ٣٥٧ | (لا يدخل هذا بيت قوم الا دخله الذل . . .) | ٨٠٠ |
| ٣٥٨ | (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا . . .) | ٨٠١ |
| ٣٥٩ | (لا يشكر الله من لا يشكر الناس . . .) | ٩٤١ |
| ٣٦٠ | (لا يدخل النار في قلبه مثقال حبة . . .) | ٩٤٧ |

ساروساً :-

» قائمة بفهرست الموضوعات
في البحث «

الصفحة

| | |
|----|---|
| ١ | آية وحديث |
| ٢ | اهداء |
| ٣ | المقدمة |
| ١٩ | الباب الأول : حقيقة النباتات وعوامل الانبات وفوائد النبات |
| ٢٠ | الفصل الأول |
| ٢١ | المبحث الأول : معنى النبات |
| ٢٢ | النبات فى اللغة |
| ٢٣ | النبات فى القرآن |
| ٣١ | النبات فى الحديث |
| ٣٦ | المبحث الثانى : معنى الزرع - الزرع فى اللغة . |
| ٣٧ | الزرع فى القرآن |
| ٤٤ | الزرع فى الحديث |
| ٤٩ | المبحث الثالث : معنى الحرث |
| ٤٩ | الحرث فى اللغة |
| ٤٩ | الحرث فى القرآن |
| ٥٤ | الحرث فى الحديث . |
| ٥٧ | المبحث الرابع : معنى الشجر والشجر فى اللغة |
| ٥٨ | الشجر فى القرآن |
| ٦٥ | الشجر فى الحديث |
| ٦٨ | المبحث الخامس : معنى النخيل |
| ٦٨ | النخيل فى اللغة |
| ٦٨ | النخيل فى القرآن الكريم |
| ٧٥ | النخيل فى الحديث |
| ٨٠ | المبحث السادس : معنى الثمر |
| ٨٠ | الثمر فى اللغة |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٨١ | الشمرفى القرآن |
| ٨٩ | الشمرفى الحديث |
| ٩٣ | المبحث السابع : علاقة ألفاظ النبات بعضها ببعض |
| ٩٥ | البدور |
| ٩٨ | الساق |
| ٩٨ | الأوراق |
| ١٠٠ | الأزهار |
| ١٠١ | الثمار |
| ١٠٣ | الفصل الثانى : عوامل الانبات |
| ١٠٤ | المبحث الأول : الأرض |
| ١٠٥ | مظاهر سطح الأرض |
| ١٠٥ | مهمة الأرض |
| ١٠٦ | صفات الأرض ووظائفها |
| ١١٦ | المبحث الثانى : الماء |
| ١١٧ | أصل الماء |
| ١٢٠ | الجبال والماء |
| ١٢٢ | أقسامه : الماء العذب |
| ١٢٤ | أوصافه و مترادفاته |
| ١٢٦ | فوائده |
| ١٢٦ | فوائده الخاصة بالنبات |
| ١٢٨ | فوائده العامة |
| ١٣٠ | المبحث الثالث : الهواء |
| ١٣٠ | أنواع الريح |
| ١٣٥ | تلقيح السحب |
| ١٣٧ | تلقيح النبات |

| الصفحة | |
|--------|--|
| ١٣٩ | مبشرات الرياح |
| ١٤١ | المبحث الرابع : الشمس |
| ١٤١ | وصف الشمس |
| ١٤٤ | الشمس مصدر حرارة وضوء |
| ١٤٤ | حاجة النبات الى الحرارة |
| ١٤٥ | علاقة حرارة التربة والهواء بالنبات |
| ١٤٧ | الضوء |
| ١٤٧ | كمية الضوء |
| ١٤٨ | طول مدة الضوء |
| ١٤٩ | النبات والظل والليل |
| ١٥٠ | فوائد الشمس |
| ١٥١ | الفصل الثالث : فوائد النبات |
| ١٥٢ | تمهيد : فوائد المخلوقات للانسان |
| ١٥٤ | المبحث الأول : الفائدة الحسية |
| ١٥٤ | الفائدة الأولى : النبات من مصادر الغذاء للانسان |
| ١٦٥ | الفائدة الثانية : النبات مصدر من مصادر الغذاء للحيوان |
| ١٦٧ | الفائدة الثالثة : النبات مصدر من مصادر الصحة للانسان |
| ١٦٧ | النباتات الواردة فى القرآن والسنة |
| ١٦٩ | فوائد العسل |
| ١٧٢ | الفواكه |
| ١٧٦ | الحبوب |
| ١٧٨ | الخضروات |
| ١٨١ | فوائد الخضروات |
| ١٨٤ | النباتات المفيدة للعلاج |
| ١٩٣ | الفائدة الرابعة : النباتات مصدر من مصادر الرزق للعباد |
| | الفائدة الخامسة : النبات مصدر من مصادر السكن والصناعات |
| ١٩٩ | واللباس |
| ٢٠٠ | النبات سكن للانسان |
| ٢٠٤ | الصناعات للانسان |
| ٢٠٤ | صناعة الخشب |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٢١١ | صناعات الورق والألياف واللحاء |
| ٢١٢ | صناعات الثمر |
| ٢١٣ | صناعات الزهور |
| ٢١٤ | النبات لباس للإنسان |
| | الفائدة السادسة : النباتات مصدر من مصادر أدوات العلم |
| ٢٢٠ | والمعرفة للإنسان . |
| ٢٢١ | الوسيلة الأولى : القلم |
| ٢٢٣ | الوسيلة الثانية : الورق . |
| ٢٢٤ | الوسيلة الثالثة : المداد |
| ٢٢٥ | الفائدة السابعة : النبات مصدر من مصادر الوقود للإنسان |
| ٢٣٢ | الفائدة الثامنة : النبات مصدر ظل للإنسان |
| ٢٣٣ | تعريف الظل |
| ٢٣٤ | وقت الظل |
| ٢٣٥ | الفرق بين الفء والظل |
| ٢٣٧ | مراديات الظل |
| ٢٣٩ | مفارقة بين ظل الاشجار والأشياء الأخرى |
| ٢٤١ | الظل والنبات |
| ٢٤٣ | الفرق بين ظل الدنيا وظل الآخرة |
| ٢٤٨ | المبحث الثانى : الفائدة النفسية |
| ٢٥٢ | المبحث الثالث : الفائدة الروحية |
| ٢٥٦ | المبحث الرابع : الفائدة الأخروية |
| ٢٦٠ | الباب الثانى : أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية فى عرض آيات النبات . |
| ٢٦١ | تمهيد : معنى الاسلوب . |
| ٢٦٧ | الفصل الأول : اسلوب المثل بالنبات وأثره فى النفس |
| ٢٦٨ | تمهيد : علاج القرآن للنفس البشرية |
| ٢٦٩ | المبحث الأول : معنى المثل |
| ٢٦٩ | التعريف اللغوى للمثل |

الصفحة

- ٢٧١ المثل عند البلاغيين
- ٢٧٥ التعريف المختار للمثل
- ٢٧٦ المبحث الثانى : أقسام المثل وأنواعه
- ٢٧٦ المثل الحقيقى
- ٢٧٧ المثل الصريح
- ٢٧٨ المثل الضمنى
- ٢٧٩ المثل القياسى
- ٢٨٠ المثل السائر
- ٢٨٣ المثل المركب
- ٢٨٧ المبحث الثالث : اسلوب المثل بالنبات فى القرآن الكريم وأثره فى النفس
- ٢٨٧ الأمثال الحسية الصريحة فى وصف نور الله سبحانه وتعالى
- ٢٩٧ الأمثال الصريحة فى بيان أهمية كلمة التوحيد بالنبات
- ٢٩٨ بيان كلمة التوحيد
- ٣٠٢ قرائن التركيب فى المثل
- ٣٠٣ الكلمة الخبيثة
- ٣٠٨ الأمثال الصريحة الحسية المركبة المتعلقة بصفات صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبات
- ٣٠٩ العناصر المشتركة بين المثل والممثل به
- ٣١١ الصورة المركبة من التمثيل
- ٣١٢ فائدة هذا المثل
- ٣١٤ الأمثال الصريحة فى وصف الحياة الدنيا بالنبات
- ٣١٨ عناصر المثل
- ٣١٨ قرائن الصراحة فى المثل
- ٣١٩ الحكمة من الأمثال فى الآيات

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٣٢٠ | الأمثال الحسية فى بيان حال المنفق بالنبات . |
| ٣٢٠ | بيان كيفية مضاعفة الأجر |
| ٣٢١ | وجه الشبه |
| ٣٢٢ | أثر النفقة فى سبيل الله |
| ٣٢٥ | أثر النفقة لغير الله عز وجل |
| ٣٣٠ | المبحث الرابع / أسلوب الأمثال بالنبات فى الحديث وأثره على النفس |
| ٣٣٠ | ضرب المثل للمسلم بالخامة من الزرع |
| ٣٣١ | ضرب المثل للمؤمن بالنبات |
| ٣٣٥ | ضرب المثل للكافر بالنبات |
| ٣٣٧ | الفرق بين ألفاظ الأحاديث |
| ٣٤٩ | الفوائد من المثل |
| ٣٥٠ | ضرب المثل للمؤمن بالنبات فى النفع به |
| ٣٥٥ | فوائد النخل |
| ٣٥٥ | فوائد الرطب |
| ٣٥٩ | فوائد النوى |
| ٣٦٠ | فائدة قلب النخلة |
| ٣٦٠ | فوائد الثمر |
| ٣٦٠ | فوائد الثمر الأخرى |
| ٣٦٣ | النخلة والقرآن |
| ٣٦٦ | وجه الشبه بين المسلم والنخلة |
| ٣٦٩ | التعارض بين مثل المؤمن بالنخلة والكافر بالأرزة |
| ٣٦٩ | بلاغة أسلوب الحديث |
| ٣٧٠ | ضرب المثل للعلم بالنبات فى النفع به |
| ٣٧١ | أقسام المثل فى الحديث |
| ٣٧٤ | بلاغة أسلوب الحديث |
| ٣٣٢ | علاقة ضرب المثل فى الحديث بالنبات |

الصفحة

| | |
|-----|--|
| ٣٧٨ | المبحث الخامس : خصائص المثل |
| ٣٨١ | المبحث السادس : أغراض المثل وأهدافه |
| ٣٨٦ | المبحث السابع : أثر المثل في النفس البشرية |
| ٣٨٩ | أسباب تأثير المثل |
| ٣٩٣ | الفصل الثاني : أسلوب التشبيه بالنبات وأثره في النفس . |
| ٣٩٤ | تمهيد : علم البيان والتشبيه |
| ٣٩٥ | المبحث الأول : معنى التشبيه |
| ٣٩٨ | المبحث الثاني : أقسام التشبيه |
| ٣٩٩ | محسوس بمحسوس |
| ٣٩٩ | معقول بمعقول |
| ٤٠٠ | معقول بمحسوس |
| ٤٠٠ | محسوس بمعقول |
| ٤٠٠ | أقسامه باعتبار بلاغة طرفيه |
| ٤٠٣ | أقسامه باعتبار وجه الشبه |
| ٤٠٤ | أقسامه باعتبار أدواته |
| ٤٠٦ | المبحث الثالث : أسلوب التشبيه بالنبات في القرآن وأثره في النفس |
| ٤٠٦ | تشبيه المؤمن والكافر بالطيب والخبيث من النبات |
| ٤٠٩ | تشبيه منازل القمر بالنبات |
| ٤١١ | تشبيه البعث بالنبات |
| ٤١٤ | تناسق وتوافق ألفاظ الآيات مع التشبيه |
| ٤١٦ | تشبيه ضعف الكفرة بأعجاز النخل |
| ٤١٧ | الصورة التشبيهية في عذاب قوم عاد |
| ٤١٩ | الصورة التشبيهية في عذاب قوم ثمود |
| ٤٢٠ | الصورة التشبيهية في عذاب أصحاب الفيل |
| ٤٢٢ | المبحث الرابع : أسلوب التشبيه بالنبات في الحديث وأثره في النفس |
| ٤٢٢ | تشبيه نبت الاجساد في الآخرة بنبت النبات في الدنيا |
| ٤٢٢ | تشبيه سمن الماشية باللحوم كسمنها بالنبات |
| ٤٢٦ | تشبيه منازل البشر في الدنيا والآخرة بالنبات |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٤٣٠ | المبحث الخامس : خصائص التشبيه |
| ٤٣٢ | المبحث السادس : أغراض التشبيه |
| ٤٣٤ | المبحث السابع : أثر التشبيه فى النفس |
| ٤٣٥ | الفصل الثالث : أسلوب الخبر بالنبات وأثره فى النفس |
| ٤٣٦ | تمهيد / علم المعان والخبر |
| ٤٣٧ | المبحث الأول : معنى الخبر |
| ٤٣٨ | المبحث الثانى : أقسام الخبر وأنواعه |
| ٤٤٢ | المبحث الثالث : أسلوب الخبر بالنبات فى القرآن الكريم وأثره فى النفس |
| ٤٤٢ | أسلوب الخبر بالنبات وأسمائه وأصنافه فى القرآن والسنة |
| ٤٥٣ | الاستدلال الأول على شمول علمه عز وجل |
| ٤٥٣ | الاستدلال الثانى على قدرته عز وجل |
| ٤٥٤ | الاستدلال الثالث على حكمته عز وجل |
| ٤٥٤ | الاستدلال الرابع على وحدانيته عز وجل |
| ٤٥٤ | الاستدلال الخامس على رحمته عز وجل ونعمته على عباده |
| ٤٧٢ | الخبر عن وصف النبات فى القرآن بأوصاف متعددة |
| ٤٧٣ | وصف النبات بالأخضر |
| ٤٧٤ | وصف النبات بالموزون |
| ٤٧٧ | وصف النبات بالجنى |
| ٤٨١ | وصف النبات بالكريم |
| ٤٨٦ | وصف النبات بالهضم |
| ٤٩١ | وصف النبات بالبهيح |
| ٤٩٣ | وصف النبات بالحصيد |
| ٥٠٠ | وصف النبات بالنضيد |
| ٥٠٥ | وصف النبات بالأكمام |
| ٥٠٨ | ثالثا : أسلوب الخبر بالنبات فى القرآن عن أحداث تتعلق بالأشجار |
| ٥٠٨ | أولا : شجرة آدم |
| ٥٠٩ | تاريخ النبات |
| ٥١١ | أمر الله لآدم بالسكن فى الجنة أمر وجوب أو إباحه |
| ٥١٣ | ما المراد بالزوجة |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٥١٥ | الجنسة |
| ٥١٨ | قوله تعالى : (ولاتقربا ٠٠٠) |
| ٥٢٠ | ماهى حقيقة الشجرة |
| ٥٢٩ | عصمة آدم عليه السلام |
| ٥٣٤ | شجرة موسى عليه السلام |
| ٥٣٥ | مباهو الأجل الذى قضاه |
| ٥٣٦ | من هم أهله |
| ٥٣٧ | احتياج موسى عليه السلام الى النار |
| ٥٤٦ | فوائد قصة موسى عليه السلام |
| ٥٤٧ | شجرة يونس عليه السلام |
| ٥٤٧ | التقام الحوت له |
| ٥٤٩ | ماهو العراء |
| ٥٥٠ | ماهى الشجرة التى أنبتها |
| ٥٥٤ | شجرة بيعة الرضوان |
| ٥٥٤ | البيعة المقصودة |
| ٥٦١ | بيعة عمر رضى الله عنه |
| ٥٦١ | بيعة سلمة بن الأكوع رضى الله عنه |
| ٥٦٣ | الشجرة التى تمت تحتها البيعة |
| ٥٧١ | الترجيح |
| ٥٧٤ | الفتح الذى أشابه الله |
| ٥٧٦ | الأحكام من الآية |
| ٥٧٨ | المبحث الرابع : أغراض الخبر وأهدافه |
| ٥٧٩ | المبحث الخامس : أثر الخبر فى النفس البشرية |
| ٥٨٠ | الفصل الرابع : أسلوب الاستفهام بالنبات وأثره فى النفس . |
| ٥٨١ | تمهيد / أنواع الكلام |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٥٨٢ | المبحث الأول : الاستفهام ومعناه |
| ٥٨٣ | الخلاصة |
| ٥٨٤ | المبحث الثانى : أدوات الاستفهام أقسامها واستعمالاتها |
| ٥٨٧ | المبحث الثالث : أقسام الاستفهام وأنواعه |
| | المبحث الرابع : أسلوب الاستفهام بالنبات فى القرآن الكريم |
| ٥٩٠ | والسنة النبوية المطهرة |
| ٥٩٠ | ورود النبات فى أسلوب الاستفهام من مظاهر قدرة الله |
| | ورود أسلوب الاستفهام فى آيات النبات للترغيب |
| ٥٩٦ | فى الآخرة |
| ٥٩٨ | ورود أسلوب الاستفهام فى الحث على الصدقة |
| ٦٠١ | أسلوب الاستفهام فى بيان سجود النبات لله |
| ٦٠٦ | المبحث الخامس : أغراض الاستفهام وأهدافه |
| ٦٠٧ | المبحث السادس : أثر الاستفهام |
| ٦٠٩ | الفصل الخامس : أسلوب القسم بالنبات وأثره فى النفس . |
| ٦١٠ | تمهيد : استعمال العرب للقسم |
| ٦١١ | المبحث الأول : معنى القسم |
| ٦١٥ | المبحث الثانى : أقسام القسم وأنواعه |
| ٦١٧ | المبحث الثالث : أركان القسم |
| | المبحث الرابع : أسلوب القسم بالنبات فى القرآن الكريم والسنة |
| ٦٢٢ | النبوية المطهرة |
| ٦٢٢ | أولا : التين والزيتون |
| ٦٢٥ | نوع القسم |
| ٦٢٦ | المقسم به |
| ٦٢٧ | خصائص ثمرة التين |
| ٦٢٨ | فوائدها |
| ٦٣١ | علاقة التين بالقسم . |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٦٣١ | الزيتون |
| ٦٣٢ | وصفها وخصائصها |
| ٦٣٣ | فوائده ومنافعه |
| ٦٣٦ | علاقة الزيتون بالقسم |
| ٦٣٧ | المقسم عليه |
| ٦٣٨ | علاقة القسم بالمقسم عليه |
| ٦٤٠ | ثانيا : قوله تعالى (ولنبلونكم) |
| ٦٤٢ | معنى البلاء |
| ٦٤٢ | الحكمة من الابتلاء |
| ٦٤٣ | الأمور التي ابتلى الله بها عباده |
| ٦٤٤ | الحكمة في الابتلاء بالخوف |
| ٦٤٥ | الابتلاء بالثمرات |
| ٦٥٢ | المبحث الخامس : أغراض القسم وأهدافه |
| ٦٥٤ | المبحث السادس : أثر القسم في النفس البشرية |
| | الباب الثالث : دلالات آيات النيات على وجود الله عز وجل |
| ٦٥٥ | وعظيم صفاته الجليلة والبعث |
| | تمهيد : القرآن الكريم والأدلة الكونية على وجود الله |
| ٦٥٦ | عز وجل |
| ٦٥٩ | دلالة الخلق |
| ٦٥٩ | دلالة العناية |
| ٦٦٠ | دليل النظام |
| ٦٦٢ | دليل الهداية |
| ٦٦٧ | الفصل الأول : دلالة آيات النيات على وجود الله ووحدانيته |
| ٦٦٧ | تمهيد : أنواع الدلالات . |
| ٦٦٨ | دلائل الأنفس - دلائل الآفاق |
| ٦٧٠ | المبحث الأول : الدلالة على وجود الله بالماء |

الصفحة

| | |
|-----|--|
| ٦٧٥ | المبحث الثانى : الدلالة على وجود الله بالنبات |
| | الفصل الثانى : دلالة آيات النبات على صفات الله تعالى |
| ٦٨٥ | وقدرته على الخلق والابداع |
| ٦٨٦ | تمهيد : وصف الأرض |
| ٦٨٩ | المبحث الأول : الاستدلال بمد الأرض على قدرة الصانع |
| ٦٩٠ | المبحث الثانى : الاستدلال بوجود الجبال على قدرة الصانع |
| ٦٩١ | المبحث الثالث : الاستدلال بوجود الأنهار على قدرة الصانع |
| ٦٩٦ | المبحث الرابع : دلالة خلق الثمرات |
| ٧٠١ | المبحث الخامس : دلالة أحوال الليل والنهار |
| ٧٠٣ | المبحث السادس : دلالة اختلاف الثمار مع وحدة التربة |
| ٧١١ | الفصل الثالث : دلالة آيات النبات على قدرة الله تعالى على البعث |
| ٧١٢ | تمهيد : منهج القرآن الكريم فى اثبات البعث |
| ٧١٢ | العنصر الأول : الايمان بالله |
| ٧١٣ | العنصر الثانى : الايمان بالبعث |
| ٧١٤ | العنصر الثالث : العمل الصالح |
| ٧١٥ | تعريف البعث |
| ٧١٥ | البعث فى القرآن |
| ٧١٧ | منهج القرآن فى الاستدلال على أهكان البعث |
| ٧١٩ | المبحث الأول : دلالات آيات النبات على وقوع البعث . |
| ٧٣٩ | المبحث الثانى : دلالات آيات النبات فى اثبات البعث . |
| ٧٥٦ | المبحث الثالث : الاخبار بوقوع البعث |
| ٧٥٩ | الباب الرابع : الحقوق المتعلقة بالنبات |
| ٧٦٠ | تمهيد : معنى الحق ومراداته |
| ٧٦١ | مرادات الحق واستعمالاته |
| ٧٦٦ | الفصل الأول : العناية بالنبات |
| ٧٦٧ | تمهيد : تاريخ الزراعة |

الصفحة

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٧٧٤ | المبحث الأول : العناية بالنبات زراعة |
| ٧٧٦ | فضل الغرس والزرع |
| ٧٨١ | مالك الغرس والزرع |
| ٧٨٧ | ماهية الزراعة |
| ٧٩٠ | المحاقل |
| ٧٩٣ | المخابرة |
| ٧٩٥ | التربة |
| ٧٩٧ | معرفة طرق الري والصرف |
| ٧٩٩ | فقه الحديث |
| ٧٩٩ | الحرث |
| ٨٠٣ | مصدات الرياح |
| ٨٠٤ | البذور |
| ٨٠٨ | أحكام المزارعة |
| ٨١٠ | المبطلين للمزارعة |
| ٨١٢ | حجة المبطلين للمزارعة |
| ٨١٣ | المجوزين للمزارعة |
| ٨١٥ | حجة المجوزين للمزارعة |
| ٨٣٥ | المبحث الثاني : العناية بالنبات صيانة |

الصفحة

| | |
|-----------|---|
| ٨٣٨ | صيانة النبات وحفظه بالاهتمام بالتلقيح |
| ٨٤٠ | العمل فى المساقاة |
| ٨٤٢ | المبحث الثالث : العناية بالنبات حصادا . |
| ٨٤٢ | معنى الحصاد |
| ٨٤٣ | وقت الحصاد |
| ٨٤٥ | جمع المحصول |
| ٨٤٨ | الفصل الثانى : المحافظة على الحقوق المتعلقة بالنبات |
| ٨٤٩ | تمهيد / الانفاق وأحكامه |
| ٨٥٠ | الانفاق فى القرآن الكريم . |
| ٨٥٠ | تعريف الانفاق |
| ٨٥١ | أقسام الانفاق |
| ٨٥٢ | أنواع الانفاق |
| ٨٥٥ | آداب الانفاق |
| ٨٥٧ | الانفاق والنبات |
| ٨٥٩ | المبحث الأول : الزكاة وأحكامها . |
| ٨٦٠ - ٨٥٩ | الزكاة لغة واصطلاحا . |
| ٨٦١ | الزكاة فى القرآن . |
| ٨٦٣ | معنى الزكاة فى القرآن ومراداتها . |
| ٨٧٠ | مكانة الزكاة فى الاسلام . |
| ٨٧١ | فرضيتها . |
| ٨٧٤ | حكم الزكاة . |
| ٨٧٦ | حكم مانعى الزكاة |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٨٧٦ | الأموال التي تجب فيها الزكاة |
| ٨٧٧ | وجوبها بالكتاب والسنة |
| ٨٨٢ | الدليل من السنة |
| ٨٨٣ | الاجماع |
| ٨٨٣ | الأصناف من الزروع والشمار التي تخرج منها الزكاة |
| ٨٨٣ | الحبوب |
| ٨٨٥ | الحبوب فى القرآن |
| ٨٨٦ | رأى أبى حنيفة |
| ٨٨٦ | حجة أبى حنيفة |
| ٨٨٧ | رأى المالكية |
| ٨٨٨ | حجة مالك |
| ٨٨٩ | رأى الشافعى |
| ٨٨٩ | حجة الشافعى |
| ٨٩٠ | رأى الحنابلة |
| ٨٩١ | حجة أحمد |
| ٨٩٢ | الخلاصة |
| ٨٩٢ | نصاب زكاة الحبوب |
| ٨٩٥ | الترجيح |
| ٨٩٥ | نصاب الحبوب |
| ٨٩٧ | نصاب الحبوب فى المقاييس العصرية |
| ٨٩٨ | نصاب مالايكال |
| ٨٩٩ | الترجيح |
| ٨٩٩ | المقدار الواجب اخراجه |
| ٩٠٠ | وقت الاخراج |
| ٩٠٢ | الترجيح |

الصفحة

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٩٠٧ | الفاكهة وأنواعها |
| ٩٠٩ | الأنواع التي تجب فيها الزكاة |
| ٩١٠ | الخلاصة |
| ٩١٣ | الترجيح |
| ٩١٣ | الخضروات وأنواعها |
| ٩١٤ | زكاة الخضروات |
| ٩١٦ | النباتات التي لا تدخل في الاقتيات |
| ٩١٧ | الترجيح |
| ٩١٩ | نصاب زكاة الفواك؛ والخضار |
| ٩٢٢ | التوضيح |
| ٩٢٢ | الترجيح |
| ٩٢٥ | النصاب بالوزن العصري |
| ٩٢٦ | نصاب السوق بالوزن |
| ٩٢٨ | المقدار الواجب اخراجه |
| ٩٢٩ | وقت الاخراج |
| ٩٣٠ | المبحث الثانى : زكاة الفطر |
| ٩٣٠ | معنى زكاة الفطر |
| ٩٣١ | حكمها |
| ٩٣١ | حكمة وجوبها |
| ٩٣٢ | على من تجب زكاة الفطر |
| ٩٣٣ | الأجناس التي يخرج منها |
| ٩٣٧ | المبحث الثالث : الصدقة |
| ٩٣٨ | الصدقة فى القرآن |
| ٩٣٨ | موقف الاسلام منها |
| ٩٤١ | المبحث الرابع : الشكر |
| ٩٤٢ | أركان شكر النعمة |

الصفحة

| | |
|------|---|
| ٩٤٢ | أقسام الشكر |
| ٩٤٣ | الشكر باللسان |
| ٩١٤ | العبر المستفادة من القصة |
| ٩٤٧ | أسباب الكبر والعجب |
| ٩٤٨ | حكم الكبر والعجب |
| ٩٥٠ | ثمرة الحسد |
| ٩٥٢ | شكر النعمة بالجوارح |
| ٩٥٧ | العبر والعظات من القصة |
| ٩٦٠ | وقفات مع القصة . |
| ٩٦٧ | ثمرة الشكر للانسان |
| ٩٧٢ | الخاتمة |
| ٩٧٩ | الملاحق والقوائم |
| ٩٨٠ | أولا : ملحق بآيات النبات الواردة في القرآن الكريم |
| | ثانيا : ملحق بأحاديث النبات الواردة في السنة |
| ١٠٠٤ | النبوية المطهرة . |
| ١٠٣٣ | فهرس المراجع والمصادر |
| ١٠٨٠ | فهرس الآيات القرآنية |
| ١١٢٠ | فهرس الأحاديث النبوية |
| ١١٣٦ | فهرس الموضوعات |